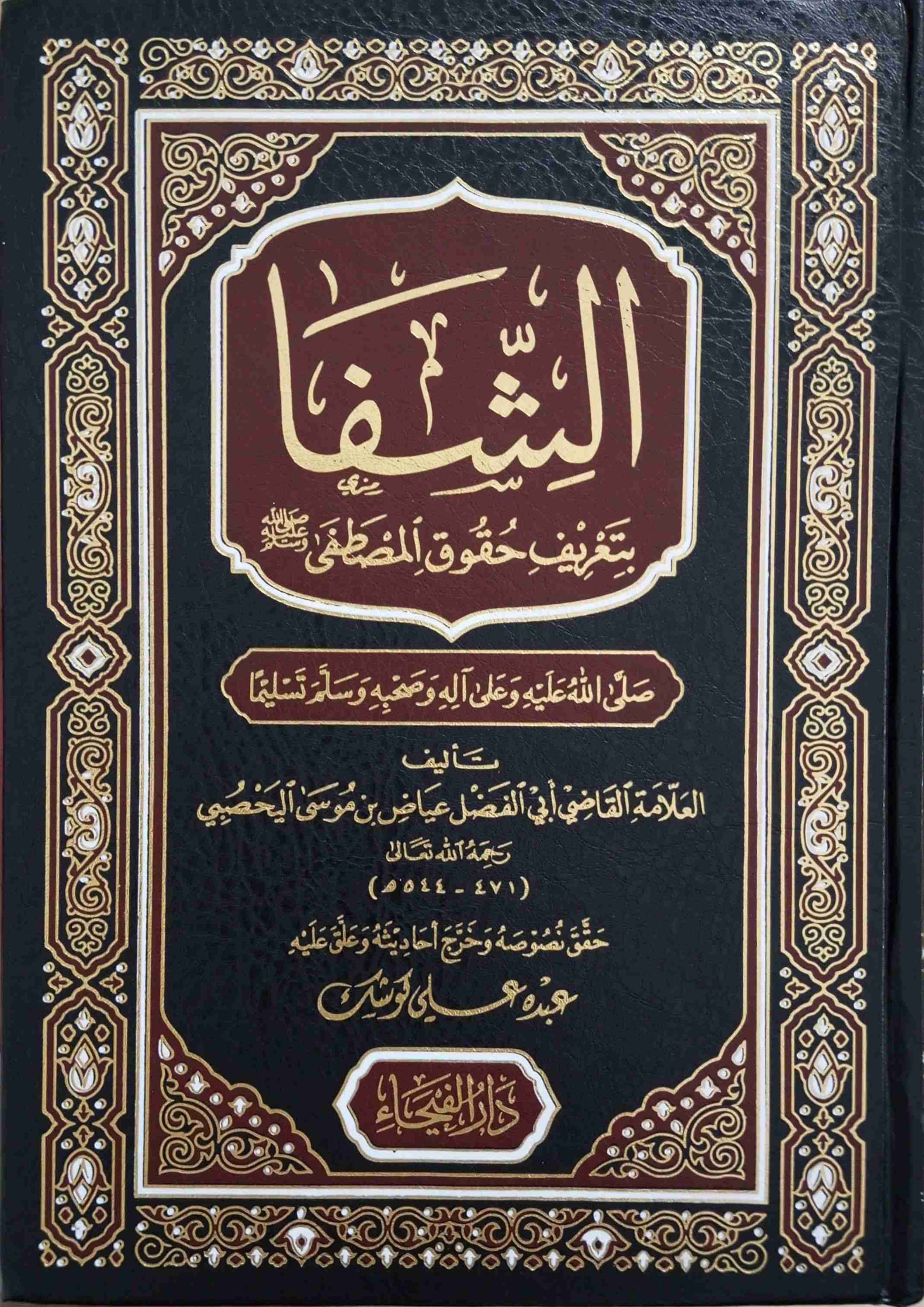


الشفا
بتعريف حقوق المصطفى ﷺ
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً
تأليف
العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي
رحمه الله تعالى
(٤٧١ - ٥٤٤هـ)
حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه
عبده علي كوشك
دار الفيحاء

الشِّفا

بتعريف حقوق المصطفى ﷺ

الطبعة الثالثة : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

ISBN 978-9933-531-02-7





دار الفيحاء للنشر والتوزيع

سُورِيَّة - دِمَشق - حلبوني
هاتف : ٩٦٣١١٢٢٢٣٨١٣٥+
واتساب : ٩٦٣٩٦٧٥٠٩٠٠٠+

لبنان - بَيروت - فردان
هاتف : ٩٦١١٧٩٨٤٨٥+
واتساب : ٩٦١٧٨٨١٣٩١١+

دار الفيحاء للنشر والتوزيع @daralmanhal2013 daralfaiha@hotmail.com



تأليف

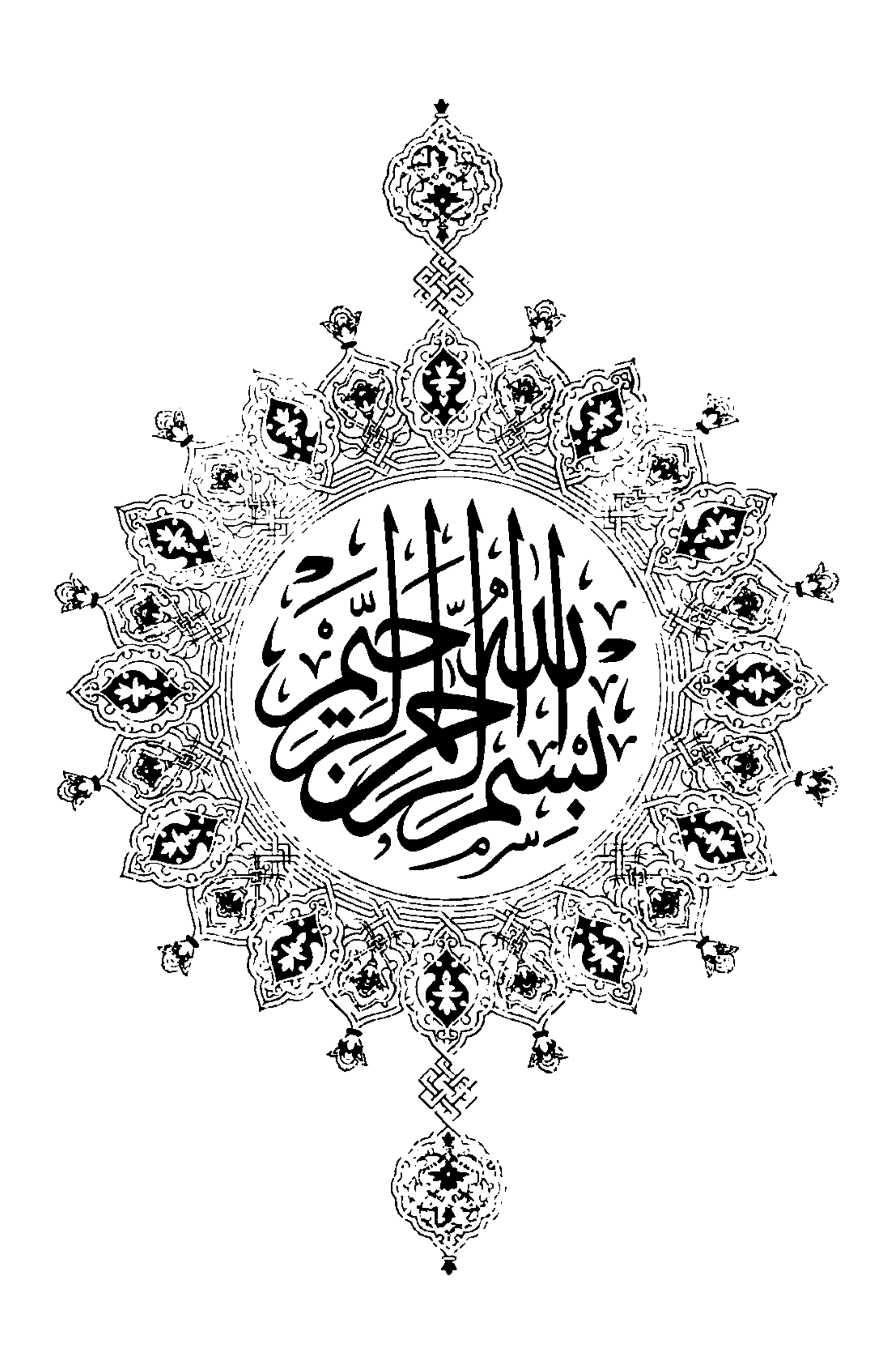
العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي

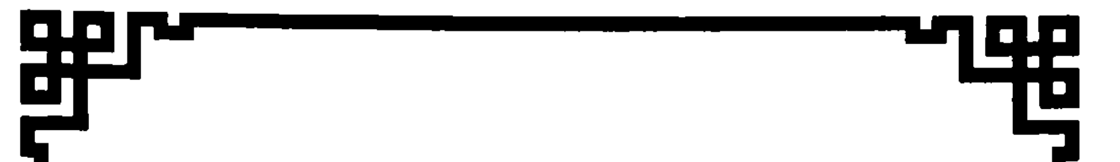
٤٧١ - ٥٤٤ هـ

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبده علي كوشك

دار الفيحاء


بسم الله الرحمن الرحيم



هذا الكتاب

- كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة ، لم يؤلف مثله في الإسلام.

العلامة حاجي خليفة

- كتاب لو كتب بالذهب ، أو وزن بالجوهر لكان قليلاً عليه فالزمه - أيها القارىء - واشدد عليه يديك.

الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة

- يكفي لتعرف أوربّا محاسنَ رسول الله ﷺ ومحامده ، أن ينقل كتاب «الشفا» إلى إحدى اللغات الأوربية.

المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون

- أبدع فيه (مؤلفه) كل الإبداعِ ، وحمله الناسُ عنه ، وطارت نسخه شرقا وغربا.

العلامة محمد بن محمد مخلوف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأَشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره الكافرون.

أما بعد: فإن مَنْ له عناية واهتمام بالتآليف والمُصَنَّفات ، المخطوط منها والمطبوع ، لتعروه الدهشة ، وينتابه العجب ، لما تزخر به مكتبات العالم ، من الكم الهائل ، والعدد الضخم ، من أسماءِ مُؤَلَّفاتٍ ، وعناوينِ مُصَنَّفاتٍ ، تبحث كلها في سيرة الحبيب المصطفى ﷺ.

ولا عجب في ذلك ، فهو حبيب المسلمين ، وشفيع المؤمنين ، ورسول رب العالمين ، وخاتم النبيِّين ، وسيد الناس أجمعين. وهو المثل الكامل ، والقدوة الصالحة ، والرحمة المُهْداةُ.

ولم يقتصر التَّـهَمُّمُ بسيرته ـ ﷺ ـ على أبناء مِلَّتِـهِ ، الملبِّين لدعوته ، المتفانين في نصرة شريعته ، بل تعدَّاهم إلى مَنْ لا يدين برسالته ، ولا يؤمن بنبـوتـه : إرواءً لظمـأ علمـي ، أو شغفـاً بـإطـلاع تـاريخـي ، أو لغـايـة في نفـس يعقوب ![1]

ومنذ سبعين سنة أظهر إحصاءٌ ـ ذكرته مجلة المقتبس الدمشقية [2] ـ وجودَ (١٣٠٠) كتاباً ، مؤلَّفاً في سيرة النبي ـ ﷺ ـ باللغات الأوربية . ولا شك أن هذا العدد تضاعف في أيامنا بسبب تطور فن الطباعة ، وسهولة الاتصال ، وغير ذلك .

والكتب المصنفة في سيرته ـ ﷺ ـ تشمل تفاصيل حياته ـ ﷺ ـ العامة والخاصة فهي تحدثنا عن : أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته ، وشمائله الخِلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ ، وخصائصه ، ومعجزاته ، ودلائل نبوته ، وغزواته ، وسراياه ، وملاحمه ، وكل شأن ـ جليل أو دقيق ـ من شؤون حياته ﷺ .

وكتابنا هذا أجمع وأَجَلُّ مُصَنَّفٍ يبحث في شرف المصطفى ـ ﷺ ـ وقدره العظيم ، ومنصبه الجليل . يتناول ذلك من جوانب فقهية ، أصولية ، عَقَدِيَّةٍ ، بأسلوب بليغ ، وبيان بديع ، وحجج قوية ، وبراهين ساطعة ، مؤيدة بالدليل من قرآن ، وسنة ، وأقوال علماء السلف والأئمة .

والغاية من هذا الكتاب ليس إقناع جاحدٍ ، ولا قهر معاند ، وإنما ليكون منماةً لأعمال المسلمين ، وزيادة في إيمان المؤمنين ، ومحبة في سيد المرسلين . وقد أبان المصنف عن هذه الغاية قائلاً[3] : «حسب المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا ، لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ﷺ ، ولا لطاعن في معجزته ،

---

(١) لا يخفىٰ علىٰ الباحث المُنْصِفِ هدف الاستشراق وغايته في تشويه صورة الإسلام ، وطمس معالم الإيمان . وللوقوف علىٰ هذه الحقيقة أنصح الشباب بقراءة كتاب : «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» لشيخ العربية العلامة محمود شاكر رحمه الله .

(٢) كما ذكره العلامة سُليمان النَّـدْوي في الرسالة المحمدية ص : (٩٧) .

(٣) في أول الباب الرابع من القسم الأول .

فنحتاج إلى نصب البراهين عليها ، وتحصين حوزتها ، حتى لا يتوصل المُطاعن إليها ، ونذكر شروط المعجز ، والتحدي وَحَدَّهُ ، وفَسَادَ قولِ مَنْ أبطل نسخ الشرائع ، وَرَدَّهُ ، بل أَلْفَناه لأهل مِلَّتِهِ ، الملبِّين لدعوته ، المُصَدِّقين لنبوته ، ليكون تأكيداً في محبتهم له ، ومنماة لأعمالهم ، وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم».

وقد أوضح المصنف ـ رحمه الله ـ سبب تأليفه هذا الكتاب ، فقال ـ مجيباً لسائلٍ ـ: «فإنكَ كرَّرْتَ عليَّ السؤال في مجموع[1] يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وما يجب له من توقيرٍ وإكرامٍ ، وما حكم مَنْ لم يُوَفِّ واجبَ عظيم ذلك القدر ، أو قصَّر في حق منصبه الجليل قُلامة ظفرٍ ، وأَن أجمع لك ما لأسلافنا ، وأئمتنا في ذلك من مقالٍ ، وأبينه بتنزيل صور وأمثالٍ».

وبناءً عليه: أجاب المصنف رغبة السائل ، وقام بواجب البيان والعلم ، وأنجز المطلوب في أربعة أقسام ، هاكم عناوينُها:

القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لِقَدْرِ النبي المصطفى قولاً وفعلاً ، وقد استوعب نِصْفَ الكتاب تقريباً.

القسم الثاني: فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ.

القسم الثالث: فيما يجب للنبي ﷺ ، وما يستحيل في حقه ، أو يجوز عليه ، أو يصح من الأحوال البشرية أن تضاف إليه.

القسم الرابع: في تصرف وجوه الأحكام فيمن تَنَقَّصَهُ ، أو سَبَّهُ ، عليه الصلاة والسلام.

ويعود زمن تصنيف هذا الكتاب إلى حدود سنة (٥٢٢)هـ ، فقد قال المصنف في الكتاب نفسه ص: (٣٣٩) وهو يتكلم عن إعجاز القرآن: «وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها؛ والقرآن العزيز ، الباهرةُ آياتُهُ ، الظاهرةُ معجزاتُهُ على ما كان عليه اليوم مُدَّةَ خمس مئة

---

(١) في مجموع: أي في كتاب ومُصَنَّفٍ.

عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا ، حُجَّتُهُ قَاهِرَةٌ ، ومعارَضَتُهُ ممتنعةٌ».

تَقْوِيْمُ هذا الكتابِ ونَقْدُهُ:

نص الأئمة الأعلام ، والمشايخ الحفاظ أن كتاب «الشفا» هو أشهر كتب القاضي عياض ـ رحمه الله ـ وأجلُّها قدراً ، وأعظمُها خَطَراً ، وأكثرُها فائدةً ، وأوسعها انتشاراً ، فهو مُصَنَّفٌ بلغ النهاية في بابه ، ولم يسبق إلى مثله ، بل لم يصنَّفْ مثلَه متقدم ولا متأخر.

فلا غَزوَ أنْ طارتْ شهرتُه في الآفاق ، وتلقته الأمة بالقبول ، وأثنى عليه العلماء المخلصون ، والدعاة الصالحون ، والمؤرخون المنصفون ، وانتفع به الخاصة والعامة ، فلا يكاد يخلو منه بيت ، أو مكتبة ، أو مسجد ، حتى إن الجند في المغرب العربي كانوا يقسمون ـ حين أدائهم الخدمة العسكرية ـ على البخاري والشفا .

وعوتب القاضي عياض على كثرة محبته لـ «الشفا» ، فردَّ عليهم بهذين البيتين:

فقالوا: أَراكَ تُحِبُّ الشِّفا ... وتخبرُ فيهِ عنِ المُصْطفى
فقلتُ: لأَنِّي عَلِيلُ الفُؤادِ ... وكُلُّ عَلِيلٍ يُحِبُّ الشِّفا(١)

وإليكم باقة جميلة من تقويم العلماء لهذا الكتاب وثنائهم عليه:

● قال العلامة المؤرخ أحمد بن محمد المَقَّري المتوفى سنة (١٠٤١هـ) في كتابه: «أزهار الرياض» وهو يتكلم عن مؤلفات القاضي عياض: «فمنها كتاب (الشفا) الذي بلغ فيه الغاية القُصْوى ، وكان فيه لضروب(٢) الإحسان مرتشف ، وحاز فيه قصب السبق، وطار صيته شرقاً وغرباً، وقد لهجت به العامة والخاصة: عُجْماً وعُرْباً ، ونال بـه مؤلِّفُـهُ ـ وَغَيْـرِهِ ـ من الرحمن قُـرْباً ، وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى ، ويرحم الله القائل:

---

(١) كتاب القاضي عياض عالم المغرب للدكتور الحسين بن محمد شوّاط ص: (٢١٨) .

(٢) لضُروب: لأنْواعٍ .

كُلُّهُمْ حاولوا الدواءَ ولكنْ ما أتى بالشفاءِ إلاَّ عياضُ

● وقال الحافظ ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة (١٠٨٩هـ) في كتابه «شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب» ٤/ ١٣٨ : «ومن مصنفاته : (الشفا) الذي لم يُسْبَقْ إلى مثله» .

● وقال العلامة حاجي خليفة المتوفى سنة (١٠٦٧هـ) في كتابه : «كشف الظنون» ٢/ ١٠٥٣ : «وهو كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة ، لم يؤلف مثله في الإسلام» .

● وقال العلامة الخفاجي المتوفى سنة (١٠٦٩هـ) في «نسيم الرياض» ١/ ٢ : «هذا ، وإن كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، كتاب قدره جليل ، وهو على جلالة مصنفه أَدَلُّ دليل. . . » .

● وقال العلامة علي بن أحمد الحُرَيْشي المتوفى سنة (١١٤٣هـ) في كتابه : «الفتح الفياض» : «كتاب لم تسمح قريحة بمثله ، ولا نسج فاضل على منواله» .

● وقال العلامة الفقيه الملا علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة (١٠١٤)هـ في شرحه للشفا ١/ ٢ : «لما رأيت كتاب الشفاء في شمائل صاحب الاصطفاء ، أَجْمَعَ ما صنف في بابه مجملاً من الاستيفاء. . . » .

● وقال العلامة المؤرخ إبراهيم بن علي بن فرحون المتوفى سنة (٧٩٩هـ) في كتابه «الديباج المُذَهَّب في معرفة أعيان المذهب» ٢/ ٤٦ : «أبدع فيه ـ أي في الشفا ـ كل الإبداع ، وسلَّم له أَكْفَاؤُهُ كفايته فيه ، ولم ينازعه أحد في الانفراد به ، ولا أنكروا مزية السبق إليه ، بل تَشَوَّفُوا للوقوف عليه ، وأنصفوا في الاستفادة منه ، وحمل الناس عنه ، وطارت نسخه شرقاً وغرباً» .

● وقال العلامة محمد عبد الحي الكتاني المغربي المتوفى سنة (١٣٨٢هـ) في كتابه : «فهرس الفهارس» ٢/ ٨٠٠ : «وجدتُ في طُرَّةٍ بخط قديم بهامش : «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المفاخر والمناقب» لابن صعد التلمساني : «قال بعض الشيوخ ، كانت الشَّمْس تطلع على الناس من المشرق ، وتغرب في

المغرب ، وجاءنا نحنُ أهل المشرق شمسٌ أُخرى من المغرب الأقصى ، وهي : كتاب الشفا لعياض» .

● وقال الإمام العلامة المحدث محمد بن جعفر الكتاني المتوفى بفاس سنة (١٣٤٥هـ) في كتابه : «الرسالة المستطرفة» : «هو كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة ، لم يؤلف مثله في الإسلام . . . .» .

● وقال العلامة سليمان النَّدْوي المتوفى سنة (١٣٧٣هـ) في كتابه : «الرسالة المحمدية» ص : (١٠٧) : «وأما ما تحلَّتْ به نفسه ﷺ من دماثة الخلق ، ورجاحة العقل ، وحصافة الرأي ، وكرم النفس ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ ، ورحابة الصدر ، فإن كتب الحديث ملأى بتفاصيله . وأحسن كتاب في ذلك كتاب (الشفا) للقاضي عياض الأندلسي . وقد قال لي يوماً وأنا في فرنسا مستشرق اسمه ماسنيون[1] : يكفي لتعرف أوربا محاسن رسول الله ـ ﷺ ـ ومحامده ، أن ينقل كتاب (الشفا) للقاضي عياض إلى إحدى اللغات الأوربية» .

● وقال العلامة محمد بن محمد مخلوف المتوفى سنة (١٣٦٠هـ) في «شجرة النور الزكية» ١/١٤١ : «أبدع فيه كل الإبداع ، وحمله الناس عنه ، وطارت نسخه شرقاً وغرباً» .

● وقال الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة في كتابه : «السيرة في ضوء القرآن والسنة» : «وهو كتاب لو كتب بالذهب ، أو وزن بالجوهر ، لكان قليلاً عليه . . فالزمه أيها القارىء! واشدد عليه يديك» .

● وقال بعض الأدباء في مدح (الشفا) :

عُوِّضْتَ جَنَّاتِ عَدْنٍ يا عياضُ   عن الشِّفَاءِ الَّذي أَلَّفْتَهُ عِوَضُ

---

(١) هو لويس ماسنيون ، مستشرق فرنسي ، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، ولد بباريس سنة (١٢٩٩) هـ ومات بها سنة (١٣٨٢) هـ ، كان من موظفي وزارة المستعمرات في شبابه ، ثم «مستشاراً» لها بقية حياته ، اتجه إلىٰ فكرة توحيد الديانات الكتابية الثلاث! انظر ترجمته في الأعلام ٥/٢٤٧ .

جَمَعْتَ فيه أحاديثاً مُصَحَّحَةً   فهو الشفاءُ لِمَنْ في قَلْبِه مَرَضُ[1]

● وقال آخر:

كتابُ الشِّفاءِ شِفاءُ القلوبِ   قد ائتلفَتْ شمسُ بُرهانِهِ
إذا طالعَ المؤمنُ مضمونَهُ   رَسَا في الهُدى أصْلُ إيمانِهِ
وجالَ بِرَوْضِ التُّقى ناشِقاً   روائحَ أزهارِ أفْنانِهِ

والآن، وبعد الأوصاف الرفيعة، والمحاسن البديعة، والنعوت اللطيفة، التي أطلقها العلماء على (الشفا)، قد يتساءل المرء: هل سَلِمَ هذا الكتاب من نقد؟ وهل خلا من اعتراض؟

في الواقع، قلَّما يخلو كتاب ـ مهما تَنَوَّقَ المصنف في تحبيره، وبالغ في تحريره وتحسينه ـ من مؤاخذة في جانب من جوانبه، إذ العصمة للأنبياء والرسل وحدهم. ولدى الدراسة والبحث تبين أن المآخذ على كتابنا تنحصر في ثلاثة أمور:

أولاً ـ الغلو والمبالغة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثانياً ـ أنه محشوٌّ بالأحاديث المفتعلة والواهية.

ثالثاً ـ فيه تأويلات بعيدة.

نجد المأخذ الأول لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩)، وقد استشنعه، ولم يَرْضَهُ، الحافظ الإمام العلامة عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) حيث قال: «ومن أشنع ما نقل عن ابن تيمية أيضاً قوله في حق شفاء القاضي عياض: «غلا هذا المغيربي»، وسبقه في رد هذا المأخذ شيخُ الإسلام بإفريقيَّةَ الإمام العلم أبو عبد الله بن عرفة التونسي، وأيَّده العلامةُ المَقَّري.

أما المأخذ الثاني فهو للحافظ العلامة أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، فقد قال في سير أعلام النبلاء ـ في ترجمة القاضي عياض (٢٠/ ٢١٦): «تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها (الشفا)، لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة،

---

(١) كشف الظنون (٢/ ١٠٥٥).

عمل إمامٍ لانقدَ له في فنِّ الحديث ولا ذوق ، والله يثيبه على حسن قصده ، وينفع بـ «شفائه» وقد فعل ، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان. . . . ».

ونحن نُـقِـرُّ أن في الشفا أحاديث ضعيفة [1] ، وأخرى قليلة موضوعة ، تبع فيها «شفاء الصدور» للخطيب أبي الربيع: سليمان بن سبع السبتي ، لكنا لا نوافقه أنه محشو بالأحاديث المفتعلة والواهية. ويكفي في رد ذلك ما قاله العلامة محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص: (٧٩): «ولم ينصف الذهبي في قوله: إنه محشو بالأحاديث الموضوعة ، والتأويلات الواهية ، الدَّالة على قِلَّةِ نقده ، مما لا يحتاج قَدْرُ النبوة له ، فإنه تحاملٌ منه ، لا ينبغي ، كما قال غير واحد. . . . » [2].

أما المأخذ الثالث فهو للذهبي كما أسلفتُ ، ويكفي في رده أن القاضي عياضاً يذكر التأويلات البعيدة بعد ذكر الأقوال الراجحة في المسألة الواحدة ، ولا ضَيْرَ عليه في ذلك ، فمن الأمانة العلمية أن يذكر المحققُ الأقوالَ جميعَها في المسألة ، ثم يختار منها الصحيح المقبول ، ويدع المُعَلّ المرْدودَ.

عِنَـايـةُ الـعُـلَمَـاءِ بـ (الـشِّـفَـا):

الشفا كتاب محبوب ، وذو مكانة عالية في نفوس المسلمين والعلماء وطلاب العلم ، لتعلقه بذات المصطفى ﷺ ، وقدره العظيم.

وقد أقبل عليه العلماء ، واعتنوا به: شرحاً ، واختصاراً ، وتخريجاً ، وترجمةً إلى بعض اللغات العالمية.

وشروح الشفا كثيرة وعديدة ، ربما زاحمت في كثرتها شروح البخاري ومسلم. وقد استطعت ـ على قصر باعي وقلة اطلاعي ـ أن أجمع عدداً لا بأس

---

(١) الأحاديث الضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب بشروط معروفة في كتب المصطلح ، وَأَخْطَأَ مَنْ حَشَرها مع الأحاديث الموضوعة. انظر كتاب: «أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء رضي الله عنهم» ص (١٧) للأستاذ المحقق محمد عوامة. وشرح المنظومة البيقونية ص (٦١ ـ ٦٢) للعلامة عبد الله سراج الدين.

(٢) منهم الخفاجي في نسيم الرياض (١/ ٤).

به من شروحه واختصاراته وتخريجاته. حيث أذكر اسم الشارح أو المختصر مع تعريف بسيط به وبعمله الذي خدم به الشفا.

أولاً ـ شروح الشفا منسوقـةً علىٰ حروف المعجم:

١ ـ الاصطفا لبيان معاني الشفا. للعلامة شمس الدين: محمد بن محمد الدَّلَجي المتوفى بالقاهرة سنة (٩٤٧هـ = ١٥٤٠م). ذكره الزركلي في الأعلام (٧/ ٥٧)، وغيرُهُ.

٢ ـ الاكتفا في شرح ألفاظ الشفا. للإمام تاج الدين: عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني المتوفى بالقاهرة سنة (٧٤٣هـ = ١٣٤٣م). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٥٥)، والزركلي في الأعلام وغيره، وهو مخطوط في دار الكتب. وللمصنف أيضاً «تلخيص الاكتفا في شرح ألفاظ الشفا» ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٠٥٤.

٣ ـ الانتهاض في ختم الشفا للقاضي عياض. للحافظ شمس الدين: محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي المتوفى بالمدينة المنورة سنة (٩٠٢هـ = ١٤٩٧م). ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٩٩٠)، وسمَّاه البغدادي في إيضاح المكنون ١/ ١٣١: «الانتهاض في شرح الشفا للقاضي عياض» وللسخاوي أيضاً: «تقفيص ما اشتمل عليه الشفا من الرجال» ذكره الكتاني في فهرس الفهارس ٢/ ٩٩٠.

٤ ـ إيضاح اللَّبْس والخفاء عن ألفاظِ الشفاء. للحافظ عبد الله بن أحمد الزَّمُّوري المغربي المتوفىٰ بعد سنة (٨٨٨هـ = ١٤٨٣م)، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٣)، والزركلي في الأعلام (٤/ ٦٨) وقال: منه نسخة خطية في خزانة «أدوز» بالسوس.

٥ ـ خلاصة الوفا في شرح الشفا. للقاضي إبراهيم حنيف بن مصطفى الرومي المتوفى سنة (١١٩٩هـ = ١٧٨٥م). ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١/ ٤٣٨ وقال: «مطبوع في أربع مجلدات» وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٢) وقال: «بالتركية».

٦ ـ زبدة الحقائق وعمدة الدقائق. للعالِم المفسر مصطفى بن إسماعيل الفِيْلُورْنَـوِي المتوفى بِفِيْـلُورْنَـةَ بجوار «مناستر» سنة (١٢٤٤هـ = ١٨٢٨م) ذكره الزركلي وكحالة وبروكلمان. وذكره البغدادي في هدية العارفين ٢/ ٤٥٦ باسم شرح الشفا. قال الزركلي: «أربعة مجلدات رأيت الأول منها في الفاتيكان (١٣٠٩) عربي، وهو ضخم جداً ومنه نسخة كاملة في فِيْلُورْنَةَ».

٧ ـ زبدة المقتفى في تحرير ألفاظ الشفا. للمحدث المقرىء محمد بن خليل القباقبي الحلبي المتوفى ببيت المقدس سنة (٨٤٩هـ = ١٤٤٥م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤) وكحالة في معجم المؤلفين (٩/ ٢٨٨).

٨ ـ شرحٌ لكمال الدين: محمد بن أبي شريف القدسي المتوفى سنة (٦٥١)هـ. ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤).

٩ ـ شرحٌ للعلامة الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الأكبر المتوفى بالقاهرة سنة (٧٨١هـ = ١٣٨٠م) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٥٢١)، وغيره. قال الزركلي في الأعلام ٥/ ٣٢٨: «لم يكمله».

١٠ ـ شرحٌ لشهاب الدين: أحمد بن الحسين بن أرسلان الرملي المتوفى سنة (٨٤٤هـ = ١٤٤٠م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤)، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧١)، ومنه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٣٤٥)، وطبع هذا الكتاب بمصر سنة (١٢٧٦)هـ مطبعة حجرية وبهامشه المدد الفيَّاض.

١١ ـ شرحٌ لشمس الدين الحجازي. يرجع إلى حدود سنة (٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٦٩. وله مخطوطة في برلين برقم (٢٥٦٤).

١٢ ـ شرحُ ألفاظ الشفا. للعلامة الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة الكناني المتوفى بالقدس سنة (٨٦١هـ = ١٤٥٧م). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ١٠٥٤) والزركلي في الأعلام (١/ ٣٠٨).

١٣ ـ شرحٌ للمؤرخ أبي ذر: أحمد بن إبراهيم. يقال له: سبط ابن العجمي، المتوفى بحلب سنة (٨٨٤هـ = ١٤٨٠م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٠٥٤، وكحالة في معجم المؤلفين (١/ ١٤٢)، وهذا الشرح لم يتم كما في كشف الظنون.

١٤ ـ شرحٌ لقطب الدين: عيسى بن محمد الإيجي الصفوي المتوفى سنة (٩٥٣هـ = ١٥٤٦م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤)، وكحالة (٨/ ٣٢)، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٢).

١٥ ـ شرحٌ للعالم الفقيه مُلاَّ علي بن سلطان محمد القاري الهروي المتوفى بمكة سنة (١٠١٤هـ = ١٦٠٦م)، وهو مطبوع في تركيا سنة ١٣٠٩هـ. ومطبوع أيضاً على هامش نسيم الرياض بالمطبعة الأزهرية المصرية سنة (١٣٢٦هـ)، وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة الأسد بدمشق برقم (٩٢٧).

١٦ ـ شرحٌ للحافظ محمد عبد الرؤوف المُنَاوي صاحب «فيض القدير» المتوفى بالقاهرة سنة (١٠٣١هـ = ١٦٢٢م) وهذا الشرح لم يتم. ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٥٦٢)، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٠) وقال: باريس أول (١٩٥٧).

١٧ ـ شرحٌ لزين الدين بن أحمد الحلبي الإشعافي المتوفى سنة (١٠٤٢هـ = ١٦٣٢م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤)، والزركلي في الأعلام (٣/ ٦٤)، وغير واحد.

١٨ ـ شرحٌ للفقيه يوسف بن أبي الفتح الدمشقي المتوفى بالأستانة (استامبول) سنة (١٠٥٦هـ = ١٦٤٦م) ذكره الزركلي في الأعلام (٨/ ٢٤٥)، وغيره.

١٩ ـ شرحٌ للحاج نجيب العينتابي المدرس بالمدينة المنورة، المتوفى سنة (١٢١٩هـ = ١٨٠٤م) شاركه في تأليفه محمد بن مصطفى القونوي. ذكره كحالة في معجم المؤلفين (١٣/ ٨٠).

٢٠ ـ شرحٌ للشيخ أبي عمران: موسى بن محمد الراحل المتوفى سنة (١١٤٠هـ)، توجد مخطوطة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت الرقم

(٢١٤١/ د) ، ذكره الدكتور البشير علي حَمد الترابي في كتابه: «القاضي عياض وجهوده في عِلْمَي الحديث رواية ودراية» ص: (٣٢٢).

٢١ ـ شرحٌ للعلامة المحدث محمد بن أحمد الجزولي الحُضَيْكي المتوفى سنة (١١٨٩هـ = ١٧٧٥م) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٣٥٢)، والزركي في الأعلام (٦/ ١٥).

٢٢ ـ شرحٌ للنعماني. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٢).

٢٣ ـ شرحٌ لمصطفى بن محمد الرَّحْمَتي الدمشقي المتوفى سنة (١٢٠٥هـ = ١٧٩١م) قال الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٤٢٤): «اختصر شفاء القاضي عياض اختصاراً جليلاً، وشرحه بشرح لم تكتحل عينُ الزمان بمثله، تحريراً وتحبيراً.

٢٤ ـ شرحٌ لعلامة بلاد الشام، المحدث الأكبر، الشيخ بدر الدين: محمد بن يوسف الحسني المراكشي المتوفى بدمشق سنة (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) ذكره الزركلي في الأعلام (٧/ ١٥٨).

٢٥ ـ الصفا بتحرير الشفا[١]. لقطب الدين: محمد بن الخيضري الدمشقي الشافعي المتوفىٰ بالقاهرة سنة (٨٩٤ هـ = ١٤٨٩ م). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٥).

٢٦ ـ غاية الوفا في ختم الشفا للمؤرخ المحدث الفقيه شمس الدين: محمد بن علي المعروف بابن طولون الدمشقي الصالحي المتوفى سنة (٩٥٣هـ = ١٥٤٦م). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١١٩٤)، وعنون له البغدادي في هدية العارفين ٢/ ٢٤١: «غاية العرفا في ختم الشفا».

٢٧ ـ الغُنية للحافظ الفقيه المحدث أبي عبد الله: محمد بن الحسن بن مخلوف الراشدي التلمساني المعروف بأَبركان (ومعناها بالبربرية: الأسود) المتوفى سنة (٨٦٨هـ = ١٤٦٤م).

---

(١) نسبه البغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) للقاضي عياض، وهو للخيضري كما ترىٰ.

وهذا الحافظ وضع على الشفا ثلاثة شروح ، قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٣): «الأول: كبيرةُ «الغُنْية» في مجلدين ، والثاني: غنية الوسطى ، وآخر أصغر منه جِزماً»[1] وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧١) من شروح الشفا كتاب: «غريب الشفا» ونسبه لمحمد بن الحسن ابن مخلوف قلت: ولعله اسم للشرح الثالث. والله أعلم.

٢٨ ـ فتح الصفا بشرح معاني ألفاظ الشفا للشيخ الإمام علي بن محمد بن أَقْبَرْس المتوفى بالقاهر سنة (٨٦٢هـ = ١٤٥٨م) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون ١٦٦/٢ ، والزركلي في الأعلام (٥/ ٩) وقال: «ثلاثة أجزاء ، لم يقتصر فيه على كشف معاني الألفاظ اللغوية ، بل تجاوزها إلى مباحث في الكلام والتفسير والأصول. قال السَّخاوي: فيه فوائد».

٢٩ ـ فتح الغفار بما أكرم الله به نبيَّهُ المختار ، للشيخ المحدث الفقيه عمر بن عبد الوهاب الشافعي الحلبي المتوفى بحلب سنة (١٠٢٤هـ = ١٦١٥م) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ١٦٨) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤) ، والزركلي في الأعلام (٥/ ٥٤) ، والكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٧٩٢) وقال: «من أعظم مؤلفاته ، اشتغل به نحو اثنتي عشرة سنة».

٣٠ ـ الفتح الفياض في شرح شفاء القاضي عياض للفقيه أبي الحسن: علي بن أحمد الحُرَيْشي الفاسي المتوفى بالمدينة سنة (١١٤٣هـ = ١٧٣٠م) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس ٣٤٣/١ ، ٧٩٩/٢ ، والزركلي في الأعلام ٢٥٩/٤ ، منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط برقم (١٧٠١/ د) كما قال الدكتور الترابي في كتاب «القاضي عياض» ص: (٣٢٤).

٣١ ـ لقط ندا الرياض للعلامة المحدث محمد بن عبد السلام البَنَّاني الفاسي المتوفى سنة (١١٦٣هـ = ١٧٥٠م) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس

---

(١) جِزماً: حَجْمًا.

١/ ٢٢٤ ، والزركلي في الأعلام ٦/ ٢٠٦ وقال: «مجلدان في خزانة الرباط (٥٠٤ جلاوي) ، وذكره البغدادي في هدية العارفين ٢/ ٣٢٧ ، وفي إيضاح المكنون (٢/ ٥٢ ، ٤٠٧) ، وكحّالة ١٠/ ١٦٨ بعنوان: «لفظ ـ هكذا ـ نداء الحياض في شرح الشفاء للقاضي عياض.

٣٢ ـ المدد الفيَّاض على متن الشفا للقاضي عياض ، للشيخ الفقيه حسن العدوي الحمزاوي المتوفى بالقاهرة سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٦م) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٤٥٥). وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٧١ باسم: «المدد الفياض بنور الشفا للقاضي عياض». وهذا الكتاب طبع بالقاهرة طبع حجر في مجلدين سنة (١٢٧٦)هـ. منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر برقم (٥٥٦) خصوصية.

٣٣ ـ مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا للمحدث المفسر النحوي أبي العباس ، تقي الدين: أحمد بن محمد الشُمُنِّي المتوفى بالقاهرة سنة (٨٧٢هـ = ١٤٦٨م). وقد طبع في استامبول ، والقاهرة ، ودار الكتب العلمية ، ودار الفكر ببيروت، ومنه نسخ خطية بدار الكتب برقم (٣٧٥ ، ٤٢٨ ، ٧٣٦ ، ١٤٥٠).

٣٤ ـ مفتاح الشفا للعلامة أبي زيد: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المُتوفَّى سنة (١٠٩٦) هـ. ذكره الزركلي في الأعلام (٣/ ٣١٠) وقال: «ذَيَّلَ به كتاب الشفا في مجلدين». وقال الكتاني في فهرس الفهارس ٢/ ٧٣٥: «جارى به شفاء عياض في نحو مجلدين. . .».

٣٥ ـ المقتفى في ضبط ألفاظ الشفا للحافظ الفقيه برهان الدين: إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى بحلب سنة (٨٤١هـ = ١٤٣٨م). ذكره الكتاني في فهرس الفهارس ١/ ٢٢٢ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٤) ، والزركلي في الأعلام (١/ ٦٥). منه نسخة خطية بدار الكتب برقم (٢٦٩) ، وذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٢) شرحاً للشفا لمجهول بعنوان «المقتفى». موجود في داماد زاده (٤٥٣ ، ٤٥٧).

٣٦ ـ منهج الوفا بشرح الشفا للفقيه أحمد بن خليل السُّبكي المتوفى بمصر سنة (١٠٣٢ هـ = ١٦٢٣م). ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧١). وذكره البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٥٥) بعنوان: «منهج الخفا في شرح الشفا». منه مخطوطة في جوتا (٧٢٠)، وأخرى في داماد زاده برقم (٦١٧).

٣٧ ـ المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا. لأبي عبد الله: محمد بن علي بن أبي الشريف الحسني التلمساني المتوفى سنة (٩٢١ هـ). ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٣، ١٨٨٤)، وكحالة في معجم المؤلفين (١١/ ١٥)، وبروكلمان (٦/ ٢٧٠). قال حاجي خليفة: «وهو من أجود شروح الشفا» منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر برقم (٤٩٩) خاص.

٣٨ ـ موارد الصفا وموائد الشفا للعالم المؤرخ رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي، المعروف بابن الحنبلي المتوفى سنة (٩٧١هـ = ١٥٦٣م) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٠٥٤، والبغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٥٩٨)، وفي هدية العارفين (٢/ ٢٤٨).

٣٩ ـ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض لشهاب الدين: أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المتوفى بمصر سنة (١٠٦٩هـ = ١٦٥٩م) وهو مطبوع في أربعة مجلدات في استامبول، والقاهرة سنة (١٣٢٧هـ)، ولأجزائه نسخ خطية في مكتبة الأسد بدمشق من رقم (٩١٥) ولغاية الرقم (٩٢٦). قال بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٧١: «ومنه مختصر لمجهول في الظاهرية ثاني (٦٩).

٤٠ ـ الوفا في شرح الشفا للأديب أبي عبد الله: محمد بن أحمد التجاني المتوفى بعد سنة (٧١١هـ = ١٣١١م). ذكره البغدادي في هدية العارفين (٢/ ١٤٢)، والزركلي في الأعلام (٥/ ٣٢٤).

ثانيـــاً ـ مختصـرات الشـفـا :

١ ـ اختصره الإمام شمس الدين: محمد بن أحمد بن علي بن عمر الإسْنوي الشافعي المتوفى بمكة سنة (٧٦٣هـ = ١٣٦٢م) ذكره ابن العماد في شذرات الذهب (٦/ ١٩٨) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٣ ، ١٠٥٤) وكحالة في معجم المؤلفين (٨/ ٢٩٧).

٢ ـ واختصره النحوي الفقيه محمد بن الحسن بن محمد المالقي بكتاب سماه: «لباب الشفا» ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٣).

٣ ـ واختصره ابن الأخيضر بكتاب سماه «الوفا» . قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠٥٥): هو جلال الدين: أحمد بن محمد الخُجَنْدِي الحنفي المتوفى سنة. . . » قلت: الخجندي متوفى بالمدينة المنورة سنة (٨٠٢)هـ مترجم في الأعلام (١/ ٢٢٥) ، وكحالة (٢/ ١٥٣).

٤ ـ واختصره مؤلف مجهول يرجع إلى حدود سنة (٩٠٠هـ = ١٤٩٤م) منه نسخة خطية في برلين (٢٥٦٦) ، ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٦٩).

٥ ـ واختصره محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة (٩٥٣هـ = ١٥٤٦م) ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٦٩). قلت: وشرحه أيضاً ابن طولون بكتاب سماه: «غاية الوفا في ختم الشفا» وقد تقدم.

٦ ـ واختصره الشيخ الفقيه عبد الله بن علي سويدان المتوفى سنة (١٢٣٤هـ = ١٨١٩م) بكتاب سماه «حسن الوفا بالتنبيه على بعض حقوق المصطفى» منه نسخة خطية بمكتبة الأزهر الشريف ، كما ذكره الدكتور البشير علي حمد التُّرابي في كتاب «القاضي عياض» ص (٣٢٦).

٧ ـ واختصره الشيخ القاضي الفقيه محمد مكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز التونسي المتوفى سنة (١٣٣٤هـ = ١٩١٦م) وهذا المختصر لم يتم ، ذكره الشيخ الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٨٦٠).

٨ ـ واختصره أيضاً الشيخ الفقيه مصطفى بن محمد الرَّحْمَتِي الدمشقي المتوفى بين مكة والطائف (١٢٠٥هـ = ١٧٩١)م . قال الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٤٢٤): «اختصر شفاء القاضي عياض اختصاراً جليلاً» قلت: في معجم المؤلفين ١٢/ ٢٧٧ ، والأعلام ٧/ ٢٤١ أنه اختصر شرح الشهاب الخفاجي على الشفا اختصاراً حسناً.

٩ ـ واختصره أيضاً مجهول. منه نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٩١٣).

ثالثاً ـ الكتب المؤلفة في تخريج أحاديث الشفا:

١ ـ تخريج أحاديث الشفا للإمام الشيخ قاسم بن قُطْلُوبُغا المتوفى بالقاهرة سنة (٨٧٩هـ = ١٤٧٤)م. ذكره الكتاني في فهرس الفهارس ٢/ ٩٧٢ ، والشهاب الخفاجي في نسيم الرياض ٢/ ١٥ .

٢ ـ تخريج أحاديث الشفا لعبد العزيز الزَّبيدي. ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٣).

٣ ـ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي. مطبوع طبعات كثيرة.

٤ ـ تكميل مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للشيخ المحدث إدريس بن محمد العراقي الفاسي المتوفى سنة (١١٨٣هـ = ١٧٦٩م). ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٨١٨). قال الزركلي في الأعلام (١/ ٢٨١): «بخطه في الكتانية».

رابعاً ـ الكتب المؤلفة في المنتقى من أحاديث الشفا:

١ ـ أربعون حديثاً منتقاة من كتاب شفا ، انتقاها المحدث محمد بن طغريل بن عبد الله المتوفى بحماة سنة (٧٣٧ هـ = ١٣٣٦م). ذكره الزركلي في الأعلام (٦/ ١٧٥).

٢ ـ جزء في الأحاديث المسندة في الشفا. قال العلامة عبد الحي الكتاني في فهرس

الفهارس (٢/ ٥٧٥): «والأحاديث المسندة في الشفا جميعُها ستون حديثاً[١] أفردها بعضهم بجزء». وقال نحوه الإمام محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص (٧٩).

خامســاً: ترجمتـه إلىٰ اللغـات العالميــة:

١ ـ للشفا ترجمة فارسية، كما في كتاب الثقافة الإسلامية في الهند ص(١٤٦) للعلامة عبد الحي الحسني والد العلامة الداعية أبي الحسن النَّدْوي.

٢ ـ وله شرح بالتركية قام به القاضي إبراهيم بن حنيف الرومي المتوفىٰ سنة (١١٩٩ هـ = ١٧٨٥م). ذكره كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٦/ ٢٧٢).

طبعــاتــه ومخطوطــاتــــه:

الشفـا كتاب واسع الانتشـار، ذائـع الصيت، يعرفه كثير من العامة فضلاً عن الخاصة، ويدرس في أكثر من معهد علمي، لذلك طبع في عدد لا بأس به من بلـدان العالم الإسلامـي: في مصر وسوريـة، ولبنـان والمغرب، وتركيا والهند.

وأفضل طبعاته ـ التي وقفت عليها ـ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت، بتحقيق الأستاذ الفاضل علي محمد البجاوي، وهي ـ علىٰ جودتها ـ بحاجة إلىٰ إعادة نظر، لاستدراك نَقصٍ، وإصلاح خطأ، وتقويم تحريف، وقد نبهت علىٰ شيء من ذلك في حاشية التحقيق، دون استيعاب، أو استقصاء.

وللشفا مخطوطات كثيرة جداً، تعد بالمئات، موزعة في مكتبات العالم، وللتدليل علىٰ كثرتها أكتفي بذكر عددها في مصر وسورية والمغرب.

١ ـ أحصيت له بنفسي في مكتبة الأسد بدمشق (٤٧) مخطوطة.

---

(١) بل هي اثنان وثمانون حديثاً، ولعل الكتاني نقل العدد عن بعض الكتب، دون أن يعدها بنفسه.

٢ ـ وفي مصر توجد منه (٤٩) مخطوطة في مكتبة الأزهر ، و(٤٢) مخطوطة في دار الكتب[١] .

٣ ـ وفي المغرب توجد منه أكثر من (١٠٠) مخطوطة في الخزانة الملكية بالرباط ، ومثلها بالخزامة العامة بالرباط أيضاً[٢] .

ولما اتجهت النية إلىٰ خدمة هذا الكتاب الطيب ، وإخراجه محققاً ، بثوب علمي قشيب ، توفر لي منه صورة ضوئية ، لنسخة خطية ، فائقة الجودة ، قدمها لي أخي الأستاذ المحقق عدنان مولود مغربي ، جزاه الله عني كل خير .

هذه المخطوطة رقمها (١٢٠) عندما كانت في المكتبة الظاهرية ، وأعطيت الرقم (٩١١) لما انتقلت إلىٰ مكتبة الأسد بدمشق .

تتألف هذه النسخة من (٢٢٣) ورقة ، في كل ورقة صفحتان مقاس : ٢٩×٢٠ سم ، ٥ سم حاشية .

تم الفراغ من كتابتها آخر النهار ، يوم الاثنين (١٢) رجب سنة (٧٤٤) هـ ، في المدرسة القَايْمَازِيَّةِ[٣] بدمشق علىٰ يد محمد بن أحمد بن عبد الملك بن رمضان بن محمود الحاج الحنفي الرومي المليفدوني .

وهي نسخة نفيسة ، عالية الجودة والضبط ، كتبت بخط نَسْخيّ ، نفيس ، مضبوط بالشكل ، بعض الألفاظ بالحمرة .

وَلِـقُوَّةِ ضبطِها فإن الحرف الذي له حركتان في الكلمة ، يجري ضبطه بهما ، ثم يكتب فوقه بحرف أصغر كلمة : «معاً» ، للدلالة علىٰ قراءته بالوجهين .

يتجلّىٰ ذلك في مواضع كثيرة من المخطوطة . منها : الورقة (٢٧/ ب) حيث

---

(١) مقدمة تحقيق الشفا للأستاذ علي محمد البجاوي .

(٢) قاله الدكتور البشير علي حمد الترابي في كتابه : «القاضي عياض وجهوده في عِلْمَيْ الحديث رواية ودراية» ص : (٣٠١) .

(٣) سيأتي التعريف بها ص : (٨٨٣) .

وردت فيها كلمة: «خِبْتُّ» ، وكلمة: «وَخَسِرْتُّ» ، وفي كل منهما ضبطت التاء بالفتح والضم ، وفوقها كلمة: «معاً».

وكذلك في الورقة (٢٩/ أ) حيث وردت كلمة: «الفِرَبْري»[1] ، وضبطت الفاءُ بالكسر والفتح ، وفوقها كتب الناسخ كلمةَ: «معاً».

وفي كثير من الأحيان يضبط الناسخ الحرف المهمل (الخالي من النقط) بكتابة الحرف نفسه تحته ، لكن بخط أصغر ، علامةً على إهماله ، مثال ذلك:

في الورقة الثانية من المخطوطة: ضبط الناسخ قول المؤلف: «الأَعَزِّ الأَحْمَىٰ» بوضع حرف: «ع» تحت حرف العين من كلمة: «الأَعَزِّ» ، وحرف: «ح» تحت حرف الحاء من كلمة «الأَحْمىٰ» ، وكذلك فعل في الورقة (٤/ أ) في كلمة: «وتَخْصِيْصِهِ» ، حيث وضع حرف: «صـ» تحت حرف الصاد في الكلمة ، إشارةً إلى أن الكلمة تقرأ بالصاد المهملة لا بالضاد المعجمة.

وهي نسخة مقابلة ومعارضة بالأصل الذي نقلت منه ، يتبيَّن ذلك من خلال الاستدراكات التي كتبها الناسخ ـ عند المعارضة ـ على الهامش ، ثم كتب بعدها: «صح أصل» نجد ذلك في عدد من المواضع منها: الورقة (١٧/ ب) ، (١٨/ أ) ، (٢٣/ ب) ، (٤٩/ ب) ، وغير ذلك.

ولم يكتف الناسخ بمقابلتها علىٰ الأصل الذي نقل منه ، بل عارضها بأصول موجودة لديه ، ويشير إلىٰ فروقات النسخ في الهامش ، فقد جاء علىٰ هامش الورقة (٥٧/ ب): «أسْبُ حبيب الرحمن ، هكذا وقع في طُرَّةِ الأُمِّ المُبيَّضَةِ بخط المصنف ، مبهمةً ، ونقلت كذلك ، وأظنها سُرْيانية ، حاشية من نسخة الإمام منصور رحمه [الله]».

وجاء علىٰ هامش الورقة (٣/ أ) ما نصه: «كذا ذكر اثني عشر فصلاً ،

---

(١) هو المحدث الثقة العالم ، أبو عبد الله: محمد بن يوسف الفِرَبْري ، راوي «الجامع الصحيح» عن البخاري. ولد سنة (٢٣١) ، ومات سنة (٣٢٠) هـ ، وَفِـرَبْـر: بكسر الفاء وفتحها ، من قرىٰ بخارىٰ في جمهورية أوزبكستان.

والمعدود خمسة عشر فصلاً ، والمسموع علىٰ ابن جماعة عشرة فصول ، وفي أصل ابن الأنْبَاري اثني عشر فصلاً».

ونراه أحياناً يثبت الفرق بين نسختنا ونسخة أخرىٰ رمز لها بالحرف (ع) فنجده مثلاً في هوامش الورقات: (٣/ أ) ، (٣/ ب) ، (٤/ أ) ، (٤/ ب) ، (٧/ أ) ، (٧/ ب) ، (١٥/ ب) ، (٢٢/ ب) ، (٢٣/ أ) ، (٤١/ ب) ، يكتب على الهامش الفرقَ بين نسختنا والنسخة (ع) ، ثم يكتب فوق ذلك (خ ع) أي : في النسخة التي رَمْزُها «ع» ، وأحياناً يثبت الفرق في الهامش ويكتب فوقه حرف (خ) ، أي هذا موجود في نسخة أخرىٰ ، وقعنا علىٰ ذلك في مواضع عدة منها: الورقة (٦/ ب) ، (٢٥/ أ) ، (٤٤/ ب) ، (١٤٩/ أ).

وهذه النسخة مقروءة علىٰ عدد من العلماء ، نستدل علىٰ ذلك ببعض العبارات الموحية بذلك ، ففي هوامش الورقات (١٣/ ب) ، (٢٨/ ب) ، (٣٣/ ب) ، (٣٩/ ب) ، (٤٦/ ب) ، (١٢٨/ أ) نجد مثلاً العبارتين التاليتين: بلغ قراءة. . ، وكلمة: «بلغ. . . .».

بالإضافة إلىٰ أن حواشيها مطرزة ببعض النقول أو الشروح من كتب مختلفة ، وبعد الاستقصاء وجدت مصادر الشروح والنقول الكتبَ التالية:

١ ـ سيرة ابن هشام ، كما في الورقة (٢٦/ أ) ، (٤٥/ ب).

٢ ـ الصحاح للجوهري ، كما في الورقة (٤/ أ).

٣ ـ الإكمال للأمير ابن ماكولا ، كما في الورقة (٣٣/ ب).

٤ ـ نسيم الرياض للخفاجي ، كما في الورقة (٢٥/ أ) ، (٤٠/ أ).

٥ ـ مزيل الخفا للشُّمُنِّي ، كما في الورقة(٤٣/ ب).

٦ ـ الاصطفا للدَّلجي كما في الأوراق (٥٨/ أ) ، (٦٠/ ب) ، (٦٥/ أ) ، (٦٩/ ب) ، (٧٣/ ب) ، (٣٤/ ب) ، (٨٤/ أ).

٧ ـ الوفا في شرح الشفا للأديب محمد بن أحمد التجاني ، كما في الورقة (١٧/ ب).

٨ ـ سيرة الكازروني ، فقد جاء في المتن (٦٤/ ب) قولُ المَلَكِ للنبي ﷺ:

«أَنْـتَ قُـثَـمٌ» ، وفي الهامش ما نصه: «من القثم: الإعطاء ، كذا قال الكازروني في سيرته ، ومنه نقلتُ. قاله كاتبُه: محمد بن سعيد بن أحمد».

ومن خلال المقارنة مع طبعة الأستاذ البجاوي تبين لي أن نسختنا تفوق بدقتها وضبطها وجودتها النسختين اللَّتَيْنِ اعتمد عليهما في تحقيقه للشفا ، ولا يظهر هذا إلا بضرب بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهبت إليه:

١ ـ جاء في طبعة الأستاذ البجاوي (١/ ٢٧٣): «حدثنا أبو يعلىٰ السِّنجي».

وهذا كلام فيه سقط ، صوابه ـ كما جاء في الحديث (٤٩٩) من نسختنا: «حدثنا أبو يعلىٰ ، حدثنا السِّنجي».

٢ ـ وجاء في طبعته (١/ ٤٣٠): «حدثنا المُهَلَّبُ ، حدثنا أبو القاسم» ، بينما ورد ذلك في نسختنا بالحديث رقم (٧٧٣): «حدثنا المهلب: أبو القاسم» ، والصواب ما جاء عندنا: أبو القاسم هي كنية المُهَلَّبِ.

٣ ـ وجاء في طبعته (١/ ٤٧٦) في صفة عليٍّ رضي الله عنه: «وأنه قسيم النار ، يدخل أولياؤه النار» ، بينما الصواب ما في نسختنا ـ الحديث ٩٧٥ ـ: «وأنه قسيم النار ، يدخل أولياؤه الجنة ، وأعداؤه النار».

٤ ـ وجاء في طبعته (١/ ٤٤٠) في قصة الجمل: «وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لهم: إنه شكا كثرة العمل ، وقلة العلف من صغره ، فقالوا: نعم» ، بينما جاء هذا السياق في نسختنا برقم (٨٠٧) كما يلي: «وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لهم: إنه شكا كثرة العملِ ، وقلة العلف» ، وفي رواية: «أنه شكا إليَّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاقِّ العمل من صغره» ، فقالوا: نعم.

٥ ـ وجاء في طبعته (٢/ ٨٧٤): «عن زينب بنت أم سلمة ، قالت: قال رسول الله ﷺ. . .». وجاء في نسختنا برقم (١٦٦٩): «عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ. . .» وهو الصواب بإثبات: «عن أم سلمة».

٦ ـ وجاء في طبعته (٢/ ٨٨٦): «وفي حديث محمد بن سلام ، عن عيينة».

والصواب: «عن ابن عُـيَـيْـنَـةَ» كما في نسختنا رقم (١٦٨٨).

وينبغي ألاّ يخطرنَّ ببالِ أحدٍ أن هذه الأخطاءَ وأمثالها تقلل من جهد الأستاذ البجاوي، فقد بذل وسعه، وأفرغ طاقته في خدمة هذا الكتاب النفيس، والكمال لله وحده، والعصمة لمن عصم من الأنبياء، والمرسلين. ولا يخفىٰ على القارىء الكريم أني استفدت من كتابه وتحقيقاته في مواضع عدة، وبخاصة في استدراك النقص البسيط الذي اعترىٰ نسختنا.

عملـي فـي الكتـاب:

تحقيق المخطوط ـ عند المعتنين بهذا الفن ـ يعني إثبات النصِّ كما وضعه المؤلف، أو أقرب ما يكون إلىٰ مراده، وفي سبيل تحقيق هذا الكتاب سلكت الخطوات التالية:

أولاً: أعفيت نفسي من عناء النسخ، واكتفيت بمقابلة المطبوع ـ بتحقيق الأستاذ البجاوي ـ على مخطوطتنا التي اتخذتها أمّاً في العمل، وأثبت الفروق الهامة بين المخطوط والمطبوع في الهامش، وكل زيادة في المطبوع علىٰ الأم وضعتها بين معكوفتين هكذا: [ ] دون أن أنبه في الحاشية إلىٰ مصدر هذه الزيادة، فليعلم مِنْ هنا.

ثانياً: أثبتُّ الآيات القرآنية من المطبوع، لأنها وردت في نسختنا مختزلة، وخرجتها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وفصلت النص، ورقمته، وزدت بعض العناوين التوضيحية وجعلتها بين معكوفتين، مع التنبيه عليها في الحاشية.

ثالثاً: خرجت أحاديث الكتاب وفق المأخذ التالي:

١ ـ ما كان في الصحيحين فإني أكتفي بالعزو إليهما، أو إلى أحدهما إذا انفرد به.

٢ ـ ما كان خارج الصحيحين فإني أخرجه في السنن الأربعة (أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه) وأنقل أقوال جهابذة الفن في حكمهم عليه.

٣ ـ إذا كان الحديث خارج الكتب الستة فإني أخرجه في مظانه.

رابعاً: أعطيتُ لكل حديث وأثر رقماً مسلسلاً.

خامساً: اعتنيت بشرح بعض الألفاظ التي يحتاجها القارىء في أيامنا، واستعنت علىٰ ذلك بعدد من المصادر أهمها: فتح الباري لابن حجر العسقلاني، شرح صحيح مسلم للنووي، جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث والأثر كلاهما لابن الأثير الجزري، نسيم الرياض للخفاجي، شرح ملا علي القاري للشفا، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لأستاذنا البحاثة محمد شرَّاب، وغير ذلك.

سادساً: عرَّفت بعددٍ لا بأس به من الأعلام، وبخاصة غير المشهورين لدىٰ المبتدئين من طلاب العلم. وتمَّ التعريفُ عند ورود العَلَمِ لأَوَّلِ مرة، ولمعرفة ذلك يراجع فهرس الأعلام في آخر الكتاب.

سابعـاً: عرفت بالجماعات، والفرق، والطوائف، وأصحاب المقالات، والأماكن، والمعالم وما إلىٰ ذلك، وصنعتُ لذلك فهارس تفصيلية. تيسر للباحث وضع يده على مكان التعريف.

ثـامنـاً: تبين لي من خلال عملي في تحقيق الكتاب وجود عدد من الأخطاء في المخطوطة وفي المطبوع أيضاً، فأثبت ما رأيته صواباً مع ذكر الدليل والبرهان. مثال ذلك: ورد الحديث رقم (١٣٥٧) في المخطوطة وفي المطبوع بالنصِّ التالي:

«وفي حديث أبي جعفر، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صلَّىٰ صلاة لم يصلِّ فيها عليَّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه».

بينما الصواب: «عن أبي مسعود» بدل «عن ابن مسعود»، فقد أخرج الدار قطني في سننه (١/ ٣٥٥) هذا الحديث بعينه من طريق جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن أبي مسعود الأنصاري مرفوعاً»، وهذا نص صريح أن صحابي الحديث هو أبو مسعود الأنصاري البدري واسمه عقبة بن عمرو. ونحو هذه الملاحظة تجده عند الحديث رقم (١٧٣١).

تاسعاً: صنعت عدداً من الفهارس الفنية تساعد القارىء في وضع يده على مبتغاه وقد ضمنتها:

١ ـ فهرساً للآيات القرآنية.

٢ ـ فهرساً للأحاديث والآثار.

٣ـ فهرساً للأشعار .

٤ ـ فهرساً للأماكن والمعالم المعرَّف بها في الحاشية.

٥ ـ فهرساً للفرق والأقوام والجماعات المعرَّف بها في الحاشية أيضاً.

٦ ـ فهرساً للأعلام المترجمين في الحاشية.

٧ ـ فهرساً لأسماء الكتب المذكورة في المتن.

٨ ـ فهرساً للموضوعات.

عاشراً: ترجمت ترجمة موجزة للقاضي عياض ـ رحمه الله ـ لكنني أفضتُ في ذكر مؤلفاته: مخطوطها ومطبوعها.

هذا مجمل عملي في تحقيق الكتاب وإخراجه ، أسأل الله عز وجل أن يثيبني علىٰ ما أحسنت ، وأن يغفر لي ما قصرت أو أسأت ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجمعني ووالديَّ وأحبابي وإخواني وأشياخي تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظلُّهُ ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين آمين آمين.

المحقق

عبده علي كوشك

دمشق ـ الغوطة الغربية ـ داريا

مساء الجمعة / ١٩/ شوال (١٤١٩) هـ

الموافق (٥) كانون الثاني (١٩٩٩) م.

ترجمة موجزة للقاضي عياض[1]

هو الإمام ، العلامة ، الحافظ ، الأوحد ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الفضل :

عِيَاضُ[2] بن موسىٰ بن عِيَاضِ بن عَمرون اليَحْصُبي[3] ، الأندلسي[4] ، ثم السَّبْتي[5] ، المالكي .

---

(١) أفرد لهذا الإمام أربع تراجم مستقلة ، من أراد التوسع في ترجمته فليرجع إليها :
الأولى : التعريف بالقاضي عياض ، لولده القاضي محمد . طبعته وزارة الأوقاف المغربية ، بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة .
الثانية : أزهار الرياض في أخبار عياض للمقَّري ، نشر في مطبعة فضالة بالمغرب .
الثالثة : القاضي عياض وجهوده في عِلْمَي الحديث روايةً ودرايةً للأستاذ الدكتور البشير علي حمد الترابي ، طبع في دار ابن حزم ببيروت سنة (١٤١٨) هـ .
الرابعة : القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته للدكتور الحسين بن محمد شوَّاط . طبع في دار القلم بدمشق سنة (١٤١٩) هـ .
وله ترجمات منثورة في بطون الكتب ، ذُكِرَتْ مصادرُها في حاشية سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٢) عِيَاض : بكسر العين المهملة وفتح الياء المخففة . ومن ضبطه بفتح العين وتشديد الياء فقد أخطأ .

(٣) اليَحْصُبيّ ـ بفتح الصاد وضمها وكسرها ـ هذه النسبة إلىٰ يحصب بن مالك ، قبيلة من حِمْيَر .

(٤) الأندلسي : نسب إلى الأندلس المفقود لأن جده (عمرون) قدم منها .

(٥) السَّبْتي : نسبة إلى سَبْتَةَ ، لأنه ولد فيها ، وهي مدينة ساحلية مشهورة ، تقع شمال غرب=

ولد في مدينة سَبْتَـةَ في منتصف شعبان سنة (٤٧٦ هـ) ، وتوفي بمدينة مراكُش سنة (٥٤٤) هـ ، وعاصر دولتي : المرابطين والموحدين.

رُبِّي القاضي عياض في أحضان أسرة عربية أصيلة ، صالحة دَيِّنة ، خَيِّرَةٍ موسرة ، فنشأ علىٰ العفة والصيانة ، والصلاح والتقوىٰ ، تاركاً لِلَّعب ، معرضاً عن اللهو ، مقبلاً علىٰ العبادة ، شغوفاً بالعلم ، محباً للجهاد ، عاملاً مجتهداً ، هَيِّناً من غير ضعف ، صليباً في الحق ، ورعاً متواضعاً ، صواماً قوّاماً ، حافظاً لكتاب الله تعالىٰ ، مكثراً من تلاوته ، يقوم ثلث الليل الآخر لجزء منه ، لم يترك ذلك قط على أية حالة حتىٰ يغلب عليه ، وكان كثير الصدقة ، والمواساة ، من أكرمِ أهل زمانه ، وحاز من الرئاسة في بلده ، والرفعة ما لم يصل إليه أحد قطُّ من أهل بلده ، وما زاده ذلك إلا تواضعاً وخشية لله تعالىٰ. جلس للمناظرة ، وله نحو من (٢٨) سنة ، وولي القضاء وله (٣٥) سنة.

وكان قاضياً عادلاً ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وكان خطيباً مِصْقَعاً ، وشاعراً مجيداً ، وكاتباً بليغاً ، وأُصوليّاً متكلماً ، وإماماً بارعاً ، متفنِّناً في علم الفقه ، والحديث ، وعلومه ، والنحو ، واللغة ، وكلام العرب ، وأنسابهم ، وأيامهم.

قال الذهبي : واستبحر من العلوم ، وجمع ، وألَّف ، وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر في الآفاق ، وتواليفه نفيسة.

وقال الفقيه محمد بن حمادة السَّبْتِيّ : لم يكن بسبتة في عصرٍ أكثر تواليف من تواليفه.

وقال ابن خَلِّكان في «وَفَـيَـات الأَعْـيَـان» : وكل تواليفه بديعة.

= المملكة المغربية ، في مضيق جبل طارق ، حيث يلتقي البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلسي ، وقد دخل أهلها في الإسلام طوعاً سنة (٩٢) هـ ، وخصها القاضي عياض بكتاب سماه : «الفنون الستة في أخبار سَبْتَةَ» وهي الآن مثل : «مَلِيْـلَـةَ» تقع تحت الاحتلال الإسباني.

وقد أحصيت تواليفه وعرَّفت بها ، ورتبتها علىٰ حروف المعجم فبلغت أَرْبَعَـةً وثلاثين مُصَنَّـفًا وفق ما يلي :

١ ـ أجوبة القرطبيِّين (لم يكمله) : ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، وابن فرحون في «الديباج المُذَهَّبْ» ، وذكر محمد بن القاضي عياض أنه رآه بهذا الاسم بخط أبيه ، وهو مفقود لا نعلم شيئاً عن مخطوطاته .

٢ ـ الأجوبة المُحَبَّرةُ علىٰ الأسئلة المُتَخَيَّرةِ : (لم يكمله) : ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، وابن فرحون في «الديباج المذهَّب» . وأورده حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ١١) بعنوان : «الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيِّرة» ، وهو كتاب يبحث في أجوبة عن معانٍ شاذةٍ ، في أنواع شتى ، سئل عنها رحمه الله ، وهو كتاب مفقود كما ذكر الدكتور البشير الترابي في كتابه «القاضي عياض . . » ص : (١٦٤) .

٣ ـ أجوبته مما نزل في أيام قضائِهِ من نوازل الأحكام (لم يكمله) : ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، وابن فرحون في «الديباج المذَهَّب» وغير واحد .

وهذه الأجوبة جمعها ابنه محمدٌ ـ وقد كان وجدها في بطائق ـ وضمَّ إليها شيئاً من عنده وسمَّاها : «مذاهب الحكام في نوازل الأحكام» ، وهو مطبوع في دار الغرب الإسلامي ببيروت .

ومنه نسخة فريدة بخزانة القصر الملكي بالرباط برقم (٤٦٤٢) .

٤ ـ أخبار العلويِّين : ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٨٠١) .

٥ ـ أخبار القرطبيِّين : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٢٨) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) ، وهو كتاب مفقود لا نعلم شيئاً عن مخطوطاته .

٦ ـ اختصار كتاب شرف المصطفى ﷺ : قال عنه الدكتور الحسين شوَّاط في

كتابه «القاضي عياض ، عالم المغرب. . » ص: (٢١٦): «تناول فيه بالاختصار المفيد كتاب: «شرف المصطفىٰ» لعبد الملك بن محمد النيسابوري الواعظ المتوفىٰ سنة (٤٠٦) هـ ، وقد شاع هذا الكتاب عن القاضي عياض ، وكان يحدث به طلبة العلم ، ورواه عنه الناس» .

٧ ـ الإعلام بحدود قواعد الإسلام: وهو كتاب مختصر مفيد في شرح حديث ابن عمر: «بني الإسلام علىٰ خمس. . . . » ، وقد طبع في المطبعة الملكية في الرباط بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، وطبع أيضاً في دار الفضيلة بالقاهرة بتحقيق محمد صديق المنشاوي السوهاجي. ومنه نسخة خطية بدمشق في مكتبة الأستاذ الدكتور سعيد بغدادي .

وهذا الكتاب ورد في كشف الظنون (٢/ ١٢٠٧) ، وهدية العارفين (١/ ٨٠٥) باسم : «الإعلام في حدود الأحكام» .

٨ ـ إِكْمالُ المُعْلِم بفوائد صحيح مسلم[1]: وهو أَوَّلُ شرح موسَّع ومكتمل لصحيح الإمام مسلم. ضَمَّنَهُ كتاب شيخه المازَري: «المُعْلِمْ بفوائد مسلم» ، وكتاب شيخه بالإجازة أبي علي: الحسين بن محمد الجيَّاني: «تقييد المهمل وتمييز المشكل» وزاد عليهما أضعافاً كثيرة .

وطبع من هذا الكتاب المقدمة وكتاب الإيمان في ثلاث مجلدات بتحقيق الدكتور الحسين بن محمد شوَّاط ، ووزع باقيه علىٰ مجموعة من طلاب قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة في إطار إعدادهم لرسائل الدكتوراه ، وتوجد أجزاء منه بمكتبة الأسد بدمشق برقم (٩٠٢ ، ١٠٣١ ، ٤٥٧٨) .

٩ ـ الإلْماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: كتاب في علم مصطلح الحديث. طبع في القاهرة وتونس سنة (١٣٨٩ هـ = ١٩٧٠م) بتحقيق الأستاذ السيد أحمد صقر. منه نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق برقم

---

(١) انظر نسخه الخطية ووصفها في كتاب «القاضي عياض» للدكتور البشير الترابي ص : (٢٥٥ـ٢٥٨) .

(١١٩٧) ، وأخرى في مكتبة الاسكوريال برقم (١٥٦٧).

١٠ ـ بغية الرائد فيما في حديث أم زَرْع من الفوائد: وهو شرح وتخريج لحديث أم زُرْعِ الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة: «كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ» ، ولهذا الحديث شروح كثيرة ، ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) ، ثم قال عن كتابنا هذا: «وهو أجمعها وأوسعها ، وأخذ منه غالب الشراح بعده» اهـ. وقد طبع هذا الكتاب في المغرب سنة (١٩٧٥)م بتحقيق صلاح الدين الإدلبي وزميليه ، ومنه نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق رقم (٨٦٤٧) ، وباقي نسخه الخطية انظرها في كتاب: «القاضي عياض» للدكتور البشير الترابي ص (٢٨٣ ـ ٢٨٥).

١١ ـ تاريخ المرابطين: ذكره المقَّري في «أزهار الرياض» وانتهىٰ فيه إلى سنة (٥٤٠) هـ. وهو مفقود لا نعلم شيئاً عن نسخه ومخطوطاته.

١٢ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: قال حاجي خليفة في كشف الظنون ص: (٣٩٥): «جمع فيه المالكية ، وأَحْسَنَ ، وهو تأليف غريب لم يسبق إليه». وهو مطبوع في دار مكتبة الحياة ببيروت ودار مكتبة الفكر بطرابلس ـ ليبيا عام (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧م) بتحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ، وطبع أيضاً من قبل وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية بالمغرب.

١٣ ـ التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المُدَوَّنة والمختلطة: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٦٤٤) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) ، وغير واحد ممن ترجم للقاضي عياض. قال الشيخ مخلوف في شجرة النور الزكية (١/ ١٤١): «جمع فيه من غريب ضبط الألفاظ وتحرير المسائل فوق ما يوصف» ، وقال الدكتور الحسين شوّاط في كتابه «القاضي عياض» ص (٢٢٨): «وعلى هذا الكتاب معوَّلُ المغاربة في حل مشكلات المدوَّنة ، وضبط ألفاظها ، مع الاهتمام بما فيها من الأحاديث والآثار

والرجال بالإضافة إلىٰ إثراء وتحرير وتحقيق الجوانب الفقهية ، ولهذا الكتاب نسْختان خطيتان في خزانة القصر الملكي بالرباط رقم (٥٣٤ ، ٩٨١٨) ، وفي خزانة القرويِّين بفاس أربع نسخ خطية أرقامها :

(٣٣٣/ ٤٠ ، ٣٣٦/ ٤٠ ، ٣٣٤ / ٤٠ ، ١١٩١/ ٨٠) ، وفي الخزانة العامة بالرباط نسخة برقم ٣٨٤/ق ، وفي مكتبة الجامع بمكناس نسخة برقم ٢٨٠ ، ذكر هذه النسخ ووصفها الدكتور البشير الترابي في كتاب «القاضي عياض» ص (١٥٩ ـ ١٦٠) .

١٤ ـ جامع التاريخ : ذكره الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٣٠٥ ، وقال : «أربىٰ على جميع المؤلفات ، جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، واستوعب فيه أخبار سَبْتَةَ وعلماءَها» وهو مفقود لا ندري عنه شيئاً .

١٥ ـ ديوان خطبه : ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، وغيرهُ .

قال مخلوف في شجرة النور الزكية ١/ ١٤١ : «وله شعر جيد ، وديوان خطب رائق» .

واشتمل هذا الديوان علىٰ خمسين خطبة مختارة من خطبه البليغة ، جاءت في سِفرٍ كامل .

١٦ ـ ديوان شعره : جمعه ولده محمد ، وقال : جمعت فيه نحواً من خمسة آلاف بيت .

ومن شعره قصيدة في مدح المصطفى ﷺ في ستة وخمسين بيتاً ، منها نسخة خطية في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٥١٠٨) .

١٧ ـ سؤالات لابن رشد : ذكره الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٠٢) وقال عنه : «مُؤَلَّف نفيس» .

١٨ ـ سؤالات وترسيل : ذكره المَقَّري في «أزهار الرياض» (٥/ ٥) ، وهو مفقود .

١٩ ـ سِرُّ السَّراة في أدب القضاة (لم يكمله): ذكره لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة، وابن فرحون في الديباج المذهب، وهو مفقود، قال ابنه محمد: «رأيت هذه الترجمة بخطه، ولم أجد من هذا الكتاب شيئاً، ولا وقفت له علىٰ خبرٍ».

٢٠ ـ السيف المسلول علىٰ من سبَّ أصحاب الرسول: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٠١٨)، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥)، وهو مفقود.

٢١ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: وهو كتابنا هذا.

٢٢ ـ العقيدة: ذكره الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٤)، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥)، قال الدكتور الحسين بن محمد الشوَّاط في كتابه «القاضي عياض» ص: (٢٣١):

«توجد منه نسخة مع شرح له بالقول في دار الكتب المصرية، قسم المجاميع، رقم (٢٥٠) خاص، ورقم (٤٧٠) عام، فَنّ التوحيد».

٢٣ ـ العيون الستَّة في أخبار سَبْتَة (لم يكمله): ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١١٨٦)، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) وغيرهما، وسمَّاه لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة: «الفنون الستة في أخبار سبتة». وذكره الكتاني في فهرس الفهارس بعنوان: «أخبار سبتة» وهو مفقود.

٢٤ ـ غريب الشهاب: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٢٠٧)، والبغدادي في هدية العارفين، وهو شرح لغريب ألفاظ أحاديث: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب» لأبي عبد الله، محمد بن سلامة القضاعي المتوفىٰ سنة (٤٥٤) هـ، وهو مفقود.

٢٥ ـ الغُنْيَةُ: وهي مشيخة القاضي عياض، جمع فيها تراجم شيوخه. قال ابن خَلِّكان في وفيات الأعيان (٣/ ٤٨٥): «شيوخه يقاربون المئة». وقال الدكتور إحسان عباس مُعَلِّقاً: «يشير إلى أن العدد الذي تحويه بعض نسخ

«الغنية» ينقص عن المئة». وكتاب الغنية مطبوع في الدار العربية للكتاب عام ١٩٧٨م بتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم ، وفي دار الغرب الإسلامي عام ١٩٨٢م بتحقيق ماهر جرار.

٢٦ ـ غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترَسُّل(لم يكمله): ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٢١١) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) ، ومخلوف في شجرة النور الزكية (١/ ١٤١) ، وجاء في الإحاطة في أخبار غرناطة بعنوان: «عنية الكاتب وبغية الطالب» ، وهو كتاب مفقود.

٢٧ ـ القواعد: ذكره البغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) ، وفي إيضاح المكنون (٢/ ٢٤٣) ، وقال الدكتور الترابي في كتاب «القاضي عياض» ص: (١٦١): «ولا يراودني شكٌّ أن «القواعد» مختصر لكتابه: «الإعلام بحدود وقواعد الإسلام» ، وهذا ما وضح لي من خلال دراستي للكتابين» ، ولهذا الكتاب نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية برقم ١٣٤/ ٤ الأسكوريال.

٢٨ ـ مختصر مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية: ذكره الأستاذ عمر رضا كحالة في المستدرك علىٰ معجم المؤلفين ص: (٥٣٢).

٢٩ ـ مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور: ذكره لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة ، والمقَّري في أزهار الرياض ، ومحمد بن القاضي عياض ، قال الدكتور البشير الترابي في كتابه «القاضي عياض» ص: (١٦٦ ـ ١٦٧): «ولم أقف علىٰ خبر له ، فهو في ظني مفقود».

٣٠ ـ مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار: وهو كتاب في تفسير غريب الحديث ، وضبط ألفاظه مما ورد في الصحيحين والموطَّأ ، قال ابن فرحون في الديباج المذهب:

«هو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلاً في حقه» ، وذكره الذهبي في السير (٢٠/ ٢١٥) بعنوان: «مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح

الآثار» وهو مطبوع بفاس في المطبعة المولوية سنة (١٣٢٨) هـ ، ثم صورتها مكتبة دار الحياة والمكتبة العتيقة عام (١٩٧٣م) ، ومنه نسختان خطيتان في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٧٨٠٧ ، ٩٣٣).

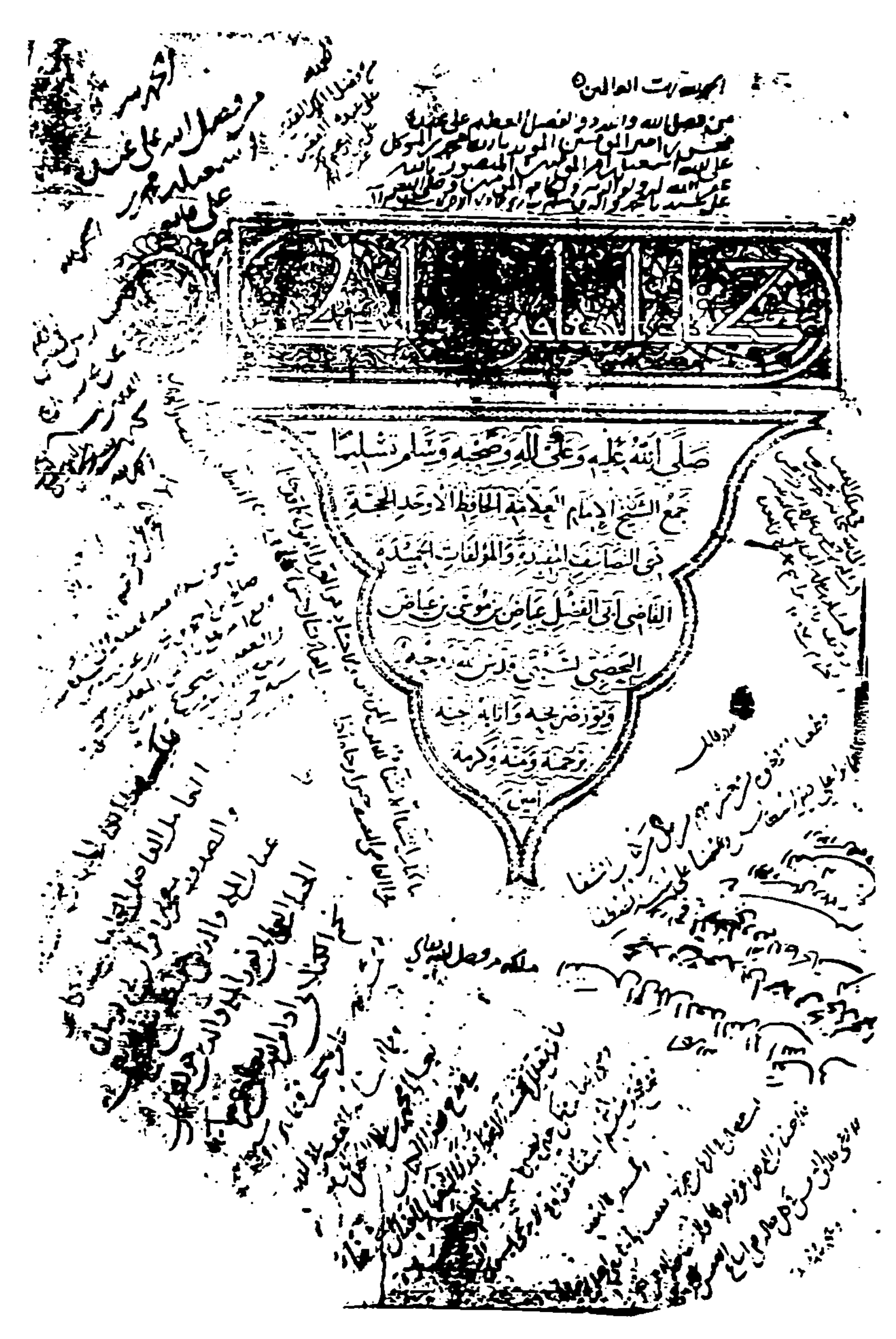
٣١ ـ مطامح الأفهام في شرح الأحكام: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٧١٨) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) ، وهو مفقود.

٣٢ ـ معجم شيوخ ابن سُكَّرَة: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٧٣٦)، وسماه الذهبي في السير (١٩/ ٣٧٧): «مشيخة ابن سُكَّرَة» ، وهو كتاب ترجم فيه شيوخ شيخه أبي علي: الحسين بن محمد السرقسطي الصدفي المعروف بابن سُكَّرَة ، المتوفىٰ سنة (٥١٤) هـ ، قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٧٣٦): «خرج له القاضي مشيخته (أي أسماء شيوخ ابن سُكَّرَةَ) ، فذكر في أولها ترجمة لأبي علي المذكور ، في أوراق ، وأنه أخذ عن مئة وستين شيخاً» وهو كتاب مفقود لا نعلم شيئاً عن نسخه الخطية.

٣٣ ـ المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان (لم يكمله): وقد بين القاضي عياض رحمه الله هذه المقاصد من خلال شرح موسع لحديث جبريل عليه السلام ـ في الإيمان والإسلام والإحسان، فقد قال في إكمال المُعْلِم ـ كما في كتاب القاضي عياض للدكتور الحسين الشواط ص: (٢٢٩) ـ: «وعلىٰ هذا الحديث وأقسامه الثلاث أَلَّفنا كتابنا الذي سميناه بـ (المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان)، إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات ، عن أقسامه الثلاث» ، وهذا الكتاب مفقود لا نعلم شيئاً عن نسخه.

٣٤ ـ نظم البرهان علىٰ صحة جزم الأذان: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢/ ١٩٦١) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٨٠٥) وغيرهما. وهو جزء صغير تركه القاضي في مبيضته. قال الدكتور الترابي في كتابه: «القاضي عياض» ص (١٦٢):

«وبعد البحث والتقصي الشديد في مكتبات القاهرة ، والرباط وفاس وتطوان وتونس لم أقف له علىٰ وجود».



صورة الغلاف للنسخة الخطية

عبد الله ... وقف الله ... للرسول الطاهر صلى الله عليه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أتوكل

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
رضي الله عنه وأرضاه . الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا
لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا
من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما .
وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحمى وزكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا
وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به
وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة
أعمى . صلى الله عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .
أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به
لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم
من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم
في عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف
بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير وإكرام وما حكم من لم يوف واجب

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو الآن أن في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منه منهج لابتغيته ومنزع وقد تشعرت فيه عن نكت تستغرق وتستبدع وكدعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع وأودعته غيره افضل وددت لو وجدت من سبط قبلي الكلام فيه أو مقتدي يتيد فيه عن كتابه أو نيه الكتي ما ازويه عما ازوية والى الله تعالى جزيل الرغبة في المنة بقبول ما نيته لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضايله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ووسايله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد إذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا عليه السلام وجماعته ويحشرنا في الرعيل الأول واهل الباب الأيمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ووقع الفراغ منه لخواتمه يوم الاثنين الثاني عشر من رجب الفرد سنة ... في المدرسة القمارية رحم الله واقفها على يد اضعف خلق الله جرما واكثرهم جرما محمد بن احمد عبد الملك ... محمود

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أتوكل

قال الفقيه القاضي الإِمَامُ الحافظُ أبو الفضل: عِيَاضُ بنُ موسىٰ بنِ عِيَاضٍ اليَحْصُبي رضِي الله عنه وأرضاه: الحمْدُ لله المُتَـفَـرِّدِ[١] باسْمِه الأَسْمَىٰ[٢]، المختصّ بالمُلْكِ الأعزّ الأحْمىٰ[٣]، الذي ليس دُونَه مُنْتهىً، ولا وراءه مَرْمَىً[٤]، الظاهرِ لا تخيُّلاً وَوَهْماً، والباطنِ[٥] تَقَدُّساً لا عُدْماً، وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً، وأسبغَ علىٰ أوْليائه نِعَماً عُمّاً[٦]، وبعث فيهم رسولاً من أنـفُسِهِمْ[٧]، أَنْفَسَهُمْ[٨] عُرْباً وَعُجْماً، وأزْكَاهم مَحْتِداً ومَنْمىً[٩]، وأرجَحَهُم عَقلاً وحِلْماً، وأوفرَهم عِلْماً وفَهْماً، وأقواهم يقيناً وعَزْماً، وأشدَّهم بهم

---

(١) (المتفرد): المتوحد.

(٢) (الأسمىٰ): الأرفع والأعلىٰ.

(٣) (الأحمىٰ): حميتُ الشيء حماية وحمياً: إذا دفعتَ عنه، ومنعتَ منه من يقربه. وهذا شيء حميً: أي محظور لا يقرب.

(٤) (ولا وراء مرمىً): أي مقصد ترمىٰ إليه الآمالُ، ويوجَّـهُ نحوه الرجاءُ (النهاية).

(٥) في المطبوع: «الباطن»، بدون الواو.

(٦) (نِعَماً عُمّاً): أي كثيرة تامة، واحدتها: عميمة.

(٧) (من أنـفُسِهم): من العرب، أو من البشر.

(٨) (أَنْفَسَهم): أشرفهم وأعظمهم قدراً.

(٩) (محتداً): أصلاً وطبعاً. (منمىً): نمواً وزيادة وارتقاءً.

رأفةً ورُحْمىً ، وزكّاه رُوحاً وجسماً ، وحاشاهُ[1] عَيْباً ووَصْماً[2] ؛ وآتاه حِكمةً وحُكْماً[3] ، وفتح به أعيناً عُمياً ، وقلوباً غُلفاً[4] ، وآذاناً صُمّاً ؛ فآمن به وعزَّره[5] ، ونصره مَنْ جعل اللهُ له في مَغْنَم السعادة قِسْماً ، وكذَّب به وصدَفَ[6] عن آياته مَنْ كتب اللهُ عليه الشَّقاءَ حَتْماً ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [الإسراء: ٧٢] صلى الله عليه وسلَّم صلاةً تَـنْمُو وتُـنْمَىٰ[7] ، وعلىٰ آله وسلَّم تسليماً[8] .

أما بَعْدُ: أشرقَ اللهُ قَلْبِي وقَلْبَك بأَنْوارِ اليقين ، ولطفَ لي ولكَ بما لطفَ به لأوليـائه المتَّقين ، الذين شرَّفَهم [الله] بِـنُـزُلِ[9] قُدْسِه ، وأوحشهم من الخليقة بِأُنْسِهِ، وخصهم من معرفته ومشاهدةِ عجائبِ ملكوته، وآثار قُدْرته بما ملأَ قلوبَهم حَبْرةً[10] ، وَوَلَهٌ[11] عقولَهم في عَظَمَتِه حَيْرَة؛ فجعلوا همَّهم به واحداً[12] ، ولم يروا في الدارَيْن غَيْرَه مُشَاهَداً؛ فهم بمشاهدة جَمَالِه وجلالِه يتنعَّمون ، وبين آثار قُدْرتِه وعجائب عظَمته يتردَّدون ، وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعزَّزُون ، لَهِجِيْنَ[13] بصادقِ قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١].

---

(١) (حاشاه): برَّأه ، ونزَّههُ.
(٢) (وصْماً): الوصمُ: هو العيب والعار.
(٣) (وحكما): أي قضاءً وفصلاً للأمور علىٰ الحق . .
(٤) (قلوباً غلفاً): عليها أغشية وأغطية ، فهي لا تعي كلمة الحق ولا تفهمها لأنها لا تصل إليها.
(٥) (عزَّره): عظّمه ، ووقَّره ، ونصره.
(٦) (صدف): أعرض.
(٧) (تنمو وتنمىٰ): تنمو: تزيد عدداً دائماً . (تُنمىٰ): ترفع وتبلغ .
(٨) في نسخة زيادة: «كثيراً».
(٩) (النُّزُل) بضم الزاي وسكونها: ما يهيَّأُ للنزيل.
(١٠) (حَبْرةً): سروراً.
(١١) (وَلَهٌ): الوَلَهُ: ذهاب العقل ، والتحير من شدة الوجد والحزن.
(١٢) أي: وجَّهوا جميع وجوه الإرادة والعزيمة إلى مرضاته سبحانه وتعالىٰ .
(١٣) (لَهِجِين): ملازمين لذكر الله.

فإنكَ كرَّرت عليَّ السؤال في مجموع[1] يتضمّن التعريفَ بقَدْر المصطفىٰ عليه [الصلاة والسلام] ، وما يجبُ له من توقير وإكرام ، وما حُكْمُ مَنْ لم يُوَفِّ واجبَ (٢/أ) عظيم ذلك القَدْر ، أو قصَّر في حق مَنْصبه الجليل قُلامةَ ظُفْر ؛ وأن أجمعَ لكَ ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مَقَالٍ ، وأُبيِّـنَهُ بتنزيل صُوَر وأمثال .

فاعـلم ـ رحمكَ الله ـ أنك حمَّلتني من ذلك أمراً إمْراً[2] ، وأرهقتني[3] فيما ندبْتني إليه عُسْراً ، وأرقيتني بما كلفتني مُرْتقًى صَعْباً ، مَلأَ قلبي رُعباً ؛ فإنَّ الكلامَ في ذلك يستدْعي تقريرَ أصولٍ ، وتحريـرَ فصولٍ ، والكشفَ عن غوامِضَ ودقائقَ من عِلْم الحقائق ، مما يَجبُ للنبيِّ ﷺ ويضافُ إليه ، أو يمتنعُ ، أو يجوز عليه ، ومعرفة النبيِّ والرسول ، والرِّسالة والنبوَّة ، والمحبَّة والخُلَّة[4] ، وخصائص هذهِ الدرجة العليّـة[5] ، وها هنا مَهَامِهُ فِيْحٌ تحَارُ فيها القَطَا[6] ، وتَقْصُر بها الخُطا ؛ وَمَجَاهِلُ تَضِلّ فِيها الأحلام[7] ـ إن لم تَهْتدِ بعَلَمِ عِلْمٍ[8] ، ونَظَرٍ سدِيد ـ ومَدَاحِضُ[9] تزِلّ[10] بها الأقدام ، إن لم تعتمدْ علىٰ توفيق من الله وتأييد .

---

(١) (مجموع) : مُصَنَّف ، ومُؤَلَّف .
(٢) (إمراً) : شديداً .
(٣) (أرهقتني) : كلَّفتني .
(٤) (الخُلَّة) : المحبة التي تخلَّلت القلب فصارت خِلاله : أي في باطنه .
(٥) (العَلِيّـة) : الرفيعة .
(٦) (مَهامِهُ فيحٌ تحار فيها القطا) : المهامِهُ : جمع مَهْمَهٍ ، وهي القَفْرُ من الأرض . والفِيْحُ : جمع أَفْيحَ ، وهو الواسع ، وخصّ القطا لأنه أهدىٰ إلىٰ الماء من كثير من الطيور . كذا في هامش الأصل .
(٧) (الأحلام) : العقول .
(٨) (بعَـلَم عِلْـم) : أي بعلامة يعلم بها .
(٩) (مداحِض) : واحدتها مَدْحضة ، وهي المزلقة .
(١٠) (تزِلُّ) : تزلق .

لكني لمَا رَجَوتُه لي ولكَ في هذاالسؤالِ والجوابِ من نَوَالٍ[1] وثوابٍ، بتعريف قَدْره الجسيم، وخُلُقِه العظيم، وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبلُ في مخلوق، وما يُدَانُ[2] اللهُ تعالىٰ به من حقِّه الذي هو أرفَعُ الحقوقِ ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١] ولمَا أخذَ اللهُ [تعالىٰ] على الذين أُوتُوا الكتاب لَيُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه.

١ ـ ولِمَا حدثنا به أبو الوليد: هشام بن أحمد الفقيه ـ رحمه الله ـ بقراءتي عليه؛ قال: حدثنا الحُسَين بن محمد، حدثنا أبو عُمرَ النَّمَرِيُّ، حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن، حدثنا أبو بكر: محمد بن بكر، حدثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حَمَّاد، أخبرنا عليّ بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ القِيَامة»[3].

فَبَادَرْتُ إلى نُـكَتٍ[4] مُسْفِرة عن وَجْهِ الغَرَضِ[5]، مُؤَدِّيا مِنْ ذلك الحقِّ (٢/ب) المُفْتَرَضَ، اخْتَلَسْتُها[6] على استعجالٍ، لما المرءُ بصَدَدِه من شُغْلِ البَدَن والبَال، بما طُوِّقَهُ الإنسان[7] مِنْ مَقَاليد المِحْنة التي ابتُلي بها، فكادت تَشْغَل عن كلِّ فَرْضٍ ونَفْلٍ، وترد بعد حِصْنِ[8] التقويم إلى أَسْفَلِ سُفْل[9]؛ ولو أَراد الله بالإنسان خيراً لجعلَ شُغْلَه وهَمَّه كلَّه، فيما يُحْمَد غداً أو يُذَمّ

---

(١) (نوال): حصول حُسْنِ منال، وطيب حالٍ، ومآل في الدنيا.

(٢) (يُدانُ): يُطاعُ.

(٣) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٣٦٥٨)، وأخرجه أيضاً الترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦١) وغيره، وصححه ابن حبان (٩٥) موارد، والحاكم ١/ ١٠١، والذهبي في الكبائر (٩١٦) بتحقيقي. وقال الترمذي «حديث حسن».

(٤) (نُكَت): جمع نكْتة، وهي المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة، وإنعام فكر.

(٥) (مسفرة عن وجه الغرض): مبينة للمطلب والمقصد.

(٦) (اختلستها): جمعتها، وأصل الاختلاس: استلاب الشيء في نُهْزَةٍ ومخاتلة.

(٧) كلمة: «الإنسان» لم ترد في المطبوع.

(٨) في المطبوع ونسيم الرياض وشرح القاري: «حُسْن».

(٩) (أسفل سُفْل): يريد ما قُلِّدَهُ من أمر القضاء.

مَحَلُّـهُ؛[1] فليس ثَمَّ سِوىَ حَضْرة[2] النَّعيم ، أو عذابِ الجحيم ، ولكان عليه بِخُوَيْصَّتِهِ[3] ، واسْتِنْقَاذِ مُهْجَته[4] وعَملٍ صالحٍ يستزيدُه ، وعِلْمٍ نافع يفيده ، أو يستفيدُه .

جَبر الله صَدع قُلوبنا ، وغَفَرَ عظيمَ ذُنوبنا ، وجعل جميع استعدادنا لِمَعَادِنا ، وتوفُّرَ دَواعِينا فيما يُنْجِينـا[5] ، ويُقَرِّبُنا إليه تعالىٰ زُلْفىٰ ، ويُحْظينا بمَنّه وكرمهِ ورحمته .

ولما نـويـتُ تَقْـرِيبـهُ ، ودرَّجـتُ تَـبْـويـبـهُ[6] ، ومهّـدتُ تَـأْصِيلـهُ[7] ، وخلَّصتُ[8] تفصيله ، وانْتَحَيْتُ[9] حَصْره وتحصيله ، ترجَمْتُه بـ(الشِّفَا بتعريف حقُوقِ المصطفىٰ) وحصرتُ الكلام فيهِ في أقسام أربعة :

القسم الأول: في تعظيم العليّ الأَعلىٰ لقَدْرِ هذا النبيِّ ﷺ قولاً وفِعْلاً ، وتَوجَّهَ الكلامُ فيه في أربعة أبواب :

الباب الأول: في ثنائه تعالىٰ عليه ، وإظهارِهِ عظيمَ قَدْرِه لديه؛ وفيه عَشَرةُ فصول .

الباب الثاني: في تكميله تعالىٰ لَهُ المحاسِنَ ، خَلْقاً وخُلُقاً ، وَقِرَانِه[10]

---

(١) (مَحَلُّه): المكان الذي يحل فيه .

(٢) علىٰ هامش الأصل: «نضرة» ، نسخة .

(٣) (بخُوَيْصَّتِهِ): بسكون الياء ، وتشديد الصَّاد المفتوحة: أي بنفسه .

(٤) (استنقاذ مُهجته): تخليص روحه من العذاب ، بإصلاحها وصونها عن القبائح .

(٥) (وتوفر دواعينا لما ينجينا): أي وجعل تكثير مكاسبنا ومطالبنا لما يخلصنا من عذاب الله .

(٦) (درجت تبويبه): أي سهلته ورتبته ترتيباً حسناً متناسباً .

(٧) (ومهدت تأصيله): يعني أنه ذكر فيه قواعد وأدلة تبتنىٰ عليها مسائل أبوابه .

(٨) (خلَّصْتُ): أي بيَّنْتُ ، وميزتُ .

(٩) (انتحيتُ): قصدتُ. وفي نسخة: «انتجبت» ، أي: اخترت . وفي أخرىٰ: «انتخبتُ»: أي: اصطفيتُ .

(١٠) وقرانه: وجمعه .

جميعَ الفضائل الدينية والدُّنيوية فيه نَسَقاً؛[1] وفيه سبعةٌ وعشرون فصلاً[2].

الباب الثالث: فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظِيم قَدْرِه عند ربه ومَنْزِلته، ومَا خَصَّه به في الدارين مِنْ كَرَامته؛ وفيه اثنا عشَرَ فَصْلاً[3].

الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالىٰ على يديه من الآيات والمُعْجزات، وشرّفه به من الخصائص والكرامات؛ وفيه ثلاثون فَصْلاً[4].

القسم الثاني: فيما يجب علىٰ الأنام من حقوقه عليه السلام، ويترتَّبُ القولُ فيه في أربعة أبواب:

الباب الأول: (٣/أ) في فَرْضِ الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سُنَّتِهِ؛ وفيه خمسة فصول[5].

الباب الثاني: في لزوم محبته ومُنَاصحته؛ وفيه ستة فصول[6].

الباب الثالث: في تعظيم أَمره ولزومِ توقيره وبره؛ وفيه سبعة فصول[7].

الباب الرابع: في حكم الصلاة عليه والتسليم، وفرض ذلك، وفضيلته؛ وفيه عشرة فصول[8].

القسم الثالث: فيما يستحيل في حقه، وما يجوزُ عليه [شرعاً]، وما يمتنع وَيَصِحُّ من الأمور البَشَرية أَنْ يضاف إليه.

---

(١) (نسقاً): أي جمعاً متتابعاً علىٰ وجه متناسب.
(٢) بل فيه ستة وعشرون فصلاً بدون مقدمة الباب.
(٣) بل فيه خمسة عشر فصلاً. وعلىٰ هامش الأصل ما نصه: «كذا وذكر اثني عشر فصلاً، والمعدود خمسة عشر فصلاً، والمسموع علىٰ ابن جماعة عشرة فصول، وفي أصل ابن الأنباري اثني عشر فصلاً».
(٤) بل فيه تسعة وعشرون فصلاً بدون مقدمة الباب.
(٥) المعدود أربعة فصول بدون مقدمة الباب.
(٦) المعدود خمسة فصول بدون مقدمة الباب.
(٧) بل فيه ستة فصول بدون مقدمة الباب.
(٨) بل فيه تسعة فصول بدون مقدمة الباب.

وهذا القسم ـ أكرمك الله ـ هو سِرُّ الكِتَاب ، ولُبَابُ ثمرةِ هذه الأبواب ، وما قبله له كالقواعد ، والتمهيدات والدلائل علىٰ ما نُورِده فيه من النُّكَت[1] البيِّنات ، وهو الحاكم علىٰ ما بعده ، والمُنجزُ مِنْ غَرض هذا التأليف وَعْدَه ، وعند التقصِّي[2] لموعدته ، والتفصِّي[3] عن عهدته ، يَشْرَقُ[4] صَدْرُ العدوِّ اللَّعين ، ويُشرِقُ قلبُ المؤمنِ باليَقِين ، وتملأُ أنوارُه جوانحَ صَدره ، ويقدرُ العاقلُ النبيَّ حقَّ قدره. ويتحرَّر الكلامُ فيه في بابين:

الباب الأول: [فيما] يختصُّ بالأمور الدينية ، ويتشبَّث به القولُ في العصمةِ وفيه ستةَ عشرَ فَصْلاً.

الباب الثاني: في أحواله الدنيويَّة ، وما يجوز طُرُوؤُهُ عليه من الأعراض البشريَّة؛ وفيه تسعةُ فصول[5].

القسم الرابع: في تصرُّف وُجوهِ الأحكام علىٰ مَن تنقَّصهُ أو سبَّهُ عليه السلام ، وينقسم الكلام فيه في بابين:

الباب الأول: في بيان ما هو في حقِّه سَبٌّ ونَقْص؛ من تعريض ، أو نَصٍّ؛ وفيه عَشَرةُ فصول[6].

الباب الثاني: في حكم شانئه[7] ومُؤْذِيه وَمُنْتَقِصِه[8] ، وعقوبتِهِ ، وذِكْرِ اسِتتابَته ، والصلاة عليه ، ووِراثتِهِ؛ وفيه عَشَرةُ فصول[9].

---

(١) النكت: تقدم شرحها قبل قليل.
(٢) علىٰ هامش الأصل: «التقضِّي» نسخة. من تقضَّى الأمر إذا تم ومضىٰ. و(التقصي): بمعنىٰ الاستقصاء والتتبع ، أي: وعند بلوغ المقصد الأقصىٰ.
(٣) التَّفَصِّي: التَفلّت والتخلص.
(٤) يَشْرَقُ: يغصُّ. والمراد هنا: يتألم ويغتاظ ويضيق.
(٥) بل المعدود فيه ثمانية فصول بدون مقدمة الباب.
(٦) بل المعدود فيه تسعة فصول بدون مقدمة الباب.
(٧) شانئه: مبغضه.
(٨) في المطبوع: «وَمُتَنَقِّصِهِ»
(٩) المعْدود فيه أربعة فصول بدون مقدمة الباب.

وختمناهُ بباب ثالث جعلناه تكملةً لهذه المسألة ووُصْلةً للبابين اللذينِ قَبْله (٣/ب) في حُكم مَنْ سَبَّ الله تعالىٰ ورُسلَه وملائكته وكتُبه؛ وآل النبي ﷺ وصحبه.

وأختصر الكلام فيه في خمسة فصول[١]، وبتمامها يَنْـتَجِزُ الكتابُ[٢]، وتتمُّ الأقسام والأبواب، ويلُوح[٣] في غُرَّةِ[٤] الإيمان لُمعةً منيرةً[٥]، وفي تاج التراجم[٦] دُرَّةً خَطيرةً، تُزيح كل لَبْس[٧]، وتوضحُ كل تخمين[٨] وحَدْس[٩]، ويشفي[١٠] صُدورَ قومٍ مؤمنين، ويَصْدعُ[١١] بالحق، ويعرض[١٢] عن الجاهلين؛ وبالله تعالىٰ ـ لا إله سِوَاه ـ أستَعين.

* * *

---

(١) المعدود فيه تسعة فصول بدون مقدمة الباب.

(٢) (ينتجز الكتاب): ينتهي وينقضي.

(٣) (يلوح): يبدو ويظهر.

(٤) (غرة الإيمان): أي بياض جبهته ومقدمة طلعته / قاله الملا علي القاري.

(٥) (لمعة منيرة): أي قطعة منورة لمن اطلع عليها.

(٦) (التراجم): جمع ترجمة بمعنىٰ العبارة.

(٧) (تزيح كل لبس): تزيل كل إشكالٍ وشبهة.

(٨) (توضح كل تخمين): تكشف وتظهر كل قول من غير تحقيق.

(٩) الحَدْس: الظن والتخمين (مختار الصحاح). وهذه اللَّفْظَةُ سقطت من الأصل واستدركت علىٰ الهامش وعليها علامة الصحة.

(١٠) في المطبوع: وتشفي.

(١١) في المطبوع: وتصدع. ويصدع بالحق: يجهر به.

(١٢) في المطبوع: وتعرض. ويعرض عن الجاهلين: يتركهم.

القســم الأول

فِيْ تَـعْـظِيْـمِ الْـعَلِـيِّ الأَعْلـىٰ لِقَـدْر [هذا] الـنَّـبِـيِّ المُصْطَفـىٰ قَـوْلاً وَفِعْــلاً

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفَضل رحمهُ الله:

لا خفاء علىٰ مَنْ مارس شَيْئاً من العِلْم ، أو خُصَّ بأدْنَىٰ لمحة[1] مِنْ فَهم ، بتعظيم الله تعالىٰ قَـدْرَ نبينا عليه [الصلاة و]السلام ، وخصوصِه إياه بفضائل ومحاسن ومناقبَ لا تنضبط لزمام ، وتنويهه[2] مِنْ عظِيم قَدْرِه بما تَكِلُّ[3] عنه الألسِنةُ والأقلام.

فمنها: ما صَرَّح به تعالىٰ في كتابه ، ونَـبَّـه به علىٰ جَليل نصابه[4] ، وأثنىٰ به[5] عليه من أَخلاقه وآدابه ، وحضَّ العبادَ علىٰ التـزامِه ، وتَـقَـلُّـدِ إيجابه؛[6] فكانَ ـ جلَّ جلالهُ ـ هو الذي تفضّل وأَوْلىٰ ، ثم طَهَّر وزَكَّىٰ ، ثم مدَحَ بذلك

---

(١) أدنىٰ لمحة: أقل قدرٍ.

(٢) تنويهه: إشادته ومدحه. ومن الخطأ الشائع استعمال (نوّه) بمعنى (أشار).

(٣) تَكِلُّ: تعجز وتعيىٰ.

(٤) (جليل نصابه): أي: عظيم منصبه وشرفه ورفعته.

(٥) «به» ، لم ترد في المطبوع.

(٦) (تقلد إيجابه): أي بإطاعة جنابه فيما أوجبه في كتابه/ قاله القاري ١/ ٦٩ .

وأثنىٰ ، ثم أثَاب عليه الجزاءَ الأوْفىٰ ، فله الفَضْلُ بَدْءاً وعَوْداً ، وله الحمد أُولَىٰ وأُخرىٰ.

ومنها: ما أبْرزَه للعِيان مِنْ خَلْقِهِ علىٰ أتمِّ وجوهِ الكمال والجلال ، وَتَخصِيْصِهِ بالمحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة؛ وتأييدِهِ بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البيِّنَة التي شَاهَدَها مَنْ عاصَره ، ورآها من أَدْركه ، وعَلِمَهَا عِلْمَ يَقِين من جاءَ بعده ، حتى انتهىٰ عِلمُ حقيقة ذلك إلينا ، وفاضتْ أنواره علينا ، ﷺ كثيراً.

٢ ـ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي: الحُسين بن محمد الحافظ ـ رحمه الله ـ قراءةً مِنّي عليه؛ قال: حدثنا[١] أبو الحسين: المبَارك بن عبد الجبَّار ، وأبو الفَضْل: أحمد بن خَيْرُون (٤/أ)؛ قالا: حدَّثنا أبو يَعْلىٰ البغدادي؛ قال: حدثنا أبو علي السِّنْجِي؛ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب ، [قال]: حدثنا أبو عِيسى بنُ سَوْرةَ الحافظ؛ قال: حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الرزَّاق ، أخبرنا مَعْمَر ، عن قَتَادَةَ ، عن أَنَسٍ ، أن النبي ﷺ أُتي بالبُرَاق ليلَة أُسْرِي به ، مُلْجَمًا مُسْرَجاً ، فاستَصْعَبَ عليه؛ فقال له جبريلُ: أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعلُ هذا؟ فما رَكِبَكَ أحدٌ أكرمُ على الله تعالىٰ منه. قال: فارْفَضَّ عَرَقاً[٢].

* * *

(١) كلمة: «حدثنا» ، لم ترد في المطبوع.

(٢) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٣١٣١). وأخرجه أيضاً أحمد ٣/ ١٦٤ ، وأبو يعلىٰ (٣١٨٤) وغيره. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» وصححه ابن حبان (٤٦) الإحسان ، وسيورده المصنف برقم (٣٩١). (ملجماً) أي: موضوعاً في فمه اللجام. (مُسْرَجاً) أي: شد عليه السرج. (فاستَصْعَبَ عليه): أي إنه ﷺ لما أراد ركوبه لم يقر حتىٰ يركبه/ قاله الخفاجي. (ارفضَّ عرقاً): جرىٰ عرقه وسال. ثم سكن وانقاد وترك الاستصعاب.

البـابُ الأوّلُ
فِي ثَنَاءِ اللهِ تَعَالىٰ عَلَيْه وَإِظْهَارِهِ عَظِيْمَ قَدْرِه لَدَيْه

اعلم أن في كتاب الله العزيز آياتٍ كثيرةً مفصحةً بجميل ذِكْر المصطفىٰ ، وعَدِّ محَاسِنه ، وتعظيم أَمره ، وتنويه قَدْره ، اعتمدنا منها علىٰ ما ظهر معناه ، وبانَ فَحْواه ، وجمعنا ذلك في عشرة فصول .

الفَصْلُ الأوّلُ

فيما جاء من ذلك مَجيءَ المَدح والثناء وتَعداد المحاسن؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال السَّمَرْقَندِيُّ(١): وقرأ بعضهم: ﴿من أَنْفَسِكم﴾(٢) ـ بفتح الفاء. وقراءةُ الجمهور بالضم.

قال القاضي الإمام أبو الفضل ـ رحمه الله(٣) ـ: أعلَمَ اللهُ تعالىٰ المؤمنين ، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس ، علىٰ اختلاف المفسرين: مَن

---

(١) هو الإمام الفقيه الزاهد: نصر بن محمد السمرقندي الحنفي صاحب كتاب «تنبيه الغافلين». وغيره. توفي سنة (٣٧٥) هـ. له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٢ وغيره.

(٢) وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة/ قاله القاري ١/ ٨١ .

(٣) علىٰ هامش الأصل: «وفقه الله» نسخة. وأبو الفضل: هو القاضي عياض مصنف هذا الكتاب. وهذه العبارة من قول الناسخ، وسيعيدها مراراً.

المواجَهُ بهذا الخطاب أنه بَعَث فيهم رسولاً من أنفُسهم يعرفونه ، ويتحقَّقون مكانه ، ويَعلمون صدقَه وأمانته؛ فلا يتهمونه بالكذب ، وترْك النصيحة لهم ، لكونه منهم ، وأنه لم يكن في العرب قبيلة إلاَّ ولها علىٰ رسول الله ﷺ ولادة أو قَرابة[1] .

٣ ـ وهو عند ابن عباسٍ وغيره معني قوله تعالىٰ : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] [الشورىٰ : ٢٣] وكَوْنِهِ من أشرَفهم ، وَأَرْفَعِهم ، وأفْضلهم ، علىٰ قراءة الفتح؛ وهذه نهاية المدح؛ ثم وصفه بعدُ بأوصاف حَميدة ، وأثنىٰ عليه بمَحَامد كثيرة؛ من حِرْصه على هدايتِهم ، ورُشدهم ، وإسلامهم ، وشدة ما يُعنِّتُهم[3] ، ويضُرُّ بهم في دُنياهم وأُخْراهم ، وعزَّتِه عليه[4] ورأفته ورحمته بمؤمنيهم .

قال بعضُهُم : أَعطاهُ اسمَيْنِ من أسمائه : رؤوفٌ ، رَحيمٌ .

ومثلُه (٤/أ) في الآية الأخرىٰ قوله [تعالىٰ] : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وفي الآية الأخرىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] .

وقوله [تعالىٰ] : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٥١] .

٤ ـ ورُوي عن عليّ بن أبي طالب ، عنه ـ صلوات الله عليه ـ في قوله

---

(١) (ولادة أو قرابة) : قال القاري : (ولادة) : أي قرابة قريبة . (أو قرابة) : أي بعيدة .
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٨) ، والترمذي (٣٢٥١) .
(٣) (وشدة ما يعنتهم) : أي ما يشق عليهم ولا يطيقونه .
(٤) كلمة : «عليه» لم ترد في المطبوع .

تعالىٰ: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: «نَسباً وصهراً وحسَباً؛ ليس في آبائي من لَدُن آدم سِفَاح، كُلُّنا نِكاح»(١).

[قال ابنُ الكلبي(٢): كَتبتُ للنبي ﷺ خَمْس مئة أُمّ، فما وجَدْتُ فيهن سِفَاحاً ولا شيئاً مما كان عليه الجاهلية.

٥ ـ وعن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]؛ قال: مِنْ نَبيّ إلىٰ نَبيّ، حتَى أخرجَكَ نبيّاً](٣).

وقال جَعْفر بن محمد(٤): عَلِم اللهُ عجْزَ خَلْقِه عن طاعتِه، فعرَّفَهم ذلك؛ لكي يَعلَمُوا أَنَّهم لا ينالون الصفو من خدمته؛ فأقام بينهم وبينه مخلوقاً من جنسهم في الصُّورة، وألبسه من نَعْتِه الرأفةَ والرحمة، وأخرجَهُ إلىٰ الخَلْقِ سفيراً صادقاً، وجعل طاعته طاعتَهُ، وموافقته موافقتَه؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: ٨٠] وقال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال أبو بكر بن طاهر: زَيَّنَ اللهُ [تعالىٰ] محمداً ﷺ بزينة الرحمة؛ فكان كونُهُ(٥) رحمة، وجميع شمائله وصفاتِه رحمةً على الخَلْقِ؛ فمن أَصَابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدَّارَيْنِ من كلِّ مكروه، والواصلُ فيهما إلىٰ كل

---

(١) أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده، ومن طريقه الرامَهُرْمُزي في «الفاصل بين الراوي والواعي». وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٤: «فيه محمد بن جعفر بن علي، صحَّح له الحاكم في المستدرك، وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات».

(٢) هو محمد بن السائب الكلبي. نسَّابة مفسِّر. قال ابن حجر: «متهم بالكذب، ورمي بالرفض» مات سنة (١٤٦) هـ (التقريب)، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٣) ما بين حاصرتين حاشية من النسخة (ع) مثبتة على هامش الأصل، وقول ابن عباس ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٤ وقال: «رواه البزار ورجال ثقات» وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٧).

(٤) جعفر بن محمد: هو المعروف بالصادق، صدوق، فقيه، إمام. مات سنة (١٤٨). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥ ـ ٢٧٠.

(٥) كَوْنُـهُ: وُجُودُهُ.

محبوب؛ ألا ترىٰ أنَّ الله تعالىٰ يقولُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فكانت حياتُه رحمةً، ومماتُه رحمةً.

٦ ـ كما قال عليه السلام: «حَيَاتي خيرٌ لكم ومَوْتي خيرٌ لكم»(١).

٧ ـ وكما قال [عليه الصلاة والسلام]: «إذا أراد اللهُ رحمةً بأُمَّـةٍ قَبَض نبيَّها قَبْلَها فجعله لها فَرَطاً وسَلَفاً»(٢). وقال السَّمَرْقَنْدِي رحمه الله: ﴿رحمةً للعالمين﴾: يعني للإنس والجنِّ.

وقيل: لجميع الخَلق؛ للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمةً للمنافق بالأمانِ من القَتْلِ، ورحمةً للكافر بتأخير العذاب.

قال ابنُ عباس [رضيَ الله عنهما]: هو رحمةٌ للمؤمنينَ وللكافرين؛ إذ عُوفُوا مما أَصابَ غَيْرهم من الأمم المكذِّبة.

٨ ـ وحُكي أنَّ النبيَّ ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «هل أصابكَ من هذه الرحمة شيءٌ؟» قال: «نعم؛ كنتُ أَخْشَىٰ العاقبة فأَمِنْتُ لِثَناءِ الله عزَّ وجلَّ عليَّ بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾»(٣) [التكوير: ٢٠، ٢١].

ورُوي عن جَعْفر بن محمد (٥/أ) الصادق في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١] أي بكَ؛ إنما وَقعَتْ سلامتُهم مِنْ أجل كرامة محمد ﷺ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ

---

(١) أخرجه البزار (٨٤٥) كشف الأستار من حديث ابن مسعود. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤: «رجاله رجال الصحيح» وصححه السيوطي في مناهل الصفا (٨)، وانظر فيض القدير (٣/ ٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨٨) من حديث أبي موسىٰ الأشعري. (فرطاً): بمعنىٰ الفارط: المتقدم إلىٰ الماء لِيُهَيِّئَ السقي. يريد أنه شفيع يتقدم. (سلفاً): هو المُقَدَّمُ.

(٣) قال السيوطي في المناهل (١١): لم أجده.

﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

قال كعبٌ[١]، وابن جُبَير[٢]: المراد بالنور الثاني ـ هنا ـ محمدٌ عليه السلام. وقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: نور محمدٍ ﷺ.

وقال سَهْلُ بنُ عبدِ اللهِ[٣]: المعنى: اللهُ هادي أهل السموات والأرض؛ ثم قال: مَثَل نورِ محمد إذ كان مستودعاً في الأصلاب كَمِشكَاة صفتها كذا؛ وأراد بالمصباح: قلبَه، وبالزجاجة[٤] صدره؛ أي كأنه كوكبٌ دُرِّيٌّ لما فيه من الإيمان والحكمة ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: من نور إبراهيم. وضرب المَثَل بالشجرة المباركة.

وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ أي: تكاد نبوّة محمد ﷺ تَبينُ للناس قَبْل كلامه كهذا الزيت.

وقد[٥] قيل في هذه الآية غيرُ هذا. والله أعلم.

وقد سماه الله تعالىٰ في القرآن في غير هذا الموضع نوراً، وسراجاً منيراً؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

وقال [تعالىٰ]: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦].

ومن هذا قولهُ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ

---

(١) هو كعب الأحبار، علامة حِبْر، كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ. مات في أواخر خلافة عثمان. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩.

(٢) ابن جبير هو سعيد. تابعي ثقة ثبت فقيه. قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١ ـ ٣٤٣

(٣) هو سهل بن عبد الله التُسْتري، الصوفي الزاهد. مات سنة (٢٨٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠

(٤) في الأصل «والزجاجة» والمثبت من المطبوع.

(٥) «قد»، لم ترد في المطبوع.

أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح].

شَرَحَ: وَسَّع. والمراد بالصَّدْر هنا: القَلْب. قال ابنُ عباس: شرحه بالإسلام.

وقال سَهْلٌ: بنورِ الرسالة.

وقال الحسن[1]: مَلأَه حُكْماً وعِلْماً.

وقيل: معناه ألم نُطَهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس؟

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ قيل: ما سلف من ذَنْبِك، يعني: قبل النبوَّة.

وقيل: أراد ثِقَلَ أيام الجاهلية.

وقيل: أراد ما أثقل ظَهْرَه من الرسالة حتى بلَّغها. حكاه الماوَرْدِيُّ[2] والسُّلَمِيُّ[3].

وقيل: عَصَمْنَاك، ولولا ذلك لأثقلتِ الذنُوبُ ظهرك؛ حكاه السَّمَرْقَنْدي.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ قال يحيىٰ بن آدم[4]: بالنبوة (٥/ب) وقيل: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي، قَوْلَ: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وقيل: في الأذان.

قال الفقيه القاضي أبو الفَضْل رحمه الله: هذا تقريرٌ مِنَ الله جلَّ اسْمُه لنبيِّه

---

(١) الحسن: هو البصري، تابعي، ثقة فقيه فاضل مشهور. مات سنة (١١٠) هـ. ترجمه العلامة أبو الحسن الندْوي في كتابه «رجال الفكر والدعوة في الإسلام». وله ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣

(٢) الماوردي: هو علي بن محمد. صاحب كتاب «الحاوي» و«الأحكام السلطانية» وغيره. مات سنة (٤٥٠) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٦٤

(٣) السُّلَميُّ: هو محمد بن الحسين، إمام حافظ محدث، صوفي. قال الذهبي: «في تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة». مات سنة (٤١٢) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٧

(٤) يحيىٰ بن آدم، ثقة حافظ فاضل مات سنة (٢٠٣) هـ (التقريب).

عليه السلام علىٰ عَظِيم نعمه لَدَيْه ، وشَرِيف مَنْزِلَته عِنْدَه ، وكرامتهِ عليه؛ بأَنْ شرحَ قَلْبه للإيمان والهداية ، وَوَسَّعَهُ لِوَعْي العِلْم ، وَحملِ الحِكْمة ، ورَفَعَ عنه ثِقلَ أُمورِ الجاهلية عليه ، وبغَّضَهُ لِسِيَرِها ، وما كانَتْ عليه بظهور دِينِـهِ علىٰ الدِّين كُلِّه ، وحَطَّ عنه عُهدةَ أَعباءِ الرسالة والنبوَّة لتبليغه للناس ما نُزِّل إليهم ، وتَنويهه بعظيم مَكانه ، وجَلِيل رُتْبَته ، ورفعه ذِكْرَه ، وقِرَانِه[1] مع اسمهِ اسْمَه.

قال قَتَادةُ[2]: رفَع اللهُ ذِكْرَهُ في الدُّنيا والآخِرة فليس خطيبٌ ولا متشهِّدٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلاَّ يقول: أَشهدُ أَنْ لا إله إلا الله وأن محمَّداً رسولُ الله.

٩ - وروَىٰ أبو سَعيد الخُدْرِي أن النبيَّ ﷺ قال: «**أَتاني جبريلُ عليه السلام ، فقال: إن ربِّي وربَّك يقولُ: تَدْرِي كيف رفعتُ ذِكْرك؟ قلتُ: الله ورسوله أَعْلَم. قال: إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي**»[3].

قال ابنُ عَطَاء[4]: جعلتُ تَمام الإيمان بذِكْري معك.

وقال أيضاً: جعلتُكَ ذكراً من ذِكْري ، فمَنْ ذَكَرك ذَكَرني.

وقال جَعْفَرُ بنُ محمد الصادق: لا يذكرك أحد بالرسالة إلاَّ ذكرني بالربوبيّة.

وأشار بعضهم في ذلك إلىٰ الشفاعة.

وَمِنْ ذِكْرِه معه تعالىٰ أن قَرَن طاعتهَ بطاعته واسْمَه باسْمِهِ؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. و﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

---

(١) وقِرانه: وجَمْعِهِ.

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي، تابعي ثقة ثبت. مات سنة بضع عشرةَ ومئة. مترجم في السير ٥/ ٢٦٩.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (١٣٨٠) وغيره ، وصححه ابن حبان (١٧٧٢) موارد الظمآن، والضياء في «المختارة» ، والسيوطي في الجامع الصغير (٨٣)، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٤.

(٤) هو الزاهد العابد أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء. مات سنة (٣٠٩) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥).

[الحديد: ٧]؛ فجمع بينهما بواو العطف المُشَرِّكة.

ولا يجوز جَمعُ هذا الكلام في غير حقّه عليه السلام.

١٠ ـ حدثنا الشيخ أبو علي: الحُسين بنُ محمد الجيّاني الحافظ فيما أجازَنيه، وقرأتهُ على الثّقة عنه. قال: حدثنا أبو عُمَرَ النَّمَرِيُّ؛ قال: حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن، حدثنا أبو بكر بنِ داسةَ، حدثنا أبو داود السِّجْزِيُّ، حدثنا أبو الوليد الطَّيالِسِيُّ، حدثنا (٦/أ) شُعبة، عن منصور، عن عبد اللهِ بن يَسَار، عن حُذَيفَةَ، عن النبي ﷺ؛ قال: «**لا يَقُولَنَّ أحدُكم ما شاءَ الله وشاءَ فُلانٌ، ولكن ما شاءَ اللهُ، ثم شَاءَ فلان**»[١].

قال الخطَّابي[٢]. أرشدهم ﷺ إلىٰ الأدب في تقديم مشيئة الله تعالىٰ على مشيئة مَنْ سِواه، واختارها بـ«ثم» التي هي للنَّسَق والتراخِي، بخلاف «الواو» التي هي للاشتراك.

١١ ـ ومثله الحديثُ الآخر: إن خطيباً خطب عند النبي ﷺ، فقال: مَنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُوله فقد رَشَد، وَمَنْ يَعْصِهما[٣]. فقال له النبيُّ ﷺ: «**بِئْسَ خطيبُ القوَمِ أَنتَ! قُمْ**» أو قال: «**اذهَب**»[٤]. قال أبو سليمانَ: كَرِهَ منه الجَمْعَ بين الاسمين بحَرْفِ الكناية لما فيه من التسويةِ.

وذهب غَيْـرُه إلىٰ أنه إنما كَرِه له الوقوفَ علىٰ «**يَـعْصِهما**».

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٩٨٠). وأخرجه أيضاً النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٥)، وابن السني (٦٦٦)، وأحمد ٥/ ٣٨٤ وصححه النووي في الأذكار برقم (١١٨٣)، وفي رياض الصالحين (١٨٣٨) كلاهما بتحقيقي.

(٢) هو حَمْد بن محمد: أبو سليمان الخطَّابي، إمام حافظ توفي سنة (٣٨٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣.

(٣) علىٰ هامش الأصل زيادة: «فقد غوى». ولم أثبتها في المتن لأن لفظ الحديث لأبي داود، ولم ترد فيه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٨١) واللفظ له، والنسائي ٦/ ٩٠ من حديث عدي بن حاتم. وانظر الرواية التالية.

١٢ ـ وقولُ أَبي سليمان أَصَحُّ؛ لما رُوِي في الحديث الصحيح أنه قال: «ومَنْ يَعْصِهما فقد غوَىٰ»[١]، ولم يذكر الوقوف علىٰ «يعصِهما».

وقد اختلف المفسِّرون وأصحابُ المعاني في قوله [تعالىٰ]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ هل ﴿يصلون﴾ راجعة علىٰ الله تعالىٰ والملائكةِ أم لا؟.

فأجازهُ بعضُهم، ومَنَعَهُ آخرون، لِعِلَّة التشريك، وخَصُّوا الضمير بالملائكة؛ وقَدَّرُوا الآية: إنَّ اللهَ يصلِّي، وملائكته يُصَلون.

١٣ ـ وقد روي عن عُمر رضي الله عنه أنه قال: مِنْ فَضيلتك عنْد الله أَنْ جعل طاعتَك طاعتَهُ؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٢] [النساء: ٨٠].

وقد قال [تعالىٰ]: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

١٤ ـ ورُوي أنه لما نزلت هذه الآيةُ قالوا: إنَّ محمداً يريد أن نتَّخذَه حنَاناً[٣] كما اتخذت النصارى عيسىٰ، فأنزلَ اللهُ [تعالىٰ]: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[٤] [آل عمران: ٣٢] فقَرَنَ طاعته بطاعته رغماً لهم.

١٤م ـ وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالىٰ في أمِّ الكتاب: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] فقال أبو العالية[٥]، والحسن البَصْري: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هو رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٧٠).

(٢) قال السيوطي في المناهل (١٨): «لم أجده».

(٣) علىٰ هامش الأصل ما نصه: «الحنان: العطف والرحمة والبركة، ومرَّ ورقة بن نوفل ببلالٍ وهو يعذب فقال: والله! لَئِن قتلتموه لأتخذنَّه حناناً: أي لأتمسَّحنَّ به».

(٤) نسبه السيوطي في المناهل (١٩) إلىٰ ابن المنذر بنحوه عن مجاهد وقتادة.

(٥) هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي. تابعي جليل مات سنة (٩٠) أو (٩٣) هـ. (التقريب).

وخِيار أهل بيته ، وأصحابه؛ حكاه عنهما (٦/٢) أبو الحسن الماوَرْدِيُّ ، وحكى مكيٌّ[١] عنهما نحوه؛ وقال: هو رسول الله ﷺ وصاحِباه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٢].

وحكىٰ أبو اللَّيث السَّمَرْقَندي مثلَه ، عن أبي العالية ، في قوله [تعالىٰ]: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾؛ قال: فبلغَ ذلك الحَسنَ؛ فقال: صدقَ واللهِ! ونَصَح.

وحكىٰ المَاوَرْدِي ذلك في تفسير: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، عن عبد الرحمن بن زَيْد[٣].

وحكىٰ أبو عَبْدِ الرحمن السُّلَميّ ، عن بعضهم ، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أنه محمد عليه السلام.

وقيل: الإسلام.

وقيل: شهادة التوحيد.

وقال سَهْلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨] قال: نعمتُه بمحمد عليه السلام.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣ ، ٣٤].

أكثَرُ المفسرين علىٰ أن الذي جاء بالصِّدْق هو محمد ﷺ.

---

(١) هو مكِّيُّ بن أبي طالب ، علاَّمة مقرىء. توفي سنة (٤٣٧) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩١.

(٢) قال السيوطي في المناهل (٢٠): «أخرجه بلفظ مَكِّيٍّ ابنُ جرير وابن أبي حاتم ، ثم أخرجه في المستدرك (٢/ ٢٥٩) من رواية أبي العالية ، عن ابن عباس وصححه».

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال الذهبي: كانَ صاحب قرآن وتفسير. توفي سنة (١٨٢) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٤٩

وقال بعضُهم: وهو الذي صدَّق به.

وقرىء: صَدَق، بالتخفيف.

وقال غيرهم: الذي صدَّق به المؤمنون.

وقيل: أبو بكرٍ. وقيل: عليٌّ. وقيل غير هذا من الأقوال.

١٥ ـ وعن مُجَاهِدٍ[١] في قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] قال: بمحمد ﷺ وأصحابه[٢].

الفصل الثاني

فيْ وصْفِهِ لَهُ تَعالىٰ بالشَّهادَةِ وما يَتَعَلَّقُ بِها مِنَ الثَّناءِ والْكَرَامَةِ

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

جمع الله تعالىٰ في هذه الآية ضُروباً من رُتَب الأُثْرَةِ[٣]، وجُمْلَةَ أوصاف من المِدْحة؛ فجعله شاهِداً علىٰ أمَّته لِنَفْسِه بإبلاغهم الرِّسالة؛ وهي من خصائصه عليه السلام ومُبَشِّراً لأهلِ طاعته؛ ونَذِيراً لأهل معصيته، وداعِياً إلىٰ توحيده وعبادته؛ وسِرَاجاً مُنيراً يُهْتَدىٰ به لِلْحَقِّ.

١٦ ـ حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتّاب [رحمه الله] قال: حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القابِسيُّ، حدثنا أبو زَيدٍ المَرْوزيُّ، حدثنا أبو عَبْد اللهِ: محمد بن يوسف، حدثنا البخاري (٧/أ)، حدثنا محمد بن

---

(١) هو مجاهد بن جبر، شيخ القراء والمفسرين. مات وهو ساجد سنة (١٠٢) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩).

(٢) نسبه السيوطي في المناهل (٢١) إلىٰ ابن أبي حاتم وابن جرير.

(٣) الأُثْرَةُ: المكرمة المتوارثة.

سِنَان ، حدثنا فُلَيْح ، حدثنا هلال ، عن عطاء بن يَسَار ، قال: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بن عمْرِو بن العاص ، قلتُ: أَخْبِرْني عن صِفَةِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: أَجَل ، واللهِ! إنه لموصوفٌ في التَّوْرَاة ببعض صفته في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] ، وحِرْزاً لِلأُمِّيِّيْنَ ، أَنْتَ عَبْدِي ورسولي ، سمَّيتُك المتوكِّلَ ، ليس بفَظٍّ ، ولا غليظ ، ولا صَخَّاب في الأسواق ، ولا يدفَعُ بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يَعْفُو ويَغْفِر ، ولن يَقْبِضَهُ اللهُ حتى يُقيمَ بهِ المِلَّةَ العَوجَاء ، بأنْ يقولوا: لا إله إلاَّ اللهُ ، ويَفْتَحَ به أَعيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً(١).

١٧ ـ وذُكِر مثلُه عن عبد اللهِ بن سَلاَم(٢).

١٨ ـ وكَعْبِ الأَحبار(٣).

١٩ ـ وفي بعضِ طُرُقِهِ عن ابن إسحاق: ولا صَخِبٍ في الأسواق ، ولا مُتَزَيِّنٍ بالفُحْش ، ولا قوَّال للخنَا؛ أُسَدِّدُه لكل جميل ، وأَهَبُ له كلَّ خلق كريم ، وأجعلُ السكينةَ لباسَه ، والبِرَّ شِعَارَه ، والتَّقْوَىٰ ضميرَه ، والحكمةَ مَعْقولَهُ ، والصدقَ والوفاءَ طبيعتَه ، والعفوَ والمعروفَ خُلُقَه ، والعَدْلَ سيرتَه ، والحقَّ شريعَتَهُ ، والهدَىٰ إمامَهُ ، والإِسلامَ مِلَّتَه ، وأَحْمَد اسْمَه ، أهدي به بعد الضلالةِ ، وأُعَلِّم به بعد الجَهالة ، وأرفعُ به بعد الخَمَالَةِ ، وأُسَمِّي

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٢١٢٥). وسيعيده المصنف برقم (٢١٣). (حِرزاً): حافظاً. (للأميِّين): أي للعرب: (صخَّاب): ويروىٰ بالسين أيضاً. قال ابن الأثير: أي ليس ممن ينافس في الدنيا وجمعها فيحضر الأسواق لذلك ، ويسخب معهم في ذلك. والسَّخبُ: الصياح والجلبة. (الفظّ): القاسي القلب ، الغليظ الجانب. (الملة العوجاء): أي مِلَّة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام. (غُلْفاً): جمع أغلف وهو الذي عليه غلاف.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٢١٢٥). قال الحافظ في الفتح ٤/ ٣٤٣: «وطريقه هذه وصلها الدارمي في مسنده برقم(٦) ، ويعقوب بن سفيان في تاريخه ، والطبراني ، جميعاً ، بإسناد واحدٍ عنه». وسيعيده المصنف برقم (٢١٢).

(٣) حديث كعب الأحبار أخرجه أحمد ٢/ ١٧٤ ، وهو حديث صحيح.

به بعد النُّكْرة ، وأكثِّرُ به بعد القِلَّة ، وأُغني به بعد العَيْلَةِ ، وأجمعُ به بعد الفُرْقَة ، وأؤلِّف به بينَ قُلوبٍ مختلفةٍ ، وأهواءٍ متشتِّتةٍ ، وأممٍ مُتَفَرِّقة ، وأَجعلُ أُمَّتَه خَيْرَ أُمةٍ أُخرِجَتْ للناس[1] .

٢٠ ـ وفي حديث آخر : أَخبرنا رسولُ الله ﷺ عن صِفته في التَّوْراة : «عَبْدِي أَحْمدُ المختارُ ، مَوْلدهُ بمكةَ ، ومُهاجَرُه بالمدينة ـ أو قال : طَيْبة ـ أُمَّتُهُ الحَمَّادون لله علىٰ كلِّ حال»[2] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧ ، ١٥٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

قال السَّمَرْقَنْديُّ : ذَكَّرهم اللهُ مِنَّتَهُ أنه جعل رسوله رحيماً بالمؤمنين ، رؤوفاً ليِّن الجانبِ ، ولو كان فظّاً خَشناً (٧/ب) في القول لتفرَّقُوا من حوله ، ولكن جعله الله [تعالىٰ] سَمْحاً ، سَهْلاً طَلْقاً بَرّاً لطيفاً .

---

(١) قال في المناهل (٢٥) : «أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير سورة الفتح عن وهب بن مُنَبِّه» . وانظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٧١ . (الخنا) : القول الفاحش . (العَيْلَة) : الفقر . (الخمالة) : يقال خمل ذكره : خفي .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧١ من حديث ابن مسعود وقال : «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم» . وزاد نسبته السيوطي في المناهل (٢٦) إلىٰ أبي نعيم في الدلائل . وانظر الدارمي ١/ ٤ ـ ٦ .

هكذا قاله الضَّحَّاكُ[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال أبو الحسَنِ القابسي[2]: أَبَانَ اللهُ [تعالىٰ] فَضْلَ نبينا ﷺ، وفَضْلَ أُمتهِ بهذه الآية، وفي قوله في الآية الأخرىٰ: ﴿ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨].

وكذلك قوله [تعالىٰ]: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقوله [تعالىٰ]: وَسَطاً: أي عَدْلاً خِياراً.

ومعنى هذه الآية: وكما هدَيْنَاكُم فكذَلكَ خصَصْنَاكُم وَفَضَّلْناكم بأَنْ جعَلْناكم أمةً خِياراً عدولاً؛ لتشهدوا للأنبياء عليهم السلام علىٰ أُمَمِهم، ويشهدَ لكم الرسولُ بالصِّدْق.

٢١ ـ [و] قيل: إنّ اللهَ جلَّ جلالهُ إذا سأل الأنبياءَ: هل بلَّغْتُم؟ فيقولون: نَعَمْ. فتقول أُمَـمُهُم: ما جاءنا مِنْ بشيرٍ ولا نَذيرٍ؛ فتشهد أمّـةُ محمدٍ ﷺ للأنبياء[3]؛ ويُزكِّيهم النبيُّ ﷺ[4].

وقيل: معنى الآية: إنكم حُجَّةٌ علىٰ كلِّ مَنْ خالفكم، والرسولُ حجّةٌ عليكم. حكاه السَّمَرْقندي.

وقال [الله] تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

---

(١) الضَّحَّاك: هو ابن مزاحم، تابعي من أوعية العلم مات بعد سنة (١٠٠) هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨.

(٢) هو الإمام الحافظ الفقيه، عالم المغرب: علي بن محمد المعافري. مات بمدينة القيروان سنة (٤٠٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٥٨.

(٣) على هامش الأصل زيادة: «عليهم» وهي ليست في المطبوع.

(٤) هذا المعنى جاء في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٣٣٣٩).

قال قَتادة ، والحسَن ، وزَيْد بن أسلم[1] : ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ : هو محمدٌ ﷺ ، يشفَعُ لهم .

وعن الحسَن أيضاً قال : هي مصيبتُهم بنبيِّهم .

وعن أبي سَعِيد الخُدْري [رضي الله عنه] : هي شفاعةُ نبيِّهم محمدٍ ﷺ ؛ هو شفيعُ صِدْقٍ عنْدَ ربهم .

وقال سَهْلُ بن عبد اللهِ التُّسْتَرِيُّ : هي سابقةُ رحمةٍ أودعها [الله] في محمد ﷺ .

وقال محمد بن علي التِّرْمِذِيُّ[2] : هو إمامُ الصادقين والصدِّيقين ، الشفيعُ المُطَاع ، والسائلُ المُجابُ ، محمدٌ ﷺ ، حكاه عنه السُّلَمِيُّ .

الفصل الثالث

فِيمَا وَرَدَ فِي[3] خِطَابِهِ إيَّاهُ مَوْرِدَ المُلاَطَفَةِ والمَبَرَّةِ

من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٤٣] .

قال أبو محمد : مَكِّيٌّ : قيل : هذا افتتاحُ كلام بمنزلة : أصلحكَ الله ، وأعزَّك الله (٨/أ) . وقال عَون بن عبد الله[4] : أخبره بالعَفْو قبل أنْ يُخْبِره بالذَّنْب .

---

(١) هو الإمام الحجة القدوة ، أبو عبد الله العدوي الفقيه . مات سنة (١٣٦) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٦ .

(٢) هو المعروف بالحكيم الترمذي صاحب «نوادر الأصول» . وهو غير الترمذي صاحب الجامع الصحيح . قال الحافظ الذهبي : «له حكم ومواعظ وجلالة ، لولا هفوة بدت منه» . مات نحو سنة (٣٢٠) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩

(٣) في المطبوع : «من» .

(٤) هو الإمام القدوة العابد : أبو عبد الله الهذلي . توفي سنة بضع عشرة ومئة للهجرة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٣ .

[و] حكىٰ السَّمَرْقَنْدِي عن بعضهم أنَّ معناه: عافاكَ اللهُ، يا سليم القلبِ! لِمَ أذِنْتَ لهم؟.

قال: ولو بدأ النبيَّ ﷺ بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ لخِيفَ عليه أنْ يَنْشقَّ قلبهُ من هيبةِ هذا الكلامِ، لكنَّ الله تعالىٰ برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قَلْبُه، ثم قال له: لم أَذِنْتَ لهم بالتخلف حتى يتبيَّنَ لك الصادقُ في عُذْرِه من الكاذب؟

وفي هذا منْ عظِيم منزلته عند الله ما لا يَخْفىٰ على ذي لُبٍّ.

ومن إكرامه إياه وبرِّه به ما ينقطِعُ ـ دون معرفةِ غايتهِ ـ نِيَاطُ القَلْبِ[1]. قال نِفْطَوَيْه[2]: ذهب ناسٌ إلىٰ أنَّ النبيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بهذه الآية، وحاشَاهُ من ذلك، بل كان مُخَيَّراً فلما أَذِنَ لهم أعلمه اللهُ [تعالىٰ] أنه لو لَمْ يَأْذَنْ لهم لقَعَدُوا لِنفاقِهم، وأنه لا حَرجَ عليه في الإذْنِ لهم.

قال القاضي أبو الفضل ـ رحمه الله ـ: يجبُ علىٰ المسلم المجاهدِ نَفْسَهُ، الرائضِ[3] بزِمام الشريعةِ خُلُقَه، أَن يتأَدَّبَ بأَدَبِ القرآن في قوله وفعْله، ومعُاطاتِه ومُحَاوراته، فهو عُنْصُرُ المعارف الحقيقيةِ، وروضةُ الآداب الدينية والدُّنْيَوية، ولْيتأَمَّل هذه الملاطفة العجيبةَ في السؤال من رَبِّ الأرباب، المُنْعِم على الكلِّ، المُسْتَغْني عن الجميع، ويَسْتثيرُ[4] ما فيها من الفوائد، وكيف ابتدأ بالإكرامِ قبل العَتْبِ، وآنسَ بالعفو قبل ذكْرِ الذنب، إنْ كان ثَمَّ ذَنْبٌ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

قال بعضُ المتكلمين: عاتَب اللهُ [تعالىٰ] الأنبياءَ [عليهم السلام] بَعْد

---

(١) نياط: عرق غليظ عُلِّق به القلب إلىٰ الرئتين (المعجم الوسيط). وعلى هامش الأصل: «النياط: عرق غُلِّف به القلب».

(٢) هو الإمام الحافظ النحوي العلامة الإخباري إبراهيم بن محمد. ولد سنة (٢٤٤) هـ ومات في سنة (٣٢٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٥.

(٣) المذلِّل.

(٤) يستثيرُ: يظهر. وفي المطبوع: «وَيَسْتَشِر».

الزَّلَّات ، وعاتب نبيَّنا عليه السلام قبل وُقُوعِه ، ليكونَ بذلك أشدَّ انتهاءً ومحافظةً لشرائطِ المَحبَّةِ ، وهذه غايةُ العِناية .

ثم انْظُر كيف بدأ بثَباتِه وسلامتهِ قبل ذِكْرِ ما عَتَبه عليه وخِيف أنْ يَرْكنَ إليه ، ففي أثناءِ عَتْبِه براءتُه ، وفي طيِّ (٨/ب) تَخوِيْفِهِ تأمينهُ وكرامتهُ.

ومثله قولُه تعالىٰ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

٢٢ ـ قال عليّ رضيَ اللهُ عنهُ: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنَّا لا نُكذِّبُكَ ولكن نُكذِّبُ ما جِئْتَ به ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1] [الأنعام: ٣٣].

٢٣ ـ ورُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ لما كذّبه قومُه حَزِن ، فجاءه جبريلُ عليه السلام فقال: ما يُحْزِنُك؟ قال: «كَذَّبَنِي قَوْمِي» فقال: إنهم يَعْلمونَ أنكَ صادِق ، فأنزل الله [تعالىٰ] الآية[2].

ففي هذه الآيةِ مَنْزَعٌ لطيفُ المأخَذ ، مِنْ تَسْليتِه تعالىٰ له عليه السلام ، وإلطافه [به] في القَوْلِ ، بأَنْ قَرَّرَ عنده أنه صادقٌ عندهم ، وأنَّهم غَيْرُ مكذِّبين له ، مُعْتَرِفون بصِدْقه قولاً واعتقاداً ، وقد كانوا يُسَمُّونه ـ قَبْل النبوَّة ـ الأمينَ ، فدَفع بهذا التقرير ارْتِمَاضَ[3] نَفْسِه بِسِمَةِ الكذب ، ثم جعل[4] الذَّمَّ لهم بتَسْمِيتهم جاحِدِينَ ظالمين ، فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فحاشاه من الوَصْمِ[5] ، وطوَّقَهُم بالمعاندة بتكذيب الآياتِ حقيقةَ الظُّلْمِ ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤) ، وصححه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٥ ، والعلامة أحمد شاكر في عمدة التفسير ٥/ ٢٥ . وسيعيده المصنف برقم (٢٨٠).

(٢) قال في المناهل (٣٣): «لم أجده».

(٣) ارتماض: ارتمض من كذا: اشتد عليه وأقلقه (المعجم الوسيط).

(٤) فوقها أثبت الناسخ كلمة: «الرب».

(٥) فحاشاه من الوصم: أي نزّهه وبرّأه من العيب والعار.

إذ الجَحْدُ إنما يكون ممَّن علمَ الشيء ثم أنكره ، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ثم عَزَّاه وآنَسه بما ذكره عمَّنْ قَبْله ، ووعده النصْرَ بقوله [تعالىٰ]: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فمَنْ قرأ [﴿لا يُكْذِبُونَك﴾ بالتخفيف[١] ، فمعناه: لا يَجِدونكَ كاذباً. وقال الفَرَّاءُ[٢] ، والكِسَائِي[٣]: لا يقولونَ إنكَ كاذب.

وقيل: لا يَحْتَجُّون على كَذِبك ، ولا يُثْبِتُونه.

ومن قرأ بالتشديد فمعناه: لا يَنْسُبُونَك إلىٰ الكذب. وقيل: لا يعتقدون كذبَكَ.

ومما ذُكر من خصائصه، وبرِّ الله تعالىٰ به، أنَّ الله تعالىٰ خاطبَ جميعَ الأنبياء بأسمائهم ، فقال تعالىٰ: يا آدم! يا نوح! يا إبراهيم![٤] [يا موسىٰ]! يا داود! يا عيسى! يا زكريا! يا يحيىٰ! ولم يخاطَبْ هو إلاَّ: يا أيُّها الرسولُ! يا أيها النبيُّ! يا أيُّها المُزَّمِّل! يا أيها المُدَّثِّر!

الفصل الرابع
فِيْ قَسَمِهِ تَعالىٰ بِعَظِيْمِ قَدْرِهِ

قال الله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجْر: ٧٢].

اتَّفَق أهْلُ (٩/أ) التفسير في هذا أنه قَسَمٌ من الله ـ جلَّ جلالهُ ـ بمُدَّةِ حياةِ

---

(١) هذه قراءة نافع والكسائي (المبسوط في القراءات العشر).

(٢) هو الإمام العلامة يحيىٰ بن زياد الأسدي ، النحوي. مات بطريق الحج سنة (٢٠٧) هـ وله ثلاث وستون سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/١١٨.

(٣) هو الإمام شيخ القراءة والعربية: علي بن حمزة الأسدي ، الملقب بالكسائي ، لكساءٍ أحرم فيه ، مات سنة (١٨٩) هـ عن سبعين سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١.

(٤) قوله: «يا إبراهيم» لم يرد في المطبوع.

محمد ﷺ ، وأَصْلُه ضَمُّ العين ، مِن العُمُرِ ، ولكنها فُتحت لكثرة الاستعمالِ. ومعناه: وبقائكَ! يا محمد! وقيل: وعَيْشِكَ! وقيل: وَحَيَاتِكَ!

وهذه نِهَايَةُ التعظيم ، وغايةُ البِرِّ والتشريف. قال ابنُ عباس [رضي الله عنهما]: ما خلقَ الله [تعالىٰ] ، وما ذَرَأَ ، وما بَرَأَ نفساً ـ أكرمَ عليه مِنْ محمد ﷺ ، وما سمعتُ الله تعالىٰ أقسم بحياةِ أحدٍ غَيْرِه.

وقال أبو الجَوْزَاء[1]: ما أَقْسَمَ الله تعالىٰ بحياةِ أَحَدٍ غَيْرِ محمدٍ ﷺ؛ لأنه أَكْرَمُ البريَّةِ عنده.

وقال تعالىٰ: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ. . .﴾ الآيات [يسٓ: ١ ، ٢].

اختلف المُفَسِّرون في معنىٰ ﴿يسٓ﴾ علىٰ أقوال:

٢٤ ـ فحكىٰ أبو محمد ، مَكِّيٌّ: أنه رُوي عن النبي ﷺ [أنه] قال: «لي عند رَبِّي عَشَرَةُ أسماءٍ» ذكر أَنَّ منها: ﴿طه﴾ و﴿يس﴾ ، اسمانِ له[2].

وحكىٰ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ، عن جَعْفَرٍ الصادق ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه أراد: يا سيّدُ! مخاطبةً لنبيه ﷺ.

وعن ابن عباس: ﴿يسٓ﴾ يا إنْسَان! أرادَ محمداً ﷺ.

وقال: هو قَسَمٌ ، وهو من أَسْماء الله تعالىٰ.

---

(١) هو أوس بن عبد الله البصري ، تابعي من كبار العلماء والعباد. قتل يوم الجماجم سنة (٨٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧١.

(٢) قال السيوطي في المناهل رقم (٣٥): «أبو نعيم في الدلائل ، وابن مردويه في تفسيره من طريق أبي يحيىٰ التيمي ، وهو وضّاع ، عن سيف بن وهب ، وهو ضعيف ، عن أبي الطفيل» وسيعيده المصنف برقم (٦٢١). وقال العلامة ابن قيم الجوزية في تحفة المودود ص(٩٣) بتحقيقي: «وأما ما يذكره العوام أن ﴿يس﴾ و﴿طه﴾ من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح ، ليس ذلك في حديث صحيح ، ولا حسن ، ولا مرسل ، ولا أثر عن صاحب ، وإنما هذه الحروف مثل ﴿آلم﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿آلر﴾ ونحوها».

وقال الزجَّاج[1]: قيلَ: معناه يا محمد! وقيل: يا رَجُل! وقيل: يا إنسان!

وعن ابْنِ الحنَفِية[2]: ﴿يسٓ﴾: يا محمد!

وعن كَعْب: ﴿يسٓ﴾ قَسَمٌ أقسم اللهُ تعالىٰ به قَبْلَ أنْ يَخلُقَ السماءَ والأرضَ بألْفَيْ عام: يا محمَّدُ! إنكَ لمنَ المرسلين. ثم قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يسٓ: ٢، ٣].

فإنْ قُدِّرَ[3] أنه من[4] أسمائه ﷺ، وصَحَّ[5] فيه أنه قسَمٌ، كان فيه من التعظيم ما تقدَّمَ، ويُؤكِّدُ فيه القَسَم عطفُ القَسَمِ الآخرِ عليه، وإنْ كان بمعنى النداء فقد جاءِ قَسَمٌ آخر بعْدَه لتحقيقِ رِسالته، والشهادةِ بهدايته. أقسم [الله] تعالىٰ باسْمِه وكتابهِ إنه لَمِنَ المُرْسَلِين بوَحْيه إلىٰ عِبادِه، وعلىٰ صراطٍ مستقيم من إيمانِه، أي طريقٌ لا اعْوِجاجَ فيه، ولا عُدولَ عن الحق.

قال النَّقاشُ[6]: لم يُقْسِم الله تعالىٰ لأحَدٍ من أنبيائه بالرسالة في كتاب إلاَّ له، وفيه مِنْ تَعظيمه وتَمْجِيدِه ـ علىٰ تأويل مَنْ قال: أنه يا سيِّد! ـ مافيه.

٢٥ ـ وقد قال عليه السلامُ: «أنا سيِّدُ ولَدِ آدَمَ [ولا فخر]»[7].

وقال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلُّۢ (٩/ب) بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١، ٢].

---

(١) هو إبراهيم بن محمد البغدادي. نحوي زمانه. مات سنة (٣١١) هـ علىٰ خلاف في ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٠.

(٢) هو محمد بن الإمام علي بن أبي طالب. من كبار التابعين. أمه من سبي اليمامة وهي خولة بنت جعفر الحنفية. ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر، ومات سنة (٨٠) هـ علىٰ خلاف في ذلك. له ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء ٤/ ١١٠.

(٣) في المطبوع: «قرر». ومعنىٰ «قُدِّرَ»: فُرض.

(٤) في المطبوع: «بين».

(٥) في المطبوع: «وَضَحَ». ومعنىٰ «صَحَّ»: ثبت.

(٦) هو العلامة المفسِّر، شيخ القراء محمد بن الحسن الموصلي ولد سنة (٢٦٦) هـ. ومات سنة (٣٥١) هـ. انظر ترجمته في السير ١٥/ ٥٧٣

(٧) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة بدون قوله: ولا فخر.

قيل: لا أُقْسِمُ به إذا لم تكُنْ فيه بعد خُروجِكَ منه ، حكاه مَكِّيٌّ .

وقيل: (لا) زائدة؛ أي أُقسم به وأنْتَ به يا محمد! حَلاَلٌ. أو حِلٌّ لك ما فَعَلْتَ فيه علىٰ التفسيرين .

والمرادُ بالبلد عند هؤلاء: مكّة .

وقال الوَاسِطِيُّ: أي نَحْلِف لك بهذا البلدِ الذي شَرَّفْتَه بمكانك فيه حياً ، وبركتك مَيِّتاً ، يَعْني: المدينة .

والأولُ أصحُّ؛ لأنَّ السورةَ مكية ، وما بعده يُصَحِّحهُ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] .

ونَحْوُه قولُ ابن عطاء في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين: ٣] قال: آمنها الله [تعالىٰ] بمُقامهِ فيها وكَوْنِه بها ، فإنَّ كَوْنَه أَمَانٌ حيثُ كان .

ثم قال تعالىٰ: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣] [و] من قال: أراد آدم فهو عامّ؛ ومَنْ قال: هو إبراهيم وما وَلد فهي[1] ـ إن شاءَ اللهُ ـ إشارةٌ إلىٰ محمد ﷺ ، فتتضمَّنُ السورةُ القَسَم به ـ عليه السلام ـ في موضعين .

وقال تعالىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ١ ، ٢] .

قال ابنُ عباس: هذه الحروفُ أقسَامٌ ، أقسم الله [تعالىٰ] بها. وعنه وعن غَيْرِه فيها غَيْرُ ذلك .

وقال سَهْلُ بن عَبْد اللهِ التُّسْتَرِيُّ: الألف: هو الله تعالىٰ. واللام: جبريل. والميم: محمد عليهما السلام .

وحكىٰ هذا القولَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، ولم ينسبه إلىٰ سَهْل ، وجعل معناه: اللهُ أنزل جبريل علىٰ محمد بهذا القرآنِ لا رَيْبَ فيه ، وعلى الوَجْه الأول يحتمل القَسَمُ أنَّ هذا الكتابَ حقٌّ لا رَيْبَ فيه ، ثُمَّ فيه مِنْ فَضِيلته[2] قِرَانُ اسْمِه [باسمه] نحو ما تَـقَدَّم .

---

(١) كلمة «فهي» ، لم ترد في المطبوع .

(٢) في المطبوع: «فضيلة» .

وقال ابنُ عطاء في قوله تعالىٰ: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١]: أقسم بقُوَّةِ قَلْب حبيبه [محمد] ﷺ حيث حمل الخِطَابَ والمشاهدةَ ولم يؤثر ذلك فيه لعُلُوِّ حاله.

وقيل: هو اسْمٌ للقرآن. وقيل: هو اسْمٌ للهِ [تعالىٰ]. وقيل: جَبَلٌ مُحِيط بالأرض. وقيل غير هذا.

وقال جَعْفَر بن محمد في تَفْسير: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]: إنه محمدٌ ﷺ، وقال: ﴿النجم﴾: قَلْبُ محمد [ﷺ]، ﴿هوىٰ﴾[1]: انشرح من الأنوار.

وقال: انقطَع عن غير الله.

وقال ابنُ عَطَاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ [الفجر ١، ٢] الفَجْر: محمد [ﷺ] لأَنَّ منه تفجَّر الإِيمانُ (١٠/أ).

الفصل الخامس

في قَسَمِهِ ـ تعالىٰ جَدُّهُ ـ لـه، لِيُحَقِّقَ مَكَانَتَـهُ عِـنْـدَهُ

قال جلَّ اسْمُه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحىٰ: ١، ١١] اختلف في سبب نزول هذه السورة.

٢٦ ـ فقيل: كان تَرْكُ النبيِّ ﷺ قيامَ الليل لعُذْرٍ نزل به، فتكلمتْ امرأةٌ في ذلك بكلام[2].

---

(١) كلمة «هوى»، لم ترد في المطبوع.

(٢) أخرج ذلك البخاري (١١٢٥)، ومسلم (١٧٩٧/ ١١٥) من حديث جندب بن عبد الله.

٢٧ ـ وقيل: بَلْ تكلَّمَ به المشركون عند فَتْرَة الوحي، فنزلت هذه[(١)] السورة[(٢)].

قال القاضي الإمام أبو الفَضل رحمه الله: تضمَّنَتْ هذه السورةُ من كرامةِ الله تعالىٰ له، وتَـنْوِيهه به، وتعظِيمه إياه ستَّـةَ وجوه:

الأول: القَسَم له عما أخبره به مِنْ حاله بقوله [تعالىٰ]: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾. أي ورَبِّ الضحىٰ، وهذا مِنْ أعظمِ درجات المَبرَّة[(٣)].

الثاني: بَيَانُ مكانتِه عنده وحُظْوته لدَيْهِ بقوله تعالىٰ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾؛ أي: ما ترككَ وما أبْغَضك. وقيل: ما أَهْملَك بعد أن اصْطَفاك.

الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾؛ قال ابن إسحاق[(٤)]: أي مَآلكَ في مَرْجِعِكَ عند الله أَعظَمُ ممّا أعطاكَ من كرامةِ الدُّنيا.

وقال سَهْلٌ: أي ما ادَّخَرْتُ[(٥)] لك من الشفاعة والمَقَام المحمود خَيْرٌ لكَ مما أعطيتُكَ في الدنيا.

الرابع: قوله [تعالىٰ]: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾.

وهذه آيـةٌ جامعـةٌ لوجوهِ الكرامة، وأنواعِ السعادة، وشَتَـاتِ الإنْعَـام في الدَّارَين، والزيادةِ.

قال ابن إسحاق: يُرْضِيه بالفُلْج[(٦)] في الدنيا، والثوابِ في الآخرة.

وقيل: يُعْطيه الحَوْضَ والشفاعة.

---

(١) كلمة: «هذه» لم ترد في المطبوع.

(٢) ورد هذا في حديث جندب عند الترمذي (٣٣٤٥) وقال: «حديث حسن صحيح». وانظر البخاري (٢٨٠٢).

(٣) علىٰ هامش الأصل زيادة: «للنبوة» وفوقها علامة الصحة.

(٤) هو محمد بن إسحاق إمام أهل المغازي والسير. مات سنة (١٥٠) هـ. ويقال بعدها. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣.

(٥) في المطبوع: «ما ذخرت» من الذخيرة، وهي الشيء النفيس يخبأ.

(٦) الفُلْجُ: بالضم الاسمُ. وبالفتح المصدر، وهو الفوز والظفر. انتهى من هامش الأصل.

٢٨ ـ ورُوي عن بعض آلِ النبي ﷺ أنه قال: ليس آيةٌ في القرآن أَرْجَىٰ منها ، ولا يَرْضَىٰ رسولُ الله ﷺ أَنْ يَدْخُلَ أحدٌ من أُمته النارَ[1] .

الخامس: ما عدَّهُ[2] تعالىٰ عليه من نِعَمِهِ ، وقرَّره من آلائه قِبَلَه في بقية السورة؛ من هدايته إلىٰ ما هدَاهُ له ، أو هدايَةِ الناسِ به علىٰ اختلاف التفاسير ، ولا مالَ له؛ فأغناه الله[3] بما آتاه ، أو بما جعَلَه في قَلْبِه من القناعة والغنى ، ويتيماً فَحَدِبَ عليه[4] عمُّه ، وآواه إليه .

وقيل: آواه إلىٰ الله . وقيل: يتيماً: لا مِثَالَ[5] لك (١٠/ب) فآواك إليه .

وقيل: المعنى: ألم يَجدكَ فهدَىٰ بكَ ضالاً ، وأَغنى بكَ عائلاً ، وآوى بك يتيماً ، ذَكَّـرَهُ بهذه المِنَن ، وأنه ـ علىٰ المعلوم من التفسير ـ لم يُـهْمِلْه في حال صغره ، وعَيْلَتِهِ[6] ، ويُتْمه ، وقَبْلَ معرفته به ، ولا ودَّعه[7]، ولا قَلاَه[8] ، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه!

السادس: أَمْرُه بإظهار نعمته عليه ، وشُكْرِه ما شرَّفَه به[9]، بنَشْرِهِ، وإشادةِ ذِكْره بقوله [تعالىٰ]: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ: ١١]؛ فإنَّ مِنْ شُكْرِ النعمة الحديثَ بها؛ وهذا خاصٌّ له ، عامٌّ لأمته .

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن علي موقوفاً ، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعاً/ المناهل رقم (٤٣).
(٢) (عدَّه): ذكره . وفي المطبوع: «عدّده» .
(٣) لفظ الجلالة: «الله» ، لم يرد في المطبوع .
(٤) حدب عليه: عطف عليه ، ورقَّ له .
(٥) في نسخة: «لا مالَ».
(٦) وعَيْلته: وفقره .
(٧) ولا ودعه: أي ما تركه منذ اختاره .
(٨) ولا قلاه: أي ما أبغضه منذ أحبه .
(٩) كلمة: «به» ، لم ترد في المطبوع .

ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١ ـ ١٨].

اختلف المفسرون في قوله [تعالىٰ]: ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ بأقاوِيلَ معروفة، منها النَّجم علىٰ ظاهره، ومنها القرآن.

وعن جعفر بن محمد؛ أنه محمدٌ عليه السلام؛ وقال: هو قَلْبُ محمَّدٍ.

وقد قيل في قوله [تعالىٰ]: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣] إن النجم هنا أيضاً محمد ﷺ؛ حكاه السُّلَميّ.

تضمَّنت هذه الآياتُ من فَضْله وشرفِهِ العِدِّ[1] ما يقف دونه العَدُّ، وأقسم جلَّ اسمهُ علىٰ هدايةِ المصطفىٰ، وتَنْزيهه عن الهوىٰ، وصِدْقِه فيما تَلاَ، وأَنَّه وَحْي يُوْحى أَوْصَلَه إليه ـ عن الله ـ جبريل عليه السلام وهو الشديد القُوىٰ.

ثم أَخبر تعالىٰ عن فضيلته بقصة الإسراءِ، وانتهائه إلىٰ سِدْرَةِ المُنتَهى، وتصديق بَصَرِهِ فيما رأىٰ، وأنه رأىٰ من آيات رَبِّه الكبرىٰ. وقد نبَّه علىٰ مثل هذا تعالىٰ في أول سورة الإسراء.

ولما كان ما كاشفَهُ[2] ـ عليه السلام ـ من ذلك الجَبَرُوتِ، وشاهَدَهُ من عجائب المَلَكُوت لا تُحِيطُ به العبارات، ولا تستقِلُّ بحَمْل سَمَاع أدناه العقولُ، رمَزَ عنه تعالىٰ بالإيماء[3] والكناية الدالَّة على التعظيم؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾.

وهذا النوعُ من الكلام يُسمِّيه أهلُ النقد والبلاغة بالوَحْي والإشارة، وهو عندهم أَبْلَغُ أبوابِ الإيجاز.

---

(١) العِدّ: الكثرة في الشيء. يقال: ماءٌ عِدٌّ: أي دائم لا انقطاع لمادته. وجمعه أعداد.

(٢) في المطبوع زيادة: «به».

(٣) في المطبوع: «بالإيماءة».

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ انحسرت الأفهامُ عن تفصيل ما أوْحىٰ، وتاهَت الأحلامُ (١١/أ) في تعيين تلكَ الآياتِ الكبرىٰ.

قال القاضي الإمام أبو الفضل رحمه الله: اشتملت هذه الآياتُ علىٰ إعلامِ اللهِ تعالىٰ بِتَزْكِيَةِ جُمْلته عليه السلام، وعِصْمَتِها من الآفاتِ في هذا المَسْرَىٰ، فزَكَّىٰ فؤادَه ولسانَه وجَوَارِحَه:

فزكّىٰ قَلْبه[1] بقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. ولسانه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾. وبَصَره بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ[2] ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ١٥ـ٢٥].

﴿لا أقسم﴾: أي أُقسم. ﴿إنه لقول رسُولٍ كَرِيم﴾: أي كريمٍ عند مرسله. ﴿ذي قُوَّة﴾: علىٰ تبليغ ما حمله من الوَحْي، ﴿مكين﴾: أي متمكّنُ المنزلة من ربّه، رَفِيع المَحَلِّ عنده، ﴿مُطَاع ثَمَّ﴾: أي في السماء. ﴿أمين﴾: علىٰ الوَحْي.

قال علي بن عيسىٰ[3] وغيره: الرسولُ الكريمُ ـ هنا ـ محمدٌ ﷺ. فجميعُ الأوصافِ بَعْدُ علىٰ هذا له.

وقال غيره: هو جبريل عليه السلام، فترجع الأوصافُ إليه.

﴿ولقد رآه﴾: يعني محمّداً. قيل: رأىٰ ربّه. وقيل: رأىٰ جبريلَ في صورته.

---

(١) في الأصل: «وقلبه»، والمثبت من المطبوع.
(٢) بالخنّس الجوار الكُنَّس: بالكواكب السيارة، تخنُس نهاراً، وتختفي عن البصر، وهي فوق الأفق، وتظهر ليلاً ثم تكنِسُ وتستتر في مغيبها تحت الأفق (كلمات القرآن لمخلوف).
(٣) علامة نحوي معتزلي، صنف في التفسير واللغة والنحو والكلام. مات سنة (٣٨٤) هـ عن (٨٨) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/٥٣٣.

﴿وما هو على الغيب بظنين﴾[1] ، أي: بِمُتَّهَمٍ. ومن قرأهُ[2] بالضاد فمعناه: ما هو ببخيل بالدعاء به ، والتذكير بحكمِه وبعلمه ، وهذه لمحمد عليه السلام باتفاق.

وقال تعالىٰ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١ ، ١٦].

أقسم اللهُ تعالىٰ بما أقسم به مِنْ عظيم قَسَمِه علىٰ تنزيه المصطفىٰ مِمَّا غَمَصَتْه[3] الكفرةُ به ، وتكذيبهم له ، وآنسه ، وبسط أَمَلَهُ بقوله ـ محسناً خطابَه ـ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

وهذه نهايةُ المَبَرَّةِ في المخاطبة ، وأعلىٰ درجاتِ الآدابِ في المُحَاورة؛ ثم أَعْلَمَهُ بِمَا لَـهُ عنده مِن نعيم دائمٍ ، وثَوَاب غَيْرِ منقطع ، لا يأخذه عَدٌّ ، ولا يُمْتَنُّ به عليه؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣].

ثم أثنى عليه بما منحه من هِبَاته ، وهدَاهُ إليه ، وأَكَّد ذلك تتميماً للتمجيد ، بحرْفَي التأكيد؛ فقال [تعالىٰ]: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. قيل: القرآن. وقيل: الإسلام. وقيل: الطَّبْعُ الكريم. وقيل: ليس لك هِمَّة إلا الله.

قال الواسطي: أَثْنَىٰ عليه بِحُسْنِ قَبوله لما أَسْدَاهُ إليه من نِعمه ، وفضَّلَه بذلك علىٰ غيره؛ لأنه جَبَلَهُ علىٰ ذلك الخُلق (١١/ب) فسبحان اللطيف الكريم ، المحسنِ الجواد الحميد ، الذي يَسَّر للخير وهدَى إليه ، ثم أثنى علىٰ فاعله؛

---

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، والكسائي ، ويعقوب. وقرأ الباقون: (بضنين) : بالضاد (المبسوط في القراءات العشر لابن مِهران ص: ٤٦٤).

(٢) (قرأه): أي هذا اللفظ. وفي المطبوع: «قرأها» : أي هذه الآية أو الكلمة».

(٣) غَمَصَتْهُ: عابَتْـهُ.

وجازاه عليه ؛ سُبْحانه ، ما أغْمَر نَوَاله[1] ! وأَوْسعَ إفْضَاله ! ثم سلاَّه عن قولهم بعد هذا بما وَعده به من عِقابهم[2] ، وتوعَّدهم بقوله ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ٥، ٧].

ثم عطف بعد مَدْحِه على ذَمِّ عَدُوّه ، وذِكْر سوء خُلقه ، وعَدِّ معايبه ، متولِّياً ذلك بفَضْله ، ومُنْتَصِراً لنبيه؛ فذكر بضْعَ عَشْرَةَ خَصْلةً مِنْ خِصَالِ الذَّمِّ فيه بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ٨، ١٥].

ثم ختم ذلك بالوعيد الصادقِ لتمام[3] شقائه، وخاتمةِ بَوارِه[4] بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦]. فكانت نُصْرةُ الله له أَتمَّ من نصرته لنفسه ، وردُّه تعالىٰ على عدوه أبلغَ من ردِّه ، وأثبت في دِيوان مَجْدِه.

الفصل السادس

فِيْ ما وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تعالىٰ فِيْ جهَتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مَوْرِدَ الشَّفَقَةِ والإكرَامِ

قال تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١، ٢].

قيل: ﴿طه﴾: اسم من أسمائه عليه السلام ، وقيل: هو اسمٌ لله ، وقيل: معناه يا رَجُل! وقيل: يا إنسان! وقيل: هي حروفٌ مُقَطَّعَةٌ لِمَعَانٍ.

---

(١) ما أغمر نواله: ما أعمَّ عطاءه.

(٢) في الأصل: «عقباهم»، ثم ضرب عليها الناسخ وأثبت فوقها «عقابهم» وعليها علامة الصحة.

(٣) في نسخة: «بتمام».

(٤) بواره: هلاكه ودثاره.

وقال الواسطيُّ: أراد: يا طاهر! يا هادي! وقيل: هو أمرٌ من الوطء. والهاءُ كناية عن الأرض. أي: اعتمد علىٰ الأرض بقدميك، ولا تُتْعِبْ نَفسك بالاعتماد على قدم واحدة[(1)]، وهو قولهُ تعالىٰ: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾.

نزلت الآية فيما كان النَّبيُّ ﷺ يتكلَّفُه من السَّهَر والتعب وقيام الليل.

٢٩ ـ أخبرنا القاضي أبو عبد الله: محمد بن عبد الرحمن، وغَيْرُ واحد، عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة، ومن أَصْله نقلتُ؛ قال: حدثنا أبو ذَرّ الحافظ، قال: حدثنا أبو محمد الحَمُّويُّ، حدثنا إبراهيم بن خُزَيم الشَّاشي قال: حدثنا عَبْدُ بن حُمَيد، حدثنا هاشم بن القاسم، عن أبي جعفر، عن الرَّبيع بن أنس؛ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّىٰ قام علىٰ رِجْل واحدة[(2)] ورفع الأخرىٰ؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿طه﴾ يعني: طَأ الأرضَ، يا محمد! ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ (١٢/أ) ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[(3)] [طه: ٢، ٤].

ولا خفاءَ بما في هذا كلِّه من الإكرام وحُسْنِ المعاملة.

وإن جعلنا ﴿طه﴾ من أسمائه عليه السلام كما قِيل، أو جُعِلت قَسَماً لَحِقَ الفَصْلُ بما قبله.

ومثلُ هذا من نَمَط[(4)] الشفقةِ[(5)] والمَبَرَّة قولُه تعالىٰ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] أي: قاتلٌ نفسَكَ لذلك غَضَباً، أو غيظاً، أو جَزَعاً.

ومِثْلُه قولُه تعالىٰ أيضاً: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] ثم

---

(١) على هامش الأصل: «وهو قول أكثر المفسرين».
(٢) كلمة: «واحدة»، لم ترد في المطبوع ولا في نسيم الرياض ولا في شرح القاري.
(٣) أسنده المصنف من حديث عبد بن حميد في تفسيره مرسلاً. قال السيوطي في المناهل (٤٤): «ورد ذلك موصولاً عن علي أخرجه ابن مردويه... وأخرج نحوه عن ابن عباس».
(٤) نمط: نوع.
(٥) في الأصل زيادة: «والرحمة»، ولم ترد في المطبوع، وشرح الخفاجي والقاري.

قال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

ومِنْ هذا الباب قولهُ تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحِجْر: ٩٤، ٩٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

قال مَكِّيٌّ: سلاَّه الله تعالىٰ[1] بما ذكر، وهوَّن عليه ما يَلْقَىٰ من المشركين، وأعلمه أنَّ مَنْ تَمادَىٰ على ذلك يَحُلُّ به ما حلَّ بمَنْ قَبْله.

ومثلُ هـذه التسلية قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤].

ومِنْ هذا قولهُ تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

عزَّاه الله [تعالىٰ] بما أَخْبَـره[2] به عن الأمَم السالفة ومقالِها لأنبيائهم قَبْله، ومِحْنَتهم بهم؛ وسلاَّه بذلك عن[3] محنته بمثله من كفَّار مكة، وأنه ليس أوَّلَ مَنْ لقي ذلك، ثم طيَّبَ نفسه، وأبَانَ عُذْرَه بقوله تعالىٰ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤] أي: أَعْرِض عنهم؛ ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]؛ أي: في أداءِ ما بلَّغْتَ وإبلاغ ما حُمِّلْت.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أي: اصْبِرْ علىٰ أذاهم، فإنكَ بحيث نَـرَاكَ ونحفظك.

سلاَّه الله [تعالىٰ] بهذا في آيٍ كثيرة من هذا المعنىٰ.

---

(١) قوله: «الله تعالىٰ»، لم يرد في المطبوع.
(٢) في المطبوع: «أخبر».
(٣) في المطبوع: «من».

الفَصْلُ السَّابع

في ما أَخْبَرَ اللهُ تعالىٰ بِهِ في كتابِهِ العَزِيْزِ مِنْ عَظِيْمِ قَدْرِهِ وشَرِيْفِ مَنْزِلَتِهِ علىٰ الأنبياءِ وَحُظْوَةِ رُتْبَتِهِ

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١].

قال أبو الحسن القابِسي (١٢/ب): استخصَّ الله تعالىٰ محمداً ﷺ بفَضْلٍ لم يُؤتِه غيرَهُ، أَبانَهُ به[1]، وهو ما ذكره في هذه الآية؛ قال المفسرون: أَخَذَ اللهُ الميثاقَ بالوَحْي، فلم يَبْعَثْ نبياً إلا ذكر له محمداً ونَعْتَهُ[2] وأخذَ عليه ميثاقه إنْ أَدْرَكه ليؤمِنَنَّ به.

وقيل: أنْ يُبَيِّنَهُ لقومه، ويأخذَ ميثاقَهم أن يُبَيِّنوه لمَنْ بعدهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثم جاءكم﴾: الخطابُ لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد ﷺ.

٣٠ ـ قال عليّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه: لم يبعث الله نبيّاً من آدمَ فمَنْ بَعْده إلا أَخَذَ عليه العَهْدَ في محمد ﷺ، لَئِنْ بُعِثَ ـ وهو حيٌّ ـ ليؤمِنَنَّ به ولينصُرَنَّه، ويأخذَ العَهْدَ بذلك على قومه.

ونحوه عن السُّدِّي[3] وقَتادةَ، في آيٍ تضمنت فَضْلَه من غير وَجْه واحد.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

---

(١) أبانه به: ميّزه به.

(٢) ونَعْتَهُ: وصِفَتَهُ.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، إمام مفسر. قال ابن حجر: «صدوق يَهِمُ، ورمي بالتشيع» مات سنة (١٢٧) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤.

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[1] [النساء: ١٦٣، ١٦٦].

٣١ ـ ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بَكَىٰ[2] به النبيَّ ﷺ، فقال: بأبي أنتَ وأمي، يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عند الله أنْ بعثك آخِرَ الأنبياء، وذَكَرك في أولهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

بأبي أنْتَ وأمِّي يا رسول الله! لقد بلغ من فضيلتك عنده أنَّ أهل النار يودُّون أن يكونوا أطاعُوكَ وهم بين أَطْباقها يعذَّبون يقولون: ﴿ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[3] [الأحزاب: ٦٦].

٣٢ ـ قال قَتَادة: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كنْتُ أوَّلَ الأنبياءِ في الخَلقْ، وآخرَهم في البَعْثِ**»[4]، فلذلك وقع ذِكْرُهُ مقدماً هنا قبل نوح وغيره.

---

(١) في الأصل: «وكيلاً»، وأثبت الناسخ فوقها: «التلاوة: شهيداً». قلت: وهو الصحيح.

(٢) بكىٰ: أي رَثىٰ. وفي المطبوع: «زكّى» بدل «بكىٰ».

(٣) قال السيوطي في مناهل الصفا(٤٧): «لم أجده».

(٤) أخرجه من حديث قتادة مرسلاً: ابنُ سعد في الطبقات، وأورده الحافظ ابن رجب في مجالس في سيرة النبي ﷺ ص(٢٣) وقال: «خرجه الطبراني من رواية قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً والمرسلُ أشبه». وخرجه أيضاً من حديث أبي هريرة: ابنُ أبي حاتم في التفسير، وابن لال في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في الدلائل. قال الحوت في أسنىٰ المطالب ص(١٧٠): «فيه بقية بن الوليد مدلّسٌ، وسعيد بن بشير ضعيف». وسيأتي برقم (٦٣٧). وانظر المقاصد الحسنة (٨٣٧)، وموارد الظمآن (٢٠٩٣)، وفيض القدير ٥/ ٥٣.

قال السَّمَرْقَنْدِي: في هذا تفضيلُ نبينا ـ عليه السلام ـ لتخصيصه في الذِّكر[1] قَبْلَهم ، وهو آخرُهم.

المعنى: أخذ اللهُ [تعالىٰ] عليه الميثاقَ ، إذ أخرجهم من ظَهْرِ آدم كالذَّرّ.

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال أهلُ التفسير: أراد بقوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ (١٣/أ) دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] محمداً ﷺ؛ لأنه بُعِث إلىٰ الأحمر والأسود ، وأُحِلَّت له الغنائمُ ، وظهرت علىٰ يديه المعجزاتُ ، وليس أحدٌ من الأنبياء أُعطي فضيلةً أو كرامةً إلا وقد أُعطِي محمدٌ ﷺ مِثْلَها.

قال بعضهم: ومن فضله أنَّ اللهَ تعالىٰ خاطب الأنبياءَ بأسمائهم ، وخاطبه بالنبوَّة والرسالةِ في كتابه ، فقال: ﴿يا أَيها النَّبِيُّ﴾ و﴿يا أَيُّها الرَّسُولُ﴾.

وحكىٰ السَّمَرْقَنِديُّ عن الكَلْبي ـ في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣] ـ أن الهاءَ عائدةٌ علىٰ محمد؛ أي إنَّ من شِيعَةِ محمد لإبراهيم؛ أي علىٰ دِينه ومِنْهَاجه. وأجازه الفرَّاء ، وحكاه عنه مَكِّيٌّ.
وقيل: المرادُ منه نوح عليه السلام.

الفَصْلُ الثامن

فِيْ إعْلامِ اللهِ تعالىٰ خَلْقَه بِصَلاتِهِ عَلَيْهِ ولايَتِهِ لَهُ ورَفْعِهِ العَذابَ بِسَبَبِهِ

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]؛ أي: ما كنْتَ بمكة. فلما خرج النبيُّ ﷺ من مكة ، وبَقِيَ فيها مَنْ بقي من المؤمنين نزل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

---

(١) في المطبوع: «بالذكر».

وهذا مِثْلُ قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥].

وقوله [تعالىٰ]: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ٢٥] فلما هاجر المؤمنون نزلت: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤]. وهذا من أَبْيَنِ ما يُظْهِرُ مكانته ﷺ.

وَدَرَأَ به[1] العذابَ عن أهل مكة بسبب كَوْنه، ثم كَوْنِ أصحابه بعده بين أَظْهُرِهم، فلما خلَتْ مكةُ منهم عذَّبهم [اللهُ] بتسليطِ المؤمنين عليهم، وغَلبتهم إياهم، وحَكَّم فيهم سيوفَهم، وأورثهم أَرْضَهم وديارهم وأموالَهم.

وفي الآية أيضاً تأويلٌ آخر.

٣٣ ـ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي ـ رحمه الله ـ بقراءتي عليه، [قال]: حدثنا أبو الفضل بن خَيْرون، وأبو الحُسين الصَّيْرفي، قالاَ: حدثنا أبو يَعْلىٰ ابن زَوْج الحُرَّة، حدثنا أبو علي السِّنْجي، حدثنا محمد بن محبوب المَرْوَزي، حدثنا أبو عيسىٰ الحافظ، حدثنا سفيان بن وَكيع، حدثنا ابن نُمَير، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مُهاجر، عن عبّاد بن يوسف، عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسىٰ، عن أبيه؛ قال: (١٣/أ) قال رسول الله ﷺ: **«أنزلَ اللهُ عليَّ أمانَيْنِ لأُمتي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] فإذا مضيت تركتُ فيهم الاستغفارَ»**[2].

ونحوٌ منه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

---

(١) في نسخة: «وَدَرَأَتَه»، اي: دَفْعَهُ.

(٢) أسنده المصنف من طريق أبي عيسىٰ الترمذي في سننه (٣٠٨٢) وقال: «حديث غريب. وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث». ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٢٧٢٢). ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً، وأبو الشيخ عن أبي هريرة موقوفاً نحوه.

٣٤ ـ [و] قال عليه السلام: «أَنا أمانٌ لأَصحابي»[١]. قيل: من البِدَع.

وقيل: من الاختلاف والفِتَن.

قال بعضُهم: الرسولُ ﷺ هو الأمانُ الأعظم ما عاشَ، وما دامت سُنَّتُه باقيةً فهو باقٍ، فإذا أُميتَت سنَّتهُ فانتظِروا البلاءَ والفِتَن.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] أبانَ[٢] الله تعالىٰ فَضْلَ نبيِّه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاةِ ملائكتهِ، وأَمَرَ عباده بالصلاة والتسليم عليه.

٣٥ ـ [وقد حكىٰ أبو بكر بن فُـوْرَك[٣] أن بعضَ العلماء تأوَّل قولَه عليه السلام: «وجُعِلتْ قُـرَّةُ عَيْـنِي في الصلاة»[٤] على هذا؛ أي في صلاةِ الله تعالىٰ عليّ وملائكتهِ وأَمْرِه الأُمةَ بذلك إلىٰ يوم القيامة] والصلاةُ من الملائكة ومنّا له دعاءٌ، ومن الله [عزَّ وجلَّ] رحمةٌ.

وقيل: يُصَلُّون: يُبَاركون.

وقد فرَّقَ النبيُّ ﷺ ـ حين علَّم الصلاةَ عليه ـ بين لفظِ الصلاة والبركة.

وسنذكر حكم الصلاة عليه.

وذكر بعضُ المتكلمين في تفسير حروف ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] أن الكافَ من (كافٍ)، أي كفاية الله [تعالىٰ] لنبيه، قال [تعالىٰ]: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري بلفظ «أنا أمنةٌ لأَصحابي»، وسيورده المصنف بهذا اللفظ برقم (٦٤٩).

(٢) أبان: أظهر.

(٣) هو الإمام، العلامة، الصالح، شيخ المتكلمين: محمد بن الحسن بن فُوْرَك. توفي سنة (٤٠٦) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٤

(٤) أخرجه النسائي ٧/ ٦١، وأحمد ٣/ ١٢٨، وأبو يعلىٰ (٣٤٨٢)، والبيهقي ٧/ ٨٧ وغيره من حديث أنس بن مالك، وصححه الحاكم ٢/ ١٦٠ وأقره الذهبي، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي، وحسنه ابن حجر، وتبعه السيوطي. وسيعيده المصنف برقم (١٤٥، ١٤٦، ٣٠٢).

بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. والهاء: هدايته [له]، قال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢] والياء: تأييده له، قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٦٢]. والعين: عِصْمَتُهُ له قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. والصاد: صلاته عليه؛ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] ﴿مولاه﴾ أي: وليّه. ﴿وصالحُ المؤمنين﴾ قيل: الأنبياء. وقيل: الملائكة. وقيل: أبو بكر، وعُمر.

وقيل: عليّ. وقيل: المؤمنون على ظاهِره.

الفَصْلُ التَّاسع

فِيْ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ الفَتْحِ مِنْ كَراماتِهِ ﷺ

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١، ١٠].

تضمّنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه، وكريمِ منزلته عند الله تعالىٰ، ونعْمَتِه لديه، ما يَقْصُر الوصْفُ عن الانتهاءِ إليه؛ فابتدأ ـ جلَّ جلالُهُ ـ بإعلامه بما قَضَاهُ له من القضاءِ البيِّن بظهوره، وغلبته على عدوه (١٤/أ) وعُلُوِّ كلمتهِ

وشريعته ، وأنه مغفورٌ له ، غَيْرُ مُؤاخذٍ بما كان وما يكون .

قال بعضُهم : أراد غُفْران ما وقع وما لم يَقَعْ ، أي : إنك مغفور لك .

وقال مَكّيٌّ : جعل [اللهُ] المِنَّةَ سبباً للمغفرة ، وكلٌّ مِنْ عنده ، لا إله غيره ، مِنَّةً بعد مِنَّةٍ ، وفضلاً بعد فَضْل .

ثم قال : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ [الفتح : ٢] قيل : بخضوع مَنْ تكبّر عليك[١] .

وقيل : بفَتْح مكةَ والطائف .

وقيل : يرْفَع ذِكْرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك؛ فأَعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوِّه له ، وفَتْحِ أهمِّ البلاد عليه وأحبها له ، ورَفْع ذكره ، وهدايتِهِ الصراطَ المستقيم المبلِّغَ الجنةَ والسعادةَ ، ونَصْرِه النصرَ العزيز ، ومِنَّته على أُمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم ، وبِشَارَتِهم بما لَهُمْ بَعْدُ ، وفَوْزِهم العظيم ، والعَفْوِ عنهم ، والسَتْرِ لذنوبهم ، وهلاكِ عدوِّه في الدنيا والآخرةِ ، ولَعْنِهم وبُعْدِهم من رحمته ، وسوء مُنْقَلبهم .

ثم قال : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : ٨ ، ٩] فعَدَّ[٢] محاسنه وخصائصه من شهادتِه علىٰ أُمته لنفسه ، بِتَبْلِيْغِهِ الرسالةَ لهم .

وقيل : شاهِداً لهم بالتوحيد ، ومُبَشِّراً لأُمَّتِهِ بالثواب . وقيل : بالمغفرة . ومُنْذِراً عدوَّه بالعذاب .

وقيل : مُحَذِّراً من الضلالات ليُؤْمِن بالله ، ثم به [ﷺ] مَنْ سبقت له من الله الحُسْنى . ويُعَزِّرُوه؛ أي يُجلُّونه . وقيل : ينصرونه . وقيل : يبالغون في تَعْظيمه . ويُوَقِّرُوهُ؛ أيْ يعظموهُ[٣] .

---

(١) في الأصل «تكبر لك» ، والمثبت من المطبوع .

(٢) في الأصل : «فعدَّدَ» ، والمثبت من المطبوع .

(٣) في الأصل : «يعظمونه» ، والمثبت من المطبوع .

وقرأ بعضُهم: ﴿تُعَزِّزُوه﴾[1] بزايين: من العِزّ، والأكثر والأظهرُ أنّ هذا في حقّ محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿وتُسَبِّحوه﴾؛ فهذا راجعٌ إلىٰ الله تعالىٰ.

قال ابنُ عطاء: جُمع للنبي ﷺ في هذه السورة نِعَمٌ مختلفةٌ؛ من الفَتْح المُبين، وهو من أعلام الإجابة، والمَغْفِرة، وهي من أعلام المحبّة، وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاصِ، والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرةُ: تبرئةٌ من العيوب، وتمامُ النعمةِ: إبلاغُ الدرجةِ الكاملة، والهدايةُ: (١٤/ب) وهي الدعوةُ إلىٰ المشاهدة.

وقال جعفر بن محمد: من تمام نعمته عليه أنْ جعله حَبِيبَه، وأقسم بحياته، ونَسَخَ به شرائعَ غيره، وعَرَج به إلىٰ المَحلّ الأعلىٰ، وحفِظَه في المعراج حتى ما زاغَ البَصَرُ وما طَغَىٰ، وبعثه إلىٰ الأسود والأحمر، وأحلَّ له ولأمته الغنائمَ، وجعله شَفِيعاً مُشفَّعاً، وسيِّدَ وَلَدِ آدم، وقَرَن ذِكْرَه بذكره، ورِضاهُ برضاهُ، وجعله أحدَ رُكْنَي التوحيد.

ثم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: بيعة الرضوان؛ أي إنما يبايعونَ اللهَ بِبَيْعَتِهِمْ إياكَ.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يريد: عند البَيْعَة. قيل: قوة الله، وقيل: ثَوَابه. وقيل: مِنَّته. وقيل: عَقْده، وهذه استعارةٌ، وتجنيس في الكلام، وتأكيد لعَقْد بَيْعتهم إياه. وعِظَم شَأْنِ المُبايَع ﷺ.

وقد يكون مِنْ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ وإنْ كان الأول في باب المجاز، وهذا في باب الحقيقة، لأنَّ القاتل والرامي بالحقيقة هو الله، وهو خالقُ فِعْله وَرَمْيِهِ، وقُدْرَتِه عليه ومسبِّبُه، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيلُ تلك الرَّميةِ حيثُ وصلَتْ، حتى لم يَبْقَ منهم مَنْ لم تملأْ عَيْنَيه، وكذلك قَتْلُ الملائكة لهم حقيقة.

---

(١) وهي قراءة شاذة.

وقد قيل في هذه الآية الأخرىٰ: إنها علىٰ المجاز العربيّ ، ومقابلةِ اللفظ ومناسبتـهِ؛ أي: ما قتلتموهم ، وما رَمَيْتَهمْ أنتَ إذ رميت وجوهَهم بالحَصْباء والتراب ، ولكنّ الله رمىٰ قلوبَهم بالجـزَع ، أي إنَّ منفعـةَ الـرَّمْي كانـت من فِعْلِ الله؛ فهو القاتلُ والرامي بالمعنى وأنتَ بالاسم.

الفَصْل العَاشـر

فِـيْ مَـا أَظْهَـرَهُ اللهُ تَعالـىٰ فِـي كِتَابِـهِ العَزِيْـزِ مِـنْ كَرامَتِـهِ عَلَيْـهِ وَمَكَانَتِـهِ عِنْـدَهُ وما خصَّـهُ [الله] بِـهِ مِـنْ ذلـكَ سِـوَىٰ مـا انْتَظَـمَ فيمـا ذكرنـاهُ قَبْـلُ

من ذلك ما نَصّه(١) تعالىٰ من(٢) قصة الإسراء في سورة: ﴿سبحان﴾ و﴿النَّجم﴾ وما انطوت عليه القصةُ من عظيم منزلته وقُربه (١٥/أ) ومشاهدته ما شاهَدَ من العجائب.

ومن ذلك عِصْمتهُ من الناس بقوله [تعالىٰ]: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقوله [تعالىٰ]: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقولـه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].
وما دفع(٣) اللهُ به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزُّبهم لهُلْكه وخلوصِهم نَجِيّاً في أمره ، والأخذِ علىٰ أبصارهم عند خروجه عليهم ، وذهولِهم عن طلبه

(١) في المطبوع: «قصّه».
(٢) في المطبوع: «في».
(٣) في المطبوع: «رفع».

في الغار ، وما ظهر في ذلك من الآيات ، ونزول السكينة عليه .

٣٦ ـ وَقِـصَّـةِ سُرَاقَةَ بن مالك[١] ، حسبَ ما ذكره أهلُ الحديث والسِّير .

٣٧ ـ في قصة الغار[٢] .

٣٨ ـ وحديثِ الهجرة[٣] .

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣].

أعلمه اللهُ عز وجلَّ بما أعطاه. و﴿الكوثـرُ﴾: حَوْضُه. وقيل: نهر في الجنة. وقيل: الخير الكثير. وقيل: الشفاعة. وقيل: المعجزات الكثيرة. وقيل: النبوة. وقيل: المعرفة.

ثم أَجابَ عنه عدوَّه ، وردّ عليه قوله ، فقال [تعالىٰ]: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾؛ أي عدُوَّك ومُبْغِضَكَ. و﴿الأبتر﴾: الحقير الذليل ، أو المفرد الوحيد ، أو الذي لا خير فيه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحِجْر: ٨٧].

قيل: السبع المَثَاني: السُّورُ الطِّوالُ الأُوَلُ. ﴿والقرآن العظيم﴾: أم القرآن. وقيل: السبع المثاني: أمُّ القرآن. والقرآن العظيم: سائره. وقيل: السبع المثاني: ما في القرآن ، من أَمْر ، ونهي ، وبُشْرىٰ ، وإنذار ، وضَرْب مثَل ، وإعداد نِعَم ، وآتيناكَ نبأَ القرآن العظيم.

وقيل: سميت أُمُّ القرآن مَثَاني لأنها تُـثَـنَّىٰ في كل ركعة[٤]. وقيل: بل اللهُ

---

(١) قصة سراقة رواها البخاري (٣٩٠٨) ، ومسلم (٢٠٠٩/ ٩١) من حديث البراء بن عازب ، والبخاري (٣٩٠٦) من حديث سراقه نفسه. و(٣٩١١) من حديث أنس بن مالك.

(٢) قصه الغار رواها البخاري (٣٩٢٢) ، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق.

(٣) حديث الهجرة رواه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة ، و(٣٩١١) من حديث أنس ، ورواه مسلم (٢٠٠٩) من حديث البراء بن عازب.

(٤) أي تكرر في كل صلاة.

[تعالىٰ] استثناها لمحمد ﷺ ، وادخَرها[1] له دون سائِر[2] الأنبياء .

وسُمّي القرآنُ مثاني : لأن القِصَصَ تثنّىٰ فيه .

وقيل : السبع المثاني : أكرمناك بِسَبْع كرامات : الهدىٰ ، والنبوة ، والرحمة ، والشفاعة ، والولاية ، والتعظيم ، والسكينة .

وقال تعالىٰ : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤] .

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] قال الفقيه القاضي ـ رحمه الله ـ : فهذه (١٥/ب) من خصائصه .

وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم : ٤] فخصَّهم بقومهم ، وبعث محمداً ﷺ إلىٰ الخَلْق كافَّة .

٣٩ ـ كما قال عليه السلام : «**بُعِثْتُ إلىٰ الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ**»[3] .

وقال تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب : ٦] .

قال أهل التفسير : ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي : ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ عليهم كما يَمْضي حكم السيد علىٰ عبده .

---

(١) في المطبوع : «وذخرها» . أي جعلها ذخيرة .

(٢) كلمة : «سائر» ، لم ترد في المطبوع .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٩ : «إسناده حسن» . وأخرجه مسلم (٥٢١) من حديث جابر بلفظ : «وبعثت إلىٰ كل أحمر وأسود» . وأصل الحديث في البخاري (٣٣٥) . وأراد بالأحمر والأسود : جميع العالم .

وقيل: اتباع أمره أَوْلىٰ من اتباع رَأْيِ النَّفْس.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: هنَّ في الحرمة[1] كالأمهات؛ حرَّمَ نكاحهنَّ عليهم بَعْدَهُ؛ تكْرِمة له وخُصوصية، ولأنهن له أزواجٌ في الآخرة.

٤٠ ـ وقد قرىء: وهو أبٌ لهم[2]. ولا يُقْرأ به الآن لمخالفته المصحف.

وقال [الله] تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قيل: فَضْلُه العظيم بالنبوة. وقيل: بما سبق له في الأَزَل. وأشار الواسطيّ إلىٰ أنها إشارةٌ إلىٰ احتمال الرؤية التي لم يحتملْها موسىٰ، صلىٰ الله عليهما.

* * *

(١) (الحرمة): الاحترام والتعظيم.

(٢) في المناهل (٥٢): «أخرجها ابن راهويه في مسنده عن أُبَيٍّ بن كعب». وقد ردّها القاضي عياض كما ترىٰ. وهي قراءة شاذة كما قال الخفاجي وغيره.

البـاب الثانـي

فِـيْ تَـكْمِيْـلِ اللهِ [تعالـى] لَـهُ المَحَاسِـنَ خَلْقـاً وَخُلُقـاً ، وقِرَانِـهِ جَمِيْـعَ الفَضَائِـلِ الدِّيْنِيَّـةِ والدُّنْيَوِيَّـةِ فِيْـهِ نَسَقـاً

اعلم أَيها المحِبُّ! لهذا النبيّ الكريم [ﷺ]، الباحثُ عن تفاصيل جُمَل قَدْرِه العظيم أنَّ خصالَ الجَلالِ والكمال في البَشر نوعان: ضرُورِي دُنْيوي اقتَضَتْهُ الجِبِلَّة(١) وضرورةُ الحياةِ الدنيا؛ ومُكْتَسَب دِيني؛ وهو ما يُحْمَد فاعلُه، ويقرِّب إلىٰ الله [تعالىٰ] زُلْفى(٢).

ثم هي علىٰ فَنَّيْن أيضاً: منها ما يتخلَّصُ لأَحد الوصفين. ومنها ما يتمازَجُ ويتداخل.

فأَما الضروريّ المَحْض: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مِثْلُ ما كان في جِبِلَّته: من كمال خِلْقَته، وجمالِ صورته، وقوةِ عقله، وصحّةِ فهمه، وفصاحة لسانه، وقوةِ حواسّه وأعضائه، واعتدالِ حركاته، وشَرفِ نسبه، وعزَّة قومه، وكَرمِ أرضه؛ ويلحَقُ به ما تدعوه ضرورةُ حياتِهِ إليه، من غذَائه ونومه، وملبسه ومسكنه، ومَنْكَحِه، ومالِه وجاههِ.

وقد تلحَقُ هذه الخِصَالُ الآخرة (١٦/أ) بالأُخْرَوية إذا قصد بها التقوىٰ

---

(١) الجبِلَّة: الخِلْقَة.

(٢) الزلفىٰ: القربىٰ والمنزلة.

ومَعُونةَ البدن علىٰ سلوك طريقها ، وكانت علىٰ حدودِ الضرورةِ ، وقوانين الشريعة.

وأما المُكْتَسَبةُ الأُخْرَوِية: فسائرُ الأخلاقِ العَلِيّة ، والآداب الشرعية: من الدِّين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والزُّهد ، والتواضع ، والعَفْو ، والعِفّة ، والجُود، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والصَّمْتِ ، والتُّؤَدة[1] ، والوقار ، والرحمة ، وحُسْن الأدب ، والمعاشرة ، وأخواتها ، وهي التي جِمَاعُها حُسْنُ الخُلقِ.

وقد يكونُ من هذه الأخلاقِ ما هو في الغَرِيزة[2] ، وأَصْلِ الجِبِلَّة[3] لبعض الناس. وبعضُهم لا تكون فيه ، فيكتَسِبها ، ولكنه لا بدَّ أن يكونَ فيه من أصولها في أصل الجِبِلَّة شعبة[4] كما سَنُبَيِّنُهُ إن شاء الله تعالىٰ.

وتكون هذه الأخلاقُ دُنيوية إذا لم يُرَدْ بها وجْهُ الله تعالىٰ ، والدارُ الآخرة؛ ولكنها كلُّها محاسنُ وفضائل باتِّفاق أصحابِ العقول السليمة ، وإن اختلفوا في موجب حُسْنِها وتفضيلها.

فصل

[فِيْ اجْتِمَاعِ خِصَالِ الجَلالِ والكَمَالِ فِي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ][5]

إذا كانت خصالُ الكمال والجلال[6] ما ذكرناه ، ووجدنا الواحدَ منَّا يَشْرُفُ[7] بواحدة منها أو اثنتين ـ إن اتفقت له في كلِّ عصر ـ إمّا من نَسَب ، أو جمال ، أو قوة ، أو عِلْم ، أو حِلْم ، أو شجاعة ، أو سماحة ، حتى يعظُمَ

---

(١) في نسخة: «والتودّد». أي: إظهار الود والمحبة للناس. و«التؤدة»: التأني وترك العجلة.

(٢) الغريزة: الطبيعة والسجية.

(٣) الجبِلّة: الخلقة.

(٤) شعبة: قطعة.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من عندي.

(٦) في المطبوع: «والجمال».

(٧) يشرُف: تعلو منزلته ، ويعظم قدره.

قَدْره ، ويُضْرَبَ باسمه الأمثال ، ويتقَرَّر له بالوصف بذلك في القلوب أثَرَةٌ[1] وعظمة ، وهو منذ عصورٍ خَوَالٍ ، رَمَمٌ بَوَال[2] ، فما ظنُّك بعظيم قَدْرٍ من اجتمعت فيه كلُّ هذه الخصال إلىٰ ما لا يأخذه عَدٌّ ، ولا يعبِّرُ عنه مَقَال ، ولا يُنَال بكَسْب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال ، مِنْ فضيلةِ النبوة والرسالة ، والخُلَّة والمحبة ، والاصطفاء والإسراء والرؤية ، والقُرْب ، والدنوِّ ، والوحي ، والشفاعة ، والوسيلة[3] ، والفضيلة[4] ، والدرجة الرفيعة ، والمقام المحمود[5] ، والبُرَاق ، والمعراج ، والبعث إلىٰ الأحمر والأسود ، والصلاة بالأنبياء ، والشهادة بين الأنبياء والأمم ، وسيادةِ ولدِ آدم ، ولواءِ الحَمْد ، والبشارة ، والنِّذَارة ، والمكانة عند ذي العَرْش ، والطاعة ثَمَّ[6] ، والأمانة (٢/١٦) والهداية ، ورحمة للعالمين ، وإعطاء الرضا والسُّؤْل ، والكَوْثر ، وسماع القول ، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدّم وتأخر[7] ، وشَرْح الصَّدْرِ ، ووضع الوِزْر[8] ، ورَفْع الذكر ، وعِزَّة النصر ، ونزول السكينة ، والتأييد بالملائكة ، وإيتاء الحِكْمة، والكتاب[9]، والسَّبْع المثاني ، والقرآن العظيم ، وتزكية الأمة ، والدعاء إلىٰ الله ، وصَلاة الله [تعالىٰ] والملائكة ، والحُكم بين الناس بما أَرَاهُ الله ، ووَضْع الإصْرِ[10]

---

(١) أثَرَةٌ: منزلة (المعجم الوسيط).

(٢) (عصور خوالٍ): أي أزمان ماضية. (رَمَمٌ بَوَال): أي عظام بالية.

(٣) الوسيلة: منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله. قال عليه الصلاة والسلام: «وأرجو أن أكون أنا هو». رواه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمْرو.

(٤) الفضيلة: أي المرتبة الزائدة علىٰ سائر الأخلاق. (فتح الباري ٢/ ٩٥).

(٥) المقام المحمود: قال ابن الجوزي: «والأكثر علىٰ أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة». وانظر: الفتح ٢/ ٩٥ .

(٦) ثَمَّ: هناك.

(٧) في نسخة: «وما تأخر».

(٨) ووضع الوزر: تخفيف وتسهيل حمل أعباء النبوة والرسالة. انظر: كلمات القرآن لمخلوف.

(٩) في المطبوع: «وإيتاء الكتاب والحكمة».

(١٠) الإصر: الثقل. وفي التنزيل: «ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته علىٰ الذين من قبلنا».

والأغلال عنهم ، والقَسَم باسمه ، وإجابة دعوته ، وتكليم الجَمادات ، والعُجْم[1] ، وإحياء الموتىٰ ، وإسماع الصُمِّ ، ونَبْع الماء من بين أصابعه ، وتكثير القليل ، وانشقاق القمر ، ورَدّ الشمس ، وقلْب الأعيان ، والنصر بالرعب ، والاطلاع علىٰ الغيب ، وظلّ الغَمام ، وتسبيح الحَصا ، وإبراء الآلام ، والعِصْمة من الناس ، إلىٰ ما لا يَحْويه مُحْتَفِلٌ[2] ، ولا يحيط بعلمه إلا مانِحُه ذلك ومفضِّلهُ به ، لا إله غيره ، إلىٰ ما أَعَدّ له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ، ودرجات القُدْس ، ومراتب السعادة ، والحُسْنىٰ ، والزيادة التي تَقِفُ دونها العقول ويحار دون أدانيها الوهم .

فصل

[فِي صِفَاتِهِ الخِلْقِيَّةِ ﷺ][3]

إنْ قُلْتَ ـ أكرمكَ الله ـ: لا خفاءَ علىٰ القَطْع بالجُمْلة أَنه ﷺ أعلىٰ الناسِ قَدْراً ، وأعظَمُهم محَلاً ، وأكرمهم[4] وأكملهم محاسِنَ وفضلاً ، وقد ذهبتَ في تفاصيل خِصالِ الكمال مذهباً جميلاً ، شوَّقَني إلىٰ أنْ أَقِفَ عليها من أوصافه ﷺ تفصيلاً .

فاعلم ـ نوَّرَ الله قلبي وقلبَك ، وضاعفَ في هذ النبيّ الكريم حُبِّي وحبَّكَ ـ أَنَّكَ إذا نظرتَ إلىٰ خصَال الكمالِ ، التي هي غَيْر مُكْتَسبة ، وفي جِبلَّة الخِلْقَة وجَدْته حائزاً لجميعها ، مُحيطاً بشَتَات محاسنها دونَ خلافٍ بين نَقَلَة الأخبار لذلك ؛ بل قد بلغ بعضُها مَبْلَغ القَطْع .

أما الصورةُ وجمالُها ، وتناسُبُ أعضائه في حُسْنِها ، فقد جاءت الآثارُ الصحيحةُ والمشهورةُ الكثيرةُ بذلك .

---

(١) العُجْم : جمع عَجْماء ، وهي البهيمة .

(٢) محتفل : احتفل بالأمر : عني به .

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندي .

(٤) قوله : «وأكرمهم» : لم يرد في المطبوع .

٤١ ـ من حديثِ علي[١].

٤٢ ـ وأنس بن مالك[٢]. (١٧/أ).

٤٣ ـ وأبي هُريرة[٣].

٤٤ ـ والبَرَاء بن عازب[٤].

٤٥ ـ وعائشة أُم المؤمنين[٥].

٤٦ ـ وابن أَبي هَـالَـةَ[٦].

٤٧ ـ وأبي جُحَيْفَةَ[٧].

٤٨ ـ وجابر بن سَمُـرَةَ[٨].

٤٩ ـ وأُمّ مَعْبَد[٩].

---

(١) حديث عَلِيٍّ أخرجه الترمذي في السنن (٣٦٣٧ ، ٣٦٣٨) ، وفي الشمائل (٦) ، وأحمد ٨٩/١ ، ١٠١ ، وأبو يعلى (٣٦٩ ، ٣٧٠) ، والبغوي (٣٧٠٧). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بمتصل». وسيأتي طرف منه برقم (٦١) و(٢٨٥) و(٣٧٥)و (٣٧٧) و(٣٨٠) و(٣٨١).

(٢) حديث أنس بن مالك رواه البخاري (٣٥٤٧) ، ومسلم (٢٣٤٧).

(٣) حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٣٦٤٨) ، وأحمد ٢/ ٣٥٠ ، وصححه ابن حبان (٢١١٨) موارد، وهناك استوفينا تخريجه.

(٤) حديث البراء بن عازب رواه البخاري (٣٥٤٩ ، ٣٥٥١) ، ومسلم (٢٣٣٧).

(٥) حديث عائشة رواه أبو داود (٤١٨٧) ، والترمذي (١٧٥٥) ، وابن ماجه (٣٦٣٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذ الوجه.

(٦) حديث هند بن أبي هالة سيذكره المصنف برقم (٣٧٤) وهناك تخريجه.

(٧) حديث أبي جُحَيْفَةَ رواه البخاري (٣٥٤٤) ، ومسلم (٢٣٤٣).

(٨) حديث جابر بن سَمُرَةَ رواه مسلم (٢٣٣٩) ، والترمذي (٣٦٤٧).

(٩) قصة أم مَعْبَدٍ رواها البغوي (٣٧٠٤) ، من حديث حُبَيْش بن خالد ، وصححه الحاكم في المستدرك ٣/ ٩ ـ ١٠ ، ووافقه الذهبي ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ شرح السنة : «حديث حسن قوي». وزاد نسبته السيوطي في الخصائص إلىٰ ابن شاهين وابن السكن وابن مندة والبيهقي وأبي نعيم. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٥٥ ـ ٥٨ وقال: «رواه الطبراني وفي إسناده جماعة لم أعرفهم». ثم ذكره الهيثمي أيضاً ٨/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ من=

٥٠ ـ وابن عباس[١] .

٥١ ـ ومُعَرِّضِ بن مُعَيْقِيب[٢] .

٥٢ ـ وأبي الطُّفَيْل[٣] .

٥٣ ـ والعَدَّاء بنِ خالد[٤] .

٥٤ ـ وخُرَيْم بن فاتِك .

٥٥ ـ وحَكِيم بن حِزَام[٥] وغَيْرهم ، من أنه ﷺ كان أَزْهَرَ[٦] اللَّونِ ، أَدْعَجَ[٧] ، أَنْجَلَ[٨] ، أَشْكَلَ[٩] أَهْدَبَ الأشْفَار[١٠]

= حديث سُلَيْطٍ ، وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن يحيىٰ المديني ، ونسبه البخاري وغيره إلىٰ الكذب ، وقال الحاكم: صدوق ، فالعجب منه ، وفيه مجاهيل أيضاً». وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣/١٦٦ : «وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً». وسيورد المصنف طرفاً من قصة أم معبد برقم (٥٩ ، ١٢٦ ، ٣٧٨ ، ٩١٢).

(١) حديث ابن عباس أخرجه الترمذي في الشمائل (١٤) ، والدارمي برقم (٥٩) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٧٩ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف».

(٢) حديث مُعَرِّضِ بن مُعَيْقِيبٍ ذكره ابن الأثير في أُسْدِ الغابة (٥٠٢٣) وعزاه إلىٰ ابن مندة وأبي نعيم.

(٣) حديث أبي الطفيل أخرجه مسلم (٢٣٤٠) ، وانظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٠ .

(٤) حديث العدَّاء بن خالد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٨١ وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم».

(٥) حديث حكيم بن حزام ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٨ وقال: «رواه الطبراني وفيه يعقوب بن محمد الزهري ، وضعفه الجمهور ، وقد وُثِّق».

(٦) أزهر: مستنير ، وهو أحسن الألوان ، والزهرة: البياض النير. (جامع الأصول ١١/ ٢٢٩).

(٧) أدعج: الدعج في العين: شدة سوادها. (جامع الأصول ١١/ ٢٢٩).

(٨) أنجل: واسع العين مع حسن.

(٩) أشكل: في بياض عينيه حمرة ، وهو محمود محبوب. (النهاية).

(١٠) أهدب الأشفار: الذي شعر أجفانه كثير مستطيل. (جامع الأصول).

أَبْلَجَ[1] ، أَزَجَّ[2] ، أَقْنَىٰ[3] ، أَفْلَجَ[4] ، مُدَوَّرَ الوجه ، واسعَ الجَبِين ، كَثَّ اللحيةِ ، تملأ صدْرَه ، سَوَاءَ البطْنِ والصَدْرِ ، واسعَ الصَّدْر ، عظِيم المَنْكِبين ، ضَخْمَ العِظَام ، عَبْلَ العَضُدَين[5] والذراعين ، والأسافِلِ[6] ، رَحْبَ الكفَّين[7] والقَدَمين ، سائلَ الأطراف[8] ، أَنْوَرَ المُتَجَرَّد[9] ، دَقِيقَ الْمَسْرُبةِ[10] ، رَبْعَةَ القَدِّ[11] ، ليس بالطويل البائن[12]، ولا بالقصير المتردِّدِ[13]، [و] مع ذلك فلم يكن يمَاشِيه أَحَدٌ يُنْسَبُ إلىٰ الطول إلا طَالَهُ ﷺ ، رَجِلَ الشَّعْر[14] ، إذا افْـتَـرَّ ضَاحكاً افْـتَـرَّ عن مِثْلِ سنَا البَرْقِ ، وعن مِثْلِ حَبِّ الغَمَام[15] ، إذا تكلَّم رُئي كالنور يخرجُ من ثَنَايَاه[16] ، أَحسَنَ الناسِ عُنُقاً ، ليس

---

(١) أبلج: أي مشرق الوجه ، مسفره. (النهاية).
(٢) أزجّ: الزَّجج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد/ النهاية.
(٣) أقنى: سيشرحها المصنف عقب الحديث الآتي برقم (٣٧٧).
(٤) أفلج: الفلج بالتحريك: فرجة ما بين الثنايا والرباعيات.
(٥) عبل العضدين: أي ضخم العضدين. والعضد: ما بين المرفق إلى الكتف.
(٦) الأسافل: الفخذان والساقان.
(٧) رحْب الكفين: واسعهما.
(٨) سائل الأطراف: طويل الأصابع.
(٩) أنور المتجرَّد: أي ما جرد عنه الثياب من جسده ، وكشف. يريد: أنه كان مشرق الجسد (النهاية).
(١٠) دقيق المسْرُبة: المسربة: الشعر النابت علىٰ وسط الصدر نازلاً إلىٰ آخر البطن (جامع الأصول).
(١١) ربْعَـةُ القَدِّ: معتدل القامة بين الطويل والقصير.
(١٢) الطويل البائن: المفرط في الطول.
(١٣) في الأصل: «القصير المتردد»، والمثبت من المطبوع، والقصير المتردد: المتناهي في القصر.
(١٤) رجِل الشعر: أي شعره ﷺ لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة، بل بينهما. انظر النهاية.
(١٥) حبّ الغمام: هو البَـرَدُ، شبّه به بياض أسنانه ﷺ.
(١٦) الثنايا: واحدها ثنية. وهي إحدى الأسنان الأربع التي في مقدمة الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت (المعجم الوسيط).

بِمُطَهَّمٍ[1] ولا مُكَلْثَمٍ[2] متماسِكَ الْبَدَن ، ضَرْبَ اللَّحْم[3] .

٥٦ ـ قال البَرَاءُ [بن عازب]: ما رأيتُ من ذِي لِمَّة في حُلَّة حمراءَ أحسنَ من رسولِ اللهِ ﷺ[4] .

٥٧ ـ وقال أبو هُريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ شيئاً أحسن من رسول اللهِ ﷺ ، كأن الشمسَ تجري في وجهه ، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُرِ[5] .

٥٨ ـ وقال جابر بن سَمُرَةَ ـ وقال له رجُل ـ: كان وجْهُه ﷺ مِثْلَ السَّيْف؟ فقال: لا ، بل مثل الشمس والقَمَر . وكان مستديراً[6] .

٥٩ ـ وقالتْ أُمُّ مَعْبَدٍ ـ في بعض ما وصفَته به ـ: أَجملُ الناسِ من بَعِيد ، وأَحْلاَه وأحسنُه من قريب[7] [صلى الله عليه وسلم تسليماً كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون] .

٦٠ ـ وفي حديث ابْنِ أبي هَالَةَ: يَتَلأْلأُ وجْهُهُ تَلأْلُؤَ القمر ليلةَ الْبَدْرِ[8] .

٦١ ـ وقال عليّ رضي الله عنه في آخر وصْفه لهُ: مَن رآه بدِيهَةً هابَهُ ، ومَنْ

(١) المُطَهَّم: المنتفخ الوجه ، وقيل: الفاحش السمن ، وقيل: النحيف الجسم ، وهو من الأضداد (النهاية).

(٢) المكلثم: المستدير الوجه ، ولا يكون إلا مع كثرة اللحم (جامع الأصول ١١/ ٢٢٦).

(٣) ضرب اللحم: أي خفيف اللحم.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٠١) ، ومسلم (٢٣٣٧). اللِّمَّةُ: الشعر الذي أَلَمَّ بالمنكبين. أي: قاربهما.

(٥) أخرجه ـ بدون الفقرة الأخيرة ـ الترمذي في السنن (٣٦٤٨)، وفي الشمائل (١١٥)، وأحمد ٢/ ٣٥٠، والبغوي (٣٦٤٩) وصححه ابن حبان (٢١١٨) موارد الظمآن. والفقرة الأخيرة رواها معمر بن راشد في الجامع (٢٠٤٩٠) برواية الإمام عبد الرزاق. وسيأتي طرف منه برقم (٩٤). (يتلألأ في الجدر): أي أن نور وجهه الشريف يشرق إشراقاً يصل إلى الجدران المقابلة كما يكون ذلك من الشمس.

(٦) رواه مسلم (٢٣٤٤/ ١٠٩). وعزاه في المناهل إلى الشيخين. بينما عزاه ابن الأثير في جامع الأصول ١١/ ٢٤٠ إلى مسلم دون البخاري. والله أعلم.

(٧) تقدم حديث أم معبد برقم (٤٩)، وسيأتي برقم (١٢٦ ، ٣٧٨، ٩١٢).

(٨) حديث هند بن أبي هالة تَقَدَّمَ برقم (٤٦) وسيأتي تخريجه برقم (٣٧٤/ ١).

خالطه معرفةً أحبَّه ، يقول ناعِتُه : لم أَرَ قبله ولا بعده مِثْلَه[ﷺ][1] .

والأحاديثُ في بَسْطِ صفَتِه مشهورةٌ كثيرة ، فلا نُطَوِّلُ بسَرْدِها .

وقد اختصرنا في وصْفهِ نُكَتَ[2] ما جاءَ فيها ، وجُمْلةً مما فيه الكفايةُ في القَصْدِ إلىٰ المطلوب ، وختمنا هذه الفصول بحديثٍ جامع لذلك تَقِفُ عليه هنالك إن شاء الله تعالىٰ .

فصل

[فِي نَظَافَتِهِ ﷺ وَطِيْبِ رِيْحِهِ وَعَرَقِهِ وَدَمِهِ][3]

وأما نظافةُ جسمه ، وطِيبُ رِيحِه وَعَرَقِهِ ، ونزاهَته عن الأقذار وعَوْرَاتِ الجَسد فكان(١٧/ب) قد خصَّه اللهُ في ذلك بخصائصَ لم توجَدْ في غيره ، ثم تمَّمَها بنظافة الشَّرْعِ ، وخِصَال الفِطْرَةِ العَشْرِ[4] .

٦٢ ـ وقال : «بُـنِيَ الدِّينُ علىٰ النظافة»[5] .

---

(١) تَـقَـدَّمَ تخريجه برقم (٤١). (بديهة): أي مفاجأة وبغتة (النهاية). (ناعته): واصفه.

(٢) تقدم شرحها ص (٤٨).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندي.

(٤) خصال الفطرة العشر رواها مسلم (٢٦١) من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء. قال زكريا (ابن أبي زائدة): قال مصعب (ابن شيبة): ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني: الاستنجاء.

(٥) قال السيوطي في المناهل رقم (٦١): «قال الحافظ أبو الفضل العراقي في تخريج الإحياء (١/ ١٢٥): لم أجده هكذا ، وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة: «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» وللطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود: «والنظافة تدعو إلىٰ الإيمان». وسندهما ضعيف. قلت: روىٰ الترمذي عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «إن الله نظيف يحب النظافة فنظفوا أفنيتكم». وأخرج الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً: «تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله بنىٰ الإسلام علىٰ النظافة ، ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف».

٦٣ ـ حدثنا سُفْيان بن العاصي ، وغيرُ واحد ، قالوا: حدثنا أحمد بن عُمر. حدثنا أبو العباس الرازيّ ، حدثنا أبو أحمد الجُلُودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم [قال] . حدثنا قُتيبة ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال: ما شَمِمْتُ عَنْبَراً قطُّ، ولا مِسْكاً ، ولا شيئاً أطْيبَ من رِيح رسولِ الله ﷺ(١) .

٦٤ ـ وعن جابر بن سَمُرَةَ: أنه ﷺ مسح خدَّه؛ قال: فوجدتُ لِيَدِه بَرْداً ورِيحاً ، كأنما أَخْرجها مِنْ جُونَةِ عَطَّار(٢) .

قال غيره: مسَّها بطِيب أو لم يمسَّها ، يُصافِحُ المُصَافَحَ فيظلُّ يومَه يجدُ رِيحَها؛ ويَضَعُ يدَه علىٰ رأس الصبيّ فيُعْرَف من بين الصبيان برِيحها.

٦٥ ـ ونام رسولُ ﷺ في دار أَنس [علىٰ نِطْع](٣) فعَرق ، فجاءت أمُّـه(٤) بقَارورَة تجمَعُ فيها عَرَقَه ، فسألها [رسولُ الله] ﷺ عن ذلك؟ فقالت: نجعلهُ في طِيبنا ، وهو مِنْ أطيبِ الطيب(٥) .

٦٦ ـ وذكر البخاري في تاريخِـهِ الكبير ، عن جابر: لم يكن النبيُّ ﷺ يمرُّ في طريقٍ فيَتْبَعه أحد إلا عُرِف أنه سلكه من طِيبه(٦) .

---

(١) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٣٣٠). قلت: وأخرجه أيضاً البخاري (١٩٧٣) بلفظ قريب.

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٩). (جونة العطار): هي التي يعد فيها الطيب ويدخره (جامع الأصول ١١/ ٢٥١). وجونة: مهموزة وقد يترك همزها.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من شرح الخفاجي والقاري. والنطع: البساطُ .

(٤) أمه: هي أمُّ سُلَيْم ، زوج أبي طلحة.

(٥) رواه مسلم (٢٣٣١) من حديث أنس. ورواه البخاري (٦٢٨١) بسياقة أخرىٰ.

(٦) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، والدارمي برقم (٦٧). وفي الباب: عن أنس عند أبي يعلىٰ (٣١٢٥)، والبزار، والطبراني في الأوسط ، وأبي الشيخ. وجوّد إسناده السيوطي في المناهل (٦٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٢ : «ورجال أبي يعلىٰ وثقوا».

[و] ذكر إسحاقُ بن رَاهَوَيْه[1] أنَّ تلك كانت رائحته بلا طيب ، ﷺ .

٦٧ ـ وروىٰ الـمُـزَنـيُّ[2] ، عن جابر : أَرْدَفني النبيُّ ﷺ خَلْفه ، فالتقَمْتُ خاتَم النبوة بفَمِي ، فكان يَشُجُّ[3] عليَّ مِسْكاً[4] .

٦٧م ـ وقد حكَىٰ بعضُ المُعْـتَـنِين بأخباره وشمائله ﷺ : أنه كان إذا أراد أنْ يتغَـوَّطَ انشقّـت الأرضُ فـابتلعـت غـائطَـه وبَـوْلَـه ، وفـاحـت لـذلـك رائحـة طيبة ﷺ[5] .

٦٨ ـ وأسند محمدُ بن سعد[6] ـ كاتِبُ الواقِدي ـ في هذا خبراً عن عائشة [رضي الله عنها] أنها قالت[7] للنبي ﷺ: إنكَ تأتي الخَلاَءَ فلا يُرىٰ منكَ شيءٌ

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي. قال الذهبي: «شيخ المشرق وسيِّد الحفاظ». ولد سنة (١٦١) هـ. ومات سنة (٢٣٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨ ـ ٣٨٣.

(٢) هو إسماعيل بن يحيىٰ المزني. صاحب الإمام الشافعي كان زاهداً عالماً مجتهداً قوي الحجة. ولد سنة (١٧٥) هـ. ومات سنة (٢٦٤) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٢ ـ ٤٩٧ .

(٣) يَشُجُّ عليَّ مسكاً: أي أَشَمُّ منه مسكاً (النهاية). وفي المطبوع: «يَنِمُّ» أي: يفوح.

(٤) ابن عساكر في تاريخه كما في المناهل (٦٧).

(٥) ذكره السيوطي في مناهل الصفا (٦٨) وقال: «البيهقي عن عائشة ، وقال: موضوع. وأخرج الحكِيم الترمذي في نوادر الأصول ، من طريق عبد الرحمن بن قيس ـ وهو وضَّاع كذاب ـ عن عبد الملك بن عبد الله بن الرائد ـ وهو مجهول ـ عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن له ظل في شمس ، ولا قمر ، ولا أثر قضاء حاجة. وأخرج الدارقطني في «الأفراد» بسند ثابت عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله! إني أراك تدخل الخلاء ، ثم يجيء الذي بعدك فلا يرىٰ لما يخرج منك أثراً؟ فقال: يا عائشة! أما علمِت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما خرج من الأنبياء؟». وقد عزا المصنف هذا في الباب ، وقد قال: إنه غير مشهور. قلت: هو أقوىٰ ما في الباب. وقد قال ابن دحية في «الخصائص» بعد إيراده: هذا سند ثابت. وأخرج الحاكم (٤/ ٧٢) بسند فيه متهم من حديث ليلىٰ مولاة عائشة ، قالت: دخل رسول الله ﷺ لقضاء حاجته ، فدخلتُ ، فلم أر شيئاً ، ووجدت ريح المسك ، فقلت: يا رسول الله! إني لم أر شيئاً؟ قال: إن الأرض أمرت أن تكفنه منا معاشر الأنبياء» وله طرق أخرىٰ أوردناها في كتاب المعجزات ، فهو ثابت كما قال ابن دحية».

(٦) صاحب كتاب الطبقات ، توفي سنة (٢٣٠) هـ .

(٧) في الأصل: «أنها كانت قالت» ، والمثبت من المطبوع.

من الأذىٰ! فقال: «يا عائشةُ! أو ما علِمتِ أنَّ الأرض تبتلعُ ما يخرج من الأنبياء ، فلا يُـرى منه شيء؟»[1].

وهذا الخَبَرُ ، وإنْ لم يكن مشهوراً ، فقد قال قومٌ من أهلِ العلم بطهارة الحدَثَيْنِ منه ﷺ. وهو قولُ (١٨/ا) بعضِ أصحابِ الشافعيِّ[2] حكاه الإمام أبو نصر بن الصَّبَّاغ[3] في «شامِلِهِ».

وقد حكىٰ القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه : «البديع في فروع المالكية ، وتخريج ما لم يقَعْ لهم منها علىٰ مذهبهم من تَفَاريع الشافعية».

وشاهدُ هذا أنه ﷺ لم يكن منه شيء يُكرَه ، ولا غَيْرُ طيب.

٦٩ ـ ومنه حديث علي رضي الله عنه: غسلْتُ النبيَّ ﷺ ، فذهبتُ أنظُرُ ما يكونُ من الميت فلم أجدْ شيئاً؛ فقلت: طِبْتَ حياً وميّتاً[4] [قال: وسطعت منه ريحٌ طيِّبة لم نَجِدْ مثلَها قطّ][5].

٧٠ ـ ومثلُه قال أبو بكر رضي الله عنه حينَ قبَّلَ النبيَّ ﷺ بعد موته[6].

---

(١) انظر تخريج سابقه.

(٢) قال القاري : لكن المعتمد في المذهب خلافه كما ذكره الـدَّلَجي.

(٣) هو الإمام العلامة الثبت الحجة عبد السيد بن محمد البغدادي مصنف كتاب «الشامل» ، و«الكامل» وغيره. ولد سنة (٤٠٠) هـ. ومات سنة (٤٧٧) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤ .

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٤٦٧)، والبيهقي (٣/ ٣٨٨) ، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات». وصححه الحاكم (١/ ٣٦٢) وقال الذهبي: «فيه انقطاع»، وانظر المراسيل لأبي داود رقم (٤١٥).

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من المطبوع.

(٦) أخرجه البزار (٨٥٢) كشف الأستار من حديث ابن عمر. وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٧٠) ، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٧ ـ ٣٨ وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة». وروىٰ التقبيلَ البخاريُّ (٤٤٥٢ ، ٤٤٥٣) من حديث عائشة.

٧١ ـ ومنه شُرْبُ مالك بن سنان[١] دمَه يوم أُحُد ، ومَصُّه إياه ، وتسويغُه ﷺ ذلك له ، وقوله: «لن تُصِيبَه النارُ»[٢].

٧٢ ـ ومثلُه شُرْبُ عَبْدِ اللهِ بن الزُّبير دمَ حِجَامته؛ فقال له عليه السلام: «وَيْلٌ لك من الناس! ووَيْلٌ لهم منك!»[٣] ولم ينكره عليه.

٧٣ ـ وقد رُوي نحوٌ من هذا عنه في امرأة شربَتْ بَوْلَه ، فقال لها: «لن تشتكي وَجَع بَطْنِك أبداً»[٤].

---

(١) مالك بن سنان هو والد أبي سعيد الخدري.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٠ من حديث أبي سعيد الخدري ، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ولم أر في إسناده من أجمع على ضعفه». وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي من وجه آخر عن عمر بن السائب أنه بلغه أن مالكاً والد أبي سعيد الخدري. . . . فذكره.

(٣) أخرجه البزار (٢٤٣٦) ، والحاكم (٣/ ٥٥٤) ، والبيهقي (٧/ ٦٧) وغيره من حديث عبد الله بن الزبير. وجوَّد إسناده السيوطي في المناهل (٧٢) ، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٧٠: «ورجال البزار رجال الصحيح غير هنيد بن القاسم وهو ثقة». وسيعيده المصنف برقم (٩٨٣).

(٤) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ أبو أحمد العسكري وأبو يعلىٰ في المسند الكبير من حديث أم أيمن. وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده ، والحاكم (٤/ ٦٣ ـ ٦٤) ، والدارقطني ، والطبراني ، وأبو نعيم من حديث أبي مالك النخعي ، عن الأسود بن قيس ، عن نُبَيْح العَنَزِيِّ ، عن أم أيمن قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلىٰ فخارة في جانب البيت فبالَ فيها. . . وفيه أنها شربت بوله ﷺ ، فقال: «أما واللهِ! إنه لا يجعك بطنك أبداً». وإسناده ضعيف. وأخرجه البيهقي ٧/ ٦٧ من حديث ابن جُرَيْجٍ قال أخبرتني حكيمة بنت أُمَيْمة ، عن أُمَيْمَةَ أمها أن النبي ﷺ كان يبول في قَدَحٍ من عَيْدانٍ ، ثم وضع تحت سريره فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء ، فقال لامرأة ـ يقالُ لها بَرَكةُ كانت تخدمه لأم حبيبة ، جاءت معها من أرض الحبشة ـ: «أين البول الذي كان في هذا القدح؟» قالت: شربته يا رسول الله. وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٧٠ ـ ٢٧١: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة ، وكلاهما ثقة».

وقال الحافظ في تلخيص الحبير ١/ ٣١: «وله طريق أخرىٰ رواها عبد الرزاق عن ابن جريج ، أُخبرتُ أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عَيْدان ، فذكر مثل الرواية السابقة ، وزاد: «قال: صحة يا أم يوسف! وكانت تكنىٰ أم يوسف ، فما مرضت قط حتىٰ كان مرضها الذي ماتت فيه». وصححه الدارقطني والقاضي عياض كما ترىٰ ، وقال الحافظ في تلخيص الحبير ١/ ٣٢: وصحح ابنُ دِحية أنهما قضيتان وقعتا لامرأتين ، وهو واضح من اختلاف=

ولم يأمر واحداً منهم بغَسْلِ فَمٍ ، ولا نهاه عن عَوْدةٍ.

وحديث هذه المرأةِ التي شَرِبَتْ بَوْلَه صحيح ألزم الدارَقُطْني مسلماً والبخاري إخراجه في الصحيح ، واسم هذي المرأة بَرَكَة. واختلف[1] في نسبها.

وقيل: هي أمُّ أيمن: وكانت تَخْدُم النبيَّ ﷺ؛ قالت: وكان لرسول الله ﷺ قَدَحٌ من عَيْدَانٍ[2] يوضع تحت سريره يَبُولُ فيه من الليل ، فبال فيه ليلةً ، ثم افتقده ، فلم يجد فيه شيئاً. فسأل بَرَكَةَ عنه؛ فقالت: قمْتُ وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم.

روَى حديثَها ابنُ جُرَيْجٍ[3] وغيرُه.

٧٤ ـ وكان ﷺ قد وُلِدَ مَخْتُوناً مقطوعَ السُّرَّة[4].

= السياق ، ووضح أن بركة أم يوسف غيرُ بركة أم أيمن مولاته ، والله أعلم».
وأخرج أبو داود (٢٤)، والنسائي (١/ ٣١) من طريق ابن جريج ، حدثتني حكيمة ، عن أمها أميمة بنت رقيقة أنها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عَيْدانٍ تحت سريره يبول فيه بالليل.
وصححه ابن حبان (١٤١) موارد الظمآن ، والحاكم ١/ ١٦٧ ووافقه الذهبي.

(١) في المطبوع: «واختلفت».

(٢) عَيْدان: النخل الطوال المنجردة ، الواحدة: عَيْدانة.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج الأموي ، ثقة فقيه فاضل. مات سنة (١٥٠) أو بعدها. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥ ـ ٣٣٦

(٤) ورد ذلك من حديث العباس وابنه عبد الله ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وصححه الضياء في «المختارة» ، وقال الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٢: «وقد تواترت الأخبار أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً» وتعقبه الذهبي فقال: «ما أعلم صحة ذلك ، فكيف يكون متواتراً...». وقال الحافظ ابن كثير في السيرة ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩: «وقد ادعىٰ بعضهم صحته لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر وفي هذا كله نظر». وقال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد ١/ ٨١: «ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات ، وليس فيه حديث ثابت». وقال الحافظ ابن رجب في مجالس في سيرة النبي ﷺ ص(٦٤) «ولم يجترىء أبو عبد الله ـ أي الإمام أحمد ـ علىٰ تصحيح هذا الحديث». وانظر الأحاديث ٣٠٢ ـ ٣٠٥ في تحفة المودود لابن القيم بتحقيقي.

٧٥ ـ [وروي عن أُمِّهِ آمنة ، أنها قالت : قد ولدتُه نظيفاً ما به قذَر[١]][٢] .

٧٦ ـ وعن عائشة رضي الله عنها : ما رأيتُ فَرْجَ رسولِ اللهِ ﷺ قطُّ[٣] .

٧٧ ـ وعن علي رضي الله عنه : أوصاني النبيُّ ﷺ لا يغسله غيري ؛ فإنه «لا يَرىٰ أحدٌ عَوْرتي إلا طُمِسَتْ عيناه»[٤] .

٧٨ ـ وفي حديث عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس رضِيَ الله عنه (١٨/ب) : أنه ﷺ نامَ[٥] حتى سُمِعَ له غَطِيطٌ[٦] ، فقام فصلَّىٰ ولم يتوضأ[٧] ، قال عِكْرِمَةُ : لأنه كان ـ ﷺ ـ محفوظاً .

فصل

[فِي وُفُورِ عَقْلِهِ، وَذَكَاءِ لُبِّهِ، وَقُوَّةِ حَوَاسِّهِ، وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ، وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ ﷺ][٨]

وأما وفُورُ عَقْلِه ، وذكاءُ لُبِّه ، وقوةُ حواسّه ، وفصاحةُ لسانه ، واعتدالُ حركاته ، وحُسْن شمائله فلا مِرْيَةَ[٩] أنه كان أعقلَ الناسِ وأذكاهم .

---

(١) نسبه في المناهل (٧٦) إلىٰ ابن سعد في طبقاته .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من المطبوع .

(٣) رواه الترمذي في الشمائل (٣٥٢) ، وابن ماجه (١٩٢٢) ، وأحمد ٦/ ٦٣ وفيه راوٍ لم يُسَمَّ . وسيعيده المصنف برقم (٢١٥) .

(٤) رواه البزار (٨٤٨) كشف الأستار ، والبيهقي في الدلائل . قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٦ : «فيه يزيد بن بلال ، قال البخاري : فيه نظر . وبقية رجاله وثقوا ، وفيهم خلاف» . وقال الذهبي في الميزان : «يزيد بن بلال ، عن علي ، لم يصح حديثه» .

(٥) في الأصل : «قام» ، وهو تحريف .

(٦) الغطيط : الصوت الذي يخرج مع نَفَسِ النائم (النهاية) .

(٧) أخرجه أحمد ١/ ٢٤٤ من حديث عكرمة به . وهو طرف من حديث بيتوتة ابن عباس عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ . رواه ـ بألفاظٍ ـ : البخاري (١١٧) ، ومسلم (٧٦٣/ ١٨٤) .

(٨) ما بين حاصرتين من عندي .

(٩) لا مِرْيَةَ : لا شكَّ .

ومَنْ تأمّل تدبيره أَمْرَ بواطنِ الخَلقِ وظواهرهم ، وسياسةَ العامة والخاصة ، مع عجيب شمائله ، وبديع سِيرِهِ ، فَضْلاً عما أفاضه من العلم ، وقرَّرَه من الشرعِ دونَ تعلُّمٍ سبقَ ، ولا مُمَارسة تقدمت ، ولا مُطالعةٍ للكتب منه ، لم يَمْتَرِ[١] في رُجْحانِ عقله ، وثُقُوبِ فهمه[٢] لأول بَدِيهة ؛ وهذا ما لا يحتاج إلىٰ تقريره لتحقيقه .

وقد قال وَهْب بن مُنَبِّه[٣] : قرأتُ في أحد وسبعين كتاباً ، فوجدتُ في جميعها أن النبيَّ ﷺ أرجحُ الناسِ عقلاً ، وأفضلُهم رأياً .

وفي رواية أخرىٰ : فوجدتُ في جميعها أنّ الله تعالىٰ لم يُعْطِ جميعَ الناس من بَدْءِ الدنيا إلىٰ انقضائها من العقل في جَنْبِ عقله ﷺ إلا كحبة رَمْل بين[٤] رمال الدنيا .

٧٩ ـ وقال مجاهد : كان رسولُ اللهِ إذا قام في الصلاة يَرَىٰ مَنْ خَلْفَهُ كما يرى مَنْ بَيْنَ يديه[٥] . وبه فُسِّرَ قولهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٩] .

٨١ ـ وفي المُوَطّأ[٦] عنه عليه السلام : «إني لأراكم من وَراءِ ظَهْري»[٧] .

٨٢ ـ ونحوه عن أنس بن مالك في الصحيحين[٨] .

---

(١) لم يمترِ : لم يشك .

(٢) ثقوب فهمه : إصابته .

(٣) وَهْبُ بن مُنَبِّه بن كامل اليماني ، تابعي ثقة . مات سنة مئة وبضع عشرة للهجرة (التقريب) .

(٤) في المطبوع : «إلا كحبة رمل من بين» .

(٥) عزاه السيوطي في المناهل (٨٠) إلىٰ ابن المنذر والبيهقي عن مجاهد مرسلاً بهذا اللفظ .

(٦) الموَطّأ : كتاب في الحديث للإمام مالك بن أنس . مطبوع بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وغيره .

(٧) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٦٧) من حديث أبي هريرة . قلت : وأخرجه أيضاً البخاري (٤١٨) ، ومسلم (٤٢٤) . قال العلماء : معناه أن الله تعالىٰ خلق له ﷺ إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه . وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا .

(٨) أخرجه البخاري (٧٤٢) ، ومسلم (٤٢٥) .

٨٣ ـ وعن عائشة مثله؛ قالت: زيادةٌ زاده الله إياها في حُجَّته[١].

٨٤ ـ وفي بعض الروايات: «إني لأنـظُرُ مَنْ ورائي كما أَنْـظر إلىٰ مَنْ بَـيْنَ يديَّ»[٢].

٨٥ ـ وفي أخرىٰ: «إني لأُبْصِرُ منْ قَـفَايَ كما أُبصر مَنْ بين يديَّ»[٣].

٨٦ ـ وحكى بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ[٤]، عن عائشة [قالت]: كان النبيُّ ﷺ يرىٰ في الظُّلْمة كما يَرىٰ في الضوء[٥].

٨٧ ـ والأخبارُ كثيرة صحيحة في رؤيته ﷺ للملائكة والشياطين[٦].

٨٨ ـ ورُفِع النجاشيُّ[٧] له حتى صلَّىٰ عليه[٨].

٨٩ ـ وبيتُ المقدسِ حين وصفَه لقُريش[٩].

---

(١) ذكره السيوطي في المناهل (٨١) ولم يخرجه.

(٢) أخرجه البزار (٥٠٤) كشف الأستار، وعبد الرزاق في المصنَّف (٣٧٣٦) من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم ١/ ٢٣٦، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ٨٩: «رجاله ثقات». وانظر رواية أبي هريرة المتقدمة برقم (٨١) فهي متفق عليها.

(٣) أخرجه مسلم (٤٢٣) من حديث أبي هريرة: وفيه «من ورائي» بدل «من قفاي».

(٤) هو الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، الحافظ صاحب التفسير والمسند الَّلذين لا نظير لهما شهد سبعين غزوة في سبيل الله. ولد في حدود سنة (٢٠٠) هـ أو قبلها بقليل، ومات سنة (٢٧٦) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٥ ـ ٢٩٦

(٥) أخرجه ابن عدي والبيهقي في الدلائل. وقال: ليس بالقوي. وأخرجه أيضاً عن ابن عباس.

(٦) رؤيته ﷺ الملائكة ثابتة في الصحيحين وغيرهما. انظر لذلك جامع الأصول ٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩. ورؤيته ﷺ للشياطين ثابتة أيضاً في البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٥٤٢) من حديث أبي الدرداء.

(٧) النجاشي: لقب لكل من مَلَكَ الحبشة. والمقصود هنا: أَصْحَمَةُ.

(٨) صلاته ﷺ علىٰ النجاشي ثابتة في البخاري (١٣١٧)، ومسلم (٩٥٢) من حديث أبي هريرة، وفي مسلم (٩٥٣) من حديث عمران بن حصين. وليس فيها رفع النجاشي حين صلىٰ عليه.

(٩) سيذكر فيه المصنف حديثاً عن أبي هريرة برقم (٤٦٣)، وآخر عن جابر برقم (٤٦٤) وهو متفق عليه.

٩٠ ـ والكعبة حين بنى مسجده[١] .

٩١ ـ وقد حُكي عنه [ﷺ] أنه كان (١٩/أ) يرىٰ في الثُّرَيّا[٢] أحدَ عشر نَجْماً[٣] .

وهذه كلُّها محمولةٌ علىٰ رؤية العين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل وغيره .

وذهب بعضُهم إلىٰ ردِّها إلىٰ العِلْم ، والظواهرُ تُخالِفُه ، ولا إحَالَةَ في ذلك ، وهي من خواصّ الأنبياء وخِصَالِهِم .

٩٢ ـ كما أخبرنا أبو محمد: عبدُ الله بن أحمد العَدْل من كتابه؛ حدثنا أبو الحسن المقري الفرغاني حدثَتْنا أُمُّ القاسمِ بنتُ أبي بكرٍ ، عن أبيها ، حدثنا الشريف أبو الحسن: علي بن محمد الحسني، حدثنا محمد بن محمد بن سعيد ، حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا همّام[٤] [قال] ، حدثنا الحَسَن ، عن قَتَادةَ ، عن يحيىٰ بن وَثَّـاب ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ؛ قال: **«لما تَـجَلَّىٰ اللهُ لموسىٰ عليه السلام ـ كان يُـبْصِرُ النملةَ على الصَّفَـا ، في الليلة الظلماءِ ، مَسِيرةَ عَـشَرةِ فراسخ»**[٥] . ولا يبعدُ على هذا أنَّ يختصَّ نبيُّنا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحُظْوَة بما رأىٰ من آيات ربِّه الكبرىٰ .

---

(١) رواه الزبير بن بكّار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير مرسلاً. قال الدَّلَجيُّ: وهو غريب.

(٢) الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور ، وكلمة النجم علم عليها (المعجم الوسيط).

(٣) قال السيوطي في المناهل (٨٨): «لم أجده». وقال التلمساني إنه جاء في حديث ثابت من طريق العباس رضي الله عنه ، ذكره ابن أبي خيثمة / قاله الخفاجي في نسيم الرياض ٣٧٩/١.

(٤) كذا في الأصل ، صوابه ـ كما في الطبراني الصغير ١/ ٣٢ ـ هانىء بن يحيىٰ السُّلمي ، أخذ عن الحسن بن أبي جعفر أحد الضعفاء.

(٥) أخرجه الطبراني في الصغير ١/ ٣٢ من طريق محمد بن مرزوق بهذا الإسناد. قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٠٣: «فيه الحسن بن أبي جعفر الجفري ، وهو متروك». (فراسخ): جمع فرسخ ويساوي ثلاثة أميال أو (٥٥٤٤) متراً ، أو ١٢٠٠٠ خطوة ، حوالي ١,٥ ساعة/ الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور الزحيلي (١/ ١٧٥) . (الصفا): الحجارة الملساء.

٩٣ ـ وقد جاءت الأخبار بأنه صرع رُكَانَـةَ[(١)]، أَشدَّ أهلِ وقته ، وكان دعاه إلىٰ الإسلام.

٩٣م ـ وصارعَ أَبَا رُكَانـة في الجاهلية ، وكان شديـداً ، وعـاوَده ثـلاثَ مرات ، كلَّ ذلك يصرعُـهُ رسولُ الله ﷺ[(٢)].

٩٤ ـ وقال أبو هريـرة: ما رأيتُ أحداً أسرعَ مِنْ رسول الله ﷺ في مَشْيه ، كأنما الأرضُ تُـطْوىٰ له ، إنا لنُـجْهِدُ أنفسنا وهو غيرُ مُكْتَرِثٍ[(٣)].

٩٥ ـ وفي صفته: أنَّ ضَحِكَهُ كانَ تَبسُّماً ، إذا التفتَ التفتَ معاً ، وإذا مشىٰ مَشَىٰ تَـقَـلُّعاً ، كأَنما يَـنْـحَطُّ من صَبَبٍ[(٤)].

فصـل

[فِـي فَـصَاحَـةِ لِـسَـانِـهِ، وَبَـلاغَـةِ قَوْلِـهِ ﷺ][(٥)]

وأما فصاحةُ اللسانِ ، وبلاغةُ القول ، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحلِّ الأفضل والموضع الذي لا يُـجْهَل ، سلاسةَ طَبْع ، وبَـرَاعةَ مَنْـزَع ، وإيجازَ مَقْطَع ، ونَصَاعَـةَ لَفْظ ، وجزالَـةَ قول ، وصحَّةَ مَعَانٍ ، وقـلَّةَ تكلُّف ، أُوتِيَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٧٨) ، والترمذي (١٧٨٤) ، والحاكم(٣/ ٤٥٢) ، وأبو يعلى (١٤١٢). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب ، وإسناده ليس بالقائم. . .» وقال ابن حبان: «في إسناد خبره في المصارعة نظر».

(٢) قال الدَّلَجي: هذا الخبر ، وخبر أنه صارع أبا جهل وصرعه ، لم يصحا ، بل لا أصل لهما.

(٣) هو طرف من الحديث المتقدم برقم (٥٧). (غير مكترث): يقال: ما أَكْـتَـرِثُ له: ما أبالي به.

(٤) أخرج الترمذي (٣٦٤٨) عن جابر بن سمرة أنه ﷺ كان لا يضحك إلا تبسماً. وفي الباب عن هند بن أبي هالة ، وعبد الله بن الحارث وغيرهما. والتفاته ﷺ معاً ومشية تقلُّعاً تقدم من حديث علي برقم (٤١). (تقلُّعاً): أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً ، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه. (كأنما ينحط من صَبَبٍ): أي كأنه ينحدر من موضع عال(جامع الأصول ١١/ ٢٢٧).

(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

جوامَع الكَلِمِ ، وخُصَّ ببدائع الحِكَم ، وعُلِّمَ ألسنةَ العرب ، يخاطِبُ كلَّ أمة منها بلسانها ، ويُحَاورُها بِلُغتها[1] ، ويباريها (١٩/ب) في مَنْزَع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير مَوْطِن ، عن شَرْح كلامِهِ ، وتفسير قولِهِ.

[و] مَنْ تأمَّل حديثَه وسِيرَه عَلِم ذلك وتحقَّقه؛ وليس كلامهُ مع قريش والأنصارِ ، وأهلِ الحجاز ، ونَجْد ، ككلامهِ مع ذي المِشعَار الهَمْدَاني[2] ، وطِهْفَـةَ النَّهْدي[3] ، وقَطَن بن حارثةَ العُلَيْمي[4] ، والأشعث بن قيس[5] ، ووائل بن حُجْر الكِنْدي[6] ، وغيرهم من أَقْيَالِ[7] حَضْرَمَوتَ ، وملوكِ اليمن.

٩٦ ـ وانظر كتابَه إلىٰ هَمْدَانَ[8] : **«إن لكم فِرَاعَها ، ووِهَاطَها ، وعَزَازَها ، تأكلون عِلاَفَها وتَـرْعَوْن عَفَاءَها ، لنا مِنْ دِفْئهم وصِرَامِهم ما سلَّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصَّدَقة: الثِّـلْبُ ، والنابُ ، والفَصِيل ، والفارِضُ [و] الدَّاجِن ، والكَبْـشُ الحَـوَرِيُّ ، وعليهـم فيها الصالغ ، والقارح»**[9].

---

(١) في الأصل: «بلغاتها» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) هو مالك بن نَمَطِ الهمْداني. صحابي ، لقي النبي ﷺ مرجعه من تبوك. انظر ترجمته في أُسْدِ الغابة ٤/ ٢٧٤.

(٣) هو طِهْفة بن زهير النهدي ، صحابي وفد علىٰ النبي ﷺ سنة تسع. انظر ترجمته في أُسْدِ الغابة ٢/ ٤٧٨

(٤) هو قَطَنُ بن حارثة الكلبي العُلَيْمي ، من بني عُلَيْمٍ ، قدم علىٰ النبي ﷺ فسأله عن الدعاء له ولقومه في غيث السماء/ أُسْدُ الغابة ٤/ ١٠٨.

(٥) هو الأشعث بن قيس الكندي. وفد إلىٰ النبي ﷺ مسلماً سنة عشر من الهجرة ، وارتد بعد وفاته ﷺ ، ورجع إلىٰ الإسلام في عهد أبي بكر ، وشهد اليرموك والقادسية وغيرهما ، توفي سنة (٤٢) هـ. انظر ترجمته في أُسْدِ الغابة ١/ ١١٨

(٦) صحابي جليل ، كان من ملوك اليمن ، مات في ولاية معاوية (التقريب).

(٧) (أقيال): جمع قَيْلٍ: وهو أحد ملوك حِمْيَر دون الملك الأعظم (النهاية).

(٨) هَمْدان: اسم قبيلة.

(٩) عزاه في المناهل (٩٤) إلىٰ الزَّجَّاجي في أماليه معضلاً. (فِرَاعَها): الفِراع: ما علا من الأرض وارتفع. (وِهاطها): الوِهاطُ: المواضع المطمئنة ، واحدها: وَهْطٌ. (عَزازها): العَزاز: ما صلب من الأرض واشتد وخشن ، وإنما يكون في أطرافها. (عِلافها): جمع عَلَفٍ ، وهو ما تأكله الماشية. (عفاءها) أي: ما ليس فيه لأحد أثر ، أو ما ليس لأحدٍ فيه=

٩٧ ـ وقوله ﷺ لَنَـهْدٍ[١]: «اللهم! بارِكْ لهم في مَحْضِها ومَخْضِها، ومَذْقِها، وابعثْ راعِيَها في الـدَّثْر، وافجُرْ له الثَّـمَدَ، وبارِكْ له[٢] في المال والولد، مَنْ أقامَ الصلاةَ كان مُسْلماً، ومَنْ آتىٰ الزكاةَ كان مُحْسناً، ومن شَهِدَ أن لا إله إلا اللهُ كان مُخْلِصاً، لكم يابني نهدٍ! ودائعُ الشِّرْكِ، ووَضَائعُ المِلْكِ، لا تُـلْطِطْ في الزكاة، ولا تُـلْحِد في الحياة، ولا تتثاقَلْ عن الصلوات»[٣].

وكتب لهم: «في الوَظيفةِ الفَرِيضةُ، ولكم العَارِضُ[٤]، والفَرِيشُ، وذُو العِنَانِ الرَّكُوبُ، والفَلُوُّ الضَّبيسُ، لا يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ، ولا يُحْبَسُ دَرُّكُم، ما لم تُضْمِروا الرِّمَاقَ، وتأكلوا الرِّبَاق، مَنْ أَقَرَّ فله الوفاء بالعهد والذِّمَّةِ، ومَنْ أبىٰ فعليه الـرِّبْـوَة»[٥].

= مِلْكٌ. (من دفئهم): أي من إبلهم وغنمهم. (وصِرامهم): أي من نخلهم. (الميثاق) الإسلام أو العهد. (الثِّلْبُ والنَّابُ): الثِّلب من ذكور الإبل: الذي هرم وتكسَّرت أسنانه. والنَّاب: المُسِنَّةُ من إناثها. (الفصِيل): ولد الإبل بعد فطامه وفصله عن أمه. (الفارض): المسنُّ من الإبل. (الداجن): ما يعلفه الناس في منازلهم ولا يذهب إلىٰ المرعىٰ. (الحَوَرِيّ) منسوب إلىٰ الحَوَرِ، وهي جلود تتخذ من جلود الضأن. وقيل: هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ/ النهاية. (الصالغ): هو من البقر والغنم الذي كمل وانتهىٰ سِنُّهُ، وذلك في السنة السادسة. (القارحُ): هو من الخيل ما دخل في السنة الخامسة، وجمعهُ: قُرَّح.

(١) نَهْد: اسم قبيلة.

(٢) وفي نسخه من المطبوع: «لهم».

(٣) في المطبوع: «الصلاة».

(٤) في الأصل والمطبوع: «الفارض» والمثبت من النهاية وبعض نسخ الشفا. قال ابن الأثير: «العارض: المريضة. وقيل هي التي أصابها كسر: أي إنا لا نأخذ ذات عيبٍ فنضرُّ بالصدقة.

(٥) أخرجه كما في المناهل رقم (٩٥): أبو نعيم في معرفة الصحابة، والديلمي في مسند الفردوس من حديث عمران بن حُصَيْنٍ. وأبو نعيم من حديث حذيفة بن اليمان مختصراً. (مَحْضها): اللبن الخالص. (مخضها): اللبن الممخوض الذي أخذ زبده. (مَذْقها): اللبن المخلوط بالماء. (الدَّثْر): المال الكثير. وقيل: أراد بالدثر ها هنا الخِصْبَ والنبات الكثير/ النهاية. (وافجُر لهم الثَّمَدَ): الثمد: الماء القليل. أي افجره لهم حتىٰ يصير كثيراً/ النهاية. (ودائع الشِّرْك) أي العهود والمواثيق. وقيل: يَحْتَملُ أن يريد بها ما كانوا استودعوه من أموال الكفار الذين لم يدخلوا في الإسلام: أراد إحلالَها لهم، لأنها مال كافرٍ قُدِر عليه من غير عهد ولا شرط/ النهاية باختصار. (وضائعُ المِلْك): الوضائع: جمع =

٩٨ ـ ومن كتابه لوائل بن حُجْرٍ:

«إلىٰ الأقْيال العَبَاهِلة ، والأرْوَاع المَشَابِيب».

وفيه: «في التِّيعَةِ شاةٌ ، لا مُقوَّرَةُ الألْيَاطِ ، ولا ضِنَاكٌ ، وأنْطُوا الثَّبَجَة ، وفي السُّيُوبِ الخُمُسُ. ومن زَنَى مِمْ بِكْرٍ فاصْقَعُوهُ[1] مِئَةً ، واستَوْفِضوه عاماً ، ومَن زنى مِمْ ثَيِّبٍ فَضَرِّجُوه بالأضَامِيم ، ولا تَوْصِيمَ في الدِّين ، ولا غُمَّةَ في

= وضيعة ، وهي الوظيفة التي تكون علىٰ المِلْك ، وهي ما يَلزمُ النَّاسَ في أموالهم؛ من الصدقة والزكاة: أي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين ، لا نتجاوزها معكم ، ولا نزيد عليكم فيها شيئاً. وقيل: معناه ما كان ملوك الجاهلية يوظِّفون علىٰ رعيتهم ، ويستأثرون به في الحرب وغيرها من المغنم: أي لا نأخذ منكم ما كان ملوككم وظَّفوه عليكم ، بل هو لكم/ النهاية. (لا تلطط في الزكاة) أي: لا تمنعْها. (ولا تلحد في الحياة)أي: لا تميل عن الحق ما دمت حياً. قال في النهاية: «قال أبو موسىٰ: هكذا رواه القُتَيْبِيُّ. علىٰ النهي للواحد. والذي رواه غيره: «. . . ولا تثاقلٌ عن الصلاة ، ولا يُلْطَطُ في الزكاة ، ولا يُلْحَدُ في الحياة» وهو الوجه لأنه خطاب للجماعة واقع علىٰ ما قبله». (ولا تتثاقل عن الصلوات) أي لا تتباطأ عن أدائها في أوقاتها. (في الوظيفة الفريضة) جاءت هذه العبارة في النهاية: «لكم في الوظيفةِ الفريضةُ» أي: الهرمةُ المسنة ، يعني هي لكم ولا تؤخذ منكم في الزكاة. ويُروىٰ «عليكم في الوظيفةِ الفريضةُ» أي في كل نصابٍ ما فُرِض فيه.

(الفريش): هي الناقة الحديثة الوضع (النهاية).

(ذو العِنان الركوب): يريد الفرسَ الذلول. والعنان: سَيْرُ اللجام. (الفَلُوُّ): المُهر.

(الضَّبيسُ): الصَّعْبُ العَسِرُ. (لا يمنع سَرْحُكم): أي لا تمنع ما شيتكم عن مرعىً تريده.

(يعضد): يقطع. (طلحكم): الطَّلحُ: شجر عظام من شجر العِضَاهِ ترعاه الإبل/ المعجم الوسيط. (لا يحبس دركم): الدرُّ: الماشية التي تدر لبناً. قال ابن الأثير في النهاية: «أراد أنها لا تحشر إلىٰ المصدِّق ، ولا تحبس عن المرعىٰ إلىٰ أن تجتمع الماشية ثم تُعَدَّ؛ لما في ذلك من الإضرار بها».

(ما لم تضمروا الرماق): أي النفاق ، يعني: ما لم تَضق قلوبكم عن الحق/ النهاية. (ما لم تأكلوا الرباق): الرِّباق جمع رِبْقٍ: وهو حبل ذو عُرىً ، أو حلقة لربط الدواب. قال في النهاية: «شبّه ما يلزمُ الأعناق من العهد بالرِّباقِ ، واستعار الأكل لنقضِ العهد ، فإن البهيمة إذا أكلت الرِّبْقَ خلصت من الشدّ». (من أبىٰ فعليه الرِّبوة): أي من تقاعد عن أداء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة الواجبة ، كالعقوبة له (النهاية).

(١) في المطبوع: «فاصعقوه». وهو تحريف. انظر النهاية (صَقَعَ).

فرائض الله ، وكلُّ مُسْكِرٍ حرام. ووائلُ بن حُجْرٍ يتَرَفَّـلُ علىٰ الأقيال[1].

٩٩ ـ أينَ هذا (٢٠/أ) من كتابه لأنس ، في الصدقة المشهور؟[2] لمَّا كان كلامُ هؤلاء علىٰ هذا الحدّ ، وبلاغَتُهم علىٰ هذاالنَّمَطِ ، وأكثَرُ استعمالِهم هذه الألفاظ استعملها معهم ، لِيُبَيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم ، وليحدِّثَ الناس بما يعلمون.

١٠٠ ـ وكقوله في حديث عَطِيَّـةَ السَّعْدِي: «فإنَّ اليـدَ العليا هي المُـنْطِيَـةُ ، واليد السُّفْـلَىٰ هي المُـنْـطَاة». قالَ: فكلَّمَنا رسولُ اللهِ ﷺ بلُغتِنَا[3].

---

(١) نسبه السيوطي في المناهل (٩٦) إلىٰ الطبراني في الصغير ، والخطابي في الغرائب. (الأقيال العباهلة) الأقيال: تقدم شرحها ص(). (العباهلة): قال في النهاية: هم الذي أُقِرُّوا علىٰ ملكهم لا يُزالون عنه. (الأرواع): جمع رائع ، وهم الحسان الوجوه. وقيل غير ذلك. (المشابيب): أي السادة الرؤوس. واحدهم مشبوب ، كأنما أوقدت ألوانهم بالنار/ النهاية (التِّيعَةُ): اسم لأدنىٰ ما تجب فيه الزكاة من الحيوان. وهي ـ هنا ـ أربعون شاة. (لا مُقَوَّرَةُ الألياطِ): الإقورار: الاسترخاء في الجلود. والألياط: جمع ليط ، وهو قشر العود. شَبَّهَ به الجلد لالتزاقه باللحم. أراد: غير مسترخية الجلود لهزالها/ النهاية. (ضِنَاكٌ) الضِّناكُ: المكتنز اللحم. (أنطوا): أعطوا ، وهي لغة يمانية. (الثَّبَجَةَ): المتوسطة بين الخيار والرُّذال. (السُّيوبُ): الركاز ، وهو المال المدفون قبل الإسلام. (مِمْ بكر): مِنْ بكر ، والميم الساكنة بدل من لام التعريف أو النون. (فاصقعوه): أي اضربوه. (واستوفضوه): أي اطردوه وانفوه. (ضرِّجوه بالأضاميم): يريد الرَّجم بالحجارة ، والأضاميم: الحجارة ، واحدتها: إضمامة. و(لا توصيم في الدين): أي لا تفتروا في إقامة الحدود ، ولا تحابوا فيها/ النهاية. (ولا غُمَّةَ في فرائض الله) أي لا تُسْتَرُ وتخفىٰ فرائضه ، وإنما تُظْهَرُ وتُعْلَنُ ويجهر بها. (يترفَّل) أي يتسوَّد ويترأسُ/ النهاية.

(٢) كتابه ﷺ لأنس أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ـ كما في الفتح ٣/ ٣١٨ ـ والدارقطني ٢/ ١١٤ ـ ١١٥. وقال: «إسناد صحيح وكلهم ثقات». وأخرج البخاري (١٤٥٤) من طريق ثمامة بن عبد الله بن أنس أن أنساً حدثه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلىٰ البحرين: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه فريضة الصدقة. . . .

(٣) أخرجه البيهقي ٤/ ١٩٨ ، وصححه الحاكم ٤/ ٣٢٧ ، ووافقه الذهبي.

١٠١ ـ وقوله في حديث العامريّ حين سأله ، فقال له النبي ﷺ: «سَلْ عنك»(١).

أي: سَلْ عَمَّا شئْتَ ، وهي لغةُ بني عامر.

وأما كلامُه المعتاد ، وفصاحتهُ المعلومة ، وجوامِعُ كَلِمِه ، وحِكَمُهُ المأثورة فقد أَلَّفَ الناسُ فيها الدوَاوين وجُمِعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ، ومنها(٢) ما لا يُـوَازَىٰ فصاحةً ، ولا يُبَـارَىٰ بلاغَـةً.

١٠٢ ـ كقوله: «المسلمون تتكافَـأُ دِمَاؤهم ، ويَسْعَىٰ بِـذِمَّتِهم أَدْنَـاهم ، وهم يَـدٌ علىٰ مَنْ سِوَاهم»(٣).

١٠٣ ـ وقوله: «الناسُ كأسنان المُشْط»(٤).

١٠٤ ـ و«المَرْءُ مع مَنْ أَحبَّ»(٥) ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس/ المناهل (٩٨).

(٢) أي: من جوامع كلمه ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٥٣١) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وإسناده حسن. وأخرجه أيضاً أبو داود (٤٥٣٠) ، والنسائي ٨/ ١٩ ـ ٢٠ وغيره من حديث علي. وهو حديث صحيح بشواهده. (تتكافأ دماؤهم): أي أنهم يتساوون في القصاص والديات. (يسعىٰ بذمتهم أدناهم): أي أدنىٰ المسلمين إذا أعطىٰ أماناً وعهداً كان علىٰ الباقين موافقته ، وأن لا ينقضوا عهده ولا ذمته. (وهم يد علىٰ مَنْ سِواهم): أي أنهم مجتمعون يداً واحدة علىٰ غيرهم من أرباب الملل والأديان (جامع الأصول ١٠/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٩٥) ، وابن عدي في الكامل ، من حديث أنس بن مالك. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال ابن عدي: وضعه سليمان (بن عمرو). وله طريق آخر عن سهل بن سعد عند ابن حبان في المجروحين ١/ ١٩٨ ، والدولابي في الكُنى ، والحسن بن سفيان في مسنده ، وفي إسناده بكّار بن شعيب وهو ضعيف. لكنه توبع عند ابن لال في مكارم الأخلاق. انظر اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٢/ ٢٩٠ ، ومسند الشهاب (٩٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود ، والبخاري (٦١٧٠) ، ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

١٠٥ ـ و «لا خير في صُحبة مَنْ لا يرى لكَ ما تَرىٰ له»[١].

١٠٦ ـ و «الناسُ مَعَادِنٌ»[٢].

١٠٧ ـ و «ما هَلَـكَ امرؤٌ عرف قَدْرَه»[٣].

١٠٨ ـ و «المستشار مُؤتَمَنٌ ، وهو بالخيارِ ما لم يتكلمْ»[٤].

١٠٩ ـ و «رحِمَ اللهُ عبداً قال خيراً فَغَنِم ، أو سكت ، فَسَلِم»[٥].

١١٠ ـ وقوله : «أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وأَسْلِمْ يُـؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتين»[٦].

١١١ ـ و «إنَّ أَحبَّكم إليّ وأقربَكم مني مجالسَ يوم القيامة ، أحاسِنُكم أخلاقاً ، المُـوَطَّؤونَ أَكْنَـافـاً ، الذين يَـأْلَفون ويُـؤْلَفون»[٧].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل عن أنس بسند ضعيف/ المناهل (١٠٢). قلت: هو طرف من الحديث المتقدم برقم (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٦) ، ومسلم (٢٦٣٨/ ١٦٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن السمعاني في تاريخه من حديث علي بسند فيه من لا يعرف حاله/ المناهل (١٠٤).

(٤) هذه الرواية نسبها السخاوي في المقاصد الحسنة (١٠١٩) ، والسيوطي في المناهل (١٠٥) إلىٰ أحمد من حديث أبي مسعود البدري. ولم أجدها تامة في مسنده. وصدر الحديث صحيح روي أيضاً عن أبي هريرة ، وابن عمر ، وأم سلمة ، وابن عباس ، وغيره.

(٥) حديث حسن بمجموع طرقه. رواه الطبراني في الكبير (٧٧٠٦) من حديث أبي أمامة ، والقضاعي (٥٨٢) وغيره من حديث أنس ، و(٥٨١) من حديث الحسن مرسلاً ، وابن المبارك في الزهد من طريق خالد بن أبي عمران معضلاً. وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٧١.

(٦) أخرجه البخاري (٢٩٤١) ، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب. والحديث فقرة من رسالة النبي ﷺ إلىٰ هرقل عظيم الروم.

(٧) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة. وليس فيه: «وأقربكم مني مجالس يوم القيامة». قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢١: «فيه صالح بن بشير المري ، وهو ضعيف». وفي الباب عن جابر عند الترمذي (٢٠١٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب». وعن أبي ثعلبة الخشني الداراني ـ نسبة إلىٰ مدينتنا داريا ـ صححه ابن حبان (١٩١٧) موارد الظمآن، وهناك استوفينا تخريجه. (الموطَّؤون أكنافاً): قال في النهاية: هذا مثل وحقيقته من التوطئة ، وهي التمهيد والتذليل. والأكناف: الجوانب. أراد الذين جوانبهم وطيئة ، يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذىٰ».

١١٢ ـ وقوله: «لعلَّه كان يتكلمُ بما لا يَـعْنِيه، ويبخَلُ بما لا يُـغْنيه»[١].

١١٣ ـ وقوله: «ذو الوَجْهَـيْن لا يكون عند الله وَجِيهاً»[٢].

١١٤ ـ ونَهْيه عن «قِيْـلَ وقـالَ، وكثـرةِ السؤال، وإضَاعةِ المـال، ومَـنْعٍ وهاتِ، وعقوق الأمهات، ووَأْد البنات»[٣].

١١٥ ـ وقوله: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كُنْت، وأَتْبع السيئةَ الحسنةَ تَـمْحُها، وخالقِ الناسَ بخُلق حَسَن»[٤].

١١٦ ـ و [قوله]: «خَيْـرُ الأمور أوساطها»[٥].

١١٧ ـ وقوله: «أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً ما. عسىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَك يوماً ما»[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٦)، وأبو يعلىٰ (٤٠١٧) وغيره من حديث أنس بن مالك. قال الترمذي: «هذا حديث غريب»: وأخرجه أبو يعلىٰ (٦٦٤٦) من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج أبو داود (٤٨٧٣)، وأبو يعلىٰ (١٦٢٠)، وغيره عن عمار بن ياسر رفعه: من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانانِ من نار» وصححه ابن حبان (١٩٧٩) موارد الظمآن. وأخرج البخاري (٧١٧٩) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢٦) عن أبي هريرة رفعه: «إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه». وانظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣/ ١٢) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) وغيره، من حديث أبي ذر، وصححه الحاكم (١/ ٥٤) ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وفي الأصل: «حيث كنت»، والمثبت من المطبوع ومصادر التخريج.

(٥) أورده ابن الأثير في جامع الأصول برقم (١٠١) من حديث أبي هريرة، ولم ينسبه إلىٰ أحد. وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص(٢٠٥) إلىٰ ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً. وانظر مسند أبي يعلىٰ (٦١١٥).

(٦) أخرجه الترمذي (١٩٩٧) من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة أراه رفعه. وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢٢٣) عن عدد من الصحابة مرفوعاً، وموقوفاً علىٰ عليٍّ رضي الله عنه ورمز لحسنه. وضعفه الترمذي وقال: «هذا حديث غريب». وقد استدرك الحافظ العراقي علىٰ الترمذي دعواه غرابته وضعفه فقال: رجاله رجال مسلم لكن الراوي=

١١٨ ـ وقوله : «الظُّلْمُ ظُلماتٌ يومَ القيامةِ»[١].

١١٩ ـ وقوله في بعض دُعائه : «اللَّهم! إنِّي (٢٠/ب) أَسْأَلك رحمةً [من عندكَ] تَهْدِي بها قَلْبي ، وتجمَعُ بها أَمْري ، وتلُمُّ بها شَعَثي ، وتُصْلِحُ بها غائبي ، وتَرْفع بها شَاهِدي ، وتزكِّي بها عَمَلي ، وتُلْهِمني بها رُشْدي ، وتردُّ بها أُلفَتِي ، وتَعْصِمني بها من كلِّ سوء . اللهم! إني أَسأَلُك الفَوْزَ في القضاء ، ونُزُلَ الشهداء ، وعَيْشَ السُّعداء ، والنَّصْرَ علىٰ الأعداء»[٢].

إلىٰ ما رَوَتْه الكافَّةُ عن الكافة من مَقاماته ، ومُحاضراتِه ، وخُطَبه ، وأَدْعِيته ، ومخاطباته ، وعهودِه ، مِمَّا لا خلافَ أنه نزل من ذلك مَرْقَبَةً[٣] لا يُقاس بها غَيْرُه ، وحاز فيها سَبَقاً لا يُقْدَر قَدْرُه .

وقد جمعْتُ من كلماته التي لم يُسْبَق إليها ، ولا قَدَر أَحدٌ أن يُفْرغ في قالبه عليها .

١٢٠ ـ كقوله : «حَمِيَ الوَطيسُ»[٤].

= تردد في رفعه . وانظر مجمع الزوائد ٨/ ٨٨ . (أحبب حبيبك هونا ما) : أي حباً مقتصداً لا إفراط فيه .

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) واللفظ له ، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤١٩) من حديث ابن عباس ، وقال : «هذا حديث غريب» وضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه علىٰ سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٤٤ ، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٤٧٧) . (تلم بها شَعَثي) : أي تجمع بها ما تفرق من أمري . (وتصلح بها غائبي) : أي باطني بكمال الإيمان والأخلاق الحسان ، والملكات الفاضلة . (وترفع شاهدي) : أي ظاهري ، بالأعمال الصالحة والخلال الجميلة . (وتزكي بها عملي) : أي تزيده وتنميه وتطهره من أدناس الرياء والسمعة . (وتلهمني بها رشدي) أي : تهديني بها إلىٰ ما يرضيك . (إلفتي) أي ما كنت آلفه . (تعصمني) تمنعني وتحفظني . (الفوز في القضاء) : أي الفوز باللطف فيه . (نُزُل الشهداء) النُّزُلُ في الأَصل : قِرىٰ الضيف . وتضم زايُهُ . يريد : ما للشهداء عند الله من الأجر والثواب (النهاية) .

(٣) في المطبوع : «مرتبة» وهما بمعنىً .

(٤) فقرة من حديث رواه مسلم (١٧٧٥) عن العباس بن عبد المطلب ، وسيأتي طرف منه برقم (٢٠٠) . (حمي الوطيس) : أي اشتد الحرب والأمر . والوطيس في اللغة : التنُّور .

١٢١ ـ و «مات حَتْفَ أَنْفهِ»[١].

١٢٢ ـ و «لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين»[٢].

١٢٣ ـ و «السعيد مَنْ وُعِظَ بغيرِه»[٣]. في أخواتها ما يُدْرِكُ الناظرَ العجَبُ في مُضَمَّنِها، ويذهبُ به الفِكْرُ في أَدَاني حِكَمها.

١٢٤ ـ وقد قال له أصحابُه: ما رأينا الذي هو أفصحُ منك! فقال: «وما يَمنَعُني؟ وإنما أُنْزِلَ القرآنُ بلساني، لسانٍ عَربيٍّ مُبين»[٤].

١٢٥ ـ وقال مرة أخرىٰ: [أنا أفصح العرب] بيْدَ أني من قريش، ونشأْتُ في بني سَعْد»[٥].

فجُمِع له بذلك ﷺ قوةُ عارِضَةِ البادية وجَزَالَتُها، ونَصَاعةُ ألفاظِ الحاضرة، ورَوْنَقُ كلامها[٦]، إلىٰ التأييد الإلٰهيّ الذي مَدَدُه الوَحْيُ الذي لا يُحيط بعلمه بَشَرِي[٧].

---

(١) رواه البيهقي في الشُّعب عن عبد الله بن عتيك مرفوعاً/ المناهل رقم (١٢١). (مات حتف أنفه): أي مات علىٰ فراشه بلا ضرب ولا قتل، والحتف: الهلاك (المعجم الوسيط).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١٧٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٦) و(١٣٢٥) من حديث ابن مسعود مرفوعاً. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في إقامة الدليل ص(٥٩): «رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة... لكن المشهور أنه موقوف علىٰ ابن مسعود». قلت: أخرجه مسلم (٢٦٤٥) عن ابن مسعود من قوله. وانظر الدرر المنتثرة للسيوطي رقم (٢٥٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الشُّعَب/ المناهل رقم (١٢١). وَضَعَّف إسناده العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء (٢/ ٣٦٧).

(٥) أورده أصحاب الغريب، ولا يعرف له إسناد، وللطبراني من حديث أبي سعيد الخدري: «أنا أعرب العرب، ولدت في قريش، ونشأت في بني سعد، فأنَّىٰ يأتيني اللحن؟!» قاله السيوطي في المناهل (١٢٢). وما بين حاصرتين زيادة من شرح الشفا لعلي القاري (١/ ٤٢٦) وانظر مجمع الزوائد ٨/ ٢١٨، والمقاصد الحسنة رقم (٤٥).

(٦) رونق كلامها: حُسْنُهُ.

(٧) بشري: منسوب إلىٰ البَشَر.

١٢٦ ـ وقالت أُمُّ مَعْبدٍ في وصْفِها له: حُلْوُ المنطق، فَصْلٌ، لا نَـزْرٌ ولا هَذْرٌ، كأنَّ منطقَه خَرَزاتٌ نُظِمْن[١].

وكان جَهِيرَ الصوت، حَسَنَ النَّغْمة ﷺ.

فصل

[فِي شَرَفِ نَسَبِهِ ﷺ وَكَرمِ بَلَدِهِ وَمَنْشَئِهِ][٢]

وأما شرَفُ نسبهِ ﷺ وكرَمُ بلده ومَنْشَئه فممّا لا يحتاجُ إلىٰ إقامة دليل عليه، ولا بَيَانِ مُشْكلٍ، ولا خَفِيّ منه؛ فإنه نُخْبَة بني هاشم، [و] سُلالة قريش وصَمِيمُها، وأشرف[٣] العرب، وأعزهم نَفَراً من قِبَلِ أبيه وأمه، ومن أهل مكةَ، مِنْ أكرم بلادِ الله، علىٰ الله، وعلىٰ عباده.

١٢٧ ـ حدثنا قاضِي القُضاة: حُسَيْن بن محمد الصَّدَفي رحمه الله، [قال]: حدثنا القاضي أبو الوليد: سليمانُ بن خلف، حدثنا أبو ذَرّ: عبدُ بن أحمد، حدثنا أبو محمد السَّرْخَسي، وأبو إسحاق[٤] (٢١/أ) وأبو الهيثم [قالوا]: حدثنا محمد بن يوسفَ [قال]: حدثنا محمد بن إسماعيل، [قال]: حدثنا قُتَيبة بن سَعِيد [قال]: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن عَمْرو، عن سَعِيد المَقْبُري، عن أبي هريرة، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بُعِثْتُ من خير قُرونِ بني آدم قَرْناً فقَرْناً، حتى كُنْتُ من القَرْن الذي كُنْتُ مِنه**»[٥].

---

(١) تقدم حديث أم معبد برقم (٤٩، ٥٩) وسيأتي برقم (٣٧٨، ٩١٢). (فصل): أي بَيِّنٌ. (لا نزر ولها هذر) تريد: وسطٌ ليس بقليل ولا كثير.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) في الأصل: «وأفضل» وأثبت الناسخ فوقها كلمة «وأشرف» ورمز لها بالصحة.

(٤) في المطبوع: «ابن إسحاق». والصواب ما في نسختنا.
وأبو إسحاق هو إبراهيم بن أحمد البلخي المستملي. راوي صحيح البخاري عن الفِرَبْري توفي سنة (٣٧٦)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٢.

(٥) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٣٥٥٧). (قرناً فقرناً) القَرْن: الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد، ومنهم من حدّه بمئة سنة. وقيل غير ذلك.

١٢٨ ـ وعن العباس ، قال: قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالىٰ خلق الخَلْق فجعلني مِنْ خيرهم ، مِنْ خير قَرْنِهم[(١)] ، ثم تخيَّر القبائلَ فجعلني من خيرِ قَبيلةٍ ، ثم تخيَّر البيوتَ فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خَيْرُهم نَفْساً ، وخيرُهم بيتاً»[(٢)].

١٢٩ ـ وعن واثِلَةَ بن الأَسْقَعِ ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفىٰ من وَلد إبراهيم إسماعيلَ ، واصْطَفَى من وَلَدِ إسماعيل بني كِنَانة ، واصطفىٰ من بني كِنَانة قريشاً ، واصطفىٰ من قُريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم»[(٣)].

قال الترمذي: وهذا حديث حَسَنٌ[(٤)] صحيح.

١٣٠ ـ وفي حديثٍ عن ابن عُمر ، رواه الطبري[(٥)] أنه ﷺ قال: «إنَّ اللهَ اختار خَلْقَه ، فاختار منهم بني آدم ، ثم اختار بني آدم ، فاختار منهم العربَ ، ثم اختار العربَ ، فاختار منهم قريشاً ، ثم اختار قريشاً ، فاختار [منهم] بني هاشم ، [ثم اختار بني هاشم] فاختارني [منهم] فلم أَزَلْ خِيَاراً من خِيَار ، أَلاَ مَنْ أَحبَّ العربَ فبِحُبِّي أَحبَّهم ، ومن أبغض العرب فبِبُغْضي أبغضهم»[(٦)].

١٣١ ـ وعن ابن عباس: أَنَّ النبي ﷺ كانت رُوْحُهُ نوراً[(٧)] بين يدي الله تعالىٰ

---

(١) في الترمذي وجامع الأصول ٨/ ٥٣٥: «فجعلني من خير فِرَقِهم ، وخير الفريقين».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٠٧) وقال: «هذا حديث حسن».

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) ، والترمذي (٣٦٠٥) واللفظ له. وسيورده المصنف برقم (٣٨٧).

(٤) كلمة: «حسن» لم ترد في المطبوع.

(٥) هو محمد بن جرير الطبري ، إمام علم مجتهد ، صاحب التاريخ والتفسير وتهذيب الآثار وغيره. ولد سنة (٢٢٤) هـ وتوفي سنة (٣١٠). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧ـ٢٨٢.

(٦) نسبه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٥ إلىٰ الطبراني في الكبير والأوسط وقال: «فيه حماد بن واقد ، وهو ضعيف يعتبر به ، وبقية رجاله وثقوا» ، وحسَّن إسناده السيوطي في المناهل (١٢٧). وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٣٢: «حديث غريب».

(٧) في الأصل: «أنَّ قريشاً كانت نوراً» ، والمثبت من شرح الشفا لملاّ علي القاري ١/ ٤٣٥.

قبل أَنْ يَخْلق آدَمَ بألفي عام ، يُسبِّح ذلك النورُ ، وتسبِّحُ الملائكةُ بتسبيحه ، فلما خلق الله آدمَ أَلْقَىٰ ذلك النورَ في صُلْبه ، فقال رسول الله ﷺ: «فأهبطني اللهُ إلىٰ الأرْضِ في صُلْب آدم ، وجعلني في صُلْب نوح ، وقذف بي في صُلب إبراهيم؛ ثم لم يَزَلْ الله تعالىٰ يَنْقُلني من الأصلاب الكريمةِ والأرحام الطاهرة ، حتى أخرجني بين أبوَيَّ لم يَلْتقِيا علىٰ سِفَاح قطُّ»[1] .

١٣١م ـ ويشهدُ لصحةِ هذا الخبر شِعْرُ العباس في مَدْح النبي ﷺ المشهور[2] .

فصل

[فِيمَا كَانَ التَّمَدُّحُ وَالْكَمَالُ بِقِلَّتِهِ][3]

وأما ما تَدْعو ضرورةُ الحياةِ إليه مما فصلناه فعلىٰ ثلاثةِ ضُروب[4] : ضَرْبٌ الفَضْلُ في قِلَّته ، وضَرْبٌ الفضلُ في كَثْرته ، وضَرْبٌ تختلف (٢١/ب) الأحوالُ فيه .

فأما ما التمدُّحُ والكمالُ بقلَّته اتفاقاً ، وعلىٰ كل حال ، عادةً وشريعةً ، كالغذاء والنوم ، ولم تَزَلِ العَربُ والحكماءُ تتمادح بِقِلَّتِهما ، وتَذُمُّ بكثرتهما؛ لأنَّ كثرةَ الأكل والشرب دليلٌ علىٰ النَّهَم[5] والحِرْصِ[6] ، والشَّرَهِ[7] ، وغَلبةِ الشهوةِ ، مُسَبِّبٌ لِمَضَارِّ الدنيا والآخرة ، جالبٌ لأدْواء الجَسَدِ ، وخَثَارَةِ النفسِ[8] ، وامتلاءِ الدِّماغ .

---

(١) أخرجه ابن أبي عمر العدني في مسنده/ المناهل رقم (١٢٨٠). وسيورده المصنف برقم (٣٩٢).
(٢) سيذكر المصنف شعر العباس برقم (٣٩٣) وهناك تخريجه.
(٣) ما بين حاصرتين من عندي.
(٤) ضروب: جمع ضرب ، وهو الصنف والنوع.
(٥) النَّهم: نَهِمَ في الشيء: أفرط الشهوة أو الرغبة فيه.
(٦) الحرص: الجَشَع.
(٧) الشَّرَه: شَرِهَ إلىٰ الطعام وغيره: اشتد حرصه عليه واشتهاؤه له.
(٨) خَثارة النفس: اختلاطها وعدم نشاطها.

وقِلَّتُهُ دليلٌ علىٰ القناعة ، ومِلْك النفس؛ وقَمْع الشهوة ، مسبِّبٌ للصِّحةِ ، وصفاءِ الخاطر ، وحدَّةِ الذِّهْنِ ، كما أنَّ كثرَةَ النوم دليل علىٰ الفُسُولَةِ[1] والضعف؛ وعدمِ الذكاءِ ، والفِطْنةِ ، مسبِّبٌ للكَسل ، وعادةِ العجز ، وتضييع العُمُرِ في غير نَفْعٍ ، وقَساوةِ القلب ، وغَفْلته ، ومَوْته.

والشاهدُ علىٰ هذا ما يُعْلم ضرورةً ، ويوجد مشاهدةً ، ويُنْقَل متواتِراً من كلام الأُمم المتقدمة ، والحكماء السَّالِفينَ[2] ، وأَشعار العربِ وأخبارِها ، وصحيح الحديثِ ، وآثارِ مَنْ سَلَف وخلَف ، مما لا يُحتاج إلىٰ الاستشهاد عليه [وإنما تركنا ذكره هنا][3] اختصاراً واقتصاراً علىٰ اشتهار العِلْمِ به.

وكان النبي ﷺ قد أخذ من هذين الفنَّيْنِ بالأقلِّ.

هذا ما لا يُدْفَعُ من سيرته ، وهو الذي أمر به ، وحَضَّ عليه ، لا سيما بارتباط أحدِهما بالآخر.

١٣٢ ـ حدثنا أبو علي الصَّدَفي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفَضْل الأصبهاني ، حدثنا أبو نُعيم الحافظ ، حدثنا سُليمان بن أحمد ، حدثنا بكر بن سَهْل[4] ، حدثنا عَبْدُ اللهِ بن صالح ، حدثني معاويةُ بن صالح أنَّ يحيىٰ بن جابر حدَّثَه عن المِقْدَام بن مَعْدِيْ كَرِبَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«ما مَلأَ ابنُ آدمَ وعاءً شرّاً من بطنه ، حَسْب ابنِ آدمَ أُكُلات يُقِمْنَ صُلْبَه ، فإنْ كان لا محالةَ ، فثُلُثٌ لطعامه ، وثلثٌ لشرابه ، وثلثٌ لنَفَسه»**[5].

---

(١) الفُسولة: قلة المروءة وضعف الرأي (المعجم الوسيط). وفي نسخة: «الفسولية» ، وفي أخرىٰ: «السفولية».

(٢) في المطبوع: «السابقين».

(٣) زيادة من شرح مُلاّ علي القاري ١/ ٤٣٩.

(٤) في المطبوع: «أبو بكر بن سهل» والصواب ما في نسختنا. وهو بكر بن سهل الدمياطي، أبو محمد الهاشمي. مات بدمياط سنة (٢٨٩) هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٥.

(٥) أسنده المصنف من طريق سليمان بن أحمد الطبراني في الكبير ٢٠/ ٢٧٣ رقم (٦٤٥) وأخرجه الترمذي (٢٣٨٠) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) وغيره ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» ، وصححه الحاكم (٤/ ١٢١ و٣٣١) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً ابن حبان=

ولأنَّ كثرةَ النومِ مِنْ كثرة الشرب والأكل.

قال سفيان الثَّوْري: بقِلَّة الطعام يُمْلَكُ سهرُ الليل.

وقال بعضُ السَّلَف: لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فَتَرْقُدوا كثيراً، فَتَخْسَرُوا كثيراً.

١٣٣ ـ وقد رُوي عنه ﷺ أنه كان أَحبَّ الطعام إليه ما كان علىٰ ضَفَفٍ[١]؛ أي كثرة الأَيْدي.

١٣٤ ـ وعن عائشة (٢٢/أ) رضي الله عنها: لم يمتَلِئ جوفُ النبي ﷺ شِبَعاً قطُّ، وأنه كان في أهله لا يسأَلُهم طعاماً ولا يَتَشَهَّاه، إنْ أطعموه أكل، وما أطعموه قَبِلَ، وما سَقَوْه[٢] شرِب[٣].

١٣٥ ـ ولا يُعْتَرضُ علىٰ هذا بحديث بَرِيْرَةَ[٤]، وقوله: «أَلَمْ أَرَ البُرْمَةَ فيها لَحْمٌ؟»[٥] إذ لعلَّ سببَ سؤالِهِ ظَنُّه ﷺ اعتقادهم أنه لا يحِلُّ لـهُ؛ فأراد بيانَ سُنَّتِهِ، إذْ رآهم لم يُقَدِّموه إليه، مع عِلْمِه أنهم لا يستأْثِرُون عليه به، فصدَق عليهم ظَنُّه، وبيَّنَ لهم ما جَهِلوه من أمْرِه بقوله: «هو لها صدَقةٌ ولنا هَدِيَّـةٌ».

= (١٣٤٨ و١٣٤٩) موارد، وهناك استوفينا تخريجه. وسيورده المصنف أيضاً برقم (١٠٨١).

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل (١٣٨)، وأبو يعلىٰ (٣١٠٨) وغيره من حديث أنس بن مالك، وصححه ابن حبان (٢٥٣٣) موارد، وأخرجه أبو يعلىٰ (٢٠٤٥) من حديث جابر، وجوّد إسناده السيوطي في المناهل (١٣٠).

(٢) في نسخة: «أسقوْه».

(٣) انظر جامع الأصول ٤/ ٦٨٢ ـ ٦٨٩، والحديث الآتي برقم (٣٢٧).

(٤) هي مولاة عائشة، صحابية مشهورة. عاشت إلىٰ زمن يزيد بن معاوية. قالت عائشة: كان في بَـريرة ثلاث سُنَنٍ: خُيِّرت علىٰ زوجها حين عتقت. وأهدي لها لحم، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ والبرمة علىٰ النار، فدعا بطعام. فأُتي بخبز وأُدُم من أُدُم البيت. فقال: «ألم أرَ بُرْمَةً علىٰ النار فيها لحم؟» فقالوا. بلىٰ، يا رسول الله! ذلك لحم تُصُدِّقَ به علىٰ بَرِيْرَة. فكرهنا أن نطعمك منه. فقال: هو عليها صدقة وهو منها لنا هدية. وقال النبي ﷺ فيها: «إنما الولاء لمن أعتق».

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٩٧)، ومسلم (١٥٠٤/ ١٤) من حديث عائشة. (البرمة): القِدْرُ.

وفي حِكْمةِ لُقْمان: يا بُنيَّ! إذا امتلأت المَعِدَةُ نامت الفِكْرةُ، وخَرِست الحكمةُ، وقعدت الأعضاءُ عن العبادة.

وقال سَحْنُون[1]: لا يَصْلح العِلْمُ لمَنْ يأكلُ حتى يَشْبَع.

١٣٦ ـ وفي صحيح الحديث قولُه ﷺ: **«أمَّا أنا فلا آكلُ مُتَّكِئاً»**[2].

والاتّكاءُ: هو التَّمكّن للأكل، والتَّقَعْدُدُ في الجلوس له كالمتربّع، وشِبْهه مِنْ تمكُّن الجلسات التي يعتمدُ فيها الجالسُ علىٰ ما تَحْتَه، والجالسُ علىٰ هذه الهيئة يستدعي الأكْلَ ويستكْثِرُ منه.

١٣٧ ـ والنبيُّ ﷺ إنما كان جلوسُه للأكل جلوس المُسْتَوْفِزِ مُقْعِياً[3].

١٣٨ ـ ويقول: **«إنما أنا عبدٌ، آكُلُ كما يأكل العَبْد، وأَجلس كما يجلسُ العبدُ»**[4].

وليس معنى الحديث في الاتّكاء الميلُ علىٰ شِقّ عند المحققين.

وكذلك نَوْمُه ﷺ كان قليلاً، شَهِدت بذلك الآثارُ الصحيحةُ.

١٣٩ ـ ومع ذلك فقد قال ﷺ: **«إنَّ عينيَّ تنامان ولا ينامُ قَلْبي»**[5].

١٤٠ ـ وكان نومُه علىٰ جانبه الأيمنِ[6] استظهاراً علىٰ قلَّةِ النوم؛ لأنه علىٰ

---

(١) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب، إمام علامة فقيه، يلقب بسُحْنون: اسم طائر بالمغرب. له «المُدَوَّنة» في فقه الإمام مالك مات سنة (٢٤٠) هـ، وله ثمانون سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٣ ـ ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٩٨)، والترمذي (١٨٣٠) واللفظ له، من حديث أبي جُحَيْفَةَ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٤) من حديث أنس. (المستوفز): المستعجل، غير المتمكن في جلوسه. (مُقْعيا): أي جالساً علىٰ أليتيه، ناصباً ساقيه.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٤٩٢٠) وغيره من حديث عائشة. وحسّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٩، والسيوطي في مناهل الصفا (١٣٥)، وله طرق عن عدد من الصحابة انظرها في مناهل الصفا (١٣٥)، وسيأتي برقم (٢٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة. وسيأتي برقم (١٦١٤).

(٦) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣٩٩)، وفي الشمائل (٢٥٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة» برقم (٧٨٥) من حديث البراء بن عازب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

الجانب الأَيسر أَهْنأ ، لهُدُوّ القلبِ وما يتعلَّقُ به من الأعضاء الباطنة حينئذٍ ، لمَيْلِها إلىٰ الجانب الأيسر؛ فيستدعي ذلكَ الاستثقالَ فيه والطُّولَ.

وإذا نام النائمُ علىٰ الأَيمن تعلَّقَ القلب وقَلِقَ ، فأسرع الإفاقة[1] ولم يَغْمرْهُ الاستغراق.

فصل

[فِيمَا التَّمَدُّحُ بِكَثْرَتِهِ][2]

والضَّرْبُ الثاني: هو ما يتَّفِقُ التَّمَدُّحُ بكثرته ، والفَخْر بوفوره ، كالنكاح والجاهِ. فأَمَّا النكاحُ: فمتَّفَق فيه شَرْعاً وعادةً؛ فإنه دليلُ (٢٢/ب) الكمالِ ، وصحةِ الذُّكُورية ، ولم يَزَل التفاخرُ بكثرته عادةً معروفة ، والتمادحُ به سيرة ماضية.

١٤١ ـ وأما في الشَّرع فسُنَّةٌ مأثورة؛ وقد قال ابنُ عباس: أَفضلُ هذه الأمةِ أكثَرُها نِساءً[3]. مُشيراً[4] إليه ﷺ.

١٤٢ ـ وقد قال عليه السلام: «تَنَاكَحُوا [تَنَاسَلُوا] ، فإني مُبَاهٍ بكم الأُممَ يوم القيامة»[5].

١٤٣ ـ ونهَىٰ عن التَّبَتُّلِ[6] مع ما فيه من قَمْع الشَّهْوة ، وغَضِّ البصر اللَّذَيْن نبَّهَ عليهما ﷺ بقوله:

---

(١) في نسخة: «الإقامة».

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٩).

(٤) في المطبوع: «يشير».

(٥) أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر ، وضعف إسناده العراقي، وتبعه السيوطي. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٥٠): «جاء معناه عن عدد من الصحابة». وقد خرجناه في موارد الظمآن عن أنس برقم (١٢٢٨) ، وعن معقل بن يسار (١٢٢٩).

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٧٣) ، ومسلم (١٤٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص. (التبتل): الانقطاع عن النساء وترك النكاح (النهاية).

١٤٤ ـ «مَنْ كان ذا طَوْلٍ فليتزوَّجْ؛ فإنه أَغَضُّ للبصر ، وأَحْصَنُ للفرج»[١] حتى لم يره العلماءُ مما يَقْدَحُ في الزهد.

قال سَهْلُ بن عبد الله: قد حُبِّبْنَ إلىٰ سيد المرسلين ، فكيف يُزْهَد فيهنّ؟ ونحوهُ لابن عُيَيْنَةَ[٢].

وقد كان زُهّادُ الصحابة كثيري الزوجات والسَّرارِي[٣] ، كثيري النكاح.

وحُكي في ذلك عن عليّ ، والحسن ، وابن عُمر ، وغيرهم غَيْرُ شيء.

وقد كرِه غير واحد أنْ يَلْقَى الله عزباً.

فإن قُلْتَ: كيف يكون النكاحُ وكثرتهُ من الفضائل ، وهذا يَحْيىٰ بن زكريا [عليه السلام] قد أثنىٰ الله [تعالىٰ] عليه أنه كان حَصُوراً[٤]؛ فكيف يُثْنِي الله بالعَجْز عما تَعُدُّه فضيلةً؟

وهذا عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ تبتَّل من النساء ، ولو كان كما قررْتَهُ لنَكَح؟.

فاعلم أنَّ ثناء الله تعالىٰ على يحيىٰ ـ عليه السلام ـ بأنه حَصُورٌ[٥] ليس كما قال بعضُهم:

---

(١) أخرجه الطبراني والبزار (١٣٩٩) من حديث أنس ، بدون قوله: فإنه أغض... ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٢: «ورجال الطبراني ثقات». وأخرجه البخاري (٥٠٦٦) ، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود بلفظ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر...». (ذا طَوْل): صاحب يُسْرٍ وغنى ومقدرة.

(٢) هو سفيان بن عُيَيْنَةَ ، ثقة حافظ ، فقيه ، حُجَّةٌ. مات سنة (١٩٨) وله (٩١) سنة انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤ ـ ٤٧٥.

(٣) السراري: الإماء.

(٤) حصوراً: لا يأتي النساء ، مع القدرة علىٰ إتيانهن ، تعففاً وزهداً (كلمات القرآن لمخلوف).

(٥) في الأصل: «بأنه حصور» ، ثم حوّرها الناسخ لتصير: «بأنه كان حصوراً».

إنه كان هَيُوباً[1] ، أو لا ذَكَرَ له ؛ بل قد أنكر هذا حـذَّاقُ[2] المفسرين ونقَّـادُ العلماء ، وقالوا : هذه نَـقِيصَةٌ وعَيبٌ ، ولا تَـلِيقُ بالأنبياء .

وإنما معناه أنه معصوم[3] من الذنوب : أي لا يأتيها ، كأنه حُصِر عنها .

وقيل : مانعاً نفسه من الشَّهَوات .

وقيل : ليسَتْ له شهوةٌ في النساء .

فقد بان لك من هذا أنَّ عدَمَ القدرة على النكاح نَقْصٌ ، وإنما الفَضْلُ في كونها موجودة ، ثم قَمْعُها ؛ إمّا بمجاهدةٍ ، كعيسىٰ ـ عليه السلام ـ أو بِكفَايةِ من الله [تعالىٰ] ، كيحيىٰ ـ عليه السلام ـ فضيلةً زائدةً لكونها شاغِلةً في كثير من الأوقات ، حاطَّةً إلىٰ الدنيا .

ثُمَّ هي في حقّ مَنْ أُقْدِر عليها ومُلِّكَها وقام بالواجب فيها ، ولم تَشْغَلْه عن ربِّه ـ درجةٌ عُلْيا ، وهي درجةُ نبينا محمد ﷺ الذي لم تَشْغَلْه كثرتُهنّ (٢٣/أ) عن عبادة ربّه ؛ بل زادَهُ ذلك عبادةً ، لِتَحْصِينِهنَّ ، وقيامِهِ بحقوقهنّ ، واكتِسَابِه لهُنَّ ، وهدايته إياهنَّ ؛ بل صرَّحَ أَنها ليست من حظُوظِ دُنْياه هو ، وإِنْ كانَتْ من حظوظِ دُنْيا غيره .

١٤٥ ـ فقال : «حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنياكم»[4] . فدلَّ علىٰ أنَّ حُبَّه لِمَا ذَكَرَ من النساءِ والطِّيب اللَّذَين هما[5] من أمر[6] دُنيا غيره ، واستعماله لذلك ليس لدُنْياهُ ، بل لآخِرَتِه ؛ للفوائد التي ذكرناها في التزويج ، وللقاءِ الملائكةِ في الطِّيب ؛ ولأنه أيضاً مما يَحُضُّ علىٰ الجماع ، ويُعِين عليه ، ويحرِّكُ أسبابَه .

---

(١) هيوباً : المراد ـ هنا ـ جباناً عن النكاح .

(٢) حُذَّاق : جمع حاذقٍ ، وهو الماهِرُ .

(٣) هكذا في الأصل . وكتب الناسخ فوقها : «كان معصوماً» ورمز بعلامة الصحة .

(٤) طرف من الحديث المتقدم برقم (٣٥) وتتمته : «النساء والطيب . وجعلت قرة عيني في الصلاة» وسيأتي برقم (١٤٦ ، ٣٠٢) .

(٥) في الأصل : «هو» ، والمثبت من المطبوع .

(٦) في المطبوع : «من أمور» .

وكان حبُّه لهاتين الخَصْلتين لأجْل غيره ، وقَمْع شَهْوتِه؛ وكان حبُّه الحقيقيُّ المختصّ بذاته في مشاهدة جَبَرُوت مَولاه ومناجاته؛ ولذلك ميَّزَ بَيْن الحُبَّيْن ، وفَصَلَ بين الحالَيْن.

١٤٦ ـ فقال: «وجُعِلتْ قُرَّة عَيْني في الصلاة»[١]؛ فقد ساوى يحيىٰ وعِيسىٰ في كفايةِ فتنتهنَّ ، وزادَ فضيلةً بالقيام بهنَّ.

وكان ﷺ ممن أُقْدِرَ علىٰ القوة في هذا ، وأُعْطِيَ الكثيرَ منه؛ ولهذا أُبيح له من عَدَدِ الحَرَائر ما لم يُبَحْ لغيرِه[٢].

١٤٧ ـ وقد رَوَيْنَا عن أَنس: أنه ﷺ كان يَدُورُ علىٰ نسائه في الساعة من الليل والنهار ، وهنَّ إحدىٰ عَشْرَةَ. قال أنس: وكنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين رجلاً[٣]. خرجه النسائي.

١٤٨ ـ وروي نحوه عن أبي رافع[٤].

وعن طاوُوس[٥]: أُعْطِيَ عليه السلام قوةَ أربعين رجلاً في الجِمَاع.

ومثله عن صَفْوَانَ بن سُلَيم[٦].

---

(١) تقدم برقم (٣٥) و(١٤٥) وسيأتي برقم (٣٠٢).

(٢) والحكمة في كثرة أزواجه ﷺ أن الأحكام التي ليست ظاهرة ، يطلعن عليها ، فينقلنها. وقد جاء عن عائشة من ذلك الكثير الطيب (الفتح ١/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٨). وأخرجه النسائي ٦/ ٥٣ ـ ٥٤ ، والبخاري (٢٨٤) بلفظ: أن النبي ﷺ كان يطوف علىٰ نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نِسْوةٍ. وأخرجه مسلم (٣٠٩) بلفظ: أن النبي ﷺ كان يطوف علىٰ نسائه بغُسْلٍ واحد.

(٤) أخرجه أبو داود (٢١٩) ، وابن ماجه (٥٩٠) وغيره من حديث سلمىٰ ، عن أبي رافع أن النبي ﷺ طاف ذات يوم علىٰ نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه. قال: فقلت له: يا رسول الله! ألا تجعله غسلاً واحداً؟ قال: «هذا أزكىٰ وأطيب وأطهر». قال أبو داود: وحديث أنس ـ أي الحديث السابق ـ أصح من هذا». قال النووي: هو محمول علىٰ أنه فعل الأمرين في وقتين مختلفين.

(٥) هو طاووس بن كَيْسان اليماني. يقال: اسمه ذكوان ، وطاووس لقب. تابعي ثقة فقيه فاضل. مات سنة (١٠٦) هـ. وقيل بعد ذلك/ التقريب.

(٦) تابعي ، مفتٍ ، عابد ، ثقة. مات سنة (١٣٢) هـ وله (٧٢) سنة / التقريب.

١٤٩ ـ وقالت سَلْمى مولاتُه: طاف النبيّ ﷺ ليلةً علىٰ نسائه التسع ، وتطَهَّر من كل واحدة قبل أن يَأْتي الأخرىٰ؛ وقال: «هذا أطيب وأَطْهر»(١).

١٥٠ ـ وقد قال سليمان ـ عليه السلام ـ: لأطوفنَّ الليلةَ علىٰ مئة امرأة أو تسع وتسعين(٢). وأنه فَعَلَ ذلك.

١٥١ ـ قال ابنُ عباس: كان في ظَهْر سُليمان ماءُ مئة رجل [أو تسع وتسعين] ، وكانت له ثلاث مئة امرأة ، وثلاث مئة سُرِّيَّة(٣).

١٥١م ـ وحكىٰ النقّاش [وغَيْرُه]: سبع مئة امرأة ، وثلاث مئة سُرِّيَّة(٤).

١٥١م١ ـ وقد كان لداود [عليه السلام] ـ علىٰ زُهْده ، وأَكْلِه من عَمَلِ يده ـ تِسع وتسعون امرأةً ، وتَمَّت بزوج أُورِيَا مئةً(٥).

وقد نبَّهَ علىٰ ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [صَ: ٢٣] .

١٥٢ ـ وفي حديث أنس عنه ، عليه السلام: «فُضِّلْتُ علىٰ الناس بأربع: بالسخاء ، والشجاعةِ ، وكثرةِ الجماع ، وقُوَّةِ البَطْش»(٦).

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات/ المناهل (١٤٥). وانظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٩) من حديث أبي هريرة. وانظر روايات أخرىٰ عند مسلم (١٦٥٤) ، وسيأتي برقم (١٦٤٠).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره موقوفاً/ المناهل (١٤٧). (سُرِّيَّة): الأَمَةُ يُتَسرَّىٰ بها.

(٤) هكذا في الأصل. وجاءت الرواية في المناهل (١٤٨): «أنه كان لسليمان ثلاث مئة امرأة ، وسبع مئة سُرِّيَّة». ورواية المناهل هذه أخرجها الحاكم ٢/ ٥٨٩ عن محمد بن كعب القرظي من قوله. وأخرج الحاكم أيضاً ٢/ ٥٩٦ عن ابن عباس من قوله: «وكانت له ـ أي لسليمان ـ تسع مئة سُرِّية ، وثلاث مئة مهرية».

(٥) رواه الحاكم ٢/ ٥٨٦ عن السُّدي من قوله . (أوريا): قائد من قواد داود عليه السلام. قال المصنف ـ فيما نقله عنه الخازن في التفسير ٤/ ٣٥ ـ: «ليس في قصة داود وأُورِيا خبر ثابت» وحاصل القصة يرجع إلىٰ السعي في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلىٰ الطمع في زوجته ، وكلاهما منكر عظيم ، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا».

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٩ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده رجاله=

وأما الجاهُ فمحمودٌ عند العقلاءِ (٢٣/ب) عادةً ، وبقَدْرِ جاهِه عِظَمُهُ في القلوب .

وقد قال [الله] تعالىٰ في صفة[1] عيسى عليه السلام : ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ [آل عمران : ٤٥] لكن آفاتهُ كثيرة ؛ فهو مضِرٌّ ببعض[2] الناس لعُقْبَى الآخرة ، فلذلكَ ذمَّه مَنْ ذمَّه ، ومدح ضِدَّه .

وورِدَ في الشَّرْعِ مدحُ الخمول[3] ، وذَمُّ العلُوّ في الأرض .

وكان ﷺ قد رُزِقَ من الحِشْمَة[4] ، والمكانةِ في القلوب ، والعظمةِ قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها ، وهم يكذِّبُونه ويُؤذون أصحابَه ، ويَقْصِدون أذاه في نفسه خُفْيَةً حتى إذا واجَهَهُم أَعْظَموا أَمْرَه ، وقضَوْا حاجَته .

وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها .

وقد كان يَبْهَتُ وَيَفْرَقُ[5] من رؤيته[6] من لم يره .

١٥٣ ـ كما رُوِي عن قَيْلَةَ أنها لما رأته أُرْعِدَتْ من الفَرَق ؛ فقال : «يا مِسْكينةُ ! عليكِ السكينةَ»[7] .

= موثقون» وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٣٦٠) : «ورجاله ثقات» . وجوَّد إسناده السيوطي في المناهل (١٤٩) ، بينما رمز له بالضعف في الجامع الصغير (٥٨٨٤) ، وفي ميزان الذهبي : إنه خبر منكر . وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح .

(١) في نسخه : «قصة» .

(٢) في المطبوع : «لبعض» .

(٣) ترك الظهور .

(٤) الحشمة : الحياء ، والمسلك الوسط المحمود/ المعجم الوسيط .

(٥) أي يدهش ويفزع .

(٦) لرؤيته . نسخة .

(٧) طرف من حديث طويل حسن . أخرجه بطوله ابن مندة والطبراني في الكبير وغيره . وأخرج الفقرة الأولىٰ منه : أبو داود (٤٨٤٧) ، والترمذي في الشمائل (١١٩) ، والبخاري في الأدب المفرد (١١٨٣) ، وسيأتي برقم (٢٩٤) و(١٢٦٥) . (أرعدت من الفرق) : رجفت واضطربت من الخوف .

١٥٤ ـ وفي حديث أبي مَسْعودٍ أنّ رجلاً قام بين يديه فأُرْعِدَ؛ فقال له ﷺ: «هَـوِّنْ عليكَ فإني لستُ بمَلِك. . .»[١] الحديث.

فأما عَظيمُ قَدْرِه بالنبوة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإنافةُ رُتْبته[٢] بالاصطفاء والكرامةِ في الدنيا، فأمْرٌ هو مبلَغُ النهاية، ثمَّ هو في الآخرة سَيِّدُ وَلَدِ آدم.

وعلىٰ معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم بأسره.

فصـل

[فِـيْمَـا تَـخْـتَـلِـفُ الْـحَالاَتُ فِـي الـتَّـمَـدُّح بِـهِ وَالـتَّـفَـاخُـرِ بِـسَبَـبِـهِ][٣]

وأما الضّرْبُ الثالث: فهو ما تختلفُ الحالاتُ في التَّمَدُّح[٤] به والتفاخر[٥] بسببه، والتفضيل لأَجْله، ككَثْرَةِ المال. فصاحبُه علىٰ الجملة مُعَظَّم عند العامة، لاعتقادِها توصُّلَه به إلىٰ حاجاته، وتمكنَ أغراضه بسببه، وإلاّ فليس فَضِيْلَةً في نفسه، فمتىٰ كان المالُ بهذه الصورةِ، وصاحبُه مُنْفِقاً له في مهمّاته

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢)، وصححه الحاكم (٣/ ٤٧ ـ ٤٨)، ووافقه الذهبي وقال البوصيري في الزوائد؛ «هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات» وعزاه السيوطي في المناهل (١٥١) إلىٰ البيهقي من طريق قيس عنه موصولاً، وعن قيس مرسلاً وقال: «هو المحفوظ». وفي الباب عن جرير بن عبد الله صححه الحاكم ٢/ ٤٦٦ وأقره الذهبي. وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٠ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم» وسيأتي برقم (٢٧٥). (أبو مسعود): هـو عقبـة بن عمرو البـدري. (هَوِّن): خَفِّف. (أرعد): رجف واضطرب من الخوف.

(٢) إنافة رتبته: رفعتها.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) في نسخة: «بالتمدح».

(٥) والافتخار. نسخة.

ومهمات من اعتراه[(١)] ، وأمَّلَهُ؛ وتصريفه في مواضعه ، مُشْترياً به المَعَالي والثناءَ الحسن ، والمنزلةَ من[(٢)] القلوب ، كان فضيلةً في صاحبه عند أهل الدنيا.

وإذا صرفه في وجوهِ البر ، وأنفقه في سبيل الخير ، وقصد بذلك الله والدار الآخرة ، كان فضيلةً عند الكلِّ بكل حال ، ومتى كان صاحبُه مُمْسِكاً له غير موجِّهه وجوهَه ، حريصاً علىٰ جَمْعه ، عاد كُثْرُه كالعَدَم ، وكان مَنْقَصة في صاحبه ، ولم يقِفْ به علىٰ جَدَد[(٣)] السلامة؛ بل أوقعه (٢٤/أ) في هُوَّةِ[(٤)] رذيلةِ البُخل ، ومذَمَّةِ النَّذَالة[(٥)]؛ فإذاً التمدُّح[(٦)] بالمال وفضيلتهُ عند مُفَضِّليْه[(٧)] ليست لنفسه ، وإنما هو للتوصُّل به إلىٰ غيره ، وتصريفه في مُتَصَرَّفاته ، فجامعهُ إذا لم يضَعْه مواضِعَه ، ولا وجَّهَهُ وجوهَه غَيْرُ مَلِيءٍ[(٨)] بالحقيقة ، ولا غَني بالمعنى ، ولا مُمْتَدحٍ عند أحدٍ من العقلاء؛ بل هو فقير أبداً ، غَيْرُ واصلٍ إلىٰ غَرض من أغراضه؛ إذْ ما بِيَدِهِ من المال الموصِّل لها لم يُسَلَّطْ عليه ، فأشْبه خازنَ مالِ غيره ، ولا مالَ له؛ فكأنه ليس في يده منه شيء.

والمنفِق مَلِيءٌ [و] غنيٌّ بتحصيله فوائدَ المالِ ، وإنْ لم يَبْقَ في يده من المال شيء.

فانظُرْ سيرةَ نبينا ﷺ وخُلُقَه في المالِ تجِدْه قد أُوتي خزائنَ الأرض ، ومفاتيح البلادِ ، وأُحلَّت له الغنائم ، ولم تحلَّ لنبيّ قبله ، وفُتح عليه في

---

(١) في المطبوع: «منفقاً له في مهمَّات من اعتراه». اعتراه: جاءه طالباً معروفه.

(٢) في المطبوع: «في».

(٣) جَدَد: الجَدَدُ: الأرض المستوية. وفي المثل: «من سلك الجَددَ أَمِنَ العِثَار».

(٤) الهُوَّةُ: الحفرة البعيدة القعر/ المعجم الوسيط.

(٥) النذالة: الخِسَّةُ والحقارة والسفالة.

(٦) في نسخة: «التمادح».

(٧) في المطبوع: «مفضِّله».

(٨) المليء: الغنيُّ الثقة ، والقادر علىٰ دفع المال المطلوب/ المعجم الاقتصادي الإسلامي.

حياته ﷺ بلادُ الحجاز واليمن ، وجميعُ جزيرة العرب[١] ، وما دَانَىٰ ذلك من الشام والعراق ، وجُلِبَتْ إليه من أَخماسها وجِزْيتها وصدقاتها ما لا يُـجْبَىٰ للملوك إلا بعضُه ، وهَادَتْه[٢] جماعةٌ من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ، ولا أمسكَ منه درهماً؛ بل صرَّفه مصارِفه ، وأغنىٰ به غَيْرَه ، وقوَّىٰ به المسلمين.

١٥٥ ـ وقال: «ما يسرُّني أنَّ لي أُحُداً ذهباً يبيتُ عندي منه دِينار ، إلا ديناراً أُرْصِدُهُ لِدَيْني»[٣].

١٥٦ ـ وأتته دنانير مرةً فقسَّمها ، وبقيَتْ منها سِتَّة[٤]؛ فدفعها لبعض نسائه ، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها ، وقال: «الآن اسْتَرَحْتُ»[٥].

١٥٧ ـ ومات ودرعُه مرهونةٌ في نَفَقَةِ عِيَاله[٦].

واقتصر من نَفَقتهِ ومَلْبَسه ومسكنه علىٰ ما تدْعُوهُ ضرورَتُه إليه.

وزَهِد فيما سِوَاه ، فكان يَلْبس ما وجده؛ فيَلْبَس في الغالب الشَّمْلَةَ[٧] ، والكساءَ الخَشِن ، والبُرْدَ[٨] الغليظ ، ويَقْسِم علىٰ مَنْ حضره أَقْبِيَةَ الديباج[٩] المُخَوَّصة[١٠] بالذهب ، ويرفَعُ لِمَنْ لم يحضره؛ إذ المُبَاهاة في الملابس والتزينُ بها ليست من خصال الشرف والجَلاَلَة ، وهي من سِمَات النساء.

---

(١) جزيرة العرب: ما بين أقصىٰ عدن اليمن إلىٰ ريف العراق في الطول. وأما في العرض فمن جُدَّة وما والاها إلىٰ أطراف الشام. قاله الأصمعي. وانظر الفتح ٦/ ١٧١.

(٢) هادته: أرسلت له بهدايا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٤) ، ومسلم في الزكاة (٩٤/ ٣٢) من حديث أبي ذر. والبخاري (٦٤٤٥) ، ومسلم (٩٩١) من حديث أبي هريرة. (أُرْصِدُهُ): أُعِدُّه وأحفظه.

(٤) في الأصل: «ست مئة» ، والمثبت من المطبوع.

(٥) أخرجه ابن سعد عن عائشة بهذا اللفظ/ المناهل (١٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٦٧) من حديث عائشة. وانظر سياقة أخرىٰ عند مسلم (١٦٠٣).

(٧) الشملة: شُقة من الثياب ذات خمل يتوشح بها ويتلفع/ المعجم الوسيط.

(٨) البرد: كساء مخطط يلتحف به/ المعجم الوسيط.

(٩) أقبية الديباج: ثياب الحرير.

(١٠) المخوصة: المنسوجة.

والمحمودُ منها نَقَاوَة الثوب ، والتوسُّط في جِنْسه ، وكونُه لُبْسَ مِثْلِه ، غير مُسْقِطٍ لمروءة جِنْسِه ، ممّا لا يُؤَدِّي إلىٰ الشُّهْرَة في الطَّرَفَيْن.

وقد ذَمَّ الشرعُ ذلك؛ وغايةُ الفَخْر فيه في العادة (٢٤/ب) عند الناس إنما يعودُ إلىٰ الفخر بكثرةِ الموجود ، وَوُفُور الحال.

وكذلك التَّبَاهِي بجَوْدَة المسكن ، وسعَةِ المنزل ، وتكثير آلاته وخَدَمه ومركوباته.

ومَنْ مَلَكَ الأرضَ ، وجُبِيَ إليه ما فيها ، فترك ذلك زُهْداً وتنزُّهاً ، فهو حائز لفضيلة الماليَّة [١]، ومالكٌ للفخر بهذه الخَصلة ـ إنْ كانت فضيلةً ـ زائد[٢] عليها في الفخر ، ومُعْرِق[٣] في المدح بإضْرَابِه[٤] عنها ، وزُهْدِهِ في فانيها ، وَبَذْلِها في مظانِّها.

فصل

[في حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ][٥]

وأما الخصالُ المكتسبة من الأخلاقِ الحميدة والآدابِ الشريفة التي اتَّفق جميعُ العقلاءِ علىٰ تفضيل صاحبِها ، وتعظيم المتَّصِف بالخُلُق الواحدِ منها ، فَضْلاً عما فوقه ، وأَثْنَىٰ الشرعُ علىٰ جميعها ، وأَمَر بها ، وَوَعَد السعادةَ الدائمة للمُتَخَلِّق بها ، ووصف بعْضَها بأنه من أجزاء النبوة ، وهي المُسمَّاة بحُسْن الخُلق؛ وهو الاعتدالُ في قُوَىٰ النفس وأوصافها ، والتوسُّط فيها دون المَيْل إلىٰ مُنْحَرِف أطرافها؛ فجَمِيعُها قد كانت خُلُقَ نبينا محمد ﷺ علىٰ الانتهاءِ في

(١) في المطبوع: «المال».
(٢) في الأصل: «زائداً» ، والمثبت من المطبوع.
(٣) معرق: معناه أنه علىٰ أصل في الكرم والحسب.
(٤) بإضرابه: بإعراضه.
(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

كمالها، والاعتدالِ إلىٰ غايَتِها، حتى أَثْنَىٰ اللهُ تعالىٰ عليه بذلك فقال [تعالىٰ]: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

١٥٨ ـ قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: كان خلُقُهُ ـ ﷺ ـ القرآن، يَرْضَىٰ برِضَاه، ويَسْخَط بسَخَطِه[1].

١٥٩ ـ وقال ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق»[2].

١٦٠ ـ قال أنس: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقاً[3].

١٦١ ـ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مِثْلُه[4].

وكان فيما ذكره المحقِّقون مَجْبُولاً عليها في أَصْلِ خِلْقَته وأَوَّل فِطْرته، لم تحصُلْ له باكتسابٍ ولا رِيَاضة إلا بجُودٍ إلٰهيٍّ، وخصوصيةٍ رَبّانية.

وهكذا لسائر الأنبياء والمرسلين[5]، ومن طالعَ سِيرَهم منْذُ صِبَاهم إلىٰ مَبْعَثهم حقَّق ذلك، كما عُرِف من حال عيسى، وموسىٰ، ويحيىٰ، وسليمان، وغيرهم، عليهم السلام.

بل غُرِزَتْ فيهم هذه الأخلاقُ في الجبلَّة، وأُودِعُوا العِلْمَ والحِكْمة في الفِطْرة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، (٢٥/أ).

قال المفَسِّرون: أُعْطِيَ يحيىٰ العِلْمَ بكتاب الله [تعالىٰ] في حال صباه.

---

(١) عزاه السيوطي في المناهل (١٥٥) إلىٰ البيهقي بهذا اللفظ. وصدره رواه مسلم (٧٤٦) وسيأتي برقم (٥٥٢) و(١٢٤٢).

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٨١، والبزار (٢٤٧٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٦٥) من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم ٢/٦١٣، وقال ابن عبد البر: «هو حديث مدني صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره». قلت: في بعض رواياته: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠). وهو صدر حديث: «ما فعل النُّغَيْرُ؟ يا أبا عمير!».

(٤) عزاه في المناهل (١٥٨) إلىٰ أبي عبيد في الغريب.

(٥) كلمة: «والمرسلين» لم ترد في المطبوع.

١٦٢ ـ وقال مَعْمَر[١]: كان [يحيى] ابنَ سنتين أو ثلاث ، فقال له الصِّبْيان: لِمَ لا تلعبُ؟ فقال: أَلِلَّعبِ[٢] خُلِقْتُ؟[٣].

وقيلَ في قوله تعالىٰ: ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]: صَدّق يحيى بعيسىٰ؛ وهو ابنُ ثلاث سنين ، فشَهِدَ له أنه كَلِمةُ اللهِ ورُوحه.

وقيل: صدَّقه وهو في بَطْنِ أمه؛ فكانت أُمُّ يحيىٰ تقولُ لمريم: إنّي أَجد ما في بطني يسجُدُ لما في بطنك؛ تَحِيَّةً له.

وقد نصَّ اللهُ [تعالىٰ] علىٰ كلامِ عيسىٰ لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ [مريم: ٢٤] على قراءة من قرأ: ﴿مَنْ تَحْتَها﴾[٤] [مريم: ٢٤] وعلى قول مَنْ قال: إن المنادِي عيسى عليه السلام.

ونَصَّ على كلامه في مَهْدِه ، فقال: ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠].

وقال: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

١٦٣ ـ وقد ذُكِر من حِكَم سليمانَ وهو صبي يَلعَبُ في قصة المَرْجُومة[٥].

---

(١) هو مَعْمَرُ بن راشِدٍ ، من كبار أتباع التابعين. قال عنه ابن حجر: ثقة ثبت فاضل. مات سنة (١٥٤) هـ وهو ابن (٥٨) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ٥ ـ ١٨

(٢) ما لِلَّعب. نسخة.

(٣) قال السيوطي في المناهل (١٥٩): «الديلمي عن معاذ بن جبل ولم يسنده ، والحاكم في التاريخ عن ابن عباس مرفوعاً ، وسنده واهٍ ، وأخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي حاتم في تفسيره عن معمر ، والزيلعي ، فذكره».

(٤) قرأ أبو جعفر ونافع، وحفصٌ عن عاصمٍ، وحمزةُ والكسائي وخلف. «مِنْ تَحْتِها» بكسر الميم والتاء. وقرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابن عامرٍ، وأبو بكر بن عاصم، ويعقوب: «مَنْ تَحْتَها» بفتح الميم والتاء. انظر المبسوط في القراءات العشر ص (٢٨٨).

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخه بسنده إلىٰ ابن عباس أن امرأة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم ، فامتنعت على كل منهم ، فاتفقوا فيما بينهم عليها عند داود ، أنها مكَّنت من نفسها كلباً لها ، قد عودته ذلك منها ، فأمر برجمها ، فلما كان عشية ذلك اليوم ، جلس سليمان ، واجتمع معه وِلْدانٌ ، مثله ، فانتصب حاكماً ، وتزيّا أربعة منهم=

١٦٤ ـ وفي قصة الصبيّ[١] ما اقتدىٰ به داودُ أبُوه.

وحكىٰ الطبري أنَّ عُمُرَهُ كان حِينَ أُوتي المُلْكَ اثني عشر عاماً.

وكذلك قصةُ موسىٰ مع فرعون وأَخْذُه بِلِحْيَتِه وهو طِفْل.

وقال المفسرون في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١]؛ أي هَدَيْناه صغيراً؛ قاله مُجَاهد وغيره.

وقال ابنُ عطاء: اصطفاه قبل إِبداءِ خلْقه.

وقال بعضهم: لَمّا وُلِد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بعثَ اللهُ [تعالىٰ] إليه مَلَكاً يأمرهُ عن الله أَنْ يَعْرِفَه بِقَلْبه، ويَذْكُره بلسانه؛ فقال: قد فَعَلْتُ، ولم يَقُلْ: أفعل؛ فذلك رُشْده.

وقيل: إن إلْقَاءَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في النارِ ومِحْنته كانت وهو ابنُ ستَّ عشْرةَ[٢] سنةً، وإنَّ ابتلاء إسحاق بالذَّبح[٣] [كان] وهو ابنُ سبع سنين؛ وإن استدلالَ إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابنُ خمسة عشر شهراً.

وقيل: أُوحِيَ إلىٰ يوسف وهو صبيّ عندما هَمَّ إخوتهُ بإلقائه في الجُبِّ،

= بزيّ أولئك، وآخر بزي المرأة، وشهدوا عليها بأنها مكَّنت من نفسها كلباً. فقال سليمان. فرِّقوا بينهم. فسأل الأول: ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود. فعزله. واستدعىٰ الآخر، فسأله عن لونه، فقال: أحمر. وقال الآخر: أغبش، وقال الآخر: أبيض. فأمر عند ذلك بقتلهم، فحكي ذلك لداود، فاستدعىٰ من فوره أولئك الأربعة فسألهم منفردين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا عليه، فأمر بقتلهم/ المناهل (١٦٠). والله أعلم بصحة هذا الخبر.

(١) رواها البخاري (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ. قال: بينما امرأتان معهما ابناهما. جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنكِ أنتِ. وقالت الأخرىٰ: إنما ذهب بابنكِ. فتحاكمتا إلىٰ داود. فقضىٰ به للكبرى. فخرجتا علىٰ سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسِّكين أشقُّه بينكما. فقالت الصغرىٰ: لا. يرحمك الله! هو ابنها. فقضىٰ به للصغرىٰ» واللفظ لمسلم.

(٢) في المطبوع: «عشر» وهو خطأ.

(٣) المشهور الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح.

يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

إلىٰ غير ذلك مما ذكر[1] من أخبارهم.

١٦٤م ـ وقد حكى أهلُ (٢٥/ب) السِّيَر أنّ آمنةَ بنتَ وَهْبٍ أخبرت أَنَّ نبيَّنا محمداً ﷺ وُلد حين وُلد باسطاً يديه إلىٰ الأرض، رافعاً رأسه إلىٰ السماء[2].

١٦٥ ـ وقال في حديثه ﷺ: «لمَّا نشأْتُ بُـغِّضَتْ إليَّ الأوثانُ. وبُغِّضَ إلَـيَّ الشِّعْرُ»[3].

١٦٦ ـ و«لم أهُمَّ بشيء مما كانت الجاهليةُ تَـفْعَـله إلا مرتين، فعصمني اللهُ منهما، ثم لم أعُدْ»[4].

ثم يَتَمَكَّنُ الأمْرُ لهم، وتَتَرادَفُ نفَحاتُ اللهِ عليهم، وتُشْرِقُ أنوارُ المعارِفِ في قلوبهم، حتى يَصِلوا الغايةَ، وَيَبْلُغوا ـ باصطفاءِ اللهِ تعالىٰ لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخِصَالِ الشريفة ـ النهايةَ دُونَ مُمَارسة ولا رِياضة؛ قال الله [تعالىٰ]: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ[5] أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤].

وقد نجِدُ غيرهم يُطْبع علىٰ بعض هذه الأخلاق دونَ جميعها، ويُولَد

---

(١) في المطبوع: «مما ذكرنا».

(٢) هو طرف من حديث حليمة السعدية في رضاعه ﷺ. أخرجه الطبراني في المجلد (٢٤) برقم (٥٤٥)، وأبو يعلىٰ (٧١٦٣) وغيره، قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٢١: «رجالهما ثقات». وصححه ابن حبان (٢٠٩٤) موارد الظمآن، وحسّن إسناده السيوطي في مناهل الصفا (٦٨٠). ونقل في المناهل (٨٧٥) قول الذهبي: جيد الإسناد. وقال الحافظ ابن كثير في السيرة ١/ ٢٢٨: «وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهلِ السير والمغازي». قلت: وفي إسناده انقطاع. وسيأتي طرف منه برقم (٩١٥، ١١١٦).

(٣) رواه أبو نعيم في الدلائل عن شداد بن أوس/ المناهل (١٦٢).

(٤) أخرجه البزار (٢٤٠٣) وغيره من حديث علي. قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٢٦: «رجاله ثقات» وصححه ابن حبان (٢١٠٠) موارد، والحاكم (٤/ ٢٤٥)، وأقره الذهبي، وصحح إسناده السيوطي في المناهل (١٦٣)، وحسنه الحافظ ابن حجر. وسيأتي برقم (٢٩٠).

(٥) فاعل «بلغ» هو موسى عليه السلام.

عليها ، فيسهلُ عليه اكتسابُ تَمَامِها عنايةً من الله تعالىٰ ، كما نشاهِدُ من خَلْقِهِ بعضَ الصبيان علىٰ حُسْنِ السَّمْت[1] ، أو الشهامة[2] ، أو صِدْق اللسان ، أو السَّمَاحة؛ وكما نَجِدُ بعضهم علىٰ ضِدِّها؛ فبالاكتساب يكمُل ناقِصُها ، وبالرياضة والمجاهدة يُستَجْلَبُ معدومُها ، ويعتدلُ مُنْحَرِفُها ، وباختلاف هذين الحالين يتفاوتُ[3] الناس فيها.

١٦٦م ـ و«**كلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له**»[4]. ولهذا ما قد اختلف السلفُ فيها: هل هذا الخُلق جِبِلَّة أو مُكْتسبة؟.

فحكىٰ الطبريّ عن بعض السَّلف أنَّ الخُلقَ الحسن جِبِلَّةٌ وغريزة في العَبْد ، وحكاه عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود ، والحَسَن ، وبه قال هو.

والصواب ما أَصَّلْناه.

١٦٧ ـ وقد رَوىٰ سعدٌ عن النبي ﷺ ، قال: «**كلُّ الخِلال يُطْبَع عليها المؤمنُ إلا الخيانةَ والكذبَ**»[5].

١٦٨ ـ وقال عُمر بن الخطاب [رضي الله عنه] في حديثه: والجُرْأةُ ، والجُبْنُ غرائزُ يَضَعُها اللهُ حيث يشاء[6].

---

(١) السمت: الطريق الواضح ، والمذهب ، والسكينة والوقار ، والهيئة (المعجم الوسيط).

(٢) الشهامة: عزة النفس وحرصها علىٰ مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذكر الجميل (المعجم الوسيط).

(٣) يتفاوت: يتفاضل.

(٤) رواه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٦/ ٧) من حديث علي مرفوعاً.

(٥) أخرجه البزار (١٠٢) كشف الأستار ، وأبو يعلىٰ (٧١١) ، والبيهقي (١٠/ ١٩٧) وغيره. وقال الهيثمي في المجمع رقم (٣٣٠): «رجاله رجال الصحيح». وأخرجه البيهقي ١٠/ ١٩٧ عن سعد من قوله: وقال: «وهو الصحيح» ، وقال الدارقطني: الموقوف أشبه بالصواب. (الخِلال): جمع خلة وهي الخصلة.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٦٣ ، والبيهقي في السنن ٩/ ١٧٠ وغيره موقوفاً علىٰ عمر. وأخرجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: أبو يعلىٰ (٦٤٥١) ، والقضاعي (٢٩٧) وابن حبان في المجروحين ٣/ ٤١ ، وفي إسناده معدي بن سليمان. قال في التقريب: «ضعيف وكان عابداً».

وهذه الأخلاقُ المحمودة والخِصَال الجميلة كثيرةٌ ، ولكنا نذكر أُصولها ، ونُشير إلى جميعها ، ونحققُ وَصْفَه ﷺ بها إن شاء الله تعالىٰ .

فصـل

[فِـي نَـبَـاهَــةِ عَـقْـلِـهِ ﷺ][1]

أمّا أَصلُ (٢٦/أ) فروعها ، وعُنْصُر ينابيعها ، ونُقْطة دائرتها فالعقلُ الذي منه ينبعثُ العِلْمُ والمعرفةُ ، ويتفرَّع عن هذا ثقُوب الرأي ، وجُوْدةُ الفِطْنة ، والإصابةُ ، وصِدْقُ الظنّ ، والنظرُ للعواقب ومصالح النفس ، ومجاهدةُ الشهوة ، وحسنُ السياسةِ والتدبير ، واقتناءُ الفضائل ، وتجنب الرذائل .

وقد أشرنا إلى مكانه منه ﷺ ، وبلوغهِ منه ، ومن العلمِ الغايةَ التي لم يبلغها بَشرٌ سواه .

وإذ جلالةُ محلِّه من ذلك ، ومما تفرَّع منه متحقِّقٌ عند من تتبَّع مجارِيَ أحواله ، واطِّرادَ سِيَره ، وطالعَ جوامع كلامهِ ، وحسْنَ شمائله ، وبدائعَ سِيره ، وحِكَم حديثه ، وعِلْمَه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزَّلة ، وحِكَـمِ الحكمـاء ، وسِيَـرِ الأمـم الخـاليـة ، وأيـامهـا ، وضَـرْبِ الأمثـال ، وسياسات الأنام ، وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة ، والشِّيم الحميدة ، إلىٰ فنون العلوم التي اتخذ أهلُها كلامَه ـ عليه السلام ـ فيها قدوةً ، وإشاراتهِ حُجَّةً ؛ كالعِبارة[2] ، والطبّ ، والحساب ، والفرائض ، والنَّسَب ، وغير ذلك مما سنُبَيِّنُه في معجزاته ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ دون تعليمٍ ، ولا مُدَارسة ، ولا مطالعةِ كُتبِ مَنْ تقدّم ، ولا الجلوس إلىٰ علمائهم ؛ بل نَبيٌّ أُمِّيٌّ لم يُعْرَف بشيء من ذلك ، حتى شرح اللهُ صدْرَه ، وأبَان أَمْرَه ، وعلَّمه ، وأَقْرأه ، يُعلمُ

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي .

(٢) العِبارة : تعبير الرؤيا وتأويلها .

ذلكَ بالمطالعة والبحث: من[1] حاله ضرورةً ، وبالبرهان القاطع علىٰ نبوته نظراً؛ فلا نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الأقاصيص ، وآحادِ القضايا؛ إذ مجموعُها مالا يأخذه حَصْرٌ ، ولا يُحيط به حِفْظُ جامع ، وبحسبِ عَقْله كانت معارفه ﷺ إلىٰ سائر ما علَّمه اللهُ [تعالىٰ] وَأَطْلعه عليه مِنْ عِلْم ما يكون وما كان ، وعجائب قدرته ، وعظيم ملكُوتِه ، قال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

حارت العقولُ في تقدير فَضْله عليه ، وخَرِسَت الألسن دونَ وصْفٍ يحيط بذلك (٢٦/ب) أو ينتهي إليه.

فصل

[فِي حِلْمِهِ وَاحْتِمَالِهِ وَعَفْوِهِ وَصَبْرِهِ ﷺ][2]

وأما الحِلْم والاحتمالُ ، والعفوُ مع القدرة ، والصبْرُ علىٰ ما يُكْرَه؛ وبَيْنَ هذه الألقابِ فرقٌ ، فإنّ الحلْم: حالةُ توقُّر وثَباتٍ عند الأسباب المحرِّكات. والاحتمالُ: حبْسُ النفس عند الآلام[3] والمؤذيات. ومثْلُها الصبر ، ومعانيها متقاربةٌ.

وأما العفْوُ: فهو تَرْكُ المؤاخذة.

وهذا كلُّه مما أدّب اللهُ [تعالىٰ] به نبيَّه ﷺ ، فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

١٦٩ ـ رُوِيَ أنّ النبيَّ ﷺ لما نزلت عليه هذه الآيةُ سأل جبريل ـ عليه السلام ـ عن تأْوِيلها ، فقال له: حتى أَسْأَل العالِمَ.

ثم ذهب فأتاه ، فقال: «يا محمدُ! إنّ اللهَ يَأْمرك أن تَصِل مَنْ قطعكَ ،

---

(١) في المطبوع: «عن».
(٢) ما بين حاصرتين من عندي.
(٣) هكذا في الأصل والمطبوع. وقد شطب عليها الناسخ وأثبت فوقها: «عن الأمور».

وتُعْطِيَ مَنْ حرمك ، وتعْفُوَ عمَّنْ ظلمك»[1].

وقال له : ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧].

وقال [تعالىٰ]: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥].

وقال : ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقال : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورىٰ : ٤٣].

ولا خفاءَ بما يُؤْثَر من حِلْمِه واحتماله ، وأَنّ كلَّ حليم قد عُرِفَتْ منه زَلَّة[2] ، وحُفِظَتْ عنه هَفْوة[3] ، وهو ﷺ لا يزيدُ مع كَثْرة الأَذى إلا صَبْراً ، وعلىٰ إسراف الجاهِل إلا حِلْماً.

١٧٠ ـ حدثنا القاضي أبو عبد الله : محمد بن علي التَّغْلبي وغيره ، قالوا: حدثنا محمد بن عتّاب ، حدثنا أبو بكر بن وافد[4] القاضي وغيره ، حدثنا أبو عيسىٰ ، حدثنا عُبيد الله [قال]: حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عُرْوَة ، عن عائشة [رضي الله عنها] ، قالت: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ في أمرين قطُّ إلا اختار أَيْسَرَهُما ما لم يكن إثْماً ، فإن كان إثْماً كان أبعدَ الناسِ منه ، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه إلا أنْ تُنْتَهكَ حُرْمةُ اللهِ [تعالىٰ] ، فينتقم للهِ بها[5].

١٧١ ـ ورُوي أنَّ النبيَّ ﷺ لما كُسِرَت رَبَاعِيَتُهُ وشُجَّ وَجْهُهُ يوم أُحُد شَقَّ

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيره من طرق مرسلة. ووصله ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة. وسيأتي برقم (٦٤٥).
(٢) زَلَّة: سقطة وخطيئة.
(٣) هفوة: غلطة.
(٤) هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي ، قاضي قرطبة ، مات سنة (٤٠٤) هـ/ تبصير المنتبه ص: (١٤٦٦).
(٥) أسنده المصنف من طريق مالك ٩٠٣/٢ ، وأخرجه أيضاً البخاري (٣٥٦٠) ، ومسلم (٢٣٢٧) ، وسيورده المصنف برقم (٢٤٠ ، ١٧٨٦).

ذلك على أصحابه [شقّاً][1] شديداً ، وقالوا: لو دعَوْتَ عليهم! فقال: «**إني لم أُبْعَث لَعَّاناً ، ولكني بُعِثْت داعياً ورحمة. اللَّهُمَّ! اهْدِ قومي فإنهم لا يَعْلَمُون**»[2].

١٧٢ ـ ورُوي عن (١/٢٧) عُمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في بعض كلامِه: بأبِي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ الله! لقد دعا نوحٌ علىٰ قومه ، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. ولو دعوتَ علينا مثْلَها لهلَكْنا من عند آخرنا ، فلقد وُطِىءَ ظَهْرُك ، وَأُدْمِيَ وجْهُك ، وكُسرت رَبَاعِيَتُك ، فأبيتَ أَنْ تقولَ إلاّ خيراً ، فقلْتَ: «**اللَّهُمَّ! اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون**»[3].

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: انْظُرْ ما [4]في هذا القول من جِمَاع الفضل ، ودرجاتِ الإحسان ، وحُسْنِ الخلق ، وكَرمِ النفس ، وغايةِ الصبر والحِلْمِ ، إذْ لم يقتصِرْ ﷺ علىٰ السكوت عنهم حتى عَفَا عنهم ، ثم أَشْفَق عليهم ، ورَحِمهم ، ودعا وشفَع لهم ، فقال: «**اللهُم**![5] **اغفِرْ**» أو «**اهْدِ**» ثم أظهر سبَبَ الشفقةِ والرحمة بقوله: «**لقَوْمي**» ثم اعتذر عنهم بجَهْلهم ، فقال: «**فإنهم لا يَعْلَمون**».

١٧٣ ـ ولما قال له الرجلُ: اعْدِلْ ، فإنَّ هذه قِسْمةٌ ما أُرِيد بها وَجْهُ الله ، لم يزِدْهُ في جوابه أن بَيَّنَ له ما جَهِلَه.

---

(١) ما بين حاصرتين من مطبوع دار الوفاء.

(٢) أخرجه البيهقي في الشُّعَب بهذا اللفظ عن عبد الله بن عبيد ، وقال: مرسل/المناهل (١٦٨). وأخرج البخاري (٢٩٠٣) ، ومسلم (١٧٩٠) من حديث سهل بن سعد ما يتعلق بجرح وجهه الشريف ﷺ وكسر رَباعيته. وهذه الفقرة أيضاً في البخاري تعليقاً ، ومسلم (١٧٩١) من حديث أنس بن مالك. وأخرج البخاري (٣٤٧٧) ، ومسلم (١٧٩٢) عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلىٰ النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه ، فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول: اللهم! اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». (رَبَاعِيَتُهُ): هي السن التي تلي الثنية من كل جانب. وللإنسان أربع رباعيات. (شُجَّ): جُرِح.

(٣) قال السيوطي في المناهل (١٦٩): «لا يعرف».

(٤) كلمة: «ما» لم ترد في المطبوع.

(٥) كلمة: «اللهم» ، لم ترد في المطبوع.

ووعظ نَفْسه ، وذكَّرها بما قال له ، فقال: «وَيْحكَ! فمن يَعْدِلُ إن لم أعدل؟! خِبْتُ وخَسِرْتُ إن لم أعدِلْ!»[1] ونهى مَنْ أراد من أصحابه قَتْلَه.

١٧٤ ـ ولمّا تصَدَّىٰ له غُوْرَث بن الحارث ليَفْتِكَ به ، ورسولُ الله ﷺ مُنْتَبِذٌ تحت شجرةٍ وحْدَه قائلاً ، والناسُ قائلون ، في غَزَاةٍ ، فلم يَنْتَبِهْ رسولُ الله ﷺ إلا وهو قائم ، والسيف صَلْتاً في يده ، فقال: مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟ فقال: «الله» فسقَط السيفُ مِنْ يده ، فأخذه النبيّ ﷺ ، وقال: «من يَمْنَعُكَ مني؟» قال: كُنْ خَيْرَ آخذٍ ، فتركه وعفاً عنه. فجاء إلىٰ قومه فقال: جئتُكم مِنْ عند خَيْرِ الناسِ[2].

١٧٥ ـ ومِنْ عظيم خَبَرِه[3] في العَفْوِ عَفْوُه عن اليهودية التي سمَّتْه في الشاة بعد اعترافها[4]، علىٰ الصحيح من الرواية.

١٧٦ ـ وأنه لم يؤاخِذْ لَبِيدَ بن الأَعْصَم إذ سحره ، وقد أُعلم به وأُوحي إليه بشَرْح أمره ، ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته[5].

١٧٧ ـ وكذلك لم يؤاخِذْ عبدَ اللهِ بن أُبَيٍّ ، وأشباهَه من المنافقين ، بعظيم

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٨) ، ومسلم (١٠٦٣) من حديث جابر ، والبخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤/١٤٨) من حديث الخدري ، والبخاري (٣١٥٠) ، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود. وسيأتي برقم (٢٨٦) و(١٧٧٨).

(٢) أخرجه البيهقي بهذا اللفظ من حديث جابر بن عبد الله/ المناهل (١٧١). قلت: رواه بسياقة أخرىٰ البخاري (٢٩١٠) ، ومسلم (٨٤٣). وسيأتي برقم (١٠٥١). (ليفتك به): ليقتله. (منتبذ): منفرد بعيد عن أصحابه. (قائلاً): نائماً وقت القيلولة. (قائلون): نائمون وقت القيلولة. (صلتاً): مشهوراً ، مجرداً من غمده.

(٣) في الأصل: «خيره» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦١٧) ، ومسلم (٢١٩٠) من حديث أنس بن مالك.

(٥) حديث السحر أخرجه البخاري (٣٢٦٨). ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة ، وسيأتي برقم (١٠٤٤).

ما نُقل عنهم في جهته قولاً وفعلاً؛ بل قال لمن أشار بقتل بعضهم: «لا يُتحدَّثُ أن محمداً (٢٧/ب) يقتل أصحابه»[١].

١٧٨ ـ وعن أنس [رضي الله عنه]: كنتُ مع النبي ﷺ، وعليه بُرْدٌ غليظ الحاشية، فَجَبَذَه[٢] الأعرابي بردائه جَبْذَةً شديدة حتى أثَّرت حاشيةُ البُرْدِ في صفحة عاتِقِه، ثم قال: يا محمد! احْمِلْ لي علىٰ بعيريّ هٰذين مِنْ مالِ اللهِ الذي عندك، فإنك لا تحمِلُ لي[٣] من مالكَ ولا [من] [٤]مالِ أبيك.

فسكت النبيُّ ﷺ، ثم قال: «المالُ مالُ الله، وأنا عَبْدُه».

ثم قال: «ويُـقَادُ منكَ، يا أعرابي! ما فعلتَ بي».

قال: لا.

قال: «لِمَ؟» قال: لأنكَ لا تُكافِىءُ بالسيِّئةِ السيِّئة[٥].

فضحك النبيّ ﷺ؛ ثم أمر أن يُحمل [له] على بعير شعيرٌ، وعلىٰ الآخر تَمْرٌ.

١٧٩ ـ قالت عائشةُ رضي الله عنها: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ منتصراً من مَظْلَمة ظُلِمها قطُّ، ما لم تكن حُرْمةً من محارمِ الله. وما ضرب بيده شيئاً قطُّ إلا أن يجاهِدَ في سبيل الله. وما ضرب خادماً [قَطُّ] ولا امرأةً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤/ ٦٣) من حديث جابر، وسيأتي برقم (١٧١٠، ١٧٨١، ١٧٨٣).

(٢) في الأصل: «فجذبه»، والمثبت من المطبوع. وهما بمعنًى.

(٣) في نسخة: «تحملني».

(٤) ما بين حاصرتين من شرح الخفاجي والقاري.

(٥) أخرجه ـ بلفظ المصنفِ ـ البيهقيُّ في الأدب من حديث أبي هريرة/ المناهل (١٧٨). قلت: وأخرجه مختصراً: البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧). (يقاد منك): يقتصُّ منك.

(٦) أخرج الفقرة الأولىٰ منه: الترمذي في الشمائل (٣٤٢)، والحميدي (٢٦٠)، وأبو يعلىٰ (٤٤٥٢)، وهي في البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) بلفظ: «وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله عزَّ وجل» وباقي الحديث أخرجه مسلم (٢٣٢٨).

١٨٠ ـ وجيء إليه برجل ، فقيل : هذا أراد أن يقتلك . فقال له النبي ﷺ : «لن تُرَاعَ ، لن تُرَاعَ ، ولو أردتَ ذلك لم تُسَلَّطْ عليّ»[١] .

١٨١ ـ وجاءَه زيد بن سَعْنَـةَ[٢] قبل إسلامه يَتَقَاضَاهُ دَيناً عليه ، فجَبَذَ ثوبَه عن مَنْكِبه ، وأخذ بمجامع ثيابهِ ، وأغلظ له ، ثم قال : إنكم ، يا بني عبد المطلب! مُطُلٌ ، فانتهره عُمر ، وشدَّد له في القول ، والنبيُّ ﷺ يَـتَـبَـسَّمُ[٣] .

فقال رسولُ الله ﷺ : «أنا ، وهُوَ ، كُنَّا [إلىٰ] غير هذا منك أحْوج ، يا عمر! تَأمرني بُحسْنِ القضاء ، وتأمره بحُسْن التقاضي» .

ثم قال : «لقد بَقِيَ من أجَلِهِ ثلاثٌ» وأمر عُمر يَقْضِيه مالَه ويزيده عشرين صاعاً لِمَا رَوَّعَه ؛ فكان سببَ إسلامه .

وذلك أنه كان يقول : ما بَقِيَ من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفْتُها في محمد إلاَّ اثنتين لم أَخْبُرْهما : يسبقُ حِلمُه جَهْلَهُ ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل إلا حِلْماً . فاختبره بهذا ، فوجده كما وُصِفَ[٤] .

والحديثُ عن حِلْمه عليه السلام وصَبْرِه وعَفْوِهِ عند المقدرة[٥] أكثَرُ من أن

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٧١ والطبراني من حديث جَعْدَةَ . قال في المجمع ٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ : «رجاله رجال الصحيح ، غير أبي إسرائيل الجشمي ، وهو ثقة» . وصحح إسناده السيوطي في المناهل (١٧٧) . (لن تراع) : أي لا فزع ولا خوف .

(٢) وضبط في الأصل بالياء المثناة من تحت أيضاً ، وهو حبرٌ من أحبار اليهود ، أسلم وحسن إسلامه ، وشهد مع النبي ﷺ مشاهد كثيرة . توفي في غزوة تبوك مقبلاً إلىٰ المدينة/ أُسْدُ الغابة ٢/ ١٣٦ .

(٣) في المطبوع : «يبتسم» .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٥١٤٧) وغيره من حديث عبد الله بن سلام . قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ : «رجاله ثقات» . وصححه ابن حبان (٢١٠٥) موارد الظمآن ، والحاكم ٣/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥ وتعقبه الذهبي فقال : «ما أنكره وما أركَّهُ!» . وصحح إسناده السيوطي في المناهل (١٧٨) . وقال الحافظ المزي في تهذيب الكمال : هذا حديث حسن مشهور . (روَّعه) : أفزعه . (صاعاً) : الصاع : أربعة أمداد . والمدُّ : ملء الكفين مجتمعين لا مبسوطين ولا مقبوضين . ويقدر ب(٦٠٠) غرام . (الجهل) : السَّفَهُ والجفاء .

(٥) في المطبوع : «القدرة» .

نأتيَ عليه ، وحسبك ما ذكرناه [مما] في الصحيح (٢٨/أ) والمصنَّفات الثابتة ، إلىٰ ما بلغ متواتِراً مبْلَغَ اليقين: مِنْ صبره علىٰ مُقَاسَاة قريش ، وأذىٰ الجاهلية ، ومُصَابرته الشدائدَ الصعبةَ معهم إلىٰ أن أظْفره اللهُ عليهم ، وحكَّمه فيهم ، وهم لا يشُكُّون في استئصال شَأْفَتهم[1] ، وإبادة خَضْرائهم[2]؛ فما زاد علىٰ أنْ عفا وصفح.

١٨٢ ـ وقال: «ما تقولون أنِّي فاعلٌ بكم؟» قالوا: خيْراً ، أَخٌ كريم ، وابنُ أخٍ كريم ، فقال: «أقولُ كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] «اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»[3].

١٨٣ ـ وقال أَنس: هبط ثمانون رجلاً من التَّنْعِيم صلاةَ الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ ، فأُخِذوا ، فأعتقهم رسولُ الله ﷺ؛ فأنزل اللهُ [تعالىٰ]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[4] [الفتح: ٢٤].

١٨٤ ـ وقال لأبي سُفيان ـ وقد سِيْقَ إليه بعد أن جلَب إليه[5] الأحزابَ ، وقتل عمَّه وأصحابَه ومَثَّلَ بهم ، فعفا عنه ، ولاطَفَه في القول ـ: «وَيْحَك!

---

(١) استئصال شأفتهم: أي إزالتهم من أصلهم. والشأفة: قرحة تخشن فتستأصل بالكيِّ/ المعجم الوسيط.

(٢) خضرائهم: جَمْعِهِم وسوادهم.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (تحفة الأشراف ١٠/ ١٣٤) من حديث أبي هريرة. وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣ «رواه ابن الجوزي في الوفا من طريق ابن أبي الدنيا وفيه ضعف». وذكره العلامة ابن قيم الجوزية في زاد المعاد ٣/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ وسكت عنه. وذكره الغزالي في الإحياء ٣/ ١٨٣ من حديث سهيل بن عمرو ، ونسبه في المناهل (١٧٩) إلى حميد بن زنجويه في كتاب الأموال. (لا تثريب): لا تأنيب ولا لوم عليكم/ كلمات القرآن لمخلوف.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٠٨). (التنعيم): موضع علىٰ ثلاثة أميال من مكة. وهو اليوم من أحيائها. وليس في الحِلِّ أقرب إلىٰ الحرم منه.

(٥) في نسخة: «عليه».

يا أبا سفيانَ! أَلَمْ يَأْنِ لك أَنْ تعلَم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بأَبِي أنتَ وأُمّي ، ما أَحْلَمَكَ وأَوْصلك وأكرمكَ![1].

وكان رسولُ الله ﷺ أبعدَ الناسِ غضَباً ، وأَسْرعهم[2] رِضاً ، ﷺ.

فصـل

[فِـي جُـوْدِهِ وَكَـرَمِـهِ وَسَخَـائِـهِ وَسَـمَـاحَـتِـهِ ﷺ][3]

وأما الجودُ والكرمُ ، والسخَاءُ والسَّمَاحةُ ، ومعانيها متقاربة؛ وقد فرَّق بعضُهم بينها بفروق؛ فجعلوا الكَرَم: الإنفاقَ بطيبِ النفس فيما يعظُم خَطَرُهُ ونَفْعُه ، وسمَّوهُ أيضاً حُرِّية[4] ، وهو ضدُّ النَّذَالَة[5].

والسماحةُ: التَّجَافي عما يستحقُّه المرءُ عند غيره بطيب نَفْس ، وهو ضدُّ الشَّكَاسَة.

والسخاءُ: سهولةُ الإنفاق ، وتَجَنُّبُ اكتسابِ ما لا يُحْمَد ، وهو الجود ، وهو ضدُّ التَّقتِير.

وكان ﷺ لا يُوَازَىٰ في هذه الأخلاقِ الكريمةِ ، ولا يُبَارى ، بهذا وصفَهُ كلُّ مَنْ عَرفه.

١٨٥ ـ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصَّدَفِي رحمه الله ، حدثنا القاضي أبو الوليد الباجِيُّ ، حدثنا أبو ذرّ الهَرَوِي ، حدثنا أبو الهيثم الكُشْمِيْهَنِي ، وأبـو محمـد السَّـرْخَسِـي ، وأبـو إسحـاق (٢٨/ب) البَلْخِـي؛ قـالـوا: حـدثنـا أبو عبد الله الفِرَبْرِي؛ حدثنا البُخاري ، [قال] حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وغيره، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٧ : «رجاله رجال الصحيح». وصحح إسناده السيوطي في المناهل (١٨١).

(٢) في الأصل: «وأسرعه» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) الحرية ـ هنا ـ: الخلوص من اللؤم. انظر المعجم الوسيط.

(٥) النذالة: الخِسَّة والحقارة.

سفيان ، عن ابن المُنْكَدِر ، سمعتُ جابر بن عبد الله يقول: ما سُئِل النبيُّ ﷺ عن شيء فقال: لا[1].

١٨٦ ، ١٨٧ ـ وعن أَنس وسَهْل بن سعد مثلُه[2].

١٨٨ ـ وقال ابنُ عباس: كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس بالخير ، وأجود ما كان في شَهْرِ رمضان ، وكان إذا لَقِيَه جبريلُ عليه السلام أجودَ بالخير من الرِّيح المُرْسَلة[3].

١٨٩ ـ وعن أَنس أَنَّ رجلاً سأله فأعطاه غَنَماً بين جَبَلَيْن ، فرجع إلىٰ بلده ، وقال: أَسْلِموا؛ فإنَّ محمداً يُعْطِي عطاءَ مَنْ لا يَخْشَىٰ فاقةً[4].

وأعطى غَيْرَ واحد مئةً من الإبل.

١٩٠ ـ وأعطىٰ صفوانَ مئةً ، ثم مئةً ، ثم مئةً[5]. وهذه كانت حالهُ ﷺ قبل أَنْ يُبْعث.

١٩١ ـ وقد قال له وَرَقَةُ بن نَوْفل: إنك تحملُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدومَ[6].

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٦٠٣٤) ، وأخرجه أيضاً مسلم (٢٣١١).

(٢) حديث أنس أخرجه مسلم (٢٣١٢) بلفظ: «ما سئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئاً إلا أعطاه. . . .». وسيأتي طرف منه برقم (١٨٩). وحديث سهل بن سعد أخرجه الدارمي برقم (٧٢) وغيره بلفظ: كان رسول الله ﷺ حيياً لا يسأل شيئاً إلا أعطاه. وإسناده ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٢) وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (١٨٦). (رجلاً): هو صفوان ابن أمية. (غنماً بين جبلين): أي كثيرة كأنها تملأ ما بين جبلين.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣١٣) وسيورده المصنف برقم (٢٢٨ ، ١٧١٧).

(٦) أخرجه ـ من قول خديجة ـ البخاريُّ (٣) ، ومسلم (١٦٠) وسيأتي برقم (٢٥٥). (تحمل الكَلَّ) الكَلُّ: أصله الثِّقل ويدخل في حمل الكَلِّ: الإنفاق علىٰ الضعيف واليتيم والعيال ، وغير ذلك. (وتكسب المعدوم): أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. وانظر معاني أخرىٰ في الفتح ١/ ٢٤ ـ ٢٥

١٩٢ ـ وردَّ علىٰ هَوَازِنَ سَبَايَاها ، وكانوا ستةَ آلاف[١] .

١٩٣ ـ وأعطىٰ العباسَ من الذهب ما لم يُطِقْ حَمْلَه[٢] .

١٩٤ ـ وحُمِلَ إليه تسعون ألفَ درهمٍ ، فوُضعت علىٰ حصير ، ثم قام إليها يَقْسِمُها ، فما رَدَّ سائلاً حتى فرغَ منها[٣] .

١٩٥ ـ وجاءه رجلٌ ، فسأله ، فقال : «ما عندي شيء ، ولكن ابتَع عليَّ ، فإذا جاءنا شيء قَضَيْناه . .» .

فقال له عُمر : ما كَلَّفَكَ اللهُ ما لا تَقْدر عليه .

فكرِهَ النبيُّ ﷺ ذلك . فقال رجل من الأنصار : يا رسولَ الله ! أَنْفِقْ ولا تخَفْ من ذِي العرش إقْلالاً .

فتبسم ﷺ وعُرف البِشْرُ في وجهه ، وقال : «بهذا أُمرتُ»[٤] ذكره الترمذي .

١٩٦ ـ وَذُكِرَ عن مُعَوِّذ بن عَفْرَاءَ [قال] : أَتيتُ النبيَّ ﷺ بقِنَاع من رُطب ـ يريد : طَبَقاً ـ وأَجْرِ زُغْبٍ ـ يريد : قِثّاءَ ـ فأعطاني مِلْءَ كفِّه حُلِيّاً وذَهباً[٥] .

١٩٧ ـ وقال أنس : كان النبيُّ ﷺ لا يدَّخِرُ شيئاً لغَدٍ[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨) من حديث مروان بن الحكم والمِسْور بن مَخْرَمَة. (هوازن) : اسم قبيلة . (سباياها) : أسراها .

(٢) علّقه البخاري (٤٢١) من حديث أنس . وقال الحافظ في الفتح ١/ ٥١٦ : «وصله أبو نعيم في مستخرجه ، والحاكم في مستدركه» .

(٣) رواه أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل عن الحسن مرسلاً/ المناهل (١٩٢) .

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٤٨) ، والبزار (٣٦٦٢) ، والخرائطي في المنتقىٰ من مكارم الأخلاق (٢٧٨) من حديث عمر . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٤٢ : «فيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني ، وقد ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان ، وقال : يخطىء» .

(٥) لم أجده من حديث مُعَوِّذِ بن عفراء . وأخرجه ـ من حديث الرُّبَيِّع بنتِ مُعَوِّذ بن عفراء ـ : أحمد ٦/ ٣٥٩ ، والترمذي في الشمائل (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٤٩) وحَسّن إسناده الهيثمي في المجمع ٩/ ١٣ ، والسيوطي في المناهل (١٩٤) .

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٦٢) ، والبغوي (٣٦٩٠) وغيره . وصححه ابن حبان (٢١٣٩ ، ٢٥٥٠) موارد . وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

والخَبَرُ بجوده وكرمه ـ ﷺ ـ كَثِير.

١٩٨ ـ وعن أبي هُريرة: أَتَىٰ رجلٌ النبيَّ ﷺ يسأله، فاستَسْلف له رسولُ اللهِ ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ، فجاءَ الرجلُ يتقاضاه، فأعطاه وَسْقاً (٢٩/أ) وقال: «نِصْفُه قَضاءٌ، ونِصْفُه نائِلٌ»[١].

فصل

[فِي شَجَاعَتِهِ وَنَجْدَتِهِ ﷺ][٢]

وأما الشجاعةُ والنجدةُ، فالشجاعةُ: فضيلةُ قوةِ الغضبِ وانقيادِها للعَقْل، والنَّجْدَةُ: ثقةُ النفسِ عند استرسالها إلىٰ الموت حيث يُحْمَدُ فعلُها دونَ خوف.

فكان النبي ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجْهل؛ قد حضر المواقِفَ الصعبةَ، وفرَّ الكُمَاةُ[٣] والأبطالُ عنه غَيْرَ مرّة، وهو ثابتٌ لا يَبْرَح، ومُقْبِل لا يُدْبِر ولا يتزحزح. وما شجاعٌ إلاَّ وقد أُحْصِيت له فَرَّةٌ، وحُفِظَت عنه جَوْلَةٌ، سِوَاهُ.

١٩٩ ـ حدثنا أبو علي الجَيَّاني في ما كتب لي؛ قال: حدثنا القاضي سِراج، حدثنا أبو محمد الأَصِيلي، [قال]: حدثنا أبو زَيْدٍ الفقيه، حدثنا محمدُ بن يوسف، حدثنا محمدُ بن إسماعيل، حدثنا ابن بشّار، حدثنا غُنْدَر، حدثنا شُعْبة، عن أبي إسحاق: سَمِعَ البَرَاءَ ـ وسأله رجلٌ: أفررْتُم يوم حُنَين عن رسولِ الله ﷺ؟ ـ قال: لكنْ رسولُ الله ﷺ لم يَفِرَّ.

ثم قال: لقد رأيتُه[٤] علىٰ بَغْلته البيضاء وأبو سفيان[٥] آخِذٌ بلجامها،

---

(١) ذكره السيوطي في المناهل (١٩٦) ولم يذكر من خرَّجه. (وَسْق) الوسقُ: ستون صاعاً. والصاع أربعة أمداد. والمد: ملء الكفين مجتمعين لا مبسوطين ولا مقبوضين ويقدر بـ(٦٠٠) غرام. (استسلف): استقرض. (نائل): أي عطاء وهبة.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) الكماة: الشجعان.

(٤) في الأصل: «رأيت»، وفي البخاري: «رأيت رسول الله ﷺ». والمثبت من المطبوع.

(٥) أبو سفيان هو ابن الحارث، ابن عم النبي ﷺ.

والنبيُّ ﷺ يقول: «أنا النبيُّ لا كَذِبْ» وزاد غيره: «أنا ابْنُ عبد المُطَّلبْ»[(١)].

قيل: فما رُئي يومئذٍ أحَدٌ كان أَشدَّ منه.

وقال غَيْرُه[(٢)]: نزل النبيُّ ﷺ عن بغلته.

٢٠٠ ـ وذكر مُسْلِمٌ، عن العباس، قال: فلما الْتَقَى المسلمون والكفَّار وَلَّى المسلمون مُدْبِرين، فطفِقَ رسولُ الله ﷺ يُرْكضُ بَغْلَته نحو الكفار، وأنا آخِذٌ بلجامها أَكُـفُّها إرادةَ أَلاَّ تُسْرع، وأبو سفيانَ آخِذٌ بركابه، ثم نادىٰ: يا لَلْمُسْلمين... الحديث[(٣)].

٢٠١ ـ وقيل: وكان رسولُ الله ﷺ إذا غضِب ـ ولا يَغْضَبُ إلا لله ـ لم يَقُمْ لغَضَبه شيء[(٤)].

٢٠٢ ـ وقال ابنُ عمر: ما رأيتُ أَشْجع، ولا أَنْجَد، ولا أَجْود، ولا أَرْضى [ولا أفضل] مِنْ رسول الله ﷺ[(٥)].

٢٠٣ ـ وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّا كنَّا إذَا حَمِي البَأْس ـ ويروى: اشتدَّ البأس ـ واحمرَّت الحَدَقُ اتَّقَينا برسول الله ﷺ؛ فما يكون أحَدٌ أَقْربَ إلىٰ العدوّ منه (٢٩/ب) ولقد رأيتُني يوم بَدْرٍ ونحن نَلُوذُ بالنبيّ ﷺ، وهو أَقْرَبُنا إلىٰ العدو، وكان من أشدّ الناسِ يومئذٍ بَأْساً[(٦)].

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٤٣١٧). وأخرجه أيضاً مسلم (١٧٧٦/ ٨٠).

(٢) قال غيره: هما إسرائيل بن يونس وزهير بن معاوية فقد رويا هذا الحديث ـ كما في البخاري (٤٣١٧) ـ عن أبي إسحاق عن البراء فقالا في آخره: «نزل النبي ﷺ عن بغلته».

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٥)، وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (١٢٠).

(٤) فقرة من حديث هند بن أبي هالة المتقدم برقم (٤٦).

(٥) أخرجه الدارمي برقم(٦٠) ورجاله ثقات.

(٦) حديث صحيح. أخرجه أحمد ١/ ٨٦، وأبو يعلىٰ (٣٠٢، ٤١٢)، وأبو الشيخ ص: (٥٧)، والبغوي (٣٦٩٨، ٣٦٩٩) وغيره. وأخرج مسلم (١٧٧٦) من حديث البراء قال: «كنا والله! إذا احمرَّ البأس، نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ». (احمرَّت الحدق): كناية عن اشتداد القتال. (اتقينا برسول الله ﷺ): أي جعلناه واقية لنا من العدو.

٢٠٤ ـ وقيل: كان الشجاعُ هُو الذي يَقْرُبُ منه ﷺ إذا دَنا العدوُّ، لِقُرْبه منه[١].

٢٠٥ ـ وعن أنس: كان النبيّ ﷺ أحسنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ؛ لقد فزِعَ أهلُ المدينة ليلةً، فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت، فتلقَّاهم رسول الله ﷺ راجعاً، قد سبقهم إلىٰ الصوتِ، واستبرأ الخَبَر علىٰ فَرَسٍ لأبي طَلحةَ عُرْيٍ، والسيفُ في عُنُقه، وهو يقول: «لن تُرَاعُوا»[٢].

٢٠٦ ـ وقال عِمْران بن حُصَيْنٍ: ما لَقِي رسولُ الله ﷺ كَتِيبةً إلاَّ كان أولَ من يَضْرِب[٣].

٢٠٧ ـ ولما رآه أُبَيُّ بن خَلَف يوم أُحُد وهو يقول: أين محمدٌ؟ لا نَجوْتُ إن نَجَا!

وقد كان يقولُ للنبيّ ﷺ ـ حين افْتَدىٰ يَوْمَ بَدْر ـ: عندي فرسٌ أَعلِفُها كلَّ يوم فَرَقاً من ذُرَةٍ أَقْتُلكَ عليها.

فقال له النبيّ ﷺ: «أنا أقتلكَ إن شاء الله».

فلما رآه يوم أُحُد شدَّ أُبَيٌّ علىٰ فرسه علىٰ رسول الله ﷺ، فاعترضه رجالٌ من المسلمين، فقال النبيُّ ﷺ: «هكذا» أي: خَلُّوا طريقه، وتناول الحَرْبَة من الحارثِ بن الصِّمَّة، فانتفض بها انتفاضةً، تطايَرُوا عنه تطايُرَ الشَّعْرَاءِ عن ظَهْر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبيّ ﷺ، فطعنه في عُنقه طعنةً تَدَأْدَأَ منها عن فَرَسِهِ مِرَاراً.

وقيل: بل كَسَر ضِلَعاً من أضلاعه، فرجع إلىٰ قريش يقول: قتلني محمد! وهم يقولون: لا بَأْسَ بِكَ. فقال[٤]: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم، أليس

---

(١) انظر تخريج الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧)، وسيأتي برقم (٨٩٣). (استبرأ): استكشف. (عُرْي): لا سَرْجَ عليه. (لن تراعوا): أي لا خوف ولا فزع، فاسكنوا.

(٣) رواه أبو الشيخ في كتاب: «أخلاق النبي ﷺ وآدابه»/ المناهل (٢٠٣).

(٤) في الأصل: «قال»، والمثبت من المطبوع.

قد قال: «أنا أقتلكَ»؟ والله! لو بَصَقَ عليّ لقتلني. فمات بِسَرِف في قفولهم إلىٰ مكّة[1].

فصــل

[فِي حَيَائِهِ وَإِغْضَائِهِ ﷺ][2]

وأما الحَياء والإغْضاءُ: فالحياءُ[3] رقَّةٌ تَعْتَري وجْهَ الإنسان عند فِعْل ما يُتَوَقَّعُ كراهتهُ، أو ما يكونُ تَرْكهُ خيراً من فِعْله.

والإغْضاءُ: التغافلُ عما يَكْرَه الإنسانُ بطبيعته.

وكان النبيُّ ﷺ (٣٠/أ) أشدَّ الناسِ حياءً، وأكثرهم عن العَوْرَاتِ إغضاء؛ قال اللهُ سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٢٠٨ ـ وحدثنا أبو محمد بن عتّاب ـ رحمه الله ـ بقراءَتي عليه؛ حدثنا أبو القاسم: حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسَن القابسيُّ، حدثنا أبو زيدٍ المَرْوَزيُّ، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عَبْدان، أخبرنا عَبْدُ الله[4]، أخبرنا شُعبة، عن قَتَادةَ، سمعتُ عَبْد اللهِ: مولىٰ أَنس، يحدِّثُ عن أبي سعيد الخُدْري [رضي الله عنه]: كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٢٠٤): «ابن سعد، والبيهقي عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيّب مرسلاً، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٧٣١) عن مقسم مولىٰ ابن عباس مرسلاً، والواقدي في المغازي (ص: ٢٥١) موصولاً عن كعب بن مالك» وسيذكره المصنف برقم (١٠٢٤). (الشَعْراء): ذبابة حمراء، وقيل: زرقاء، تقع علىٰ الإبل والحمير وتؤذيها أذىً شديداً. وقيل: هي ذبابة كثيرة الشَّعر. (تدأدأ): سقط وتدحرج. (سَرِف): وادٍ من أودية مكة، يأخذ مياه ما حول الجعرانة ـ شمال شرقي مكة ـ ثم يتجه غرباً، فيمر علىٰ اثني عشر كِيْلاً شمال مكة. انظر المعالم الأثيرة لأستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب.

(٢) ما بين حاصرتين ما عندي.

(٣) في الأصل: «والحياء»، والمثبت من المطبوع.

(٤) في المطبوع زيادة: «مولىٰ أنس»، وهو خطأ.

حياءً من العَذْراء في خِدْرِها. وكان إذا كَرِه شيئاً عرَفْناهُ في وَجْهه[1].

وكان ﷺ لطيفَ البَشَرة، رقيقَ الظاهر، لا يشافِهُ أحداً بما يكرهُه حياءً وكَرم نَفْس.

٢٠٩ ـ وعنِ عائشة رضي الله عنها: كان [النبيُّ] ﷺ إذا بلغه عن أَحَدٍ ما يكرهُه لم يقُلْ: ما بالُ فلان يقول كذا؟ ولكن يقول: «ما بالُ أقوام يصنعون، أو يقولون كذا؟»[2] يَنْهَى عنه، ولا يُسمّي فاعِلَه.

٢١٠ ـ وروَى أَنَس أنه دخل عليه رجُلٌ به أَثَر صُفْرة، فلم يَقُلْ له شيئاً ـ وكان لا يُواجِهُ أحداً بما يكره ـ فلما خرج قال[3]: «**لو قلتُم له: يغسِلُ هذا؟**» ويُروى: «يَنْزِعُها»[4].

٢١١ ـ قالت عائشة في الصحيح: لم يكن النبيُّ ﷺ فاحشاً ولا مُتفَحِّشاً ولا سَخَّاباً بالأسواق، ولا يَجْزِي بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويصفحُ[5].

٢١٢، ٢١٣ ـ وقد حُكِيَ مثلُ هذا الكلام عن التوراة، مِنْ رواية [عبد الله] ابن سَلام وعبد الله بن عَمْرو بن العاص[6].

---

(١) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٦١٠٢). وأخرجه أيضاً مسلم (٢٣٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨٨)، والخرائطي في المنتقىٰ من مكارم الأخلاق (٣٧٥)، وإسناده حسن.

(٣) في نسخة: «قال لهم».

(٤) أخرجه أبو داود (٤١٨٢، ٤٧٨٩)، والترمذي في الشمائل (٣٣٩)، وأبو يعلىٰ (٤٢٧٧) وغيره، وفي إسناده سَلْم العلوي. قال في التقريب: «ضعيف». (أثر صفرة): أي أثر طيب من زعفران، وتعمُّد التزعفر منهي عنه.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن (٢٠١٦)، وفي الشمائل (٣٤٠)، وأحمد ٦/ ١٧٤. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) حديث عبد الله بن سلام تقدم برقم (١٧)، وحديث عبد الله بن عمْرٍو. تقدم برقم (١٦) وهو متفق عليه.

٢١٤ ـ ورُوي عنه أنه كان مِنْ حَيَائه لا يُثْبِتُ بصرَه في وَجْهِ أحدٍ(١).

٢١٤م ـ وأنه كان يَكْنِي عما اضطره الكلامُ إليه مما يُكْرَه(٢).

٢١٥ ـ وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيتُ فَرْجَ رسولِ الله ﷺ قطُّ(٣).

فصل

[فِي حُسْنِ عِشْرَتِهِ وَأَدَبِهِ وَبَسْطِ خُلُقِهِ ﷺ مَعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ](٤)

وأما حُسْنُ عِشْرَتِه، وأدبُه، وبَسْطُ خُلُقِه ـ ﷺ ـ مع أصناف الخَلْقِ فَبِحَيْثُ انتشرت به الأخبارُ الصحيحةُ.

٢١٦ ـ قال عليّ [رضي الله عنه] في وَصْفِه ﷺ: كان أوسعَ الناسِ صَدْرَاً، وأَصدقَ الناسِ لَهْجَةً، وأَلْيَنَهُمْ عَرِيْكَةً، وأكْرَمهم عِشْرَةً(٥).

٢١٧ ـ حدثنا أبو الحَسن: علي بن (٣٠/ب) مُشَرَّف(٦) الأَنماطي فيما أَجَازَنِيه، وقرأته على غيره، قال: حدثنا أبو إسحاق الحبَّال، حدثنا أبو محمد بن النحاس، حدثنا ابنُ الأعرابي، حدثنا أبو دَاود، حدثنا هشام: أبو مَرْوَان، ومحمد بن المثنَّىٰ [قالا]: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأَوزَاعي، سمعت يحيىٰ بن أبي كثير يقول: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أَسْعد بن زُرَارَة، عن قَيْس بن سعد، قال: زَارَنَا رسولُ الله ﷺ ـ وذكر قصةً في آخرها: فلما أراد الانصرافَ قَرَّبَ له سعدٌ

(١) ذكره صاحب الإحياء، ولم يجده العراقي/ المناهل (٢٠٩).

(٢) هو معلوم من أحواله، وأقواله في الأحاديث المشهورة/ المناهل (٢١٠).

(٣) تقدم برقم (٧٦).

(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

(٥) تقدم تخريجه برقم (٤١). (ألينهم عريكة) يقال: فلان ليِّنُ العريكة، إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف والنفور/ النهاية.

(٦) في المطبوع ولسان الميزان: «مُشَرِّق» وهو تحريف. انظر تبصير المنتبه ص: (١٣٦٨).

حماراً ، ووَطَّأَ عليه بقَطِيفَةٍ ، فركب رسولُ الله ﷺ ، ثم قال سَعْد: يا قيس! اصحَبْ رسولَ الله ﷺ.

قال قيس: فقال رسولُ الله ﷺ: «اركَبْ» فأَبَيْتُ. فقال: «إمّا أَنْ تركبَ وإمَّا أَنْ تنصرفَ» ، فانصرفتُ[1].

وفي رواية أخرىٰ: «اركَبْ أَمامي ، فصاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَىٰ بِمُقَدَّمِها».

٢١٨ ـ وكان [رسول الله] ﷺ يؤَلِّفُهم ، ولا يُنَفِّرُهم ، ويُكْرِم كريمَ كلِّ قوم ويُولِّيه عليهم ، ويُحَذِّرُ الناسَ ، ويحترسُ منهم ، من غير أن يطوِيَ عن أحدٍ منهم بِشْرَه ، ولا خُلُقَه؛ يتفقَّدُ أصحابَه ، ويُعطي كلَّ جلسائه نَصِيبَه ، لا يَحْسَبُ جليسُه أَنَّ أحداً أكرمُ عليه منه. مَنْ جالسه أو قارَبه[2] لحاجةٍ صابَرَه حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومَنْ سأله حاجةً لم يَرُدّه إلا بها ، أو بِمَيْسورٍ من القول؛ قد وسِعَ الناسَ بَسْطُه وخُلُقُهُ ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحقّ سواءً. بهذا وصفه ابن أبي هالة[3] ، قال[4]: وكان دائمَ البِشْر ، سَهْلَ الخُلُق ، لَيِّنَ الجانب ، ليس بفَظٍّ ولا غَلِيظٍ ، ولا سَخَّاب ، ولا فَحّاش ولا عَيَّابٍ ، ولا مدّاح ، يتغافَلُ عمّا لا يشتهي ولا يُؤْيِسُ منه[5].

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٥١٨٥). وأخرجه أيضاً أحمد ٣/ ٤٢١ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٢٤ ، ٣٢٥) ، وابن السني (٦٦٣) ، وابن ماجه (٤٦٦). قال الحافظ في تلخيص الحبير ١/ ٩٩: «اختلف في وصله وإرساله ، ورجال إسناد أبي داود رجال الصحيح... ومع ذلك فذكره النووي في الخلاصة في فصل الضعيف ، والله أعلم». (القطيفة): الدِّثار ذو الخمل.

(٢) في شرح السنة (٣٧٠٦): «قاوَمَه» ، وكذلك في الحديث الآتي برقم (٣٧٤). وقال في النهاية: «قاومه: فَاعَلَه ، من القيام: أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها».

(٣) بل الذي وصفه بذلك هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سيذكره المصنف نفسه في الحديث الآتي برقم (٣٧٤/ ١).

(٤) القائل هو علي بن أبي طالب كما سيذكره المصنف نفسه في الحديث الآتي برقم (٣٧٤/ ١).

(٥) هو بَعْضُ حديث سيأتي مطولاً برقم (٣٧٤).

وقال [الله] تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال [تعالى]: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾، [المؤمنون: ٩٦].

٢١٩ ـ وكان يُجيب مَنْ دَعاه[١].

٢٢٠ ـ ويقبلُ الهديّة ولو كانت كُرَاعاً ويُكافىءُ عليها[٢].

٢٢١ ـ قال أنس: خَدَمْتُ رسولَ الله ﷺ عَشْر سنين، فما قال لي أُفٌّ قَطُّ، وما قال لشيء (٣١/أ) صنَعْتُه: لم صَنَعْتَه؟ ولا لشيء تركتُه: لم تركْتَه؟[٣].

٢٢٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها: ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا أهلِ بيته إلاَّ قال: «لَبَّيْكَ»[٤].

٢٢٣ ـ وقال جَرِير بن عبد الله: ما حجبني رسولُ الله منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلاَّ تبسَّم[٥].

وكان يُمازحُ أَصحابَه، ويُخالِطُهم ويُحادثهم، ويُداعِبُ صِبْيَانهم، ويُجْلِسهم في حَجْرِه، ويُجيب دعوةَ الحرِّ والعبد، والأَمَةِ والمسكين، ويعودُ المرضىٰ في أقصىٰ المدينة، ويقبلُ عُذْرَ المعتذر.

٢٢٤ ـ قال أنس: ما الْتَقَمَ أحدٌ أُذُنَ النبيِّ ﷺ فيُنَحِّي رأسَه حتى يكون

---

(١) أورده صاحب جامع الأصول (١١/ ٢٥٠) من حديث أنس ونسبه للبخاري.

(٢) أخرج البخاري (٢٥٨٥) من حديث عائشة: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها». وأخرج البخاري أيضاً (٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة: «ولو أهدي إليّ ذراع أو كُراع لقبلت». (كرُاعاً): الكُراع من البقر والغنم: مُسْتَدقُّ الساق العاري من اللحم. وفي المثل: «لا تطعم العبد الكُراع فيطمع في الذراع».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، والترمذي في الشمائل (٣٣٨) واللفظ له.

(٤) قال السيوطي في المناهل (٢١٨): «أبو نعيم في دلائل النبوة بسندٍ واهٍ». وانظر ابن السُّنِّي (٢٩٠) ومجمع الزوائد ٩/ ٢٠ ـ ٢١.

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

الرجلُ هو الذي يُنَحِّي رأسَه ، وما أخذ أحدٌ بيده فيرسِل يده حتى يُرْسِلَها الآخر؛ ولم يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْه بين يَدَيْ جَلِيسٍ له[1].

وكان يبدأ مَنْ لَقِيَه بالسلام ، ويبدأ أصحابَه بالمُصافحة ، ولم يُرَ قَطُّ مادّاً رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بهما على أحد. يكرم من يدخلُ عليه ، وربما بسَطَ له ثَوْبَه ، ويُؤْثِرُه بالوسادة التي تحته ، ويَعْزِمُ عليه في الجلوس عليها إنْ أَبَىٰ ، ويُكَنِّي أصحابَه ، ويدعوهم بأَحَبِّ أسمائهم تكرمةً لهم ، ولا يقطَعُ على أحد حديثه حتى يتجوَّز[2] فيقطعه بنَهْيٍ أو قيام ـ ويُروىٰ: بانتهاءٍ أو قيام.

٢٢٥ ـ وروي أنه كان لا يجلسُ إليه أحدٌ وهو يُصلِّي إلاَّ خففَ صلاتَه ، وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[3].

وكان أَكْثَرَ الناسِ تبسُّمَاً ، وأَطْيَبَهم نَفْسَاً ، ما لم ينزل عليه قرآنٌ ، أو يَعِظُ ، أو يخطب.

٢٢٦ ـ قال عبدُ الله بن الحارث[4]: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ[5].

٢٢٧ ـ وعن أنس: كان خَدَمُ المدينةِ يأتون النَّبيَّ ﷺ إذا صَلَّى الغَدَاةَ بآنيَتِهم

---

(١) أخرجه بدون الفقرة الأخيرة: أبو داود (٤٧٩٤) ، وأبو يعلى (٣٤٧١) ، وصححه ابن حبان (٢١٣٢) موارد، وأخرجه بسياق آخر ، وذكر فيه الفقرة الأخيرة من الحديث: الترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) ، والبغوي (٣٦٨٠) ، وغيره. قال الترمذي: «هذا حديث غريب». وفي حاشية جامع الأصول ١١/ ٢٥٠: «حديث حسن» (التقم أذنه): أي سارَّه.

(٢) يتجوَّز: يتعدّىٰ.

(٣) قال العراقي في تخريج الإحياء: لم أجد له أصلاً/ المناهل (٢٢٥).

(٤) صحابي ، سكن مصر ، وهو آخر من مات بها من الصحابة مات سنة (٨٦)هـ على خلاف في ذلك/ التقريب.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن (٣٦٤١) ، وفي الشمائل (٢٢٧) ، وأحمد (٤/ ١٩٠) وغيره. قالَ الترمذي: «حديث حسن غريب» ، وحسنه السيوطي في المناهل (٢٢٦).

فيها الماءُ ، فما يُؤْتَىٰ بآنيـةٍ إلاَّ غَمس يـدَه فيها ، وربمـا كان ذلك في الغَـدَاة الباردة[1] يريدون به التَّـبَـرُّك .

فصـل

[فِـي شَـفَـقَـتِـهِ وَرَحْـمَـتِـهِ ﷺ وَرَأْفَـتِـهِ لِجَـمِـيْـعِ الْـخَـلْـقِ][2]

وأما الشفقةُ والرأفةُ والرحمةُ لجميع الخَلْق فقد قال [الله] تعالى فيه : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وقال [تعالى]: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ(٣١/ب) إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وقال بعضُهم: من فَضْله عليه السلام أنَّ الله [تعالى] أعطاه اسْمَيْن من أسمائه ، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وحكَى نحوه الإمام أبو بكر بـنُ فُـوْرَك .

٢٢٨ ـ حدثنا الفقيه أبو محمد: عبد الله بن محمد الخُشَنِي بقراءتي عليه ، حدثنا إمام الحَرَمَيْنِ: أبو علي الطَّبَري ، حدثنا عبدُ الغافر الفارسي ، حدثنا أبو أحمد الجُلُودي ، حدثنا إبراهيم بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا أبو الطاهر ، أخبرنا ابن وَهْبٍ[3]، أخبرنا يونس ، عن ابن شِهَاب ، قال: غَزَا رسولُ الله ﷺ غزوةً ، وذكر حُنَيْناً ، قال: فأعطى رسولُ الله ﷺ صَفْوَانَ بن أمية مِئةً من النَّعَم؛ ثم مِئة ، ثم مِئة .

قال ابنُ شهاب: حدثنا سعيد بن المُسَيِّب أنَّ صفْوانَ قال: والله! لقد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٢٤).
(٢) ما بين حاصرتين من عندي .
(٣) قولـهُ: «أخبرنا ابن وهب»، ساقطٌ من المطبوع.

أعطاني ما أَعطاني وإنه لأَبْغَضُ الخَلْقِ إِلَيَّ ، فما زال يُعْطِيني حتى إنه لأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ[١].

٢٢٩ ـ ورُوي أَنَّ أعرابياً جاءهُ يطلبُ منه شيئاً ، فأعطاه؛ ثم قال: «أحسنْتُ إليكَ؟». قال الأعرابي: لا ، ولا أَجْمَلْتَ.

فغضِبَ المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم : أن كُفُّوا ، ثم قام ودخل منزلَه ، وأرسل إليه ، وزادَه شيئاً ، ثم قال: «أحسنْتُ إليك؟» قال: نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً.

فقال له النبيُّ ﷺ: «إنكَ قلْتَ ما قُلْتَ ، وفي نفس[٢] أصحابي من ذلكَ شيء ، فإن أَحْبَبْتَ فقلْ بين أيديهم ما قُلْتَ بين يديّ حتى يذهب ما في صدورهم عليك».

قال: نعم. فلما كان الغَدُ ـ أو العَشِيّ ـ جاء ، فقال ﷺ: «إنَّ هذا الأَعرابيَّ قال ما قال ، فزِدْناهُ فزعم أنه رَضِيَ ، أكذلكَ؟» قال: نعم ، فجزاكَ الله من أهلٍ وعشيرةٍ خيراً.

فقال ﷺ: «مَثَلي ومَثَل هذا ، مَثَلُ رجلٍ ، له ناقةٌ شَرَدَتْ عليه ، فاتَّبعها الناسُ فلم[٣] يزيدوها إلاّ نُفوراً ، فناداهم صاحبها: خَلُّوا بيني وبين ناقتي ، فإني أَرْفَقُ بها منكم وأعلم ، فتوجَّه لها بين يديها ، فأخذَ لها من قُمَام الأَرضِ ، فردَّها حتى جاءت واستناخت ، وشَدَّ عليها رَحْلها ، واستوىٰ عليها ، (٣٢/أ) وإنّي لو تركتُكم حيثُ قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار»[٤].

---

(١) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٣١٣/ ٥٩). وقد تقدم برقم (١٩٠) ، وسيأتي برقم (١٧١٧).

(٢) في نسخة: «أنفس».

(٣) في نسخة: «فما».

(٤) قال السيوطي في المناهل (٢٢٨): «البزار (٢٤٧٦) ، وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة». قال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٦: «فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو متروك». (شَرَدَتْ عليه): نفرت واستعصت. (قُمَام): جمع قُمَامَة وهي الكُناسة تجمع من البيوت والطرق (المعجم الوسيط).

٢٣٠ ـ ورُوي عنه أنه ﷺ قال: «لا يُبَـلِّغني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً، فإني أُحِبُّ أَنْ أَخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر»(١).

٢٣١ ـ ومن شفقته على أمته ﷺ تَخْفِيفُه وتسهيله عليهم، وكراهتُه أشياءَ مخافَةَ أَنْ تُفْرَضَ عليهم، كقوله: «لولا أَنْ أَشُقَّ على أُمَّتِي لأَمَرْتُهُم بالسِّواكِ مع كل وُضوء»(٢).

٢٣٢ ـ وَخَبَرُ صلاةِ الليل(٣).

٢٣٣ ـ ونَهْيِهم عن الوِصَال(٤).

٢٣٤ ـ وكراهَته دخولَ الكعبةِ لئلاَّ يُعَنِّتَ أُمَّتَه(٥).

٢٣٥ ـ ورغبته لربه أَنْ يجعلَ سبَّه ولَعْنَهُ لهم رحمةً [بهم](٦).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦، ٣٩٩٧)، وأبو يعلىٰ (٥٣٨٨) وغيره من حديث ابن مسعود. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذه الوجه».

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، وأحمد (٢/ ٢٥٠)، وعبد الرزاق (٢١٠٦)، وغيره من حديث أبي هريرة، وصححه ابن خزيمة (١٤٠)، والحاكم (١٤٦/١)، ووافقه الذهبي، وعلّقه البخاري بصيغة الجزم (١٥٨/٤ فتح). وهو في الصحيحين بلفظ «مع كل صلاة» بدل «مع كل وضوء».

(٣) أخرج البخاري (١١٢٩)، ومسلم (٧٦١) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ صلّى في المسجد ذات ليلة، فصلّى بصلاته ناس، ثم صلّى من القابلة. فكثر الناس. ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة. فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ. فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم. فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم». واللفظ لمسلم.

(٤) نهيه ﷺ عن الوصال في الصوم، رواه الشيخان من حديث ابن عمر، وأنس، وعائشة، وأبي هريرة، ورواه البخاري من حديث الخدري: انظر جامع الأصول ٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢. (الوصال): أن يصوم يومين أو أكثر بدون إفطار.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٠٢٩)، والترمذي (٨٧٣)، وابن ماجه (٣٠٦٤) من حديث عائشة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». (يعنِّت): عنَّته: شدد عليه وألزمه ما يصعب عليه أداؤه (المعجم الوسيط).

(٦) سيأتي تخريجه برقم (٢٣٧).

٢٣٦ ـ وأنه كان يسمعُ بكاءَ الصبي فيتجوَّز في صلاته[١].

٢٣٧ ـ ومن شفقته ﷺ أَنْ دَعَا ربَّه وعاهده، فقال: «**أَيُّمَا رجلٍ سَبَبْتُهُ ـ أو لعنتُه ـ فاجعَلْ ذلك له زكاةً ورحمةً، وصلاةً وطَهُوراً، وقُرْبَةً تقرِّبُه بها إليك يوم القيامة**»[٢].

٢٣٨ ـ ولما كذَّبَه قومُه أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال له: إنَّ الله [تعالى] قد سمع قولَ قومِك لكَ، وما ردُّوا عليكَ، وقد أمر مَلَكَ الجبال لتأمُرَه بما شئتَ فيهم، فناداه مَلَكُ الجبالِ وسلَّمَ عليه، وقال: مُرْنِي بما شئتَ، [و] إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ.

قال النبيّ ﷺ: «**بل، أرجو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهم، من يَعْبُدُ الله وحده، ولا يُشرك به شيئاً**»[٣].

٢٣٩ ـ وَرَوَى ابْنُ المُنْكَدِرِ أَنَّ جبريلَ ـ عليه السلام ـ قال للنبي ﷺ: إنَّ الله [تعالى] أمرَ السماءَ والأرضَ والجبالَ أَنْ تُطيعك. فقال: «**أُوَخِّر عن أمَّتِي لعلَّ الله أَنْ يتوبَ عليهم**»[٤].

٢٤٠ ـ قالت عائشة: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلاَّ اختارَ أَيْسَرَهُما[٥].

٢٤١ ـ وقال ابنُ مسعود [رضي الله عنه]: كان رسولُ الله ﷺ يتخَوَّلُنا بالموعظة مخافةَ السآمةِ علينا[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٧٠) من حديث أنس، والبخاري (٧٠٧) من حديث أبي قتادة. (فأتجوّز) التجوّز في الأمر: التخفيف والتسهيل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٦١)، ومسلم (٢٦٠١) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٢٦٠٢) من حديث جابر، و(٢٦٠٠) من حديث عائشة، و(٢٦٠٣) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة. (الأخشبان): جبل أبي قُبَيْس، والذي يقابله، وكأنه جبل قُعَيْقِعان/ الفتح.

(٤) حديث مرسل. ابن المنكدر هو محمد، تابعي ثقة. ويشهد له سابقه.

(٥) تقدم برقم (١٧٠) وسيأتي برقم (٢٨٧).

(٦) أخرجه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١). (يتخوّلنا): يتعاهدنا. (السآمة): الضجر والملَلُ.

٢٤٢ ـ وعن عائشة: أنها ركبَتْ بعيراً وفيه صُعوبةٌ، فجعلت تردِّدُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «عليكِ بالرِّفْقِ»(١).

فصل

[فِي خُلُقِهِ ﷺ فِي الْوَفَاءِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ](٢)

٢٤٣ ـ وأما خُلُقه ﷺ في الوفاء، وحُسْنِ العَهْدِ، وصِلَةِ الرحم ـ فَحدَّثنا القاضي أبو عامرٍ محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه؛ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن محمد (٣٢/ب) حدثنا أبو إسحاق الْحَبَّال، حدثنا أبو محمد بن النحاس، حدثنا ابن الأعرابي [قال]:، حدثنا أبو داود، [قال]: حدثنا محمد بن يحيىٰ [قال]: حدثنا محمد بن سِنَان [قال]: حدثنا إبراهيم بن طَهْمَان، عن بُدَيل، عن عبد الكريم بن عبد الله بن شَقِيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحَمْساء، قال: بايَعْتُ النبيَّ ﷺ بِبَيْع قبل أَنْ يُبْعَث، وبقِيَتْ له بقيةٌ، فوعدتُه أَنْ آتِيَهُ بها في مكانه، فَنَسيتُ، ثم ذَكَرْتُ بعد ثلاث، فجئتُ فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى! لقد شَقَقْتَ عليّ، أنا هاهنا منذ ثلاث أَنتظِرُكَ»(٣).

٢٤٤ ـ وعن أَنس: كان النبي ﷺ إذا أُتِيَ بهديةٍ قال: «اذهبوا بها إلى بَيْتِ فُلانة؛ فإنها كانت صديقةً لخديجة، إنها كانت تُحِبُّ خديجة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤/ ٧٩). (صعوبة): يقال: بعير صعب إذا كان غير منقاد ولا ذَلول.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٩٩٦). وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٣٢): «رواه أبو داود، واختلف في إسناده، وقال ابن مهدي: ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه». وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في هامش جامع الأصول ١١/ ٦٤٢: في إسناده ضعف واضطراب.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، والبزار (١٩٠٤) وغيره. وصححه ابن حبان (٧٠٠٧) الإحسان، والحاكم ٤/ ١٧٥ ووافقه الذهبي.

٢٤٥ ـ وعن عائشة قالت: ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة، لِمَا كُنْتُ أسمعه يَذْكُرها، وَإِنْ كان لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهديها إلى خَلاَئِلِها[١].

٢٤٦ ـ واستأذنَتْ عليه أختُها فارتاحَ إليها[٢].

٢٤٧ ـ ودخلت عليه امرأةٌ، فهشَّ لها، وأحسنَ السؤالَ عنها، فلما خرجت قال: «**إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة، وإنّ حُسْنَ العَهْدِ من الإيمان**»[٣].

ووصفه بعضُهم، فقال: كان يَصِلُ ذَوِي رَحِمه من غير أنْ يُؤْثِرهم على مَنْ هو أفضلُ منهم.

٢٤٨ ـ وقال ﷺ: «**إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أَنَّ لهم رَحِماً سأَبُلُّها بِبَلالِها**»[٤].

٢٤٩ ـ وقد صلَّى ـ عليه السلام ـ بأُمَامة ابنةِ ابنته زينب ـ رضي الله عنها ـ يَحْمِلُها على عاتقه، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملَها[٥].

٢٥٠ ـ وعن أبي قَتادةَ قال: وَفَدَ وفْدٌ للنجاشي، فقام النبيُّ ﷺ يَخْدُمهم، فقال له أصحابُه: نَكْفِيك. فقال: «**إنهم كانوا لأصحابنا مُكْرِمين، وإني أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئهم**»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٤)، ومسلم (٢٤٣٥/ ٧٥). (خلائلها) صديقاتها.

(٢) أخرج البخاري (٣٨٢١)، ومسلم (٢٤٣٧)، عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أختُ خديجة على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك... والنص لمسلم. وفي رواية البخاري: «فارتاع لذلك». قال ابن الأثير في جامع الأصول ٩/ ١٢٤: كأنه طارَ لُبُّهُ لمّا سمع صوت أخت خديجة.

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٩٧١)، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٢٦٩ وغيره، من حديث عائشة، وصححه الحاكم ١/ ١٥ ـ ١٦ ووافقه الذهبي. (هشَّ لها): أي فرح بها وارتاح لها.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم مختصراً (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص. (أبلُّها ببَلالها): أَصِلُها بصلتها.

(٥) أخرجه البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) من حديث أبي قتادة.

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النُّبوَّة/ المناهل (٢٤٥).

٢٥١ ـ ولما جِيء بِأُخْتِه من الرضاعة: الشَّيْمَاءِ، في سَبايا هَوَازِنَ، وتَعَرَّفَتْ له، بسط لها رِدَاءَه، وقال لها: «إنْ أحبَبْتِ أَقَمْتِ عندي مُكَرَّمةً مُحَبَّةً[١]، أو متَّعْتُكِ ورجعتِ إلى قومك؟» فاختارَتْ قومَها فمتَّعها[٢].

٢٥٢ ـ وقال أبو الطُّفَيْل[٣]: رأَيتُ النبي ﷺ ـ وأنا غلام ـ إذ أَقْبَلَت امرأَةٌ حتى دَنَتْ (٣٣/أ) منه، فبسط لها رداءَهُ، فجلَسَت عليه، فَقُلْتُ: مَنْ هذه؟ قالوا: أُمُّهُ التي أرضعته[٤].

٢٥٣ ـ وعن عُمر بن السائب، أنَّ رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً، فأقبل أبوه من الرَّضاعة، فوضع له بَعْضَ ثوبِه، فقعد عليه؛ ثم أقبلت أُمُّه فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام رسولُ الله ﷺ فأجلسه بين يديه[٥].

٢٥٤ ـ وكان يبعثُ إلى ثُوَيْبَةَ ـ مولاةِ أبي لَهَب ـ مُرْضِعَتِهِ بِصِلَة وكسوة، فلما ماتت سأل: «مَنْ بقي من قرابتها؟» فقيل: لا أحد[٦].

٢٥٥ ـ وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ: أَبْشِرْ، فوالله! لا يُخْزِيكَ الله أبداً، إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحمل الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم،

---

(١) على هامش الأصل: «مُحَبَّبَةً».

(٢) أخرجه ابن إسحاق والبيهقي عن قتادة/ المناهل (٢٤٦). (متَّعها). أعطاها شيئاً تنتفع به من مالٍ ونحوه.

(٣) هو عامر بن واثلة، ولد عام أحد، ورأىٰ النبي ﷺ. مات سنة (١١٠)هـ وهو آخر من مات من الصحابة/ التقريب.

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٤٤) وسكت عنه، وأبو يعلىٰ (٩٠٠)، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٥٩: «رواه الطبراني، ورجاله وثقوا». وحسّن السيوطي إسناد أبي داود في المناهل (٢٤٧). وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣١٧: «هذا حديث غريب...». وسيأتي برقم (١٢٩٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٥١٤٥)، ورجاله ثقات لكنه مرسل. قال ابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ٣١٧: «الله أعلم بصحته».

(٦) أخرجه ابن سعد؛ أخبرنا الواقدي، عن غير واحد من أهل العلم، ومن طريق آخر عن القاسم بن عباس اللهبي مرسلاً/ المناهل (٢٤٩).

وتَقْرِي الضيفَ ، وتُعين على نوائبِ الحقِّ[1].

فصـل

[فِـي تَـوَاضُـعِـهِ ﷺ][2]

وأما تواضعُه ﷺ ، على علُوِّ مَنصِبه ورفعة رُتْبَتِهِ فكان أَشَدَّ الناس تواضُعاً ، وأَقَلَّهم كِبْرَاً.

٢٥٦ ـ وَحسْبُك أنه خُيِّر بين أن يكون نبياً مَلِكاً أو نبياً عَبْداً فاختار أن يكون نبيًا عَبْداً[3] ، فقال له إسرافيل[4] عند ذلك: فإنَّ الله قد أعطاكَ بما تواضعْتَ له أنك سيِّدُ ولدِ آدم يوم القيامة ، وأولُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ ، وأول شافع.

٢٥٧ ـ حدثنا أبو الوليد بن العَوَّاد الفقيه ـ رضي الله عنه ـ بقراءتي عليه في منزله بقُرْطبة سنةَ سبعٍ وخَمْسٍ مئة قال: حدثنا أبو علي الحافظ ، حدثنا أبو عُمَرَ ، حدثنا ابن عبد المؤمن ، حدثنا ابنُ دَاسَة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبدُ الله بن نُمَيْر ، عن مِسْعَرٍ ، عن أبي العَنْبس ، عن أبي العَدَبَّسِ ، عن أبي مرزوق ، عن أبي غالب ، عن أبي أُمامة ، قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ متوكئاً على عصا؛ فقمنا له. فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجمُ ، يُعظِّمُ بعضها بعضاً»**[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة. وتقدم شرح غريبه عند الحديث (١٩١).

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) أخرجه البزار (٢٤٦٢) ، وأحمد (٢/ ٢٣١) ، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥) من حديث أبي هريرة ، وصححه ابن حِبَّان (٢١٣٧) موارد الظمآن ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٨ : «رواه أحمد والبزار ، وأبو يعلى ، ورجال الأولين رجال الصحيح». وفي الباب عن عدد من الصحابة. انظر مسند أبي يعلى (٤٩٢٠) ، ومجمع الزوائد ٩/ ١٨ ـ ٢٠.

(٤) أثبت الناسخ فوق هذه الكلمة: «وجبريل» ، ورمز بعلامة الصحة.

(٥) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٥٢٣٠). وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٨٣٦) وإسناده ضعيف. وروى مسلم (٤١٣) معناه عن جابر بن عبد الله.

٢٥٨ ـ وقال: «**إنما أنا عَبْدٌ آكُلُ كما يأكُلُ العبد، وأَجْلِسُ كما يجلِسُ العبد**»[١].

وكان يركب الحِمار، ويُرْدِفُ خَلْفَه، ويَعُودُ المساكينَ، ويُجالِسُ الفقراءَ، ويُجيبُ دَعْوَةَ العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم. حيثما انتهىٰ به المجلسُ جلس (٣٣/ب).

٢٥٩ ـ وفي حديث عُمَر عنه: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارىٰ ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عَبْدُ الله ورسوله**»[٢].

٢٦٠ ـ وعن أَنس أن امرأةً كان في عَقْلِها شيء جاءته، فقالت: إنَّ لي إليك حاجةً. قال: «**اجلسي، يا أمَّ فلان! في أيِّ طُرقِ المدينة شِئْتِ أجلس إليك حتى أَقْضِيَ حاجَتَكِ**».

قال: فجلست، فجلس النبيُّ ﷺ إليها حتى فرغَتْ من حاجتها[٣].

٢٦١ ـ قال أَنَسٌ: كان رسولُ الله يركَبُ الحمار، ويُجيب دعوةَ العبد، وكان يوم بني قُرَيْظَة على حِمَار مخطوم بحَبْلٍ من ليفٍ، عليه إكافٌ[٤].

٢٦٢ ـ قال: وكان يُدْعَى إلى خُبْزِ الشعير، والإهَالَة السَّنِخَة فيُجيب[٥].

٢٦٣ ـ قال: وحجَّ ﷺ على رَحْل رَثٍّ، وعليه قَطِيْفَةٌ ما تُساوي أربعةَ

---

(١) تقدم برقم (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥). (لا تُطروني) الإطراء: المدح بالباطل/ قاله في الفتح ٦/ ٤٩٠.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٦) وانظر الحديث الآتي برقم (٢٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (١٠١٧)، وفي الشمائل (٣٢٥)، وابن ماجه (٤١٧٨)، والبغوي (٣٦٧٣)، وأبو يعلى (٤٢٤٣) وغيره من طريق مسلم الأعور عن أنس. قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس، ومسلم الأعور يضعَّفُ، وهو مسلم بن كيسان». (مخطوم): له خِطام، وهو حَبْلٌ يكون في أنف الدابة تُقاد به. (إكافٌ). ما يوضع على الحمار أو البغل ليُركب عليه، كالسَّرْج للفرس.

(٥) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ الترمذي في الشمائل (٣٢٦)، وأخرجه البخاري (٢٠٦٩): عن أنس أنه مشىٰ إلى النبي ﷺ بخبز شعير، وإهالة سَنِخَةٍ». (الإهالة): كل شيء مما يؤتدم به. وقيل: هو ما أذيب من الألية والشحم. وقيل: الدسم الجامد. (السَّنِخَة): المتغيرة الريح.

دراهم؛ فقال: «اللهم! اجعله حَجّاً لا رِيَاءَ فيه ولا سُمْعَة»(١).

٢٦٤ ـ هذا، وقد فُتِحَت عليه الأرضُ، وأَهْدَىٰ في حَجِّه ذلك مِئَةَ بَدَنَةٍ(٢).

٢٦٥ ـ ولما فُتِحَتْ عليه مكَّةُ، ودخلها بجيوش المسلمين، طَأْطَأَ على رَحْلِه رَأْسَه حتى كاد يَمَسُّ قَادِمَتَه تواضُعاً لله تعالى(٣).

٢٦٦ ـ ومِنْ تواضُعه ﷺ قَوْلُه: «لا تُفضلوني على يونُسَ بن مَتَّى»(٤).

٢٦٧ ـ و«لا تُفَضِّلوا بيْنَ الأنبياء»(٥).

٢٦٨ ـ و«لا تُخَيِّروني على موسىٰ»(٦).

٢٦٩ ـ و«نحنُ أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم، ولو لبثْتُ ما لَبِثَ يوسف في السجن لأجَبْتُ الدَّاعي»(٧).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠)، والترمذي في الشمائل (٣٢٧) من حديث أنس بن مالك. وصححه الضياء في «المختارة». (رحل رث): الرَّحْلُ للبعير كالسَّرْج للفرس. (رثّ) أي خَلَقٌ بالٍ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله. (بَدَنَةٌ): البدنة تقع على الجمل والناقة والبقرة، وهي بالإبل أشبه. وسميت بَدَنَة لِعَظَمِها وسِمَنِها/ النهاية.

(٣) أخرجه أبو يعلى (٣٣٩٣) من حديث أنس، وصححه الحاكم (٣/ ٤٧) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٦٩: «فيه عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ضعيف». وزاد نسبته السيوطي في المناهل (٢٦٠) إلى ابن إسحاق والبيهقي عن عائشة. (رحله): تقدم شرحه بالحاشية رقم (١). (قادمته): قادِمَةُ الرحل: هي الخشبة التي في مقدِّمة كور البعير بمنزلة قَرَبُوس السَّرج/ النهاية.

(٤) قال السيوطي في المناهل (٢٦١): «لم أقف عليه بهذا اللفظ». قلت: سيأتي حديث في معناه عن ابن عباس برقم (٦٠٧)، وعن أبي هريرة برقم (٦٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣/ ١٥٩) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة، وسيأتي برقم (٦٠٩). وأخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث الخدري بلفظ: لا تخيّروا بين الأنبياء.

(٦) أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣/ ١٦٠) من حديث أبي هريرة، وسيأتي برقم (٦١٠).

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة. وسيأتي برقم (١٥٢٢). (نحن أحق بالشك من إبراهيم) معناه: إن الشك مستحيل في حق إبراهيم. فإن الشك في=

٢٧٠ ـ وقال ـ للذي قال له: يا خَيْرَ البَرِيَّةِ ـ: «ذلكَ[١] إبراهيم»[٢].

وسيأتي الكلامُ على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله.

٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣ ـ وعن عائشة، والحَسن، وأبي سعيد، وغيرهم في صفة النبي ﷺ، وبعضهُم يزيدُ على بعض: كان في بيته في مَهْنَةِ أهلِهِ: يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحْلُب شاتَه، ويَرْقَعُ ثَوْبَه، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَخْدُمُ نَفْسَهُ، ويعلف ناضِحَهُ، ويَقُمُّ البيتَ، ويَعْقِلُ البعير، ويأكلُ مع الخادم، ويَعْجِنُ معها، ويحملُ بضاعته من السوق[٣].

٢٧٤ ـ وعن أنس: إنْ كانت الأَمَةُ من إماءِ أهلِ المدينة لتأخذُ بيَدِ النَّبيِّ ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يَقْضِيَ حاجَتَها[٤].

٢٧٥ ـ ودخل عليه رجلٌ فأصابته (٣٤/أ) من هَيْبَتِهِ رِعْدَةٌ، فقال له: «هَوِّنْ عليكَ، فإني لستُ بِمَلِكٍ، إنما أنا ابْنُ امرأةٍ من قريش تأكلُ القَدِيدَ»[٥].

= إحياء الموتى لو كان متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به من إبراهيم. وقد علمتم أني لم أشكَّ، فاعلموا أن إبراهيم عليه السلام لم يشكَّ/ شرح مسلم للنووي.

(الداعي): رسولُ المَلِكِ.

(١) في نسخة: «ذاك».

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦٩) من حديث أنس، وسيأتي برقم (٦١٤). (البرية): الخلق.

(٣) حديث عائشة أخرجه البخاري (٦٧٦) بلفظ: «كان يكون في مِهْنَةِ أهله...» وفي رواية الترمذي في الشمائل (٣٣٥): وكان بشراً من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه».

وفي رواية البغوي (٣٦٧٥): «كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه...» وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٠). (مَهْنَةِ أهله): خدمة نفسه. (يقمُّ البيت): يكنسه. (يخصف نعله): يخرزها بالمِخصَفِ وهو المخرز.. (يعقل البعير) عقل البعير: ضم رسغ يده إلى عضده وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً.

(٤) علَّقه البخاري (٦٠٧٢)، ووصله أحمد (٣/ ٩٨). وتمام تخريجه في مسند أبي يعلى (٣٩٨٢) تحقيق أستاذنا الفاضل حسين أسد.

(٥) تقدم برقم (١٥٤). (رعدة): رجفة. (هوِّن): خفِّف. (القديد): اللحم المملوح المجفَّف في الشمس.

٢٧٦ ـ وعن أبي هُريرة: دخلتُ السوقَ مع النبي ﷺ ، فاشترىٰ سَرَاويلَ وقال للوزَّان: «زِنْ وَأَرْجِح» وذكر القصةَ ، قال: فوثب إلى يَدِ النبي ﷺ يُقَبِّلها[1] ، فجذَبَ يَده ، وقال: «هذا تفعله الأعاجمُ بملوكها؛ ولستُ بِمَلِكٍ ، إنما أنا رجلٌ منكم». ثم أخذ السَّراويلَ ، فذهبْتُ لأَحْمِلَه ، فقال: «صاحِبُ الشيءِ أَحقُّ بشَيْئِهِ أَنْ يحمِلَه»[2].

فصل

[فِي عَدْلِهِ ﷺ وَأَمَانَتِهِ وَعِفَّتِهِ وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ][3]

وأما عَدْلُه ﷺ وأمانَتُه وعِفَّتُهُ ، وصِدْقُ لَهْجَتِهِ ـ فكانَ ﷺ آمَنَ الناس ، وأعدلَ الناس ، وأعفَّ الناس ، وأصدقَهم لَهْجَةً منذ كان ، اعترف له بذلك مُحَادُّوْهُ وعِدَاهُ[4].

وكان يُسَمَّىٰ قبل نبوّته الأَمين.

قال ابن إسحاق: كان يُسمَّىٰ الأَمِينَ بما جمَعَ الله فيه من الأخلاق الصالحة.

وقال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] أكثر المفسرين على أنه محمد ﷺ.

٢٧٧ ـ ولما اختلفت قريشٌ وتحازبتْ عند بناء الكعبة فيمَنْ يضَعُ الْحَجَرَ حكَّموا أول داخلٍ عليهم ، فإذا بالنَّبيِّ ﷺ داخل ، وذلك قَبْلَ نبوته؛ فقالوا:

---

(١) في نسخة: «ليقبِّلها».
(٢) أخرجه أبو يعلى (٦١٦٢) وغيره. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٢٢: «فيه يوسف بن زياد البصري، وهو ضعيف». وبالغ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات. ويشهد لقوله ﷺ: «زن وأرجح» حديث سويد بن قيس. خرجناه في موارد الظمآن (١٤٤٤). (سراويل): لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما. جَمْعُهُ: سراويلات.
(٣) ما بين حاصرتين من عندي.
(٤) أي مخالفوه وأعداؤه.

هذا[1] محمد ، هذا الأمين قد رَضِينا به[2].

٢٧٨ ـ وعن الرَّبِيْع بن خُثَيْم[3]: كان يُتَحاكَمُ إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[4].

٢٧٩ ـ وقال ﷺ: «والله! إني لأمينٌ في السماء أَمِيْنٌ في الأرض»[5].

٢٨٠ ـ حدثنا أبو علي الصَّدَفِي الحافظ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون ، حدثنا أبو يَعْلَىٰ بن زَوْج الحُرَّة ، حدثنا أبو علي السِّنجيُّ ، حدثنا محمد بن محبوب المَرْوَزِي ، حدثنا أبو عيسىٰ الحافظ ، حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجِيَةَ بن كعب ، عن علـيٍّ ، أن أبا جَهْلٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنا لا نُكَذِّبُـكَ ، ولكن نُكَـذِّبُ بما جِئْتَ به ، فأنزل الله [تعالى]: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[6] [الأنعام: ٣٣].

ورَوَى غيره: لا نُـكَذِّبُـكَ وما [7]أَنْتَ فينا بمُـكَذَّب.

٢٨١ ـ وقيـل: إنَّ (٣٤/ب) الأَخْـنَسَ بن شَرِيـق[8] لقِيَ أبا جهل يوم بَـدْرٍ ، فقال له: يا أَبا الحَكَم! ليس هنا غيري وغَيْـرُكَ يسمَعُ كلامنا ، تخبرني عن

---

(١) كلمة: «هذا» ، لم ترد في المطبوع .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٥ من حديث مجاهد عن مولاه عبد الله بن السائب. وصححه الحاكم (١/ ٤٥٨) ووافقه الذهبي. كما صححه أيضاً الحاكم ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ من حديث علي ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٢٩: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن عمر الضرير ، وخالد بن عرعرة ، وكلاهما ثقة». (تحازبت): صارت فرقاً وأحزاباً.

(٣) تابعي مخضرم ، ثقة عابد مات سنة (٦١) أو (٦٣)هـ/ التقريب.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات/ المناهل (٢٦٩).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة/ المناهل (٢٧٠).

(٦) تقدم برقم (٢٢).

(٧) في المطبوع: «ولا» .

(٨) هو أُبَيُّ بن شَرِيق ، والأخنسُ لقبٌ. شهدَ حُنيناً وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم. توفي أول خلافة عمر. له ترجمة في الإصابة وأُسْدِ الغابة وغير ذلك.

محمد؛ صادق [هو] أَمْ كاذب؟ فقال أبو جهل: والله! إنَّ محمداً لصادق، وما كذَب محمدٌ قَطُّ[1].

٢٨٢ ـ وسأل هِرَقْلُ عنه أبا سفيانَ، فقال: هل كنتم تَتَّهِمونه بالكذب قبل أَنْ يقولَ ما قال؟ قال: لا[2].

٢٨٣ ـ وقال النَّضْرُ بنِ الحارث[3] لقُريشٍ: قد كان محمد فيكم غلاماً حدَثاً، أَرْضَاكُم فيكم، وأَصْدقَكم حديثاً، وأَعْظَمَكم أمانةً حتىٰ إذا رأيتُم في صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ، وجاءكم بما جاءكم به قلتُم: ساحِر. لا، والله! ما هو بساحرٍ[4].

٢٨٤ ـ وفي الحديث عنه: ما لمَسَتْ يَـدُه يَدَ امرأةٍ قَـطُّ لا يملكُ رِقَّها[5].

٢٨٥ ـ وفي حديث عليّ، في وصفه ﷺ: أصدقُ الناس لَهْجَةً[6].

٢٨٦ ـ وقال في الصحيح: «وَيْحَكَ! فَمَنْ يعدلُ إنْ لم أَعْدِلْ؟ خِبْتُ وخَسِرْتُ إنْ لم أَعْدِل!»[7].

٢٨٧ ـ قالت عائشة: ما خُيِّـرَ رسولُ الله ﷺ في أمرين إلا اختار أَيسَرَهُما ما لم يكن إثْماً، فإنْ كان إثماً كان أَبْـعَـدَ الناس منه[8].

---

(١) قال في المناهل (٢٧١): «ابن إسحاق والبيهقي، عن الزهري قال: حُدِّثْتُ، فذكره، وأخرجه ابن جرير، عن السُّدِّيِّ». (بدر): اسم بئر، وهو الآن بلدة كبيرة عامرة، على بعد حوالي (١٥٠) كِيلاً من المدينة المنورة.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣). وسيأتي طرف منه برقم (٣٥٨، ١٧٩٦).

(٣) من شجعان قريش ووجوهها وشياطينها، وصاحب لواء المشركين يوم بدر، أسره المسلمون يومها، وقتل بالأثيل، قرب المدينة. انظر الأعلام ٨/ ٣٣.

(٤) قال في المناهل (٢٧٣): «ابن إسحاق والبيهقي عن ابن عباس». (صُدْغَيْه) الصُّدْغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن، والشَّعْرُ فوقه/ المعجم الوسيط.

(٥) أخرجه البخاري (٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦) عن عائشة قريباً من لفظه.

(٦) طرف من الحديث المتقدم برقم (٤١، ٦١). (اللهجة): اللسان.

(٧) تقدم برقم (١٧٣).

(٨) تقدم برقم (١٧٠، ٢٤٠).

قال أبو العباس المبرِّد[1]: قَسَم كِسْرىٰ أيامَه؛ فقال: يصلحُ يَوْمُ الريح لِلنَّومِ، ويومُ الغَيْمِ للصيد، ويومُ المطر للشُّرْبِ واللَّهْو، ويومُ الشمس للحوائج.

قال ابنُ خَالَوَيْهِ[2]: ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَاهم! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

٢٨٨ ـ ولكن نبيَّنا ﷺ جزَّأ نهارَه ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجُزْءاً لأهله، وجُزْءاً لنفسه، ثم جزَّأ جُزْأَهُ بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «أَبْلِغُوا حاجةَ من لا يستطيعُ إبلاغي؛ فإنه مَنْ أَبْلَغَ حاجةَ مَنْ لا يستطيع [إبلاغها] آمنَهُ الله يومَ الفزع الأكبر»[3].

٢٨٩ ـ وعن الحَسَن: كان رسولُ الله ﷺ لا يأْخُذ أحداً بِقَرْفِ أحد، ولا يُصَدِّقُ أحداً على أحد[4].

٢٩٠ ـ وذكر أبو جعفر الطَّبَري عن عليّ، عنه ﷺ: «ما هَمَمْتُ بشيءٍ مما كان أَهْلُ الجاهلية يعملون به غير مَرَّتين، كلٌّ ذلك يحولُ الله بيني وبين ما أُريدُ (٣٥/أ) من ذلك، ثم ما هَمَمْتُ بسوء حتى أكرمني الله برسالته؛ قلت ليلةً لغلامٍ كَانَ يَرْعَىٰ معي: لو أبصرتَ لي غَنَمي حتى أدخُلَ مكة فَأَسْمُرَ بها كما يَسْمُرُ الشباب.

فخرجتُ كذلكَ حتى جئتُ أَوَّلَ دارٍ من مكة سمعتُ عَزْفاً بالدُّفُوفِ والمَزَامِيرِ

---

(١) هو محمد بن يزيد صاحب كتاب «الكامل» كان إماماً، علامة، موثّقاً، صاحب نوادر وطرف. يقال: إن المازني أعجبه جوابه. فقال له: قم فأنت المبرِّد، أي: المثبت للحق، ثم غلب عليه: بفتح الرّاء. توفي المبرِّد في أول سنة (٢٨٦)هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٥٧٦.

(٢) هو الحسين بن أحمد بن خالَـوَيْـه، لغوي، من كبار النحاة. توفي في حلب سنة (٣٧٠) هـ. (الأعلام ٢/ ٢٣١).

(٣) فقرة من حديث علي. سيأتي مطولاً برقم (٣٧٤).

(٤) حديث رجاله ثقات لكنه مرسل. أخرجه أبو داود في المراسيل (٥١٤)، والحسَنُ هو البصري. (بِـقَـرْفِ أحدٍ): أي بذنبه وكسبه.

لعُرْسِ بعضهم. فجلستُ أنظرُ ، فضُرب على أُذُني فنِمْتُ ، فما أَيقظني إلاَّ مَسُّ الشمس ، فرجعتُ ولم أقْضِ شيئاً. ثم عَرَانِي مرةً أخرىٰ مثلُ ذلك ، ثم لم أَهُمَّ بعد ذلك بسوء»[1].

فصــل

[فِـي وَقَـارِهِ ﷺ وَصَمْـتِـهِ وَتُـؤَدَتِـهِ وَمُـرُوءَتِـهِ وَحُسْـنِ هَـدْيِــهِ][2]

٢٩١ ـ وأما وَقَارُه ﷺ وصَمْتُه وتُؤَدَتُه ومروءته وحسْنُ هَدْيه فحدثنا؛ أبو علي الجيَّاني الحافظ إجازةً ، وعارضْتُ بِكِتَابه؛ قال: حدثنا أبو العباس الدِّلَائي ، أخبرنا أبو ذَر الهَرَوي ، أخبرنا أبو عبد الله الورَّاق ، حدثنا اللؤلؤيُّ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عبدُ الرحمن بن سلام ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَادِ ، عنِ عُمَر بن عبد العزيز بن وُهَيب ، سمعتُ خارجةَ بن زَيْد يقول: كان النبي ﷺ أَوْقَر الناس في مجلسه ، لا يكادُ يُخْرِجُ شيئاً من أطرافه[3].

٢٩٢ ـ ورَوَى أبو سَعيد الخُدْري: كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المجلس احْتَبىٰ بيديه[4] ، وكذلك كان أَكْثَرُ جلوسِه ﷺ مُحْتَبِيا[5].

---

(١) تقدم برقم (١٦٦). (فأسمرَ بها): السَّمَرُ: الحديث بالليل. (عراني): انتابني وغشيني.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) حديث مرسل. أسنده المصنف من طريق أبي داود في المراسيل (٥٠٥). وفي إسناده عمر بن عبد العزيز بن وهيب. قال الحافظ في التقريب: «مجهول». (أوقر الناس) من الوَقَارِ: الحِلم والرَّزانة.

(٤) في نسخة: «بثوبه».

(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٤٦) ، والترمذي في الشمائل (١٢١) ، وفي إسناده عبد الله بن إبراهيم. قال أبو داود: «شيخ منكر الحديث»؛ وضعَّف إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/٣٦٦).

ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٦٦٣٧) ، وصححه الشيخ الألباني في مختصر الشمائل (١٠٣). (احتبىٰ بيديه) احتبى الرجل: إذاجمع ظهره وساقيه بيديه.

٢٩٣ ـ وعن جابر بن سَمُرَةَ أنه تَـرَبَّع(١).

٢٩٤ ـ وربَّما جلس القُرْفُصَاءَ ، وهو في حديث قَيْلَةَ(٢).

٢٩٥ ـ وكان كثيرَ السكوتِ لا يتكلم في غير حاجةٍ ، يُعْرِضُ عمن تكلَّم بغير جميل ، وكان ضَحِكُهُ تَبَسُّماً ، وكلامُه فَصْلاً ، لا فُضُولَ ولا تقصيرَ ، وكان ضحكُ أصحابه عنده التَّبسُّم؛ توقيراً له ، واقتداءً به. مجْلسُه مجلسُ حِلْمٍ وحياءٍ ، وخَيرٍ وأمانَـةٍ ، لا تُـرْفَـعُ فيه الأصواتُ ، ولا تُـؤْبَـنُ فيه الحُـرَمُ ، إذا تكلَّمَ أَطْرَقَ جلساؤه كأنَّما على رؤوسهم الطَّيْرُ(٣).

٢٩٦ ـ وفي صفته: يَـخْطو تكَفُّـؤاً ، ويَـمْشِي هَوْنَـاً ، كأَنما يَـنْـحَطُّ مِنْ صَبَبٍ(٤).

٢٩٧ ـ وفي الحديث الآخر: إذا مشىٰ مَشَىٰ مجتمعاً ، يُعْرَفُ في مِشْيته أنه غَيْرُ غَرِضٍ ولا وَكِلٍ(٥). أي: غير ضَجِرٍ ولا كَسْلاَن.

٢٩٨ ـ وقـال [عبـد الله] بـن مسعـود: (٣٥/ب) إنَّ أَحْسَـنَ الهَـدْيِ هَـدْيُ محمد ﷺ(٦).

٢٩٩ ـ وعـن جـابـر بـن عبـد الله [رضـي الله عنهمـا]: كـان فـي كـلام رسول الله ﷺ تَـرْتِيلٌ أو تَرْسِيل(٧).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٠). وانظر رواية مسلم (٦٧٠/ ٢٨٧).

(٢) تقدّم حديث قَيْلَةَ برقم (١٥٣). (القُرفصاء): هي جلسة المحتبي بيديه/ النهاية.

(٣) بعضُ حديثٍ سيأتي مطولاً برقم (٣٧٤). وهناك سيشرح المصنف غريبه.

(٤) هو فقرة من حديث ابن أبي هالة سيأتي تخريجه برقم (٣٧٤). وهناك سيشرح المصنف غريبه.

(٥) أورده ابن الأثير في النهاية ٣/ ٣٦٠. (غَرِضٍ) الغَرَضُ: القلِقُ الضَّجر. (وكِل): الوَكَلُ والوَكِلُ: البليد والجبان. وقيل: العاجز الذي يَكِلُ أمره إلى غيره/ النهاية.

(٦) أخرجه البخاري (٦٠٩٨). (الهَدْيُ): الطريقة والسيرة.

(٧) أخرجه أبو داود (٤٨٣٨) وفي سنده راوٍ لم يُسَمَّ. (ترتيل) : الترتيل في القراءة: ترتيبها والتأني فيها ، وكذلك الترسيل. وقيل: الترتيل: التبيين. والترسيل: التؤدة.

٣٠٠ ـ قال ابنُ أَبي هَالَـةَ[١]: كان سكوتُه على أربع: على الْحِلْمِ، والحَذَرِ، والتقديرِ، والتفكّر.

٣٠١ ـ قالت عائشة: كان رسولُ الله ﷺ يحدِّث حديثاً لوعدَّهُ العادُّ أَحصاهُ[٢].

وكان ﷺ يُحبُّ الطِّيبَ والرائحةَ الحسنة، ويستعملهما[٣] كثيراً، ويحضّ عليهما.

٣٠٢ ـ ويقول: «حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم: النساءُ والطِّيبُ[٤]، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة»[٥].

٣٠٣ ـ ومن مروءته ـ ﷺ ـ: نَهْيُهُ عن النَّفْخ في الطعام والشَّرَاب[٦].

٣٠٤ ـ والأَمْرُ بالأَكْلِ ممّا يَلي[٧].

٣٠٥ ـ والأَمْرُ بالسِّواك[٨].

٣٠٦ ـ وإنْـقَـاء البَرَاجِم والرَّوَاجِب، واستعمال خِصَال الفِطْرَةِ[٩].

---

(١) بل القائل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. أخرجه البغوي (٣٧٠٦)، والمصنف نفسه برقم (٣٧٤/ ١) من حديث الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم في الزهد (٢٤٩٣/ ٧١).

(٣) في المطبوع: «ويستعملها».

(٤) كلمة: «والطيب»، لم ترد في المطبوع. وهي ثابتة في الحديث.

(٥) تقدم برقم (٣٥، ١٤٥، ١٤٦).

(٦) نَـهْيُـهُ ﷺ عن النفخ في الإناء، أخرجه أبو داود (٣٧٢٨)، والترمذي (١٨٨٨)، وابن ماجهْ (٣٤٢٨) من حديث ابن عباسٍ، وصححه الحاكم ٤/ ١٣٨، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وللترمذي (١٨٨٧)، وأبي داود (٣٧٢٢) نهىٰ عن النفخ في الشراب. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) من حديث عمر بن أبي سلمة.

(٨) تقدم فيه حديث برقم (٢٣١). وانظر التعليق التالي.

(٩) أخرج مسلم (٢٦١) عن عائشة مرفوعاً: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق=

فصـل

[فِـيْ زُهْـدِهِ ﷺ فِـيْ الـدُّنْـيَـا][1]

٣٠٧ ـ وأما زُهْدُه في الدنيا فقد تقدَّم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي. وحَسْبُك من تَقَلُّلِه منها، وإعراضه عن زَهْرَتِها؛ وقد سِيقَتْ إليه بِحَذَافِيرِها، وترادَفَت عليه فتوحُها إلى أن تُوُفِّي ﷺ ودِرْعُه مرهونةٌ عند يهوديّ في نفقةِ عِياله[2].

٣٠٨ ـ وهو يدعو ويقول: «اللهم! اجعل رِزْقَ آلِ محمدٍ قُوتاً»[3].

٣٠٩ ـ حدثنا سفيانُ بن العاصي، والحُسين بن محمد الحافظ، والقاضي أبو عَبْد الله التميمي، قالوا: حدثنا أحمد بن عُمر، قال: حدثنا أبو العباس الرازي، قال: حدثنا أبو أحمد الجُلُودي، حدثنا ابنِ سفيان، حدثنا أبو الحسين: [مسلم] بن الحجَّاج، حدثنا أبو بكر بن أَبِي شَيْبَة، حدثنا أبو معاوية، عن الأَعْمَش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة؛ قالت: ما شَبِعَ رسولُ الله ﷺ ثلاثة أيامٍ تِبَاعاً من خُبْزِ [بُرٍّ][4] حتى مضَىٰ لسبيله[5].

= العانة، وانتقاص الماء. قال أحد رواة الحديث: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة».
(البراجم): العُقد المتشنِّجةُ في ظاهر الأصابع. (الرواجب): هي ما بين عقد الأصابع من داخل/ النهاية.

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) موته ﷺ وَدِرْعُـهُ مرهونة. أخرجه البخاري (٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣) من حديث عائشة، والبخاري (٢٠٦٩) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له، من حديث أبي هريرة. (قوتاً) قيل: هو كفايتهم من غير إسراف. وقيل: هو مايُمْسِكُ الرَّمقَ.

(٤) زيادة من صحيح مسلم.

(٥) أسنده المصنف من طريق الإمام مسلم (٢٩٧٠/ ٢١).

٣١٠ ـ وفي روايـة أخرىٰ: من خُـبْـزِ شعير يومين مُتَواليين ، ولو شاء لأعطاهُ الله ما لا يَخْطُر بِبَالٍ[١].

٣١١ ـ وفي رواية أخرىٰ: ما شَبع آلُ رسولِ الله ﷺ من خُبْزِ بُرٍّ حتى لقِيَ الله [تعالى][٢].

٣١٢ ـ وقالت عائشة: ما ترك رسولُ الله ﷺ دِيناراً ولا دِرْهَمَاً (٣٦/أ) ولا شاةً ، ولا بعيراً[٣].

٣١٣ ـ وفي حديث عَمْرِو بن الحارث: ما ترك إلاَّ سِلاَحَه ، وبَغْلَتَه ، وأرضاً جعلها صَدَقَةً[٤].

٣١٤ ـ قالت عائشة: ولقد مات وما في بيتي شيء يأكلُه ذُو كَبِدٍ إلا شَطْر شَعِيرٍ في رَفٍّ لي[٥].

٣١٥ ـ وقال لي: «إني عُرِضَ عليّ أن تُجْعَلَ لي بَطْحاءُ مكة ذهباً. فقلتُ: لا ، يا ربِّ! أجوعُ يوماً وأَشْبَعُ يوماً ، فأمَّا اليومُ الذي أجوع فيه فأَتضرَّع إليك وأَدعوك ، وأما اليومُ الذي أَشْبَع فيه فأَحْمَدك وأُثْني عليك»[٦].

٣١٦ ـ وفي حديث آخر: إنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ نزل عليه ، فقال له: إنَّ الله [تعالى] يُقْرِئك السلامَ ، ويقول لك: أتُحِب أنْ أجْعَلَ هذه الجبال ذهباً ، وتكونُ معك حيثما كُنْتَ؟ فأطرق ساعةً ، ثم قال: «يا جبريلُ! إنَّ الدنيا دارُ من

---

(١) هو في مسلم (٢٩٧٠/ ٢٢) بلفظ: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير ، يومين متتابعين ، حتى قبض رسول الله ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٤) ، ومسلم (٢٩٧٠/ ٢٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٦٣٥).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٩٨).
(٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٧) ومسلم (٢٩٧٣). (شطر شعير): شيء منه. (رفّ لي) الرَّفُّ: خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوَقَّىٰ به ما يوضع عليه/ النهاية.
(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧) ، وأحمد (٥/ ٢٥٤) من حديث أبي أمامة. وحسّنه الترمذي ، وتبعه السيوطي في الجامع الصغير (٥٤١٧). وقال الحوت في أسنىٰ المطالب ص (١٣٩): «قال العلائي: فيه ثلاثة ضعفاء. وقال العراقي: ضعيف».

لا دارَ له ، ومالُ مَنْ لا مالَ له ، قد يجمَعُها مَنْ لا عَقْـلَ له» فقال له جبريل: ثبَّتَكَ اللهُ يا محمدُ! بالقول الثابت(١).

٣١٧ ـ وعن عائشة قالت: إنْ كنَّا آلَ محمد لَنَمْكُثُ شهراً ما نستَوْقِدُ ناراً؛ إنْ هو إلا التَّمْرُ والماء(٢).

٣١٨ ـ وعن عبد الرحمن بن عوف: هلك رسولُ الله ﷺ ، ولم يشْبَعْ هو وأهلُ بيته من خُبْزِ الشَّعِيْرِ(٣).

٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ـ وعن عائشة ، وأبي أُمَامَةَ ، وابن عباس نحوه(٤).

٣٢٢ ـ قال ابنُ عباس: كان ﷺ يَبِيْتُ هو وأهلُه الليالِيَ المتابعةَ طاوياً لا يجدون عَشَاءً(٥).

٣٢٣ ـ وعن أَنس: ما أكـلَ رسولُ الله ﷺ على خِـوَانٍ ولا في سُـكُرُّجَـةٍ ،

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٢٩٦): «لم أجده هكذا». وأخرج أبو يعلى (٤٩٢٠) وغيره من حديث عائشة مرفوعاً: «يا عائشة! لو شئت لسارت معي جبال الذهب» وحسّن إسناده الهيثمي في المجمع ٩/١٩ . وما يتعلق بالدنيا وَرَدَ عَنْها مرفوعاً عند أحمد ٦/ ٧١ والبيهقي. قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٧٨: «وإسنادهما جيد» وجوَّد إسناده أيضاً الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٢٠٣) .
وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣١٥ ، والترغيب والترهيب ٤/ ١٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٨) ، ومسلم (٢٩٧٢) واللفظ له .

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل (١٣٩) ، واللفظ له. والبزار (٣٦٨٤) ، وحسّن إسناد البزار المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ١٨٩ ، والهيثمي في المجمع ١٠/ ٣١٢ ، والسيوطي في المناهل (٢٩٨).

(٤) حديث عائشة تقدم برقم (٣١٠). وحديث أبي أمامة أخرجه الترمذي في السنن (٢٣٥٩) ، وفي الشمائل (١٤٦) ، وأحمد ٥/ ٢٥٣ ولفظه: ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله خبز الشعير. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وحديث ابن عباس أخرجه الترمذي في السنن (٢٣٦٠) ، وفي الشمائل (١٤٧) ولفظه: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتابعة طاوياً ، وأهله ، لا يجدون عشاءً ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. قال الترمذي: حسن صحيح. وسيأتي حديث ابن عباس برقم (٣٢٢).

(٥) تقدم برقم (٣٢١). (طاوياً): أي خالي البطن جائعاً ، لم يأكل.

ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ ، ولا رَأى شاةً سَمِيطاً قَطُّ(١) .

٣٢٤ ـ وعن عائشة بنت أبي بكر : إنما كان فِرَاشُ رسول الله ـ ﷺ ـ الذي ينامُ عليه أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ(٢) .

٣٢٥ ـ وعن حَفْصَةَ قالت : كان فِرَاشُ رسولِ الله ﷺ في بيتي(٣) مِسْحَاً نَثْنِيهِ ثِنْيَتَيْنِ ، فينام عليه ، فَثَنَيْنَاهُ ليلةً بأربع ، فلما أصبح قال : «ما فَرَشْتُمُو لي الليلة؟» فذكَرْنَا ذلكَ له ، فقال : «رُدُّوه بحاله ، فإن وَطَاءَتَهُ مَنَعَتْنِي الليلة صلاتي»(٤) .

٣٢٦ ـ وكان [ﷺ] ينامُ أحياناً على سَرِير مَرْمُولٍ بِشَرِيط حتى يُؤثِّرَ في جَنْبِه(٥) .

٣٢٧ ـ وعن عائشةَ قالت : لم يمتلىءْ جَوْفُ النبيّ ﷺ (٣٦/ب) شِبَعاً قطُّ ، ولم يَبُثَّ شكوىٰ إلى أَحَدٍ ، وكانت الفاقةُ أحبَّ إليه من الغِنَىٰ ، وإن كان ليظلُّ جائعاً يَلْتَوِي طولَ ليلته من الجوع فَلاَ يَمْنَعُه صيامَ يومه ، ولو شاء سأل ربه جميعَ كنوزِ الأرضِ وثمارها ورَغَد عيشها ، ولقد كنتُ أبكي رحمةً له ممّا أَرَىٰ به ، وأَمْسَحُ بيدي على بطنه ممّا به من الجُوع ، وأقولُ : نَفْسِي لك الْفِداءُ؛ لو تبلَّغْتَ من الدنيا بما يَقُوتُكَ؟ فيقول : «يا عائشةُ! مالي وللدُّنيا ، إخواني من

---

(١) رواه البخاري مُقَطَّعاً : روى الفقرة الأخيرة برقم (٥٤٥٧) ، وباقيه برقم (٥٤١٥) . (الخِوَان) : ما يؤكل عليه . (سُكُرُّجَة) : إناء صغير يأكل فيه الشيء القليل من الأُدْمِ . (سميطاً) مشوية .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٦) ، ومسلم (٢٠٨٢) واللفظ له . (أَدَماً) : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . (ليف) : هو ليف النخل .

(٣) في نسخة : «في بيته» .

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٢٢) . ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٦٨٤١) ، قال المُنَاوي في فيض القدير ٥/ ١٧٢ : «وليس بجيد ، فقد قال الحافظ العراقي : هو منقطع» (المِسح) : كساء خشن يعد للفرش من صوف . (وَطَاءَتُهُ) : لِينَهُ .

(٥) أخرجه البخاري (٥١٩١) ، ومسلم (١٤٧٩) عن عمر في حديث طويل . (مرمول) : منسوج بحبل مفتول بِسَعَفٍ .

أُوْلِـي العَـزْمِ من الرُّسُلِ صَبَرُوا على ما هو أَشَدُّ مِنْ هذا ، فمضَوْا على حالِهم ، فقدِموا على رَبِّهم ، فأَكْرَمَ مَآبَهُمْ ، وأَجْزَلَ ثوابَهم ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحيي إِنْ ترفَّهْتُ في معيشتي أَنْ يُقَصَّرَ بي غداً دونَهُم ، وما مِنْ شيءٍ هو أَحَبُّ إليَّ من اللُّحُوق بإخواني وأخِلاَّئي».

قالت: فما أقام بعْدُ إلا شهراً حتى تُوفِّيَ ﷺ[١].

فصــل

[فِـيْ خَـوْفِـهِ ﷺ مِنْ رَبِّـهِ ، وَطَـاعَـتِـهِ لَـهُ ، وَشِـدَّةِ عِـبَـادَتِـهِ][٢]

٣٢٨ ـ وأما خَوْفُه ربَّه ، وطاعتُه له؛ وشدَّةُ عبادته ، فعلىٰ قَدْرِ عِلْمِه بربِّه ، ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتَّاب قراءةً مني عليه. قال: حدثنا أبو القاسم الطَّرابُلسيّ ، حدثنا أبو الحَسن القابِسيّ ، حدثنا أبو زيد المَرْوَزِيُّ ، حدثنا أبو عَبْد الله الفِرَبْرِيُّ ، حدثنا محمدُ بن إسماعيل ، حدثنا يحيىٰ بن بُكَيْر ، عن الليث ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**لو تعلمون ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً**»[٣].

٣٢٩ ـ زاد في روايتنا ، عن أبي عِيسىٰ التِّرمذي ـ رَفَعَه إلى أبي ذَرٍّ: «**إنِّي أَرَى مَا لاَ تَـرَوْنَ ، وأَسْمَعُ ما لا تسمعون ، أَطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أَنْ تَـئِطَّ ، ما فيها موضِعُ أربع أَصابعَ إلاَّ ومَلَكٌ واضِعٌ جبهته ساجداً لله ، واللهِ! لو تعلمون ما أعلمُ لضَحِكْتُمْ قَليلاً ، ولَبَـكَيْتُـمْ كثيراً ، وما تلذَّذْتُـمْ بالنساء على الفُـرُشِ ، ولَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُونَ إلى الله ، لَوَدِدْتُ أَنِّي شجرةٌ تُعْضَدُ**»[٤].

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٣٠٧): «الحديث لم أقف عليه هكذا» ولكن أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من حديثها. . . » فذكر نحوه. وتقدمت الفقرة الأولى منه برقم (١٣٤).

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) أسنده المصنف من طريق البخاري (٦٤٨٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣١٢) ، وابن ماجه (٤١٩٠) ، وأحمد ٥/ ١٧٣. وقال الترمذي: «هذا=

رُوِيَ هذا الكلامُ: «ودِدْتُ أني شجرةٌ تُـعْضَدُ» من قول أبي ذَرٍّ نَفْسِه (٣٧/أ) وهو أصحُّ.

٣٣٠ ـ وفـي حـديـث المغيـرة: صلّـى[1] رسـول الله ﷺ حتـى انتفخـت قَدَماه[2].

٣٣١ ـ وفي روايةٍ: كان يُصلّي حتى تَرِمَ قَدَمَاهُ؛ فقيل له: أَتَـكَـلَّفُ هذا وقد غُفِرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبك وما تأَخَّرَ؟ قال: «أفلا أكونُ عَبْـداً شكوراً؟»[3].

٣٣٢ ، ٣٣٣ ـ ونحوه عن أبي سَلَمَة ، وأبي هريرة[4].

٣٣٤ ـ وقالت عائشة: كان عَمَلُ رسولِ الله ﷺ دِيْمَةً ، وأَيُّكم يُطِيق ما كان يُطِيق؟![5].

٣٣٥ ـ وقالت: كان يَصُـومُ حتى نـقولَ: لا يُـفْطِر. ويُـفْطِر حتى نـقول: لا يَصُوم[6].

٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ـ ونحْوُه عن ابن عباسٍ ، وأم سَلَمَةَ ، وأَنسٍ[7].

= حديث حسن غريب» وقوله: «لوددت أني شجرة تعضد» مدرج في الحديث من قول أبي ذر كما جاء مصرَّحاً به في رواية أحمد. (أَطَّت): صوَّتت. (الصعدات): الطرق. (تجأرون): تستغيثون وتدعون. (تعضد) تقطع.

(١) في الأصل: «وصلى»؛ والمثبت من المطبوع وهو موافق لرواية مسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٩). وانظر الرواية التالية.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٧١) ، ومسلم (٢٨١٩/ ٨٠) من حديث المغيرة. والبخاري (٤٨٣٧) ، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة. وسيأتي برقم (٦٣٨ ، ١٥٤٠ ، ١٦٤٥).

(٤) حديث أبي سلمة لم أجده فيما لديّ من مصادر. وحديث أبي هريرة أخرجه الترمذي في الشمائل (٢٦٠) ، وابن ماجه (١٤٢٠) ، وغيره ، وصححه ابن خزيمة (١١٨٤) ، وقوَّى إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة. وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ٢٧١: «رواه البزار بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح».

(٥) أخرجه البخاري (١٩٨٧) ، ومسلم (٧٨٣). (ديمةً): أي دائماً في رفقٍ واقتصاد.

(٦) أخرجه مسلم (١١٥٦/ ١٧٥).

(٧) حديث ابن عباس أخرجه البخاري (١٩٧١) ، ومسلم (١١٥٧/ ١٧٩). وحديث أم سلمة أخرجه الترمذي في السنن (٧٣٦) ، وفي الشمائل (٢٩٤) ، وأبو داود (٢٣٣٦) ، والنسائي=

٣٣٩ ـ وقال: كنتَ لا تشاءُ أنْ تَرَاهُ من الليل مُصلِّياً إلا رأيتَه مُصلياً، ولا نائماً إلا رأيتهَ نائماً[١].

٣٤٠ ـ وقال عَوْف بن مالك: كنْتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً فاسْتَاكَ ثم توضأ، ثم قام يُصَلِّي، فقُمْتُ معه، فبدأ فاستفتح البقرةَ، فلا يَمُرُّ بآيَةِ رَحْمةٍ إلا وقف فسأل، ولا يَمُرُّ بآيَةِ عذابٍ إلاّ وقف فتعوّذَ، ثم ركع، فمكث بقَدْرِ قِيَامِه، يقول: «سبحانَ ذِي الجَبَرُوت والملكوت والعظمةِ» ثم سجَد وقال مِثْلَ ذلك؛ ثم قرأ آلَ عمران، ثم سورةً سورةً، يفعلُ مِثْلَ ذلكَ[٢].

٣٤١ ـ وعن حُذَيْفَة مثلُه، وقال: سَجد نحْواً من قِيامه، وجلس بين السجْدَتَيْن نحواً منه، وقال: حتى قرأ البَقَرةَ، وآل عِمْرانَ، والنساءَ، والمائدةَ[٣].

٣٤٢ ـ وعن عائشة: قام رسولُ الله ﷺ بآيـةٍ من القرآن ليلةً[٤].

٣٤٣ ـ وعن عَبْد الله بن الشِّخِّيرِ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصلِّي، ولجَوْفِه أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَل[٥].

= (٤/ ٢٠٠)، وَحَسَّنَهُ الترمذي. وحديث أنس أخرجه البخاري (١٩٧٢)، ومسلم (١١٥٨).

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٢) من قول أنس بن مالك قال الحافظ في الفتح ٣/ ٢٣: «أي إن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتاً معيناً بل بحسب ما تيَسَّر له القيام».

(٢) أخرجه أبو داود (٨٧٣)، والترمذي في الشمائل (٣٠٦) واللفظ له، والنسائي ٢/ ١٩١، وصححه النووي في الأذكار رقم (١٤٦) بتحقيقي.

(٣) أخرجه أبو داود (٨٧٤). وله سياق آخر عند مسلم (٧٧٢) وفيه: أنه قرأ ﷺ البقرة والنساء وآل عمران.

(٤) أخرجه الترمذي (٤٤٨) وحسَّنه. وقال العلامة أحمد شاكر: «وله شاهد صحيح من حديث أبي ذر، قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

(٥) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والترمذي في الشمائل (٣١٥)، والنسائي (٣/ ١٣) وغيره، وصححه ابن خزيمة (٩٠٠)، وابن حبان (٥٢٢) موارد الظمآن، والحاكم (١/ ٢٦٤) ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً النووي في رياض الصالحين برقم (٤٨٠) بتحقيقي. (لجوفه): لصدره. (أزيز كأزيز المِرجل) الأزِيز: صوت غليان القدر. قال ابن الأثير في جامع الأصول=

٣٤٤ ـ [و] قال ابنُ أَبِي هَالَةَ: كان رسولُ الله ﷺ مُتواصِلَ الأحزان، دائِمَ الفِكْرَة، ليست له راحةٌ[(١)].

٣٤٥ ـ وقال ﷺ: «إني لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليوم مئةَ مرة[(٢)]».

٣٤٦ ـ ورُوي: «سبعين مرة»[(٣)].

٣٤٧ ـ وعن عليّ رَضي اللهُ عنه، قال: سألْتُ رسولَ الله ﷺ عن سُنَّتِه، فقال: «المعرفةُ رأسُ مَالِي، والعَقْلُ أصلُ ديني، والحبُّ أساسي، والشوقُ مَرْكَبي، وذِكْرُ اللهِ أَنيسي، والثقةُ كَنْزِي، والحُزْنُ (٣٧/ ب) رفيقي، والعِلْمُ سِلاَحي، والصَّبْرُ رِدَائي، والرضا غَنِيمتي، والفقر[(٤)] فَخْري، والزُّهْدُ حِرْفَتي، واليقينُ قُوَّتي، والصِّدْقُ شَفِيعي، والطاعةُ حَسْبِي، والجِهادُ خُلقي، وقُرَّةُ عيني في الصلاة»[(٥)].

٣٤٨ ـ وفي حديث آخر: «وثَمرةُ فؤادي في ذِكْره[(٦)]، وغَمِّي لأجْل أُمتي، وشوقي إلى ربِّي».

= ٥/ ٤٣٦: «والمراد به ما كان يعرض له في الصلاة من الخوف الذي يوجب ذلك الصوت».

(١) بعض حديث سيأتي مطولاً برقم (٣٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغرِّ المزني.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة كما في جامع الأصول (٤/ ٣٨٧). وصححه ابن حبان (٢٤٥٧) موارد الظمآن من حديث أنس. وفي رواية البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة: «أكثر من سبعين مرة».

(٤) في الأصل: «والعجز»، ثم شطب عليها الناسخ وأثبت: «والفقر، صح، أصل».

(٥) أورده الغزالي في الإحياء (٤/ ٣٦١). قال الحافظ العراقي: «ذكره القاضي عياض من حديث علي بن أبي طالب ولم أجد له إسناداً». وقال الحافظ ابن حَجَرٍ: «لا أصل له»، وقال السيوطي في المناهل (٣٢٢): «موضوع».

(٦) في نسخة: «ذكر الله».

فصــل

[فِيْ صِفَـاتِ الأَنْـبِـيَـاء وَالـرُّسُـلِ مِنْ كَمَـالِ الخَلْقِ وَحُسْنِ الـخُـلُـقِ وَشَـرَفِ النسب](١)

قال المؤلف رحمه الله:

اعلم، وفّقنا اللهُ وإيّاك! أنَّ صفاتِ جميعِ الأنبياءِ والرسل ـ صلواتُ الله عليهم ـ من كمال الخَلْقِ، وحُسْنِ الصُّورة، وشَرفِ النسب، وحُسْنِ الخُلُق، وجميع المحاسِن، هي(٢) هذه الصفة؛ لأنها صفاتُ الكمالِ، والكمالُ والتمامُ البَشَرِيّ والفَضْل الجميعُ لهم، صلواتُ الله عليهم؛ إذ رُتْبَتُهم أشرفُ الرتَب، ودرجاتُهم أرفعُ الدرجات، ولكِنْ فَضَلَ اللهُ بعضَهم على بعض؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢].

٣٤٩ ـ وقد قال ﷺ: «**إنَّ أول زُمْرَة يدخلون الجنة على صُورة القمر ليلةَ البدْر**». قال آخِرَ الحديث: «**على خَلْقِ رجلٍ واحد، على صُورة أبيهم آدم ﷺ، طولُه ستون ذِراعاً في السماء**»(٣).

٣٥٠ ـ وفي حديث أبي هُريرة: «**رأيتُ موسىٰ فإذا [هو] رجُلٌ ضَرْبٌ، رَجِلٌ، أَقْنَىٰ، كأنه مِنْ رجال شَنُوءَةَ. ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبْعَةٌ، كثِيرُ خِيْلانِ الوجه، أحمرُ، كأنما خَرج مِنْ دِيْمَاسٍ**»(٤).

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) في الأصل: «في»، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤/ ١٥) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨). (الضرب): هو الرجل بين الرجلين في كثرة اللحم وقلّتِه. (رَجِلٌ): أي دَهين الشعر، مسترسله. (أَقْنىٰ): القَنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حَدَبٍ في وسطه. (شنوءة): حي من اليمن. معروفون بالطول. (ربعة): بين الطويل والقصير. (خِيْلان): جمع خال، وهو الشامة. (أحمر) الأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة (الفتح: ٦/ ٤٨٦). (خرج من ديماس) يعني في نضارته، وكثرة ماء وجهه، كأنه خرج من كنٍّ.

٣٥١ ـ وفي حديث آخر: «مُبَطَّنٌ مِثْلُ السيف»(١).

٣٥٢ ـ قال: «وأنا أَشْبَهُ وَلَدِ إبراهيم به»(٢).

٣٥٣ ـ وقال في حديثٍ آخر في صِفة موسى: «كأَحسنِ ما أَنْتَ راءٍ من أُدْمِ الرِّجال»(٣).

٣٥٤ ـ وفي حديث أبي هُريرة، عنه ﷺ: «ما بعث اللهُ تعالى من بَعْدِ لوطٍ نبيّاً إلا في ذُرْوَةٍ من قومه»(٤).

٣٥٥ ـ ويروى: «[في] ثَرْوَةٍ»(٥) أي: كَثْرةٍ وَمَنَعةٍ.

٣٥٦، ٣٥٧ ـ وحكى الترمذي، عن قتادة. ورواه الدّارَقُطْني من حديث قَتادة عن أنس: ما بعث اللهُ نبيّاً إلا حسنَ الوَجْهِ، حسنَ الصوت، وكان نبيُّكم ﷺ أَحْسَنَهُمْ وَجْهاً، وأحسنَهم صوتاً(٦).

٣٥٨ ـ وفي حديث هِرَقْل: وسألْتُكَ (٣٨/أ) عن نَسَبِه، فذكرْتَ أنه فيكم ذو نَسبٍ، وكذلك الرسلُ تُبْعَثُ في أنساب قومها(٧).

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٧٤، وأبو يعلى (٢٧٢٠) من حديث ابن عباس بلفظ: «مبطّن الخلق». وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٣/ ٩١٥) وزاد نسبته إلى النسائي. (المُبَطَّن): الضَّامر البطن.

(٢) هو فقرة من الحديث المتقدم برقم (٣٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٠٢)، ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر. لكنه في حقِّ عيسى لا موسى، وانظر الفتح ٦/ ٤٨٦. (أُدْم) جمع آدم. كسُمْرٍ وأسْمر، وزناً ومعنًى.

(٤) أخرجه الترمذي (٣١١٦) من طريق الفضل بن موسىٰ، وأخرجه أحمد ٢/ ٥٣٣ من طريق حماد بن سلمة وأبي عمر الضرير، ثلاثتهم عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به. وانظر الرواية التالية. (ذُروة): ذُروة كل شيء أعلاه/ المعجم الوسيط.

(٥) أخرجه الترمذي عقب الحديث (٣١١٦)، وأحمد ٢/ ٣٣٢ من طرق عن محمد بن عمرو بإسناد الحديث السابق، وصححه الحاكم ٢/ ٥٦١. قال الترمذي: «وهذا أصح من رواية الفضل بن موسى ـ أي الرواية السابقة ـ وهذا حديث حسن».

(٦) حديث قتادة أخرجه الترمذي في الشمائل (٣١٣). وهو مرسل ضعيف. وحديث قتادة عن أنس عزاه المصنف للدارقطني.

(٧) طرف من حديث أبي سفيان. تقدم برقم (٢٨٢). وسيأتي طرف منه برقم (١٧٩٦).

وقال تعالى - في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢ ، ١٥].

وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤].

وقال - في نوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ ، ٤٦].

وقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ ، ٣١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

٣٥٩ - وقال النبيّ ﷺ: **«كانَ مَوسى رجُلاً حَيِيّاً ، سَتِّيراً ، ما يُرَى منْ جَسده شيءٌ استحياءً»**[1] الحديث.

وقال تعالى - عنه: ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

وقال في وَصْفِ جماعةٍ منهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

وقال: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٤) عن أبي هريرة مرفوعاً. وأخرجه مسلم في الفضائل (١٥٦/٣٣٩) موقوفاً عليه.

وقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٨٤، ٩٠].

فوصفَهم بأوصافٍ جَمَّةٍ من الصَّلاَح والهُدَى والاجتباء والحُكْم والنبوّة.

وقال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] عليم، وحليم.

وقال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان: ١٧، ١٨].

وقال: ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وقال ـ في إسماعيل: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥].

وقال ـ في موسى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ [مريم: ٥١].

وفي سليمان: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صٓ: ٣٠].

وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [صٓ: ٤٥، ٤٧].

وفي داود: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [صٓ: ١٧].

ثم قال: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [صٓ: ٢٠].

وقال ـ عن يوسف: ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

وفي موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

وقال [تعالى] ـ عن شُعَيب عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

وقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ [هود: ٨٨] (٣٨/ب).

وقال: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال سفيان: هو الحُزْنُ الدائم.

في آيٍ كثيرة، ذكر فيها مِنْ خِصالهم ومَحَاسِن أخلاقهم الدَّالةِ على كَمَالهم.

٣٦٠ ـ وجاء مِنْ ذلك في الأحاديث كثير، كقوله: «إنما الكريمُ ابنُ الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، نَبِيٌّ ابن نبيٍّ ابن نبيٍّ ابن نَبِيٍّ»[1].

٣٦١ ـ وفي حديث أنس: «وكذلك الأنبياءُ تنامُ أَعْيُنُهم ولا تنام قلوبُهم»[2].

٣٦٢ ـ ورُوي أنَّ سليمان كان ـ مع ما أُعْطِيَ من المُلْك ـ لا يرفَعُ بصره إلى السماء تخشُّعاً وتواضُعاً لله تعالى[3].

٣٦٢م ـ وكان يُطْعِمُ الناسَ لذائذَ الأطعمةِ ويأكل خُبْزَ الشَّعِير[4].

وأَوْحَى اللهُ إليه: يا رَأْسَ العابِدِين! وٱبْنَ مَحَجَّة الزاهدين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠) من حديث ابن عمر، والترمذي (٣١١٦) من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٠) وانظر صحيح مسلم (١٦٢/ ٢٦٢).
(٣) رواه الطبراني عن أبي هريرة مرفوعاً/ المناهل (٣٣٠).
(٤) رواه أحمد في الزهد عن فَرْقَدٍ السَّبخي/ المناهل (٣٣١).

وكانت العجوزُ تَـعْترضُه ـ وهو على الرِّيـحِ في جنوده ـ فيـأمر الريحَ فتقِفُ فينظر في حاجتها ويَمْضِي.

وقيلِ ليوسفَ: مالكَ تجُـوعُ وأنْتَ على خزائـنِ الأَرْضِ؟ قال: أخـاف أَنْ أَشْبَع فأنْسَى الجائع.

٣٦٣ ـ وروى أبو هريرة عنه ﷺ: «خُـفِّفَ على داوُدَ القرآنُ، فكانَ يَـأْمُرُ بدوابِّه، فتُسْرَج، فيقرأ القُرآنَ قبل أَنْ تُسْرَج، ولا يأكل إلا مِنْ عَمَل يدِه»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[2] [سبأ: ١٠ ـ ١١].

وكان سأل رَبّـه أَنْ يَـرْزُقَـهُ عَمَلاً بيدهِ يُـغْنِيه عن بَـيْتِ المالِ[3].

٣٦٤ ـ وقال ﷺ: «أَحَبُّ الصلاةِ إلى اللهِ صلاةُ داود، وأَحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داود: كان ينامُ نِصْفَ الليل، ويقوم ثُلُـثَـهُ، وينـامُ سُدُسَهُ، ويصومُ يوماً ويفطرُ يوماً»[4].

٣٦٥ ـ وكان يلْبَسُ الصوفَ، ويفترشُ الشَّعَر، ويأكل خُبْزَ الشعير بالمِلْح والرماد، ويَمْـزُجُ شرابَه بالدموع، ولم يُـرَ ضاحكاً بَعْـدَ الخَطِيئة[5].

٣٦٥م ـ ولا شاخِصاً ببصره إلى السماء، حَيَاءً من رَبِّه[6]، ولم يزل باكياً حياتَه كلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٧).

(٢) (اعمل سابغات): دروعاً واسعة كاملة. (قـدِّر في السَّرد): أَحْكِمْ صنعتك في نسج الدروع.

(٣) في الأصل: «مال الله»، والمثبت من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩/ ١٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصِ.

(٥) رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه، ومجاهد موقوفاً/ المناهل (٣٣٤).

(٦) رواه أحمد في الزهد عن أبي عبد الله الجدلي موقوفاً/ المناهل (٣٣٦).

٣٦٦ ـ وقيل: بَكَى حتى نبت العُشْبُ من دموعه[١] ، وحتى اتخذت الدموعُ في خَدِّه أُخْدُوداً.

وقيل: كان يخرجُ متنكِّراً يتعرَّفُ سيرتَه ، فيستمع الثناءَ (٣٩/أ) عليه ، فيزداد تواضُعاً.

٣٦٧ ـ وقيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذْتَ حِمَاراً؟ قال: أَنا أكرمُ على اللهِ مِنْ أن يشغلني بحِمَار[٢].

٣٦٨ ـ وكان يلبس الشَّعر ، ويأكل الشَّجَر ، ولم يكن له بيت ، أينما أدركه النومُ نام[٣].

٣٦٩ ـ وكان أَحَبُّ الأسماءِ[٤] إليه أنْ يُقال له: مِسْكِين[٥].

٣٧٠ ـ وقيل: إنّ موسى ـ عليه السلام ـ لما وردَ ماء مَدْيَنَ كانت تُرَى خُضْرَةُ البَقْلِ في بطنه من الهُزَال[٦].

٣٧١ ـ وقال ﷺ: «لقد كان الأنبياءُ قبلي يُبْتَلى أحدُهم بالفقر والقَمْلِ ، وكان ذلك أَحَبَّ إليهم من العطاء إليكم»[٧].

وقال عيسى عليه السلام ـ لِخنْزِير لَقِيه: اذهب بسلام. فقيل له في ذلك ،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن أنس مرفوعاً ، وعن مجاهدٍ وغيره موقوفاً/ المناهل (٣٣٧).
(٢) رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبة في المُصنَّفِ/ المناهل (٣٣٨).
(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس. وأحمد في الزهد عن عبيد بن عمير ، ومجاهد والشعبي/ المناهل (٣٣٩).
(٤) في نسخة: «الأسامي».
(٥) رواه أحمد في الزهد/ المناهل (٣٤٠).
(٦) رواه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً/ المناهل (٣٧٠).
(٧) أخرجه الحاكم ٣٠٧/٤ من حديث الخدري ، وصححه ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء ٢٢٢/٤ ، ولفظه: .... أي الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء. قلت [القائل أبو سعيد الخدري]: ثم من؟ قال: ثم الصالحون ، إنْ كان الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيحوّيها ويلبسها ، وإن كان أحدهم ليبتلىٰ بالقمل حتى يقتله القمل ، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم».

فقال: أَكْرَهُ أنْ أُعَوِّدَ لساني المنطقَ بسوء.

٣٧٢ ـ وقال مجاهد: كانَ طعامُ يحيى العُشْبَ[١].

وكان يَبْكي من خشية اللهِ تعالى حتى اتخذ الدمعُ مَجْرى في خدّه.

٣٧٣ ـ وكان يأكلُ مع[٢] الوَحْشِ لئلا يُخَالِطَ النَّاسَ[٣].

وحكى الطبريُّ، عن وَهْب، أنَّ موسى كان يستظلُّ بعَريشٍ، ويأكل في نُقْرَةٍ[٤] من حَجَر، ويَكْرَعُ[٥] فيها إذا أراد أن يشرب كما تَكْرَع الدابّةُ، تواضعاً لله بما أكرمه اللهُ به من كلامِه.

وأخبارُهم في هذا كلِّه مسطورةٌ، وصفاتُهم في الكمالِ وجميل الأخلاق، وحسْنِ الصُّوَر والشمائلِ معروفةٌ مشهورةٌ؛ فلا نُطَوِّلُ بها، ولا نَلْتَفِتُ إلى ما نجدُه[٦] في كتُب بعضِ جهلةِ المؤرخين والمُفسِّرينَ مما يخالِفُ هذا.

فصل

[فِيْ حَدِيْثِ هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِيْ شَمَائِلِهِ ﷺ][٧]

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ:

قد أتيناك ـ أكرمك الله ـ من ذِكْرِ الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصالِ الكمالِ العديدة، وأريناكَ صحّتَها له ﷺ، وجَلبنا[٨] من الآثار ما فيه

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وأحمد في الزهد/ المناهل (٣٤٣).
(٢) في المطبوع: «من»، وهو تحريف.
(٣) رواه أحمد في الزهد عن أبي إدريس الخولاني الداراني/ المناهل (٣٤٤).
(٤) نقرة: حفرة.
(٥) يكرَعُ: أي يتناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء.
(٦) في المطبوع: «ولا تلتفتْ إلى ما تجده».
(٧) ما بين حاصرتين زيادة من عندي.
(٨) (جلبنا): نقلنا وأوردنا. وفي المطبوع: «وجَلَّينا» أي: أوضحنا وبيَّنا.

مَقْنَع ، والأمْرُ أوسع ؛ فمجالُ هذا الباب في حقّه ﷺ مُمْتَدٌّ ، تَنـقَطِعُ دون نَفَادِه الأدِلَّاءُ[1] ، وبَحْر عِلْمِ خصائصهِ زاخِرٌ لا تُكَدِّرُه الدِّلَاءُ[2] ، ولكنا أتينا فيه بالمعروف ، مما أكْثَره في الصحيح والمشهورِ من المصنَّفات ؛ واقتصرنا في ذلك بِـقُـلٍّ[3] من كُلٍّ ، وغَـيْضٍ من فَيْضٍ[4] ، ورأينا أنْ نَخْتِمَ هذه الفصول بحديثِ[5] الحسن ، عن ابن أبي هَالَـةَ[6] ، لجَمْعِه من شمائله وأوصافِه كثيراً ، وإدْماجِه جُمْلَةً كافيةً من سِيَره وفضائله ، ونَصِلُه بتنبيهٍ لطيفٍ على غَرِيبه ومُشْكِله[7] .

٣٧٤ ـ حدثنا القاضي أبو علي : الحُسَين بن محمد الحافظ ـ رحمه الله ـ بقراءتي عليه سنةَ ثمانٍ وخمسٍ مئةٍ ، قال : حدثنا الإمامُ أبو القاسم : عبد الله ابن طاهر التميميُّ ، قرأتُ عليه[8] : أخبركم الفقيهُ الأديبُ أبو بكر : محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري ، والشيخُ الفقيهُ أبو عبد الله : محمد بن أحمد بن الحَسن المُحمَّدي ، والقاضي أبو علي : الحسَنُ بن علي بن جعفر الوَخْشِيّ ؛[9] قالوا : حدثنا أبو القاسم : عليّ بن أحمد بن محمد بن الحسن الخُزَاعي ، قال : أخبرنا أبو سعيد : الهَيْثم بن كُليب الشاشي ، قال : أخبرنا أبو عيسىٰ : محمد بن سَوْرَة الحافظ ؛ قال : حدثنا سُفْيَان بن وَكِيع ، حدثنا جُمَيْع بن

---

(١) نفاده الأدلاء : (نَفَادِه) فنائه . (الأدلّاء) : جمع دَليل .
(٢) لا تكدره الدِّلاء : جمع دَلْوٍ ، وهو إناء يستقىٰ به من البئر . وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره .
(٣) (بقُلٍّ) : القُلُّ : القليل .
(٤) غيض من فيض : قليل من كثير .
(٥) في نسخة : «بذكر حديث» .
(٦) في المطبوع : «عن أبي هالة» وهو خطأ .
(٧) الكلمات الغريبة التي لم يشرحها المصنف شرحتها في الحاشية .
(٨) في المطبوع : «قراءة عليه» .
(٩) في المطبوع : «الوَحْشي» . والصواب ما في نسختنا . وهو منسوب إلى «وَخْش» . قال ابن حجر في تبصير المنتبه ٤/ ١٤٧٩ : «مدينة من أعمال بلخ» . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٦٥ـ٣٦٧ .

عُمَيْرِ بن عبد الرحمن العِجْلي إملاءً من كتابه؛ قال: حدثني رجل من بني تميمٍ من وَلَدِ أبي هالَةَ: زَوْجِ خديجةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله، عن ابنٍ لأبي هالَةَ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: سألتُ خاليَ هِنْدَ بن أبي هالةَ[1].

١/٣٧٤ ـ قال القاضي أبو علي ـ رحِمَه الله ـ: وقرأتُ على الشيخ أبي الطاهر: أحمد بن الحسن بن أحمد بن خُذَاداذ[2] الكَرجِيِّ[3] الباقِلاّني؛ قال: وأجاز لنا الشيخ الأجلّ أبو الفضل: أحمد بن الحسن بن خَيْرُون؛ قالا: أخبرنا أبو علي: الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بنِ شاذَان بن حَرْب بن مِهْرَان الفارسي قراءةً عليه، فأَقَرَّ به، قال: أخبرنا أبو محمد: الحسنُ بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جَعْفر بن عبيد الله ابن الحُسَينِ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العَلَوي، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [قال]: حدثني عليّ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحُسين، عن أخيه موسى بن جعفر، عن

---

(١) أسنده المصنف من طريق الترمذي في الشمائل برقم (٧، ٣٢٩، ٣٤٤). ومن طريق الترمذي أخرجه البغوي في شرح السنة (٣٧٠٥) و(٣٧٠٦)، وابن الأثير في أُسْدِ الغابة في ترجمة هند بن أبي هالة. وأخرجه الفَسَوِيُّ كما في شمائل ابن كثير ص: (٥٠) من طريقين حدثنا جُمَيْعُ بن عُمَيْر به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٣ ـ ٢٧٨ وقال: «رواه الطبراني وفيه مَنْ لم يسُمَّ». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٦٤٩٣). وانظر الإسناد التالي برقم (١/٣٧٤) فقد قال عنه الخفاجي في نسيم الرياض ٢/ ١٦٧: «إسناد شريف، لأن رواته كلهم من أهل البيت، ومثله حديث صفة الصلاة، حتىٰ نقل التلمساني رحمه الله تعالىٰ أنه إذا قرىء علىٰ مصابٍ أفاق، ورجال سنده كلهم معروفون». وقال الألباني في مختصر شمائل الترمذي (٦): «ضعيف جداً» وانظر المقاصد الحسنة رقم (١١). وشمائل ابن كثير ص (٥٠ ـ ٥٦).

(٢) خُذاداذ: ضبطه ابن حجر في تبصير المنتبه ص(٥٢٦) بضم الخاء وفتح الذال المعجمة ثم دال مهملة بين الألِفَيْنِ ثم ذال معجمة. ومعناه بالفارسية: عطية الله.

(٣) في الأصل: «الكرخي» والمثبت من المطبوع وشرح الخفاجي وغيره.

جعفر بن محمد ، عن أبيه : محمد بن علي ، عن علي بن الحُسين ، قال : قال الحسن بن عليّ ـ واللفظ لهذا السَّنَد ـ سألتُ خالي هِنْدَ بن أبي هالةَ عن حِلْيَة رسول الله ﷺ ـ وكان وصَّافاً ـ وأنا أَرْجُو أَنْ يصِف لي منها شيئاً أَتعلَّقُ به ، قال :

كان رسولُ الله ﷺ فَخماً مُفَخَّماً[1] ، يتلألأ[2] (٤٠/أ) وجْهُه تلألُؤ القمر ليلَة البَدْر ، أَطولَ من المَرْبُوع ، وأقصرَ من المشذَّب ، عظيم الهامةِ ، رَجِلَ الشَّعْر ؛ إن انفرقَتْ عَقِيقتُه فَرَق ، وإلاّ فلا يجاوزُ شَعره شَحْمَةَ أذُنَيْه[3] ، إذا هو وفَّرَه[4] ، أَزْهَرَ اللون ، واسعَ الجَبينِ ، أَزَجَّ الحواجب ، سوابغَ ، من غير قَرَنٍ ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغَضَبُ[5] ، أَقْنَى العِرْنِيْنِ[6] ، له نُورٌ يَعْلُوه ، ويَحْسِبه مَنْ لم يتأمَّله أَشَمَّ ، كَثَّ اللِّحْية ، أَدْعَجَ ، سَهْلَ الخدّين ، ضَلِيعَ الفم ، أَشْنَبَ ، مُفَلَّجَ الأَسْنَان ، دَقِيقَ المَسْرُبة ، كأَنَّ عُنقَه جِيدُ دُمْية[7] ، في صفاءِ الفِضّة ، مُعْتَدِلَ الخَلْقِ ، بادِناً ، مُتَمَاسكاً ، سَواءَ البَطْنِ والصّدْرِ ، مُشِيحَ الصَّدْر ، بَعِيدَ ما بين المَنْكِبَيْن ، ضَخْمَ الكَرَادِيس ، أَنْوَرَ المُتَجرَّدِ[8] ، موصولَ ما بين اللَّبَّةِ[9] والسُّرَّة بشَعرٍ يجْري كالخطِّ ، عارِيَ الثديَيْنِ[10] ما سِوَى ذلك ، أَشْعَرَ الذِّرَاعين والمَنْكِبين وأَعَالي الصدر ، طويلَ الزَّنْدَيْن ، رَحْبَ الراحةِ ،

---

(١) فخماً مفخماً : أي عظيماً مُعَظَّماً في الصدور والعيون ولم تكن خلقته في جسمه الضخامة . وقيل : الفخامة في وجهه : نُبْلُهُ وامتلاؤه مع الجمال والمهابة/ النهاية .

(٢) يتلألأ : يشرق .

(٣) في نسخة : «أذنه» .

(٤) وَفَّرَه : الوَفْـرَةُ : الشَّعْرُ إلى شحمة الأذن ، والجُمَّـةُ إلى المنكب ، واللِّمَّـةُ : التي أَلَمَّتْ بالمنكبين .

(٥) بينهما عرق يدره الغضب : يعني بين حاجبيه عرق يمتلىء دماً إذا غضب .

(٦) العِرْنِيـنُ : الأنفُ . وقيل : رأسه (النهاية) .

(٧) كأنَّ عنقه جيد دُميةٍ : (الجِيْد) العنق . (الدمية) : الصورة ألتي بولغ في تحسينها .

(٨) أنور المتجرِّد : أي مشرق الجسد .

(٩) اللَّـبَّـةُ : موضع الثغرة فوق الصدر .

(١٠) عاري الثديين : يريد أنه لم يكن على ذلك الموضع منه شعر .

شَثْنَ الكفَّيْنِ والقَدَمين[١] ، سائلَ الأطراف[٢] ، سَبْطَ القَصَبِ[٣] ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْن ، مَسِيحَ القدَمين ، يَنْبُو عنهما الماءُ[٤] ، إذا زال زال تَقَلُّعاً ، ويخطو تكَفُّؤاً ، ويمشي هَوْناً ، ذَرِيعَ المِشْيَة ، إذا مشى كأنما يَنْحَطُّ من صَبَبٍ[٥] ، وإذا التفت التفت جميعاً[٦] ، خافِضَ الطَّرْفِ ، نَظَرُه إلى الأرض أطولُ مِنْ نظرِه إلى السماء ، جُلُّ نظرِه الملاحظةُ[٧] ، يسوقُ أصحابَه[٨] ، ويبدأُ مَنْ لقِيَهُ بالسلام.

قلت: صِفْ لي مَنْطِقَهُ.

قال: كان رسولُ الله ﷺ متواصلَ الأحزانِ ، دائمَ الفِكْرَة ، ليست له راحةٌ ، ولا يتكلَّمُ في غير حاجةٍ ، طويلَ السكوت ، يفتتح الكلامَ ويختمه بأَشْدَاقِه ، ويتكلّم بجَوَامع الْكلِم ، فَصْلاً ، لا فُضُولَ فيه ولا تَقْصِيرَ ، دَمِثاً ، ليس بالجافي ولا المُهِين ، يُعَظِّم النّعمَةَ وإن دقَّتْ ، لا يذمُّ شيئاً ، ولم يكن يذمُّ ذَوَاقاً[٩] ، ولا يمدَحُه ، ولا يُقَامُ لغضَبه إذا تُعرِّضَ للحق بشيءٍ حتى ينْتَصرَ له ، ولا يغضَبُ لنفسه ، ولا يَنْتصِرُ لها ، إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها ، وإذا

---

(١) شثن الكفين والقدمين: غليظهما.

(٢) في نسخة زيادة: «أو قال: سَايِنَ الأطراف ، وسائر الأطراف».

(٣) سَبْطَ القَصَبِ: ويمكن قراءتها في الأصل أيضاً «العصب» بالعين المهملة. وكذلك جاءت في طبعة الأستاذ البجاوي وأوردها ابن الأثير في النهاية وابن كثير في شمائل الرسول والهيثمي في مجمع الزوائد «القصَب» بالقاف. قال في النهاية: «السَّبْط: الممتد الذي ليس فيه تعقُّدٌ ولا نُتُوّ ، والقصب يريد بها: ساعديه وساقيه». وعلىٰ قراءة «العَصَب» يكون المعنىٰ: إنَّ أطراف مفاصله ممتلئة من غير نتوء.

(٤) أي لا ثباتَ للماء عليهما.

(٥) الصبب: الأرض المنحدرة.

(٦) يريد: لا يلوي عنقه يَمنة ويَسرة ناظراً إلى الشيء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف.

(٧) الملاحظة: هو أن ينظر الرجل بلحاظ عينه إلى الشيء. يقال: لحظ إليه ولحظه: إذا نظر إليه بمؤخر عينه.

(٨) أي يقدم أصحابه بين يديه ويمشي خلفهم.

(٩) أي شيئاً مما يذاق ، ويقع على المأكول والمشروب ، فعال بمعنى مفعول.

تعجَّب قَلَبَها (٤٠/ب) وإذا تحدَّثَ اتَّصَل بِها ، فضرب بإبْهَامه اليمين[١] راحتَه اليسرى ، وإذا غضب أعرضَ وأَشَاح ، وإذا فرح غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلُّ ضحِكه التبسُّم ، ويَفْتَرُّ[٢] عن مِثْلِ حَبِّ الغَمَام.

قال الحَسَن: فكتَمْتُها الحُسَين بن علي زماناً ، ثم حدّثْتُه فوجدُته قد سبقني إليه ، فسأل أباه عن مَدْخل رسولِ الله ﷺ ومَخْرجه ومَجْلسه وشَكْله ، فلم يَدَعْ منه شيئاً.

قال الحسين: سألتُ أبي عن دخولِ رسولِ الله ﷺ؟ فقال:

كان دخولُه لنفسه ، مأذوناً [له] في ذلك ، فكان إذا أَوَى إلى منزله جزَّأَ دخوله ثلاثةَ أجزاء: جُزءاً لله تعالىٰ ، وجُزْءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثم جزَّأَ جُزْأَهُ بينه وبين الناس ، فيردُّ ذلك على العامَّةِ بالخاصة ، ولا يدَّخِرُ عنهم شيئاً ، فكان من سيرته في جُزْءِ الأمَّة إيثارُ أهلِ الفَضْل بإذْنِه[٣] وَقسْمِهِ[٤] على قَدْرِ فَضْلهم في الدِّيْنِ؛ منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجَتَيْنِ ، ومنهم ذو الْحَوَائج ، فيتشاغل بهم ، ويَشْغَلُهم فيما أصلحهم والأُمّةَ ، مِنْ مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم؛ ويقول: «لِيُبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائب ، وأَبْلغُوني حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغي حاجتَه ، فإنه مَنْ أَبْلَغ سلطاناً حاجةَ مَنْ لا يستطيع إبلاغها ثَبَّت اللهُ قدميه يوم القيامة». لا يُذْكر عنده إلا ذلك ، ولا يَقْبَلُ مِنْ أحد غيره.

وقال[٥] ـ في حديث سُفْيان بن وَكِيع ـ: يدخلون رُوَّاداً ، ولا يتَفَرَّقُون إلاّ عن ذَوَاق ، ويخرجون أدِلّة ، يعني: فقهاء.

قلتُ: فأخبرني عن مَخْرَجه ، كيف كان يصنَعُ فيه؟

---

(١) في المطبوع: «اليمنىٰ». ويقال: إبهام يمين ويمنىٰ. لأن الإبهام مؤنثة وقد تذكر.

(٢) يَفْتَرّ: أي يبتسم ويَكْشِرُ حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة/ النهاية.

(٣) في شرح السنة للبغوي (٣٧٠٥) وشمائل الرسول ص (٥٢): «أدبه».

(٤) في نسخة: «وقسمته».

(٥) (قال): أي علي بن أبي طالب رضي الله عنه / نسيم الرياض ٢/ ١٨١.

قال: كان رسولُ الله ﷺ يَخزُنُ لسانه إلاّ فيمَا[1] يَعْنِيهم، ويُؤلِّفُهم ولا يُفَرِّقهم؛ يُكْرِم كريمَ كلِّ قوم، ويُولِّيه عليهم، ويُحَذِّرُ الناسَ، ويحترس منهم، من غير أَنْ يَطْويَ عن أحد بِشْرَهُ وخُلُقه، ويتفقَّدُ أصحابَه، ويسأل الناسَ عمَّا في الناس، ويحسِّنُ الحسَنَ ويُصَوِّبه، ويقَبِّحُ القبيحَ ويُوهِّنُه، معتدلَ الأمْرِ غير مختلف، لا يَغْفُل مخافة (٤١/أ) أَنْ يغفلوا أو يَمَلُّوا، لكل حالٍ عنده عَتَاد، لا يُقَصِّرُ عن الحق، ولا يجاوِزُه إلى غيره، الذين يَلُونَهُ من الناس خِيَارُهم، وأفضلُهم عندهُ أَعمُّهم نصيحةً؛ وأعظمُهم عنده منزلةً أحسنُهم مواساةً وموازرةً.

فسألتُه عن مَجْلِسه: عَمّا كان يَصْنَعُ فيه؟

فقال: كان رسولُ الله ﷺ لا يجلس ولا يَقُومُ إلاّ على ذِكْر، ولا يُوطِنُ الأماكنَ، ويَنْهَى عن إِيْطَانِها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيثُ يَنْتَهِي به المجلسُ، ويَأْمُرُ بذلك، ويُعْطِي كلَّ جُلسَائه نَصِيبَهُ حتى لا يَحْسَبَ جَلِيسُه أنّ أحداً أَكْرَمُ عليه منه، مَنْ جالسه، أو قَاوَمَهُ[2] لحاجةٍ، صابَرَهُ حتى يكونَ هو المُنْصَرِفَ عنه.

مَنْ سأله حاجةً لم يردّه إلا بها، أو بمَيْسُورٍ من القول. قد وسِعَ الناسَ بَسْطُهُ وخُلُقُهُ؛ فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحقّ [سواءً] متقارِبين متفاضلين فيه بالتقوى.

وفي الرواية الأُخرى: صاروا عنده في الحقّ سواءً، مَجْلِسُه مجلسُ حِلْمٍ وحياءٍ، وصَبْرٍ وأمانةٍ؛ لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم، ولا تُنْثَىٰ فَلَتَاتُه، وهذه الكلمة، من غير الروايتين[3].

---

(١) في المطبوع: «مِمَّا».
(٢) قَاوَمَهُ: فَاعَلَهُ من القيام: أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها/ النهاية.
(٣) بل هي في رواية سفيان بن وكيع في الشمائل وشرح السنة وغيره.

يتعاطفون[1] [فيه] بالتقوى ، مُتَواضعين [2]، يُوَقِّرونَ فيه الكبير ، ويرحمون الصغير ، وَيَرْفِدون ذا الحاجةِ ، ويرحمون الغريب.

فسألتُه عن سيرته ﷺ في جلسائه؟

فقال: كان رسولُ الله ﷺ دائِمَ البِشْر ، سَهْل الخُلُق ، ليِّنَ الجانب ، ليس بِفَظٍّ ولا غَلِيظ ، ولا سَخَّاب[3] ، ولا فَحَّاش ، ولا عَيَّاب ولا مَدَّاح ، يتغافَلُ عما لا يَشْتَهِي ، ولا يُؤْيِس منه ، قد ترك نَفْسَه مِنْ ثلاث: الرياء ، والإكثار ، وما لا يَعْنِيه ؛ وَتَرَكَ الناسَ من ثلاث: كان لا يذُمُّ أحداً ، ولا يُعَيِّرُه ، ولا يطلب عَوْرَته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابَه ، إذا تكلَّم أطرقَ جلساؤه كأنما على رُؤُوسِهم الطَّيْر ، وإذا سكت تكلَّموا ، ولا يتنازَعُون عنده الحديث. مَنْ تكلَّم عنده أَنْصَتُوا له حتى يَفْرُغ ، حديثُهم حديثُ أَوَّلهم ، يضحكُ ممّا يَضْحكون منه ، ويعجبُ[4] مما يتعجَّبون (٤١/ب) منه ، ويصبِرُ للغريب على الْجَفْوَة في المنطق ، ويقول: «**إذا رأيْتُم صاحب الحاجة يطلبها فأَرْفِدُوه**» ولا يطلب الثناءَ إلاّ مِنْ مُكَافىء ، ولا يقطعُ على أحد حديثَه حتى يتجوَّزَهُ فيقطعُه بانتهاءٍ أو قِيام.

هنا انتهى حديثُ سفيان بن وكيع.

وزاد الآخر: قلتُ: كيف كان سكوتُه ﷺ؟

قال: كان سكوته على أربع: على الحِلْم ، والحذَر ، والتقدير ، والتفكر. فأما تقديرُه ففي تَسْوية النظَرِ والاستماع من[5] الناس ، وأمَّا تفكُّره ففيما يَبْقَى ويَفْنَى.

وجُمِعَ له الحِلْمُ ﷺ في الصبر ، فكان لا يُغْضِبُه شيء يستفزُّه ، وجُمِعَ له

---

(١) في المطبوع: يتعاطون.

(٢) في المطبوع: «متواصفين» وهو خطأ.

(٣) في نسخة: «صخّاب».

(٤) في المطبوع: «ويتعجَّبُ».

(٥) في المطبوع: «بين».

في الحذَر أربعٌ: أَخْذُه بالحسَنِ ليُقْتَدى به ، وتَرْكُه القَبِيحَ ليُنْتَهَى عنه ، واجتهادُ الرَّأي بما أَصلح أمَّته ، والقيامُ لهم بما جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة .

انتهى الوصف بحَمْدِ اللهِ وعَوْنه تعالى .

فصـل

فِـيْ تَفْسِيـرِ غَرِيْـب هٰـذا الْحَدِيْـثِ وَمُشْكِلِـهِ

قوله : **المُشَذَّب** ، أي البائن الطُّول في نحافة .

٣٧٥ ـ وهو مثْلُ قوله في الحديث الآخر : «ليس بالطَّويلِ المُمَّغِط»[1] .

والشَّعْر الرَّجِل : الذي كأنه مُشِط فتكَسَّر قليلاً ؛ ليس بسَبِطٍ ولا جَعْد .

والعَقيقةُ : شعر الرأس ، أراد : إن انفرقَتْ مِنْ ذاتِ نفسها فَرَقها ، وإلاَّ تركها مَعْقُوصةً . ويُرْوَى : «عَقِيصَته»[2] .

وأزهر اللَّوْن : نَيِّره . وقيل : أزهر : حَسَن . ومنه زَهْرَة الحياةِ الدنيا ، أي زينتُها .

٣٧٦ ـ وهذا كما قال في الحديث الآخر : ليس بالأبيض الأمْهَق ، ولا بالآدَمِ[3] .

والأَمْهَقُ : هو الناصع البياض . **والآدَم** : الأسمر اللَّون .

٣٧٧ ـ ومثلُه في الحديث الآخر : [أَبيض] مُشْرَب[4] . أي فيه حُمْرةٌ .

---

(١) فقرة من حديث عليّ بن أبي طالب . وقد تقدم برقم (٤١ ، ٦١ ، ٢٨٥) ، وسيأتي برقم (٣٧٧) و(٣٨٠) و(٣٨١) .

(٢) في الأصل : «عقيصة» ، والمثبت من المطبوع .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٤٧) ، ومسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس .

(٤) بعض حديث علي بن أبي طالب . وقد تقدم برقم (٤١ ، ٦١ ، ٢٨٥ ، ٣٧٥) وسيأتي برقم (٣٨٠) و(٣٨١) .

والحاجِبُ الأزَجُّ: المقوَّس الطويل الوافِر الشعر.

والأقْنَى: السائل الأنْفِ، المرتفع وَسَطه.

والأشَمُّ: الطويل قَصَبة الأنف[1].

والقَرَن: اتّصالُ شَعر الحاجِبين. وضدّه البَلَج.

٣٧٨ ـ ووقع في حديث أُمِّ مَعْبَدٍ وصْفُه بالقَرَن[2].

والأدْعَجُ: الشديد سَوادِ الْحَدَقة.

٣٧٩ ـ وفي الحديث الآخر: «أَشْكَل العَيْنِ»[3] و«أَسْجَرَ العَيْنِ»[4]، وهو الذي في بياضها حُمْرة.

والضّلِيع: الوَاسِع.

والشَّنَبُ: رَوْنَقُ الأسنان، وماؤها.

وقيل: رِقَّتُها وتحزيزٌ (٤٢/أ) [فيها] كما يُوجَدُ في أَسنانِ الشبابِ.

والفَلَجُ: فَرْقٌ بين الثنايا.

ودَقِيقُ المَسْرُبَة: خيط الشّعر الذي بين الصّدْرِ والسُّرَّة.

بادِن: ذو لَحْمٍ.

ومُتَماسِكٌ: معتدل الخَلْقِ، يمسِكُ بعضُه بعضاً.

٣٨٠ ـ مثل قولِه في الحديث الآخر: «لم يكن بالمُطَهَّم، ولا بالمُكَلْثَم»[5]

---

(١) قال ابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٤: «القنا: طول الأنف مع دقة الأرنبة، والأشمُّ: الدقيق الأنفِ المرتَفِعُـهُ. يعني: أن القنا الذي فيه ليس بمفرط».

(٢) تقدم حديث أم معبد برقم (٤٩، ٥٩، ١٢٦).

(٣) في الأصل: «العينين»، والمثبت من المطبوع. وهو موافق لرواية مسلم (٢٣٣٩). وسيأتي طرف منها برقم (٣٨٤).

(٤) أسْجَر العين: السُّجْرَةُ: أن يخالط بياضها حمرة يسيرة. وقيل غير ذلك.

(٥) فقرة من حديث علي. وقد تقدم برقم (٤١، ٦١، ٢٨٥، ٣٧٥، ٣٧٧) وسيأتي طرف منه برقم (٣٨١).

أي ليس بمسْتَرْخِي اللحم.

والمُـكَـلْثَم: القَصِير الذقن.

وسَوَاء البطن والصَّدْرِ: أَي مستويهما.

ومُشِيح الصَّدْرِ: إنْ صحت هذه اللفظةُ فتكون من الإقبال، وهو أَحد معاني «أشاح»؛ أي أنه كان بادِيَ الصَّدْرِ، ولم يكن في صدره قَعَس، وهو تَطَامُنٌ فيه، وبه يتّضِح قولُه قبل: «**سَوَاءَ البَطْنِ والصدر**» أي ليس بمُتقاعس الصَّدْرِ، ولا مُفَاضِ البَطنِ.

ولعل اللفظة: مَسِيح ـ بالسين ـ وفتح الميم، بمعنى عَرِيض، كما وقع في الرواية الأخرى. وحكاهُ ابْنُ دُرَيد.

والكَرَادِيس: رؤُوس العِظَام.

٣٨١ ـ وهو مثلُ قوله في الحديث الآخر: جَلِيل المُشَاش والْكَتَدِ[1].

والمُشَاش: رؤوس المناكب. والكَتَد: مجتمع الكتفين.

وشَثْنُ الكَفَّين والقَدمين: لَحِيْمُهُمَا.

والزَّنْدَان: عَظْما الذرَاعين.

وسائل الأطراف: أَي طويل الأصابع.

وذكر ابْنُ الأنباري أنه رُوي: سائل الأطراف؛ وقال: ساين ـ بالنون؛ [قال]: وهُما بمعنًى، تُبْدَل اللام من النون، إنْ صحت الروايةُ لها[2].

وأَما الرواية[3] الأخرى: «**وسائر الأطراف**» فإشارة إلى فخامة جَوَارِحه، كما وقعت مُفَصَّلةً في الحديث.

ورَحْب الراحة: أي واسِعها. وقيل: كنَّى به عن سعة العَطاء والجُود.

---

(١) فقرة من حديث علي وقد تقدم برقم (٤١، ٦١، ٢٨٥، ٣٧٥، ٣٧٧).

(٢) في نسخة: «بها».

(٣) في نسخة: «وأما علىٰ الرواية».

[و] خُمْصَان الأَخْمَصَيْن: أي مُتَجافِي أَخْمص القَدَم؛ وهو الموضعُ الذي لا تنالُه الأرضُ من وسط القَدَم.

مَسِيح القَدَمين: أي أملسهما، ولهذا قال: يَنْبُو عنهما الماء.

٣٨٢ ـ وفي حديث أبي هُريرة خلافُ هذا؛ قال فيه: إذا وطِىءَ بقدمه وَطِىءَ بكُلِّها، ليس له أَخْمَص(١).

وهذا يوافِقُ معنى قوله: مَسِيح القَدَمين، وبه قالوا: سُمِّيَ المسيح [عيسى] بن مريم، أي [إنه] لم يكن له أَخْمَص.

وقيل: مَسيح: لا لحم عليهما.

وهذا أيضاً يخالفُ قوله: شَثْنَ القَدَمين.

والتقلُّع: [هو] رَفع الرِّجْلين(٢) بقُوَّة.

والتَكَفُّؤُ: الميل إلى سَنَنِ المَشْي(٣)، وقَصْده.

والهَونُ: الرِّفق (٤٢/ب) والوَقار.

والذَّرِيع: الواسع الخَطْو؛ أي: إنّ مَشْيَه كان يرفَعُ فيه رجليه بسرعة، ويمدّ خَطْوَه، خلاف مِشْيَةِ المُخْتال، ويقصِدُ سَمْتَه؛ وكل ذلك بِرفْقٍ وتثبُّت دون عَجَلة، كما قال: «كأنما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ».

وقوله: يَفْتتح الكلام ويختمه بأشداقه: أي لسعَةِ فَمِه. والعربُ تتمادحُ بهذا وتَذُمُّ بصِغَر الفم.

وأشاح: مال وانقبض.

وَحَبُّ الغَمَام: البرَد.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل/ المناهل (٣٥١).
(٢) في نسخة: «الرجل».
(٣) في الأصل: «الممشىٰ» والمثبت من المطبوع.

وقوله: **فيردّ ذلك بالخاصة على العامة**؛ أي جعل من جُزْءِ نفسه ما يُوصِّل الخاصةَ إليه فتُوَصِّلُ عنه للعامّة.

وقيل: يجعل منه للخاصة، ثم يُبْدلها في جُزْءٍ آخر بالعامة.

ويدخلون رُوَّاداً: أي محتاجين[1] إليه، وطالبين لما عنده.

ولا يتفرقون[2] إلا عن ذَوَاق: قيل: عن عِلْمٍ يتعلمونه؛ ويُشْبِهُ أن يكونَ على ظاهره، أي في الغالب والأكثر.

والعَتَاد: العُدَّة، والشيء الحاضر المُعَدّ.

والمُوازرة: المعاونة.

وقوله: **لا يُوطِنُ الأماكن**: أي لا يتخذ لمُصَلّاه موضعاً معلوماً.

٣٨٣ ـ وقد وردَ نَهْيهُ عن هذا مفَسَّراً في غير هذا الحديث[3].

وصابرَه: أي حبس نَفْسه على ما يريدُ صاحبُه.

ولا تُؤْبَن فيه الحُرَم: أي لا يُذْكَرْنَ [فيه] بسُوء.

ولا تُنْثَى فَلَتَاته[4]: أي [لا] يُتَحَدَّثُ بها؛ أي لم تكن فيه فَلْتَةٌ، وإن كان[5] من أَحَدٍ سُتِرَتْ.

ويَرْفِدون: يُعِينون.

والسَّخَّاب: الكثير الصِّياح.

---

(١) في نسخة: «محتاجون».

(٢) جاءت في متن الحديث: «ولا ينصرفون».

(٣) النهي عن توطين الأماكن أخرجه أبو داود (٨٦٢)، والنسائي (٢/ ٢١٤)، وابن ماجه (١٤٢٩) وغيره من حديث عبد الرحمن بن شبل. وصححه الحاكم (١/ ٢٢٩)، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً ابن حبان (٤٧٦) موارد، وهناك استوفينا تخريجه. وأخرجه أيضاً أحمد ٥/ ٤٤٧ من حديث أبي سلمة الأنصاري.

(٤) الفلتات: السقطات.

(٥) في نسخة: «كانت».

وقوله: ولا يَقْبَلُ الثناءَ إلا من مُكَافِىء. قيل: مقتصد في ثنائه ومَدْحِه.

وقيل: إلاّ مِنْ مسلم.

وقيل: إلا من مُكافىء على يَدٍ سبقت من النبي ﷺ له.

ويستفِزُّه: يستخفُّه.

٣٨٤ ـ وفي حديث آخر في وصْفِه: «مَنْهوسَ العَقِب»[١]؛ أي قليلُ لَحْمها.

٣٨٤م ـ وأَهْدَب الأشفار[٢]: أي طويل شَعرها. انتهى والله حسبنا.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣٩) عن جابر بن سَمُرَةَ. وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٣٧٩).

(٢) فقرة من حديث علي المتقدم برقم (٤١، ٦١، ٢٨٥، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨١).

البـاب الثالـث

فِيْمَـا وَرَدَ مِـنْ صَحِيْـحِ الأَخْبَـارِ وَمَشْهُورِهَـا بِعَظِيْـمِ قَـدْرِهِ عِنْـدَ رَبِّـهِ وَمَـنْزِلَتِـهِ ، وَمَـا خَصَّـهُ بِـهِ فِـيْ الدَّارَيْـنِ مِـنْ كَرَامَتِـهِ عَلَيْـهِ السَّـلامُ

لا خلافَ أنه أَكْرَمُ البشر ، وسيّدُ وَلَدِ آدم ، وأفضلُ الخلق عند الله[1] وأعلاهم دَرَجةً ، وأقربهم زُلْفى .

واعلم (٤٣/أ) أنَّ الأحاديثَ الواردة في ذلك كثيرةٌ جداً ، وقد اقتصرنا منها على صَحِيحِها ومُنْتَشِرها ، وحَصَرْنا معانِيَ ما ورد منها في اثني عشر فصلاً .

الفصـل الأول

فِيْمَـا وَرَدَ بذِكْـر[2] مَكَانَتِـهِ عِنْـدَ رَبِّـهِ ، وَالاصْطِفَـاءِ ، وَرِفْعَـةِ الذِّكْـرِ وَالتَّفْضِيْـلِ وَسِيَـادَةِ وَلَـدِ آدمَ ، ومـا خَصَّـهُ بِـهِ فـي الدُّنْيـا مِـنْ مَـزَايـا الرُّتَـب وبَـرَكَةِ اسْمِـهِ الطَّيِّـب

٣٨٥ ـ أخبرنا الشيخ أبو محمد : عَبْد الله بن أحمد العَدْل إذْناً بلفظه ؛ قال :

---

(١) في نسخة : «وأفضل الناس منزلة عند الله» .

(٢) في نسخة : «من ذكر» .

حدثنا أبو الْحَسَن[1] الفَرْغاني ، حدثتنا أُمُّ القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب ، عن أبيها [قال]: حدثنا حاتم ، وهو: ابن عَقِيل ، عن يحيى ، هو: ابن إسماعيل ، عن يحيى الحِمَّاني ، حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن عَبَايَة بن رِبْعِيّ ، عن ابن عباس؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ قسم الخَلْقَ قِسْمَيْنِ ، فجعلني مِنْ خيرهم قِسْماً؛ فذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١]. فأنا من أصحابِ اليمين؛ وأنا خَيْرُ أصحابِ اليمين.

ثم جعل القسمين أَثْلاثاً؛ فجعلني في خيرها ثُلثاً ، وذلك قولُه [تعالى]: ﴿فَأَصْحَٰبُ[2] ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ ، ١٠]. فأنا مِن السابقين ، وأنا خَيْرُ السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائلَ؛ فجعلني من[3] خيرها قَبيلة ، وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

فأنا أَتْقَى وَلَدِ آدم ، وأكرمُهم على الله ، ولا فَخْرَ.

ثم جعل القبائلَ بيوتاً ، فجعلني في خَيْرها بَيْتاً[4]؛ فذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[5] [الأحزاب: ٣٣].

٣٨٦ ـ وعن أبي سَلَمة ، عن أبي هُريرة ، قال: قالوا: يا رسولَ الله! متى

---

(١) في نسخة: «أبو الحسين». وهي الأصح كما في نسيم الرياض ٢/ ١٩٨ .
(٢) في الأصل: «وأصحاب» ، ولفظ الكلمة في المصحف كما أثبتها .
(٣) في المطبوع: «في» .
(٤) أقحم الناسخ فوقها: «ولا فخر» وعلّم عليها بالصحة . وهي ليست في المطبوع .
(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٤ ـ ٢١٥ وقال: «رواه الطبراني وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمَّاني وغسان ـ هكذا ، وصوابه: عباية ـ بن رِبْعِيّ ، وكلاهما ضعيف». وذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢٦٩٣) ونقل عن أبيه قوله: «هذا حديث باطل».

وجبَتْ لكَ النبوّة؟ قال: «وآدمُ بين الرُّوح والجسد»[1].

٣٨٧ ـ وعن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَع قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ اصطفى من ولَد إبراهيم إسماعيلَ. واصطفى من ولدِ إسماعيل بني كِنَانَة، واصطفى من بني كِنَانة قُرَيشاً، واصطفى من قُرَيش بني هاشم، واصطفاني مِنْ بني هاشم»[2].

٣٨٨ ـ ومن حديث أَنَس: «أَنَا أَكْرَمُ (٤٣/ب) ولدِ آدم على رَبِّي، ولا فَخْرَ»[3].

٣٨٩ ـ وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أَنا أَكْرَمُ الأَوّلين والآخِرين، ولا فَخْرَ»[4].

٣٩٠ ـ وعن عائشة، عنه عليه السلام: «أتاني جبريل، فقال: قلَّبْتُ مشارِقَ الأرض ومغارِبَها فلم أَرَ رجلاً أفضلَ من محمد، ولم أَرَ بني أبٍ أفضلَ من بني هاشم»[5].

٣٩١ ـ وعن أَنَس: أن النبيّ ﷺ أُتِيَ بالبُرَاقِ ليلةَ أُسْرِي به، فاستَصْعَبَ عليه، فقال له جِبْرِيل: بمُحَمَّدٍ تفعلُ هذا؟ فما رَكِبَكَ أحَدٌ أكرمُ على الله منه، فارْفَضَّ عرَقاً[6].

٣٩٢ ـ وعن ابن عباس، عنه ﷺ: «لمَّا خلق الله آدمَ أهبطني في صُلْبِه إلى الأَرْض، وجعلني في صُلْب نوح في السفينة، وقذَف بي في النار في صُلْبِ إبراهيم، ثم لم يزَلْ يَنْقُلني في الأصلابِ الكريمة إلى الأرحام الطاهرةِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٠٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وسيأتي من حديث العرباض بن سارية برقم (٤١٢).

(٢) تقدم برقم (١٢٩).

(٣) بعضُ حديث سيأتي برقم (٤٩٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي رقم (٤٨). قال الترمذي: «هذا حديث غريب». وسيورده المصنف برقم (٥٠٤، ٥٤٦).

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١٧) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه موسى بن عُبيدة الربذي، وهو ضعيف».

(٦) تقدم برقم (٢) وهناك شرحت غريبه.

حتى أخرجني بين أبوَيّ لم يَلْتقِيا على سِفاح قطُّ»[1].

٣٩٣ ـ وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله:

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[2]
ثُم هبَطْتَ البِلادَ لا بَشَرٌ أَنـ ـتَ وَلا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ[3]
بَلْ نُطْفَةٌ تركبُ السَّفِينَ، وقَدْ أَلْـ ـجَمَ نَسْراً[4] وأهْلَهُ الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صالبٍ إلى رَحِمٍ إذا مضَى[5] عالَمٌ بدَا طَبَقُ[6]
حتى احتوىَ بَيْتُكَ المُهَيْمِنُ مِنْ خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَها النُّطُقُ[7]
وأنتَ لمّا وُلِدْتَ أشرقتِ الـ أَرْضُ وضاءَت بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ في ذلكَ الضياء وفي النّورِ وسُبُلِ الرَّشاد نَخْتَرِقُ[8]

في أبيات أُخَرَ[9].

---

(١) تقدم برقم (١٣١).

(٢) أي في الجنة، حيث خصف آدم وحوّاء عليهما من ورق الجنة/ النهاية.

(٣) أي لمَّا أهبط الله آدم إلى الدنيا كنت في صُلبه، غيرَ بالغ هذه الأشياء/ النهاية.

(٤) يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح عليه السلام/ النهاية.

(٥) في الأصل «بدا» والمثبت من نسخة على هامش الأصل.

(٦) الصالب: الصُّلْبُ، وهو قليل الاستعمال. (طبق) الطبق: قَرْنٌ. يقول: إذا مضى قَرْنٌ بدا قرنٌ.

(٧) أراد ببيتك: شرفه. (المهيمن): الشاهد، وهو نعت للبيت. وانظر تفسيراً آخر عند الرقم (٦٤٧). (خِندف) هو في الأصل المشي بهرولة، ثم جعل علماً على ليلىٰ القضاعية امرأة إلياس بن مضر، وهي ذات نسب. (النطق): هي أعراض من جبال بعضها فوق بعض. ومعنىٰ البيت: حتى احتوىٰ شرفُكَ الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خِنْدِفَ.

(٨) بعده في المطبوع:

يا بَرْدَ نارِ الخليلِ يا سبباً لِعِصْمَةِ النارِ وهي تحترقُ

(النطق): أوسط الجبال العالية.

(٩) أخرج هذه القصيدة الحاكمُ في المستدرك ٣/ ٣٢٧، والذهبي في السير ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣، وابن الأثير في أسد الغابة ترجمة (١٤٣٨)، وابن عبد البر في الاستيعاب، وغيرُهُ، من رواية خريم بن أوس أنه سمع العباس بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله! إني أريد أن أمتدحك، فقال رسول الله ﷺ: «قل، لا يفضض الله فاكَ فقال العباس...» وذكر هذا=

٣٩٤ ـ ورَوَى عنه ﷺ أبو ذرّ[١] .

٣٩٥ ـ وابن عُمر[٢] .

٣٩٦ ـ وابن عباس[٣] .

٣٩٧ ـ وأبو هُرَيرة[٤] .

٣٩٨ ـ وجابر بن عبد الله ـ أنه قال : «**أُعطِيت خمساً** ـ وفي بعضها : **ستّاً** ـ **لم يُعْطَهُنَّ نَبِيّ قبلي : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرةَ شَهْرٍ ، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطَهُوراً ، وأيُّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاةُ فليصلّ ، وأُحِلَّت لي الغنائمُ ، ولم تحلّ لنبيّ قبْلي ، وبُعِثت إلى الناس كافَّـةً ، وأعطيت الشفاعة**»[٥] .

٣٩٩ ـ وفي رواية ـ بدل هذه الكلمة : «**وقيل لي : سَلْ تُعْطَهْ**»[٦] .

= الحديث الهيثمي في المجمع ٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨ وقال : «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم» . وقال الحاكم : «هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم ، وأمثالهم من الرواة لا يَـضَعُون» . وتعقبه الذهبي في السير بقوله : «ولكنهم لا يعرفون» وقال السيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/ ٢٦٥ : «والأبيات للعباس بلا خلاف» .
وانظر السيرة لابن كثير ١/ ١٩٥ ، والإصابة ترجمة خُـرَيْـمِ بن أوس . وسيأتي البيت الخامس برقم (٦٤٧) .

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٨ ، والبزار (٣٤٦١) ، وأبو داود (٤٨٩) مختصراً وغيره ، وصححه ابن حبان (٢٠٠) موارد الظمآن ، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٥٩ : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٩ ، وقال : «رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن يحيى بن كهيل وهو ضعيف» .

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٣٠١ ، والبزار (٢٤٤١) ، قال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٥٨ : «. . . ورجال أحمد رجال الصحيح غير يزيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث» . وانظر الرواية الآتية برقم (٣٩٩) .

(٤) أخرجه مسلم (٥٢٣) ، وانظر الحديث الآتي برقم (٤٠٢) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) .

(٦) أخرج هذه الرواية الطبراني من حديث ابن عباس المتقدم برقم (٣٩٦) ولفظها : «وقيل لي : سَلْ تُعْطَهْ فادّخرت دعوتي شفاعة لأمتي» .

٤٠٠ ـ وفي رواية أخرى: «وعُرِض عَلَيَّ أُمتي فلم يَخْفَ عليَّ التابعُ مِن (٤٤/أ) المتبوع»[1].

٤٠١ ـ وفي رواية: «بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود»[2].

وقيل: السود: العرب؛ لأَنَّ الغالبَ على ألوانهم الأُدْمَة؛ فهم من السُّودِ. والحُمْر: العَجَم. وقيل: البيضُ والسود من الأمم. وقيل: الحُمْر: الإنْس. والسود: الجنُّ.

٤٠٢ ـ وفي الحديث الآخر، عن أبي هريرة: «نُصِرتُ بالرُّعْبِ، وأُوتِـيتُ جوامِعَ الكَلِمِ، وبيْنَا أنا نائم إذ جِيءَ بمفاتيح خزائن الأرضِ فوُضِعت في يديَّ»[3].

٤٠٣ ـ وفي رواية عنه: «وخُتِمَ بي النبيّون»[4].

٤٠٤ ـ وعن عُقبةَ بن عامر أنه قال: قال ﷺ: «إني فَرَطٌ لكم، وأَنا شَهيدٌ عليكم. وإنّي واللهِ! لأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآن، وإني قد أُعطِيت مفاتيح خزائن الأرض. وإني والله! ما أخافُ عليكم أَنْ تُشْرِكُوا بعدي، ولكني أخافُ عليكم أَنْ تَـنافَسُوا فيها»[5].

٤٠٥ ـ وعن عَبْدِ الله بن عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أنا محمدٌ، النبيُّ

---

(١) فقرة من حديث الإسراء الطويل. رواه البزار (٥٥) وغيره من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره عن أبي هريرة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٦): «ورجاله موثقون، إلا أن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية أو غيره، فتابعيُّه مجهول» وعند البيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٩٧ ـ ٤٠٣ والمصنَّف (٦٣٦) بدون شك. وقال ابن كثير في التفسير: وهذا الحديث في بعض ألفاظ غرابة ونكارة شديدة...» وسيأتي بعض منه برقم (٤٠٧، ٤٤١، ٤٤٣، ٦٣٦).

(٢) تقدم من حديث أبي ذر برقم (٣٩٥)، ومن حديث ابن عباس برقم (٣٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣/٧).

(٤) أخرجه مسلم (٥٢٣/٥).

(٥) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦). (فرط لكم): متقدمكم.

الأُمِّيُّ ، لاَ نَبِيَّ بعدي ، أُوتيت جوامِعَ الكلم وخواتِمَهُ ، وعلمتُ خَزَنَة النار وحَمَلة العَرْشِ»[1].

٤٠٦ ـ وعن ابن عمر: «بُعِثْتُ بين يَدَي السَّاعَةِ»[2].

٤٠٧ ـ ومن رواية ابن وَهْب ـ أنه ﷺ ـ قال: «قال الله تعالى: سَلْ ، يا محمد! فقلتُ: ما أسألُ؟ يا ربِّ! اتخذْتَ إبراهيمَ خليلاً ، وكلَّمْتَ موسى تَكْلِيماً ، واصطفيْتَ نوحاً ، وأعطيْتَ سليمان مُلْكاً لا ينبغي لأحَدٍ من بعده ، فقال اللهُ تعالى: ما أعطيتُك خَيْرٌ من ذلك؛ أعطيتُكَ الكَوْثَرَ ، وجعلتُ اسْمَكَ مع اسمِي ، يُنَادَى به في جَوْف السماء ، وجعلتُ الأرض طَهوراً لكَ ولأُمتك ، وغَفَرْتُ لك ما تقدَّم مِنَ ذَنْبك وما تأَخَّر؛ فأَنْتَ تَمْشي في الناس مغفوراً لك ، ولم أَصْنَع ذلك لأحد قبلكَ ، وجعلتُ قُلوبَ أمتك مَصاحِفَها ، وخبأْتُ لكَ شفاعتك ، ولم أَخْبأها لنبيّ غيرك»[3].

٤٠٨ ـ وفي حديث آخر ، رواه حُذيفة: «بَشَّرني ـ يعني: ربَّه ـ أَول من يدخُل الجنةَ معي مِنْ أُمتي سبعونَ أَلفاً ، مع كلِّ أَلفٍ سبعون أَلْفاً ليس عليهم حسابٌ؛ وأعطاني أَلاَّ تجوعَ أمتي ولا (٤٤/ب) تُغْلَب ، وأعطاني النصرَ ، والعزَّةَ ، والرُّعْبَ يسعى بين يَدَيْ أُمتي شَهْراً ، وطيَّبَ لي ولأُمتي المغانِمَ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٢ ، وحسّن إسناده السيوطي في المناهل (٣٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) ولفظه: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له. وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم» وحسَّن إسناده السيوطي في المناهل (٣٦٨). وعلّق البخاري (٦/ ٩٨ فتح) الفقرة الثانية والثالثة منه. وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة مطبوعة في شرح هذا الحديث بعنوان: «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة» فارجع إليها فإنها قيمة.

(٣) في نسخة: «قبلك». وهو طرف من حديث أبي هريرة المتقدم برقم (٤٠٠) وسيأتي طرف منه برقم (٤٤١م ، ٤٤٣ ، ٥٤٧ ، ٦٣٦).

وأَحلَّ لنا كثيراً مما شدَّدَ على مَنْ قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدِّين مِن حَرَج»[1] .

٤٠٩ ـ وعن أبي هريرة ، عنه ﷺ : **«ما مِنْ نبيٍّ من الأنبياء إلا وقد أُعْطِيَ من الآيات ما مِثْلُه آمَنَ عليه البَشَرُ؛ وإنما كان الذي أُوتِيتُ وحْياً أَوْحى اللهُ إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يَوْمَ القيامة»**[2] .

معنى هذا عند المحقِّقين : بقاءُ معجزاتِه[3] ما بَقِيت الدنيا ، وسائرُ معجزاتِ الأنبياءِ ذهبت لِلْحِين ، ولم يشاهدها إلا الحاضِرُ لها ، ومعجزةُ القرآنِ يقِفُ عليها قَرْنٌ بعد قَرْن عِيَاناً لا خَبَراً إلى يوم القيامة .

وفيه كلامٌ يطولُ ، هذا نُخْبَتُـهُ . وقد بسطنا القولَ فيه ، وفيما ذُكِرَ فيه سِوَى هذا آخِرَ باب المعجزات .

٤١٠ ـ وعن عليّ رضي الله عنه : كُلُّ نَبيّ أُعْطِيَ سبعةَ نُجباء من أمته[4] ، وأُعطي نَبِيُّكم [ﷺ] أربعة عشر نَجِيباً ، منهم أبو بكر ، وعمُر ، وابن مسعود ، وعمّار[5] .

٤١١ ـ وقال ﷺ : **«إنَّ اللهَ قد حبَس عن مكَّةَ الفِيلَ ، وسلَّطَ عليها رسولَه والمؤمنين؛ وإنَّها لم[6] تَحِلَّ لأَحدٍ بَعْدِي ، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهار»**[7] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣) ، وفي إسناده ابن لَهِيْعَةَ ، وحسّن إسناده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١) ، ومسلم (١٥٢) . وسيأتي برقم (١١٣٨) .

(٣) في المطبوع : «معجزته» .

(٤) قوله : «من أمته» ، لم يرد في المطبوع .

(٥) أخرجه أحمد ١/ ١٤٢ ، ١٤٩ ، موقوفاً على عليٍّ رضي الله عنه . وأخرجه ـ عنه مرفوعاً ـ الترمذي (٣٧٨٥) . وأحمد (١/ ٨٨) وفي سنده كثير النوَّاء . قال في التقريب : «ضعيف» . وقال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» . (نجباء) : النجيب : هو الكريم من الرجال المُختارُ .

(٦) في نسخة : «لا» .

(٧) أخرجه البخاري (١١٢) ، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة .

٤١٢ ـ وعن العِرْبَاضِ بن سارِيَة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عَبْدُ الله وخاتَمُ النبيين؛ وإنّ آدَمَ لمُنْجَدِلٌ في طِينَتِه، وَعِدَةُ[1] أبي: إبراهيم، وبِشَارةُ عيسى بن مريم»[2].

٤١٣ ـ وعن ابن عباس: قال: إنّ اللهَ فضّلَ محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياءِ صَلَوَاتُ الله عليهم؛ قالوا: فما فَضْلُه على أهل السماء؟ قال: إن اللهَ تعالى قال لأهل السماء: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وقال لمحمد [ﷺ]: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] الآية [الفتح: ١، ٢].

قالوا: فما فَضْلُه على الأنبياء؟ قال: إنّ اللهَ [تعالى] قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ . . . . ﴾ الآية [إبراهيم: ٤].

وقال لمحمد: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ. . . ﴾ [سبأ: ٢٨].

٤١٤ وحتى ٤١٧ ـ وعن خالد بن مَعْدَانَ: أنَّ نَفَراً من أصحابِ رسول الله ﷺ قالوا: يا رسولَ اللهِ! (٤٥/أ) أَخْبِرْنا عن نفسك؟ ـ وقد رُوي نحوه

---

(١) في الأصل: «وَعِدَةُ». وكتب فوقها الناسخ: «دَعْوَةُ» ورمز لها بالصحة. وهي في مصادر التخريج: «دَعْوَةُ».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٣٦٢٦)، والطبراني في الكبير مجلد (١٨) برقم (٦٣٠)، والبزار (٢٣٦٥) وغيره، وصححه ابن حبَّان (٢٠٩٣) موارد، والحاكم (٢/ ٤١٨، ٦٠٠) ووافقه الذهبي في الموضع الأول، وقال في الثاني: «أبو بكر ضعيف». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٣ وقال: «. . . وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سويد بن سعيد، وقد وثقه ابن حبان». وقال البخاري: لم يصح حديثه ـ يعني هذا. وانظر الأحاديث التالية برقم (٤١٤ ـ ٤١٧). (منجدل): أي ملقى على الأرض، والمراد: أن آدم كان بعد تراباً لم يصوّر ولم يخلق.

(٣) أخرجه الدارمي برقم(٤٧) وغيره موقوفاً على ابن عباس. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير الحكم بن أبان وهو ثقة. . .».

عن أبي ذرّ[1] وشدّاد بنِ أوْس[2] ، وأنسِ بن مالك[3] ـ

فقال: «نعم ، أنا دَعْوةُ أبي إبراهيم ـ يعني قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ ـ[البقرة: ١٢٩]ـ وبُشْرَى عيسى. ورأتْ أُمّي حين حملَتْ بي أنه خرج منها نورٌ أضَاءَ له قصورُ بُصْرَى[4] من أرض الشام ، واستُرْضِعْتُ في بني سَعْد بن بكر ، فبينا أنا مع أخٍ لي ، خَلْفَ بيوتنا ، نَرْعَى بَهْما لنا ، إذ جاءني رجُلان عليهما ثيابٌ بِيض.

٤١٨ ـ وفي حديث آخر: «ثلاثة رجال»[5] ـ«بِطَسْتٍ من ذهب مملوءة ثَلْجاً ، فأَخذَاني فشقّا بَطْنِي».

٤١٩ ـ قال في غير هذا الحديث: «من نَحْرِي إلى مَرَاقِّ بطني[6] ـ ثم استخرجا منه قلبي ، فشقّاه ، فاستخرجا منه علقَةً سَوْدَاء فطرحاها ، ثم غسَلا قلبي وبَطْنِي بذلك الثلج حتى أَنْقَيَاه».

٤٢٠ ـ قال في حديث آخر: «ثم تناول أحدُهما شيئاً فإذا بخاتم في يده من نُور يحارُ الناظرُ دونه ، فختم به قلبي ، فامتلأ إيماناً وحكمةً ، ثم أعاده مكانَه ، وأَمَرَّ الآخَرُ يدَه على مَفرِق صدري فالتأم».

٤٢١ ـ وفي رواية: «إنَّ جبريل قال: قَلْبٌ وَكيع ـ أي شديد ـ فيه عينان

---

(١) أخرجه الدارمي برقم (١٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وقال: «رواه البزار وفيه جعفر بن عبد الله بن عثمان بن كبير ، وثقة أبو حاتم الرازي وابن حبان ، وتكلم فيه العقيلي ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه أبو نعيم في الدلائل/ المناهل (٣٧٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الدلائل/ المناهل (٣٧٩). وانظر البخاري (٧٥١٧) ، وصحيح مسلم (١٦٢).

(٤) هي ـ الآن ـ مدينة تتبع محافظة درعا ، جنوب سورية ، تبعد عن دمشق (١٢٤) كيلاً ، وفيها آثار رومانية.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥١٧) ومسلم ، (١٦٢/ ٢٦٢) من حديث أنس. ولفظه: «ثلاثة نفر».

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٣/ ٢٦٥) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة. (إلى مَراقِّ بطني): هو ما سفل من البطن ورقَّ من جلده.

تُبْصِرَان ، وأُذُنان تَسْمَعان»(١) ثم قال أحدُهما لصاحبه: زِنْهُ بعشَرة من أمته ، فوزَنَنِي فرجَحْتُهم ، ثم قال: زِنْهُ بمئة من أمته ، فوزنني بهم فوزَنْتُهم؛ ثم قال: زِنْهُ بألفٍ من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم؛ ثم قال: دَعْهُ عنك ، فلو وزَنْتَه بأمته لوزَنَها ﷺ»(٢).

٤٢٢ ـ قال في الحديث الآخَر: «ثم ضَمُّوني إلى صدورهم ، وقَبَّلُوا رأسي ، وما بين عينيَّ ، ثم قالوا: يا حبِيبُ! لم تُرَعْ ، إنك لو تَدْرِي ما يُرَاد بكَ من الخير لقرَّتْ عيناكَ»(٣).

٤٢٣ ـ وفي بقية هذا الحديث من قولهم: «ما أكرمكَ على الله! إنَّ اللهَ معكَ وملائكتَه».

٤٢٤ ـ قال في حديث أبي ذرّ: «فما هو إلاّ أَنْ ولَّيَا عني ، فكأنما أَرى الأمْرَ مُعَاينةً»(٤).

٤٢٥ ـ وحكى أبو محمد: مَكّيٌّ ، وأبو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ وغيرُهما ـ أنَّ آدَمَ عند مَعْصِيته قال: اللهم! بحقّ محمدٍ اغفر لي خطيئتي.

ويُرْوى: تقبَّـلْ توبتي. فقال له اللهُ: مِنْ أين (٤٥/ب) عرفْتَ محمداً؟ قال: رأيتُ في كل موضع من الجنة مكتوباً: لا إله إلا اللهُ ، محمدٌ رسولُ الله

---

(١) الدارمي برقم (٥٤) عن ابن غَنْم ، وأبو نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة بن حلبس/ المناهل (٣٨٠). وفي المطبوع: «سميعتان» بدل «تسمعان».

(٢) إلى هنا رواية خالد بن معدان. وأخرجه ابن إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ١/ ١٦٦ ـ عن ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: ... ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الحاكم مختصراً ٢/ ٦٠٠ وقالَ: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد ٤/ ١٨٤ ، والدارمي برقم (١٣) من حديث خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي ، عن عُتْبَة السلمي مرفوعاً ، وزاد الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٢٢ نسبته إلى الطبراني وقال: «وإسناد أحمد حسن».

(٣) قطعة من حديث خالد بن معدان السابق ، رواه الطبري.

(٤) تقدم حديث أبي ذر برقم (٤١٦).

ـ ويُرْوَى: محمدٌ عَبْدِي ورسولي ـ فعلمتُ أنه أكرمُ خَلْقك عليك ، فتاب اللهُ عليه ، وغفر له[1].

وهذا عند قائله تأويلُ قوله [تعالى]: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

وفي روايةِ الآجُرّي[2] [قال]: فقال آدم: لمّا خَلَقْتَني ، رفعْتُ رأسي إلى عرشك فإذا مكتوب فيه: لا إله إلا اللهُ ، محمد رسولُ الله؛ فعلمتُ أنه ليس أحدٌ أعظمَ قَدْراً عندك ممن جعلْت اسمه مع اسمك ، فأوحى اللهُ إليه: وعِزَّتي وجلالي! إنه لآخِرُ النبيين من ذُرِّيتك ولَوْلاَه ما خلقتُكَ.

٤٢٦ ـ قال: وكان آدمُ يُكْنَى بأَبي محمد[3].

وقيل: بأَبي البشر.

ورُوي عن سُرَيجِ بن يونس أنه قال: إنّ للهِ ملائكةً سَيَّاحين عِيَادتُها كلّ دارٍ فيها أحمد ، أو محمد ، إكراماً منهم لمحمد ﷺ.

٤٢٧ ـ وروَى ابنُ قانع القاضي ، عن أبي الحَمْرَاءِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لمَّا أُسْرِيَ بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا اللهُ ، محمد رسول الله ، أَيَّـدْتُه بعليّ»**[4].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥) والبيهقي في الدلائل من حديث عمر بن الخطاب. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد». وتعقبه الذهبي فقال: «بل موضوع» ، وضعف إسناده البيهقي ، والسيوطي في المناهل (٣٨١). وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٣) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم» . (اللهم بحق محمد): أي بما يستحقه عندك من الزلفىٰ والكرامة.

(٢) في نسخة: «أخرى».

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن علي مرفوعا/ المناهل (٣٨٢).

(٤) رواه ابن قانع في معجم الصحابة والطبراني/ المناهل (٣٨٣). وقال الحافظ في الإصابة في ترجمة أبي الحمراء: «قال البخاري: يقال: له صحبة ، ولا يصح حديثه».

٤٢٨ ـ وفي التفسير ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف : ٨٢] .

قال : لَوْحٌ من ذهَب فيه مكتوب : عجبت[١] لمن أيْقَنَ بالقَدَر ، كيف يَنْـصَبُ؟ عجباً لمن أيْقَن بالنار كيف يضحك؟ عجباً لمَنْ يرى الدنيا وتقلُّبها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها؟ أنا الله ، لا إله إلا أنا ، محمد عَبْدِي ورسولي[٢] .

وعن ابن عباس : على باب الجنة مكتوب : إني أَنا الله ، لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، لا أعذِّب مَنْ قالها .

وذُكِرَ أنه وجد على الحِجَارة القَدِيمة مكتوب : محمد تَقِيٌّ مصلح ، وسيدٌ أمين .

وذكر السِّمِنْطَارِي[٣] أنه شاهدَ في [بعض] بلاد خُراسان مولوداً وُلد على أحد جَـنْـبَـيْه مكتوبٌ : لا إله إلا الله ، وعلى الآخر مكتوبٌ : محمد رسول الله .

وذكر الإخْبَارِيّون : أنَّ ببلاد الهند وَرْداً أحمر مكتوباً عليه بالأبيض : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ورُوي عن جعفر بن محمد ، عن أبيه[٤] : إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ : أَلاَ لِيَقُمْ من اسْمُه (٤٦/أ) محمد ، فليدخل الجنةَ لكرامةِ اسْمِه عليه السلام .

---

(١) في نسخة : «عجباً» .
(٢) أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك . وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على عمر وعلي . وأخرجه البزار مرفوعاً عن أبي ذر ـ كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٩٩ ، ومجمع الزوائد ٧/ ٥٣ ـ ٥٤ . وفي إسناده بشر بن المنذر قاضي المصيصة . قال العقيلي : في حديثه وهم .
(٣) هو عتيق بن علي السِّمِنْطاريُّ ، نسبة إلى سِمِنْطار : قرية بجزيرة صَقَلِّية بإيطاليا . فقيه مالكي ، صوفي أخباري ، توفي سنة (٤٦٤)هـ . من آثاره : أخبار الصالحين ، أخبار العلماء . وغيره/ معجم المؤلفين ٦/ ٢٤٨ .
(٤) في الأصل : «عن آله» ، والمثبت من المطبوع .

ورَوَى ابنُ القاسم[1] في سَمَاعه ، وابنُ وَهْب[2] في «جامعه» عن مالك قال: سمعتُ أهْلَ مكة يقولونَ: ما مِنْ بيتٍ فيه اسْمُ محمد ﷺ إلاّ نَما ورُزِقوا[3].

٤٢٩ ـ وعنه عليه السلام: «ما ضَرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة»[4].

٤٣٠ ـ وعن عَبْدِ الله بن مسعود: إنَّ اللهَ نظر إلى قلوب العباد ، فاختار منها قَلْبَ محمد عليه السلام ، فاصطفاه لنفسه ، فبعثه برسالته[5].

٤٣١ ـ وحكى النقَّاش أنَّ النبيَّ ﷺ ـ لما نزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] ـ قام خطيبا ، فقال: «يا مَعْشَر أهلِ الإيمانِ! إنَّ الله [تعالى] فضَّلني عليكم تفضيلاً ، وفضَّلَ نسائي على نسائكم تفضيلاً[6]...» الحديث.

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم العُتقي. صاحب الإمام مالك ، وعالم الديار المصرية ومفتيها. مات سنة (١٩١)هـ. وله من العمر (٥٩) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٢٠ ـ ١٢٥.

(٢) هو عبد الله بن وهبٍ المصري. فقيه ، ثقة ، حافظ ، عابد ، مات سنة (١٩٧)هـ وله (٧٢) سنة. من آثاره: كتاب الجَامع ، وكتاب المغازي وغيره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٣ ـ ٢٣٤.

(٣) في المطبوع «إلا قَدْ وُقُوا». وفي نسخة: «إلا رزقوا ورزق جيرانهم».

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» عن عثمان بن واقد العمري مرسلاً. ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٣٢).

(٥) أخرجه أحمد ١/ ٣٧٩ ، والبزار (٢٣٦٧) ، وذكر الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٥٣ وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله موثقون». وقال السيوطي في المناهل (٣٨٨): «رجاله ثقات».

(٦) ذكره السيوطي في المناهل (٣٨٩) ولم يخرجه.

فصـل

فِيْ تَفْضِيْلِهِ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ كَرَامَةُ الإسراءِ مِنَ المُنَاجَاةِ والرُّؤْيَةِ وَإِمَامَةِ الأَنْبِيَاء والعُرُوجِ بِهِ إِلىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهىٰ وما رَأَىٰ مِنْ آياتِ رَبِّه الكُبْرىٰ

ومن خصائصه ﷺ قصةُ الإسراءِ وما انطوت عليه من درجاتِ الرِّفْعة ممّا نبَّهَ عليه الكتابُ العزيزُ ، وشرحته صِحَاحُ الأخبار؛ قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ ، ١٨].

فلا خِلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ ، إذ هو نَصُّ القرآنِ ، وجاءت بتفصيله ، وشرح عجائبه ، وخَوَاصِّ نبينا محمد ﷺ ، فيه أحاديثُ كثيرة منتشرة ، رأينا أنْ نقدِّمَ أكْمَلَها ، ونُشِيرَ إلى زيادةٍ من غيره يجبُ ذِكْرُها.

٤٣٢ ـ حدثنا القاضي الشهيد: أبو علي ، والفقيه أبو بَحْر بسماعي عليهما ، والقاضي أبو عَبْد الله التميمي ، وغيرُ واحدٍ من شيوخنا؛ قالوا: حدثنا أبو العباس العُذْري [(١)]، حدثنا أبو العباس الرازي ، حدثنا أبو أحمد الجُلُودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثنا شَيْبَان بن فَرُّوخ ، حدثنا حمّاد بن سَلَمَةَ ، حدثنا (٤٦/ب) ثابت البُناني ، عن أنس بن

---

(١) في المطبوع زيادة: «قالوا» ، وهي خطأ .

مالك [رضي اللهُ عنه] أنَّ رسولَ الله قال: «أُتِيتُ بالبُرَاق ، وهو دابّة أبيضُ طويل ، فوق الحِمَار ، ودون البَغْلِ ، يضَعُ حافِرَهُ عند منتهى طَرْفِه - قال: فركبْتُه حتى أتيتُ بيْت المقدس ، فربطتُه بالحَلْقةِ التي يَرْبِطُ بها الأنبياء ، ثم دخلتُ المسجدَ فصلّيتُ فيه ركعتين ، ثم خرجتُ ، فجاءني جبريلُ بإناءٍ من خَمْر وإناءٍ من لَبَن ، فاخترتُ اللبنَ ، فقال جبريل: اخترْتَ الفِطْرة.

ثم عَرَج بنا إلى السماء ، فاستَفْتَح جبريلُ ، فقيل: مَنْ أنتَ؟ قال: جبريل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه ، ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بآدَمَ ﷺ ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير.

ثم عَرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستَفْتَح جبريلُ ، فقيل[1]: مَنْ أنتَ: قال: جبريل. قيل: وَمَن معكَ؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعِث إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه. ففُتِح لنا ، فإذا أنا بِابْنَيْ الخالة: عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما؛ فرحَّبَا بي ، ودعَوَا لي بخير.

ثم عَرَج بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مِثْل الأول ، ففُتِح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ ، وإذا هو قد أُعطِي شَطْرَ الحُسْنِ ، فرحَّب بي ، ودعا لي بخير.

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بإدريس ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير ، قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة: فذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بهارون ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير.

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مِثْلَه ، فإذا أنا بموسى ، فرحَّبَ بي ، ودعا لي بخير.

ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مِثْلَه ، فإذا أَنا بإبراهيم مُسْنِداً ظَهْرَه إلى البيت المعمور ، وإذا هو يَدْخُلُه كلَّ يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه.

---

(١) في نسخة: «قيل».

ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، فإذا ورَقُها كآذانِ الفِيَلة ، وإذا ثَمَرُها كالقِلاَل ، قال: فلما غَشِيَها من أمر الله ما غَشِيَ تغيرت ، فما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يستطيعُ (٤٧/أ) أنْ يَنْعَتَها من حُسْنها؛ فأوحى اللهُ إليَّ ما أَوْحَىٰ ، ففرضَ عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلْتُ إلى موسى ، فقال: ما فَرَضَ ربُّكَ على أُمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربِّكَ فاسأله التخفيفَ ، فإنَّ أُمتك لا يُطِيقون ذلك ، فإني قد بَلَوْتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم.

قال: فرجعتُ إلى رَبِّي ، فقلتُ: يا ربِّ! خفِّفْ عن أُمتي. فحَطَّ عني خمساً ، فرجعتُ إلى موسى ، فقلت: حَطَّ عني خمساً ، قال: إنَّ أُمتك لا يُطِيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أَزَلْ أَرْجِعُ بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا مُحَمَّدُ! إنهنَّ خَمْسُ صلواتٍ كلَّ يوم وليلةٍ ، لكل صلاةٍ عَشْرٌ ، فتلك خمسون صلاةً؛ ومن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتِبت له حسنةً ، فإن عملها كُتِبت له عَشْراً. ومَنْ هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تُكْتَبْ شيئاً ، فإنْ عملها كُتِبت سيئةً واحدة.

قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته ، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

قال رسولُ الله ﷺ: «فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحْيَيْتُ منه»[١].

قال المؤلِّف[٢]: جوَّدَ ثابِتٌ ـ رحمه الله ـ هذا الحديثَ عن أنس ما شاء ، ولم يَأْتِ أحدٌ عنه بأصوب من هذا.

٤٣٣ ـ وقد خلَّطَ فيه غيره عن أنس تخليطاً كثيراً ، لا سِيَّما من رواية

---

(١) أسنده المصنف من طريق مسلم (١٦٢). (سدرة المنتهى) قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم: سميت سِدْرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ، ولم يجاوزها أحدٌ إلا رسول الله ﷺ.
(ثمرها كالقلال) القلال: جمع قُلَّةٍ ، وهي الجرة الكبيرة.

(٢) في نسخة: «القاضي رضي الله عنه».

شَريك بن أبي نَمِر[1]؛ فقد ذكر في أوله مجيءَ الملك له ، وشَقَّ بَطْنِه ، وغَسْلَه بماء زمزم؛ وهذا إنما كان وهو صبّي ، وقَبْل الوحي[2].

وقد قال شَريك في حديثه: وذلك «قبل[3] أن يُوحَى إليه» وذكر قصةَ الإسراء. ولا خلاف أنها كانت بعد الوَحْي.

وقد قال غَيْرُ واحد[4]: إنها كانت قبل الهجرة بسنة ، وقيل: قَبْل هذا.

٤٣٤ ـ وقد رَوَى ثابت عن أنس ـ من رواية حمّاد بن سلَمة[5] ـ أيضاً مجيءَ جبريل إلى النبيّ ﷺ وهو يلْعَب مع الغِلْمان[6] عند ظِئْرِه[7] ، وشَقَّه قَلْبَه تلكَ القصة مفردة[8] من حديث (٤٧/ب) الإسْراءِ كما رواه الناسُ ، فجَوَّدَ في

---

(١) رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس. أخرجها البخاري (٧٥١٧) ، ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢) وفي رواية شريك هذه أوهام أنكرها العلماء. انظر الفتح ١٣/ ٤٨٠ .

(٢) بل شُقّ صدره الشريف أربع مرات. الأولى: عندما كان في مضارب حليمة. ثبت ذلك من حديث أنس بن مالك عند مسلم في صحيحه برقم (١٦٢).
الثانية: عندما كان ابن عشر حجج. روى ذلك عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥/ ١٣٩) وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء المقدسي في «المختارة» من حديث أُبَيِّ ابن كعب. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٣): «رجاله ثقات».
الثالثة: عند مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ بالوحي إليه حين نُبِّيءَ . ثبت ذلك عند الطيالسي، والحارث في مسنديهما، والبيهقي وأبي نعيم في دلائلهما من حديث عائشة.
الرابعة: ليلة الإسراء كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صَعْصَعَة.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٦٠): وروي ـ أي شق الصدر ـ مرة أخرىٰ خامسة، ولا تثبت». وانظر الحكمة من شق صدره الشريف في كل مرة، في الفتح (٧/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) هذه الكلمة ـ هنا ـ أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والنووي. والقاضي عياض كما ترى. انظر الفتح ١٣/ ٤٨٠ .

(٤) في نسخة: «وقد قال غيره».

(٥) رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس في شق صدره ﷺ حينما كان يلعب مع الغلمان ، أخرجها مسلم (١٦٢/ ٢٦١).

(٦) في نسخة: «الصبيان».

(٧) ظئره: مرضعته.

(٨) في نسخة: «بتلك القصة منفردة».

القصتين ، وفي أَنَّ الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سِدْرَةِ المنتهى كان قصةً واحدة ، وأنه وصل إلى بيت المَقْدِس ، ثم عرج [به] من هناك ، فأزاح كلَّ إشْكال أوهَمَهُ غيرُه .

٤٣٥ ـ وقد رَوَى يونس ، عن ابن شهاب ، عن أنس ، قال: كان أبو ذَرٍّ يحدِّثُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال: «فُرِجَ سَقْفُ بيتي ، [وأنا بمكة][١] فنزل جبريلُ ، ففَرَجَ صَدْري ، ثم غَسَلَهُ مِنْ ماءِ زمزم ، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهَب ممتلىء حكمةً وإيماناً ، فأفرغها في صَدْري ، ثم أَطْبَقه ، ثم أخذ بيدي فعَرَج بنا[٢] إلى السماء . . . »[٣] فذكر القصة .

٤٣٦ ـ وروىٰ قَتَادة الحديثَ ، بمثلِه ، عن أَنس ، عن مالك بن صَعْصَعةَ[٤] ، وفيها تقديم وتأخير وزيادةٌ ونَقْصٌ ، وخلافٌ في ترتيب الأنبياء في السموات .

وحديثُ ثابت ، عن أنس[٥] ، أتقن وأجْوَدُ .

وقد وقعَتْ في حديث الإسراء ، زياداتٌ نَذْكُر منها نُكَتاً مفيدة في غرضنا :

٤٣٧ ـ منها في حديث ابن شهاب ، وفيه: قولُ كل نبيّ له: «مرحباً بالنبي الصالح ، والأخ الصالح» إلا آدم وإبراهيم فإنهما قالا له: «والابن الصالح»[٦] .

٤٣٨ ـ وفيه ، من طريق ابن عباس: «ثم عَرَج بي حتى ظهَرْتُ لمستوًى[٧] أسمعُ فيه صرِيفَ الأقلام»[٨] .

---

(١) ما بين حاصرتين من البخاري ومسلم .

(٢) في نسخة: «بي» ، وهي رواية البخاري ومسلم .

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) من طريق يونس ، به . وسيأتي برقم (٤٥٥) و(٤٦١) . (فُرِجَ): فُتِحَ . (فَفَرَج صدري): أي شَقَّه . (الطست): إناء معروف .

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

(٥) أي المتقدم برقم (٤٣٢) .

(٦) تقدم حديث ابن شهاب الزهري عن أنس برقم (٤٣٥) .

(٧) في الأصل: «على مستوى» . وفي هامشه: «بمستوًى» . والمثبت من البخاري ومسلم .

(٨) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) من طريق ابن شهاب الزهري ، أخبرني ابن حزم ، =

٤٣٩ ـ وعن أنس: «ثم انطلق بي حتى أَتيتُ سِدْرة المُنْتَهى ، فغَشِيهَا ألوانٌ لا أدري ما هي؟ قال: ثم أدْخِلْتُ الجنةَ»[١].

٤٤٠ ـ وفي حديث مالك بن صَعْصَعَةَ: «فلما جاوَزْتُه ـ يعني: موسى ـ بكى ، فنُودِي: ما يُبْكِيك؟ قال: ربِّ! هذا غلامٌ بعثْتَه بَعْدِي يَدْخلُ من أمته الجنةَ أكثَرُ ممّا يدخلُ من أمتي»[٢].

٤٤١ ـ وفي حديث أبي هريرة [رضي الله عنه]: «وقد رأيتني في جماعةٍ من الأنبياء ، فحانت الصلاةُ ، فأَمَمْتُهم ، فقال قائل: يا مُحَمَّدُ! هذا مالكٌ خازِنُ النار ، فسلِّمْ عليه . فالتفتُّ فبدأني بالسلام»[٣].

٤٤١م ـ وفي حديث أبي هُريرة: ثم سار حتى أتى [إلىٰ] بيت المقدس ، فنزل فربط فرسَه إلى صخرةٍ ، فصلّى مع الملائكة ، فلما قُضِيت الصلاةُ قالوا: يا جبريلُ! مَنْ هذا معك؟ قال: هذا محمد (٤٨/أ) رسول الله ، خاتَمُ النبِّيين. قالوا: وقد أُرْسِل إليه؟ قال: نعم. قالوا: حيَّاهُ اللهُ مِنْ أخ وخليفةٍ ، فنِعْمَ الأخُ ونعم الخليفةُ! ثم لَقُوا أرواحَ الأنبياءِ فأَثْنَوْا على رَبِّهم ، وذكر كلامَ كلِّ واحدٍ منهم ، وهم: إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وداود ، وسُليمان.

ثم ذكر كلامَ النبي ﷺ ، فقال: «وإنَّ محمداً ﷺ أثنى على ربِّه [عزّ وجل] فقال: «كلكم أَثْنـىٰ على ربّه ، وأنا أُثني على ربيِّ: الحمد لله الذي أرسلني رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً ونذِيراً ، وأنزل عليَّ الفُرْقان فيه تِبْيَانُ كل شيء. وجعل أُمتي خَيْرَ أُمة ، وجعل أُمتي أُمةً وَسَطاً ، وجعل أمتي هم

= أن ابن عباس وأبا حَبّةَ الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج . . . . وسيأتي برقم (٤٥٥م) . (حتى ظهرت): أي ارتفعت. (المستوى): المصعد. (صريف الأقلام): تصويتها حال الكتابة: والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى/ الفتح ١/ ٤٦٢.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣/ ٢٦٣).

(٢) تقدم حديث أنس عن مالك بن صَعْصعة برقم (٤٣٦).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (١٧٢). وتقدم طرف منه برقم (٣٥٠) ، وسيأتي طرف منه أيضاً برقم (٤٦٣).

الأوّلون ، وهم الآخِرون ، وشرح لي صَدْري ، ووضعَ عني وِزْرِي ، ورفع لي ذِكْري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً».

فقال إبراهيم : بهذا فَضَلكم محمدٌ.

ثم ذكر أنه عَرَج به إلى السماء الدُّنْيا ، ومن سماءٍ إلى سماءٍ ، نحو ما تقدم[1].

٤٤٢ ـ وفي حديث ابن مسعود : «وانْتُهي بي إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، وهي في السماء السادسة ، إليها يَنْتَهي ما يُعْرَجُ به من الأرض فيُقْبَضُ منها ، وإليها يَنْتَهي ما يَهْبِطُ من فوقها فيُقْبَضُ منها ؛ قال : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم : ١٦]. قال : «فَرَاشٌ من ذَهَب»[2].

٤٤٣ ـ وفي رواية أبي هريرة ، من طريق الربيع بن أَنَس. «فقيل لي : هذه السِّدْرَةُ المُنْتَهَى يَنْتَهي إليها كلُّ أحد من أُمَّتك خَلاَ على سبيلك ، وهي السِّدْرَةُ المنتهى ، يخرجُ من أصلها أنهارٌ من ماء غَيْرِ آسِنٍ ، وأنهارٌ من لَبَنٍ لم يتغيَّرْ طَعْمُه ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ للشاربين ، وأنهارٌ من عَسَلٍ مُصَفّى ، وهي شجرةٌ يسير الراكبُ في ظلِّها سبعين عاماً ، وإنَّ ورَقةً منها مُظِلَّةٌ الخَلْقَ ، فَغَشِيَها نور ، وغشيتها الملائكةُ. قال : فهو قوله : ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم : ١٦].

فقال [الله] تبارك وتعالى له : سَلْ. فقال : إنكَ اتخذْتَ إبراهيمَ خليلاً[3] ، وأعطيته مُلْكاً عظيماً. وكلَّمْتَ موسى تكليماً ، وأَعْطَيْتَ داود مُلْكاً عظيماً ، وألَنْتَ له الحديدَ ، وسخَّرتَ له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً ، وسخَّرت له الجنَّ (٤٨/ب) والإنس والشياطين والرِّياح ، وأعطيته مُلكاً لا ينبغي لأحد مِنْ بعْدِه ، وعلَّمت عيسى[4] التوراة والإنجيل ، وجعلْته يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ

---

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه برقم (٤٠٠) وسيأتي جزء منه برقم (٤٤٣).

(٢) رواه ابن عرفة وأبو نعيم في الدلائل/ المناهل (٣٩٦). قلت : وأخرجه مسلم (١٧٣) من قول ابن مسعود. وسيأتي طرف منه برقم (٤٤٤).

(٣) في نسخة : «حبيباً».

(٤) في المطبوع : «موسى» ، وهو خطأ.

والأبْرَصَ ، وأعَذْتَه وأمّه من الشيطان الرَّجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل.

فقال له ربُهُ تعالى: قد اتَّخَذْتُكَ خليلاً. فهو مكتوبٌ في التوراة: محمد حبيب الرحمن ، وأرسلْتك إلى الناس كافَةً ، وجعلتُ أُمّتكَ هم الأولون ، وهم الآخرون ، وجعلتُ أُمتك لا تجوزُ لهم خُطْبَة حتى يشهدوا أنكَ عبدي ورسولي ، وجعلتُك أوّلَ النبيين خَلْقاً ، وآخرهم بَعْثاً ، وأعطيتُكَ سبعاً من المَثَاني ، ولم أُعْطها نبياً قبلكَ ، وأعطيتُكَ خَوَاتِيمَ سورةِ البقرة مِنْ كَنْزٍ تحت عرشي لم أُعطِها نبياً قبلك ، وجعلتُك فاتحاً وخاتماً»[1].

٤٤٤ ـ وفي الروايةِ الأُخرى قال: فأُعْطِيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطِيَ الصلواتِ الخمسَ ، وأُعطِيَ خَوَاتِيم سورةِ البقرة ، وغُفِرَ ـ لِمَنْ لا يُشْرِك بالله شيئاً من أمته ـ المُقْحِماتُ[2].

٤٤٥ ـ وقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١١ ، ١٢]: رأى جبريل في صورته له سِتُّ مئةِ جَنَاحٍ[3].

٤٤٦ ـ وفي حديث شَرِيكٍ: أنه رأى موسى في السابعة ، قال: بتفضيل كلامِ الله.

قال: ثم عَلاَ به فَوْقَ ذلك بما لا يعلمه إلا اللهُ؛ فقال موسى: لم أَظُنَّ أَنْ يُرْفَع عليّ أَحد[4].

٤٤٧ ـ وقد رُوي عن أنس أنه ﷺ صلى بالأنبياء ببيت المقدس[5].

٤٤٨ ـ وعن أَنس [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينا أنا قاعد

---

(١) هو طرف من الحديث المتقدم برقم (٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٤١م) وسيأتي طرف منه برقم (٦٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود. وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٤٤٢). (المُقْحِمات): الذنوب العظام الكبائر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣٢) ، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. وسيأتي برقم (١٠٩٧).

(٤) تقدم حديث شريك بن أبي نمر عن أنس برقم (٤٣٣) وهو متفق عليه.

(٥) ذكره الحافظ في الفتح ٧/٢٠٨ وعزاه إلى ابن أبي حاتم. وروى مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة: «فحانت الصلاة فأممتهم». وقد تقدم برقم (٤٤١).

ذاتَ يوم إذْ دخل جبريل عليه السلام ، فَوَكَزَ بين كَتِفَيَّ ، فقمْتُ إلى شجرة فيها مِثْلُ وَكْرَيِ الطائر ، فقعد في واحدةٍ وقعدتُ في الأخرى ، فنَمَتْ حتى سدَّت الخَافِـقَيْـنِ[1] . ولو شئتُ لَمَسِسْتُ السماء ، وأنا أُقلِّبُ طَرْفي ، ونظرتُ جبريلَ كأنه حِلْسٌ لاطىء ، فعرفتُ فَضْلَ علمه بالله عليّ ، وفُتِحَ لي بابُ السماء ، ورأيتُ النورَ الأعظم ، وإذا[2] دوني الحِجَابُ ، وفُرَجُهُ الـدُّرُّ والياقوت ، ثم أوحى اللهُ إليّ ما شاء أَنْ يُوْحِي»[3] .

٤٤٩ ـ وذكر[4] البَزَّار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما أراد اللهُ تعالى أن يُعَلِّمَ رسولَه الأذان جاء جبريل بدابّةٍ يقال لها البُرَاق ، فذهب يركبُها ، فاستصعبَتْ عليه ، فقال لها جبريلُ: اسْـكُنِي ، فواللهِ! ما رَكبكِ عَبْـدٌ أكرمُ على الله من محمد ﷺ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحِجاب الذي يَلي الرحمنَ تعالى ، فبينا هو كذلك إذ خرج ملَكٌ من الحِجاب ، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل! مَنْ هذا؟» .

قال: والذي بعثكَ بالحق! إني لأَقْرب الخَلْقِ مكاناً ، وإن هذا المَلَكَ ما رأيتُه منذ خُلِقْتُ قبل ساعتي هذه. فقال المَلَكُ: الله أكبر. الله أكبر (٤٩/أ) فقيل له مِنْ وراء الحجاب: صدَق عبدي ، أنا أكبر. أنا أكبر.

ثم قال المَلك: أشهد أن لا إله إلا اللهُ. فقيل له مِنْ وراء الحجاب: صدق عَبْدي ، أَنَا الله لا إله إلا أنا.

---

(١) في رواية البزار ومجمع الزوائد: «فَسَمَتْ وارتفعت حتى سدَّت الخافقين».
(٢) في المطبوع: «وَلُطَّ» ، ومعناه: أُرْخِيَ . .
(٣) أخرجه البزار (٥٨) وغيره. قال الهيثمي في المجمع رقم (٢٣٩): «رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح». وقال الحافظ في الفتح ١٩٨/٧ : «ورجاله لا بأس بهم ، إلا أن الدارقطني. ذكر له علة تقتضي إرساله». وقال ابن كثير في تفسير سورة والنجم: «فهذا الحديث من غرائب رواياته ـ أي روايات الحارث بن عبيد ـ فإن فيه نكارة ، وغرابة ألفاظ ، وسياقاً عجيباً ، ولعله منام ، والله أعلم».
(حِلْسٌ لاطئٌ): الحِلْسُ: كساء يلي ظهر البعير. (لاطىء): لازق.
(٤) في الأصل: «وعن» وفوقها أثبت الناسخ: «وَذَكَر» ، نسخة.

وذكر مِثْلَ هذا في بقية الأذَان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : حيّ على الصلاة ، حي على الفلاح .

وقال : ثـم أخذ المَلكُ بيد محمد ، فقدَّمه ، فأَمَّ أهلَ السماء ، فيهم آدمُ ونوح .

قال أبو جعفر : محمد بن علي بن الحسين ، راوِيه : أَكْمَلَ اللهُ [تعالى] لمحمد ﷺ الشرفَ على أهل السمواتِ والأرْض[1] .

قال المؤلف رحمه الله : ما في هذا الحديث من ذِكْرِ الحجاب فهو في حقّ المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارِي جلّ اسْمُه منزَّه عما يَحْجُبه ، إذ الحجُب إنما تُحِيطُ بمقدَّرٍ محسوس ، ولكن حُجُبه على أبصار خَلْقه وبصائِرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ، ومتى شاء ، كقوله [تعالى] : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

فقوله في هذا الحديث : «**الحجاب**» ، و«**إذْ خرج مَلَكٌ من الحجاب**» يجب أنْ يقال : إنه حجابٌ حجَبَ به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سُلْطانه وعظمته ، وعجائب ملكوته وجَبَروته .

ويدلُّ عليه[2] من الحديث قولُ جبريل ـ عن الملَك الذي خرج من ورائه : «**إنّ هذا الملَك ما رأيتُه منذ خُلِقْت قبل ساعتي هذه**» .

فدلَّ [على] أنّ هذا الحجابَ لم يختصّ بالذات .

ويدلُّ عليه قولُ كعب في تفسير : «سِدْرَة المُنْتَهى» قال : إليها ينتهي عِلْمُ الملائكة ، وعندها يجدون أمْرَ اللهِ ، لا يجاوزُها عِلْمُهم .

وأما قولُه : «**الذي يَلِي الرحمن**» فيُحْمَلُ على حَذْفِ المضاف ، أي يَلِي عَرْشَ الرحمن ، أو أمْراً ما ، من عظيم آياته ، أو مبادىء حقائقِ معارفه ، مما

---

(١) أخرجه البزار (٣٥٢) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣٢٨ ـ ٣٢٩ : «فيه زياد بن المنذر مجمع علىٰ ضعفه» . وسيأتي برقم (٤٩٣) .

(٢) في الأصل زيادة : «قول كعب في تفسير» ، ولا وجه لها . ولم ترد في المطبوع .

هو أعلمُ به ، كما قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾[يوسف : ٨٢] أَيْ : أَهْلَها .

وقوله : فقيل من وراء الحجاب «صدق [عَبْدِي] ، أنا أكبر» فظاهِرُه أنه سمع في هذا الموطن كلامَ الله ، ولكن مِنْ وراءِ حجاب ، كما قال : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ (٤٩/ب) لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [الشورى : ٥١] ؛ أي : وهو لا يراه ، حجَبَ بصرَه عن رُؤْيته .

فإن صَحّ القولُ بأَنّ محمداً ﷺ رأى ربَّه [عزّ وجلّ] فيُحْتَمل أنه في غير هذا المَوْطِنِ . بعدَ هذا أو قَبْله ، رُفِعَ الحجابُ عن بصره حتى رآه . والله أعلم(١) .

فصل

[فِيْ حَقِيْقَةِ الإِسْرَاءِ ، هَلْ كَانَ بِالرُّوْحِ أَمْ بِالرُّوْحِ وَالْجَسَدِ](٢)

ثم اختلف السلَفُ والعلماءُ : هل كان أُسري(٣) برُوحه أو جسده؟ على ثلاث مقالات : فذهبتْ طائفةٌ إلى أنه إسراء بالرُّوح ، وأنه رُؤْيا منام ، مع اتفاقهم أنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ ووَحْي ، وإلى هذا ذهب معاويةُ .

وحُكى عن الحسن ، والمشهور عنه خلافه ، وإليه أشار محمد بن إسحاق ، وحجتُهم قولُه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] .

٤٥٠ ـ وما حَكَوْا عن عائشة أنها قالت : ما فقدْتُ جسدَ رسولِ الله ﷺ(٤) .

---

(١) سيأتي بحث الرؤية عقب الفصلين التاليين .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

(٣) في المطبوع : «إسراءً» .

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (٢٩٥) قال : حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول : «ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه» وهذا إسناد فيه جَهَالَةٌ . وسيوردُه المصنف برقم (٤٧١) وهناك يناقش قولها هذا .

٤٥١ ـ وقوله: «بينا أنا نائم»(١).

٤٥٢ ـ وقول أنس: وهو نائم في المسجد الحرام. . وذكر القصة، ثم قال في آخرها: «فاستيقظْتُ وأنا بالمسجد الحرام»(٢).

وذهب مُعْظَمُ السَّلَف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة، وهذا هو الحقُّ، وهذا(٣) قولُ ابن عباس، وجابر، وأنس، وحُذَيفة، وعُمر، وأبي هريرة، ومالك بن صَعْصَعَةَ، وأبي حَبَّةَ البَدْري، وابن مسعود، والضحَّاك، وسعيد بن جُبير، وقَتادة، وابن المسيَّب، وابن شهاب، وابن زَيْد، والحَسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعِكْرِمة، وابن جُرَيج، وهو دليلُ قول عائشة(٤)، وهو قولُ الطبري، وابن حنبل، وجماعةٍ عظيمة من المسلمين، وهو قولُ أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدِّثين والمتكلمين والمفسرين.

وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يَقظَةً إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالرُّوح، واحتجُّوا بقوله [تعالى]: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فجعل ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ غاية الإسراءِ الذي وقع التعجُّبُ فيه بعظيم القُدْرة، والتمدُّح بتشريف النبي محمد ﷺ به، وإظهار الكرامةِ له بالإسراء إليه.

قال هؤلاء: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى (٥٠/أ) لذكره؛ فيكون أبلغَ في المدح.

ثم اختلفت هذه(٥) الفرقتان: هل صلَّى ببيت المقدس، أم لا؟

---

(١) أخرجه أحمد ـ كما في الفتح ٧/ ٢٠٤ ـ من حديث أنس عن مالك بن صَعْصَعَةَ.
(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢) من حديث شريك بن أبي نمر، عن أنس ابن مالك.
(٣) في المطبوع: «وهو».
(٤) قول عائشة سيأتي برقم (٤٧٢). وانظر ما قاله المصنف في الحديث الآتي برقم (٤٧١).
(٥) في نسخة: «هاتان».

٤٥٣ ـ ففي حديث أنس وغيره ما تقدم مِنْ صلاته فيه[١].

٤٥٤ ـ وأنكر ذلك حذيفةُ بن اليمان، وقال: واللهِ! ما زالا عن ظَهْرِ البُراقِ حتى رجعا[٢].

قال المؤلف: والحق من هذا والصحيح ـ إنْ شاء الله ـ أنه إسراءٌ بالجسد والرُّوح في القصة كلِّها، وعليه تدلُّ الآيةُ، وصحيح الأخبار، والاعتبار، ولا يُعْدَلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحالِ يقظته استحالةٌ؛ إذ لو كان مَناماً لقال: برُوح عَبْدِه، ولم يَقُلْ: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، ولو كان مناماً لَمَاكانت فيه آيةٌ ولا معجزةٌ، ولما استبعده الكفَّار، ولا كذَّبوه فيه، ولا ارتدَّ به ضُعفاء مَنْ أسلم، وافْتَتَنُوا به؛ إذ مثْلُ هذا من المنامات لا يُنْكَر؛ بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أنَّ خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظَته، إلى ما ذُكِر في الحديث من ذِكرِ صلاتِه بالأنبياء ببيت المقدس في روايةِ أَنس ـ أو [في] السماء على ما رَوَى غَيْرُه ـ وذِكْر مجيء جبريل له بالبُرَاق، وخَبَرِ المعراج، واستفتاح السماء؛ فيقال: مَنْ معك؟ فيقول: محمد، ولقائه الأنبياء فيها، وخَبَرِهم معه، وتَرْحيبهم به، وشَأْنِهِ في فَرْضِ الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك.

٤٥٥ ـ وفي بعض هذه الأخبار: «فأخذ ـ يعني جبريل ـ بيدي فعَرَجَ بي إلى السماء...»[٣].

٤٥٥م ـ إلى قوله: «ثم عَرَج بي حتى ظهرتُ بمُسْتَوًى أسمَعُ فيه صَرِيفَ

---

(١) تقدم حديث أنس برقم (٤٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٧) وغيره، وصححه الحاكم (٢/ ٣٥٩) ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً ابن حبان (٣٣) موارد. وهناك استوفينا تخريجه.

(٣) متفق عليه. وقد تقدم برقم (٤٣٥) وسيأتي برقم (٤٦١).

الأقلام»[١] وأنه وصل إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ، وأنه دخل الجنةَ ، ورأىٰ فيها ما ذَكره.

٤٥٦ ـ قال ابن عباس : هي رُؤْيا عَيْنٍ رآها النبيُّ ﷺ لا رُؤْيَا مَنام[٢] .

٤٥٧ ـ وعن الحسن فيه : «بينا أنا نائم[٣] في الحِجْر إذ جاءني جبريل فهمزني بعَـقِبه ، فقمتُ فجلستُ فلم أَرَ شيئاً ، فعُدْت لمَضْجَعي ـ فذكر ذلك ثلاثاً ـ فقال في الثالثة : «فأخذ بعَضُدِي فجرَّني إلى باب المسجد فإذا بِدَابَّة» . وذكر خبر البراق[٤] .

٤٥٨ ـ وعن أُمِّ هانىء : ما أُسْرِيَ برسول الله ﷺ (٥٠/ب) إلا وهو في بيتي ، تلكَ الليلة صلى العِشَاء الآخِرة ، ونام بيننا ، فلما كان قُبيل الفجرِ أَهَبَّنَا رسولُ الله ﷺ ، فلما صلّى الصبح وصلَّينا قال : «يا أُمَّ هانىء ! لقد صليتُ معكم العِشاءَ الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيْتَ المقدس فصلَّيْتُ فيه ، ثم صليت الغَدَاةَ معكم الآن كما تَـرَوْن»[٥] .

---

(١) متفق عليه . وقد تقدم (٤٣٨) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨) .

(٣) في الأصل : «جالس» والمثبت من هامش الأصل ، نسخة .

(٤) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧ ـ عن الحسن مرسلاً . وفي إسناده جهالة . (همزني) : غمزني .

(٥) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٢ ـ فيما بلغه عن أم هانىء . . . وهذا إسناد منقطع . وأخرجه الطبري في التفسير ١٥/ ٢ من طريق محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح باذام ، عن أم هانىء ، وهذا إسناد فيه الكلبي ، مُتَّـهَمٌ بالكذب . وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (٢٤٠) . وقال : «رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٣٢ برقم ١٥٩) وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك كذاب ، وأخرجه مطولاً أبو يعلى في المعجم (١٠) وفيه : «دَخَلَ عليَّ رسول الله ﷺ بِغَلَسٍ ، وأنا على فراشي ، فقال : شعرتُ أنّي نِمْتُ الليلة في المسجد الحرام ، فأتاني جبريل عليه السلام ، فذهب بي إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض . . .» قال الحافظ في الإصابة ١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠ : «وهذا أصح من رواية الكلبي ـ أي الرواية التي ذكرها القاضي عياض ـ فإن في روايته من المنكر أنه ﷺ صلى العشاء الآخرة والصبح معهم . وإنما فرضت الصلاة ليلةَ المعراج ، وكذا نومه تلك الليلة في بيت أم هانىء ، وإنما نام في المسجد» . (أَهَبَّنا) : أيقظنا .

وهذا بَيِّنٌ في أنه بجسمه.

٤٥٩ ـ وعن أبي بكر ـ من رواية شدّاد بن أَوْس عنه ـ أنه قال للنبي ﷺ ليلَة أُسريَ به: طلبتُك يا رسولَ الله! البارحةَ في مكانك فلم أجِدْك. فأجابه: إن جبريلَ ـ عليه السلام ـ حمله[(١)] إلى المسجد الأقصى[(٢)].

٤٦٠ ـ وعن عُمر [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «صلّيتُ ليلةَ أُسري بي في مقدَّم المسجد، ثم دخلتُ الصخرة فإذا بِملَك قائم معه آنيةٌ ثلاث. .» وذكر الحديث[(٣)].

وهذه التصريحاتُ ظاهرةٌ غَيْرُ مستحيلة، فتُحْمَلُ على ظاهرها.

٤٦١ ـ وعن أبي ذَرّ، عنه ﷺ: «فُرِجَ سقْفُ بيتي وأنا بمكةَ، فنزل جبريلُ، فشرح صَدْرِي، ثم غسله بماء زَمْزم. . .» إلى آخر القصة «ثم أخذ بيدي، فَعَرج بي»[(٤)].

٤٦٢ ـ وعن أَنس: «أُتِيتُ فانْطلقوا بي إلى زمزم، فشُرِح عن صدري»[(٥)].

٤٦٣ ـ وعن أبي هُريرة: «لقد رأيتُني في الحِجْرِ، وقريشٌ تسألني عن مَسْرَايَ، فسألتني عن أَشياء لم أُثْبِتْها، فكُرِبْتُ كَرْباً ما كُرِبْتُ مثله قَطُّ، فرفعه اللهُ لي أنظرُ إليه»[(٦)].

---

(١) في المطبوع: «حملني».

(٢) أخرجه البزار (٥٣)، والطبراني (٧١٤٢)، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٧. وقال: «هذا إسناد صحيح». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٤٤٢ رقم (٢٣٧): «فيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء، وثقه يحيى بن معين وضعفه النسائي».

(٣) رواه ابن مردويه/ المناهل (٤٠٥).

(٤) تقدم حديث أنس عن أبي ذر برقم (٤٣٥) و(٤٥٥)، وهو متفق عليه.

(٥) أخرجه مسلم (١٦٢/ ٢٦٠) بلفظ حديثنا. وفي المطبوع: «فانْطُلِقَ».

(٦) أخرجه مسلم (١٧٢)، وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٣٥٠، ٤٤١). (لم أثبتها): أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأهم منها. (الكَرْب): الغم الذي يأخذ بالنفس.

٤٦٤ ـ ونحوه عن جابرٍ(١).

٤٦٥ ـ وقد رَوَى عُمر بن الخطاب [رضي الله عنه] في حديث الإسراء عنه ﷺ أنه قال: «ثم رجعتُ إلى خديجةَ وما تحوَّلتُ عن جانبها»(٢).

فصل
فِيْ إِبْطَالِ حُجَجِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا نَوْمٌ

احتجُوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فسمَّاها رؤيا.

قلنا: قولُه [سبحانه وتعالىٰ]: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] يردُّه؛ لأنه لا يُقَال في النوم: أَسْرَى.

وقوله: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. يؤيِّدُ أنها رُؤْيا عَيْن، وإسراءُ شَخْص(٣)؛ إذ ليس في الحُلْم فتنةٌ. ولا يكذِّبُ به أحد؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يرى مثْلَ ذلك في منامه من الكَوْنِ في ساعةٍ واحدة في أقطار متباينة.

على أنَّ المفَسّرين قد اختلفوا في هذه (٥١/أ) الآية؛ فذهب بعضُهم إلى أنها نزلت في قَضِيَّةِ الحُدَيْبِيَة، وما وقع في نفوسِ الناسِ من ذلك. وقيل غَيْرُ هذا.

وأما قولُهم: إنه قد سمَّاها في الحديث مَناماً.

٤٦٦ ـ وقولُه في حديث آخر: «بين النائم واليَقْظان»(٤).

٤٦٧ ـ وقوله أيضاً: وهو نائم. وقوله: «ثم استيقظْتُ»(٥) فلا حجَّة فيه؛ إذ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

(٢) فقرة من الحديث المتقدم برقم (٤٦٠).

(٣) في المطبوع: «بشخصٍ».

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة. وسيعيده المصنف برقم (٤٧٠).

(٥) تقدم برقم (٤٥٢) من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس.

[قد] يحتملُ أَنَّ أول وصولِ المَلك إليه كان وهو نائم ، أو أن أول حَمْله والإسراءِ به وهو نائم ، وليس في الحديث أنه كان نائماً في القَضِيَّةِ[1] كلِّها إلا ما يدلُّ عليه قوله[2]: «ثم استيقظْتُ وأنا في المسجد الحرام» فلعل قوله: «استيقظْتُ» بمعنى أَصْبَحْتُ ، أو استيقظ من نَوْمٍ آخر بعد وصوله بيته.

ويدل عليه أن مَسْرَاهُ لم يكن طولَ ليله ، وإنما كان في بعضه.

وقد يكون قوله: «استيقظتُ وأنا في المسجد الحرام» لِمَا كان غَمَرَه من عجائب ما طالعَ مِنْ ملكوتِ السموات والأرض ، وخامَرَ باطِنَه من مُشاهدةِ الملأ الأَعْلى ، وما رأى من آيات رَبِّه الكبرى ، فلم يستَفِقْ ويرجع إلى حالِ البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام.

ووَجْهٌ ثالث: أَنْ يكونَ نومُه واستيقاظُه حقيقةً على مقتضى لَفْظِه ، ولكنه أُسريَ بجسده وقلبُه حاضر ، ورُؤْيا الأنبياء حقٌّ ، تنام أَعْيُنهم ولا تنام قلُوبهم.

وقد مالَ بعضُ أصحاب الإشارات إلى نَحْوٍ من هذا. قال: تَغْميضُ عينيه لئلاً يَشْغَلَه شيءٌ من المحسوسات عن الله تعالى.

ولا يصحُّ هذا أَنْ يكون في وقت صلاته بالأنبياء ، ولعله كانت له في هذا الإسراء حالاتٌ.

ووَجْهٌ رابع: وهو أَنْ يعبَّرَ بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع.

٤٦٨ ـ ويُقَوِّيهِ قوله في رواية عَبْد بن حُميد ، عن هَمَّامٍ: «بينا أنا نائم» وَرُبَّما قال: «مُضْطَجِع»[3].

٤٦٩ ـ وفي رواية هُدْبَـةَ ، عنه: «بينا أنا نائم في الحَطِيم» وربما قال: «في الحِجْر مضطجعٌ»[4].

---

(١) في المطبوع: «القصة».

(٢) «قوله»، ليس في المطبوع.

(٣) تقدم برقم (٤٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة.

٤٧٠ ـ وقوله في الرواية الأخرى: «بَيْنَ النائم واليَقْظَان»[١] فيكون سمَّى هيئتَه بالنوم لمَّا كانت هيئةَ النائم غالباً.

وذهب بعضُهم إلى (٥١/ب) أَنَّ هذه الزيادات: من النوم، وذِكْر شَقّ البطن، ودنُوّ الرب [عزّ وجل] الواقعة في هذا الحديث، إنما هي من رواية شَرِيكٍ، عن أنس، فهي مُنْكَرَة من روايته؛ إذ شَقُّ البَطْنِ في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صِغره ﷺ وقبل النبوّة[٢]؛ ولأنه قال في الحديث: «قبل أَنْ يُبْعث»، والإسراء بإجماع كان بعد المَبْعث؛ فهذا كلُّه يُوَهِّن ما وقع في رواية أَنس، مع أن أَنَساً قد بيَّن من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره، وأنه لم يسمَعْه من النبي ﷺ، فقال مرّةً: عن مالك بن صَعْصَعة، وفي كتاب مسلم: لعلَّه عن مالك بن صَعْصَعة، على الشكّ. وقال مرةً: كان أبو ذرٍّ يحدِّث.

٤٧١ ـ وأما قولُ عائشةَ: ما فُقِدَ جَسَدُه[٣]؛ فعائشةُ لم تحدِّثْ به عن مشاهدةٍ؛ لأنها لم تكن حينئذٍ زَوْجَه، ولا في سِنٍّ من يَضْبِط، ولعلها لم تكن وُلِدت بعْدُ، على الخلاف في الإسراء متى كان؟ فإنّ الإسراءَ كان في أول الإسلام على قول الزُّهْرِي ومَنْ وافقه بعد المبعث بعام ونصف، وكانت عائشةُ في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام.

وقد قيل: كان الإسراءُ لخَمْسٍ قبل الهجرة. وقيل: قبل الهجرة بعام. والأَشْبَهُ إنه لخَمْسٍ.

والحجةُ لذلك تَطُول، [و] ليست مِنْ غَرَضِنا، فإذا لم تشاهِدْ ذلك عائشةُ، دَلَّ على أنها حدَّثَتْ بذلك عن غيرها، فلم يُرَجَّحْ خَبَرُها علىٰ خبر غيرها؛ وغَيْرُها يقول خلافَه مما وقع نصّاً في حديث أم هانىء وغيره.

وأيضاً فليس حديثُ عائشةَ رَضِيَ الله عنها بالثابت، والأحاديثُ الأُخَر

---

(١) تقدم برقم (٤٦٦).

(٢) بل قبل النبوة وبعدها. انظر تعليقنا على الحديث المتقدم برقم (٣٣٤).

(٣) تقدم برقم (٤٥٠).

أَثْبَت ، [و] لَسْنَا نَعْنِي حديثَ أم هانيء ، وَمَا ذُكِرَتْ فيه خديجة .

وأيضاً فقد رُوي في حديثِ عائشة : «ما فَـقَـدْتُ» . ولم يدخُلْ بها النبيُّ [ﷺ] إلاّ بالمدينة .

وكُلُّ هذا يوهِّنُه ؛ بل الذي يدلُّ عليه صحيحُ قولِها . أنه بجسده ، لإنكارها أَنْ تكون رؤياه لربّه رُؤْيَا عَيْنٍ . ولو كان[1] عندها مَنَاماً لم تُنكِرْه .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١١] فقد جعل (٥٢/أ) ما رَآه للقَلْبِ ، وهنا يدلُّ على أنه رُؤْيا نَوْمٍ ووَحْي ، لا مشاهدة عَيْنٍ وحِسٍّ .

قلنا : يقابِلُهُ قولُه تعالى : ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم : ١٧] فقد أضاف الأمْرَ للبَصَرِ .

وقد قال أهلُ التفسير في قوله [تعالى] : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم : ١١] أي لم يُوَهِّم القلْبُ الْعَيْنَ غير الحقيقة ، بل صدق رؤيتها .

وقيل : ما أنكر قلبُه ما رأته عينُه .

فصل

[فِيْ رُؤْيَتِهِ ﷺ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاخْتِلاَفِ السَّلَفِ فِيْهَا][2]

وأما رُؤْيته [ﷺ] ـ لربّه جلَّ وعزَّ ـ فاختلف السلفُ فيها ؛ فأنكرته عائشة .

٤٧٢ ـ أخبرنا أبو الحُسين : سِرَاج بن عبد الملك الحافظُ بقراءتي عليه ؛ قال : حدثني أبي ، وأبو عبد الله بن عتّاب الفقيه ؛ قالا : حدثنا القاضي يونس بن مُغيث ، قال : حدثنا أبو الفضل الصقلّي ، حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدّه ؛ قالا : حدثنا عَبْدُ الله بن علي [قال] : حدثنا محمود بن آدم ، حدثنا وَكِيع ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، أنه قال

(١) في المطبوع : «كانت» .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

لعائشة [رضي الله عنها]: يا أُمَّ المؤمنين! هل رأى محمدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد قَفَّ شَعْرِي مما قُلْتَ. ثلاث مَنْ حدَّثك بهنّ فقد كذب: من حدثك أَنَّ محمَّداً رأى ربَّه فقد كذب، ثم قرأَتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وذكر الحديث[(١)].

فقال جماعة بقول عائشة [رضي الله عنها].

٤٧٣، ٤٧٤ ـ وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثلُه عن أبي هريرة، أنه [قال]: إنما رأى جبريلَ[(٢)]. واختُلف عنه. وقال بإنكار هذا وامتناع رُؤْيته في الدنيا جماعةٌ من المحدِّثين، والفقهاء والمتكلمين.

٤٧٥ ـ وعن ابن عباس ـ رضِيَ الله عنهما ـ أنه رآه بِعَيْنِه[(٣)].

٤٧٦ ـ وروى عطاءٌ عنه: أنه رآه بقَلْبِه[(٤)].

٤٧٧ ـ وعن أبي العالِية، عنه: رآه بفُؤَادِه مرتين[(٥)].

٤٧٨ ـ وذكر ابنُ إسحاق أنَّ ابن عمر أرسل إلى ابن عباس [رضِيَ الله عنهما] يسأله: هل رأى محمدٌ ربَّـهُ؟ فقال: نعم[(٦)].

٤٧٩ ـ والأشهَرُ عنه أنه رأى ربَّه بعينيه، رُوِي ذلك عنه من طُرُقٍ، وقال: إنَّ الله [تعالى] اختصَّ موسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلَّةِ، ومحمداً بالرؤية[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٠)، ومسلم (١٧٧/ ٢٨٩). (قَفَّ شعري) معناه: قام شعري من الفزع لكوني سمعت مالا ينبغي أن يقال. (كذَبَ): أخطأ.

(٢) قول ابن مسعود أخرجه البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤). وقول أبي هريرة أخرجه مسلم (١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٠). وإسناده صحيح. وروى البخاري (٤٧١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٦/ ٢٨٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٦/ ٢٨٥). وأبو العالية هو: رفيع بن مِهْران الرياحي.

(٦) رواه ابن إسحاق والبيهقي في الأسماء والصفات، وضعَّفه.

(٧) أخرجه ـ بروايات ـ النسائي، كما في تفسير سورة والنجم لابن كثير ـ وابن أبي عاصم في=

وحجَّتُه قولُه [تعالى]: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١١ ، ١٣].

قال الماوَرْدِيُّ: قيل: إنَّ اللهَ تعالى قسم كلامَه (٥٢/ب) ورؤيته بين موسى ، ومحمد [ﷺ] فرآه محمدٌ مرَّتَيْنِ ، وكلّمه موسى مرَّتَيْن.

وحكى أبو الفتح الرازي[١] ، وأبو الليث السَّمَرْقَنْدِي الحكاية عن كَعْبٍ.

٤٨٠ ـ ورَوى عَبْدُ الله بن الحارث ، قال: اجتمع ابْنُ عباس وكَعْبٌ؛ فقال ابنُ عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إنَّ محمداً قد رأى ربَّه مرَّتين؛ فكبَّر كَعْب حتى جاوبَتْهُ الجِبَال ، وقال: إنّ الله قسمَ رُؤْيته وكلامه بين محمد وموسىٰ؛ فكلّمه موسى ، ورآه محمد بقلبه[٢].

٤٨١ ـ وروى شَرِيكٌ ، عن أبي ذَرّ [رضي الله عنه] في تفسير الآية؛ قال: رأَى النبيُّ [ﷺ] رَبَّه[٣].

٤٨٢ ـ وحكى السَّمَرْقَنْدِي ، عن محمد بن كَعْبِ القُرَظي ، ورَبيع بن أنَس ، أَنَّ النبيَّ ﷺ سئل: هل رأيْتَ ربَّك؟ قال: «رأيته بفُؤَادِي ، ولم أَرَه بعيني»[٤].

= السنة (٤٣٦ ، ٤٤٢) ، وابن خزيمة في التوحيد رقم (٢٧٦ ، ٢٧٧) ، والطبراني في الأوسط وغيره ، وصححه الحاكم (١/ ٦٥ ، ٢/ ٤٦٩) ، ووافقه الذهبي. وذكر رواية الطبراني الحافظ الهيثميُّ في المجمع رقم (٢٥١) وقال: «فيه حفص بن عمر العدني ، روى ابن أبي حاتم توثيقه ، عن أبي عبد الله الطهراني ، وقد ضعفه النسائي وغيره».

(١) هو سُلَيْمُ بنُ أيوب ، إمام ، فقيه ، ثقة ، مقرىء ، محدث. مات غرقاً في البحر الأحمر عند ساحل جُدَّة بعد عوده من الحج سنة (٤٤٧هـ). وكان قد نيف على الثمانين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨) من طريق مجالد عن الشعبي قال: «لقي ابن عباسٍ كعباً. . .» وهذا إسناد ضعيف لضعف مجالد بن سعيد.

(٣) أخرجه النسائي ـ كما في تفسير سورة والنجم لابن كثير ـ بلفظ: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ، ولم يره ببصره.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم مرسلاً ، وأخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي=

٤٨٣ ـ وروى مالك بن يُخَامِر، عن مُعاذ، عن النبيِّ ﷺ؛ قال: «رأَيتُ رَبِّي... وذكر كَلِمةً، فقال: يا محمدُ! فيم يَـخْـتَصِم المَـلأُ الأَعْـلَـى؟»[1] الحديث.

وحكى عبد الرَّزاق[2] أَنَّ الحسن[3] كان يحلِفُ بالله لقد رأى محمدٌ رَبَّه.

وحكاه أبو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ[4] عن عِكْرِمةَ.

وحكى بعضُ المتكلمين هذا المذهبَ عن ابن مسعود.

وحكى ابنُ إسحاق: أَنَّ مروانَ[5] سأل أبا هُريرة. هل رأى محمد ربَّه؟ فقال: نعم.

وحكى النـقّاش، عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقولُ بحديث ابن عباس بعينه رآهُ ـ حتى انقطع نَـفَسُهُ، يعني: نَـفَسَ أحمد.

وقال أبو عُمَرَ: قال أحمد بن حنبل: رآه بقلبه، وجَبُن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار.

وقال سَعِيد بن جُبَيْر: لا أقول: رآه، ولا لم يَـرَهُ.

= ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله...، فذكره موصولاً/ المناهل (٤١٥).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل ـ أي البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: حديث حسن صحيح....». وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة مطبوعة في شرح هذا الحديث سماها: «اختيارُ الأَوْلى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» فلتراجع فإنها قيمة.

(٢) هو الإمام الحافظ عبد الرزاق بن هَمّام الصنعاني المتوفى سنة (٢١١)هـ. له كتاب «المُصَنَّف» طبع في أحد عشر مجلداً بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله.

(٣) الحسنُ هو البصري سيد التابعين.

(٤) هو الإمام المقرىء المحدث الحافظ، الأثري أحمد بن محمد الأندلسي الطلمنكي. (وَطَلَمَنْكَة): مدينة بالأندلس المفقود. توفي هذا الإمام سنة (٤٢٩)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٦٦.

(٥) هو مروان بن الحكم، ولي الخلافة في آخر سنة (٦٤)هـ. قال ابن حجر: لا يثبت له صحبة. (التقريب).

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس ، وعِكْرِمة ، والحسن ، وابن مسعود؛ فَحُكِي عن ابن عباس وعِكْرِمة : رآه بقلبه. وعن الحسن وابن مسعود: رأى جبريل.

وحَكَى عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، أنه قال: رآه.

وعن ابن عَطَاء في قوله [تعالى]: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١] قال: شرح صَدْرَه للرؤية ، وشرح صَدْرَ موسى للكلام.

وقال أبو الحسَنِ ، علي بن إسماعيل الأَشْعَري[١] [رضي الله عنه] وجماعةٌ من أصحابه: إنه رأى اللهَ [تعالى] ببصره وعيني رَأسِه[٢] ، وقال: كلُّ آيةٍ أُوتِيَها نبيٌّ من الأنبياء (٥٣/أ) عليهم السلام فقد أُوتي مِثْلَها نبيُّنا ، وخُصَّ من بينهم بتفضيل الرُّؤْيَة.

ووقف بعضُ مشايخنا في هذا ، وقال: ليس عليه دليلٌ واضح؛ ولكنه جائز أن يكون.

قال المؤلف: والحقُّ الذي لا امْتِرَاءَ فيه ، أَنَّ رؤيته تعالى في الدنيا جائزةٌ عقلاً ، وليس في العقل ما يُحِيلها.

والدليلُ على جَوَازها في الدنيا سؤالُ موسى ـ عليه السلام ـ لها. ومحالٌ أَنْ يجهلَ نَبِيٌّ ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه؛ بل لم يسأل إلا جائزاً غَيْرَ مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدتَه من الغَيْب الذي لا يَعْلَمُه إلا مَنْ علَّمه الله ، فقال له الله [تعالى]: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: لن تُطِيقَ ، ولا تحتملُ رُؤْيَتي؛ ثم ضرب له مثالاً[٣] مِمَّا هو أقوى مِنْ بِنْيَةِ مُوسى وأثبت ، وهو الجَبل.

---

(١) نسبة إلى أبي موسى الأشعري. وكان أبو الحسن عجباً في الذكاء وقوة الفهم ، وهو إمام المتكلمين. كان معتزلياً ، ثم كرهه ، وتبرأ منه ، وأخذ يرد على أهله. مات ببغداد سنة (٣٢٤). انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥.

(٢) واختاره الشيخ النووي في فتاويه/ حكاه ابن كثير في السيرة ٢/ ١٠١.

(٣) في المطبوع: «مثلاً».

وكلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيل رؤْيَته في الدنيا؛ بل فيه جَوَازُها على الجملة؛ وليس في الشرع دليلٌ قاطع على استحالتها ولا امتناعها؛ إذْ كل موجود فرؤيتُه جائزةٌ غَيْرُ مستحيلة.

ولا حجةَ لمن استدَلَّ على مَنْعها بقوله [تعالى]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ لاختلاف التأويلات في الآية، وإذ ليس يقتضي قولُ مَنْ قال في الدنيا الاستحالةَ.

وقد استدلَّ بعضُهم بهذه الآية نفسِها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة.

وقد قيل: لا تدركُه أبصارُ الكفّار. وقيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تُحيط به، وهو قولُ ابن عباس. وقد قيل: لا تدركُه الأبصار، وإنما يدْرِكُه المُبْصِرون.

وكلُّ هذه التأويلات لا تقتضي مَنْعَ الرؤية ولا استحالَتها.

وكذلك لا حجَّة لهم بقوله [تعالى]: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. لِمَا قدمناه؛ ولأنّها ليست على العموم؛ [و] لأنَّ من قال: معناها: لن تَرَانِي في الدنيا، إنما هو تأويل.

وأيضاً ليس[1] فيه نَصُّ الامتناع، وإنما جاءت في حقّ موسى؛ وحيث تتطرَّقُ التأويلاتُ وتتسلَّط الاحتمالاتُ، فليس لِلقَطْعِ إليه سبيل.

وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾. أي: مِنْ سُؤَالي ما لم تُقَدِّرْهُ لي.

وقد قال أبو بكر الهُذَلي[2] في قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾: أي ليس لِبَشَرٍ أَنْ يُطِيقَ أن ينظرَ إليّ في الدنيا، وإنَّـهُ (٥٣/ب) منْ نظر إليّ مات.

وقد رأيتُ لبعض السلَف والمتأخرين ما معناه: إن رؤيتَه تعالى في الدنيا

---

(١) في المطبوع: «فليس».

(٢) اسمه سُلْمَى بن عبد الله، وقيل: رَوْح. قال الحافظ في التقريب: أَخباري، متروك الحديث. مات سنة (١٦٧)هـ. انظر تهذيب الكمال وفروعه.

مُمْتَنِعة، لضَعْفِ تركيب أهل الدنيا، وقُواهم، وكونِها متغيرة غَرَضاً للآفات والفَناءِ، فلم يكُنْ لهم قوةٌ على الرؤية؛ فإذا كان في الآخرة ورُكِّبُوا تركيباً آخر، ورُزِقوا قُوًى ثابتةً باقيةً، وأتمَّ أنوار أَبصارهم وقلوبهم قَووا بها على الرؤية.

وقد رأيتُ نحْوَ هذا لمالك بن أنس رحمه الله؛ قال: لم يُرَ في الدنيا؛ لأنه باقٍ، ولا يُرَى الباقي بالفاني؛ فإذا كان في الآخرة ورُزِقوا أبصاراً باقيةً رُئي الباقي بالباقي.

وهذا كلامٌ حسنٌ مَلِيح، وليس فيه دلِيل على الاستحالة إلاّ من حيثُ ضَعْفُ القدرة؛ فإذا قوّى اللهُ تعالى مَنْ شاء مِنْ عباده، وأقْدَره على حَمْلِ أعباءِ الرؤية لم تَمْتَنع في حقّه.

وقد تقدّم ما ذُكر في قوة بَصرِ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ونفوذِ إدراكهما بقوةٍ إلٰهيّة مُنِحَاها لإدراك ما أَدْركاه، ورُؤْيَةِ ما رَأَيَاه[1]. والله أعلم.

وقد ذكر القاضي أبو بكر[2] ـ في أثناء أَجْوِبَته عن الآيتين ـ ما معناه: إن موسى ـ عليه السلام ـ رأى اللهَ؛ فَلِذٰلِكَ خرَّ صَعِقاً، وإن الجبلَ رأى ربَّه فصار دكًّا بإدراكٍ خَلَقَهُ الله له. واستنبط ذلك ـ واللهُ أعلم ـ. من قوله: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثم قال: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وتَجَلِّيه للجبل هو ظهورُه له حتى رآه، على هذا القول.

---

(١) تقدم ذلك بالحديث رقم (٧٩) وما بعده.

(٢) هو محمد بن الطيب بن الباقلاني. قال عنه المصنف في طبقات المالكية: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته. . .» توفي سنة (٤٠٣)هـ. من آثاره: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. مطبوع بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله.

وقال جعفر بن محمد: شَغَلَه بالجَبلِ حتى تجلّى، ولولا ذلك لمات صَعِقاً بلا إفَاقَة.

وقولُه هذا يدلُّ على أَنَّ موسى رآه.

وقد وقع لبعض المفسِّرين في «الجَبَل» أنه رآه، وبرؤية الجبَلِ له استدلَّ مَنْ قال برؤية محمدٍ نبيّنا له؛ إذ جعله دليلاً على الجَوَاز.

ولا مِزيةَ في الجَواز؛ إذ ليس في الآيات نَصٌّ بالمَنْع.

وأما وجوبُه لنبينا [ﷺ]، والقولُ بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع أيضاً ولا نَصّ؛ إذ المُعَوَّلُ فيه على آيتي «النجم» والتنازعُ فيهما مأثور، والاحتمالُ لهما مُمْكن، ولا أثَر قاطع (٥٤/أ) مُتَوَاتر عن النبي ﷺ بذلك.

٤٨٤ ـ وحديث ابن عباس[١] خبَرٌ عن اعتقادِه لم يُسْنِدْه إلى النبي ﷺ؛ فيجِبُ العملُ باعتقادِ مُضَمَّنِه.

٤٨٥ ـ ومثله حديثُ أبي ذَرّ في تفسير الآية[٢].

٤٨٦ ـ وحديثُ معاذ محتَمِلٌ للتأويل، وهو مضطرب الإسناد والمَتْنِ[٣].

٤٨٧ ـ وحديث أبي ذَرّ الآخر مختلف محتَمِلٌ مُشْكِل. فرُوي: «**نورٌ أَنّىٰ أَرَاه؟**»[٤].

وحكى بعضُ شيوخِنَا أنه رُوِي: «**نُورانِيٌّ أَراه**»[٥].

٤٨٨ ـ وفي حديثه الآخر: سألتُه، فقال: «**رأيتُ نوراً**»[٦]، وليس يمكن

---

(١) حديث ابن عباس تقدم برقم (٤٧٥).

(٢) تقدم برقم (٤٨١).

(٣) تقدم برقم (٤٨٣) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨/ ٢٩١). ومعناه: حجابه النور، فكيف أراه؟

(٥) على هامش الأصل: «... هذا تصحيف، والصحيح الأول يدل عليه قوله: رأيت نوراً، وقوله: حجابه النور». وقال المصنف في «إكمال المعلم»: «هذه الرواية لم تثبت».

(٦) أخرجه مسلم (١٧٨/ ٢٩٢) من حديث أبي ذر.

الاحتجاجُ بواحدٍ منها على صحةِ الرؤية؛ فإن كان الصحيحُ: «رأيت نوراً» فهو قد أخبر أنه لم يَرَ الله؛ وإنما رأى نوراً منعه وحجَبه عن رُؤْية الله.

وإلى هذا يرجِعُ قولُه: «نُورٌ أَنَّىٰ أَرَاهُ؟» أي: كيف أَراه مع حجابِ النُّور المُغَشِّي للبصر؟

٤٨٩ ـ وهذا مِثْلُ ما في الحديث الآخر: «حجابُه النُّور»[1].

٤٩٠ ـ وفي الحديث [الآخر]: «لم أَره بعيني، وإنما[2] رأيْتُه بقلبي مرتين» وتلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[3]» [النجم: ٨]، واللهُ قادِرٌ على خَلْقِ الإدراك الذي في البَصَر في القلب، أو[4] كيف شاء، لا إلَهَ غيره.

فإنْ وَرد حديثٌ نصٌّ بَيِّنٌ في الباب اعتُقِد ووجب المَصِيرُ إليه؛ إذ لا اسْتِحَالَة فيه، ولا مانع قطعيّ يردُّه، والله الموفق تعالى.

فصل

[فِيْ مَا وَرَدَ فِيْ قِصَّةِ الإِسْرَاءِ مِنْ مُنَاجَاتِهِ ﷺ لله تَعَالَىٰ وَكَلامِهِ مَعَهُ][5]

وأما ما وَرد في هذه القصة مِنْ مُنَاجاته لله تعالى وكلامِه معه بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] إلى ما تضمَّنَتْه الأحاديثُ، فأكثَرُ المفسرين على أَنَّ المُوحِي اللهُ [عز وجلّ] إلى جبريل، وجبريلُ إلى محمد ﷺ، إلا شُذوذاً منهم؛ فذُكِر عن جعفر بن محمد الصادق، قال: أَوْحَى إليه بلا واسطة، ونحوه عن الواسطي؛ وإلى هذا ذهب بعضُ المتكلمين، أَنَّ محمداً ﷺ كلَّم ربَّه في الإسراء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري.
(٢) في المطبوع: «ولكن».
(٣) رواه ابن جرير من حديث محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وإسناده ضعيف.
(٤) في الأصل: «أي»، والمثبت من المطبوع.
(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

وحُكي عن الأشعري ، وحكَوْهُ عن ابن مسعود وابن عباس؛ وأنكره آخرون.

٤٩١ ـ وذكر النقَّاش ، عن ابن عباس ، في قصةِ الإسراء ، عنه ﷺ في قوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]. قال: «فَارَقَنِي جِبريلُ ، وانقطعت الأصواتُ عني ، فسمعتُ كلامَ ربي وهو يقولُ: لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ يا محمدُ! ادْنُ ، ادْنُ»[١].

٤٩٢ ـ وفي حديث أنس في الإسراء نحْوٌ منه[٢].

وقد احتجُّوا في هذا (٥٤/ب) بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]؛ فقالوا: هي ثلاثةُ أقسام: من وراء حجابٍ كتكْلِيم موسى؛ وبإرسال الملائكةِ كحالِ جميع الأنبياء وأكثرِ أحوالِ نبينا ﷺ. الثالث: قوله: «وَحْياً» ولم يَبْقَ من تقسيم صور[٣] الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة.

وقد قيل: الوَحْيُ ـ هنا ـ هو ما يُلْقِيه في قَلْبِ النبي دونَ واسطة.

٤٩٣ ـ وقد ذكر أبو بكر البَزَّارُ ، عن عليّ في حديث الإسراء ، ما هو أوضَحُ في سَمَاعِ النبي ﷺ لكلام اللهِ من الآية: فذكر فيه: «فقال الملَك: الله أكبر. الله أكبرَ. فقيل لي مِنْ وراءِ الحجاب: صدَق عَبْدِي ، أنا أكبر ، أنا أكبر». وقال في سائر كلمات الأذان مِثْلَ ذلك[٤].

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٤٢٣): «ابن أبي حاتم ، وفي رواية عنه: هو الربُّ ، دنا من محمد. ابن جرير». وانظر الفتح (١٣/ ٤٨٤). وسيعيده المصنف برقم (٤٩٥).

(٢) تقدم حديث شريك بن أبي نمر عن أنس برقم (٤٣٣) وفيه: «ودنا الجبار ، ربُّ العزة ، فتدلّى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى...» وسيأتي هذا اللفظ برقم (٤٩٦). قال الخطّابي ـ كما في الفتح ـ ١٣/ ٤٨٤ ـ: إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عز وجل ، مخالف لعامة السلف ، والعلماء ، وأهل التفسير ، من تقدم منهم ومن تأخر.... قال: وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك ، فلم يذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة ، وذلك مما يقوي الظنّ أنها صادرة من جهة شريك».

(٣) كلمة «صور»، لم ترد في المطبوع.

(٤) تقدم برقم (٤٤٩).

ويجيءُ الكلام في مُشْكل هٰذين الحديثين في الفَصْل بعد هذا مع ما يُشْبِهه ، وفي أَوَّل فصلٍ من الباب منه .

وكلامُ الله [تعالى] لمحمد ﷺ ، ومَن اختَصَّه من أنبيائه ، جائزٌ غَيْرُ ممتنع عَقْلاً ، ولا ورد في الشَّرْع قاطعٌ يمنعه ، فإنْ صحَّ في ذلك خبر احتُمِل عليه ، وكلامُه تعالى لموسى كائنٌ حَقٌّ مقطوعٌ به ، نَصَّ ذلك في الكتاب ، وأَكَّدَه بالمصدر دِلالةً على الحقيقة .

٤٩٤ ـ ورَفَع مكانه على ما ورد في الحديث : في السماء السابعة بسبب كلامه[١] . ورَفَع محمداً فوقَ هذا كلّه حتى بلغ مُستوًى ، وسَمِعَ صَرِيفَ الأقلام[٢] ؛ فكيف يستحيل في حقّ هذا أو يَبْعُدُ سماعُ الكلام؟ فسبحانَ من خَصَّ مَنْ شاء بما شاء ، وجعل بعضَهم فوق بعضٍ درجات! .

فصل

[فِيْ مَا وَرَدَ مِنَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ][٣]

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية : من الدنُوّ والقُرْب من قوله تعالى : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم : ٨ ، ٩] . فأَكْثَرُ المفسرين أنّ الدنُوَّ والتدلّي منْقَسِم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام ، أو مختصٌّ بأحدهما من الآخر ، أو من سِدْرَةِ المُنْتَهى .

قال الرازي : وقال ابن عباس : هو محمدٌ ، دنا فتدلَّى مِنْ رَبّه .

وقيل : معنى دنا : قَرُبَ . وتدلّى : زاد في القرب . وقيل : هما بمعنى واحد . أي : قرب (٥٥/أ) وحكىٰ مكيٌّ والماوَرْدِيُّ ، عن ابن عباس : هو الرَّبُّ دنا من محمد ﷺ ، فتدلّى إليه ؛ أي : أَمْرُهُ وحُكْمُهُ .

---

(١) تقدم برقم (٤٤٦) من حديث شريكٍ عن أنس .

(٢) تقدم ذلك برقم (٤٣٨) .

(٣) ما بين حاصرتين من عندي .

وحكى النقَّاش عن الحَسَن ، قال : ﴿دَنَا﴾ من عَبْدِه محمدٍ ﷺ ، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ فقَرُبَ منه ، فأراه ما شاء أنْ يُرِيَه من قُـدْرَته وعظَمته .

٤٩٥ ـ قال: وقال ابنُ عباس: هو مقدّم ومؤخَّر: تدَلَّى الرَّفْرَفُ[١] لمحمد ﷺ ليلةَ المِعْرَاج ، فجلس عليه ، ثم رُفِع فدَنَا من ربِّه .

قال: «فَارَقَنِي جبريلُ ، وانقطعت عني الأصواتُ ، وسمعتُ كلامَ ربي [عزّ وجل]»[٢] .

٤٩٦ ـ وعن أنس في الصحيح: «عَرجَ بي جبريلُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ودَنَا الجبَّارُ رَبُّ العِزّة ، فتدَلىٰ حتى كان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسينَ صلاة. . . » وذكر حديث الإسراء[٣] .

وعن محمد بن كَعْب[٤]: هو محمدٌ ، دَنَا من ربِّه ، فكان قَابَ[٥] قَوْسين .

قال: وقال جعفر بن محمد: أَدْنَاه ربُّه منه حتى كان منه كقَاب قَوْسَين .

وقال جعفر بن محمد: والدنُّو من الله لا حدَّ له ، ومن العِبَاد بالحدود .

وقال أيضاً: انقطعت الكَيْفِيّة عن الدنو ، أَلاَ ترى كيف حَجَبَ جبريل عن دنُوّه ، ودَنَا محمد [ﷺ] إلى ما أودع قلبُه من المعرفة والإيمان ، فتدلَّى بسكونِ قَلْبه إلى ما أَدْناه ، وزال عن قلبه الشكُّ والارتياب .

قال المؤلف رحمه الله: اعلم أَنَّ ما وقع من إضافـة الدنـو والقُرْب ـ هنا ـ من الله ، أو إلى الله ، فليس بدنوّ مكان ، ولا قُرْب مَدًى؛ بل كما ذكرناه عن جعفر الصادق: ليس بدنوِّ حَدّ ، وإنما دنُـوُّ النبيّ [ﷺ] من ربه وقُرْبه منه إبانةُ

---

(١) الرفْرَفُ: البساط. انظر النهاية.
(٢) تقدم برقم (٤٩١).
(٣) تقدم برقم (٤٣٣) من حديث شريك عن أنس. وانظر ما نقلناه عن الخطابي عند الحديث المتقدم برقم (٤٩٢). (قاب قوسين) : قَـدْر قوسين .
(٤) هو محمد بن كعب القرظي ، تابعي ، ثقة ، عالم. مات سنة (١٢٠)هـ وقيل قبل ذلك/ (التقريب).
(٥) في المطبوع: «كقاب» .

عظيمِ مَنْزلتِه ، وتشريفُ رُتْبته ، وإشراقُ أنوار معرفته ، ومشاهدةُ أسرار غَيْبِه وقدرته ، ومن اللهِ تعالى له مَبَرَّةٌ وتأنيس ، وبَسْطٌ ، وإكرام .

٤٩٧ ـ ويُتَأَوَّل فيه ما يُتَأَوَّل في قوله : «**ينزلُ ربُّنا إلى سماء الدنيا**»[١] على أحد الوجوه : نزول إفضالٍ وإجمال ، وقبولٍ وإحسان .

قال الواسطي : مَنْ توهَّم أنه بنفسه دَنَا ، جعل ثَمَّ مسافة ، بَلْ كلما دنا (٥٥/ب) بنفسه من الحق تدلَّى بُعْداً ، يَعْنِي : عن دَرْك حقيقته ؛ إذ لا دُنوَّ للحق ولا بُعْدَ .

وقوله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ فمَنْ جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى ، لا إلى جبريل على هذا كان عبارةً عن نهاية القُرْب ، ولُطْفِ المحلّ ، واتّضاح[٢] المعرفة ، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ ، وعبارةً عن إجابة الرغبة ، وقضاءِ المطالب ، وإظهارِ التَّحَفّي ، وإنافةِ المنزل[٣] والمرتبة من الله له .

٤٩٨ ـ ويُتَأَوَّل فيه ما يُتَأَوَّل في قوله : «**مَنْ تَقرَّبَ مني شِبْراً تقربت منه ذِرَاعاً ، ومَنْ أَتاني يَمْشِي أتيتُه هَرْوَلَةً**»[٤] قُرْبٌ بالإجابةِ والقَبُول ، وإتيانٌ بالإحسان وتَعْجِيل المأمول .

فصل
فِيْ ذِكْرِ تَفْضِيْلِهِ يَوْمَ[٥] الْقِيَامَةِ بِخُصُوصِ الكَرَامَةِ

٤٩٩ ـ قال[٦] القاضي أبو علي : حدثنا أبو الفضل ، وأبو الحُسَين[٧] ؛

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة .
(٢) في المطبوع : «وإيضاح» .
(٣) إنَافةٌ : إعلاء ورفع .
(٤) حديث قدسي . رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ، ورواه البخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس ؛ ومسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر .
(٥) في المطبوع : «في» .
(٦) في المطبوع : «حدثنا» .
(٧) في الأصل : «أبو الحسن» ؛ والمثبت من المطبوع .

قالا: حدثنا أبو يَعْلَى، حدثنا[1] السِّنْجِي، حدثنا ابن محبوب، حدثنا الترمذي، حدثنا الْحسين بنِ يزيد الكوفي، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن لَيْث، عن الربيع بن أنس، عن أنس [رضي الله عنه]: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَوّلُ الناسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأناخطيبُهم إذا وَفدوا، وَأَنَا مبَشِّرُهُمْ إذا أَيِسُوا؛ لواءُ الْحَمْدِ بيدي، وأنا أكرمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبّي ولا فَخْرَ»[2].

٥٠٠ ـ وفي رواية ابْن زَحْر، عن الربيع بن أنس، في لَفْظ هذا الحديث: «أنا أَوّلُ الناسِ خروجاً إذا بُعِثُوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأَنا خطيبُهم إذا أَنْصتوا، وأَنا شفيعُهم إذا حُبسُوا، وأنا مُبَشّرهم إذا أُبْلِسُوا؛ لواءُ الكَرَم بيدي، وأَنا أَكرمُ وَلَدِ آدمَ على رَبّي ولا فَخْرَ؛ ويطوف عليّ ألفُ خادمٍ كأنهم لؤلؤٌ مكنونٌ»[3].

٥٠١ ـ وعن أَبي هريرة [رضي الله عنه]: «وأُكْسَى حُلَّةً من حُلَلِ الجنَّةِ، ثم أَقومُ عن يمين العَرْش ليس أَحدٌ من الخلائق يقومُ ذلك المَقَام غيري»[4].

٥٠٢ ـ وعن أَبي سعيد؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنا سيِّدُ وَلَدِ آدمَ يوم القيامة، وبيدي لواءُ الحمد ولا فَخْرَ، وما نبيّ يومئذٍ، آدَمُ فمَنْ سِوَاهُ، إلا تحت لوائي؛ وأَنا أَولُ مَنْ تَنْشقُّ عنه الأرْضُ ولا فَخْرَ»[5].

---

(١) كلمة: «حدثنا» لم ترد في المطبوع. والصواب إثباتها.

(٢) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٣٦١٠). وأخرجه أيضاً البغوي (٣٦٢٤)، والدارمي ١/٢٦ ـ ٢٧. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وتقدمت فقرة منه برقم (٣٨٨).

(٣) رواه أبو نعيم في الدلائل/ المناهل (٤٢٥). وانظر الرواية السابقة. (أبلسو): سكتوا وانقطعت حجتهم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦١١) وقال: «هذا حديث حسن غريب» وانظر الرواية الآتية برقم (٥٠٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وغيره: قال الترمذي: «وهذا حديث حسن صحيح»، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢٦٩٣). وسيأتي برقم (٥٨٥، ١٥٩١).

٥٠٣ ـ وعن أَبي هريرة ، عنه ﷺ (٥٦/أ): «أنا سيِّدُ وَلدِ آدمَ يومَ القيامةِ ، وأول مَنْ ينشقُّ عنه القَبْرُ ، وأول شافعٍ ، وأول مُشَفَّع»(١).

٥٠٤ ـ وعن ابن عباس [رضيَ اللهُ عنهما]: «أَنا حاملُ لواءِ الحَمْد يوم القيامةِ ولا فَخْر ، و[أَنا] أوّلُ شافعٍ ، وأوّلُ مشفَّع ، ولا فَخْر؛ وأنا أولُ مَنْ يحرِّكُ حَلْقَةَ(٢) الجنةِ ، فيُفْتَح لي فَيدخلها معي فقراءُ المؤمنين (٣)، ولا فَخْر؛ وأنا أكرمُ الأوّلين والآخِرين ، ولا فَخْرَ»(٤).

٥٠٥ ـ وعن أَنَس: «أنا أوَّلُ الناسِ يشفع في الجنة ، وأنا أكثَرُ الناسِ تَبَعاً»(٥).

٥٠٦ ـ وعن أنس [رضيَ الله عنه] قال النبيُّ ﷺ: «أنا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة؛ وتَدْرُون بِمَ(٦) ذلك؟ يجمعُ اللهُ الأوَّلين والآخرين(٧)» وذَكَر حديثَ الشفاعة.

٥٠٧ ـ وعن أبي هُريرة [رضِيَ اللهُ عنه] أنه ﷺ قال: «أَطْمَعُ أَنْ(٨) أكونَ أَعظمَ الأنبياء أَجْراً يومَ القيامة»(٩).

٥٠٨ ـ وفي حديث آخر: «أما تَـرْضَوْن أَنْ يكونَ إبراهيمُ وعيسى فيكم يوم القيامة؟» ثم قال: «إنهما في أُمتي يوم القيامة؛ أَمَّا إبراهيم فيقول: أَنْتَ دَعْوتي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).
(٢) في المطبوع والترمذي وجامع الأصول: «حَلَقَ».
(٣) في المطبوع: «فأدخلها ومعي فقراء....» .
(٤) تقدم تخريجه برقم (٣٨٩) ، وسيورده المصنف مطولاً برقم (٥٤٦).
(٥) أخرجه مسلم (١٩٦).
(٦) في الأصل: «لم» ، والمثبت من المطبوع وصحيح مسلم.
(٧) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. وحديث أنس رواه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣) بدون قوله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة ، وتدرون بم ذلك؟».
(٨) كلمة: «أن» ، لم ترد في المطبوع .
(٩) ذكره السيوطي في المناهل (٤٣١) ولم يخرجه.

وذُرِّيتي ، فاجعلني من أمتك. وأَما عيسى فالأنبياءُ إخوةٌ بَنُـو عَلاّتٍ ، أُمهاتُهم شتَّى ؛ وإنَّ عيسى أَخِي ليس بيني وبينه نبي ، وأنا أَوْلـىٰ الناسِ به»[1].

قوله[2] : «أَنا سيِّدُ الناسِ يوم القيامة» : هو سيِّدهم في الدنيا ، ويوم القيامة. ولكن أشار ﷺ لانفراده فيه بالسُّؤْدَدِ والشفاعة دونَ غيره ؛ إذ لجأ إليه الناسُ في ذلك ، فلم يجدوا سِوَاهُ.

والسيِّدُ : هو الذي يلجأ الناسُ إليه في حوائجهم ؛ فكان حينئذٍ سيِّداً مُـنْـفرداً بين البشر ، لم يُزَاحِمْه أَحدٌ في ذلك ، ولا ادَّعاه ؛ كما قال تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦].

والمُلْكُ له تعالى في الدنيا والآخرة ، لكن في الآخرةِ انقَطَعَتْ دَعْوَى المدَّعِي لذَلك في الدنيا.

وكذلك لجأَ إلى محمدٍ [ﷺ] جميعُ الناسِ في الشفاعة ؛ فكان سيِّدَهم في الأُخْرى دُونَ دَعْوَى.

٥٠٩ ـ وعن أَنَس [رضِيَ اللهُ عنه] قال : قال رسولُ الله ﷺ : «آتي بابَ الجنةِ يوم القيامةِ ، فأستَفْتِحُ ، فيقول الخازِنُ : مَنْ أَنْتَ؟ فأقول : محمد. فيقول : بِكَ أُمِرْتُ لا أفتحُ لأَحدٍ قَبْلَك»[3].

٥١٠ ـ وعن عَبْد الله بن عَمْرو : [قال] قال رسولُ الله ﷺ (٥٦/ب) : «حَوْضِي مسيرةُ شَهْرٍ ، وزَوَاياه سواءٌ ، وماؤُهُ أبيضُ من الوَرِقِ ، وريحُه أَطيبُ من المسكِ ، [و] كِيزانُه كنجوم السماء ؛ مَنْ شَرِب منه لم يَظْمَأْ أبداً»[4].

---

(١) ما يتعلق بعيسى عليه السلام أخرجه البخاري (٣٤٤٣) ، ومسلم (٢٣٦٥) ، وأبو داود (٤٦٧٥) من حديث أبي هريرة. (أبناء عَلاّت) : هم الإخوة لأب واحد ، وأمهات شتّى.

(٢) في الأصل : «وقال» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ، ومسلم (٢٢٩٢) ، وسيأتي برقم (١٠٨٦). (زواياه سواء) : طوله كعرضه. (الورِق) : الفضة. (كيزانه) : آنيته.

٥١١ ـ وعن أبي ذَرّ نحوُه؛ وقال: «طوله ما بين عُمَان إلى أَيْلَةَ، يَشْخُبُ فيه مِيزابانِ من الجنة»[١].

٥١٢ ـ وعن ثَوْبَانَ مثلُه؛ وقال: «أَحدهما من ذَهَب، والآخَرُ من وَرِقٍ»[٢].

٥١٣ ـ وفي روايةِ حارثة بن وَهْب: «كما بين المدينة وصَنْعاء»[٣].

٥١٤ ـ وعن أَنَس: «أَيْلَة وصَنْعاء»[٤].

٥١٥ ـ وعن ابن عُمر: «كما بين الكوفة والحجَرِ الأَسود»[٥].

٥١٦ وحتى ٥٤٢ ـ ورَوى حديثَ الْحَوْض أيضاً: أَنَسٌ، وجابرٌ، وسَمُرةُ، وابنُ عُمَرَ، وعُقْبةُ بن عامرٍ، وحارثةُ بنُ وَهْبٍ الخُزاعي، والمستَوْرِدُ، وأبو بَرْزَة الأَسلمي، وحُذَيفةُ بن اليمان، وأبو أُمامة، وزيدُ بن أرْقَمَ، وابنُ مسعود، وعبد الله بن زَيْد، وسَهْلُ بن سعد، وسُوَيْد بن جَبَلَةَ، وأبو بكر، وعُمَرُ بن الخطّاب، وابنُ بُرَيْدَةَ[٦]، وأبو سَعِيد الخُدريّ، وعبد الله الصُّنَابِحِي، وأبو هُريرة، والبراءُ، وجُنْدُب، وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر، وأبو بَكْرَةَ، وخَوْلَةُ بنت قَيْسٍ[٧]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠). (عُمان) ضبطها الحافظ في الفتح (١١/ ٤٧١) بضم العين، وهو إقليم عُمَانَ المعروف في جزيرة العرب. (أَيْلَة): هي مدينة العَقَبَةِ اليوم في الأردن. (يَشْخَبُ): يسيل ويجري.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١). (وَرِق): فِضَّة.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٥١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) من حديث أنس مرفوعاً. (أَيْلَة): مدينة العقبة في الأردن.

(٥) هذه الرواية ذكرها الترمذي تعليقاً عقب الحديث (٢٤٤٥). وفي رواية البخاري (٦٥٧٧) ومسلم (٢٢٩٩): «كما بين جَرباءَ وأَذْرح».

(٦) في الأصل: «وابن بردة»؛ والمثبت من المطبوع.

(٧) حديث أنس تقدم تخريجه برقم (٥١٤). وحديث جابر رواه مسلم (٢٣٠٥) وسماه جابر بن سَمُرَةَ، وأخرجه أحمد والبزار من حديث جابر بن عبد الله، وصحح إسناده الحافظ في الفتح ١١/ ٤٦٩. وحديث سمرة بن جُنْدُب رواه الترمذي (٢٤٤٣) وقال: «هذا حديث غريب». وحديث ابن عمر رواه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩). وحديث عقبة بن عامر الجهني=

. . . .

= رواه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦). وحديث حارثة بن وهب تقدم برقم (٥١٣). وحديث المستورد بن شدّادٍ رواه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨). وحديث أبي بَرْزَةَ الأسلمي رواه أحمد ٤/ ٤٢٤ وغيره واستوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٦٠٠). وحديث حذيفة رواه مسلم (٢٤٨). وحديث أبي أمامة الباهلي: صُدَيِّ بن عجلان رواه أحمد ٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ وغيره واستوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٦٠٢). وحديث زيد بن أرقم رواه أبو داود (٤٧٤٦) وغيره وإسناده صحيح. وحديث ابن مسعود رواه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧)، وحديث عبد الله بن زيد رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١). وحديث سهل بن سعد رواه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠)، وحديث سويد بن جبلةَ عزاه السيوطي في المناهل (٤٤٥) إلى أبي زُرْعَةَ الدمشقي في «مسند الشاميين». قال الحافظ في الفتح ١١/ ٤٦٨: «وجزم ابن أبي حاتم بأن حديثه مرسل». وحديث أبي بكر الصديق رواه البزار (٣٤٦٥) وأبو يعلىٰ (٥٦) واستوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٥٨٩). وسيورده المصنف برقم (٥٨٣). وحديث عمر بن الخطاب أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٧٤٤) وهو حديث صحيح.

وحديث عبد الله بن بُرَيْدَةَ أخرجه أحمد ٤/ ٣٧٤، وابن أبي عاصم في السنة (٧٠٠) قال ابن بريدة: شكّ عُبيد الله بن زياد في الحوض فأرسل إلى زيد بن أرقم... قال في المجمع ١٠/ ٣٦١: «ورجاله رجال الصحيح». وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٦ فقد أورد حديثاً في الحوض عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ. وحديث الخدري أخرجه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩١). وحديث عبد الله الصُّنابحي رواه أحمد ٤/ ٣٤٩، وابن ماجه (٣٩٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٩) من حديث الصُّنابح الأحمسي. وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة، والحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٦٨ وقال: «غلط عياضٌ في اسمه، إنما هو الصُّنابح بن الأَعْسَرِ». وحديث أبي هريرة رواه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٤٧). وحديث البراء بن عازب ذكره الحافظ الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٦٧ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف». وحديث جندُب بن عبد الله البجلي رواه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩). وحديث عائشة رواه مسلم (٢٢٩٤)، وحديث أسماء رواه البخاري (٥٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣). وحديث أبي بَكْرَةَ: نُفَيْع بن الحارث أخرجه أحمد ٥/ ٤٨، ٥٠، وابن أبي عاصم في السنة (٧٦٥) وغيره وهو حديث صحيح.

وحديث خولةَ بنت قيس رواه ابن أبي عاصم في السنة (٧٠٥)، وأحمد (٦/ ٤١٠). وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٦١: «رواه أحمد، ورواه الطبراني باختصار... ورجال أحمد رجال الصحيح».

وغيرهم[1].

فصـل

فِـيْ تَفْضِيْلِـهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّـةِ

جاءت بذلك الأخبار[2] الصحيحة ، واختصّ ـ ﷺ ـ على أَلسنةِ المسلمين بحبيب الله .

٥٤٣ ـ أخبرنـا أبو القاسم بـن إبراهيم الخطيب وغيـره ، عن كريمـة بـنت محمد[3] ، حدثنا أبو الهيثم(ح)[4] وحدثنا حُسين بن محمد الحافظ سمَاعاً عليه ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا عَبْد بنُ أحمد ، حدثنا أبو الهيثم ، حدثنا أبو عَبْد الله : محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا فُلَيْح ، حدثنا أبو النَّضْر ، عن بُسْر[5] بن سَعِيد ، عن أبي سَعِيد ، عن النبي ﷺ ، أنه قال: «**لو كنْتُ متّخِذاً خليلاً ـ غَيْرَ رَبّي ـ لاتّخذْتُ أبا بكر**»[6] .

٥٤٤ ـ وفي حديثٍ آخر: «**وإن صاحِبَكم خليلُ الله**»[7] .

---

(١) وَهُمْ كثير ، قال الحافظ في الفتح ١١/ ٤٦٩ : «وبلغني أن بعضَ المتأخرين وصلها إلى روايةِ ثمانين صحابياً».

(٢) في المطبوع : «الآثار» .

(٣) في المطبوع : «كريمة بنت أحمد» . وهي كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية . محدثة فاضلة ذات فهم ونباهة ، توفيت بمكة سنة (٤٦٣)هـ . انظر ترجمتها في أعلام النساء .

(٤) «ح» لم ترد في المطبوع . ولعلها ساقطة سهواً . وتعني تحويلاً في السند ، فيكون للقاضي عياض في هذا السند شيخان هما : أبوالقاسم بن إبراهيم ، وحسين بن محمد الحافظ .

(٥) في الأصل : «بشر» ، وهو تصحيف . والمثبت من المطبوع .

(٦) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٣٦٥٤) ، وأخرجه أيضاً مسلم (٢٣٨٢) .

(٧) أخرجه مسلم (٢٣٨٣/٧) من حديث ابن مسعود ، والترمذي (٣٦٥٩) من حديث ابن أبي المُعَلَّى عن أبيه .

٥٤٥ ـ ومِنْ طريقِ عبدِ الله بن مسعود: «وقد اتخذ اللهُ صاحبَكم خَليلاً»(١).

٥٤٦ ـ وعن ابن عباس، قال: جلس ناسٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ ينتظرونه؛ قال: فخرج حتى إذا دَنَا منهم سمعَهم يتذاكرون؛ فسمِعَ حَدِيثَهم، فقال بعضُهم: عجَباً! إنَّ الله اتخذَ إبراهيم من خلقه خليلاً(٢).

وقال آخر: ماذا بأَعَجبَ من كلامِ موسى (٥٧/أ) كلّمه اللهُ تكليماً.

وقال آخر: فعِيسى كلمةُ اللهِ ورُوحُه.

وقال آخَرُ: [و] آدمُ اصطفاهُ اللهُ.

فخرج عليهم فسلَّم، وقال: «قَدْ سَمِعْتُ كلامَكم وعجَبَكم؛ أَنَّ اللهَ [تعالى] اتَّخَذَ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك؛ وموسى نَجِيُّ الله، وهو كذلك؛ وعيسى رُوحُ اللهِ، وهو كذلك؛ وآدم اصطفاهُ اللهُ، وهو كذلك؛ أَلاَ وأنا حَبِيبُ اللهِ ولا فخْرَ؛ وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخرَ؛(٣) وأنا أولُ شافع وأَولُ مشَفَّع ولا فَخْرَ، وأنا أولُ مَنْ يحرِّكُ حَلَقَ الجنةِ فيَفْتَحُ اللهُ لي فَيُدْخِلنيها ومعي فُقراءُ المؤمنين، ولا فَخْرَ؛ وأنا أكرمُ الأَوَّلين والآخِرين، ولا فَخْرَ»(٤).

٥٤٧ ـ وفي حديث أَبي هريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ من قَوْلِ الله تعالى لنبّيه ﷺ: «إني اتّخذْتُكَ خليلاً، فهو مكتوبٌ في التوراة: أَشب(٥) حبيبُ الرحمن»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٣/٢٣٨٣).

(٢) في المطبوع: «إن الله اتخذ من خلقه خليلاً، اتخذ إبراهيم خليلاً».

(٣) قوله: «وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر»، لم يرد في المطبوع.

(٤) تقدم برقم (٣٨٩، ٥٠٤).

(٥) وفي هامش الأصل ما نصه: «أَشبُ: حبيبُ الرحمن، هكذا وقع في طرة الأمّ المبيَّضة بخط المصنف، مبهمة، ونقلت كذلك، وأظنها سريانية. حاشية نسخة الإمام منصور». وعلى الهامش أيضاً: «لفظ الاصطفا: أَسْتُ، قيل: بفتح الهمزة وسكون السين، وضم المثناة فوق، أي: أنت» انتهى.

(٦) فقرة من الحديث المتقدم برقم (٤٤٣). وتقدمت أطرافه أيضاً برقم (٤٠٠، ٤٠٧، ٤٤١م)، وسيأتي طرف منه برقم (٦٣٦).

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه: اخْتُلف في تفسير الخُلّة، وأصلِ اشتقاقها؛ فقيل: الخليلُ: المنْقَطِعُ إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبّتِه له اختلالٌ.

وقيل: الخليلُ: المختصّ، واختار هذا القولَ غَيْرُ واحد.

وقال بعضُهم: أصلُ الخُلَّة الاستصفاء: وسُمِّي إبراهيم خليلَ الله؛ لأنه يُوالِي فيه ويُعادِي فيه؛ وخُـلَّـةُ اللهِ له: نصْرُهُ، وجَعْلُه إماماً لِمَنْ بَعْدَهُ.

وقيل: الخليل: أصلُه الفقير المحتاج المنقطع، مأخوذ من الخَلَّة وهي الحاجة؛ فسُمِّي بها إبراهيم، لأنه قصرَ حاجَته على ربّه، وانقطع إليه بِهَمِّهِ [1]، ولم يجعله قِبلَ غيره.

٥٤٨ ـ إذ جاءه جبريلُ عليه السلام وهو في المِنْجَنِيق، ليُرْمَى [به] في النار، قال: [أ] لكَ حاجة؟ فقال: أمّا إليكَ فلا [2].

وقال أبو بكر بن فُوْرَك: الخُلَّة: صفاءُ المودّةِ التي توجِب الاختصاصَ بتخلُّل الأسرار.

وقال بعضهم: أصلُ الخُلَّـة: المحبة؛ ومعناها: الإسعافُ والإلطاف، والترفيع، والتشفيع؛ وقد بيَّن ذلك تعالى في كتابِه بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

فأوجب للمحبوب ألاَّ يُؤَاخذَ بذنوبه.

قال: هذا، والخُلَّة أقوى من البُنُوَّةَ؛ لأنّ البُنُوَّةَ قد يكون فيها العداوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

---

(١) (بهمِّه): أي بهمَّته وعزيمته ونيته، أو المراد بالهمّ: ما يهمه ويغمه / شرح القاري ٢/ ٣٣١.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن مقاتل وسعيد قولهما/ المناهل (٤٥٩).

ولا يصح أن تكونَ عداوةٌ مع خلّةٍ؛ فإذاً تسميةُ إبراهيمَ ومحمدٍ عليهما السلام بالخُلَّة (٥٧/ب) إمَّا بانقطاعهما إلى الله ووَقْفِ حوائِجهما عليه، والانقطاعِ عمّن دونه، والإضراب عن الوسائط والأسباب؛ أو لزيادة الاختصاصِ منه تعالى لهما، وخَفِيِّ أَلْطافِه عندهما، وما خالَلَ بواطنَهما من أَسرارِ إلٰهيته[1]، ومكنون غُيوبه ومعرفتِه، أو لاستِصْفَائِه لهما، واستِصفاء قلُوبهما عمَّن سوَاه، حتى لم يُخالِلْهما حبٌّ لغيره؛ ولهذا قال بعضهم: الخليل مَنْ لا يتَّسعُ قَلْبُه لسواه.

٥٤٩ ـ وهو عندهم معنى قوله ﷺ: «ولو كنتُ متَّخِذاً خليلاً لاتخَذْتُ أبا بكر خليلاً؛ لكِنْ أُخُـوَّةُ الإسلام»[2].

واختلف العلماء وأربابُ القلوب: أَيُّهما أَرفَعُ درجةً: الخُلَّة، أَو درجة المحبةِ؟ فجعلهما بعضُهم سواءً؛ فلا يكون الحبيبُ إلاّ خليلاً، ولا الخليل إلا حبيباً؛ لكنه خَصّ إبراهيمَ بالخُلَّة، ومحمداً بالمحبّة.

٥٥٠ ـ وبعضهم قال: درجةُ الخُلَّة أَرفَعُ؛ واحتج بقوله ﷺ: «لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً غَيْرَ ربّي عزَّ وجلَّ»[3] فلم يتَّخِذْه.

وقد أطلقَ المحبَّةَ ﷺ لفاطمة، وابنَيْهَا، وأُسامَةَ، وغيرِهم.

وأكثرُهم جعل المحبَّة أرفع من الخُلَّة؛ لأنَّ درجة الحبيبِ نبيِّنا أَرفَعُ من درجة الخليل إبراهيم.

وأَصْلُ المحبةِ الميلُ إلى ما يوافِقُ المحِبَّ؛ ولكنْ هذا في حق مَنْ يَصِحُّ الميلُ منه والانتفاعُ بالوَفْق[4]؛ وهي دَرَجةُ المخلوق؛ فأَما الخالق ـ جلَّ جلالهُ ـ فمنزَّهٌ عن الأغراض؛ فمحبَّتُه لعَبْدِه تمكينُه من سعادته، وعِصْمتُه

---

(١) في الأصل: «الإلهية»، والمثبت من المطبوع.
(٢) تقدم برقم (٥٤٣) من حديث الخدري.
(٣) تقدم برقم (٣٤٥).
(٤) الوفْق: الموافق.

وتوفيقُه وتهيئةُ أسباب القُرب، وإفاضة رحمته عليه؛ وقصواها كَشْفُ الحُجب عن قَلبه حتى يراهُ بقَلْبه، وينظر إليه ببَصِيرته.

٥٥١ ـ فيكون كما قال في الحديث: «**فإذا أَحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمَعُ به، وبَصَرَه الذي يُبْصر به، ولسانَـهُ الذي ينطق به**»[١].

ولا ينبغي أَنْ يُفْهم مِنْ هـذا سوى التَّجَرُّدِ لله، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاءِ القَلْب لله، وإخلاصِ الحركات لله.

٥٥٢ ـ كما قالت عائشة [رضي الله عنها]: كان خُلُقُه القرآن؛ برضاه يَرْضَى، وبِسُخْطِه يسخَطُ[٢]؛ ومِنْ هذا عَبَّر بعضُهم عن الخُلَّة بقوله (٥٨/أ):

قـد تَخَلَّلْـتَ مَسْلـكَ الـرُّوحِ مِنِّـي ... وبـذا سُمِّـيَ الخَلِيْـلُ خَلِيْـلا
فـإذا مَـا نطقْـتُ كُنْـتَ حَـدِيْثـي ... وإذا مـا سَكَـتُّ كُنْـتَ الغَلِيـلا[٣]

فإذاً مزيّةُ الخُلَّةِ وخُصوصِيةُ المحبّة حاصلة لنبينا ﷺ بما دلّت عليه الآثارُ الصحيحة المنتشرة، المتلَقَّاةُ بالقَبُول من الأمة، وكفى بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

حَكَى أَهْلُ التفسير أَنَّ هذه الآيةَ لمّا نزلَتْ قال الكفّارُ: إنما يريدُ محمدٌ أَنْ نتّخذَه حَناناً كما اتخذت النّصارى عيسى [بن مريم] فأنزل الله، غَيْظاً لهم، ورَغْماً على مَقَالتهم، هـذه الآيـة: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فزاده شرفاً بأَمْرهم بطاعته، وقَرَنها بطاعته، ثم توعَّدهم على التَّوَلّي عنه بقولِه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقد نقل الإمامُ أبوبكر بن فُوْرَك عن بعض المتكلمين كلاماً في الفرق بين

---

(١) حديث قدسي أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة. وانظر ما قاله الحافظ ابن رَجَب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» حول هذا الحديث.

(٢) تقدم برقم (١٥٨) وسيأتي برقم (١٢٤٢).

(٣) الغليل: المراد به ما كان داخِل القلب ولم يفصح به. والبيتان لبشار بن برد، انظر تفسير القرطبي ص (١٩٧٠)، طبعة دار الشعب.

المحبة والخُلَّة يطولُ ، جملةُ إشاراتِه إلى تفضيل مقام المحبة على الخُلّة؛ ونحن نذكر منه طَرَفاً يهْدِي إلى ما بعده.

فمن ذلك قولهم: الخليلُ يَصِلُ بالواسطة ، من قوله [تعالى]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥].

والحبيبُ يصِلُ إليه[1]، من قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾ [النجم: ٩].

وقيل: الخليل: الذي تكون مغفِرَتُه في حدِّ الطمع ، من قوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

والحبيبُ الذي مَغْفِرَتُه في حدِّ اليقين ، من قوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح: ٢].

والخليلُ قال: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٧].

والحبيبُ قيل له: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [التحريم: ٨]؛ فَابْتُدِىءَ بالبِشَارة قَبْلَ السؤال.

والخليلُ قال في المِحْنَة: حَسْبِيَ الله.

والحبيبُ قيل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤].

والخليلُ قال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

والحبيبُ قيل له: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الانشراح: ٤] أُعْطِيَ بلا سؤال.

والخليلُ قال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

والحبيبُ قيل له: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ (٥٨/ب) أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] (٥٨/ب).

وفيما ذكَرْناهُ تنبيهٌ على مَقْصِدِ أصحاب هذا المقال مِنْ تفضيل المقاماتِ

---

(١) في المطبوع: «الحبيبه».

والأحـــوال؛ و﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

فصل
فِيْ تَفْضِيْلِهِ بِالشَّفَاعَةِ والمَقَامِ المَحْمُـوْدِ

قال اللهُ تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٥٥٣ ـ أخبرنا الشيخُ أَبو عليّ الغَسَّاني الجيَّاني فيما كتب به إليّ بخطِّهِ، حدثنا سِرَاجُ بن عبد الله القاضي، حدثنا أبو محمد الأَصِيلي، حدثنا أبو زَيْد[1]، وأبو أحمد، قالا: حدثنا محمد بن يوسف؛ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل؛ قال: حدثنا إسماعيل بن أَبَان، حدثنا أبو الأحوص، عن آدم بن عليّ؛ قال: سمعتُ ابْنَ عمر يقول: إنّ الناسَ يصيرون يوم القيامةِ جُثاً، كلُّ أمةٍ تَتْبَع نبيَّها، يقولون: يا فلانُ! اشفَعْ لنا؛ يا فلانُ! اشفَعْ لنا، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيّ ﷺ، فذلكَ يوم يبعثُه اللهُ المقْامَ المحمود[2].

٥٥٤ ـ وعن أبي هريرة: سُئل عنها رسولُ الله ﷺ، يعني قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فقال: **«هي الشفاعة»**[3].

٥٥٥ ـ وروى كعبُ بن مالك، عنه عليه السلام: **«يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامةِ فأكون أنا وأُمتي على تَلٍّ، ويكسوني رَبِّي حُلَّةً خَضْراء، ثم يُؤْذَنُ لي فأقول ما شاءَ اللهُ أن أَقول؛ فذلك المَقَامُ المحمود»**[4].

---

(١) في الأصل: «أبو يزيد»، والمثبت من المطبوع وهو الصواب: أبو زيد هو المروزي. راوي صحيح البخاري عن الـفِـرَبْـري. له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٣.

(٢) أسنده المصنف من طريق البخاري (٤٧١٨). (جُثاً): جمع جثوة، مثل خطوة وخُطاً. أي جماعة. قال ابن الأثير: وترونى هذه اللفظة: جُثِيٌّ بتشديد الياء، جمع جاثٍ، وهو الذي يجلس على ركبتيه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٤). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وسيأتي برقم (٥٧٠).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٨٥)، وذكره الهيثمي في مجمع =

٥٥٦ ـ وعن ابن عُمر [رضي الله عنه] ـ وذكر حديثَ الشفاعةِ ـ قال: فيَمْشي حتى يأخذَ بِحلْقَةِ الجنَّة، فيومئذٍ يَبْعَثُه اللهُ المقامَ المحمودَ الذي وَعَدَه[1].

٥٥٧ ـ وعن ابن مسعود، عنه عليه السلام: إنه قِيَامُه عن يمين العَرْشِ مَقَاماً لا يقومُه غَيْرُه، يغبِطه فيه الأوَّلون والآخِرون[2].

ونَحْوه عن كَعْبٍ، والحَسَنِ.

٥٥٨ ـ وفي رواية: «**هو المَقَامُ الذي أَشفَعُ لأُمَّتي فيه**»[3].

٥٥٩ ـ وعن ابن مسعود، [قال]: قال رسولُ الله ﷺ: «**إني لقائم المقامَ المحمودَ**» قيل: وما هو؟ قال: «**ذلكَ يومٌ ينزِلُ اللهُ تبارك وتعالى [على كُرْسيّه]**. . . الحديث[4].

٥٦٠ ـ وعن أبي موسى [رضي الله عنه] عنه ﷺ: «**خُـيِّـرْتُ بين أن يدخُلَ نصفُ أُمتي الجنـةَ وبين الشفاعـة فـاختَرت الشفاعـةَ؛ لأنهـا أَعـمّ؛ أَتَـرَوْنَـها للمتقين؟ لا، ولكنها (٥٩/أ) للمذنبين الخطّائين**»[5]

٥٦١ ـ وعن أبي هريرة [رضي اللهُ عنه قال]: قلتُ: يا رسولَ الله! ماذا وَرَدَ[6]

= الزوائد ٧/ ٥١ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧١ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، عن مطلب بن شعيب، عن عبد الله بن صالح، وكلاهما قد وثق على ضعف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح». وفي البخاري (١٤٧٥) حديث عن ابن عمر في الشفاعة بغير هذا السياق.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦١ ـ ٣٦٢ وقال: «رواه أحمد (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، والبزار، والطبراني، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف».

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٤٤١، ٥٢٨ من حديث أبي هريرة، وانظر الرواية المتقدمة برقم (٥٥٤).

(٤) هو طرف من الحديث المتقدم برقم (٥٥٧). وانظر السنة لابن أبي عاصم (٧٨٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٣١١). وصححه البوصيري في مِصْباح الزجاجة، والسيوطي في الجامع الصغير (٤١١٩).

(٦) في مصادر التخريج: «ردَّ».

عليكَ في الشفاعة؟ فقال: «شفاعتي لمَنْ شَهِد أنْ لا إله إلا اللهُ مُخْلصاً ، يصدِّقُ لسانَه قلبُه»(١).

٥٦٢ ـ وعن أمّ حَبيبةَ ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «أُرِيتُ ما تَلْقَى أُمَّتِي من بَعْدي ، وسَفْكَ بعضِهم دماءَ بَعْضٍ ، وسبقَ لهم مِنَ الله ما سبقَ للأمم قَبْلَهم؛ فسألتُ اللهَ أن يؤتيني شفاعةً يوم القيامةِ فيهم ، ففعل»(٢).

٥٦٣ ـ وقال حذيفةُ: يجمعُ اللهُ الناسَ ، في صعيدٍ واحدٍ ، حيث يُسْمِعهم الداعي ، ويَنْفُذُهُمُ البصرُ ، حُفَاةً عُرَاةً كما خُلِقوا ، سُكُوتاً لا تَكلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بإِذْنِه ، فيُنَادَى: محمدُ! فيقول: لبَّيْكَ وسَعْدَيك ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ ، والشرُّ ليس إليكَ ، والمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْت ، وعَبْدُكَ بين يديكَ ، ولكَ وإليكَ ، لا مَلْجأَ ولا مَنْجى مِنكَ إلا إليكَ ، تبارَكْتَ وتعاليْت ، سبحانَك رَبَّ البيتِ ، قال: فذلكَ المقامُ المحمود الذي ذَكر الله(٣).

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٠٧ وغيره. وصححه ابن حبان (٢٥٩٥) موارد ، والحاكم (١/٧٠) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤٠٤): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير معاوية بن معتب ، وهو ثقة». وهو في البخاري (٩٩) بلفظ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

(٢) أخرجه أحمد ٦/٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، وابن أبي عاصم في السنة (٨٠٠) وغيره ، وصححه الحاكم (١/٦٨) ووافقه الذهبي. ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٩٥٨). وقال الحافظ الهيثمي: «رجال أحمد والطبراني رجال الصحيح».

(٣) أخرجه البزار (٣٤٦٢) ، والنسائي في الكبرى ، وغيره ، موقوفاً على حذيفة. وصححه الحاكم ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٤ ووافقه الذهبي ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٧٧: «رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح». وأخرجه مرفوعاً: ابن أبي عاصم في السنة (٧٨٩) ، والحاكم ٤/٥٧٣ ، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٧٧ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه ليث به أبي سُلَيم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات». وروى بعضه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ، مرفوعاً. (ينفذهم البصر): يقال: نفذني بصره ، إذا بلغني وجاوزني. قيل: المراد ينفذهم بصرُ الرحمن حتى يأتي عليهم كلهم. وقيل أراد: ينفذهم بصر الناظر؛ لاستواء الصعيد. قال أبو حاتم: أصحاب الحديث يروونه بالذال المعجمة ، وإنما هو بالمهملة: أي يبلغ أولهم وآخرهم. حتى يراهم كلهم ويستوعبهم. وحمل الحديث على بصر المبصِر أولى من حمله على بصر الرحمن ، =

٥٦٤ ـ وعن[1] ابْنِ عباس رضي الله عنهما: إذا دخل أَهْلُ النارِ النارَ، و[أَهلُ] الجنّةِ الجنّةَ، فتبقَى آخِرُ زُمْرَةٍ من الجنةِ وآخِرُ زُمْرة من النار؛ فتقول زمرةُ النارِ لزُمْرَةِ الجنَّة: ما نَفَعَكُم إيمانكم، فيَدْعُونَ رَبَّهم ويَضِجُّون، فيسمعهم أهلُ الجنةِ، فيسألونَ آدمَ وغيره بعدهُ في الشفاعة لهم؛ فكُلٌّ يعتذِرُ حتى يأْتُوا محمداً ﷺ، فيشفع لهم، فذلك المقامُ المحمود[2].

٥٦٥ ـ ونحوه عن ابن مسعود أيضاً[3]، ومجاهد.

٥٦٦ ـ وذكره عليُّ بن الحسين عن النبي ﷺ[4].

٥٦٧ ـ وقال جابر بن عبد الله لِيَزِيْدَ الفقيرِ[5]: سَمِعْتَ بمقام محمد؟ يعني الذي يبعثُه اللهُ فيه.

قال[6]: نعم. قال: فإنه مَقامُ محمدٍ المحمودُ الذي يُخْرِجُ اللهُ به مَنْ يُخْرِجِ ـ يعني من النار ـ وذكر حديثَ الشفاعة في إخراج الجهنَّمِيِّين[7].

٥٦٨ ـ وعن أَنس نحوه[8]، وقال: فهذا المقامُ المحمودُ الذي وُعِدَه[9].

٥٦٩ ـ [وعن سَلْمانَ: المقامُ المحمودُ هو الشفاعةُ في أُمته يومَ القيامة[10].

= لأن الله جل وعز يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق فيها محاسبة العبد الواحد على انفراده، ويرون ما يصير إليه / النهاية باختصار.

(١) في المطبوع: «وقال».

(٢) ذكره السيوطي في مناهل الصفا (٤٧٣)، ولم يخرجه.

(٣) رواه أحمد والطيالسي/ المناهل (٤٧٤).

(٤) ذكره ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٨ في تفسير سورة الإسراء) وقال: هذا حديث مرسل.

(٥) هو يزيد بن صهيب، تابعي ثقة، قيل له الفقير، لأنه كان يشكو فقار ظهره/ التقريب.

(٦) في المطبوع: «قلت».

(٧) أخرجه مسلم (١٩١/ ٣٢٠).

(٨) أخرجه البخاري (٤٤) وأطرافه، ومسلم (١٩٣).

(٩) قول أنس هذا أخرجه أحمد ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، وابن أبي عاصم في السنة (٨٠٤)، وعلَّقه البخاري (٧٤٤٠) بصيغة الجزم.

(١٠) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) ....=

٥٧٠ ـ ومثلُه عن أبي هريرة رضي الله عنه[١].

وقال قَتَادَةُ: كان أهلُ العلمِ يرَونَ المقام المحمودَ هو شفاعتُه يوم القيامة.

وعلى أن المقام المحمودَ مَقَامُهُ ـ عليه الصلاة والسلامُ ـ للشفاعةِ مذاهبُ السلَفِ من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين. وبذلك جاءت الشفاعةُ مُفَسَّرَةً في صحيح الأخبار عنه عليه الصلاةُ والسلامُ. وجاءت مقالةٌ في تفسيرها شاذّة عن بعض السلف، يجبُ ألاّ تثبتَ، إذا لم يعضدها صحيحُ أَثر، ولا سندُ نظر.

ولو صحّتْ لكان لها تأويلٌ غيرُ مستَنْكَر؛ لكن ما فسّره النبيُّ ﷺ في صحيح الآثار يردُّه؛ فلا يجبُ أن يُلْتَفَتَ إليه، مع أنه لم يأتِ في كتابٍ ولا سُنَّةٍ، ولا اتّفقَ على المقالِ أُمَّـةٌ؛ وفي إطلاق ظاهره مُنكَرٌ من القول وشُنْـعَـة[٢]].

٥٧١ ـ وفي روايةِ أنسٍ وأَبي هريرة وغيرهما ـ دخل حديثُ بعضِهم على بعض[٣] ـ قال ﷺ: «**يجمعُ [اللهُ] الأوَّلين والآخِرين يوم القيامة فيَهْتَمُّون ـ أو قال: فَيُلْهَمُونَ ـ فيقولون: لو استَشْفَعْنا إلى ربِّنا**»[٤].

٥٧٢ ـ ومن طريقٍ [آخر] عنه: «**ماج الناسُ بعضُهم في بعض**»[٥] (٥٩/ب).

٥٧٣ ـ وعن أَبي هريرة: «**وتَدْنو الشمسُ، فيبلغُ الناسَ من الغَمّ ما لا يُطِيقون ولا يحتملون؛ فيقولُونَ: ألا تَنْظرون مَنْ يشفَعُ لكم؟ فيأتون آدمَ**

= وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(١) تقدم حديث أبي هريرة مرفوعاً برقم (٥٥٤).

(٢) الشُّـنْعةُ: القبح.

(٣) في المطبوع: «دخل حديث بعضهم في حديث بعض».

(٤) أخرجه مسلم (١٩٣/ ٣٢٢) من حديث أَنس. ورواه أيضاً البخاري (٤٤) وأطرافه. (فيهتمُّون أو قال فيلهمون) أي في رواية: فيلهمون: ومعنى اللفظتين متقارب. فمعنى الأولى: أنهم يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذي هم فيه. ومعنى الثانية: أن الله تعالى يلهمهم سؤال ذلك.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) من حديث أنس مرفوعاً. (ماج الناس): أي اختلطوا.

فيقولون ـ زاد بعضُهم ـ: أَنْتَ آدمُ أبو البَشَر ، خلقك الله بيَده ، ونفخَ فيك مِنْ رُوحِه ، وأسْكَنَكَ جنّته ، وأسْجَدَ لك ملائكته ، وعلَّمكَ أسماءَ كلِّ شيء. اشْفَعْ لنا عند ربكَ حتىٰ يُريحَنا مِنْ مكاننا ؛ ألا تَرَى ما نحن فيه؟

فيقول: إنَّ رَبّي غَضِبَ اليومَ غَضباً لم يغضَبْ قبله[1] مثلَه ، ولا يغضب بعده مِثْلَه ، نهاني عن الشَّجَرةِ فعصَيْتُ؛ نَفْسي، نَفْسي. اذهبُوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نُوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: أَنْتَ أَولُ الرسُل إلى أَهل الأرضِ ، وسمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً ، أَلاَ تَرَى ما نحن فيه؟ أَلاَ تَرَى ما بلغْنَا؟ ألاَ تَشْفَع لنا إلى ربكَ؟ فيقول: إنّ رَبّي غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغضَبْ قبله مِثْلَه ، ولا يغضبُ بعده مِثْلَه ، نفسي ، نَفْسي»[2].

٥٧٤ ـ قال ـ في رواية أَنس: «ويذكُر خطيئتَه التي أصاب: سؤالَهُ ربَّهُ بغير علم»[3].

٥٧٥ ـ وفي رواية أبي هريرة [رضي اللهُ عنه]: «وقد كانت لي دعوةٌ دعوتُها على قَوْمي ، [اذهَبُوا إلى غيري]. اذهبوا إلى إبراهيم؛ فإنه خليلُ اللهِ.

فيأتون إبراهيم ، فيقولون: أَنْتَ نبيُّ اللهِ وخليلُه من أَهل الأرض ، اشْفَع لنا إلى ربكَ ، ألاَ تَرى ما نحْنُ فيه؟

فيقول: إنَّ ربي قَدْ غضِب اليومَ غضَباً ـ وذكر مِثْلَه ـ ويذكر ثلاثَ كلمات كَذَبَهُنّ ، نَفْسِي ، نَفْسي ، لستُ لها ، ولكِنْ عليكم بمُوسى؛ فإنّه كَلِيمُ اللهِ»[4].

٥٧٦ ـ وفي رواية: «فإنه عَبْدٌ آتاه اللهُ التوراةَ ، وكلَّمَه وقرَّبه نَجِيّاً»[5].

---

(١) كلمة: «قبله» لم ترد في المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ، ومسلم (١٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) وسيأتي برقم (١٥٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) ، وأحمد ٣/ ٢٤٤ ، وابن أبي عاصم في السنة (٨٠٤) من حديث أنس. وانظر حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٦٥٢/ ١٥).

٥٧٧ ـ قال: «فيأتُون موسى؛ فيقول: لستُ لها، ويذكر خطِيئته التي أَصاب، وقَتْلَه النفسَ، نفسي، نفسي، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه رُوحُ اللهِ وكلمَتُه.

فَيأتُونَ عيسى؛ فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، عَبْدٍ غفر اللهُ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تَأَخَّر.

فأُوتَى، فأقول: أنا لها.

فأَنْطَلِقُ، فأستأذِنُ على ربّي، فيُؤْذَنُ لي، فإذا رأيتُه وقعْتُ ساجِداً»[١].

٥٧٨ ـ وفي روايةٍ: «فآتِي تحت العَرْشِ، فأَخِرُّ ساجداً»[٢].

٥٧٩ ـ وفي روايةٍ: «فأقوم بين يديه، فأحمدهُ بمحامِدَ لا أَقدر عليها (٦٠/أ) إلاّ أن يُلْهِمَنيها الله»[٣].

٥٨٠ ـ وفي روايةٍ: «فيفتَح اللهُ عليّ مِنْ محامِدِهِ، وحُسْن الثناء عليه شيئاً لم يفتَحه على أحدٍ قَبْلي».

قال ـ في رواية أبي هريرة ـ: «فيُقال: يا محمَّدُ! ارفَعْ رأْسَك، سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تشفَّع؛ فأَرفَعُ رَأْسي، فأقول: يا ربِّ! أُمتي؛ يا ربِّ! أمتي. فيقول: أَدْخِلْ من أُمتك مَنْ لا حِسابَ عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة؛ وهم شركاءُ الناسِ فيما سِوَى ذلك من الأبواب»[٤].

٥٨١ ـ ولم يذكُرْ في رواية أَنَس هذا الفَضلَ، وقال مكانه: «ثم أَخِرُّ ساجداً؛ فيقال لِي: يا محمد! ارفَعْ رأسك، وقُلْ يُسْمَع[٥] لك، واشفَعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعطَهْ. فأقول: يا ربّ! أمتي، أُمتي. فيقال: انطلِقْ، فمَنْ كان

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) من حديث أَنس.
(٢) البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤/ ٣٢٧) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) من حديث أنس.
(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢٠)، ومسلم (١٩٤/ ٣٢٧) من حديث أبي هريرة.
(٥) في الأصل: «ليسمع» والمثبت من المطبوع ومصادر التخريج.

في قَلْبه مِثْقَال حبّـةٍ من بُـرَّةٍ أو شَعِيرةٍ من إيمان فأَخْرِجْه ، فأَنطلِقُ فأَفْعَلُ .

ثم أرجعُ إلى ربي ، فأَحْمَدُه بتلك المحامِدِ . . .» وذكر مِثْلَ الأول؛ وقال فيه: «مثقال حبَّةٍ من خَرْدل. قال: فأفعل ، ثم أَرجع . .» وذَكَر مِثْلَ ما تَقدم ، وقال فيه: «مَنْ كان في قَلْبه أَدْنَى أَدْنَى أَدْنىٰ مِنْ مثقالِ حبّةٍ من خَرْدل؛ فأَفْعَلُ».

وذَكَر في المرة الرابعة: «فيُقال لي: ارْفَع رَأْسَك ، وقُلْ يُسْمَعْ ، واشْفَع تُشَفَّعْ ، وسَلْ تُعْطَهْ».

فيقول: «يا ربِّ! ائْـذَنْ لي فيمن قال: لا إله إلا الله. قال: ليس ذلكَ إليك.

ولكن وعِزَّتي! وكبريائي! وعظَمَتي! وجِبْريائي! لأُخْرِجَنّ مِنَ النار مَنْ قال: لا إله إلا اللهُ»[١].

٥٨٢ ـ وفي[٢] رواية قَتَادةَ عنه؛ قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة[٣]: «فأَقول: يا ربّ! ما بقِيَ في النار إلا مَنْ حبَسه القرآنُ»[٤] أَي وجب عليه الخلود.

٥٨٣ وحتى ٥٨٦ ـ وعن أبي بكر ، وعُقبة بن عامر ، وأَبي سَعِيد ، وحُذَيْفَةَ مثله[٥]؛ قال: «فيأتون محمداً فيُؤْذَن له ، وتأتي الأَمانةُ والرحِمُ فتقومان جَنْبَتَيِ الصراط».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) من حديث أنس. (جبريائي): أي عظمتي وسلطاني وقهري.

(٢) في المطبوع: «ومن».

(٣) قوله: «فلا أدري في الثالثة أو الرابعة»، لم يرد في المطبوع ، وهو في الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٢) من حديث قتادة عن أنس.

(٥) حديث أبي بكر تقدم برقم (٥٣١) ، وحديث عقبة بن عامر ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٦) وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف». وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه الترمذي (٣١٤٨) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وهو مطول الحديث المتقدم برقم (٥٠٢) ، وحديث حذيفة بن اليمان أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي مالك الأشجعي ، عن ربعي ، عنه. (جَنَبَتَي الصراط) معناها: جانباهُ ، ناحيتاه اليمنىٰ واليسرىٰ. (شد الرجال) الشدُّ: هو العَدْو البالغ والجري.

و[ذكر] في رواية [أَبي مالِك] عن حذيفة: «فيأتون محمداً فيَشْفَع؛ فيُضْرَبُ الصراطُ، فيمرُّون: أَولُهم كالبَرْقِ، ثم كالرِّيح، والطَّير، وشدّ الرِّجَال، ونبيُّكم ﷺ على الصراط يقول: اللهمّ! سلِّمْ سلِّمْ، حتى يَجْتاز الناس. وذكر آخِرَهم جَوازاً. . .» الحديث.

٥٨٧ ـ وفي رواية أَبي هريرة: «فأكون أَوّلَ من يُجِيز»[١] (٦٠/ب).

٥٨٨ ـ وعن ابن عباس، عنه ﷺ: «يوضَعُ للأنبياء مَنَابرُ يجلسون عليها، ويَبْقى مِنْبَري لا أَجلس عليه، قائماً بين يَدَيْ رَبي مُنْتصباً، فيقول الله تبارك وتعالى: ما تُريدُ أَنْ أصنعَ بأُمّتِكَ؟ فأقول: يا ربّ! عَجِّل حسابَهم؛ فيُدْعى بهم، فيُحَاسَبُونَ.

فمنهم مَنْ يدْخُلُ الجنة بِرحمَته، ومنهم مَنْ يدخلُ الجنةَ بشفاعتي، ولا أَزال أشفَعُ حتى أُعْطَى صِكَاكاً برجالٍ قد أُمِرَ بهم إلى النارِ، حتى إنّ خازِنَ النارِ ليقول: يا محمدُ! ما تركْتَ لِغَضب رَبِّك في أُمتك من نِقْمَة[٢]»[٣].

٥٨٩ ـ ومن طريق زِيَاد النُّمَيْرِي، عن أَنس أَنّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَنا أَول مَنْ تَنْفلِقُ الأَرض عن جُمْجمته ولا فَخْرَ، وأَنا سيّدُ الناس يوم القيامة ولا فَخْر، ومعي لواءُ الحَمْد يوم القيامةِ، وأنا أَولُ مَنْ تُفتَحُ له الجنةُ ولا فَخْر، فآتي فآخذ بحلْقَةِ الجنةِ، فيقالُ: مَنْ هذا؟ فأقول: محمدٌ؛ فيُفتَحُ لي، فيستقبلُني الجبَّارُ تعالى، فأَخِرُّ له ساجداً. . .»[٤] وذكر نحو ما تقدَّم[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢). (يجيز) لغة في يجوز، ومعناه: أسير وأقطع.
(٢) هكذا في الأصل: «نقمة»، وأثبت الناسخ فوقها: «بقية».
(٣) أخرجه الحاكم ١/ ٦٥ ـ ٦٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال الذهبي: «والحديث منكر»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٠ وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن ثابت البناني، وهو ضعيف». (صِكاكا): جمع صَكٌّ، وهو الكتاب.
(٤) أخرجه أحمد ٣/ ١٤٤، والدارمي برقم (٥٣) من حديث عمرِو بن أبي عمرٍو، عن أنس.
(٥) أي نحو حديث أنس في الشفاعة المتقدم برقم (٥٨١).

٥٩٠ ـ ومن رواية أُنَيسٍ[(١)] ، سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: **«لأَشْفَعَنَّ يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حَجر وشجَر»**[(٢)].

فقد اجتمع من اختلافِ أَلفاظِ هذه الآثارِ أنّ شفاعَته ـ ﷺ ـ ومقامه المحمودَ من أَولِ الشفاعات إلى آخِرها ، من حين يجتمعُ الناسُ للْحَشْرِ ، وتضِيق بهم الحناجِرُ ، ويبلغُ منهم العَرَقُ والشمسُ والوقوفُ مَبْلَغَه ، وذلك قبلَ الحساب ، فيشفَعُ حينئذٍ لإراحةِ الناس من الموقف ، ثم يُوضَعُ الصِّراطُ ، ويحاسَبُ الناسُ ـ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحُذيفَة ـ وهذا الحديثُ أَتْقَنُ. فيشفعُ في تعجيل مَنْ لا حسابَ عليه من أمته إلى الجنة ـ كما جاء[(٣)] في الحديث ـ ثم يشفَعُ فيمن وجب عليه العذَابُ ، ودخل النارَ منهم حَسْبَ ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ، ثم فيمن قال: لا إله إلا الله. وليس هذا لسِوَاه ﷺ.

٥٩١ ـ وفي الحديث المُنْتَشر الصحيح: **«لكلّ نبيٍّ دَعوةٌ يدعُو بها ، واختبأْتُ دَعْوتي شفاعةً لأُمَّتي (٦١/أ) يوم القيامة»**[(٤)].

قال أهلُ العلم: معناه دعوةٌ أُعْلِمَ أَنها تُستجابُ لهم ، وَيُبْلَغُ فيها مرْغوبُهم ، وإلا فكم لكلّ نبيّ منهم من دَعْوةٍ مستجابةٍ ، ولنبيِّنا ﷺ منها ما لا يُعَدُّ؛ لكن حالهم عند الدعاءِ بها بَيْنَ الرجاءِ والخوفِ ، وضُمِنَتْ لهم

---

(١) صحابي أنصاري شامي. وفي المطبوع: «أَنَس»، مكبراً، وهو تحريف.

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» إلى البغوي وابن شاهين والطبراني في الأوسط. وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٣٧ وقال: «إسناده ليس بالقوي» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٩: «رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه أحمد بن عمرو صاحب علي بن المديني. ويعرف بالقِلَّوْري ولم أعرفه ، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم». قلت: أحمد بن عمرو أبو العباس القِلَّوْري من رجال التهذيب. قال الحافظ ابن حجر في التقريب: «ثقة». وفي الباب: عن بريدة بن الحُصَيْبِ عند أحمد ٥/ ٣٤٧ ، وحسَّن إسناده الزين العراقي كما في فيض القدير (٣/ ١٧).

(٣) في المطبوع: «تقدم».

(٤) حديث صحيح. سيأتي برقم (٥٩٢) من حديث أبي هريرة ، وبرقم (٥٩٥) من حديث أنس بن مالك.

إجابةُ دعوةٍ فيمن[1] شاؤوه ، يَدْعونَ بها على يقينٍ مِن الإجابةِ .

٥٩٢ ـ وقد قال محمد بن زِيَاد ، وأَبو صالح ، عن أبي هُريرة في هذا الحديث : «**لكلّ نبيّ دعوةٌ مستجابة[2] دَعَا بها في أُمته ، فاستُجِيب له ؛ وأنا أُريدُ أَنْ أُؤَخِّـرَ [3]، دَعْوَتي شفاعة لأُمتي يوم القيامة**»[4] .

٥٩٣ ـ وفي رواية أَبي صالح : «**لكل نبيّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجّلَ كلُّ نَبِيّ دعوتَه**»[5] .

٥٩٤ ـ ونحوه في روايةِ أبي زُرْعَةَ عن أبي هُريرة[6] .

٥٩٥ ـ وعن أَنس[7] مِثْلُ رواية ابن زياد[8] ، عن أَبي هريرة .

فتكون هذه الدعوةُ المذكورة مخصوصةً بالأُمة ؛ مضمونَةَ الإجابة ؛ وإلاّ فقد أَخبر ﷺ أنه سأَل لأمته أَشياء من أُمور الدين والدنيا أُعطِي بعضها ، ومُنِع بعضَها ، وادّخر لهم هذه الدعوةَ ليوم الفاقةِ ، وخاتمةِ المِحَن ، وعظيمِ السؤالِ والرغبة .

جزاهُ الله أحسنَ ما جَزَى نبيًّا عن أمته ، وصلى [الله] عليه وسلم كثيراً .

---

(١) في المطبوع : «فيما» .
(٢) كلمة : «مستجابة» ، لم ترد في المطبوع .
(٣) في المطبوع : «أَدَّخِـرَ» .
(٤) أخرجه مسلم (١٩٩/ ٣٤٠) من طريق محمد بن زياد ، وأخرجه مسلم أيضاً (١٩٩/ ٣٣٨) من طريق أبي صالح ، ذكوان السمان كلاهما ، عن أبي هريرة به . واللفظ لمحمد بن زياد . وهذا الحديث رواه أيضاً البخاري (٦٣٠٤) من طريق عبد الرحمن بن هرمز الأعرج و(٧٤٧٤) من طريق أبي سلمة ، كلاهما عن أبي هريرة به .
(٥) أخرجه مسلم (١٩٩/ ٣٣٨) .
(٦) أخرجه مسلم (١٩٩/ ٣٣٩) .
(٧) حديث أنس أخرجه البخاري (٦٣٠٥) ، ومسلم (٢٠٠) بنحو حديث محمد بن زياد عن أبي هريرة ، لا مثله كما ذكره المصنف رحمه الله .
(٨) في الأصل : «أبي زياد» والمثبت من المطبوع وهو الصواب .

فصل

فِيْ تَفْضِيْلِهِ فِيْ الْجَنَّةِ بِالْوَسِيْلَةِ وَالدَّرَجةِ الرَّفِيْعَةِ وَالْكَوْثَرِ وَالفَضِيْلَةِ

٥٩٦ ـ حدثنا القاضي أبو عَبْد الله: محمد بن عيسى التميمي، والفقيه أبو الوليد: هشامُ بن أحمد، بقراءتي عليه[1]؛ قالا: حدثنا أَبو عليّ الغَسّاني، حدثنا النَّمَريُّ، حدثنا ابنُ عبد المُؤمن، حدثنا أبو بكر التَمَّار، حدثنا أبو داود، حدثنا محمد بن سلَمَة، حدثنا ابْنُ وَهْب، عن ابن لَهِيْعَةَ، وحَيْوَةَ، وسَعِيد بن أَبي أيوب، عن كعب بن علقمة، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبيَّ ـ ﷺ ـ يقول: «إذا سمعتُمُ المؤذِّن فقولوا مثْلَ ما يقول، ثم صلّوا عليَّ؛ فإنه مَنْ صَلّى عَلَيَّ مرةً صلى اللهُ عليه عشراً؛ ثُمَّ سَلُوا الله تعالى لي الوسيلة؛ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تَنْبَغي إلاّ لعبدٍ مِنْ عبادِ الله؛ وأرجو أَن أكون أَنا هو، فَمَنْ (٦١/ب) سأل الله لي الوسيلَةَ حلَّت عليه الشفاعةُ»[2].

٥٩٧ ـ وفي حديث آخر، عن أَبي هريرة: «الوَسِيلةُ أَعلىٰ درجةٍ في الجنَةِ»[3].

٥٩٨ ـ وعن أَنس: قال رسولُ الله ﷺ: «بينا أنا أَسيرُ في الجنّة إذ عَرَض لي نهرٌ حافَّتاه قِبَابُ اللؤلؤ.

قلت لجِبريل: ما هذا؟ قال: [هذا] الكَوْثَرُ الذي أَعطاكَهُ الله. قال: ثم

---

(١) في المطبوع: «عليهما».

(٢) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٥٢٣). وأخرجه أيضاً مسلم (٣٨٤) من طريق حيوة وسعيد بن أبي أيوب بهذا الإسناد. وسيأتي برقم (١٤٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٢) وقال: «هذا حديث غريب، إسناده ليس بالقوي...» ويشهد له ما قبله.

ضرب بيده إلى طِينهِ ، فاستخرج مِسْكاً»[1] .

٥٩٩ ، ٦٠٠ ـ وعن عائشة[2] وعبد الله بن عُمَرَ[3] مثلُه . قال : «ومَجْراهُ على الدُّرِّ والياقوت ، وماؤه أحلى من العسَل ، وأَبيضُ من الثَّلْج»[4] .

٦٠١ ـ وفي رواية ، عنه : «فإذا هو يَجْري ، ولم يَشُقَّ شقّاً ، عليه حَوْض تَرِدُ عليه أُمتي . . . »[5] ، وذكر حديثَ الحَوْضِ .

٦٠٢ ـ ونحوه عَنِ ابْنِ عباس[6] .

٦٠٣ ـ وعن ابن عباس أَيضاً ، قال : الكوثَرُ : الخير الذي أَعطاه اللهُ إيَّاه[7] .

٦٠٤ ـ وقال[8] سَعِيد بن جُبَير : والنهرُ الذي في الجنةِ من الخير الذي أعطاهُ [اللهُ][9] .

٦٠٥ ـ وعن حُذَيفَةَ ، فيما ذَكَره ـ عليه السلام ـ عن رَبّه : «وأَعطاني

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨١) ، والترمذي (٣٣٦٠) واللفظ له . وانظر صحيح مسلم (٤٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٥) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها قال : سألتُها عن قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت : هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ ، شاطِئاه عليه دُرٌّ مجوَّف ، آنيته كعدد النجوم . قلت : كان حق المصنف رحمه الله أن يقول : نحوه ، لا مثله .

(٣) في الأصل والمطبوع : «عبد الله بن عَمْرٍو» . والتصويب من مصادر التخريج وجامع الأصول ٢/ ٤٣٩ .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٦١) ، وابن ماجه (٤٣٣٤) ، وأحمد (٢/ ١١٢) عن ابن عمر مرفوعاً . قال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» . وهناك حديث آخر في الحوض رواه عبد الله بن عمرو بن العاص تقدم برقم (٥١٠) .

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤٧) من حديث أنس . وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٦ . (لم يشق شقّا) : أي : لم يمل إلىٰ شقٍّ من أحد طرفيه بل يجري جرياً مستوياً / قاله القاري .

(٦) ذكره الهيثمي ١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧ بنحو حديث ابن عمر المتقدم برقم (٦٠٠) وقال : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن عبد الوهّاب الحارثي ، وهو ثقة» .

(٧) أخرجه البخاري (٦٥٧٨) موقوفاً على ابن عباس .

(٨) في الأصل : «وعن» ، والمثبت من المطبوع .

(٩) أخرجه البخاري (٦٥٧٨) ، وهو موقوف على سعيد بن جبير .

الكوثَرَ ، [وهو] نهر من[1] الجنة ، يَسيلُ في حَوْضي» .

٦٠٦ ـ وعن ابن عباس : في قوله [تعالى] : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥] ؛ قال : أَلْفُ قصرٍ من لُؤْلُؤ ، تُرَابُهنَّ المِسْكُ ، وفيه[2] ما يُصْلحهنّ[3] . وفي روايةٍ أخرى : وفيه ما ينبغي له من الأَزْواج والخَدَم .

فصـل

[فِيْ مَعْنَىٰ الأَحَادِيْثِ الْوَارِدَةِ بِنَهْيِهِ ﷺ عَنْ تَفْضِيلِهِ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ][4]

٦٠٧ ـ فإن قُلْتَ : إذَا تقرّر مِنْ دليلِ القرآن ، وصحيح الأَثَر ، وإجماع الأمة ـ كونُه أكرمَ البشَر ، وأفضلَ الأنبياء ـ فما معنى الأحاديث الواردةِ بِنَهْيِه عن التفضيل؟ كقوله ـ فيما حدثنا الأَسَديُّ ـ قال : حدثنا السَّمَرْقَنْدي ، حدثنا الفارسيّ ، حدثنا الجُلُوديّ ، حدثنا ابْنُ سفيان ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابْنُ مُثَنَّىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبة ، عن قَتَادة : سمعت أبَا العالية يقول : حدثني ابنُ عَمِّ نبيِّكم ﷺ ـ يعني ابنَ عباس ـ عن النبيّ ﷺ ؛ قال : «**ما ينبغي لعَبْدٍ أَن يقول : أَنَا خيرٌ من يونُس بن مَتّى**»[5] .

٦٠٨ ـ وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة [عن النبي ﷺ أنه][6] قال ـ يعني اللهُ ـ : «**ما ينبغي لعبدٍ . . .**» الحديث[7] .

---

(١) في المطبوع : «في» .

(٢) (وفيه) أي في كل قصْر ، وفي الأصل : «وفيهن» ، والمثبت من المطبوع .

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وصَحَّحَ إسناده ابن كثير في تفسير سورة والضحى ، وتبعه السيوطي في المناهل ((٤٩) . قال ابن كثير : «مثل هذا ما يقال إلا عن توقيف» .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندي .

(٥) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٣٧٧) . وأخرجه أيضاً البخاري (٣٤١٣) .

(٦) ما بين حاصرتين زيادة من صحيح مسلم (٢٣٧٦) .

(٧) حديث قدسي أخرجه مسلم (٢٣٧٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ عن الله تعالى . وأخرجه=

٦٠٩ ـ وفي حديث أَبي هريرة ، في اليهوديّ الذي قال: والذي اصطفى موسى على البَشَرِ! فلطمهُ رجلٌ (٦٢/أ) من الأنصار ، وقال: تقولُ ذلك ورسولُ الله ﷺ بين أَظْهُرنا؟!

فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فقال: «لا تفضّلُوا بين الأَنبياء»[١].

٦١٠ ـ وفي رواية: «لا تخيِّروني على موسى» فذكر الحديث[٢].

٦١١ ـ وفيه: «ولا أقولُ: إن أَحداً أفضَلُ من يونس بن مَتَّى»[٣].

٦١٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ[٤] قال: أَنا خيرٌ من يونس بن متّى فقد كذب»[٥].

٦١٣ ـ وعن ابْنِ مسعود: «لا يقولَنَّ أَحَدُكم أنا خيرٌ من يونس بن متّى»[٦].

٦١٤ ـ وفي حديثه الآخر: فجاءه [ﷺ] رجلٌ ، فقال [له]: يا خَيْرَ البَرِيّة! فقال: «ذاك[٧] إبراهيم»[٨].

فاعلَمْ أنَّ للعلماء في هذه الأحاديثِ تأويلاتٍ:

أحدها: أَنَّ نَهْيَه عن التفضيل كان قَبل أَنْ يعلمَ أَنه سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ؛ فنَهى عن التفضيل؛ إذ يحتاج إلى توقيف؛ وأَنَّ مَنْ فضَّل بلا عِلْم فقد كذَبَ.

٦١٥ ـ وكذلك قوله: «لا أقولُ إنَّ أحداً أفضلُ منه»[٩] لا يقتضي تفضيلَه

= البخاري (٣٤١٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وفي المطبوع: «قال: يعني رسول الله ﷺ».

(١) متفق عليه. وقد تقدم برقم (٢٦٧).

(٢) تقدم برقم (٢٦٨) من حديث أبي هريرة. وهو متفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (٢٤٧٣/ ١٥٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) في الأصل: «ومن»، والمثبت من المطبوع والبخاري.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٠٤ ، ٤٨٠٥).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤١٢).

(٧) في الأصل: «ذلك»، والمثبت من المطبوع وصحيح مسلم.

(٨) أخرجه مسلم (٢٣٦٩) من حديث أنس. وقد تقدم برقم (٢٧٠).

(٩) تقدم برقم (٦١١).

هو؛ وإنما هو في الظاهر كفّ عن التفضيل.

الوجه الثاني[1]: أنه قاله ﷺ على طريقِ التواضُع، ونَفْي التكبُّر والعُجْب. وهذا لا يَسْلَم من الاعتراض.

الوجه الثالث: ألاَّ يُفَضّل بينهم تفضيلاً يُؤَدِّي إلى تنقُّصِ بعضهم، أو الغضّ منه، لا سيّما في جهةِ يونس عليه السلام؛ إذ أخبر اللهُ عنه بما أخبر لئلا يقعَ في نَفْس مَنْ لا يَعْلَمُ منهُ بذلك غَضَاضَةٌ وانحطاطٌ من رُتْبته الرفيعة؛ إذ قال تعالى عنه: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فربما يُخَيَّل لمَنْ لا عِلْمَ عنده حَطيطَته[2]، بذلك.

الوجه الرابع: مَنْعُ التفضيل في حقّ النبوّة والرسالة؛ فإن الأنبياء فيها على حدٍّ واحدٍ؛ إذ هي شيءٌ واحدٌ لا يَتَفَاضَل؛ وإنما التفاضُل في زيادةِ الأحوالِ والخصوص، والكرامات، والرُّتب، والألطافِ؛ وأما النبوةُ في نفسها فلا تتفاضَلُ؛ وإنما التفاضلُ بأمورٍ أُخَر زائدة عليها؛ ولذلكَ منهم رسلٌ، ومنهم أُولو عَزْمٍ من الرسل؛ ومنهم مَنْ رُفِعَ مكاناً علياً؛ ومنهم مَنْ أُوتِيَ الحُكْم صَبِيّاً؛ وأُوتِيَ بعضُهم الزُّبُـرَ، وبعضُهم البيّناتِ، ومنهم مَنْ كلَّمَ اللهُ؛ ورفع بعضَهم [فوق بعض] درجاتٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] (٦٢/ب).

قال بعضُ أهلِ العِلْمِ: والتفضيل المرادُ لهم هنا في الدنيا؛ وذلك بثلاثة أحوال: أن تكونَ آياتُه ومعجزاتُه أبْهَر، وأشهر؛ أو تكونَ أُمتُه أزْكَى وأكثر؛ أو يكون في ذاته أفضلَ وأطْهر، وفضْلُه في ذاته راجعٌ إلى ما خصّه اللهُ به من

---

(١) في الأصل: «وجه ثاني»، والمثبت من المطبوع.

(٢) حطيطته: نقصه.

كرامتِه ، واختصاصهِ من كلامٍ ، أو خُلّةٍ ، أو رُؤْية ، أو ما شاء اللهُ من أَلطافِه ، وتُحَفِ ولايته ، واختصاصِه.

٦١٦ ـ وقد رُوي أَنّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنّ للنبوّة أَثقالاً؛ وإنَّ يونس تَفَسَّخَ منها تَفَسُّخَ الرُّبَعِ**»(١) فحفِظَ [رسولُ الله] ﷺ مَوْضعَ الفِتْنةِ ، مِنْ أوهام مَنْ يسبقُ إليه بسببها جَرْحٌ(٢) في نُبوَّته ، أو قَدْحٌ في اصْطِفائه ، وحَطٌّ من رُتْبته (٣)، ووهَنٌ في عصمته ، شفقةً منه ـ ﷺ ـ على أُمّته.

وقد يتوجَّهُ ـ على هذا الترتيب ـ وجْهٌ خامس؛ وهو أن يكون «أنا» راجعاً إلى القائل نَفْسِه؛ أي لا يظنُّ أَحَدٌ ـ وإن بلغ من الذَّكاء والعِصْمَةِ والطهارة، ما بلغ ـ أنه خَيْرٌ من يونس ، لأجل ما حَكَى اللهُ عنه ، فإنّ درجةَ النبوَّةِ أفضلُ وأَعْلَى ، وإنَّ تلك الأقدارَ لم تحطّه ، عنها حبَّةَ خَرْدَل ولا أَدْنَى.

وسنزيد في القسم الثالث من(٤) هذا بياناً. إن شاء اللهُ [تعالى].

فقد بان(٥) لكَ الغَرَضُ ، وسقط بما حرّزْناه شُبْهةُ المُعْتَرِض [وبالله التوفيق ، وهو المستعانُ ، لا إله إلا هو].

فصل

فِيْ أَسْمائِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ تَفْضِيْلِهِ(٦)

٦١٧ ـ حدثنا أبو عِمْران: موسى بن أبي تَلِيد الفقيه؛ قال: حدثنا أبو عُمَرَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥ من قول وهب بن مُنَبِّهٍ (أثقالاً): أحمالاً ثقيلة. (الرُّبَع): ما وُلِدَ من الإبل في الربيع. والمعنىٰ: إنه لم يطق مشاقَّ الرسالة ، ولم يصبر عليها ، وفي تشبيهه بالرُّبَع إشارة إلى أنه كان في مبدأ أمره.

(٢) (جَرْحٌ): أي طعن . وفي المطبوع: «حرج» وهو تصحيف.

(٣) (حط من رتبته): أي وضع من رفعته .

(٤) في المطبوع: «في».

(٥) بان: ظهر.

(٦) في المطبوع: «فضيلته».

الحافظ ، حدثنا سَعِيد بن نصر ، حدثنا قاسم بن أَصْبَغَ ، حدثنا محمد بن وَضَّاح ، حدثنا يحيى ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**لي خمسةُ أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يَمْحُو اللهُ بي الكفْرَ ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدَمِي ، وأنا العاقِبُ**»[1] .

وقد سماه [اللهُ تعالى] في كتابه محمداً ، وأَحمدَ .

فمن خصائصه تعالى له أنْ ضمَّنَ أسماءه ثناءَه ؛ وطَوَى أثناء ذِكْرِه عظيم شُكْره .

فأما اسْمُه أحمد : فَأَفْعَلُ ، مبالغةً مِنْ صِفَة الحَمْد .

ومحمد : مُفَعَّلٌ ، مبالغة من كَثْرَة الحَمْد ؛ فهو ـ ﷺ ـ أجلُّ مَنْ حَمِدَ (٦٣/أ) وأَفضل مَنْ حُمِد ، وأكثرُ الناس حَمْداً ؛ فهو أَحْمَدُ المحمودين ، وأَحْمَدُ الحامِدِين ، ومعه لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القيامة ليَتمَّ له كمالُ الحمدِ ، ويتَشَهَّر في تلك العَرَصَاتِ بصفةِ الحمد ، ويبعثُه ربُّه هناك مقاماً محموداً كما وعده ؛ يَحْمَدُهُ فيه الأوّلون والآخرون بشفاعتِه لهم .

٦١٨ ـ ويُفتَح عليه فيه من المحامد ـ كما قال ﷺ ـ ما لم يُعْطَ غيرهُ[2] .

٦١٨م ـ وسَمَّى أُمَّتَه في كتُب أنبيائه بالحمّادين[3] ؛ فحقيقٌ أن يسمَّى محمداً وأحمدَ .

ثم في هذه الاسمين من عجائب خصائصه ، وبدائِع آياته ـ فنٌّ آخر ؛ [و] هو أَنَّ اللهَ جلّ اسمُه حمى[4] أن يسمَّى بهما أَحَدٌ قبل زَمَانه .

وأمّا أحمدُ الذي أَتَى في الكُتب وبَشّرت به الأَنبياءُ فمنع اللهُ تعالى بحكمته

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢) ، ومسلم (٢٣٥٤/ ١٢٥).

(٢) تقدم برقم (٥٨٠).

(٣) تقدم برقم (٢٠).

(٤) حمىٰ : منع .

أَنْ يُسمَّى به أحدٌ غيره ، ولا يُـدْعَى به مَدْعوٌ قَـبْلَه حتى لا يدخـلَ لَبْسٌ[1] على ضَعِيفِ القَلْب أو شَكّ .

وكذلك محمد أيضاً لم يُسمَّ به أَحدٌ من العَرَب ، ولا غيرهم ، إلى أَنْ شاعَ قُبَيلَ وجودِه ـ ﷺ ـ وميلاده أنَّ نَبِيّاً يُبْعثُ اسمُه محمد؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءَهم بذلك؛ رجاءَ أن يكونَ أحدَهم هو. والله أَعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالاتِـه؛ وهم: محمد بن أُحَيْحَةَ بن الجُلاح الأوْسي ، ومحمد بن مَسْلَمة الأنصاريّ ، ومحمد بن بَـرَاءِ البكريّ ، ومحمد بن سُفْيان بن مُجاشع ، ومحمد بن حُمْران الجُعْفي ، ومحمد بن خُزاعيّ السُّلَمي ، لا سابعَ لهم.

ويقال: أول مَنْ تسَمَّى بمحمدٍ مُحَمَّدُ بنُ سُفْيانَ. واليمنُ تقول: بل محمد بن الْيَحْمَدِ ، من الأزد.

ثم حَمَى اللهُ كلَّ مَن تسمَّى به أَنْ يَدَّعِي النبوَّةَ أو يدَّعيَها أَحدٌ له ، أو يظهر عليه سببٌ يشكِّكُ أحداً في أَمْره حتى تحقّقت السِّمَتانِ له ﷺ ، ولم ينازَعْ فيهما.

وأَمَّا قولُه [ﷺ]: «وأَنَا الماحي الذي يَمْحُو اللهُ بي الكُفْرَ» ففُسِّر في الحديث . ويكون مَحْوُ الكُفرِ إمَّا مِنْ مكّة وبلادِ العرب؛ وما زُوِيَ[2] له من الأرضِ ، ووُعِدَ أَنه يبلغُه مُلْكُ أمته؛ أو يكون المَحْوُ عامّاً ، بمعنى الظُّهور والغَلَبَة؛ كما قال تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣].

٦١٩ ـ [وقد ورد تفسيرُه في الحديث: أَنه الذي مُحِيت به سيئاتُ مَنِ اتَّبعه][3].

وقوله: «وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمي» أي على (٦٣/ب) زمَانِي

(١) لَبْسٌ: تخليط.
(٢) زُوِيَ: جُمِعَ. وانظر الحديث الآتي برقم (٦٦١).
(٣) رواه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل عن جُبَيْر/ المناهل (٤٩٧).

وعَهْـدي؛ أي ليـس بَعْـدِي نبـيٌّ ، كمـا قـال تعـالـى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وسُمِّي عاقِباً؛ لأنه عَقَبَ ـ عليه السلام ـ غَيْرَه من الأنبياء.

٦٢٠ ـ [وفي الصحيح: «أَنا العاقِبُ الذي ليس بعدي نبيٌّ»][1].

وقيل: معنى «على قَدَمِي» أي: يُحْشَرُ الناسُ بمُشَاهدتي؛ كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

[وقيل: «على قَدَمِي» على سابِقَتي؛ قال الله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾ [يونس: ٢].

وقيل: «على قَدَمِي» أي قُدَّامي ، وحَوْلي؛ أي يجتمعون إليّ يوم القيامة.

وقيل: «على قَدَمِي» على سُنتِي].

ومعنى قوله: «لي خمسةُ أسماء» قيل: إنها موجودةٌ في الكُتب المتقدمة ، وعند[2] أولي العِلْم من الأمم السالفة ، والله أعلم.

٦٢١ ـ وقد رُوي عنه ﷺ: «لي عشرةُ أسماء»[3] وذكَر منها: ﴿طه﴾ و﴿يسٓ﴾؛ حكاه مكّيٌّ.

وقد قيل في بعض تفاسير[4] ﴿طه﴾: إنه يا طاهر! يا هادي! وفي ﴿يسٓ﴾ يا سيِّدُ![5] حكاه السُّلَمي عن الواسطي ، وجَعْفر بن محمد.

٦٢٢ ـ وذكر غَيْرُه: «لي عشرةُ أَسماء» فذكر الخمسةَ التي في الحديث الأول؛ قال: «وأنارسولُ الرحمة ، ورسولُ الراحةِ ، ورسولُ المَلاحِم».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٤/ ١٢٥) من حديث جبير بن مُطْعِم.

(٢) لم تظهر واضحة في الأصل. والمثبت من المطبوع.

(٣) تقدم برقم (٢٤) وفي سنده وضّاع.

(٤) في المطبوع: «تفسير».

(٥) رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلاً/ المناهل (٤٩٩).

٦٢٢م ـ وأنا المُـقَـفِّي [١]، قَـفَّـيْـتُ النبيين»[٢].

٦٢٣ ـ «وأنا قَـيِّم»[٣] والقيِّمُ: الجامعُ الكامِلُ؛ كذا وجدتُه، ولم أَرْوِهِ. وأَرى أنَّ صوابه قُثَم ـ بالثاء ـ كما ذكرناه بَعْدُ عن الحربيّ؛ وهو أَشْبَه بالتفسير.

وقد وقع أيضاً في كتب الأنبياء: قال داود عليه السلام: اللهمَّ! ابْعَثْ لنا محمداً مُقِيمَ السنَّة بعد الفَتْرة؛ فقد يكون القَيِّمُ بمعناه.

٦٢٤ ـ ورَوَى النـقَّاش عنه ﷺ: «لي في القـرآنِ سبعـةُ أسمـاء: محمد، وأحمـد، ويس، وطـه، والمدثـر، والمزَّمِّـل، وعَبْـد الله»[٤].

٦٢٥ ـ [وفي حديثٍ عن جُـبَير بن مُـطْعِم رضي اللهُ عنه: «وهـي سـتٌّ: محمد، وأحمد، وخاتم، وعاقِب، وحاشِر، ومَاحٍ].

٦٢٦ ـ وفي حديث أبي موسى الأشعري، أنه كان ﷺ يُسمِّي لنا نَفْسَه أسماء، فيقول: «أنا محمـدٌ، وأحمـدُ، والمُـقَـفِّي، والحـاشِرُ[٥]، ونبيّ التوبة، ونبيّ المَلْحَمة، [وَنَبِيّ الرحمة]»[٦].

ويروى: «المَرْحَمة» و«الراحة»[٧].

وكلٌّ صحيح إنْ شَاء الله.

---

(١) في المطبوع: «المقتفي».
(٢) رواه أبو نعيم عن عوف بن مالك، (قـفَّيت النبيين): جئت بعدهم. والمراد أنه آخر الأنبياء.
(٣) رواه الديلمي في الفردوس عن جابر ولم يسنده ابنه/ المناهل (٥٠١).
(٤) ذكره السيوطي في المناهل (٥٠٢) وقال: «لم أجده، ولكن قال الذهبي عن بعضهم: قال: لرسول الله ﷺ في القرآن خمسة أسماء: محمد وأحمد وعبد الله ويسّ وطه».
(٥) كلمة «والحاشر»، لم ترد في المطبوع. وهي ثابتة أيضاً في صحيح مسلم (٢٣٥٥).
(٦) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) بدون قوله: «ونبي الملحمة» وهي رواية صححها المصنف عقب الحديث الآتي برقم (٦٢٩) وانظر رواياته وتمام تخريجه في مسند أبي يعلى (٧٢٤٤).
(٧) في الأصل: «والرحمة»، والمثبت من المطبوع.

ومعنى «المُـقَـفِّي» معنى «العاقب».

وأَمّا نبيُّ الرحمة ، والتوبة ، والمَرْحَمة ، والراحة فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]. وكما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. ويهديهم إلى صراط مستقيم. و﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٦٢٧ ـ وقد قال في صفة أمته إنها: «أمةٌ مرحومة»[١].

وقال الله تعالى فيهم: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧]؛ أي يرحمُ بعضُهم بعضاً؛ فبعثه ـ ﷺ ـ (٦٤/أ) ربُّـه تعالىٰ رحمةً لأمته ، ورحمةً للعالَمين ، ورَحِيماً بهم ، ومُتَرَحِّماً [و] مستغفِراً لهم ، وجعل أمتهَ مَرحومة ، ووصفها بالرحمة.

٦٢٨ـ وأمرها [ﷺ] بالترَاحُم ، وأثنى عليه؛ فقال: «إنَّ اللهَ يحِبُّ من عبادِه الـرُّحَماءَ»[٢].

٦٢٩ ـ وقال: «الـرَّاحِمُون يرحَمُهـم الرحمـنُ. ارحَمـوا مَـنْ في الأرضِ يَـرْحَمْكُمْ مَنْ في السماء»[٣].

وأما رواية «نَبِيّ المَلْحَمة» فإشارةٌ إلى ما بُعِثَ به من القتال والسيف ﷺ؛ وهي صحيحة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨) ، وأبو يعلى (٧٢٧٧) وغيره من حديث أبي موسى الأشعري. وصححه الحاكم (٤/٤٤٤) ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً البوصيري في مصباح الزجاجة. وحسّنه الحافظ في بذل الماعون. وانظر حديث أَنس في سنن ابن ماجه (٤٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٨) ، ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد بلفظ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١) ، والترمذي (١٩٢٤) ، وأحمد (٢/ ١٦٠). من حديث عبد الله بن عَمْـرِو بن العاص. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

٦٣٠ ـ وعن(١) حُذَيفةَ مِثْلُ حديثِ أبي موسى ، وفيه : «ونبيُّ الرّحمة ، ونبيّ التّوْبة ، ونبيّ الملاحم»(٢) .

٦٣١ ـ ورَوى الْحَرْبي في حديثه عليه السلام أنه ﷺ قال: «أَتاني مَلَكٌ ، فقال لي : أَنْتَ قُـثَم»(٣) أي مُجْتَمِع . قال: والـقُـثَم(٤): الجامعُ للخير؛ وهذا اسمٌ هو في أهلِ بيته عليه السلام معلوم .

وقد جاءت من ألقابه ـ ﷺ ـ وسِمَاته في القُرآنِ عدّةٌ كثيرة سِوَى ما ذكرناه؛ كـالنُّور ، والسّرَاج المُنير ، والمُنْذِر ، والنّذِيـر ، وَالمبَشِّر ، والبَشيـر ، والشاهد ، والشهيد ، والحقّ المُبين ، وخاتم النبيِّين ، والرؤوف الرّحِيم ، والأَمين ، وقَدَم الصدق ، ورَحمة العالمين(٥) ، ونعمةِ اللهِ ، والعُروةِ الوُثْقَى ، والصِّرَاطِ المستقيم ، والنّجْمِ الثاقب ، والكريمِ ، والنبيِّ الأُميّ ، ودَاعِي اللهِ ، في أوصافٍ كثيرةٍ ، وسِمَاتٍ جليلة .

وجَرَى منها في كُتب اللهِ المتقدّمةِ ، وكُتب أَنبيائه ، وأَحاديث رسولِه ، وإطلاقِ الأمة جملةٌ شافيةٌ؛ كتسميتهِ بالمُصْطَفَى ، والمُجْتَبى ، وأبي القاسم ، والحَبيب ، ورسولِ رَبِّ العالمين ، والشفيع المُشفَّع ، والمُتَّقِي ، والمُصْلِح ، والطاهِر ، والمُهَيْمِن ، والصادِق ، والمَصْدُوق ، والهادي ، وسيّد وَلَدِ آدم ، وسيّد المرسلين ، وإمامِ المتّقين ، وقائدِ الغُرِّ المُحَجَّلين ، وحبيبِ اللهِ [وخليلِ الرحمن] وصاحبِ الحَوْضِ المورود ، والشفاعةِ ، والمقام المحمود ، وصـاحب الوسيلـةِ ، والفضيلـة ، والدّرجـةِ الرفيعـة ، وصـاحب التـاجِ ،

---

(١) في المطبوع: «وروى».
(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٦٠) وغيره. وصححه ابن حبان (٢٠٩٥) موارد الظمآن. وهناك استوفينا تخريجه.
(٣) رواه أبو نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس/ المناهل (٦٣١). والحربي: هو الشيخ الإمام ، الحافظ ، العلامة ، شيخ الإسلام: إبراهيم بن إسحاق البغدادي. ولد سنة (١٩٨)هـ ومات سنة (٢٨٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٦ ـ ٣٧٠.
(٤) في الأصل: «والقثوم» ، والمثبت من المطبوع .
(٥) في المطبوع: «للعالمين».

والمِعْراج، واللواء، والقضيب، وراكب البُرَاقِ؛ والناقَة، والنّجيب، وصاحبِ الحُجّةِ والسلطان، والخاتَم، والعلامةِ، والبُرْهان، وصاحبِ الهِرَاوةِ (٦٤/ب) والنّعْلَيْنِ.

ومِنْ أسمائه في الكُتب: المتوكّلُ، والمختار، ومُقيم السنّة، والمُقَدَّس، [ورُوح القُدُسِ] ورُوح الحق؛ وهو معنى البارَقْلِيط في الإنجيل.

وقال ثَعْلَبٌ[1]: البارَقْلِيط: الذي يفرِّقُ بين الحقّ والباطل.

ومن أسمائه في الكتب السالفةِ؛ ماذْ ماذْ[2]؛ ومعناه طَيِّب، طَيِّب، وحَمَّطايا[3]، والخاتم، والحَاتِم؛ حكاه كعب الأحبار.

قال ثعلبُ: فالخاتِمُ الذي خَتَم [الله به] الأنبياءَ. والحاتم: أَحسنُ الأنبياء خَلْقاً وخُلُقاً.

---

(١) هو العلامة المحدث إمام النحو، أحمد بن يحيى الشيباني، ولد سنة (٢٠٠)هـ. ومات سنة (٢٩١)هـ. من مصنفاته: اختلاف النحويين، وكتاب القراءات وغيره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥ ـ ٧.

(٢) في الأصل «ماذ ماذ»، والمثبت من نسخة خطية للشفا، وهو الصواب. وجاءت في النص العبري للتوراة: «بماد ماد» قال الإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي المتوفىٰ (٥٧٠)هـ (اسمه قبل إسلامه: شموائيل بن يهوذا بن آبوان) في كتابه القيم «إفحام اليهود» ص (١١٥): «فهذه الكلمة: «بماد ماد»، إذا عددنا حساب حروفها بالجُمَّل كان: اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم «محمد» ﷺ. فإنه أيضاً اثنان وتسعون. وإنما جعل ذلك في هذا الموضوع مُلْغِزاً، لأنه لو صُرِّح به لبدلته اليهود، أو أسقطته من التوراة، كما عملوا في غير ذلك» اهـ. وانظر كتاب «في أصول تاريخ العرب الإسلامي» ص (٣٧٥ ـ ٣٨٢) لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب فقد عرَّف تعريفاً وافياً بكتاب «إفحام اليهود» وتمنىٰ أن يترجم إلى العبرية واللغة الأوربية لأنه وثيقة إعلامية وعملية، تحدث تغييراً جذرياً في مفهومات القارىء اليهودي بخاصة، والقارىء الأوربي بعامة.

(٣) معناه يمنع من الحرام، ويحمي الحرم.

ويسمّى بالسُّريانية: مُشَقَّحٌ[1] ، والمُنْحَمِنَّا؛[2] واسمُه أيضاً في التوراة أُحَيْد. رُوِي ذلك عن ابنِ سِيرين.

ومعنى صاحب القضيب ؛ أي السيف؛ وقع ذلك مفَسَّراً في الإنجيل؛ قال: معه قَضِيب مِنْ حَدِيد يقاتِلُ به ، وأُمَّتُه كذلك.

وقد يحمَلُ على أنه القضيب الممشوق[3] الذي كان يُمْسِكُه ﷺ؛ وهو الآن عند الخلفاء.

٦٣٢ ـ وأَمّا الهِرَاوة التي وُصِفَ بها فهي ـ في اللغة ـ العصَا؛ وأُراها ـ واللهُ أعلم ـ العصا المذكورة في حديث الحَوْضِ: «**أَذودُ الناسَ عنه بعَصَاي ، لأهل اليمن**»[4].

وأمّا التاجُ فالمرادُ به العِمَامةُ ، ولم تكن حينئذٍ إلاّ للعرب ، والعمائمُ تِيجَانُ العرب.

وأوصافُه ، وألقابُه ، وسِمَاتُه في الكتب كثيرة؛ وفيما ذكرناهُ منها مَقْنع إن شاء الله. [وكانت كُنْيَته المشهورةُ أبا القاسم.

٦٣٣ ـ ورُوي عن أنَس: أنه لمّا وُلِدَ [له] إبراهيم جاءه جبريلُ فقال له: «**السلام عليكَ يا أبا إبراهيم**[5]»].

---

(١) كذا في الأصل بالقاف. وفي المطبوع بالفاء.

(٢) قيل: معناه محمد. وقيل: روح القدس.

(٣) الممشوق: الطويل الدقيق/ المعجم الوسيط.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٠١) من حديث ثوبان. ومعناه: أطرد الناس عنه غير أهل اليمن. والأنصار من اليمن.

(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤١٠) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٤) ، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٦٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٦١ : «رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف».
قلت: عبد الله بن لهيعة مختلف فيه. وقد صحح حديثه العلامة أحمد شاكر وغير واحد.

فصل

فِيْ تَشْرِيْفِ اللهِ تَعَالىٰ لَهُ بِمَا سَمَّاهُ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَوَصَفَهُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ العُلا

قال المؤلِّفُ: ما أحرى هذا الفصلَ بفصولِ الباب الأول! لانخراطه في سِلْك مضمونها، وامتزاجه بعَذْبِ مَعِينها؛ لكن لم يشرح اللهُ الصَّدْرَ للهداية إلى استِنْبَاطه، ولا أنارَ الفِكْرَ لاستخراج جَوْهره والْتقاطه إلا عند الخَوْضِ في الفصل الذي قبله؛ فرأينا أن نُضِيْفَهُ إليه، ونَجْمَع به شَمْلَه.

فاعلم أن اللهَ تعالى خَصَّ كثيراً من أنبيائه[1] بكرامةٍ خَلَعها عليهم[2] مِنْ أسمائه؛ كتَسْمية إسحاق، وإسماعيل بـ «عليم» و«حليم»، وإبراهيم بـ «حليم» ونوح بـ «شَكُور» وعيسى ويحيى بـ«بَرّ» وموسى بـ «كريم» و«قويّ» ويوسف بـ «حفيظ عليم» وأيوب بـ «صابر» وإسماعيل (٦٥/أ) بـ «صَادِق الوَعد» كما نطق بذلك الكتابُ العزيز في مَوَاضِعِ ذِكْرِهم. صلى الله وسلم على جميعهم.

وَفضّل محمداً نبيَّنا ﷺ: بأَنْ حَلاّهُ منها في كتابه العزيز، وعلى ألسنةِ أَنبيائه بعدَّةٍ كثيرة. اجتمع لنا منها جملةٌ بعد إعمال الفِكْر، وإحضار الذِّكْرِ، إذْ لم نَجِدْ مَنْ جَمع منها فوق اسْمينِ، ولا مَنْ تفرّغَ فيها لتأليف فَصْلين.

وحَرّرْنا منها في هذا الفصل نَحْوَ ثلاثين اسماً؛ ولعلَّ اللهَ تعالى ـ كما أَلْهَم إلى ما عَلّم منها وحقّقه ـ يُتِمُّ النعم[3] بإبانةِ ما لم يُظْهرهُ لنا الآن، ويَفْتَح غَلَقَهُ.

فمن أسمائه تعالى: «الحميد» ومعناه المحمود؛ لأنه حَمِدَ نَفْسه، وحَمِده عبادُه، ويكون أيضاً بمعنى الحامِد لنفسه ولأَعمال الطاعات.

وسَمَّى [الله تعالى] النبيَّ ﷺ محمداً، وأحمد؛ فـ «محمَّد» بمعنى

---

(١) في المطبوع: «الأنبياء».

(٢) خلعها عليهم: أعطاها لهم.

(٣) في المطبوع: «النعمة».

محمود ، وكذا وقع اسمُه في زَبُورِ داود.

و«أحمد» بمعنى أَكْبَـرُ من حَمِد؛ وأَجَلُّ مَنْ حُمِد ، وأشار إلى نحو هذا حسان بقوله:

وشَـــقَّ لَـــهُ مِـــنْ اسْمِـــهِ لِيُجِلَّـــهُ   فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وهذا مُحَمَّدُ[1]

ومن أسمائه تعالى: «الرؤوف الرحيم» وهما بمعنى متقارِب.

و[قد] سمّاه في كتابه بذلك؛ فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن أسمائه [تعالى]: «الحقّ المُبين» ومعنى الحقّ: الموجود ، والمتحقَّق أمْرُه ، وكذلك المُبين؛ أي البيّن أمره وإلٰهِيَّتُـهُ.

«بان» و«أبان» بمعنى [واحد] ويكون بمعنى المُبَيِّنِ لعباده أمْرَ دِينهم ومَعَادهم.

وسَمّى النبيَّ - ﷺ - بذلك في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٢٩].

وقال [تعالى]: ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحِجْر: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ [الأنعام: ٥]؛ قيل: محمدٌ. وقيل القرآن. ومعناهُ ههنا[2] ضِدُّ الباطِلِ ، والمتحقّقُ صِدْقُه وأمْرُه ، وهو بمعنى الأوّل.

و«المُبين»: البيِّنُ أمْرُهُ ورسالتُه ، أو المُبَيِّن عن الله ما بعثَه به؛ كما قال [تعالى]: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

---

(١) نَسَبَهُ ابن كثير في السيرة النبوية (١/ ٢١١) إلى أبي طالب عم النبي ﷺ، وقال: «ويُروى لحسان».

(٢) في المطبوع: «هنا».

ومن أسمائه تعالى: «النّور» ومعناه ذو النّور، أي خالقه، أو مُنَوِّر السمواتِ والأرض بالأنوار، ومُنَوّر قلوب المؤمنين بالهداية.

وسمّاه نوراً؛ فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]: قيل: مُحَمَّدٌ. وقيل: القرآن.

وقال فيه: ﴿وَسِرَاجًا (٦٥/ب) مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، سُمِّي بذلك لوُضوحِ أمْرِه، وبيان نبوّته، وتَنْوِير قلوبِ المؤمنين والعارفين بما جاء به.

ومن أسمائه تعالى: «الشَّهيد» ومعناه: العالِم. وقيل: الشاهِدُ على عباده يومَ القيامة.

وسَمّاه شهيداً وشاهداً؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]

وقال [تعالى]: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ وهو بمعنى الأوّل.

ومن أسمائه تعالى: «الكريم» ومعناه: الكثير الخَيْرِ.

وقيل: المُفْضِل. وقيل: العَفُوّ. وقيل: الْعَلِيّ.

٦٣٤ ـ وفي الحديث المَرْوِيّ في أسمائه تعالى: «الأكرم»(١).

وسمّاه تعالى كريماً بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]؛ قيل: محمد. وقيل: جبريل.

٦٣٥ ـ وقال عليه السلام: «أنا أَكْـرَمُ ولدِ آدمَ». (٢)

ومعاني الاسْمِ صحيحةٌ في حقّه ﷺ.

---

(١) أخرجه الخطّابي في «شأن الدعاء» ص (٩٩)، والحاكم (١/ ١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص (٧) من حديث أبي هريرة. وفي إسناده عبد العزيز بن الحصين. قال الحاكم: ثقة. وتعقبه الذهبي بقوله: «بل ضعفوه». وانظر تمام تخريجه في مسند أبي يعلى (٦٢٧٧).

(٢) تقدم برقم (٣٨٨، ٤٩٩) من حديث أنس. وتقدم نحوه عن ابن عباس برقم (٣٨٩، ٥٠٤، ٥٤٦).

ومن أسمائه تعالى: «العظيمُ» ومعناهُ: الجليلُ الشّأْنِ، الذي كلُّ شيء دونَه.

وقال في النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ووقع في أوّل سِفرٍ من التّوْرَاة، عن إسماعيل: وستلِدُ عظيماً، لأُمةٍ عظيمة؛ فهو عظيمٌ، وعلى خُلق عظيم.

ومن أسمائه تعالى: «الجبّار» ومعناه: المُصْلِح، وقيل: القاهر. وقيل: العَلِيّ العظيمُ الشّأنِ. وقيل: المتكبّر.

وسُمّي النبيّ ﷺ في كتاب داود بجَبّارٍ؛ فقال: تَقَلَّدْ أيُّها الجبّار! سَيْفَكَ؛ فإنّ نَامُوسكَ وشرائعَكَ مقرونةٌ بهَيْبَةِ يَمينِك.

ومعناه في حقّ النبيّ ﷺ: إمّا لإصلاحهِ الأمة بالهداية والتعليم، أو لِقَهْرِه أعداءَه، أو لعلوِّ مَنْزِلته على البَشَر، وعظيمِ خَطَره.

ونفى تعالى عنه ـ في القرآن ـ جَبْرِيَّة التكبُّر التي لا تَلِيقُ به؛ فقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [قٓ: ٤٥].

ومِنْ أسمائه تعالى: «الخبير» ومعناه: المُطّلِع بكُنْهِ الشيء[(١)]، العالِم بحقيقته. وقيل: معناه المُخْبِر.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

قال القاضي بَكْرُ بنُ العَلاَء[(٢)]: المأمورُ بالسؤال غَيْرُ النبيّ عليه السلام والمسؤول الخبيرُ هو المصطفى[(٣)] ﷺ.

وقال غيره: [بل] السائل النبيُّ [ﷺ]. والمسؤولُ [هو] اللهُ [تعالى]؛ فالنبيُّ

---

(١) كُنْهُ الشي: جوهره وحقيقته.

(٢) هو بكر بن محمد بن العلاء: أبو الفضل القشيري. قاضٍ من علماء المالكية. مات في مصر سنة (٣٤٤)هـ عن نيف وثمانين سنة. قال الذهبي: «ومؤلفه في الأحكام نفيس، وألَّف في الرد على الشافعي، وعلى المزني، والطحاوي، وعلى أهل القدر» انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٥٣٧، والأعلام للزركلي.

(٣) في المطبوع: «النبي».

خبيرٌ بالوَجْهين المذكورين؛ قيل: لأنه عالمٌ على غايةٍ مِنَ العِلْم بما أعلمه اللهُ (٦٦/أ) مِن مكنونِ عِلْمه، وعظيم مَعْرفته، مُخْبر لأمَّتِهِ بما أذِن له في إعلامهم به.

ومن أسمائه تعالى: «الفتَّاح» ومعناه: الحاكم بين عِبَادِه، أو فاتح أبواب الرِّزق والرحمة، والمُنْغلق من أمورِهم عليهم؛ أو يَفْتَحُ قلوبَهم وبَصَائرهم لمعرفة الحقّ؛ ويكون أيضاً بمعنى الناصر؛ كقوله [تعالى]: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩]؛ أي: إن تَسْتَنْصِروا فقد جاءكم النَّصْر؛ وقيل: معناه مُبْتَدىء الفَتح والنَّصْر.

٦٣٦ ـ وسَمَّى اللهُ تعالى نبيه محمداً ﷺ بـ «الفاتح» في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس، عن أبي العالية وغيره، عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه؛ وفيه: من قول الله تعالى: «**وجعلتُك فاتِحاً وخَاتِماً**».

وفيه من قول النبيّ ﷺ في ثنائه على رَبّه، وتَعْديد مَرَاتِبه: «**ورَفَع لي ذِكْري، وجعلني فاتِحاً وخاتِماً**»[(١)]؛ فيكونُ الفاتِح ـ هنا ـ بمعنى الحاكم، أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته، أو الفاتِح لبصائرهم لمَعْرفة الحقّ والإيمان بالله؛ أو الناصر للحق، أو المُبْتَدِىء بهدايةِ الأُمةِ، أو المُبَدَّأ المُقَدَّم في الأنبياء والخاتِم لهم.

٦٣٧ ـ كما قال عليه السلام: «**كُنْتُ أوَّلَ الأنبياء في الخَلْق، وآخِرَهم في البَعْث**»[(٢)].

٦٣٧م ـ ومن أسمائه تعالى في الحديث: «**الشَّكُور**»[(٣)] ومعناه: المُثِيبُ على العَمَلِ القَلِيل. وقيل: المُثْني على المُطِيعين؛ ووصف بذلك نبيَّه نوحاً عليه السلام فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

٦٣٨ ـ وقد وصف النبيُّ ﷺ بذلك نَفْسَهُ فقال: «**أفَلاَ أكونُ عَبْداً**

---

(١) تقدمت أطرافهُ برقم (٤٠٠، ٤٠٧، ٤٤١م، ٤٤٣).

(٢) تقدم برقم (٣٢)، وانظر حديث أبي هريرة المتقدم برقم (٣٨٦).

(٣) تقدم برقم (٦٣٤).

شَكُوراً؟»(١) أي مُعْتَرِفاً بِنعَمِ رَبِّي ، عارفاً بقَدْرِ ذلك ، مُثْنِياً عليه ، مُجْهداً نَفْسِي في الزيادة من ذلك؛ لقوله [تعالى]: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن أسمائه تعالى: العليم ، والعَلاَّم. وعالِمُ(٢) الغَيْبِ والشهادةِ.

ووصفه نبيّه ﷺ بالعِلْم؛ وخَصَّه بمَزِيَّة منه؛ فقال [تعالى]: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

ومن أسمائه تعالى: «الأوّلُ ، والآخِرُ» ومعناهما: السابقُ للأشياء قبل وجودها ، والباقي بعد فَنَائها.

وتحقيقُه أنه ليس له (٦٦/ب) أوّل ولا آخِر.

٦٣٩ ـ وقال ﷺ: «كنْتُ أولَ الأنبياءِ في الخَلْق؛ وآخِرَهم في البَعْث»(٣). وفُسِّر بهذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]؛ فقدّم محمداً ﷺ.

وقد أشار إلى نَحوٍ منه عُمَرُ بن الخطّاب رضِيَ الله عنه.

٦٤٠ ـ ومنه قولُه: «نحن الآخِرون السابقون»(٤).

٦٤١ ـ وقوله: «أنا أَوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ، وأولُ مَنْ يدخلُ الجنةَ ، وأول شافع ، وأول مُشَفَّع»(٥) وهو خاتم النبيِّين ، وآخِرُ الرُّسل ﷺ.

---

(١) تقدم برقم (٣٣١) ، وسيأتي برقم (١٥٤٠) ، و(١٦٤٥).
(٢) في الأصل: «والعالم» والمثبت من المطبوع.
(٣) تقدم برقم (٣٢ ، ٦٣٧).
(٤) أخرجه البخاري (٨٧٦) ، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة.
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة بدون الفقرة الثانية. وقد تقدم برواية أخرى برقم (٥٠١ ، ٥٠٣).

ومن أسمائه تعالى: «القَوِيّ» ، و«ذو القُـوَّةِ المَتِين» ومعناه: القادر.

وقد وصفه اللهُ تعالى بذلك؛ فقال: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]؛ قيل: محمد. وقيل: جبريل.

٦٤١م ـ ومن أسمائه تعالى: «الصادق» في الحديث المأثور[١].

٦٤٢ ـ وورِدَ في الحديث أيضاً اسمُه ﷺ بـ«الصادق المصدوق»[٢].

ومن أسمائه تعالى: «الوَلِيّ» و«المَوْلَى» ومعناهما: الناصِرُ؛ وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥].

٦٤٣ ـ وقال عليه السلام: «أنا وَلِيُّ كلِّ مُؤْمِن»[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

٦٤٤ ـ وقال عليه السلام: «مَنْ كنتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ»[٤].

ومن أسمائه تعالى: «العَفُوُّ» ومعناه: الصَّفُوح.

وقد وصف اللهُ [تعالى] بهذا نَبِيّه في القرآنِ ، وفي التوراة ، وأَمره بالعَفْوِ؛ فقال [تعالى]: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣].

---

(١) تقدم برقم (٦٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٧١ عن جابر بلفظ: «أنا ولي المؤمنين». وأخرجه البخاري (٢٢٩٨) ومسلم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

(٤) حديث صحيح مروي عن عدد من الصحابة. قال السيوطي ـ فيما نقله المناوي في فيض القدير ٦/ ٢١٨ ـ: «حديث متواتر». وانظر مسند أبي يعلى (٦٤٢٣) ، وموارد الظمآن (٢٢٠٥). وسيأتي برقم (١٢٧٥).

٦٤٥ ـ وقال له جبريل ـ وقد سأله عن قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾؛ قال: «أنْ تَعْفُو عمَّن ظلمَكَ»(١).

٦٤٦ ـ وقال في التوراة [والإنجيل] في الحديث المشهور، في صِفَته: «ليس بفَظٍّ، ولا غَلِيظ، ولكن يَعْفُو ويَصْفَح»(٢).

ومن أسمائه تعالى: «الهادي» وهو بمعنى توفيق اللهِ لِمَنْ أَرَاد مِنْ عباده، وبمعنى الدِّلالةِ والدُّعاء. قال اللهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥] وأصلُ الجميعِ مِنَ المَيْل. وقيل: من التقديم(٣).

وقيل في تفسير ﴿طه﴾ إنه: يا طاهر! يا هادي! يعني النبي ﷺ. وقال [الله] تعالى له: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال (٦٧/أ) فيه: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤٦].

فاللهُ [تعالى] مختصٌّ بالمعنى الأول؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

وبمعنى الدِّلالة يَنْطلقُ على غيره تعالى.

ومِنْ أسمائه تعالى: «المؤمن، المُهَيْمن» قيل: هما بمعنًى واحدٍ؛ فمعنى المؤمن في حقّه تعالى: المُصَدِّقُ وعْدَه عبادَه، والمُصَدِّقُ قَوْلَه الحقّ، والمُصَدِّق لعباده المؤمنين ورُسُلِه. وقيل: المُوَحِّد نَفْسَه. وقيل: المُؤمِّن عبادَه في الدنيا من ظُلْمِه، والمؤمنين في الآخرةِ من عَذَابه.

وقيل: المُهَيْمِن بمعنى الأمين، مُصَغَّر منه، فقُلِبت الهمزةُ هاء.

---

(١) تقدم برقم (١٦٩).

(٢) تقدم صفته في التوراة برقم (١٦، ٢١٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وصفته ﷺ في الإنجيل رواها الحاكم ٢/ ٦١٤ من حديث عائشة. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة (هدى).

وقد قيل: إنَّ قولهم في الدعاء: آمين، إنه اسْمٌ من أسماء الله تعالى[1]، ومعناه معنى المُؤْمن.

وقيل: المُهَيْمِن بمعنى الشاهد والحافظ.

والنبيُّ ﷺ أَمِين، ومُهَيْمِن، ومُؤْمن، وقد سمّاه اللهُ تعالى أمِيناً؛ فقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١].

٦٤٧ ـ وكان ـ عليه السلام ـ يُعْرَف بالأَمِين، وشُهِرَ به قَبْلَ النبّوة وبعدها[2].

٦٤٨ ـ وسَمّاهُ العبَّاسُ، في شعره مُهَيْمِناً في قوله:

ثُـمَّ احتـوىٰ بَيْتُـكَ المُهَيْمِـنُ مِـنْ خِنْـدِفَ عَلْيَـاءَ تَحْتَهـا النُّطُـقُ[3]

قيل: المراد: يا أيها المُهَيْمِنُ! قاله القُتَبِيُّ[4]، والإمام أبو القاسم القُشَيْرِيُّ[5].

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]؛ أي: يصدِّق.

---

(١) في تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٣: «وهذا لا يصح لأنه ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب مع أن أسماء الله تعالى لا تثبت إلا بقرآن أو سنة متواترة، وقد عدم الطريقان في آمين».

(٢) شهرته ﷺ بالأمين تقدمت برقم (٢٧٧).

(٣) تقدم هذا البيت مع ستة أبيات أخرى برقم (٣٩٣). وفي الأصل: «اغتدى» بدل «احتوىٰ»، والمثبت من المطبوع.

(٤) هو العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَري. قال الخطيب: كان ثقة ديِّناً فاضلاً. له عيون الأخبار، ومشكل الحديث وغيره. مات سنة (٢٧٦)هـ.

انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢.

(٥) هو الإمام الزاهد القدوة، الأستاذ أبو القاسم: عبد الكريم بن هَوازن القشيري. صاحب «الرسالة القشيرية» في التصوف. ولد سنة (٣٧٥)هـ ومات سنة (٤٦٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧ ـ ٢٣٣.

٦٤٩ ـ وقال [ﷺ]: «أنا أَمَنَةٌ لأصحابي»[١] ، فهذا بمعنى المؤمِّن.

ومن أسمائه تعالى: «القُدُّوس» ومعناه: المُنَـزَّهُ عن النقائص المطهَّر من سِمَاتِ الحدَث؛ وسُمِّي «بيت المَقْدِسِ»[٢] لأنه يُتطهَّر فيه من الذنوب؛ ومنه؛ الوادي المقدَّس ، ورُوح القُدُس.

ووقع في كتب الأنبياء في أسمائه عليه السلام «المقدَّس» أي: المُطَهَّر من الذنوب ، كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

أو الذي يُـتَطَهَّر به من الذنوب ، ويُتنزَّه باتِّـبَاعِه عنها ، كما قال ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال [تعالى]: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة: ١٦].

أو يكون مقدَّساً بمعنى مطهَّراً ، من الأخلاق الذميمة. (٦٧/ب) والأوصاف الدنِـيّـة.

ومن أسمائه تعالى: «العزيز» ومعناه: المُمْتَنِع ، الغالب ، أو الذي لا نَظِير له ، أو المُعِزّ لغيره؛ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨] أي: الامتناعُ وجَلاَلة القَدْر.

وقد وصف اللهُ تعالى نَفْسه بالبِشَارَةِ والنِّذَارة ، فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: ٢١].

وقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] [و﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾][٣] [آل عمران: ٤٥].

---

(١) تقدم برقم (٣٤).

(٢) وهناك رواية بضم الميم وفتح القاف المشددة. ومعناها المُطَهَّرُ. انظر كتاب «بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة ، لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب. طبع دار القلم.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من المطبوع. والآية: أولها ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ..﴾.

وسمّاه اللهُ تعالى مُبَشِّراً ، ونَذِيراً وبشيراً[1] : أيّ مُبَشِّراً لأهل طاعته ، ونَذِيراً لأهل مَعْصيته .

ومِنْ أسمائه تعالى فيما ذكره بعضُ المفَسِّرين : ﴿طه﴾ و﴿يس﴾ وقد ذكر بعضُهم أيضاً أنهما[2] من أسماء محمدٍ ﷺ وشَرَّفَ وكَرَّم .

فصل

[فِيْ أَنَّ ذَاتَ اللهِ تَعَالَىٰ لا تُشْبِهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِيْنَ، وَصِفَاتِهِ تَعَالَىٰ لا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِيْنَ][3]

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه : وها أنا أذكرُ نُكْتَةً[4] أُذَيِّلُ بها هذا الفَصْلَ ، وأختِمُ بها هذا القسمَ ، وأُزيحُ الإشْكَالَ بها فيما تقدم عن كلِّ ضعيف الوَهْمِ ، سَقيم الفَهْم ، تخلِّصُه من مَهَاوِي[5] التشبيه ، وتزحزحُه عن شُبَهِ التمويهِ[6] ؛ وهو أن يعتقدَ أنَّ اللهَ [تعالى] جلّ اسْمُه في عظمته وكبريائه ومَلَكُوته ، وحُسْنَى أسمائه ، وعَلِيِّ صِفاته ، لا يُشْبِهُ شيئاً من مخلوقاته ، ولا يشبَّهُ به ؛ وأنَّ ما جاءَ مما أطلقَه الشَّرْعُ على الخالقِ وعلى المخلوق ؛ فلا تشابُهَ بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذ صفاتُ القَدِيم بخلافِ صفاتِ المخلوق ؛ فكما أنَّ ذاته تعالى لا تُشْبه الذوات ، كذلك صفاتُه لا تشبهُ صفاتِ المخلوقين ؛ إذ صفاتُهم لا تَنفَكُّ عن الأغْراضِ[7] والأعْرَاض[8] ؛ وهو تعالى ـ مُنَـزَّهٌ عن ذلك ؛

(١) كلمة : «بشيراً» ، لم ترد في المطبوع .
(٢) في الأصل : «أنها» ، والمثبت من المطبوع .
(٣) ما بين حاصرتين زيادة من عندي .
(٤) النكتة : المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكرٍ .
(٥) المهاوي : الحفر العميقة .
(٦) التمويه : مَوَّهَ الحق : لَبَّسُه بالباطل . يقال : مَوَّه الحديث : زخرفه ومزجه من الحق والباطل .
(٧) الأغراض : جمع غَرَضٍ ، وهو الهدف والقصد .
(٨) الأعراض : جمع عَرَضٍ ، وهو ما يطرأ ويزول من مرض وغيره . وفي علم المنطق : ما قام بغيره ؛ كالبياض والطول والقصر .

بل لم يَزَلْ بِصفَاتِه وأسمائه ، وكفى في هذا قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴾ [الشورى: ١١].

ولله دَرُّ مَنْ قال من العلماء العارِفين المحقّقين: التوحيدُ إثباتُ ذاتٍ غَيْرِ مُشْبِهةٍ للذّوات ، ولا مُعَطَّلةٍ من[1] الصفات.

وزاد هذه النكتة الواسطيُّ ـ رحمه الله ـ بياناً؛ وهي مقصودُنا؛ فقال: ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسمِهِ اسمٌ ، ولا كفِعْله فِعْلٌ ، ولا كصِفَتِه صِفةٌ ، إلا مِنْ جهة مُوافقةِ اللفظِ اللفظَ؛ وجلَّت الذَّاتُ القديمةُ أنْ يكون لها (٦٨/أ) صِفةٌ حديثةٌ ، كما استحال أن يكون للذّاتِ المُحْدثة صفةٌ قديمةٌ.

وهذا كلُّه مَذْهبُ أهلِ الحقّ والسنَّةِ والجماعةِ ، رضِيَ اللهُ عنهم.

وقد فَسَّرَ الإمامُ أبو القاسمِ القُشَيريّ ـ رحِمَه اللهُ ـ قوله هذا ، ليَزيده بياناً؛ فقال: هذه الحكايةُ تشتَمِلُ على جوامع مسائِل التوحيد ، وكيف تُشْبِهُ ذاتُه ذاتَ المُحْدَثاتِ؛ وهي بوجودها مستَغْنية؟! وكيف يُشْبِهُ فِعْلُه فِعْلَ الخَلْق ، وهو لغير جَلْبِ أُنْسٍ ، أو دَفْعِ نَقْصٍ ، حَصَل ، ولا لخواطرَ وأغراضٍ ، وُجِد ، ولا بمُباشرةٍ ومُعَالجةٍ ، ظَهَر؟! وفِعْلُ الخَلْقِ لاَ يخرجُ عن هذه الوجوه.

وقال آخر ، مِنْ مشايخنا: ما تَوَهَّمْتُموه بأوهَامكم ، أوْ أدْرَكْتُمُوه بعقولكم فهو مُحْدَث مِثْلكم.

وقال الإمامُ أبـو المعالي الجُوَيْني[2]: مَنِ اطمأَنَّ إلى موجودٍ انتهى إليه فِكْـرُه؛ فهـو مُشَبِّـه[3] ، ومَـنِ اطمـأَنَّ إلـى النَّفـي المحْـض فهـو

---

(١) في المطبوع: «عن».

(٢) هو الإمام الكبير ، شيخ الشافعية ، إمام الحرمين أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري.
و لد سنة (٤١٠) هـ ومات سنة (٤٧٨). من كتبه: نهاية المطلب في المذهب وغيره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ ـ ٤٧٧.

(٣) مُشَبِّه: التشبيه: أن يُشَبِّه الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه. والتعطيلُ: هو أن لا تثبت لله عز وجل الصفات التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ﷺ. وكلا المذهبين مجانبٌ =

مُعَطِّلٌ(١) ، وإن قطع بموجودٍ اعترف بالعَجْزِ عن دَرْك حقيقته فهو مُوَحِّدٌ.

وما أحسَنَ قولَ ذي النُّونِ المصري(٢) : حقيقة التوحيد أن تعْلَمَ أنَّ قدرةَ اللهِ تعالى في الأشياءِ بلا عِلاَج(٣) ، وصُنْعَهُ لها بِلا مِزَاجٍ(٤) ، وعلَّـةُ كلِّ شيءٍ صُـنْـعُـهُ ، ولا عِلّةَ لصُنْعِه ، وما تُصور في وَهْمِك فاللهُ بخلافه.

وهذا كلامٌ عجيبٌ نَفِيس محقَّق ، والفَصْلُ الآخر ، تفسير لقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

والثاني: تفسير لقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

والثالث: تفسير لقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠].

ثبَّتنا اللهُ وإياكَ على التوحيد والإثباتِ ، والتّنزيه ، وجنَّبنا طَرَفي الضَّلالةِ والغواية من التعطيل والتّشبيه(٥) بمنِّهِ ورَحْمتِه.

* * *

= للصواب. والمذهب الصحيح ، هو مذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: أَنْ نَصِفَ الله عز وجل بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسول الله ﷺ في الأحاديث التي صحت عنه ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تأويل ، ولا تعطيل. كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري. كان زاهداً عالماً فصيحاً حكيماً. توفي سنة (٢٤٥) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٦.

(٣) بلا علاج: أي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة.

(٤) بلا مزاج: أي إيجاده لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة.

(٥) التعطيل والتشبيه: انظر تعليقنا في الصفحة السابقة.

البـاب الرابـع

فيمـا أَظْهَـرَهُ اللهُ [تعالـىٰ] عَلَـىٰ يَدَيْـهِ مِـنَ المُعْجِـزَاتِ وَشَـرَّفَـهُ بِـهِ مِـنَ الخَصَائِـصِ وَالْكَرَامَــاتِ

قال المؤلف رحمه الله: حَسْبُ المتأمِّلِ أنَّ يُحقِّق أن كتابَنا هذا لم نجمَعْه لمُنْكِرِ نبوّةِ نبيّنا [ﷺ] ولا لطاعنٍ في معجزاتِه (٦٨/ب) فنحتاج إلى نَصْبِ البراهين عليها، وتَحصين حَوْزتها، حتى لا يَتَوَصّلَ المُطاعِنُ إليها، ونذكرَ شروطَ المعجزِ والتحدّي وحَدّه، وفسادَ قولِ مَنْ أبطلَ نَسْخَ الشرائِع، وردَّه؛ بل أَلَّفْناه لأهلِ مِلّته، المُلَبِّين لدعْوَتِه، المصدِّقين لنبوّته؛ ليكونَ تأكيداً في محبَّتِهم له، ومَنْماةً لأعمالهم؛ وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

ونيّتنا أن نثبتَ في هذا الباب أُمهاتِ معجزاته، ومَشَاهيرَ آياته؛ لتَدلَّ على عِظَمِ[1] قَدْره عند ربه. وأتيْنَا منها بالمحقَّق والصحيح الإسنادِ؛ وأكثرُه مما بلغ القَطْعَ، أو كاد؛ وأضَفْنا إليها بعضَ ما وقع في مشاهير كتُبِ الأئمة.

وإذا تأمَّلَ المتأمِّلُ المُنْصف ما قدمناه مِنْ جميل أثره، وحَمِيدِ سيره، وبراعةِ عِلْمه، ورَجَاحةِ عَقْلِه وحِلْمه، وجُمْلةِ كمالِه، وجميع خِصَالِه، وشاهِدِ حالِه، وصوابِ مقالِه، لم يَمْتَرِ[2] في صحة نُبوّته، وصِدْق دَعْوَته.

---

(١) في المطبوع: «عظيم».

(٢) لم يمترِ: لم يشكَّ.

وقد كفى هذا غيرَ واحدٍ في إسلامهِ ، والإيمان به .

٦٥٠ ـ فَرَوَيْنا عن التِّرمذي ، وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم ، أنَّ عبدَ الله ابن سَلاَم ؛ قال : لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينةَ جِئتُه لأنْظُرَ إليه ؛ فلما اسْتَبَنْتُ وجْهَه عرفتُ أنَّ وَجْهَه ليس بوَجْه كذّاب .

حدثنا به القاضي الشهيدُ أبو عليّ رَحِمَه اللهُ ؛ قال : حدثنا أبو الحُسين الصَّيْرفي ، وأبو الفضل بن خَيْرون ، عن أبي يَعْلَى البغدادي ، عن أبي علي[١] السِّنجيِّ ، عن ابن محبوب ، عن التِّرمِذي ؛ حدثنا محمد بن بشَّار ، حدثنا عبدُ الوهَّاب الثَّقَفي ، ومحمد بن جعفر ، وابن أبي عديّ ، ويحيى بن سَعِيد ، عن عَوْف بن أبي جَمِيلَة الأعرابيّ ، عن زُرَارة بن أوْفى ، عن عبد الله بن سَلاَم . . . الحديث[٢] .

٦٥١ ـ وعن أبي رِمْثَةَ التَّيْمي : أتيتُ النبيَّ ﷺ ، ومعي ابنٌ لي ، فأُرِيتُه ؛ فلما رأَيتُه قلتُ : هذا نبيُّ الله ﷺ[٣] .

٦٥٢ ـ ورَوَى مسلم وغَيْرُه أنَّ ضِمَاداً لمّا وفَد عليه ، فقال له النبيُّ ﷺ : «إنَّ الحَمْدَ للهِ ، نَحْمَدُهُ ونستعينُه ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا[٤] مُضِلَّ له ؛ ومَنْ (٦٩/أ) يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاّ اللهُ وَحْدَه لا شَريك له ، وأنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُه» ، قال له : أعِدْ عليَّ كلماتِكَ هؤلاء ، فلقد بَلَغْنَ قاموسَ البَحْر ، هاتِ يَدَكَ أبايِعْكَ[٥] .

---

(١) في الأصل : «عن أبي يعلىٰ» ، والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب .

(٢) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٢٤٨٥) . قال الترمذي : «هذا حديث صحيح» . وأخرجه أيضاً ابن ماجه (١٣٣٤) ، وأحمد (٥/ ٤٥١) ، والدارمي (١٥٠١) ، وابن السني (٢١٥) ، وصححه الحاكم (٣/ ١٣ ، ٤/ ١٦٠) ووافقه الذهبي .

(٣) قطعة من حديث صحيح خرجناه في موارد الظمآن برقم (١٥٢٢) . وأبو رِمْثَة اسمه : رفاعة بن يثربي التيمي . وقيل غير ذلك .

(٤) في الأصل : «لا» ، والمثبت من المطبوع .

(٥) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس . (قاموس البحر) قال أبو عبيد : وسطه ، وقال ابن دريد : لجّته ، وقال صاحب العَيْن : قعره الأقصىٰ .

٦٥٣ ـ وقال جامعُ بن شدَّادٍ: كان رجلٌ منا يُقالُ له طارِقٌ[١] ، فأخبر أنه رأى النبيَّ ﷺ بالمدينة ، فقال: «هل معكم شيء تبيعونَه؟» قلنا: هذا البَعِير. قال: «بِكَمْ؟» قُلْنا: بكذا وكذا وَسْقاً من تَمْر؛ فأخذ بخِطَامِه ، وسار إلى المدينة؛ فقلْنا: بِعْنَا من رجل لا نَدْري مَنْ هو؛ ومعنا ظَعِينَةٌ ، فقالت: أنا ضامِنَةٌ لِثَمَنِ البَعِير؛ رَأَيْتُ وَجْهَ رجلٍ مِثْلَ القمرِ ليلَةَ البَدْرِ لا يَخِيسُ بكم.

فأصبَحْنَا ، فجاءَ رَجلٌ بتَمْرٍ ، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ [إليكم] يَأمركُم أنْ تأْكُلوا من هذا التَّمْرِ ، وتَكْتالُوا حتى تَسْتَوْفوا. ففعَلْنا[٢] .

٦٥٤ ـ وفي خَبَرِ الجُلَـنْدىٰ ، مَلكِ عُمَان ، لمَّا بلغه أنَّ رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام ـ قال الجُلَنْـدىٰ: واللهِ! لقد دَلَّني على هذا النبيِّ الأُمِّي أنه لا يأمُرُ بخَيْرٍ إلاّ كان أولَ آخِذٍ به ، ولا يَنْهى عن شيءٍ إلاّ كان أولَ تاركٍ له ، وأنه يغلِبُ فَلا يَبْطَر ، ويُغْلَبُ فلا يَضْجَرُ ، ويَفِي بالعَهْد ، ويُنْجزُ الموعود؛ وأشهَدُ أنه نبيٌ[٣] .

وقال نِـفْـطَـوَيْـه ، في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ [النور: ٣٥] هذا مثَلٌ ضربه اللهُ تعالى لنبيّه عليه السلام؛ يقول: يكادُ منْظَرُه يَدُل على نبوّته وإن لم يَتْلُ قُرآناً كما قال ابن رَوَاحة:[٤]

لـو لَـمْ تكُـنْ فيـه آيـاتٌ مُبَيِّـنَـةٌ لكـان مَنْظَـرُهُ يُنْبِيْـكَ بـالخَبَـرِ

---

(١) هو طارق بن عبد الله المحاربي. صحابي له حديثان أو ثلاثة/ التقريب.

(٢) أخرجه الدارقطني في السنن ٣/ ٤٤ ـ ٤٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٧٦ ، والطبراني في الكبير (٨١٧٥) ، وصححه ابن حبان (١٦٨٣) موارد الظمآن ، والحاكم ٢/ ٦١١ ـ ٦١٢ ووافقه الذهبي. (وَسقاً) الوسق: تقدم شرحه عند الحديث المتقدم برقم (١٩٨). (الخطام): الرَّسن. (الظعينة): المرأة. (لايخيسُ بكم) : لا يغدر بكم ، ولا يخونكم.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة (الجُلَنْدىٰ) ، عن ابن إسحاق.

(٤) هو عبد الله بن رواحة ، صحابي ، أنصارى ، شاعر. شهيد. توفي في غزوة مؤتة ، سنة (٨)هـ قلت: ومؤتة مدينة عامرة في الأردن على مسيرة (١١) كيلاً جنوب الكَرَك. وبالقرب منها قرية «المزار» ، تضم قبور الشهداء الثلاثة في غزوة مؤتة.

وقد آن أنْ نَأخذَ في ذِكْرِ النبوَّةِ والوَحي والرسالةِ ، وبعده في معجزة القرآن ، وما فيه من بُرْهان ودَلالة.

فصــل

[فِيْ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالْوَحْيِ][1]

اعلَمْ أنّ الله جلّ اسمهُ قادِرٌ على خَلْق المعرفةِ في قلوب عِبَاده ، والعِلْمِ بذاتِه وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداءً ، دونَ واسطةٍ ، لو شاءَ؛ كما حُكِيَ عن سُنّتِهِ في بعض الأنبياء ، وذكره بعضُ أهلِ التفسير في قوله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

وجائزٌ (٦٩/ب) أنْ يُوصِلَ إليهم جميع ذلك بواسطةٍ تبلّغُهم كلامَه ، وتكونُ تلك الواسطة؛ إمّا مِنْ غَير البَشَرِ ، كالملائكة مع الأنبياء؛ أو مِنْ جِنْسهم ، كالأنبياء مع الأمم ، ولا مانِعَ لهذا مِنْ دَليلِ العَقْل.

وإذا جاز هذا ولم يَسْتَحِلْ ، وجاءت الرسُلُ بما دَلَّ على صِدْقِهم من مُعْجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما أتَوْا به؛ لأنَّ المعجِزَ[2] مع التحدِّي من النبيّ ﷺ قائمٌ مقامَ قولِ الله: صَدَق عَبْدي فأطِيعُوه واتّبِعوه ، وشاهدٌ على صِدْقه فيما يقولُه؛ وهذا كافٍ. والتطويلُ فيه خارجٌ عن الغَرَضِ[3] فمَنْ أرادَ تتبُّعَه وجده مستوفًى في مصنَّفات أئمتنا رحمهم الله.

فالنبوَّةُ في لغة مَنْ هَمَزَ ـ مأخوذةٌ من النّبأ ، وهو الخَبَر ، وقد لا تُهْمَزُ على هذا التأويل تَسْهيلاً.

والمعنى: أنَّ اللهَ تعالى أطْلَعه على غَيْبه ، وأعْلَمه أنه نبيُّه؛ فيكون نبيٌّ مُنَبَّأٌ ، فَعِيل بمعنى مَفْعول؛ أو يكون مُخْبِراً عمّا بعثه اللهُ [تعالى] به ، ومُنَبِّئاً بما

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) في المطبوع: «المعجزة».

(٣) الغَرضُ: القصد والهدف.

أطلعه الله عليه ، فَعِيل بمعنى فاعل؛ ويكونُ عِنْد مَنْ لم يَهْمِزْه من النَّبْوَةِ؛ وهو ما ارتفع من الأرض؛ ومعناهُ أنَّ لهُ رُتْبَةً شريفةً ، ومكانةً نبيهةً[1] عند مولاه مُنِيفة[2]؛ فالوصفان في حقِّه مُؤْتَلِفان.

وأما الرسولُ فهو المُرْسَلُ ، ولم يأْتِ فَعُول بمعنى مُفْعَل في اللغة إلا نادراً. وإرسالُه: أمْرُ اللهِ ـ تعالى ـ له بالإبلاغِ إلى مَنْ أرسلَه إليه؛ واشتقاقُه من التتابع؛ ومنه قولهم: جاء الناسُ أرْسَالاً ، إذا تبعَ بعضُهم بعضاً؛ فكأنه أُلْزِمَ تكريرَ التبليغ ، أو أُلْزِمت الأمَّةُ اتِّبَاعه.

واختلف العلماء: هل النبيُّ والرسولُ بمعنى ، أو بمعنيين؟ فقيل: هما سواء ، وأصْلُه من الإنباء وهو الإعلامُ؛ واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]؛ فقد أثبتَ لهما معاً الإرسالَ ، قال: ولا يكون النبيُّ إلا رسولاً؛ ولا الرسولُ إلا نبيّاً.

وقيل: هما مُفْتَرِقان مِنْ وجْه؛ إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطِّلاعُ على الغَيْب ، والإعلامُ بخواصِّ النبوّةِ أو الرفعةِ لمعرفةِ ذلك ، وحَوْزِ (٧٠/أ) دَرَجتها؛ وافترقا في زيادة الرِّسالة للرسول ، وهو الأمرُ بالإنذار والإعلام كما قُلْنا.

وحجَّتُهم من الآية نَفسِها التفريقُ بين الاسمين ، ولو كانَا شيئاً واحداً لما حسُنَ تكرَارُهما في الكلام البليغ ، قالوا: والمعنى: وما أرسلنا من رسول[3] إلى أمة ، أو نبيّ ليس بمُرْسَل إلى أحد.

وقد ذهب بعضُهم إلى أنَّ الرسولَ مَنْ جاء بشَرْعٍ مبتدأ ، ومَنْ لم يأْتِ به نبيٌّ غَيْرُ رسولٍ ، وإنْ أمِرَ بالإبلاغ والإنذار.

والصحيحُ ، والذي عليه الجَمَّاءُ الغَفِير[4] ، أنَّ كلَّ رسولٍ نبي ، وليس كلُّ

---

(١) نبيهة: شريفة.

(٢) عالية رفيعة.

(٣) في الأصل: «نبي» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) الجَمَّاءُ الغفير: الجماعة الكثيرة.

نبي رسولاً. وأولُ الرسلِ آدم، وآخِرُهم محمد ﷺ.

٦٥٥ ـ وفي حديث أبي ذرّ [رضي الله] عنه: أنَّ الأنبياءَ مئةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألف نَبِيٍّ، وذَكَر أنَّ الرسلَ، منهم ثلاث مئة وثلاثة عشر؛ أولهم آدم [عليه السلام](١).

فقد بانَ لكَ معنى النبوة والرسالة، وليستا عند المحقِّقين ذاتاً للنبي(٢)، ولا وَصْف ذاتٍ(٣)، خلافاً للكَرَّاميّة(٤)، في تطويلٍ لهم، وتَهْويلٍ(٥)، ليس عليه تَعْوِيل(٦).

وأما الوَحْيُ: فأصلُه الإسراعُ، فلما كان النبي يتلَقَّى ما يأتيه من ربه بعَجَل سُمِّيَ وَحْياً، وسُمّيت أنواعُ الإلهامات وَحْياً، تشبهاً(٧) بالوَحي إلى النبي، وسُمِّيَ الخَطّ وَحْياً، لسرعةِ حرَكةِ يَدِ كاتبهِ؛ ووحْي الحاجب واللَّحْظ: سرعةُ إشارَتهما، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي: أوْمأ وَرمَز. وقيل: كتب؛ ومنه قولهم: الوَحا، الوَحا؛ أي السرعة.

وقيل: أصلُ الوَحْيِ السرُّ والإخفاء، ومنه سُمِّي الإلهامُ وَحْياً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، أيْ

---

(١) حديث أبي ذرٍّ حديث طويلٌ، أخرجه البيهقي في السنن (٩/ ٤)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٩٩) وغيره، والحاكم ٢/ ٥٩٧، وتعقبه الذهبي بقوله: «السعدي ليس بثقة». وصححه ابن حبان (٩٤) موارد الظمآن، وهناك تمام تخريجه.

(٢) أي ليستا أمراً ذاتياً في الرسول ولا جبلَّةً طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز. وإنما هي أمر طارىء عليه بإرادة الله تعالى وفضله/ نسيم الرياض باختصار.

(٣) أي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه قبل الوحي إليه/ المصدر السابق.

(٤) الكرَّاميَّة: طائفة تنسب إلى محمد بن كَرَّام السجستاني المبتدع. كان زاهداً قليل العلم. قال الذهبي: خُذِل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجردٌ عن عقد القلب وعمل الجوارح. مات سنة (٢٥٥)هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٩.

(٥) (تهويل): تزيين بالباطل، أو تخويف وتفريع.

(٦) (ليس عليه تعويل): ليس عليه اعتماد لأنه ساقط ضعيف.

(٧) في المطبوع: «تشبيهاً».

يُوَسْوِسُونَ في صدورهم؛ ومنه قوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧] أي أُلْقِيَ في قلبها.

وقد قِيل ذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى: ٥١] أي مايُلْقيه في قلبه دونَ وَاسِطَةٍ.

فصل
[فِيْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ وَمَعْنَىٰ الْمُعْجِزَةِ][١]

اعلم أنّ معنى تَسْمِيتنا ما جاءت به الأنبياءُ معجزة، هو أنَّ الخَلْقَ عجزُوا عن الإتيانِ بمثلها؛ وهي على (٧٠/ب) ضرْبين: ضربٌ هو مِنْ نوع قُدْرةِ البشَر؛ فعجزوا عنه، فتَعجِيزهُم عنه فِعْلٌ لله دلَّ على صِدْقِ نبيّه، كصَرْفِهم عن تمنِّي الموت. وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم، ونحوه.

وضَرْبٌ هو خارجٌ عن قدرتهم؛ فلم يقدروا على الإتْيَانِ بمثله؛ كإحياء الموتى، وقَلْب العَصَا حيّة، وإخراج ناقةٍ من صَخرةٍ، وكلام شجرَة، ونَبْع الماء من الأصابع، وانشقاق القَمَرِ، مما لا يُمْكِنُ أنْ يفعلَه أَحد، إلا الله؛ فكونُ[٢] ذلك على يَدِ النبيّ ﷺ، مِنْ فِعْل اللهِ تعالى، وتحدِّيه مَنْ يُكذِّبُه أنْ يأْتِي بمثله تعجيزٌ له.

واعلم أنّ المعجزاتِ التي ظهرَتْ على يدِ نبيّنا ﷺ ودلائلَ[٣] نبوّته وبراهينَ صِدْقِه من هٰذَيْن النوعين معاً. وهو أكثَرُ الرسُل معجزةً، وأبهرهم آيةً، وأظهرهم بُرْهاناً؛ كما سَنُبَيِّنُه؛ وهي - في كَثْرتها - لا يحيطُ بها ضَبْطٌ؛ فإنّ واحداً منها - وهو القُرآن - لا يُحصى عدَدُ معجزاتِه بأَلْفٍ ولا أَلْفَيْن، ولا أكثر، لأنَّ النبيّ ﷺ قد تحدَّى بسورةٍ منه فعُجِزَ عنها.

قال أهلُ العِلْم: وأقصر السور: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.
(٢) في الأصل: «فيكون»، والمثبت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «دلائل»، بدون الواو.

فكلُّ آيةٍ أو آيات منه بعَدَدِها وقَدْرِها مُعْجزةٌ؛ ثم فيها نَفْسها مُعْجزاتٌ على ما سنفصِّلُه فيما انطوى عليه من المعجزات.

ثم معجزاته ﷺ على قسمين: قِسْمٌ منها عُلِمَ قَطْعاً، ونُقِل إلينا متواتراً كالقرآن؛ فلا مِرْية، ولا خلافَ؛ بمَجيء النبيِّ به، وظهورِه من قِبَلهِ؛ واستدلاله بِحُجّتِه؛ وإنْ أنكر هذا مُعَانِدٌ جاحِدٌ، فهو كإنكاره وجودَ محمدٍ [ﷺ] في الدُّنيا.

وإنما جاء اعتراضُ الجاحدين في الحُجَّةِ به؛ فهو في نَفْسِه وجميع ما تضمَّنه من مُعْجز معلوم ضرورةً.

ووَجْهُ إعجازه معلوم ضرورةً ونَظَراً، كما سنَشْرحُه.

قال بعضُ أئمتنا: ويَجْري هذا المَجْرى على الجملة أنه قد جَرَى على يَدَيْه ـ عليه السلام ـ آياتٌ وخَوَارِقُ عادَاتٍ، إنْ لم يَبْلُغْ واحدٌ منها معيَّناً القَطْعَ، فيبلغه جميعُها؛ فلا مِرْيةَ في جريان (٧١/أ) معانيها على يَدَيْهِ؛ ولا يختلفُ مؤمنٌ ولا كافر، أنه جرَتْ على يديه عجائبُ؛ وإنما خلافُ المُعَانِدِ في كَوْنها مِنْ قِبَل الله.

وقد قدَّمْنَا كونَها مِنْ قِبَل الله، وأنّ ذلك بمَثَابة قوله: صَدَقْتَ.

فقد عُلِمَ وقوعُ مثلِ هذا أيضاً مِنْ نبيِّنَا ضرورةً لاتِّفاقِ مَعَانيها، كما يعْلَم ضرورةً جُودُ حاتِمٍ، وشجاعةُ عَنْترةَ، وحِلْمُ أحْنَفَ[1]، لاتِّفَاقِ الأخبارِ الواردة عن كل واحدٍ منهم على كرمِ هذا، وشجاعةِ هذا، وحِلْمِ هذا، وإنْ كان كلُّ خَبَرٍ بنفسه لا يُوجِبُ العِلْمَ، ولا يُقْطَعُ بصحّته.

والقسمُ الثاني: ما لم يَبْلُغ مَبْلَغَ الضرورة والقَطع؛ وهو على نوعين: نوع مُشْتَهر مُنْتَشِر، رواهُ العدَدُ، وشاعَ الخَبَرُ به عند المحدِّثين والرُّواةِ ونَقَلَة السِّيَرِ والأخبارِ؛ كنَبْعِ الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام.

(١) هو الأحنف بن قيس، تابعي مخضرم. يضرب بحلمه المثل. توفي سنة (٦٧)هـ وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٦ ـ ٩٧.

ونوعٌ منه اختصّ به الواحِدُ أو الاثنان؛ ورَوَاهُ العَدَدُ اليَسِيرُ ، ولم يَشْتهِر اشتهارَ غيره ، لكنه إذا جُمِعَ إلى مِثْلِه اتّفقا في المعنى ، واجتمعا على الإتيان بالمُعْجِز ، كما قدَّمناه.

قال المؤلف رحمه الله: وأنا أقولُ ـ صَدْعاً بالحق ـ: إنّ كثيراً من هذه الآيات المأثورة عنه ﷺ معلومة بالقَطْع.

أمَّا انشِقَاقُ القَمرِ فالقرآنُ نَصَّ[1] بوقوعِه ، وأخْبَرَ عن وجوده ، ولا يُعْدَلُ عن ظاهره إلاَّ بدليل ، وجاء برَفْع احتماله صحيحُ الأخبار من طرق كثيرة ، ولا يُوهِنُ عَزْمَنا خلافُ أخرَقَ[2] مُنْحَلِّ عُرَى الدِّين ، ولا يُلْتَفت إلى سخافةِ مُبْتَدع ، يُلْقي الشكَّ على قلوب ضعفاء المؤمنين؛ بل نُرْغِم[3] بهذا أنفه ، ونَنْبِذُ بالعَرَاء سُخْفَهُ.

وكذلك قصةُ نَبْع الماء ، وتكثير الطعام ، رَوَاها الثِّقَاتُ والعَدَد الكثير ، عن الجَمَّاءِ الغَفِير[4] ، عَن العدد الكثير من الصحابة.

ومنها ما رَوَاه الكافّةُ عن الكافَّةِ مُتَّصلاً عمَّن حدَّث بها مِنْ جُملة الصحابة وإخْبارهم أنَّ ذلكَ كانَ في مَوْطِنِ اجتماع الكثير منهم في يوم الخَنْدق ، وفي غزوة بُوَاط[5] ، وعُمْرة الحُدَيبية[6] ، وغَزْوة تبُوك[7] ، وأمثالِها مِنْ مَحافلِ

---

(١) نصَّ بوقوعه : أي : صرَّح به .

(٢) الأخرق : من صفات الأحمق الذي عدم الرفق . انظر فقه اللغة للثعالبي ص (١٥٥) .

(٣) نرغم : نُذِلُّ .

(٤) الجمَّاء الغفير : أي العدد الكثير من الرُّواةِ .

(٥) غزوة بُواط كانت في السنة الثانية من الهجرة . وفيها خرج رسول الله ﷺ يطلب عيراً لقريش آيبة من الشام ، فبلغ بُواطَ ، وفاتته العير . وبواط : جبل لِجُهَيْنَةَ على أبرادٍ من المدينة جهة يَنْبُع . انظر نور اليقين ص (٩٦) بتحقيقي .

(٦) وتعرف أيضاً بغزوة الحديبية ، وكانت هذه الغزوة سنة ست من الهجرة . والحديبية : بلد يقع على مسافة (٢٢) كِيلاً غرب مكة ، على طريق جُدة . ولا زال يعرف بهذا الاسم .

(٧) حدثت هذه الغزوة في السنة التاسعة من الهجرة . وتبوك : مدينة في السعودية تبعد عن المدينة شمالاً (٧٧٨) كِيلاً .

(٧١/ب) المسلمين[١] ومَجْمَع العساكر ، ولم يُؤثَر عن أحدٍ من الصحابة مخالفةٌ للراوي فيما حكاهُ ، ولا إنكارٌ لِمَا ذُكر عنهم أنهم رأوْه كما رآه ، فسكوتُ الساكتِ منهم كَنُطْقِ الناطقِ[٢] ؛ إذ هم المنَزَّهون عن السكوت على باطل ، والمداهنةِ[٣] في كَذِب ، وليس هناك رغبةٌ ولا رهبةٌ تمنعهم ، ولو كان ما سمعوه مُنْكراً عندهم وغَيْرَ معروف لديهم لأنْكَرُوه ، كما أنكر بعضُهم على بعض أشياء رواها[٤] من السُّنن والسِّير وحروف القرآن . وخطَّأَ بعضُهم بعضاً ، ووهَّمَهُ في ذلك ، مما هو معلوم ؛ فهذا النوعُ كلُّه يلحَقُ بالقَطعِي من معجزاته لما بيَّنَّاه .

وأيضاً فإنَّ أمثالَ الأخبار التي لا أصلَ لها ، وبُـنـيـت على باطل ، لا بُـدَّ مَعَ[٥] مرور الأزمان ، وتداوُلِ الناسِ ، وأهلِ البَحْثِ من انكشاف ضعفها ، وخمول ذِكْرِها ، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة ، والأرَاجيف[٦] الطارئة . وأعلامُ نبيِّنا[٧] هذه الواردةُ من طريق الآحاد[٨] لا تزدادُ مع مرورِ الزمان إلاّ ظهوراً ، ومع تداول الفِرَق ، وكثرةِ طَعْنِ العدو ، وحِرْصِه على توهينها ، وتَضْعِيفِ أصلها ، واجتهاد المُلْحِدِ على إطفاء نورها إلا قوة وقَبُولاً ، وللطاعن عليها إلا حسرة وغَلِيلاً[٩] .

وكذلك إخبارهُ عن الغيوب ، وإنباؤه بما يكونُ وكانَ ، مَعلومٌ من آياته على الجملة بالضَّرُورة .

وهذا حقٌّ لا غِطَاءَ عليه ؛ وقد قال به من أئمتنا : القاضي[١٠] ، والأستاذُ

(١) محافل المسلمين : أماكن لقائهم واجتماعهم .
(٢) في الأصل : «ناطق» ، والمثبت من المطبوع .
(٣) المداهَنةُ : الملاينة والمداراة .
(٤) هكذا في الأصل : «رواها» ، ثم حوَّرها الناسخ لتصير : «رَأَوْهَا» .
(٥) في المطبوع : «بعد» .
(٦) الأراجيف : الأخبار الكاذبة المثيرة للفتن والاضطراب .
(٧) أعلام نبينا : أي دلائل نبوته ﷺ .
(٨) طريق الآحاد : أي الطريق الذي لم يبلغ مبلغ التواتر .
(٩) غليلاً : غيظاً .
(١٠) أي أبو بكر الباقلاني . تقدم التعريف به .

أبو بكر[1] وغيرهما ، رحِمَهم اللهُ؛ وما عِندي أَوْجَبَ قَوْلَ القَائِلِ: إنّ هذه القصصَ المشهورةَ من باب خَبَر الواحد ، إلاّ قلّةُ مطالعته للأخبار وروايَتها ، وشُغْلُه بغير ذلك من المعارف؛ وإلا فمن اعتنى بطُرق النّقْل، وطالعَ الأحاديثَ ، والسِّيَرَ ، لم يَرْتَبْ[2] في صحة هذه القِصص المشهورة على الوجْهِ الذي ذكرناه.

ولا يَبْعُد أنْ يحصلَ العِلْمُ بالتواتُر عند واحدٍ ولا يحصلُ عند آخر؛ فإنّ أكثر الناس يعلمون ـ بالخَبرِ ـ كونَ بغداد موجودةً؛ وأنها مدينةٌ (٧٢/أ) عظيمةٌ ، ودارُ الإمارة[3] والخلافةِ ، وآحادٌ من الناس لا يعلمون اسمَها؛ فَضْلاً عن وصْفِها؛ وهكذا يعلم الفُقهاءُ من أصحاب مالك بالضرورةِ وتواتُر النّقْل عنه ، أنّ مذْهبَه إيجابُ قراءةِ أُمِّ القرآن في الصلاةِ للمُنْفَردِ والإمام ، وإجزاءُ النيّةِ في أولِ ليلةِ من رمضان عَمّا سِوَاهُ؛ وأنَّ الشافعيّ يرى تَجْديدَ النيةِ كلَّ ليلة؛ والاقتصارَ في المَسْح على بَعْض الرأس ، وأنّ مَذْهبهما القِصاصُ في القَتْلِ بالمُحدَّدِ وغيره ، وإيجابُ النيّةِ في الوضوء ، واشتراطُ الوليّ في النّكاح؛ وأنّ أبا حنيفة يخالِفُهما في هذه المسائل؛ وغَيْرهم مِمَّن لم يَشْتَغِل بمذاهبهم ولا روَى أقوالَهم لا يعرفُ هذا مِنْ مَذاهِبهم ، فَضْلاً عن[4] سِوَاه.

وعند ذِكْرِنا آحادَ هذه المعجزات نزيد الكلامَ فيها بياناً إنْ شاءَ الله تعالى.

فصل

فِيْ إعْجَازِ القُرآنِ

قال المؤلف: اعلم ـ وفَّقنا اللهُ وإيّاكَ ـ أن كتاب الله العزيز مُنْطَوٍ على وُجوهٍ من الإعجاز كثيرةٍ ، وتحصيلُها من جهة ضَبْطِ أنواعِها في أربعة وجوه:

أولها: حُسْنُ تأليفه ، والْتِئامُ كَلِمه ، وفصاحتُه ، ووجوهُ إيجازه ، وبلاغتُه

---

(١) هو أبو بكر بن فُوْرَك. تقدم التعريف به.

(٢) لم يرتَبْ: لم يشكَّ.

(٣) في المطبوع: «الإمامة».

(٤) في المطبوع: «عمن».

الخارقة عادةَ العرب؛ وذلك أنهم[1] كانوا أربابَ هذا الشأن ، وفُرسانَ الكلامِ؛ قد خُصُّوا من البلاغة والحِكَمِ بما لم يُخَص به غيرهم من الأمم ، وأُوتُوا من ذَرَابةِ اللسان[2] ما لم يُؤْتَ إنسان ، ومِنْ فَصْلِ الخطابِ ما يُقَيِّدُ الألباب؛ جعل اللهُ لهم ذلك طَبْعاً وخِلْقة ، وفيهم غريزةً وقوة ، يأتون منه على البَدِيهة بالعَجَب ، ويُدْلُونَ به إلى كل سبب؛ فيخطبون بَدِيهاً في المقامات ، وشديد الخَطْبِ ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ، ويمدحونَ ويَقْدَحون ، ويتوسَّلُون[3] ويتوصَّلُون ، ويرفعون ويَضَعُون ، فيأتون من ذلكَ بالسحْرِ الحلال ، ويطوِّقون من أوصافهم أجملَ مِنْ سِمْطِ اللَّآل[4] ، فَيَخْدَعون الألبابَ ، ويذلِّلون الصعاب (٧٢/ب) ويذهبون الإحَنَ[5] ، ويُهيجون الدِّمَن[6] ، ويجرِّئُون الجَبَانَ ، ويَبْسطونَ يَدَ الجَعْدِ البَنَانِ[7] ، ويُصَيِّرون الناقِصَ كاملاً ، ويتركونَ النَّبيه خاملاً .

منهم البَدَوِيُّ ذو اللفظ الجَزْلِ[8] ، والقولِ الفَصْل[9] ، والكلامِ الفَخْم[10] ، والطَّبْعِ الجَوْهري[11] ، والمَنْزَعِ القَوِيّ[12] .

---

(١) في الأصل: «لأنهم» ، والمثبت من المطبوع .

(٢) ذرابة اللسان: فصاحته .

(٣) في الأصل: «ويترسلون» ، والمثبت من المطبوع .

(٤) سِمْطِ اللآل: السِّمْطُ: الخيط ما دام الخرزُ ونحوه منظوما فيه . واللآل: اللآلِيء ، جمع لؤلؤة وهي الدُّرَّةُ .

(٥) الإحَنُ: الأحقاد والضغائن .

(٦) الدِّمن: الأحقاد الدائمة القديمة .

(٧) الجعد البنان: المراد به: البخيل .

(٨) الجزل: القوي الفصيح الجامع .

(٩) الفصل: ما كان حقاً قاطعاً .

(١٠) الفخم: الجَزْل .

(١١) في الأصل «الجهوري» ، وشطب عليها الناسخ ، وأثبت على الهامش: «الجوهري ، أصل» . والجوهري: النفيسُ ، نسبة للجوهر . والجهوري من جهورة الصوت: وهو رفعه .

(١٢) (المَنْزَع القوي): مفعل من النزع وهو الجذب والأخذ . قال الخفاجي: أي يأتون بنوع من=

ومنهم الحَضَرِيُّ ذُو البلاغةِ البارِعة ، والألفاظ الناصِعَة ، والكلماتِ الجامعة ، والطّبعِ السَّهْل ، والتصرُّفِ في القولِ القليلِ الكُلْفَةِ ، الكثير الرَّوْنقِ[١] ، الرقيقَ الحاشية[٢] .

وكِلاَ البابَيْن فلهما في البلاغةِ الحجّةُ البالغة ، والقوةُ الدامغة[٣] ، والقِدْحُ الفالج[٤] ، والمَهْيَعُ الناهج[٥]، لا يَشُكُّون أنّ الكلامَ طَوْعُ مُرادِهم، والبلاغَة مِلْكُ قِيَادِهم، قد حَوَوْا فنونَها ، واسْتَنْبطوا عُيونَهَا ، ودخلوا مِنْ كل باب من أبوابها ، وعَلَوْا صَرحاً[٦] لبلوغ أسبابها؛ فقالوا في الخَطير[٧] والمَهين ، وتفنَّنُوا في الغثِّ[٨] والسَّمين وتقاوَلوا في القُلِّ والكُثْرِ ، وتساجَلُوا[٩] في النظمِ والنَّثْر؛ فما راعَهم[١٠] إلاّ رسولٌ كريمٌ ، بكتاب عزيز ، لا يَأْتيه الباطِلُ مِنْ بَيْن يَدَيه ولا مِنْ خَلْفِهِ ، تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ؛ أُحكمتْ آياتُه ، وفُصِّلت كَلِمَاتُه ، وبهَرَت بلاغَتُه العقولَ ، وظهرت فصاحتُه على كل مَقُولٍ ، وتضافَرَ[١١] إيجازُه وإعجازُه ، وتظاهرَتْ حقيقتُه ومجازُه ، وتبارَتْ في الحُسن مطالِعُه ومَقَاطعُه ، وحوَتْ كُلَّ البيانِ جوامِعُه وبدائعُه ، واعتدلَ مع إيجازه حُسْنُ نَظْمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختارُ لَفْظه ، وهم أفسَحُ ما كانوا في هذا البابِ مَجالاً ،

= الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفىٰ غليله .

(١) الرونق : الحُسْن .
(٢) الرقيق الحاشية : أي لَيِّنٌ سَهْلٌ مَلِسٌ .
(٣) الدامغة : الغالبة .
(٤) القِدْحُ الفالج : السهم الفائز .
(٥) المهيع الناهج : الطريق السالك .
(٦) الصرح : البناء العالي الذاهب في السماء .
(٧) الخطير : العظيم . وعكسه : المهين .
(٨) الغثُّ : الأمر الحقير ، وعكسه : السمين .
(٩) تساجلوا : تبارَوا وتفاخروا .
(١٠) راعهم : أفزعهم وبغتهم .
(١١) تضافر : تعاون . وفي المطبوع . «تظافر» أي : تظاهر وتغالب علىٰ غيره .

وأشهر في الخطابة رجالاً ، وأكثر في السَّجْع(١) والشعر ارتجَالاً(٢) ، وأوسعُ في الغريب واللغةِ مقالاً ؛ بلُغَتهم التي بها يتحاوَرُون ، ومَنَـازِعِهِمْ(٣) التي عنها يتناضلون ، صارخاً بهم في كل حين ، ومُقَرِّعاً لهم بِضْعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٨] (٧٣/أ).

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ . . . . ﴾ [البقرة : ٢٣ ـ ٢٤].

و﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨].

و﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [هود : ١٣] وذلكَ أنَّ المُفْتَرى أسْهل ، وَوَضْع الباطلِ والمُخْتَلَقِ على الاختيار أقْرَب ، واللفظُ إذا تبعَ المعنى الصحيح كان أصْعب ؛ ولهذا قيل : فلان يكتبُ كما يقالُ له ، وفلان يكتب كما يُريد .

وللأوَّلِ على الثاني فَضل ، وبينهما شَأْوٌ بَعِيد .

فلم يَزَلْ يُقَرِّعُهم(٤) ـ ﷺ ـ أشدَّ التقريع ، ويوبِّخهم(٥) غايَة التوبيخ ، ويسَفِّهُ أحلامَهم(٦) ، ويَحُطُّ أعلامَهم ، ويشتِّتُ نظامَهم ، ويذمُّ آلهتَهم

---

(١) السَّجْعُ : الكلام المُقَفَّىٰ غير الموزون .

(٢) (ارتجالاً) : أي تَكَلُّمًا بِهِ من غير فكر ورويَّة . وفي المطبوع : «سجالاً» : أي محاورة ومفاخرة .

(٣) (مَنَـازِعِهم) : أي محال المنازعة بمعنى المجاذبة في الأعيان والمعاني . وفي الأصل : «ومنازعتهم» والمثبت من المطبوع .

(٤) يقرِّعهم : يوجعهم باللوم والعتاب .

(٥) يوبخهم : يؤنِّبهم .

(٦) يسفِّهُ أحلامهم : ينسب عقولهم إلى السَّفهِ . وهو الخفة والطيش والجهل .

وآباءَهم ، ويستبيحُ أرضَهم وديارَهم وأموالَهم ، وهم في كل هذا ناكِصُون[(١)] عن معارضتِه، مُحْجِمون عن مَمَاثلته ، يُخَادِعُون أنفسهم بالتشْغِيب بالتكذيب، والاغتراء[(٢)] بالافتراءِ ، وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤] و﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] و﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤] ، و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

والمباهتة[(٣)] والرضا بالدَّنيَّةِ؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨].

و﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥]. و﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٦]

والادعاء مع العَجْزِ بقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١].

وقد قال لهم الله: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] فما فعلوا ولا قدروا. ومَنْ تعاطَى ذلك من سُخَفائهم ـ كمُسَيْلمة ـ كشف الله عُـوارَهُ[(٤)] لجميعهم[(٥)]، وسلبهم الله ما أَلِفُوه ، من فصيح كلامهم ، وإلاَّ فلم يَخْفَ على أهل المَيْزِ[(٦)] منهم أنه ليس من نَمَطِ فصاحتهم ، ولا جِنْس بلاغتهم؛ بل وَلَّوْا عنه مُدْبِرين ، وأتَوْا مُذْعِنين من بين مُهْتَدٍ وبين مَفْتُون.

٦٥٦ ـ ولهذا لما سَمِعَ الوليدُ بنُ المغيرة مِن النبي ﷺ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] قال: والله! إنَّ له لحَلاَوةً ، وإنَّ عليه لطَلاوةً[(٧)] ، وإن أسْفَلَـه لَمُغْـدِقٌ[(٨)] ، وإنّ أعـلاه لَمُثْمِـر ، مـا يقـولُ هـذا

---

(١) ناكصون: محجمون.

(٢) قال التلمساني: «صوابه: الإغراء ، بغير تاءٍ» . وهو الحث والتحريض .

(٣) (المباهتة) بمعنىٰ البهتان ، وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه.

(٤) عُوَارَهُ: عيبه.

(٥) في المطبوع: «جميعهم» .

(٦) أهل الميز: أهل التميز والعقل.

(٧) لطَلاوة: أي رونقاً وحسناً/ النهاية.

(٨) لمغدق: من الغدق : وهو كثرة الماءِ ، تلويحاً بغزارة معانيه في قوالب مبانيه .

بَشَر[1] (٧٣/ب).

وذكر أبو عُبيد[2] أنَّ أعرابياً سمعَ رجلاً يقرأ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ[3] وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحِجْر: ٩٤] فسجد، وقال: سجدْتُ لفصاحته.

وسمع آخرُ رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ﴾[4] [يوسف: ٨٠] فقال: أشهد أنَّ مخلوقاً لا يقدِرُ على مثْلِ هذا الكلامِ.

وحُكِيَ أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يوماً نائماً في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه يتشهَّدُ شهادةَ الحق؛ واستخبره، فأعلمه أنه مِنْ بَطَارقَةِ[5] الروم ممن يُحْسِنُ كلامَ العرب وغيرها، وأنه سمعَ رجلاً من أسْرى المسلمين يقرأ آيةً من كتابكم فتأمَّلْتُها، فإذا [هي] قد جُمِعَ فيها ما أُنْزِل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة؛ وهي قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وحَكَى الأصمعيُّ[6] أنه سمِعَ كلامَ جارية، فقال لها: قاتلكِ اللهُ! ما أفصحكِ! فقالت: أوَ يُعَدُّ هذا فصاحةً بعد قول الله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ

---

(١) رواه البيهقي عن عكرمة مرسلاً/ المناهل (٥١٨). وقول الوليد بن المغيرة أخرجه البيهقي في الدلائل، والواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٠) من حديث ابن عباس. وصححه الحاكم ٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ووافقه الذهبي، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ١/ ٢٧٤.

(٢) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، القاسم بن سلاّم. ولد سنة (١٥٧)هـ ومات بمكة سنة (٢٢٤)هـ. له كتاب الأموال، والغريب، وفضائل القرآن، وغيره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠ ـ ٥٠٩.

(٣) فاصدع بما تؤمر: فاجهر به، أو فامضه ونفذه/ كلمات القرآن لمخلوف.

(٤) أي فلما يئسوا من إجابة يوسف لهم، انفردوا متناجين متشاورين. انظر كلمات القرآن لمخلوف.

(٥) بطارقة: جمع بِطْريق: وهو القائد من قواد الروم. ويطلق أيضاً على رئيس رؤساء الأساقفة.

(٦) هو عبد الملك بن قُرَيْبٍ الأصمعي. لغوي أخباري، إمام علامة حافظ. ولد سنة بضع وعشرين ومئة للهجرة ومات سنة (٢١٦)هـ. وقيل غير ذلك. له تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٧٥ ـ ١٨١.

﴿مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فجمع في آيةٍ واحدة بين أمرين، ونَهْيَيْنِ، وخَبَرين، وبِشَارَتَيْنِ. فهذا نوعٌ من إعجازه مُنْفرد بذاته، غَيْرُ مضَافٍ إلى غيره على التحقيق والصحيح من القَوْلَيْن.

وكونُ القرآنِ مِنْ قِبَلِ النبيّ ﷺ، وأنه أتى به، معلومٌ ضرورةً، وكونه ـ عليه السلام ـ مُتَحدِّياً به معلوم ضرورةً، وعَجْزُ العربِ عن الإتيان بمثله[1] معلومٌ ضرورةً، وكونُه في فصاحته خارِقاً للعادة، معلوم ضرورةً للعالمين بالفصاحة ووجوهِ البلاغة؛ وسبيلُ مَنْ ليس مِنْ أهلها عِلْمُ ذلكَ بعَجْزِ المُنكرين[2] من أهلها عن مُعَارضته، واعترافِ المُقِرِّينَ[3] بإعجاز بلاغتِه.

وأنتَ إذا تَـأَمَّلْتَ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤].

وقوله: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا[4] وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأشباهَهَا مِن الآي، بل أكثَر القرآن (٧٤/أ) حقَّقْتَ ما بَيَّـنْتُـه من إيجاز ألفاظها، وكَثْرَة معانيها، ودِيْبَاجَةِ عبارتِها[5]، وحُسْنِ تأليفِ حروفها، وتَلاؤُم كَلِمِها، وأنَّ تَحتَ كلِّ لفظة منها جُمَلاً كثيرة؛ وفُصولاً جَمَّة، وعلوماً

---

(١) في المطبوع: «به».

(٢) في المطبوع: «المفكرين». وهو تحريف.

(٣) في المطبوع: «المفسِّرين». وهو تحريف. وفي شرح القاري زيادة: «والمفترين».

(٤) حاصباً: ريحاً عاصفاً ترميهم بالحصباء / كلمات القرآن لمخلوف.

(٥) ديباجة عبارتها: أي حسنها.

زواخِرَ ، مُلِئَت الدواوينُ مِنْ بَعْضِ ما استُفيد منها ، وكَثُرَت المقالاتُ في المستَنْبَطاتِ عنها.

ثم هو في سَرْد القِصص الطِّوالِ ، وأخبار القرون السَوالِف ، التي يضعفُ في عادةِ الفُصحاءِ عندها الكلامُ ، ويذهبُ ماءُ البَيَانِ ، آيةٌ لمتأمِّلِه؛ مِنْ رَبْط الكلام بعضِه ببعض ، والتئامِ سَرْدِه ، وتناصُفِ وجُوهه؛ كقصَّة يوسف على طُولها.

ثم إذا تردَّدَتْ[1] قِصَصُه اختلفت العباراتُ عنها على كَثْرة تردُّدِها حتى تكادُ كلُّ واحدةٍ تُنسي في البيانِ صاحبتَها ، وتُناصِفُ في الحُسْنِ وَجْهَ مُقَابلتها ، ولا نفورَ للنفوسِ مِنْ تَرْديدها ، ولا مُعَادَاةَ لمُعَادِها.

فصل

الوجه الثاني من إعجازه: صورةُ نَظْمِه العَجِيب ، والأسلوبُ الغريبُ المخالفُ لأساليب كلامِ العرب ومَنَاهِجِ نَظْمها ونَثْرِها الذي جاء عليه ، ووقفَتْ مقاطِعُ آيِهِ ، وانتهت فواصِلُ كلماته إليه؛ ولم يُوجَد قَبْلَه ولا بَعْدَه نظيرٌ له ، ولا استطاعَ أحَدٌ مُماثلة شَيْءٍ منه؛ بل حارَتْ فيه عقولُهم ، وتَذَهَّلَتْ[2] دونَه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلى مِثْله في جِنْس كلامهم من نَثْر ، أو نَظْم ، أو سَجْع ، أو رَجَز ، أو شِعْر.

٦٥٧ ـ ولما سمع كلامَه ﷺ الوليدُ بن المغيرة ، وقرأ عليه القرآنَ ـ رَقَّ؛ فجاءه أبو جَهْل مُنْكِراً عليه ـ قال: واللهِ! ما منكم أحدٌ أعلم بالأشعار مني ، والله! ما يُشْبِهُ الذي يقول شيئاً مِنْ هذا[3].

٦٥٨ ـ وفي خبره الآخَر حين جمع قُرَيشاً عند حضور المَوْسِم ، وقال: إن

---

(١) ترددت: تكرَّرت.
(٢) تَذَهَّلَتْ: تَحَيَّرَتْ ودهشت. وفي المطبوع: «وتَـدَلَّهَتْ». وفي نسخة: «وتولَّهت».
(٣) أخرجه الحاكم ٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، والبيهقي في الدلائل ، والواحدي في أسباب النزول ص (٣٣٠) من حديث ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي.

وفُودَ العرب تَردُ فأجْمِعُوا فيه رَأياً ، لا يكذِّبُ بعضُكم بعضاً؛ فقالوا: نقولُ: كاهن(١) . قال: واللهِ! ما هُو بكاهِن. ما هُوَ بزَمْزَمَتِه(٢) ولا سَجْعِه.

قالوا: مجنون. قال: ماهُوَ بِمَجْنون ، ولا بِخَنَقِـه(٣) ولا وَسْوَسَتِه.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ماهو (٧٤/ب) بشاعر. قد عرَفْنَا الشِّعْرَ كلَّه ، رَجَزَه ، وهَزَجَه(٤) ، وقَرِيضَه ، ومَبْسوطَه(٥) ، ومقْبوضَه(٦) ، ما هو بشاعر.

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هُوَ بساحر ، ولا نَفْثِه(٧) ولا عَقْدِه.

قالوا: فما نقولُ؟ قال: ما أنتم بقائلين مِنْ هذا شيئاً ، إلا وأنا أعرِفُ أنه باطل ، وإنَّ أقربَ القَوْلِ أنه ساحر؛ فإنه سِحْرٌ يفرِّقُ به بين المرءِ وأبيه(٨) ، والمرءِ وأخيه ، والمرءِ وزَوجِه ، والمرءِ وعَشِيرته.

فتفرَّقُوا وجلسوا على السَّبيل(٩) يحذِّرُون الناس؛ فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾(١٠) [المدثر: ١١ ، ٢٤].

٦٥٩ ـ وقال عُتْبَةُ بن ربيعة(١١) حين سَمِع القرآن: يا قوم! قد علمتُم أني لم

---

(١) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار/ النهاية.

(٢) الزمزمة: صوت خفي لا يكاد يفهم/ النهاية.

(٣) الخَنَقُ: الجنون.

(٤) الرَّجَزُ والهَزَج: بحران من أبحر الشعر المعروفة.

(٥) مبسوطه: مطولات قصائده.

(٦) مقبوضة: مختصر أوزانه المسمىٰ في العروض بـ«المجزوء».

(٧) نَفْثِه: النفث: النفخ مع الريق.

(٨) في المطبوع: «وابنه».

(٩) في المطبوع: «السُّبُل».

(١٠) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ص (١٥٠ ـ ١٥١) من حديث ابن عباس.

(١١) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد سادتها في الجاهلية. قتل يوم بدر كافراً/ الأعلام.

أترك شيئاً إلاَّ وقد علمتُه وقرأتُه وقلْتُه؛ واللهِ! لقد سمعتُ قَوْلاً ، واللهِ! ما سمعتُ مِثْلَه قطُّ؛ وما[1] هو بالشِّعْرِ ، ولا بالسِّحْرِ ، ولا بالكَهَانة[2].

٦٥٩م ـ وقال النَّضْرُ بن الحارث نحوه[3].

٦٦٠ ـ وفي حديث إسلام أبي ذَرّ ـ وَوَصفَ أخاهُ أُنَيساً ـ، فقال: واللهِ! ما سمعتُ بأَشْعر من أخِي أُنَيسٍ ، لقد ناقَضَ[4] اثني عشر شاعراً في الجاهلية ، أنا أحدهُم ، وإنه انطلق إلى مكة ، وجاء إلى أبي ذَرّ بخَبرِ النبيِّ ﷺ. قلت: فما يقولُ الناس؟ قال: يقولون: شاعر ، كاهن ، ساحر ، لقد سمعْتُ قولَ الكَهَنةِ فما هو بقَوْلهم ، ولقد وضعتُه على أَقْراء الشِّعْر[5] فلم يلتئم[6] ، وما يَلْتَئم على لسان أحدٍ بعدي أنه شِعْر؛ وإنه لصادقٌ ، وإنهم لكاذِبُون[7].

والأخبار في هذا صحيحةٌ كثيرة.

والإعجازُ بكلِ واحدٍ من النوعين: الإيجاز والبلاغة بذاتها؛ أو الأسلوب الغريب بذاته ، كلُّ واحدٍ منهما نوعُ إعجازٍ على التحقيق ، لم تَقْدِر العربُ على الإتيان بواحدٍ[8] منهما؛ إذ كلُّ واحدٍ خارجٌ عن قُدْرَتها ، مِبَاين لفَصَاحَتها وكلامها؛ وإلى هذا ذهب غيرُ واحدٍ من أئمةِ المُحَقّقين.

وذهب بعضُ [المحققين] المقْتَدَى بهم إلى أنّ الإعجازَ في مجموع البلاغة

---

(١) في المطبوع: «ما» بدون «الواو».
(٢) أخرجه البيهقي من حديث محمد بن كعب مرسلاً. كما في سيرة ابن كثير ١/٥٠٣. وانظر الحديث الآتي برقم (٦٦٧).
(٣) تقدم كلام النضر بن الحارث برقم (٢٨٣).
(٤) ناقض الشاعرُ الشاعرَ: قال أحدهما قصيدة فنقضها صاحبه عليه ، رادّاً على ما فيها ، معارضاً له/ المعجم الوسيط.
(٥) وضعته على أقراء الشعر: أي على طرق الشعر وأنواعه وبحوره. وقال الزمخشري وغيره: أقراء الشعر: قوافيه التي يُختم بها/ النهاية.
(٦) لم يلتئم: لم يتفق.
(٧) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) ، وانظر البخاري (٣٨٦١).
(٨) في المطبوع: «واحد».

والأسلوب ، وأتى على ذلك بقَوْلٍ تمجُّه الأسماعُ ، وتَنْـفِرُ منه القلوبُ.

والصحيحُ ما قدمناهُ ، والعلمُ بهذا كلّه (٧٥/أ) ضرورةً وقطعاً.

ومَنْ تفنّن في علوم البلاغةِ ، وأرهف خاطِرَه ولسانَه أدَبُ هذه الصناعةِ لم يَخْفَ عليه ما قلناه.

وقد اختلف أئمةُ أهلِ السنَّةِ في وَجْهِ عَجْزهم عنه؛ فأكثَرُهم يقول: إنّه ما[١] جُمِعَ في قوةِ جَزَالته ، ونَصَاعةِ ألفاظِه ، وحُسْنِ نَظمِه ، وإيجازِه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصحُّ أن يكونَ في مَقْدُور البَشَرِ ، وأنه مِنْ باب الخَوَارقِ المُمْتَنِعة عن إقدار الخَلْق عليها؛ كإحياء المَوْتى ، وقَلْبِ العَصَا ، وتسبيح الحَصَى.

وذهب الشيخُ أبو الحسن[٢] إلى أنه مِمَّا[٣] يمكنُ أن يدخلَ مِثلهُ تحت مقدور البَشر ، ويُقدرهم الله عليه؛ ولكنه لم يكُن هذا ولا يكون؛ فمنعهم الله هذا ، وعجّزَهم عنه.

وقال به جماعة من أصحابه[٤].

وعلى الطريقَيْنِ فَعَجْزُ العرب عنه ثابتٌ ، وإقامةُ الحجةِ عليهم بما يصح أن يكونَ في مقدور البَشر ، وتحدِّيهم بأن يأتُوا بمثله ، قاطعٌ؛ وهو أبلغُ في التعجيز ، وأحرَى بالتقريع ، والاحتجاجُ بمجيء بَشرٍ مثْلهم بشيءٍ ليس مِنْ قدرة البشر لازمٌ؛ وهو أبْهَرُ آيةٍ ، وأقمَعُ دِلالةٍ.

وعلى كلِّ حال ، فما أتَوْا في ذلك بمقال؛ بل صبَرُوا على الجَلاء[٥] ، والقَتْل ، وتجرَّعُوا كاساتِ الصَّغَار[٦] والذُّلّ؛ وكانوا من شمُوخ الآنُفِ[٧] ،

---

(١) في الأصل: «مما» والمثبت من المطبوع.
(٢) أبو الحسن هو الأشعري. تقدمت ترجمته.
(٣) في الأصل: «ما» والمثبت من المطبوع.
(٤) قال القاري: وهذا هو القول بالصَّرْفَةِ ، وهو مرجوحٌ عند أكابر الأئمة.
(٥) (الجلاء): ترك الوطن والمال.
(٦) الصَّغار: الذل والضعة والهوان.
(٧) شموخ الآنُفِ: ارتفاعها ، وهو كناية عن التكبر.

وإبَايَة الضَّيْم[1] ، بحيث لا يؤْثِرُون ذلك اختياراً ، ولا يرضَوْنه إلا اضطراراً ، وإلا فالمعارضَةُ ـ لو كانت من قُدَرتهمْ ـ[2] والشُّغْلُ بها أهونُ عليهم ، وأسرعُ بالنُّجْحِ ، وقَطْعِ العُذْرِ ، وإفحامِ الخَصْم لديهم ، وهم مَنْ هم[3] ، قُدْرةً على الكلام ، وقدوةً في المعرفة به لجميع الأنام؛ وما منهم إلا مَنْ جَهَدَ جَهْدَه ، واستنْفد ما عنده في إخفاء ظهوره ، وإطفاء نُورِه ، فما جَلَوْا[4] في ذلك خَبيئةً مِنْ بنات شِفاههم ، ولا أتَوْا بنُطْفة[5] مِنْ مَعين مِياههم[6] ، مع طُولِ الأمَدِ ، وكَثْرَةِ العَدَد ، وتَظاهُر الوالد وما وَلَد؛ بل أبْلَسُوا[7] فما نَبَسُوا[8] ، ومُنِعُوا فانْقَطَعُوا؛ فهذان نوعان من إعجازه.

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز: ما انْطَوى (٧٥/ب) عليه من الإخبار بالمغيَّبات ، وما لم يكن ولم يَقَعْ؛ فوُجد؛ كما وردَ ، وعلى الوَجْهِ الذي أخْبر [به] كقوله تعالى: ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله [تعالى]: ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم: ٣].

وقوله: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ

---

(١) الضيم: الظلم والإذلال ونحوهما.
(٢) في المطبوع: «قُدَرِهِمْ».
(٣) في المطبوع: «وهم ممَّنْ لهم».
(٤) جَلَوا: أظهروا.
(٥) بِنُطْفَة: بقطرة.
(٦) ماءٌ معينٌ: جارٍ أو ظاهر ، سهل التناول.
(٧) أبْلَسوا: سكتوا حيرةً وانقطاعَ حُجَّةٍ.
(٨) فما نبسوا: أي ما نطقوا بشيء مما طولبوا به/ اصطفا. كذا على هامش الأصل.

﴿خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١، ٣] فكان جميعُ هذا، كما قال؛ فغَلبت الرومُ فارسَ في بِضْع سنين، ودخل الناسُ في الإسلام أفواجاً؛ فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلِّها موضِعٌ لمْ يدخله الإسلامُ.

٦٦١ ـ واستخلف [الله] المؤمنين في الأرْضِ، ومَكّن لهم[١] فيها دينَهم، وملّكهم إياها من أقْصى المشارقِ إلى أقْصى المغَارِب؛ كما قال عليه السلام: **«زُوِيَتْ لي الأرْضُ، فأُرِيتُ مشارقَها ومغارِبَها، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمتي ما زُوِيَ لي منها»**[٢].

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩]؛ فكانَ كذلك، لا يكادُ يُعَدُّ مَنْ سَعَى في تَغْييره وتَبْدِيل مُحْكَمِه من المُلحِدَةِ[٣] والمُعطِّلَة[٤]، لا سيّما القرامطة[٥]؛ فأجمعوا كَيْدَهم وحَوْلَهم وقوّتَهم، اليومَ نيّفًا على خمس

---

(١) كلمة: «لهم»، لم ترد في المطبوع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان. وسيأتي برقم (٩٦٤). (زُوِيَتْ): أي جُمِعَت.

(٣) الملحدة: الطاعنون في الدين، المائلون عنه إلى الباطل. كالاتحادية والحلولية.

(٤) المعطِّلة: الذين يهملون العمل بالشريعة، كمن يسقط عن نفسه التكاليف بدعوى الوصول إلى المعرفة، أو كمن ينكر الخالق والبعث والإعادة والرسل. والمعطلة أيضاً: هم الذين لا يثبتون لله ـ عز وجل ـ الصفات التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ. انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(٥) القرامطة: طائفة من الباطنية تنسب إلى قِرْمِط. قيل: اسمه حمدان، أو الفرج بن عثمان، أو الفرج بن يحيى، وقِرْمِط لقبهُ. ولا تزال بقاياهم إلى اليوم في «نجران» باليمن، وفي «القطيف» غربي الخليج العربي. وهم من الملاحدة يدعون أنه لا غسل من الجنابة، وأن الخمر حلال، ويزيدون في أذانهم: «وأن محمد بن الحنفية رسول الله»، وأن الصوم في السنة يومان، وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس، وأشياء أخرى. انظر الأعلام ترجمة (قرمط). وتهذيب تاريخ الخلفاء ص (٢٩٠).

مئة عام ، فما قدَرُوا على إطفاءِ شيءٍ من نُوره ، ولا تَغْيير كلمةٍ مِنْ كلامِه ، ولا تَشْكيك المسلمين في حَرْفٍ من حروفه ، والحمدُ لله .

ومنه قولهُ: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥]

وقوله : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤].

وقولُه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣].

وقوله ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١١١] فكان كلُّ ذلكَ .

وما فيه مِنْ كَشْفِ أسرار المنَافقين واليَهُود ، ومَقالِهم وكَذِبِهمْ في حَلِفِهِم ، وتَقْريعهم بذلك؛ كقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [المجادلة : ٨] .

وقوله : ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤].

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٤١].

وقوله : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ [النساء : ٤٦] وقد قال مُبْدياً ، ما قدَّرَهُ اللهُ واعتقدَهُ المؤمنون (٧٦/أ) يوم بَدْر : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧].

ومنه قولُه [تعالى]: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحِجر: ٩٥].

ولما نزلَتْ، بشَّر النبيُّ ﷺ بذلك أصحابَه بأنَّ الله كفاهُ إياهم؛ وكان المستهزئون نَفَراً بمكّةَ، ينفِّرون الناسَ عنه، ويُؤذُونَه، فهلَكُوا.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فكان كذلك على كَثْرة مَنْ رامَ[1] ضُرَّهُ، وقَصَد قَتْلَه؛ والأخبارُ بذلك معروفةٌ صحيحةٌ.

فصل

الوَجْه الرابع: ما أنبأ به مِنْ أخبارِ القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدَّاثِرَة[2]، مما كان لا يَعْلَمُ منه القصّةَ الواحدة إلا الفَذُّ[3] مِنْ أَحْبَار أَهْلِ الكتاب الذي قطع عُمُرَهُ في تعلُّم ذلك؛ فيُورِدُه النبيُّ ﷺ على وَجْهِه، ويأتي به على نَصِّه؛ فَيَعْتَرِفُ العالِمُ منهم[4] بذلك بصحَّتِه وصِدْقِه، وأنَّ مِثْلَه لم يَنَلْهُ بتعليم.

وقد علمُوا أنه ﷺ أُمِّيٌّ لا يَقْرأ ولا يكتب، ولا اشتغلَ بمُدارسةٍ ولا مُثَافَنَةٍ[5]، ولم يَغِبْ عنهم، ولا جَهِل حالَه أحدٌ منهم.

وقد كان أهلُ الكتاب كثيراً ما[6] يسألونه - ﷺ - عَنْ هذا، فينْزِل عليه من القرآن ما يَتْلُو عليهم منه ذِكراً؛ كقصَص الأنبياءِ مع قَوْمِهم، وخَبَرِ موسى والخَضِر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القَرْنين، ولُقْمان وابنِه، وأشباه ذلك من الأنباء[7] [والقصص] وبَدْءِ الخَلْقِ، وما في التَّوْراة،

---

(١) رام: طلب.
(٢) الشرائع الداثرة: التي اندرست وامَّحىٰ أثرها.
(٣) الفذُّ: الفرد، والمتفرد في مكانته/ المعجم الوسيط.
(٤) كلمة: «منهم»، لم ترد في المطبوع.
(٥) المثافنة: المجالسة والمُلازمة.
(٦) في الأصل: «ممّا»، والمثبت من المطبوع.
(٧) في المطبوع: «الأنبياء».

والإنجيل ، والزَّبُور ، وصُحُف إبراهيم وموسى؛ ممّا صَدَّقَهُ فيه العلماءُ بها ، ولم يَقْدِرُوا على تكذيب ما ذكر منها؛ بل أذْعَنُوا لذلك ، فمِنْ مُوَفَّقٍ آمَنَ بما سبَقَ لهُ مِنْ خَيْر ، ومِنْ شقيٍّ مُعَانِدٍ حاسدٍ؛ ومع هذا فلم يُحْكَ عن واحدٍ من النصارى واليهود ـ على شدَّةِ عداوتهم له ، وحِرْصِهم على تَكْذِيبِهِ ، وطُولِ احتجاجه عليهم بما في كُتُبهم ، وتَقْرِيعِهم بما انطوَتْ عليه مصاحِفُهم ، وكثرة سؤالهم له ﷺ ، وتَعْنِيتهم إياه عن أخبارِ أنبيائهم ، وأسرارِ علومِهم ، ومستَوْدَعات (٧٦/ب) سيرهم ، وإعلامه لهم بمَكْتُوم شرائعهم ، ومُضَمَّنَات كُتبِهم؛ مِثلُ سؤالِهم عن الرُّوح ، وذي القَرْنَيْنِ ، وأصحاب الكَهْفِ ، وعيسى ، وحُكْمِ الرَّجْمِ وما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه؛ وما حُرِّمَ عليهم من الأنعام ، ومِنْ طَيِّباتٍ كانت[1] أُحِلَّتْ لهم فحُرِّمَتْ عليهم ببَغْيهم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن؛ فأجابهم وعرَّفَهم بما أُوحي إليه من ذلك ـ أنه أنكر ذلك أو كذبه؛ بل أكثرُهم صرّحَ بصحةِ نبوّته ، وصِدْقِ مقالَتِهِ ، واعترف بعِنَادِه وحَسَدِهم إياه؛ كأهْلِ نَجْرَانَ[2] ، وابن صُورِيا[3] ، وابْنَيْ أَخْطَبَ[4] وغيرهم.

---

(١) كلمة: «كانت» ، لم ترد في المطبوع.

(٢) نجران: مدينة قديمة ، تقع في جنوب السعودية على مسافة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة. وأهلها كانوا نصارى. دعاهم ﷺ إلى المباهلة فامتنعوا خوفاً. وسيأتي خبرهم برقم (٦٦٣).

(٣) هو عبد الله بن صوريا ، كان من أحبار اليهود. مختلف في إسلامه. قال ابن حجر في الإصابة ٣١٨/٢: «وخبره في قصة الزانيين والرجم مشهور». قلت: أخرجه البخاري (٦٨٤١) ، ومسلم (١٦٩٩) من حديث ابن عمر. وأخرجه أبو يعلى (٢١٣٦) من حديث جابر.

(٤) ابْنَيْ أَخْطَب: هما حُيَيُّ بن أخطب اليهودي وأخوه أبو ياسر. وقد ماتا على كفرهما. قالت صفية بنت حيي بن أخطب: سمعت عمي أبا ياسر ، وهو يقول لأبي: أهوَ هُوَ؟ قال: نعم ، والله! قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم؛ قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته ، والله! ما بقيتُ ، وانظر السيرة لابن هشام ٥١٨/١ ـ ٥١٩.

ومن باهَتَ[1] في ذلك بعْضَ المُباهَتة ، وادَّعَى أنّ فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفةً ، دُعِيَ إلى إقامةِ حُجَّتِه ، وكَشْفِ دعوته؛ فقيل له: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٩٣ ، ٩٤].

فقرَّع وبَّخَ ، ودَعَا إلى إحضارِ مُمْكنٍ غيرِ مُمْتَنِع؛ فمِنْ مُعْتَرِفٍ بما جَحَده ، ومتَواقِحٍ يُلْقي على فَضِيحتهِ مِنْ كتابِه يَدَه[2].

ولم يُؤْثَرْ أنَّ واحداً منهم أظْهَر خلافَ قولِه مِنْ كتُبِه ، ولا أبْدَى صحيحاً ولا سقيماً من صُحُفِه؛ قال اللهُ [تعالى]: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ ، ١٦].

فصل

[فِيْ آيَاتٍ وَرَدَتْ بِتَعْجِيْزِ قَوْمٍ فِيْ قَضَايَا وَإِعْلاَمِهِمْ أَنَّهُمْ لاَ يَفْعَلُونَهَا ، فَمَا فَعَلُوا وَلاَ قَدَرُوا عَلَىٰ ذٰلِكَ][3]

هذه الوُجوه الأربعة من إعجازه بينةٌ لا نِزَاعَ فيها ولا مِرْيَة.

ومن الوجُوهِ البيِّنَةِ في إعجازه من غير هذه الوجوه آيٌ وردَتْ بتعجيز قوم في قضايا ، وإعلامِهم أنهم لا يَفعَلُونها ، فما فَعَلُوا ولا قَدَرُوا على ذلك؛ كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا

---

(١) باهت: افترىٰ.

(٢) في هذا إشارة إلى ابن صُورِيا الذي وضع يده على آية الرجم في التوراة. وقرأ ما بين يديها وما وراءها. كما ورد في البخاري (٦٨٤١) ، ومسلم (١٦٩٩).

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٩٤ ، ٩٥].

قال أبو إسحاق الزَّجَّاجُ: في هذه الآيةِ أعظمُ حجَّةٍ وأظهرُ دِلَالةٍ على صحةِ الرسالة؛ لأنه قال: ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ ﴾؛ وأعْلمهم أنهم لنْ يَتَمَنَّوْهُ أبداً ، فلم يَتَـمَنَّـهُ واحد منهم.

٦٦٢ ـ وعن النبيِّ ﷺ: «والذي نَفْسِي بيده! (٧٧/أ) لا يقولُها رجلٌ منهم إلاَّ غَصَّ برِيقِه»[١] يعني: يموتُ مَكانَه.

فصرفهم اللهُ عن تمنِّيهِ ، وجزَّعهم؛ ليُظْهِرَ صِدْقَ رسُولِهِ ، وصحةَ ما أُوحِيَ إليه ، إذ لم يتمنَّه أحَدٌ منهم؛ وكانوا على تكذيبه أحرصَ لو قَدَرُوا؛ ولكنَّ اللهَ يفعلُ ما يريد؛ فظهرت بذلكَ معجزتُه ، وبانَتْ حُجَّتُه.

وقال أبو محمدٍ الأَصِيْلِيُّ[٢]: مِنْ أعْجب أمْرِهم أنه لا يوجدُ منهم جماعةٌ ، ولا واحدٌ ، من يوم أمَرَ اللهُ بذلك نبيَّه ، يُقْدِمُ عليه ، ولا يُجيبُ إليه.

وهذا موجودٌ مشاهدٌ لمَنْ أَراد أنْ يمتحنَه منهم.

٦٦٣ ـ وكذلك آيَةُ المُبَاهلةِ[٣] مِنْ هذا المعنى ، حيث وفَد عليه أساقِفَةُ نَجْران ، وأبَوا الإسلامَ؛ فأَنْزَل اللهُ [تعالى] عليه آيَةَ المُبَاهَلَةِ بقوله: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس. وفي إسناده الكلبي. قال الحافظ في التقريب: «متهم بالكذب». وأخرجه: أحمد ٢٤٨/١ بلفظ «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا» وجوّد إسناده السيوطي في المناهل (٥٢٧).

(٢) هو عبد الله بن إبراهيم الأَصِيلي نسبة إلى «أَصيلا» من بلاد المغرب. قال المصنف: كان من حفاظ مذهب مالك ، ومن العالمين بالحديث وعلله ورجاله. . .» له كتاب «الدلائل» في اختلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي. توفي سنة (٣٩٢) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٦٠ ـ ٥٦١.

(٣) المباهلة: يقال: باهل بعضهم بعضاً ، اجتمعوا فتداعَوا ، فاستنزلوا لعنة الله على الظالم منهم.

﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1] [آل عمران: ٦١].

فامتنعوا منها، ورَضُوا بأداءِ الْجِزْيَة؛ وذلك أنّ «العاقب»[2] عظِيمَهم قال لهم: قد علمْتُمْ أنه نبيٌّ، وأنه ما لاعَنَ قوماً نبيٌّ قطُّ فبَقِي كبيرهم ولا صغيرُهم.

ومثلُه قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ . . .﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

فأخبرهم أنهم لا يَفْعَلُون؛ كما كان.

وهذه الآية أدخَلُ في باب الإخبارِ عن الغيبِ، ولكِنْ فيها من التعجيز ما في التي قبلها.

فصل

[فِي الرَّوْعَةِ الَّتِي تَلْحَقُ سَامِعِيْهِ وَأَسْمَاعَهِمْ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَالْهَيْبَةِ الَّتِي تَعْتَرِيهِمْ عِنْدَ تِلاَوَتِهِ][3]

ومنها الرَّوْعَةُ[4] التي تلحقُ قلوبَ سامِعيه وأسماعَهم عند سَمَاعِهِ، و الهيبةُ التي تَعْتَرِيهم عند تلاوته[5] لقوةِ حاله، وإنَافة خَطرِه[6]؛ وهي على المكذِّبين به أعظَمُ، حتى كانوا يَسْتَثْقِلُونَ سَمَاعَه، ويزيدُهم نفوراً؛ كما قال تعالى؛ ويَوَدُّونَ انْقِطَاعَه لِكَراهَتِهم له.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة.

(٢) واسمه عبد المسيح، رجل من كندة. وقد رجع إلى النبي ﷺ فأسلم. ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة «أسيد النجراني».

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) الروعة: الخوف والخشية.

(٥) في الأصل: «تلاوتهم» والمثبت من المطبوع.

(٦) إنافة خطره: علو مرتبته.

٦٦٤ ـ ولهذا قال عليه السلام: «إنَّ القرآن صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ على مَنْ كَرِهَه؛ وهو الحَكَمُ»(١) وأمَّا المؤمنُ فلا تزالُ رَوْعَتُه به، وهيبتُه إياه، مع تِلاوته، تُوليهِ انجذاباً، وتكسِبُه هَشَاشةً(٢)، لميْلِ قَلْبِهِ إليهِ، وتصديقِهِ به. قال الله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

ويدلُّ على أنَّ هذا شيء خُصَّ به، أنَّه يَعْتَري مَنْ لا يفهم (٧٧/ب) معانيه، ولا يعلم تفاسيره، كما رُوِيَ عن نَصْراني، أنه مرَّ بقارىء، فوقف يبكي، فقيل له: مِمَّ بكيتَ؟ قال: للشَّجا(٣) والنظم.

وهذه الروعةُ قد اعترتْ جماعةً قبل الإسلام وبعده؛ فمنهم من أسلم لها لأول وَهْلَة(٤)، وآمَنَ به، ومنهم مَنْ كفر.

٦٦٥ ـ فحُكي في الصحيح، عن جُبير بن مُطْعِم، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٧] كاد قلبي أنْ يَطِيرَ(٥).

---

(١) رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير/ المناهل (٦٦٤). (صعب): في نفسه، بمعنىٰ أنه لا يقدر أحد علىٰ محاكاته وضبط ألفاظه بسهولة، (مستصعب): أي يعسر فَهْمُهُ بالرأي، ولا يمكن تغييره وتحريفه. (الحَكَمُ): أي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل/ قاله الخفاجي.

(٢) هشاشة: سروراً، وانشراح صدر.

(٣) للشَّجا: أي للحزن الذي أصابه فَرَقَّ قلبه، وخشع بدنه.

(٤) لأول وهلة: أي لأول مرة سمعه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) مختصراً. وفي المطبوع: «كاد قلبي أن يطير للإسلام». وكلمة: «للإسلام» ليست في الأصل، ولا في مصادر التخريج.

٦٦٦ ـ وفي رواية: وذلك أول ما وَقَر الإيمانُ في قلبي(١).

٦٦٧ ـ وعن عُتْبَة بن ربيعة أنه كلّم النبيّ ﷺ فيما جاءَ به من خلافِ قومه، فتلا عليهم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١، ١٣] فأمسكَ عُتْبَة بيده على في النبيِّ ﷺ، وناشدَهُ الرَّحِمَ أن يكفّ(٢).

٦٦٨ ـ وفي روايةٍ: فجعل النبيُّ ﷺ يقرأ وعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يديه خَلْف ظَهْره، مُعْتَمِدٌ عليهما، حتى انتهى إلى السجدة؛ فسجد النبيُّ ﷺ، وقام عُتْبةُ لا يَدْرِي بما يُراجعه، ورجع إلى أَهْلِه، ولم يخرجْ إلى قومه حتى أتَوْهُ؛ فاعتذَر لهم، وقال: واللهِ! لَقَدْ كلّمني بكلامٍ، واللهِ! ما سمِعَتْ أُذناي بمثله قطُّ، فما دَرَيْتُ ما أقولُ له.(٣)

---

(١) هذه الرواية أخرجها البخاري (٤٠٢٣).

(٢) رواه البغوي في تفسيره بهذا اللفظ عن جابر بن عبد الله/ المناهل (٥٣١). وأخرجه بنحوه أبو يعلى (١٨١٨) وغيره. وصححه الحاكم (٢/ ٢٥٣) ووافقه الذهبي.

(٣) ذكره ابن كثير في السيرة (١/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤) من طريق البيهقي عن شيخه الحاكم بسنده إلى محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

وقد حُكي عن غَيْرِ واحدٍ ممّن رام[1] مُعَارَضَته أنه اعتَرتْه[2] رَوْعَةٌ وهَيْبَةٌ كَفَّ بها عن ذلك.

فحُكِي أنَّ ابْنَ المُقَفَّع[3] طلبَ ذلكَ ورَامَهُ، وشرع فيه؛ فمرَّ بِصَبيٍّ يقرأُ: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ [هود: ٤٤] فرجَع ومحَا ما عَمِل؛ وقال: أشْهَدُ أنَّ هذا لا يُعَارَضُ[4]، وما هو مِنْ كلامِ البشر؛ وكان مِنْ أفْصح أهْلِ وَقْته.

وكان يحيى بن حَكَم الغزَّال[5] بَليغَ الأندلس في زَمَنِه؛ فحُكي أنه رَامَ شيئاً من هذا، فنظر في سُورة الإخلاص ليَحْذُوَ على مِثَالها، ويَنْسِجَ - بزَعْمِه - على مِنْوَالها - قال: فاعْتَرَتْني خَشْيَةٌ ورِقَّةٌ، حمَلَتْه[6] على التَّوْبَة والإنابة.

فصل

[فِيْ كَوْنِ الْقُرْآنِ آيَةً بَاقِيَةً لاَ تُعْدَمُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا مَعَ تَكَفُّلِ اللهِ بِحِفْظِهِ][7]

ومن وجُوهِ إعجازه المعدودة كونُه آيةً باقيةً لا تُعْدَمُ[8] ما بَقِيَت الدُّنْيَا مع تَكَفُّلِ (٧٨/أ) اللهِ بحفْظِه؛ فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩].

---

(١) رام: طلب.

(٢) اعترته: غشيته.

(٣) هو عبد الله بن المقفَّع. من أئمة الكتاب. كان مجوسياً فأسلم. واتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سنة (١٤٢)هـ. له كتاب كليلة ودمنة، والأدب الصغير وغيره. (الأعلام ٤/ ١٤٠).

(٤) لا يعارض: أي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله.

(٥) هو يحيى بن الحكم البكري الجيَّاني، أبو بكر، شاعر مقرَّب من أمراء الأندلس ولد سنة (١٥٦)هـ ومات سنة (٢٥٠)هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين ١٣/ ١٩٣.

(٦) في المطبوع: «حملتني».

(٧) ما بين حاصرتين من عندي.

(٨) (لا تعدم): لا تفقد.

وقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وسائرُ مُعْجزاتِ الأنبياءِ انقضَتْ بانقضاء أوقاتها، فلم يَبق إلا خَبَرُها؛ والقرآنُ العَزيزُ، الباهِرَةُ آياتُه، الظاهرةُ معجزاتُه على ما كان عليه اليومَ ـ مدةَ خمس مئة عامٍ وخمسٍ وثلاثين سنةً لأولِ نزولِه إلى وَقْتنا هذا، حجَّتُه قاهرةٌ، ومعارضَتُه مُمْتَنِعَة، والأعصارُ كلُّها طافحةٌ بأَهْلِ البيانِ، وحَمَلة عِلْم اللسان، وأئمة البلاغة، وفُرْسانِ الكَلام، وجَهَابذة[1] البراعةِ؛ والمُلْحِدُ[2] فيهم كثيرٌ، والمُعَادِي للشّرْع عَتِيد[3]؛ فما منهم مَنْ أتَى بشيءٍ يُؤْثَرُ في مُعَارَضَتهِ، ولا ألَّفَ كلمتين في مناقَضَتهِ، ولا قَدَر فيه على مَطعَنٍ صَحيح، ولا قَدَحَ المتكلِّفُ مِنْ ذِهْنِه في ذلك إلا بزَنْدٍ[4] شَحِيح؛ بل المأثورُ عَنْ كلّ مَنْ رامَ ذلك إلقاؤه في العَجْزِ بيدَيهِ، والنكوصُ على عَقِبَيْه[5].

فصل

[فِيْ وُجُوهٍ أُخْرَىٰ فِيْ إِعْجَازِهِ مِنْهَا: لاَ يَمَلُّهُ قَارِئُهُ][6]

وقد عَدّ جماعةٌ من الأئمة ومُقلّدي الأمّة في إعجازه وجوهاً كثيرةً.

منها: أن قارئَه لا يملُّه، وسامِعَه لا يَمُجُّه؛ بل الإكبابُ على تلاوتِه يزيدُه حلاَوَةً، وتَرْدِيدُه[7] يوجب له محبةً؛ لا يزال غضّاً طرياً، وغيرهُ من الكلام

---

(١) جهابذة: جمع جِهْبِذ، وهو النقَّاد الخبير بغوامض الأمور.

(٢) الملحد: المائل عن الحق إلى الباطل.

(٣) عتيد: مُهَيّأ وحاضر.

(٤) الزَّند: العود الأعلى الذي تقدح به النار. والزند الشحيح: هو الذي لا يوري.

(٥) يقال: نكص على عقبيه: رجع عما كان قد اعتزمه، وأحجم عنه/ المعجم الوسيط.

(٦) ما بين حاصرتين من عندي.

(٧) ترديده: تكرار تِلاوته.

ـ ولو بلغ في الحُسنِ والبلاغةِ مَبْلَغه ـ يُمَلُّ مع الترديد ، ويُعَادَى إذا أُعِيد؛ وكتابُنا يُستَلَذُّ به في الخلواتِ ، ويُؤنَس بتلاوته في الأزْمات[(١)]؛ وسِوَاه مِنَ الكُتب لا يُوجَدُ فيها ذلك؛ حتى أحدثَ أصحابُها لها لحُوناً وطُرُقاً يستَجْلِبُونَ بتلكَ اللُّحُونِ تَنْشيطَهم على قراءتها.

٦٦٩ ـ ولهذا وَصَف رسول الله ﷺ القرآنَ بأنه: «لا يَخْلَقُ على كثرةِ الردِّ ، ولا تَـنْـقَضي عِبَـرُه ، ولا تَـفْنَى عجائبُه؛ هو الفَصْلُ ليس بالهَزْل ، لا يَشْبَـعُ منه العلماءُ ، ولا تَزِيغُ به الأهواءُ ، ولا تَلْتَبِسُ به الألْسِنَة؛ هو الَّذي لم تَـنْـتَهِ الجنُّ حيـن سَمعَـتْـه أنْ قـالـوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾[(٢)] [الجن: ١ ، ٢].

ومنها: جَمْعُه لعلومٍ ومعارِفَ لم تَـعْهَد العربُ عامّةً ولا محمدٌ ﷺ قَبْلَ (٧٨/ب) نُبوّته خاصّة ، بمعرفتها ، ولا القيام بها؛ ولا يُحيطُ بها أحَدٌ من علماءِ الأمم ، ولا يشتملُ عليها كتابٌ مِنْ كُتبِهم؛ فجُمِع فيه مِنْ بيان عِلم الشرائع ، والتنبيهِ على طُرُق الحُجَج العَقْليات ، والردِّ على فِرَقِ الأمم؛ ببراهينَ قويّةٍ ، وأدِلةٍ بيِّـنـةٍ ، سَهْلَةِ الألفاظِ ، موجَزةِ المقاصد ، رامَ المُـتَحَذْلِقون[(٣)] بَعْدُ أنْ ينصِبُوا أدلّةً مِثْلَها ، فلم يَقْدِرُوا عليها؛ كقوله [تعالى]: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ [يس: ٨١].

---

(١) الأزمات: جمع أزْمة وهي: الضيق والشدة.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦) ، وأبو يعلى (٣٦٧) وغيره ، من حديث الحارث الأعور ، عن علي. قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال». وفي الباب عن عبد الله بن عمر ذكره ابن الأثير في جامع الأصول ٨/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ـ دون أن يعزوه لأحد. وأخرجه بمعناه الحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث عبد الله بن مسعود ، وصححه ولم يوافقه الذهبي. وهو في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٤.
(لا يَخْلَقُ على كثرة الرد): أي لا تذهب حلاوته وجلالته على كثرة قراءته. (الفصل): الفاصل بين الحق والباطل. (ليس بالهزل): أي هو جدٌّ كله. (تزيغ) الزيغ: الميل ، وأراد به الميل عن الحق.

(٣) المتحذلقون: المـُدَّعون الحِذْقَ ، وهو المهارة في الشيء.

و ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

و ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

إلى ما حَواهُ من علُوم السِّيَر، وأنْبَاء الأُمم، والمواعظِ، والحِكَم، وأخبار الدار الآخرةِ، ومحاسِنِ الآداب والشِّيَم[1].

قال الله ـ جَلّ اسمُه ـ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

و ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

[و] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

٦٧٠ ـ وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ أنزل [هذا] القرآنَ آمِراً وزاجراً، وسنةً خاليةً، ومَثَلا مَضْرُوباً، فيه نَبؤكم، وخَبَرُ ما كان قَبْلَكم، ونَبَأُ ما بَعْدَكم، وحُكْم ما بينكم، لا يُخْلِقُه طُولُ الردِّ، ولا تَنقضي عجائبُه؛ هو الْحقُّ ليس بالهَزْلِ؛ مَنْ قال به صدق، ومَنْ حَكَم به عَدَل، ومَنْ خاصم به فَلَج، ومَنْ قَسَمَ به أقسط، ومَنْ عمِلَ به أُجِرَ، ومَنْ تمسَّكَ به هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتقيم؛ ومَنْ طلب الهُدَى من غيره أضلَّه اللهُ؛ ومَنْ حَكم بغيره قَصَمه اللهُ؛ هو الذِّكْرُ الحكيم، والنُّورُ المُبين، والصِّراطُ المستقيمُ، وحَبْلُ اللهِ المتين، والشِّفَاءُ النافعُ، عِصمةٌ لِمَنْ تمسَّكَ بِهِ، ونَجَاةٌ لِمَن اتَّبعه، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، ولا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَب، ولا تَنْقَضِي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ على كثْرة الرَّدِّ»[2].

٦٧١ ـ ونحوُه عن ابن مسعود؛ وقال فيه: **«ولا يختلِف، ولا يَتَشانُّ، فيه نَبأُ الأولين والآخرين»**[3].

---

(١) الشِّيَم: جمع شِيمةٍ، وهي الخلُقُ/ المعجم الوسيط.

(٢) انظر الحديث السابق. (لا يخلقه طول الرد): أي لا تذهب حلاوته وجلالته. (فلج): ظفر وفاز. (أقسط): عدل. (قصمه): أهلكه. (يزيغ) الزيغ: الميل، وأراد به الميل عن الحق. (فيستعتب): لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة.

(٣) أخرجه الحاكم ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد». وتعقبه الذهبي فقال: «منقطع»، وانظر الحديث المتقدم برقم (٦٦٩). (ولاَ يَتَشانُّ): أي لا يَخْلَقُ على كثرة الرد/ النهاية. وفي المطبوع: «ولا يتشأنا». أي: لا يُكْـرَهُ ولا يُمَلُّ.

٦٧٢ ـ وفي الحديث: «قال اللهُ [تعالى] لمحمد ﷺ: إنّي مُنَزِّلٌ عليكَ توراةً حديثةً، تفتَحُ بها أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً، فيها ينابيعُ العِلْمِ (٧٩/ب) وفَهْمُ الحِكْمة، ورَبيعُ القلوب»[١].

وعَنْ كَعْب: عليكم بالقرآن، فإنه فَهْمُ العقولِ، ونورُ الحكمةِ.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فجُمِعَ فيه ـ مع وَجازةِ ألفاظِه، وجَوامع كَلِمِه ـ أضعافُ ما في الكتبِ قَبْله، التي ألفاظُها على الضِّعْفِ منه مراتٍ.

ومنها: جَمْعُه فيه بين الدليل ومَدْلُولِه؛ وذلك أنه احتجَّ بنظم القرآن، وحُسْنِ رَصْفِه[٢] وإيجازه وبلاغته؛ وأثناءَ هذه البلاغة أمْرُه ونَهْيُهُ، ووَعْدُه ووعيده؛ فالتالي له يفْهَمُ موضعَ الحجّة والتكليف معاً مِنْ كلامٍ واحد، وسورةٍ منفردة.

ومنها: أنْ جَعَلَهُ في حَيِّزِ المنظوم الذي لم يُعْهَدْ، ولم يكن في حَيِّزِ المنثور؛ لأنَّ المنظومَ أسهلُ على النفوس، وأوْعَى للقلوب، وأسْمَحُ في الآذان، وأحْلى على الأفهام، فالناسُ إليه أمْيَلُ، والأهواءُ إليه أسرع.

ومنها: تيسيرُه تعالى حِفْظَه لمُتَعلّميه، وتَقْريبُه على متَحفِّظيه؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧].

وسائرُ الأمم لا يَحْفَظُ كتبَها الواحدُ منهم، فكيف الجَمَّاءُ[٣] على مُرور السنين عليهم. والقرآنُ مُيَسَّرٌ حِفْظُه للغِلْمان في أقرَب مُدّة.

---

(١) رواه ابن الضُّرَيْس في فضائل القرآن عن كعب قال في التوراة فذكره. وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» عن مُغِيْثِ بن سُمَيٍّ مرفوعاً مرسلاً. انظر المناهل (٥٣٥).

(٢) حُسْنُ رَصْفِهِ: أي حسنُ نظمه وتأليفه.

(٣) الجَمَّاءُ: الجماعة الكثيرة.

ومنها: مُشَاكَلَةُ بَعْضِ أجزائه بعضاً، وحُسْنُ ائتلافِ أنواعِها، والتِئَام أقسامها؛ وحُسْنُ التخلُّص من قِصَّةٍ إلى أُخرى، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف مَعَانيه، وانقسام السُّورَة الواحدةِ على[1] أمرٍ ونَهْي، وخَبَر واستِخْبَار، ووَعْدٍ ووَعيد، وإثبات نُبوَّةٍ، وتوحيد وتقرير[2]، وتَرْغيبٍ وتَرْهيب، إلى غير ذلك من فوائده، دونَ خَلَلٍ يتخلَّلُ فصُولَه.

والكلامُ الفصيحُ إذا اعْتَورهُ مِثْلُ هذا ضعفَتْ قُـوَّتُـه، ولانَتْ جَزالَتُه، وقلَّ رَوْنَقُه، وتَـقَـلْـقَلَتْ[3] ألفاظُه.

فتأمَّلْ أوّل ﴿صۤ﴾ وما جُمِعَ فيها مِنْ أخبار الكفّار وشِقَاقِهم وتَقْريعهم بإهلاكِ القرونِ مِنْ قَبْلِهم، وما ذُكِرَ مِنْ تَكْذيبهم بمحمد [ﷺ] وتعجّبهم مما[4] أتى به (٧٩/ب) والخَبَرَ عن اجتماع مَلَئهم على الكُفْر، وما ظهر مِن الحَسَد في كلامهم، وتعجيزهم وتَوْهينهم، ووعيدهم بخِزْيِ الدنيا والآخرة، وتكذيبِ الأمَمِ قَبْلَهم، وإهْلاكِ اللهِ لهم، ووعِيدِ هؤلاء مِثْلَ مُصَابهم، وتَصْبير النبيِّ على أذَاهم، وتَسْليته بكل ما تقدّم ذِكْرُهُ؛ ثم أخَذَ في ذِكْرِ داود وقِصَص الأنبياء؛ كلُّ هذا في أوْجزِ كلامٍ وأحسنِ نظام.

ومنه: الجملةُ الكثيرة التي انطوَتْ عليها الكلماتُ القليلةُ؛ وهذا كلُّه وكثيرٌ مما ذَكَرْنا أنه ذُكِر في إعجاز القرآنِ، إلى وجوهٍ كثيرة، ذَكرها الأئمةُ لم نَذْكُرْها؛ [إذ] أكثَرُها داخلٌ في باب بلاغته؛ فلا يَجب أنْ يُعَدَّ فنّاً منفرداً في إعجازِهِ، إلا في باب تفصيل فنون البلاغة، وكذلك كثيرٌ مما قدمنا ذِكْره عنهم، يُعَدُّ في خواصّه وفضائله، لا إعجازه.

وحقيقةُ الإعجاز الوجوهُ الأربعة التي ذكَرْنا؛ فليُـعْتَمَدْ عليها، وما بعدها من خواصّ القرآنِ وعجائبه التي لا تَنْقَضي. وباللهِ التوفيق.

---

(١) في المطبوع: «إلى».

(٢) في المطبوع: «وتفريد».

(٣) في المطبوع: «وتقلقت»، وهو خطأ.

(٤) في الأصْلِ: «بما» والمثبت من المطبوع.

فصـل

فِي انْشِقَـاقِ القَمَـرِ وحَـبْـسِ الشَّمْـسِ

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١، ٢].

أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرةِ عن آياته؛ وأجمع المفسِّرون وأهلُ السنَّةِ على وقوعه.

٦٧٣ ـ أخبرنا الحُسَيْن بن محمد الحافظ من كتابه، حدثنا القاضي سِراجُ ابن عَبْد الله، حدثنا الأَصِيلي، حدثنا المَرْوَزِيُّ، حدثنا الفِرَبْري، حدثنا البُخاري، حدثنا مُسَدَّدٌ، حدثنا يحيى، عن شُعْبَة، وسُفْيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي مَعْمَر، عن ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: انْشَقَّ القَمَرُ على عَهْدِ رسول الله ﷺ فِرقَتَينِ: فرقةً فوقَ الجَبَلِ، وفرقةً دونه؛ فقال رسول الله ﷺ: «اشْهَدُوا»[1].

٦٧٤ ـ وفي رواية مجاهد: ونحن مع النبيِّ ﷺ.[2]

٦٧٤ م ـ وفي بعض طرقِ الأعمش: [ونحن] بمِنًى[3].

٦٧٥ ـ ورواهُ أيضاً ـ عن ابن مسعودٍ ـ الأسودُ، وقال: حتى رأيتُ الجبلَ بين فُـرْجَـتَي القَمر[4].

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٤٨٦٤). وأخرجه أيضاً مسلم برقم (٢٨٠٠).

(٢) رواية مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود في البخاري (٤٨٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠ / ٤٤). (مِنًى) اسم لمكان يبعد عن شمالي مكة ستة أكيال تقريباً، وهو اليوم من أحيائها، اتصل به العمران.

(٤) طريق الأسود عن ابن مسعود رواه أحمد ١/ ٤١٣، والطبري في التفسير ٢٧/ ٨٥. (الأسود): هو ابن يزيد النَّخَعي من كبار التابعين، ثقة فقيه مكثر.

٦٧٦ ـ ورواه عنه مسروق ، أنه (٨٠/أ) كان بمكة ، وزاد: فقال كفّارُ قُريش: سحَركم ابْنُ أبي كَبْشَة[١].

فقال رجلٌ منهم: إنَّ محمداً إنْ كان سحَرَ القمر فإنه لا يَبْلُغُ مِنْ سِحْره أن يَسْحَر الأرضَ كلَّها ، فاسْأَلُوا مَنْ يأتيكم من بلدٍ آخَر: هل رأَوْا هذا؟ فأَتَوْا ، فسأَلُوهم[٢] فأخبروهم أنَّهم رأَوْا مِثْلَ ذلك.

وحكى السَّمَرْقَنْدي عن الضَّحَّاك ، نَحْوَه ، وقال: فقال أبُو جهل: هذا سِحْرٌ ، فابعثوا إلى أهل الآفاقِ حتى تنظرُوا: أرَأَوْا ذلك أم لا؟ فأخبرَ أَهْلُ الآفاقِ أنهم رَأَوْهُ مُنْشَقّاً؛ فقالوا ـ يَعْني الكفّار: هذا سِحْرٌ مستمرّ.

٦٧٧ ـ ورَوَاه أيضاً ـ عن ابن مسعود ـ عَلْقَمَةُ[٣]؛ فهؤلاء أربعة عن عبد الله.

٦٧٨ ـ ٦٨٣ ـ وقد رواهُ غيْرُ ابْن مسعود ، كما رواه ابنُ مسعود؛ منهم: أنَس ، وابنُ عباس ، وابنُ عُمر ، وحُذَيفةُ ، وعلي ، وجُبير بن مُطْعِم[٤]؛ فقال عَلِيّ ـ من رواية أبي حُذيفة الأرْحَبي: انشقّ القمرُ ونَحْنُ مع النبيّ ﷺ.

وعن أنَسٍ: سأل أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ أنْ يُـرِيهُم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القَمرِ فرقتين حتى رأَوْا حِراءَ[٥] بينهما. رواه عن أنَسٍ قتادةُ.

---

(١) رواية مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود أخرجها البخاري (٣٨٦٩) تعليقاً ، ووصلها الطيالسي (٢٤٤٧) منحة المعبود ، والطبري ٢٧/ ٨٥ ، وأبو نعيم في الدلائل (٢١١). (أبو كبشة): هو أبو النبي ﷺ من الرضاعة ، وقيل غير ذلك. انظر فتح الباري (١/ ٤٠).

(٢) في الأصل: «فسألوا» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) رواية علقمة بن قيس النَّخَعي عن ابن مسعود أخرجها البيهقي في الدلائل ، والطيالسي (١٩٧٨) منحة المعبود.

(٤) حديث أنس أخرجه البخاري (٣٦٣٧) ، ومسلم (٢٨٠٢) ، وحديث ابن عباس أخرجه البخاري (٣٦٣٨) ومسلم (٢٨٠٣) ، وحديث ابن عمر أخرجه مسلم (٢٨٠١) ، وحديث حذيفة عزاه في المناهل (٥٤٠) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبي نعيم. وحديث علي أخرجه البيهقي في الدلائل ، وحديث جبير بن مطعم أخرجه الترمذي (٣٢٨٩) ، وصححه الحاكم (٢/ ٤٧٢) ، ووافقه الذهبي.

(٥) حِراء: جبل يقع في الشمال الشرقي من مكة ، على يسار الذاهب إلى عرفات ، بعيداً عن جادة الطريق بنحو ميل. وهو عمودي يبلغ ارتفاعه مئتي متر.

وفي رواية مَعْمر وغيره ، عن قتادة ، عنه : أراهم القَمَرَ مرتَيْن[1] انشقاقَه ، فنزلت : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١].

[و] رواه عن جُبَير بن مُطْعِم ابنُه محمّد ، وابنُ ابنِه جُبَير بن محمد.

ورواه عن ابن عباسٍ عبيدُ الله بن عبد الله بن عُتْبَة.

ورواه عن ابن عُمر مُجَاهدٌ ، ورواهُ عن حُذَيفَة أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ[2] ومسلمُ بن أبي عمْرَان الأزْدِي.

وأكثرُ طُرقِ هذه الأحاديثِ صحيحةٌ؛ والآيةُ مُصَرِّحَةٌ ، ولا يلتفتُ إلى اعتراض مخذول ، بأنه لو كان هذا لم يخْفَ على أهلِ الأرض؛ إذْ هو شيءٌ ظاهرٌ لجميعهم؛ إذ لم يُنْقَلْ لنا عن أهل الأرض أنهم رصَدُوه تلك الليلة فلم يَـروْهُ انشقّ؛ ولو نُقِل إلينا عمَّنْ لا يجوزُ تَمَالُؤُهم ـ لكثرتهم ـ على الكذب ، لَمَا كانت علينا به حجّةٌ؛ إذ ليس القَمرُ في حدٍّ واحدٍ لجميع أهلِ الأرضِ؛ فقد يطلـعُ على قَـومٍ قبـل أن يطـلُعَ على آخرين ، وقـد (٨٠/ب) يكون مِنْ قوم بضِدِّ ما هو من مُقَابليهم من أقطار الأرضِ ، أو يَحُولُ بين قوم وبينه سحابٌ أو جِبَالٌ؛ ولهذا نجدُ الكسوفاتِ في بعض البلادِ دونَ بَعْض ، وفي بعضها جُزْئيّة ، وفي بعضها كلِّيّة ، وفي بعضها لا يعرفها إلا المُدَّعون لعِلْمها؛ ذلك تقديرُ العزيز العليم.

وآيةُ القمر كانَتْ ليلاً ، والعادةُ من الناس بالليل الهدوء والسكونُ وإيجافُ الأبواب[3] ، وقطْعُ التصرّف ، ولا يكاد يَعْرِفُ من أمور السماء شيئاً ، إلاّ مَنْ رَصَدَ ذلك ، وَاهْتَبل به[4].

---

(١) مرتين: لعل قائلها أراد فرقتين. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٧ / ١٨٣ : «وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات».

(٢) هو عبد الله بن حبيب ، مشهور بكنيته ، من كبار التابعين ، ثقة ثبت مقرىء. وهناك أيضاً أبو عبد الرحمن السُّلمي: اسمه محمد بن الحسين ، إمام محدث ، صوفي متوفى سنة (٤١٢)هـ. وقد تقدمت ترجمته .

(٣) إيجافُ الأبواب: إغلاقها.

(٤) اهتبل به: اعتنى به.

وكذلك[١] ما يكونُ الكسوفُ القَمري كثيراً في البلاد ، وأكثَرُهم لا يعلمُ به حتى يُخْبَرَ ، وكثيراً ما يحدِّثُ الثقاتُ بعجائبَ يشاهدونها من أنوارٍ ونجومٍ طَوَالع عظَامٍ تظهَر في الأحيان بالليل في السماء ، ولا عِلْمَ عند أحد منها .

٦٨٤ ـ وخرَّج الطحاوي[٢] في مشكل الحديث[٣] ، عن أسماء بنت عُمَيْسٍ ، من طريقين ، أنّ النبيّ ﷺ كان يُوحَى إليه ، ورأسُه في حِجْر عليّ ، فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمسُ ؛ فقال رسول الله ﷺ: «**أصلَّيْتَ؟ يا علي!**» قال: لا .

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم! إنه كان في طاعتكَ ، وطاعةِ رسولك ، فارْدُدْ عليه الشَمْسَ**» .

قالت أسماء: فرأيتُها غَرَبَتْ ، ثم رأيتُها طَلَعَتْ بعد ما غَرَبَتْ ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصَّهْبَاءِ في خَيْبَر[٤] .

---

(١) في المطبوع: «ولذلك» .

(٢) هو أبو جعفر ، أحمد بن محمد الطحاوي ، إمام ، علامة ، وحافظ كبير . كان محدث الديار المصرية وفقيهها . ولد سنة (٢٣٩)هـ . ومات سنة (٣٢١)هـ) . من تصانيفه المطبوعة: شرح معاني الآثار ، العقيدة الطحاوية ، شرح مشكل الآثار ، والأخير صدر محققاً عن مؤسسة الرسالة في ستة عشر مجلداً . وفي مقدمته ترجمة ضافية له .

(٣) برقم (١٠٦٧ ، ١٠٦٨) بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط .

(٤) روي هذا الحديث من طريق أسماء بنت عميس ، وأبي هريرة ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري . قال الحافظ ابن كثير في شمائل الرسول ص (٥٤٦): «وقد مال إلى تقويته أحمد بن صالح المصري الحافظ ، وأبو جعفر الطحاوي ، والقاضي عياض . وكذا صححه جماعة من العلماء الرافضة كابن المطهر وذويه . ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم ، كعلي بن المديني ، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطنافسيَّيْن ، وكأبي بكر: محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ ، والحافظِ الكبير أبي القاسم بن عساكر ، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات ، وكذلك صرح بوضعه شَيْخايَ الحافظان الكبيران: أبو الحجاج المِزِّيُّ ، وأبو عبد الله الذهبي» . انتهى . وصرّح بوضعه أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتبعه تلميذه العلامة ابن قيِّم الجوزية .

وقد جمع طرقه ابن كثير في شمائل الرسول ص (١٤٤ ـ ١٦٣) وقال: «هذا الحديث ضعيف=

قال: وهذانِ الحديثان ثابتان ورُوَاتُهما ثقات.

وحكى الطَّحَاوي[(١)] أنَّ أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن [كان][(٢)] سبيلُهُ العلْمَ التخلّفُ عن حفْظِ حديثِ أسماءَ؛ لأنه من [أَجَلِّ][(٢)] علامات النبوَّة.

٦٨٥ ـ ورَوَى يونُس بن بُكَيْرٍ في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق: لمّا أُسْرِي برسول الله ﷺ، وأخْبَر قَومَه بالرُّفْقةِ والعلامةِ التي في العِير قالوا: متى تَجيء؟ قال: «يوم الأربعاء» فلما كان ذلكَ اليوم أشرفتْ قُريش ينظرُون وقد ولّى النهارُ ولم تَجيء؛ فدعا رسول الله ﷺ، فزِيدَ له في النهارِ ساعة، وحُبِسَتْ عليه الشمسُ[(٣)].

فصل

فِيْ نَبْعِ المَاءِ مِنْ بيَنِ أَصَابِعِهِ (٨١/أ) وتَكْثِيْرِهِ بِبَرَكَتِهِ

قال المؤلف رحمه الله: أمّا الأحاديث في هذا فكثيرةٌ جداً.

رَوى حديثَ نَبْع الماءِ من بين[(٤)] أصابعه ﷺ جماعةٌ من الصحابة؛ منهم أنَسٌ، وجابرٌ، وابن مسعود:

٦٨٦ ـ حدثنا أبو إسحاق: إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه، حدثنا القاضي عيسى بن سَهْل، حدثنا أبو القاسم: حاتم بن محمد، حدثنا أبو عُمَرَ ابن الفَخّار، حدثنا أبو عيسى، حدثنا يحيى، حدثنا مالك، عن إسحاق بن

= ومنكر من جميع طرقه». (الصهباء): جبل يطل على خيبر من الجنوب، ويسمى اليوم جبل «عطوة»، يشرف على بلدة الشُّريف، قاعدة خيبر من الجنوب. قاله أستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب في المعالم الأثيرة ص (١٦٢).

(١) في شرح مشكل الآثار (٣/ ٩٧ ـ ٩٨) بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٢) زيادة من شرح مشكل الآثار، حيث نقل المصنف.

(٣) أورده ابن كثير في شمائل الرسول ص (٥٤٦) وقال: «لم يُرَ لغيره من العلماء...».

(٤) كلمة: «بين»، لم ترد في المطبوع.

عبد الله بن أبي طَلْحة، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه]: رأيتُ رسول الله ﷺ، وحانَتْ صلاةُ العَصْرِ؛ فالتمسَ الناسُ الوَضوء فلم يجدوه، فأُتِي رسول الله ﷺ بوَضُوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناءِ يدَه، وأمر الناسَ أن يتوضؤوا منه.

قال: فرأيتُ الماءَ ينبع من بين أصابعه، فتوضّأ الناسُ حتى توضّؤوا من عند آخرهم[١].

٦٨٧ ـ ورواه أيضاً ـ عن أنَس ـ قَتادةُ، وقال: بإناءٍ فيه ماءٌ يغمر أصابِعَه أو لا يكاد يَغْمر. قال: كم كنتُم؟ قال: [كُنَّا] زُهاء ثلاث مئةٍ[٢].

٦٨٨ ـ وفي روايةٍ عنه: وهم بالزَّوْرَاءِ عند السوق[٣].

ورواهُ أيضاً حُمَيدٌ، وثابتٌ، والحَسنُ، عن أنس.

٦٨٩ ـ وفي رواية حُمَيدٍ: قلتُ: كم كانوا؟ قال: ثمانين[٤]

٦٩٠ ـ ونحوُه عن ثابت عنه[٥].

٦٩١ ـ وعنه أيضاً: وهم نحوٌ من سبعين رجلاً[٦].

٦٩٢ ـ وأما ابْنُ مسعود ففي الصحيح عنه[٧] ـ من رواية علقَمةَ ـ: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، وليس معنا ماءٌ، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا مَنْ معه

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩/ ٥) من طريق مالك بهذا الإسناد. (الوَضوء): بفتح الواو، هو الماء الذي يتوضأ به. (مِن عند آخرهم) مِنْ ـ هنا ـ بمعنى إلىٰ. وهي لغة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩/ ٧). (زُهاء ثلاث مئة): أي قدر ثلاث مئة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٢٢٧٩/ ٦). (الزَّوْراء): مكان بالمدينة غربي مسجد الرسول ﷺ، عند سوق المدينة في صدر الإسلام، الذي هو المناخة فيما بعد/ قاله أستاذنا محمد شُرَّاب في المعالم الأثيرة ص (١٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٠)، ومسلم (٢٢٧٩/ ٤). وكان عددهم في رواية البخاري: «ما بين السبعين إلى الثمانين». وفي رواية مسلم: «ما بين الستين إلى الثمانين».

(٦) هذه رواية الحسن البصري عن أنس. وقد أخرجها البخاري (٣٥٧٤).

(٧) كلمة: «عنه»، لم ترد في المطبوع.

فَضْلُ ماءٍ» ، فَـأُتِـي بماءٍ فصَبَّهُ في إنَاءٍ ، ثم وضَع كفَّه فيه ، فجعل الماءُ ينبُعُ مِنْ بين أصابع رسول الله ﷺ[1] .

٦٩٣ ـ وفي الصحيح ، عن سالم بن أبي الجَعْدِ ، عن جابر [رضي الله عنه] : عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبية ورسول الله ﷺ بين يدَيْه رَكْوَةٌ ، فتوضّأ منها ، وأقبل الناسُ نَحْوَه؛ وقالوا : ليس عندنا ماءٌ إلاّ ما في رَكْوَتك؛ فوضع النبيُّ ﷺ يدَهُ في الرَّكْوَةِ (٨١/ب) فجعل الماءُ يَفُورُ من بين أصابعه كأمثال العُيُون .

وفيه : فقُلْتُ : كم كنتُم؟ قال[2] : لو كنّا مِئَةَ ألفٍ لكفَانا؛ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مئةً[3] .

٦٩٤ ـ ورُوِي مثلُه عن أنَس ، عن جابر[4] ؛ وفيه أنه كان بالحُدَيْبِيَة .

٦٩٥ ـ وفي رواية [عُبادة بن][5] الوَليد بن عُبَادة بن الصامت عنه ، في حديث مُسلم الطَويل في ذِكْر غَزْوة بُوَاط قال :

قال لي رسول الله ﷺ : «يا جابرُ! نادِ ، الوَضوء . .» وذكر الحديث بطوله ، وأنه لم يجد إلاّ قَطْرَةً في عَزْلاَءِ شَجْبٍ؛ فأُتِيَ به النبيّ ﷺ ، فَغَمزه[6] وتكلّم بشيءٍ لا أدري ما هو؟ وقال : «نادِ بجَفْنَة الرَّكْب» ، فأتيتُ بها ، فوضعتها بين يدَيْهِ ، وذكَر أنّ النبيَّ ﷺ بسط يدَه في الجَفْنَةِ ، وفرّق أصابِعَه ، وصبَّ جابرٌ عليه ، وقال : باسم الله [كما أمَرَهُ ﷺ] قال : فرأيتُ الماءَ يفورُ من بين أصابِعه ، ثم فارت الجَفْنَةُ واستدارت حتى امتلأت ، وأمر الناسَ بالاستقاء ، فاستقَوْا حتى رَوُوا .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) ، والدارمي برقم (٢٩) واللفظ له . وانظر طرقه في مسند أبي يعلىٰ (٥٣٧٢) . (فضل ماءٍ) الفَضْلُ : ما بقي من الشيء .

(٢) في الأصل والمطبوع : «قالوا» ، والمثبت من شرح الخفاجي والقاري .

(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٢) ، ومسلم مختصراً (١٨٥٦/ ٧٢) . (الرَّكوة) : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء/ النهاية . (الحديبية) : تقدم التعريف بها .

(٤) أخرجه الدارمي برقم (٢٨) بإسناد صحيح .

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من صحيح مسلم .

(٦) في الأصل : «فغمره» ، والمثبت من المطبوع . ومعناه : عصره .

فقلت: هل بَقِيَ أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يدَه من الجَفْنَة وهي مَلأَىٰ[1].

٦٩٦ ـ وعن الشَّعْبيّ[2]: أُتِيَ النبيُّ ﷺ في بعض أسفاره بإداوَةِ ماءٍ، وقيل: ما مَعنا، يا رسولَ الله! ماءٌ غَيْرُها، فسكبها في رَكْوَةٍ، ووضع إصبعه وسطها، [و] غَمَسها في الماء، وجعل الناسُ يجيئون ويتوضَّؤون ثم يقومون[3].

٦٩٧ ـ قال التِّرمِذيُّ: وفي الباب، عن عمران بن حُصَيْن[4].

ومِثْلُ هذا في هذه المواطن الحَفِلَة[5]، والجموع الكثيرة، لا تتطرَّقُ التهمةُ إلى المحدِّث به؛ لأنهم كانوا أسرعَ شيء إلى تكذيبه، لِمَا جُبِلتَ عليه النفوسُ من ذلك؛ ولأنهم كانوا ممن لا يسكتُ على باطل؛ فهؤلاء قد رَوَوْا هذا، وأشاعوه، ونسبوا حضورَ الجَمَّاء الغَفِير[6] له، ولم يُنْكِرْ أحد من الناس عليهم ما حدّثوا به عنهم أنهم فَعَلُوا وشاهدوا[7]، فصار كتصديق جميعهم له.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٣). (بُواط): جبل لِجُهَيْنَةَ على أبراد من المدينة جهة مدينة يَنْبُع. (الوَضُوء): الماء الذي يتوضأ به. (عزلاء شَجْبٍ): أي فم قِرْبة بالية. (قطرة): أي يسيراً. (جَفْنَة الركب): القصعة التي تشبعهم.

(٢) هو عامر بن شراحيل الشعبي. تابعي، ثقة، فقيه، مات بعد المئة وله نحو من ثمانين سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤ ـ ٣١٩.

(٣) حديث مرسل. (الإداوة): إناء صغير يحمل فيه الماء.

(٤) حديث عمران بن حُصَين سيذكر المصنفُ مَتْنَـهُ برقم (٧٠٥) وهو متفق عليه. وقول الترمذي، هو في سننه عقب الحديث (٣٦٣١).

(٥) المواطن الحفلة: الأماكن التي احتشد فيها الناس.

(٦) الجَمَّاء الغفير: أي العدد الكبير من الناس.

(٧) في المطبوع: «فعلوا وشاهدوه».

فصل

[فِيْ تَفْجِيْرِ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ ﷺ، وَانْبِعَاثِهِ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ][1]

٦٩٨ ـ ومما يُشْبهُ هذا مِنْ معجزاته تفجيرُ الماء ببَرَكتِه، وانبعاثُه بمَسِّه ودعْوَتِه فيما رَوَى (٨٢/أ) مالك في «المُوَطّأ» عن مُعَاذ بن جَبَل في قصةِ غَزْوةِ تَبُوك، وأنهم وَرَدُوا العَينَ وهي تَبِضُّ بشيءٍ من ماءٍ مِثْلَ الشِّراك، فَغَرَفُوا من العَيْن بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غَسَلَ رسول الله ﷺ فيه وَجْهَهُ ويَدَيْه، وأعادَهُ فيها؛ فجرَتْ بماءٍ كثيرٍ، فاسْتَقَى الناسُ.

٦٩٩ ـ قال في حديث ابن إسحاق[2]: فانخرقَ من الماء ما لَهُ حِسٌّ كحِسِّ الصَّوَاعق ـ

ثم قال: **«يُوشِكُ، يا مُعَاذ! إن طالَتْ بك حياةٌ أنْ ترى ما هاهنا قد مُلِىء جِنَاناً»**[3].

٧٠٠، ٧٠١ ـ وفي حديث البَراء، وسَلَمة بن الأكْوَع ـ وحديثُه أتَمُّ ـ في قصةِ الحُدَيبية، وهم أربَع عَشْرةَ مئة، وبئرُها لا تَرْوِي خمسين شاةً، فنزَحْنَاها فلم نَتْرُكْ فيها قَطْرَةً، فقعد رسول الله ﷺ على جَبَاها.

قال البراء: وأُتِيَ بدَلْوٍ منها، فبصق، فدعا ـ وقال سلَمة: فإمّا دعَا، وإمَّا

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) حديث ابن إسحاق ذكره ابن هشام في السيرة (٢/٥٢٧) بدون إسناد. (انخرق): انشق وانفجر.

(٣) حديث معاذ أخرجه مالك في الموطأ (١/١٤٣ ـ ١٤٤). ومن طريق مالك أخرجه مسلم في الفضائل (٧٠٦/١٠). (غزوة تبوك): كانت هذه الغزوة للقاء الروم في الشام في السنة التاسعة من الهجرة. وتبوك مدينة في السعودية تبعد عن المدينة شمالاً (٧٧٨) كيلاً. (تَبِضُّ): تسيل. (الشراك): هو سير النعل. ومعناه ماء قليل جداً. (جنانا): أي بساتين وعمراناً. وقد تحققت معجزة النبي ﷺ وأصبحت تبوك ـ الآن ـ من المناطق الزراعية في السعودية.

بصَق فيها ـ فجاشَتْ؛ فأرَوَوْا أنـفُسهم وركَابَهم[١].

وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحُدَيْبية: فأخرج سَهْماً من كِنَانته، فوضع في قَعْرِ قَلِيبٍ[٢] ليس فيه ماءٌ، فَرَوِيَ الناسُ حتى ضربوا بِعَطَن[٣].

٧٠٢ ـ وعن أبي قتادةَ، وذكر أن الناسَ شَكَوْا إلى رسُولِ الله ﷺ الْعَطَش في بعض أسفاره، فدعا بالمِيْضأة، فجعلها في ضِبْنِهِ، ثم الْتَقَم فَمَها، فاللهُ أعلمُ ـ نفَثَ فيها أم لا ـ فشَرِبَ الناسُ حتى رَوُوا، وملؤوا كلَّ إناءٍ معهم؛ فخُيِّل إليَّ أنها كما أخذها مني، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً[٤].

٧٠٣ ـ ورَوَى مِثْلَه عِمْرانُ بن حُصَيْنٍ[٥].

وذكر الطبري حديثَ أبي قتادة على غير ما ذَكَره أهلُ الصحيح ـ وأن النبيّ ﷺ خرج بهم مُمِدًّا[٦] لأهل مُؤْتَة عندما بَلَغهُ قَتْلُ الأمراءِ.

وذكر حديثاً طويلاً فيه مُعجِزاتٌ وآياتٌ للنبيّ ﷺ؛ وفيه إعلامُهم أنهم يفقدون الماءَ في غَدٍ.

وذكر حديثَ المِيْضَأَةِ؛ قال: والقومُ زُهاء ثلاث مئة[٧].

---

(١) حديث البراء بن عازب أخرجه البخاري (٣٥٧٧). وحديث سلمة أخرجه بنحوه مسلم (١٧٢٩) وسيأتي برقم (٧٠٦). (جَبَاها): الجَبا، بالفتح: ما حول البئرِ، وبالكسر: ما جمعت فيه من الماء/ النهاية. (فنزحناها): أي أخذنا ماءها، (ركابهم): الدواب التي كانت معهم.

(٢) القليبُ: البئر.

(٣) ضربوا بِعَطَنٍ: أي رووا حتى استغنوا. والعَطَنُ في الأصل: مبرك الإبلُ ومربض الغنم عند الماء. ويقال: ضربت الإبل بِعَطَنٍ: رويت وبركت.

(٤) أخرجه بنحوه مسلم (٦٨١). (المِيْضأة): هي الإناء الذي يتوضأ به. (فجعلها في ضِبْنه): أي حضنه/ النهاية.

(٥) تقدم برقم (٦٩٧) وسيأتي تخريجه برقم (٧٠٥).

(٦) مُمِدّاً: مُعِيْنـاً.

(٧) زُهاء ثلاث مئة: أي قدر ثلاث مئة.

٧٠٤ ـ وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قَتَادة: «احفَظْ عليَّ مِيْضَأَتَكَ، فإنه سيكونُ لها نبأٌ» وذكر نحوه.(١)

٧٠٥ ـ ومن(٢)(٨٢/ب) [ذلك] حديثُ عِمْران بن حُصَين حين أصابَ النبيَّ ﷺ وأصحابَه عَطَشٌ في بعض أسفارهم؛ فوجَّه رجُلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدَان امرأةً بمكانٍ كذا معها بَعِيرٌ عليه مَزَادتان. . . الحديث؛ فوجداها وأتَيَا بها إلى النبيِّ ﷺ؛ فجعل في إناءٍ من مَزَادَتَيْها، وقال فيه ما شاء اللهُ أن يقولَ؛ ثم أعاد الماءَ في المزَادَتَيْنِ، ثم فُتحَتْ عَزَالِيْهِمَا؛ وأمر الناسَ فملؤوا أسقيتَهم حتى لم يَدَعُوا شيئاً إلاّ ملؤوه.

قال عِمْران: وتَخَيَّل إليَّ أنهما لم تَزْدادا إلا امتلاءً، ثم أمر فجُمِع للمرأةِ من الأزوادِ حتى ملأ ثَوْبها. وقال: «اذهبي؛ فإنَّا لم نأخُذْ من مائك شيئاً؛ ولكنَّ الله سقانا. . .» الحديث بطوله(٣).

٧٠٦ ـ وعن سلَمة بن الأكْوع: قال نبيُّ الله ﷺ: «هل مِنْ وَضوءٍ؟» فجاء رجلٌ بإدَاوَةٍ فيها نُطْفَةٌ فأفرغَهَا في قَدَحٍ، فتوضَّأنَا كُلُّنا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً، أربعَ عَشْرة مِئةً(٤) [. . . الحديث بطوله].

٧٠٧ ـ وفي حديث عُمر، في جَيْش العُسْرَة: وذكر ما أصابهم من العطش، حتى إنَّ الرجلَ ليَنْحَرُ بَعِيرَه، فيعْصر فَرْثه فيشرَبُه؛ فرغِبَ أبو بكر إلى النبيِّ ﷺ في الدعاء، فرفَع يَدَيه، فلم يَرْجعهما حتى قالت السماء، فانسكبَتْ؛

---

(١) أخرجه مسلم (٦٨١).

(٢) في الأصل: «وفي»، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢) وقد تقدم برقم (٦٩٧، ٧٠٣). (مزادتان) المزادة: قربة كبيرة يزاد فيها جلد من غيرها. (عَزَالِيْهما) العَزَالي: جمع عَزْلاء، وهي مصب الماء من الراوية، ولكل مزادة عَزلاوان من أسفلها/ الفتح ١/ ٤٥٢). (الأزواد): جمع زادٍ، وهو الطعام.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٢٩). (وَضوء) ماء يتوضأ به. (الإداوة) إناء صغير يتوضأ به. (نطفة) أي قليل من الماء. (نُدَغفِقُهُ دَغْفَقَةً): أي نصبه صباً كثيراً واسعاً.

فملؤوا ما معهم من آنِيَةٍ ، ولم تجاوِز العسكر(١) .

٧٠٨ ـ وعن عَمْرو بن شُعَيْبٍ ، أنَّ أبا طالب قال للنبيّ ﷺ ، وهو رَدِيفُه بذي المَجاز : عَطِشْتُ وليس عندي ماءٌ؛ فنزل النبيُّ ﷺ ، وضربَ بقَدَمِه الأرْضَ ، فخرج الماءُ ، فقال : «اشرب»(٢) .

والحديثُ في هذا الباب كَثِيرٌ ؛ ومنه الإجابةُ بدعاء الاستسقاء [وما جانسَهُ] .

فصل

وَمِنْ مُعْجِزَاتِـهِ تَـكْثِيرُ الطَّعَـامِ بِبَـرَكَتِـهِ وَدُعَائِـهِ

٧٠٩ ـ أخبرنا القاضي الشهيدُ أبو عليّ [رحمه الله] ، حدثنا العُذْري ، حدثنا الرازي ، حدثنا الجُلُودي ، حدثنا ابن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجَّاج ، حدثنا سَلَمَة بن شَبِيْب ، حدثنا الحَسَن بن أَعْيَن ، حدثنا مَعْقِل ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُه ، فأطْعمه شَطْر وَسْقِ شَعير؛ فما زال يأكل منه وامرأتُـه وضَيْـفُه حتى كالَه ، فأتى (٨٣/أ) النبيَّ ﷺ ، فأخبره ، فقال : «لو لم تَكِلْهُ لأكلتُم منه ولقام بكم»(٣) .

٧١٠ ـ ومن ذلك حديثُ أبي طَلْحَةَ المشهور ، وإطعامُه ﷺ ثمانين ـ أو سبعين ـ رجلاً من أقراص مِنْ شعير جاء بها أنس تحت يده ـ أي إبطه ـ فأمر بها

---

(١) أخرجه البزار (١٨٤١) كشف الأستار. وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ١٩٥ : «رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار ثقات». ورواه أيضاً البيهقي وابن خزيمة في صحيحه. (فَرْث) الفَرْث : بقايا الطعام في الكَرِش. (قالت السماء) : أي غيَّمت وظهر فيها سحاب.

(٢) عزاه السيوطي في المناهل (٥٥٥) إلى ابن سعد. وإسناده معضل ، سقط منه الصحابي والتابعي.

(٣) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٢٨١). (يستطعمه) : يطلب منه طعاماً. (وَسْق شعير) الوَسْقُ : ستون صاعاً ، والصاع أربعة أمداد ، والمد حوالي (٦٠٠) غرام. (كال) : أي حدّد مقداره بوساطة آلة معدة لذلك. (لقام بكم) : في صحيح مسلم : لقام لكم. قال في النهاية : أي دام وثبت.

فـفُـتَّتْ ، وقال فيها ما شاء اللهُ أنْ يَقُولَ(١) .

٧١١ ـ وحديثُ جابر في إطعامِه ﷺ يوم الخَنْدَق ألْفَ رجُلٍ من صاع شَعير ، وَعَنَاقٍ .

وقال جابر : فأُقْسِمُ باللهِ لأكلوا حتى تركُوه وانحرفوا ، وإنَّ بُـرْمَتَنا لتَغِطُّ كما هي ، وإنَّ عجِينَنَا لَيُخْبَزُ .

وكان رسول الله ﷺ بَصقَ في العَجِين والبُرْمَة ، وباركَ .

رواهُ عن جابرٍ سَعيدُ بن مِينَاء ، وأيْمَنُ(٢) .

٧١٢ ـ [وعن ثابتٍ ، مثلُه ، عن رجل من الأنصارِ وامرأتِه ، ولم يسمِّهما؛ قال : وجِيءَ بمثْلِ الكفِّ ، فجعل رسول الله ﷺ يَبْسُطُها في الإناء ، ويقولُ ما شاء الله ، فأكل منه مَنْ في البيت والحُجْرةِ والدَّارِ؛ وكان ذلك قد امتلأ مِمّنْ قَدِم معه ﷺ لذلك؛ وبَقِي بعد ما شَبِعُوا مِثْلَ ما كان في الإناء](٣) .

٧١٣ ـ وحديثُ أبي أيّوبَ : أنه صنع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر من الطعام زُهاءَ ما يكْفِيهما؛ فقال له النبيُّ ﷺ : «**ادْعُ ثـلاثين من أشـراف الأنصـار**»

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠) من حديث أَنس. (أبو طلحة) هو زوج أم سُليم ، أم أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٢) ، ومسلم (٢٠٣٩) من طريق سعيد بن ميناء عن جابر. وأخرجه البخاري (٤١٠١) من حديث عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر. (يوم الخندق): أي غزوة الأحزاب. وكانت في السنة الخامسة من الهجرة النبوية. وسميت بغزوة الخندق لأن النبي ﷺ حفر خندقاً شمالي المدينة ، يصل بين الحَرَّة الشرقية (حَرَّة واقم) والحرَّة الغربية (حَـرَّةِ الـوَبْـرَةِ) ، وكان طول الخندق حوالي (٣٠٠٠) متر ، وعرضه أكبر من مدىٰ قفزة فرس ويقدر بـ(٥,٥) متر ، وعمقه بقدر قامة رجل معتدل رافعاً يده. انظر نور اليقين ص (١٥٠) بتحقيقي. (صاع): تقدم شرحه عند الحديث المتقدم برقم (١٩٨). (عناق) العناق: الأنثىٰ من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام الحول / المعجم الوسيط. (تركوه وانحرفوا): أي سبقوا وانصرفوا. (برمتنا): البرمة: القِدْرُ مطلقاً. (لتغط): أي تغلي وتفور ، (بارك): أي دعا بالبركة ، وهي الزيادة والنماء.

(٣) عزاه السيوطي في المناهل (٥٥٩) إلى ابن سَعْدٍ.

فدعاهم ، فأكلوا حتى تركوا؛ ثم قال: «ادعُ ستّين» فكان مِثلُ ذلك؛ ثم قال: «ادعُ سَبْعين» فأكلوا حتى تركوا ، وما خرج منهم أحدٌ حتى أسلم وبايَع.

قال أبو أيوبَ: فأكلَ مِنْ طعامي مئةٌ وثمانون رجلاً[١].

٧١٤ ـ وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُب: أُتِيَ النبيُّ ﷺ بقَصْعَةٍ فيها لَحْمٌ ، فتعاقَبُوها من غُدْوَةٍ حتى الليل؛ يقومُ قومٌ ويَقْعُدُ آخرون[٢].

٧١٥ ـ ومن ذلك حديثُ عبد الرحمن بن أبي بكر: كُنّا مع النبيّ ﷺ ثلاثين ومئة؛ وذكر في الحديث: أنه عُجِن صاعٌ من طعام ، وصُنعت شاةٌ ، فشُوِي سَوَادُ بَطْنِها ثم[٣] قال: وايْمُ اللهِ! ما مِن الثلاثين ومئةٍ إلا وقد حَزَّ له حُزَّةً من سواد بطنها ، ثم جعل منها قَصْعَتَيْنِ ، فأكلْنَا منهما أجمعون ، وفضَل في القَصْعَتَيْنِ ، فَحَمَلْتُهُ على البَعِير[٤].

٧١٦ وحتى ٧١٩ ـ ومِنْ ذلك حديثُ عبد الرحمن بن أبي عَمْرةَ الأنصاري ، عن أبيه ، ومِثْلُه لِسَلَمَةَ بن الأكوع ، وأبي هُريرةَ ، وعُمر بنِ الخطاب[٥] [رضي الله عنه] فذكروا مَخْمَصةً أصابت الناسَ مع النبي ﷺ في بعض مَغَازِيه ، فدعا ببقيّةِ الأزوادِ ، فجاء الرجلُ بالحَثْيَةِ منِ الطعام ، وفَوْقَ ذلك؛ وأعلاهم الذي أتى بالصَّاعِ من التمر؛ فجمعه على نِطع (٨٣/ب) ـ قال سَلَمَةُ: فَحزَرْتُه

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠٣) وقال: «رواه الطبراني ، وفي إسناده مَنْ لم أعرفه».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٥) وغيره ، وصححه البيهقي ، والحاكم (٢/ ٦١٨) ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً ابن حبان (٢١٤٩) موارد. وهناك استوفينا تخريجه. (تعاقبوها): تناوبوا عليها. (غُدْوَة): ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(٣) «ثم»: ليست في المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦١٨) ، ومسلم (٢٠٥٦). (الصاع) تقدم شرحه عند الحديث (١٩٨). (سواد بطنها): أي الكبد. (حُزَّة): الحُزَّة القطعة من اللحم وغيره. (فَضَلَ): بقي.

(٥) والسياق لحديث عبد الرحمن بن أبي عَمْرةَ عن أبيه.

كَرَبْضَةِ العَنْزِ ـ ثم دعا الناسَ بأوعيتهم ، فما بقي في الجيش وعاءٌ إلاّ ملؤوه وبقيَ منه[1] . [2]

٧٢٠ ـ وعن أبي هريرة: أمرني النبيُّ ﷺ أن أدْعُو له أهْلَ الصُّفَّة ، فَتَتَبَّعتُهم حتى جَمَعْتُهم ، فوضِعَتْ بين أيدينا صَحْفَةٌ ، فأكَلْنَا ما شِئْنَا ، وفرغْنَا وهي مِثْلُها حين وُضِعَتْ إلاَّ أنَّ فيها أثَر الأصابع[3] .

٧٢١ ـ وعن عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب ، وكانوا أربعين ، منهم قومٌ يأكلونَ الجَذَعَةَ ، ويشربون الفَرَقَ؛ فصنع لهم مُدّاً من طعام ، فأكلوا حتى شَبِعوا ، وبقِيَ كما هو؛ ثم دعا بعُسٍّ ، فشَرِبُوا حتى رَوُوا ، وبقِيَ كأنه لم يُشْرَبْ [منه][4] .

---

(١) في مصادر التخريج: «وبقي مثله». وفي الشفا ، طبعة دار الوفاء: «وبقي منه قدر ما جعل وأكثر ولو ورده أهل الأرض لكفاهم».

(٢) حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبيه ، أخرجه أحمد ٣/ ٤١٧ ، ٤١٨ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١١٤٠) ، والطبراني (٥٧٥) ، وصححه ابن حبان (٢٢١) الإحسان ، والحاكم (٢/ ٦١٨ ـ ٦١٩) ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رقم (٢٨): «رجاله ثقات». وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه البخاري (٢٤٨٤) ، ومسلم (١٧٢٩). وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٧) ، وحديث عمر بن الخطاب أخرجه أبو يعلى (٢٣٠) ، وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٣٠٤ وقال: «رواه أبو يعلىٰ في الصغير والكبير ، وفيه عاصم بن عبيد الله العمري ، وثّقه العجلي ، وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات». وجوَّد إسناده السيوطي في المناهل (٥٦٣). (مخمصة): مجاعة. (الأزواد): جمع زاد ، وهو الطعام. (الحثية): الغَرْفَة. (الصاع) تقدم شرحه عند الحديث المتقدم برقم (١٩٨). (نِطَع): بساط من جلد. (حزرته) قدرته وخمَّنْتُـهُ. (كَرَبْضَةِ العنزِ): أي كمبركها ، أو كقدرها وهي رابضة ، والعنز: الأنثىٰ من المعز إذا أتىٰ عليها حول.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٨ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات». (أهل الصُّفَّة) الصُّفَّةُ: مكان وراء الحجرة النبوية ، مظلَّلٌ معدٌّ لنزول الغرباء ، وأهل الصفة مجاهدون مرابطون ، أو طلاب علم متفرغون ، ويعملون ، ولكن عملهم لا يسد حاجتهم. وانظر دراسة واسعة عن أهل الصفة في كتاب «المدينة النبوية ، فجر الإسلام والعصر الراشدي» ص: (٢١٩ ـ ٢٢٤) لأستاذنا البحاثة محمد شرَّاب. (صَحْفَة): آنية من أواني الطعام.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١٥٩) وغيره ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٢ وقال: «رواه=

٧٢٢ ـ وعن[1] أنس: أَنَّ النبيَّ ﷺ حين ابْتَنَىٰ بزَيْنَب ، أَمَره أَنْ يَدْعُوَ له قوماً سمَّاهم ، وكلَّ من لقيتَ ، حتى امتلأ البيت والحجرة ، وقدَّمَ إليهم تَوْراً ، فيه قَدْرُ مُدٍّ مِن تَمْرٍ ، جُعِل حَيْساً ، فوضعه قُدَّامَه ، وغَمس ثلاثَ أصابعه ، وجعل القومُ يتغدَّون ويخرجون ، وبَقِيَ التَّوْرُ نحواً مما كان ، وكان القوم أحداً ـ أو قال[2] ـ اثنين وسبعين[3] .

٧٢٣ ـ وفي رواية أخرى في هذه القِصَّةِ أو مِثْلها [إنَّ القوم] كانوا زُهاءَ ثلاث مئة وأنهم أكلوا حتى شَبِعُوا. وقال لي: «ارفَعْ» ، فلا أدْرِي حين وضَعْتُ كان أكثر أم حين رَفَعْتُ[4] .

٧٢٤ ـ وفي رواية[5] جَعْفر بن محمد ، عن أبيه عن عليٍّ [رضي الله عنه]: أنَّ فاطمةَ طبخَتْ قِدْراً لغَدَائها ووَجَّهَتْ علياً إلى النبيِّ ﷺ ليتغدَّى معها[6] ، فأمرها فَغَرَفَتْ منها لجميع نِسائه [صَحْفَةً ، صَحْفَةً][7] ثم لَهُ ﷺ ، ولعليّ ، ثم لها ، ثم رَفَعت القِدْرَ ، وإنها لتَفِيضُ؛ قالت: فأكَلْنا منها ما شاء الله[8] .

= أحمد ورجاله ثقات» وجوَّد إسناده السيوطي في المناهل (٥٦٤). (الجذعة): من الضأن ما بلغت ثمانية أشهر أو تسعة. (الفَرَق) بالتحريك مكيال يسع اثنا عشر مُدّاً. والمدُّ: تقدم شرحه عند الحديث (١٩٨). (عُسٌّ): هو القَدَحُ الكبير.

(١) في: المطبوع: «وقال».

(٢) كلمة: «قال» ، لم ترد في المطبوع .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم (١٤٢٨/ ٩٥) ، وأخرج بعضه البخاري (٥١٧٠). (تَوْراً) التور: إناء يشرب فيه. (الحَيسُ): تَمْرٌ ، وَأَقِطٌ ـ أي لبن جامد مستحجر ـ وسمن تخلط وتعجن وتسوَّىٰ كالثريد.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٨/ ٩٤) من حديث أنس بن مالك. وسيأتي برقم (٧٣٥). (زُهاء ثلاث مئة) أي: قدر ثلاث مئة.

(٥) في المطبوع: «وفي حديث».

(٦) في المطبوع: «معهما».

(٧) ما بين حاصرتين من نسيم الرياض ٣/ ٣٧. وفي المطبوع: «صفحة ، صفحة» وهو تحريف .

(٨) قال السيوطي في المناهل (٥٦٦): «ابن سعدٍ ، سنده منقطع». (الصَّحْفَةُ): إناء من آنية الطعام.

٧٢٥ ، ٧٢٦ ـ وأمرَ النبيُّ ـ ﷺ ـ عُمَر بن الخطاب أن يُزَوِّدَ أَرْبَعَ مِئَةٍ راكب من أَحْمَسَ؛ فقال: يا رسول الله! ما هِيَ إلاّ أَصْوُعٌ. قال: «اذهَبْ» ، فذهبَ فزوَّدهم منه ، وكان قَدْرَ الفَصِيلِ الرابضِ ، من التّمْرِ ، وبقي بحاله.

مِنْ رواية دُكَيْنٍ الأَحْمَسي[١] ، ومن رواية جرير.

٧٢٧ ـ ومثلُه مِن رِوَاية النُّعْمان بن مُقَرِّنٍ الخَبَر بَعَيْنه ، إلا أَنَّه قال: أربَعَ مئة راكب من مُزينة[٢].

٧٢٨ ـ ومن ذلك حديثُ جابر في دَيْن أبيه بعد مَوْته ، وقد كان بذَلَ لغُرَماءِ أبيه أَصْلَ مالهِ ، فلم يَقْبَلوه ، ولم يكن في ثمرِها سنين كَفَاف دَيْنِهم ، فجاءَهُ النبيُّ [ﷺ] بعدَ أنْ أَمَرهُ بجَدِّها ، وجَعْلها بَيَادِرَ في أصولها ، فمشى فيها ودعا ، فأَوْفَى منه جابرٌ غُرَمَاءَ أبيه ، وفضلَ مِثْلَ ما كانوا يَجُدُّون كلَّ سنةٍ[٣].

٧٢٨/ ١ ـ وفي رواية: مِثْلُ ما أعطاهم[٤]؛ قال: وكان الغُرماءُ يهودَ؛ فعجبوا من ذلك.

٧٢٩ ـ وقال أبو هريرة [رضي الله عنه]: أصاب الناسَ مَخْمَصةٌ. فقال لي

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٧٤ ، والطبراني (٤٢١٠) ، وغيره ، من حديث دكين بن سعيد الخثعمي ويقال: المزني قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربع مئة نسأله الطعام فقال النبي ﷺ لعمر.... وصححه أبو نُعَيْم في الحلية (١/ ٣٦٥) ، وابن حبان (٢١٥١) موارد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ وقال: «روىٰ أبو داود (٥٢٣٨) طرفاً منه ، رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح» (أَصْوُع): جمعُ صاع ، تقدم شرحه عند الحديث المتقدم برقم (١٩٨). (الفصيل): ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أُمِّهِ. (الرابض): الجالس المقيم.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٤٤٥ وغيره. وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٣٠٤: «رجال أحمد رجال الصحيح» ، وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٥٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٧) وأطرافه. (أمره بجدِّها) الجِدَاد: هو قطع الثمار. (الغرماء): جمع غريم ، وهو الدائن. (أصل ماله): أراد بستاناً فيه نخل. (فضل): بقي. (يجدُّون): يقطعون من الثمر.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٨٠) وفيه: «وبقي مثل ما أعطاهم».

رسول الله ﷺ: «هل مِنْ شَيء؟» قلتُ: نعم؛ شيء من التّمر في المِزْوَد. قال: «فأتِني به»[1] (١/٨٤) فأدخلِ يده فأخرج قَبْضةً، فبسطها ودعا بالبَركةِ؛ ثم قال: «ادعُ عَشَرةً» فأكلوا حتى شَبِعوا، ثم عَشَرة كذلك، حتى أطعَم الجيشَ كلهم وشبِعُوا. قال: «خُذْ ما جِئْتَ به، وأدخلْ يدَكَ، واقبِضْ منه ولا تكبَّه»، فقبضْتُ على أكثر مما جئْتُ به؛ فأكلتُ منه، وأطعمتُ حياةَ رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعُمر، إلى أنْ قُتِل عثمان، فانتُهِبَ مني، فذهب[2].

٧٣٠ ـ وفي رواية: فقد حملتُ من ذلك التّمر كذا وكذا مِنْ وَسْقٍ في سبيلِ الله[3].

٧٣١ ـ وذُكِرَتْ مِثْلُ هذه الحكايةِ في غَزْوة تَبُوك، وأنَّ التَّمْر كان بِضْعَ عشْرَةَ تمرةً[4].

٧٣٢ ـ ومنه[5] أيضاً حديثُ أبي هريرة حين أصابه الجوعُ، فاستَتْبَعَهُ النبيُّ ﷺ، فوجد لبناً في قَدَحٍ قد أُهدِيَ إليه، وأمره أن يَدْعُوَ أهلَ الصُّفَّةِ.

قال: فقلتُ: ما هذا اللَّبنُ فيهم؟ كنتُ أحقَّ أنْ أُصِيبَ منه شَربةً أتقوَّى بها. فدعَوْتُهم.

وذكر أمْرَ النبيّ ﷺ له أن يسقيَهم، فجعلتُ أُعطِي الرجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى، ثم يأخذهُ الآخر حتى رَوِيَ جميعُهم.

قال: فأخذ النبيُّ ﷺ القدَح، وقال: «بقيتُ أنا وأنْتَ، اقْعُد فاشْرَبْ»

---

(١) في الأصل: «فأتىٰ به»، والمثبت من المطبوع.

(٢) أورده ابن كثير في «شمائل الرسول» ص(٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وانظر الرواية التالية. (المِزود): وعاء الزاد.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٣٩)، وأحمد (٢/ ٣٥٢) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». (الوَسْقُ): ستون صاعاً. وقيل غير ذلك، وقد تقدم شرح (الصاع) عند الحديث المتقدم برقم (١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧/ ٤٥) من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شَكَّ الأعمش).

(٥) في الأصل: «وعنه»، والمثبت من المطبوع.

فشرِبتُ ، ثم قال: «اشْرَبْ» وما زال يَقُولُها وأشْرَبُ حتى قلتُ: لا ، والذي بعثكَ بالحق! ما أجِدُ له مسلَكاً؛ فأخذ القَدحَ ، فحمِد الله وسمَّى وشَرِب الفَضْلَةَ.[1]

٧٣٣ ـ وفي حديث خالد بن عبد العُزَّى أنه أجْزرَ النبيَّ ﷺ شاةً وكان عِيالُ خالدٍ كثيراً ، يذبَحُ الشاةَ فلا تُبِدُّ عِيَالَه ، عَظْماً عَظْماً؛ وإنَّ النبيّ ﷺ أكل من هذه الشاةِ ، وجعل فَضْلَتَها في دَلْوِ خالدٍ ، ودعا له بالبَرَكةِ ، فنثَر ذَلِكَ لِعيالِه ، فأكلوا وأفْضَلُوا ، ذكر خبَره الدُّولابيّ[2].

٧٣٤ ـ وفي[3] حديث الآجُرِّي في إنكاحِ النبيّ ﷺ لعليّ فاطمةَ ، أن النبيَّ ﷺ أمَرَ بِلالاً بقَصْعةٍ من أربعة أمداد أو خمسةٍ ، ويَذْبَح جَزُوراً لِوَليمتها قال: فأتيتُه بذلك ، فطعن في رأسها ، ثم أدخلَ الناس (٨٤/ب) رُفقةً رُفْقةً ، يأكلونَ منها حتى فَرَغُوا ، وبقيتْ منها فَضْلَةٌ؛ فبرّك فيها ، وأمر بحَمْلِها إلى أزواجِه؛ وقال: «كُلْنَ وأطْعِمْنَ مَنْ غَشِيَكُنَّ»[4].

٧٣٥ ـ وفي حديث أنس: تزوَّج رسول الله ﷺ ، فصنعَتْ أمّي: أمُّ سُلَيْم حَيْساً ، فجعلَتْه في تَوْرٍ ، فذهبْتُ به إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: «ضَعْهُ ، وادْعُ لي فلاناً وفلاناً ، ومَنْ لقيتَ».

فدعوتُهم ، ولم أدَعْ أحداً لقِيتُه إلاّ دعوتُه؛ وذكر أنهم كانوا زُهاءَ ثلاث مئة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢). (أهل الصفة): تقدم التعريف بهم عند الحديث المتقدم برقم (٧٢٠). (الفَضْلَةُ): البقيَّةُ.

(٢) في كتابه «الكنىٰ والأسماء» ١/ ٦٨. وأخرجه أيضاً النسائي في «الكنىٰ» والحسن بن سفيان في مسنده ، والبيهقي في دلائله ، وغيره. وله طريق أخرىٰ عند الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٠. قال الهيثمي: «وفيه من لم أعرفه». (أجزر النبيَّ ﷺ شاةً) أي: أعطاه شاة تصلح للذبح. (لا تُبِدُّ): أي لا تكفي.

(٣) في الأصل: «ومن» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) أورده السيوطي في المناهل (٥٧٢) ولم يذكر من خرَّجه. (قصعة): إناء من آنية الطعام. (جزوراً) الجزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل. (لوليمتها) الوليمة: طعام العرس. (الرُّفقة): الجماعة المترافقون. (غشيكنَّ): أتاكنَّ.

حتى مَلؤوا الصُّفَّةَ والحُجْرة ، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «تحلَّقُوا عَشَرةً عَشَرةً» ، ووضع النبيُّ ﷺ يدَه على الطعام ، فدعا فيه[1] ، وقال ما شاءَ اللهُ أن يقول؛ فأكلوا حتى شَبِعُوا كلُّهم ، فقال لي: «ارفَعْ» فما أدري حين وُضِعت كانت أكثر أم حين رُفِعَتْ[2].

وأكثَرُ أحادِيث هذه الفصولِ الثلاثة في الصحيح. وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعةَ عشر من الصحابة ، رواه عنهم[3] أضعافُهم من التابعين ، ثم مَنْ لا يَنْعدُّ بعدهم.

وأكثَرُها في قصص مشهورة ، ومَجَامِعَ مشهودة؛ ولا يمكنُ التحدُّث عنها إلا بالحق ، ولا يسكُت الحاضرُ لها على ما أُنْكِرَ [منها].

فصل

فِيْ كَلامِ الشَّجَرَةِ وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَإِجَابَتِهَا دَعْوَتَهُ

٧٣٦ ـ أخبرنا أحمد بن محمد بن غَلْبُون ، الشيخُ الصالح ، فيما أجازَنِيْهِ ، عن أبي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ ، عن أبي بكر بن المُهَنْدس ، عن أبي القاسم البغَوي ، حدثنا أحمدُ بن عمران الأَخْنَسي ، حدثنا أبو حيان التَّيْمي ـ وكان صدوقاً ـ عن مجاهد ، عن ابن عُمرَ ، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فدنا منه أعرابيٌّ ، فقال؛ «يا أعرابيُّ! أين تريد؟» قال: إلى أهلي. قال: «هل لكَ إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تَشْهَدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ له ، وأنّ محمداً عبْدُه ورسولُه» قال: مَنْ يشهدُ لكَ على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة: السَّمُرَةُ ، وهي بشاطىء الوادي ، [وادعها فإنها تُجيبك]».

فأقبلَتْ تخُدُّ الأرضَ حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً ، فشهِدَتْ أنه

(١) في الأصل: «به» ، والمثبت من المطبوع.
(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٣) ، ومسلم (١٤٢٨/ ٩٤) والسياق له. وقد تقدم برقم (٧٢٣).
(٣) في الأصل: «عنه» ، والمثبت من المطبوع.

كما قال ، ثم رجعت (١/ ٨٥) إلى مكانها[١] .

٧٣٧ ـ وعن بُرَيْدَةَ: سألَ أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ آيةً ، فقال له: «**قل لتلك الشجرةِ: رسولُ الله ﷺ يَدْعُوكِ**».

قال: فمالت الشجرةُ عن يَمِينها وشِمالِها وبين يَدَيْها وخَلْفَها ، فتقطَّعَتْ عروقُها ، ثم جاءَت تخدُّ الأرضَ تجرُّ عروقها مُـغْبَـرَّةً ، حتى وقفت بين يَدَي رسول الله ﷺ ، فقالت: السلام عليك ، يا رسول الله!

قال الأعرابيُّ: مُرْها فلترجعْ إلى مَنْبِتها ، فرجعت ، فدلَّت عروقها في ذلك فاستوَتْ.

فقال الأَعرابي: ائذَنْ لي أسجد لك.

قال: «**لو أَمَرْتُ أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزَوْجِها**».

قال: فأْذَن لي أنْ أَقبِّل يَدَيْكَ ورِجْليكَ ، فأَذِنَ له[٢].

٧٣٨ ـ وفي الصحيح ـ في حديث جابر بن عبد الله ، الطويل ـ: ذهب رسول الله ﷺ يَقْضِي حاجتَه ، فلم يَرَ شيئاً يستتِرُ به ، فإذا بشجَرتين[٣] بشاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخَذَ بَغُصْنٍ من أغصانها ، فقال: «**انـقَـادِي عليّ بإذن الله**» فانقادَتْ معه كالبعير المَخْشُوشِ الذي يُصَانِعُ قائدَه.

---

(١) أخرجه البزار (٢٤١١) ، والدارمي (١٦) ، وأبو يعلىٰ (٥٦٦٢) ، والطبراني (١٣٥٨٢) وغيره ، وصححه ابن حبان (٢١١٠) موارد ، والبوصيري ، والسيوطي في المناهل (٥٧٤) ، وجوَّد إسناده ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٣٨) ، وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٩٢: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. . .» (السَّمُرَةُ): شجرة من شجر الطَّلْح. والطَّلْحُ: شجر عظام من شجرٍ له شوك ، ترعاه الإبل. (شاطىء الوادي): جانبه. (تخدُّ): تشقُّ.

(٢) أخرجه البزار (٣/ ١٣٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٠) وقال: «رواه البزار وفيه صالح بن حيَّان ، وهو ضعيف».

(٣) في الأصل: «شجرتين» ، والمثبت من المطبوع. وفي مسلم: «فإذا شجرتان».

وذكر أنه فَعَل بالأخرى مِثْلَ ذَلِكَ ، حتى إذا كان بالمَنْصَفِ بينهما قال: «الْتَئِمَا عليَّ بإذْنِ اللهِ» فالتأمَتَا ـ وفي روايةٍ أخرىٰ: فقال: «يا جابرُ! قُلْ لهذه الشجرة: يقول لكِ رسول الله ﷺ: الْحَقي بصاحِبتك حتى أجْلِسَ خَلْفَكما» ففعلتُ ، فزحفَتْ[1] حتى لَحِقَتْ بصاحبتها فجلس خَلْفَهما ـ فخرجتُ أُحضِرُ ، وجلستُ أُحدِّثُ نفسي ، فالتفتُّ فإذا برسول الله ﷺ مُقْبِلاً والشجرتان قد افترقتا ، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ ، فوقفَ رسول الله ﷺ وَقْـفَـةً ، فقال برأسه هكذا يميناً وشِمالاً[2].

٧٣٩ ـ وعن[3] أُسَامَةَ بن زَيْد نَحْوُه ، قال: قال لي[4] رسول الله ﷺ في بعض مَغَازِيه: «هل؟» يعني مكاناً لحاجة رسول الله ﷺ ، فقلت: إن الواديَ ما فيه موضعٌ بالناس ، فقال: «هل ترىٰ من نَخْلٍ (٨٥/ب) أو حجارة؟» قلت: أرى نخلات متقاربات. قال: «انطلق وقل لهنَّ: إنَّ رسول الله ﷺ يأمركنَّ أنْ تأْتِين لمَخْرجِ رسول الله ﷺ ، وقلْ للحجارة مِثْلَ ذلك».

فقلتُ ذلك لهنّ ، فوالذي بعثه بالحق! لقد رأيتُ النخلاتِ يتقاربن حتى اجتمعنَ ، والحجارةَ يتعاقَدْنَ حتى صِرْنَ رُكاماً ، فجلس[5] خَلْفهنَّ.

فلما قضى حاجتَه قال لي: «قل لهنَّ يفترقن» فوالذي نَفْسِي بيده! لرأيتهنَّ

---

(١) في المطبوع: «فرجعت».
(٢) أخرجه مسلم (٣٠١٢) وانظر مجمع الزوائد (٩/٧). (شاطىء الوادي): جانبه. (كالبعير المخشوش): هو الذي يجعل في أنفه خِشاشٌ ، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد. وقد يتمانع لصعوبته ، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً ، ولهذا قال: الذي يصانع قائده. (يصانع قائده): يداريه ، (بالمَنْصَفِ): هو نصفُ المسافة. (أُحْضِرُ): أي أعدو وأسعىٰ سعياً شديداً.
وفي صحيح مسلم: «فخرجت أُحْضِرُ مخافة أن يُحِسَّ رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد».
(٣) في المطبوع: «وروىٰ».
(٤) كلمة: «لي» ، لم ترد في المطبوع.
(٥) كلمة «فجلس»، لم ترد في المطبوع.

والحجارةَ يفترقن حتى عُذْنَ إلى مواضعهن[1].

٧٤٠ ـ وقال يَعْلَى بن سِيَابةَ[2]: كنتُ مع النبي ﷺ في مَسِير. . . وذكر نحواً من هذين الحديثين، وذكر: فأمر وَدِيَّتَيْنِ فانْضَمَّتَا[3].

٧٤١ ـ وفي رواية: أشَاءَتَيْنِ[4].

٧٤٢ ـ وعن غَيْلاَنَ بن سَلَمَةَ الثقفي مثلُه، في شجرتين[5].

٧٤٣ ـ وعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، مثلُه، في غَزاة حُنَين[6].

٧٤٤ ـ وعن يَعْلَى بن مُرَّةَ ـ وهو ابن سيَابَـةَ ـ أيضاً، وذكر أشياءَ رآها من رسول الله ﷺ، فذكر أنَّ طَلْحَةً ـ أو سَمُرَةً ـ جاءت فأطافت به، ثم رجعَتْ إلى مَنْبِتها، فقال رسول الله ﷺ: «إنها استأذَنَتْ أَنْ تسلِّمَ عليَّ»[7].

٧٤٥ ـ وفي حديث عبد الله بن مسعودٍ [رضي الله عنه]: آذَنَتِ النبيَّ ﷺ بالجنّ، ليلةَ استمعوا له، شجرةٌ[8].

---

(١) البيهقي وأبو يعلى بسند حسن/ المناهل (٥٧٧).

(٢) هو يعلىٰ بن مُرَّة، وأمه اسمها سِيَابة. صحابي شهد الحديبية وما بعدها/ التقريب.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٧٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦ ـ ٧ وقال: «رواه أحمد والطبراني بنحوه. . . وإسناده حسن». (وَدِيَّتَيْن): تثنية وَدِيَّة، وجمعها وَدِيّ، وهي صغار النخل.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٧٢، ويونس بن بكير في زياداته علىٰ مغازي ابن إسحاق ص (٢٧٧) وسكت عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦). (أَشَاءَتَيْن) الأشاء: صغار النخل لكنها أكبر من الوَدِيّ.

(٥) نسبه ابن كثير في «شمائل الرسول ﷺ» (٢٧٠) إلى الحافظ ابن عساكر.

(٦) البيهقي والطبراني بسند حسن/ المناهل (٧٤٣) وانظر المجمع (٩/ ٩).

(٧) أخرجه أحمد ٤/ ١٧٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦) وقال: «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. . .» (طلحةً): هي واحدة الطَّلْحِ، وهي شجر عظام من شجرِ العِضَاهِ، ترعاه الإبل، والعِضَاهُ: كل شجر له شوك.
(سَمُرَةً): تقدم شرحها عند الحديث (٧٣٦).

(٨) أخرجه البخاري (٣٨٥٩)، ومسلم (٤٥٠). (آذنَتْ): أَعْلَمَتْ.

٧٤٦ ـ وعن مجاهد ، عن ابن مسعود في هذا الحديث : أنَّ الجنَّ قالوا : مَنْ يشهدُ لك؟ قال : «هذه الشجرةُ ، تعالَيْ يا شجرةُ!» ، فجاءت تجرُّ عُروقها لها قَعَاقِع[1].

وذكر مِثْلَ الحديثِ الأول أو نحوه.

قال القاضي أبو الفضل : فهذا ابنُ عُمرَ ، وبُرَيدَةُ ، وجابرٌ ، وابن مسعود ، ويَعْلَى بن مُرّةَ ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك. وعليّ بن أبي طالب ، وابنُ عبّاس ، وغَيْرهم قد اتفقوا على هذه القصّةِ نَفْسِها أو معناها.

و[قد] رواها عنهم من التابعين أضعافُهم ، فصارتَ في انتشارها من القوةِ حيثُ هي.

وذكر ابن فُورَك أنه ﷺ سَارَ في غَزْوةِ الطائف ليلاً ، وهو وَسِنٌ[2] ، فاعترضَته سِدْرَةٌ[3] ، فانفرجَتْ له نِصْفَينِ حتى جاز بينهما ، وبقيَتْ على ساقين إلى وقتنا [هذا] ، وهي هناك معروفة مُعَظَّمة (٨٦/أ).

٧٤٧ ـ ومن ذلك حديثُ أنَسٍ [رضي الله عنه]: أنَّ جبريلَ [عليه السلام] قال للنبيّ ﷺ ـ ورآه حَزِيناً ـ: أتُحِبُّ أن أرِيكَ آيةً؟ قال: «نعم» فنظر رسول الله ﷺ إلى شجرةٍ مِنْ وراءِ الوادِي ، فقال: ادْعُ تلك الشجرةَ ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه.

قال: مُرْها فلترجِعْ ، فعادَتْ إلى مكانها[4].

٧٤٨ ـ وعن عليٍّ نَحْوُ هذا ، ولم يذكُرْ فيها جبريل ، قال: «اللهمَّ! أَرِني آيةً

---

(١) قعاقع : صوت قوي كصوت الرَّحا ، والقعقعة : حكاية حركة الشيء يسمع له صوت.
(٢) وَسِنٌ: نَعِسٌ.
(٣) (سدرة) : واحدة شجر النَّبِق.
(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١١٣). قال ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٣٥): «وهذا إسناد على شرط مسلم». وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٤٠٢٨) ، وأبو يعلى (٣٦٨٥ ، ٣٦٨٦) ، والدارمي (٢٣).

لا أُبالي مَنْ كذّبني بَعْدَها» فدعا شجرة. . . وذكر مِثْلَه[١]. وَحُزْنُـهُ ﷺ لتكذيبِ قومه، وَطَلَبُـهُ الآيَةَ لهم، لا لَـه[٢].

٧٤٩ ـ وذكر ابنُ إسحاقَ أنّ النبيَّ ﷺ أَرَىٰ رُكَانَةَ مِثْلَ هذه الآية في شجرةٍ دعاها فأتَتْ حتى وقفَتْ بين يديه، ثم قال: «ارجعي» فَرَجَعَتْ[٣].

٧٥٠ ـ وعن الحَسن أنه ـعليه السلام‌ـ شكا إلى ربِّه من قَوْمِه وأنهم يخوِّفونه، وسأله آيَةً يَعْلَمُ بها أَنْ لا مخافةَ عليه، فأوْحَىٰ الله إليه: أن ائتِ وادي كذا، فيه شجرةٌ، فادْعُ غُصْناً منها يأْتِك. ففعل، فجاء يَخُطُّ الأرضَ خطّاً حتى انتصب بين يَدَيْهِ، فحبسه ما شاء الله، ثم قال له: «ارجِعْ كما جئتَ» فرجع، فقال: «يا ربِّ! علمتُ أن لا مخافةَ عليَّ»[٤].

٧٥١ ـ ونحوٌ منه عن عُمَرَ، وقال فيه: «أرِني آيةً لا أُباليْ مَنْ كذَّبني بعدها. . .» وذكر نحوَه[٥].

٧٥٢ ـ وعن ابن عباس [رضي الله عنهما] أنه ﷺ قال لأَعْرَابيٍّ: «أرأيتَ إنْ دعوتُ هذا العِذْقَ مِن هذه النخلةِ أتشهَدُ أني رسولُ الله؟» قال: نعم، فدعاه فجعل يَـنْـقُـزُ، حتى أتاه. فقال: «ارجعْ» فعادَ إلى مكانه[٦].

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٥٨٢): «لم أجده عن علي إنما ورد أيضاً من حديث جابر، أخرجه أبو نعيم».

(٢) أي استدعاؤه ﷺ المعجزة لقومه المكذبين، لا له ﷺ لأنه علىٰ يقينٍ من أمْرِه.

(٣) أخرجه البيهقي وأبو نعيم عن أبي أمامة/ المناهل (٥٨٣).

(٤) حديث مرسل. أخرجه البيهقي، ويونس بن بكير في زياداته علىٰ سيرة ابن إسحاق ص (٢٧٩). (يخطُّ الأرض): يشقها.

(٥) أخرجه البزار (٢٤١٠)، وأبو يعلىٰ (٢١٥) وغيره، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٠)، وتبعه السيوطي في مناهل الصفا (٥٨٥)، وسكت عنه ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٣٥).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٢٨)، وأبو يعلىٰ (٢٣٥٠) وغيره. وصححه الحاكم (٢/ ٦٢٠) ووافقه الذهبي.

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح». وصححه أيضاً ابن حبان (٢١١١) موارد =

وخرّجه الترمذيُّ ، وقال: [هذا] حديثٌ صحيح.

فصل

فِيْ قِصَّةِ حَنِيْنِ الْجِذْعِ

٧٥٣ـ٧٦٢ ـ ويَعْضُد هذهِ الأخبارَ حديثُ أنينِ الْجِذْعِ ، وهو في نفسه مشهورٌ مُنْتَشر ، والخَبَرُ به متواتِرٌ ، [قد] خرَّجه أهلُ الصَحيح ، ورَواهُ من الصحابة بضعةَ عشَر ، منهم: أُبَيُّ بن كعب ، وجابرُ بن عبد الله. وأنسُ بن مالك ، وعبدُ الله بن عُمَر ، وعبدُ الله بن عباس ، وسَهْلُ بن سعد ، وأبو سعيد الخُدْرِيّ ، وبُـرَيْـدَةُ ، وأمّ سَلَمَة ، والمُطَّلِبُ بن أبي وَدَاعَة ، كلُّهم يُحَدِّث بمعنى هذا الحديث(١).

= الظمآن. وهناك استوفينا تخريجه. (العِذق) من التمر: بمنزلة العنقود من العنب. (ينقُز): يقفز ويَثِبُ.

(١) حديث أُبَيِّ بنِ كعب أخرجه ابن ماجه (١٤١٤) وأحمد (٥/ ١٣٧) ، والدارمي برقم (٣٦) وإسناده حسن ، وحديث جابر بن عبد الله أخرجه البخاري (٩١٨) ، وحديث أنس أخرجه الترمذي (٣٦٢٧) ، وابن ماجه (١٤١٥) ، وأبو يعلى (٢٧٥٦) ، وغيره ، وصححه ابن خزيمة (١٧٧٧) ، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وحديث ابن عمر أخرجه البخاري (٣٥٨٣) ، وحديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه (١٤١٥) ، والدارمي (٣٩) وغيره ، وصحح إسناده البوصيري في الزوائد. وقال ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٤١): «وهذا إسناد علىٰ شرط مسلم». وحديث سهل بن سعد أخرجه الدارمي برقم (٤١) وإسناده ضعيف. وذكره ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٤٦) من حديث ابن أبي شيبة وقال: «وأصل هذا الحديث في الصحيحين وإسناده علىٰ شرطهما». وما أشار إليه ابن كثير أخرجه البخاري (٣٧٧) ، ومسلم (٥٤٤) وفيه قصة بناء المنبر دون ذكر الحنين. وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يعلىٰ (١٠٦٧) ، والدارمي برقم (٣٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٨٠ ـ ١٨١: «وفيه مجالد بن سعيد ، وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون». وحديث بُرَيدة بن الحُصَيْب أخرجه الدارمي برقم (٣٢) وإسناده ضعيف. وحديث أم سلمة ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٨١ ـ ١٨٢ وقال: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون». وذكره ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٥٠) من طريق أبي نُعَيْم ، وقال: «وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه». وحديث المُطَّلب بن أبي وداعة عزاه السيوطي في المناهل (٥٨٧) إلى الزبير بن بكّار في أخبار المدينة.

قال الترمذيّ: (٨٦/ب) وحديثُ أَنَس صحيح.

٧٦٣ ـ قال جابر بنُ عبد الله: كان المسجدُ مسقوفاً على جُذوعِ نَخْلٍ، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطب يقومُ إلى جذعٍ منها، فلما صُنِع له المِنْبَرُ سمعنا لذلك الْجذع صَوْتًا كصوت العِشار[١].

٧٦٤ ـ وفي رواية أنس: حتى ارتجَّ المسجدُ بخُواره[٢].

٧٦٥ ـ وفي رواية سَهْلٍ: وكثُرَ بُكاءُ الناس لِمَا رأَوْا به[٣].

٧٦٦ ـ وفي رواية المُطَّلب، و[أُبَيٍّ]: حتى تصدَّعَ وانشقَّ، حتى جاء النبيّ ﷺ، فوضع يَدَه عليه فسكتَ[٤].

٧٦٧ ـ زاد غَيْرُه: فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ هذا بَكى لِمَا فَقَدَ مِنَ الذِّكْرِ**»[٥].

٧٦٨ ـ وزَادَ غَيْرُه: والذي نَفْسي بيده! لو لم أَلْتَزِمْه لم يزَلْ هكذا إلى يوم القيامة تحزُّنَا على رسول الله ﷺ، فأمر به رسول الله ﷺ فدُفِنَ تَحْتَ المنبر[٦].

كذا في حديث المُطَّلِبِ، وسَهْلِ بن سَعْد، وإسحاقَ[٧] عن أنس.

٧٦٩ ـ [وفي بعض الروايات عن سهل: فدُفِنَتْ تحت مِنْبَره، أو جُعلت في السقف][٨].

٧٧٠ ـ وفي حديث أُبَيٍّ: فكان إذا صلَّى النبيُّ ﷺ صلَّى إليه، فلما هُدِمَ

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٧٥٤). (العِشارُ) من النوق ونحوها: ما مضىٰ علىٰ حملها عشرة أشهر.
(٢) تقدم حديث أنس برقم (٧٥٥). (بخواره) الخُوار: صوت البقر.
(٣) تقدم حديث سهل بن سعد برقم (٧٥٨).
(٤) حديث المطلب تقدم برقم (٧٦٢)، وحديث أبيّ بن كعب تقدم برقم (٧٥٣).
(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٠) من حديث جابر بن عبد الله. وأورده ابن خزيمة في صحيحه عقب الحديث (١٧٧٧). وأخرج نحوه البخاري (٣٥٨٤).
(٦) قطعة من حديث أنس المتقدم برقم (٧٥٥).
(٧) هو إسحاق بن أبي طلحة، تابعي ثقة حُجَّةٌ روىٰ له الستة. مات سنة (١٣٢) هـ وقيل بعدها/ التقريب.
(٨) تقدم حديث سهل برقم (٧٥٨).

المسجدُ أخذه أُبَيٌّ ، فكان عنده إلى أن أَكَلَتْه الأرضُ ، وعاد رُفاتاً[1] .

وذكر الإسْفَرايِيني أنَّ النبي ﷺ دعاه إلى نَفْسه ، فجاء يخرِقُ[2] الأرضَ ، فالتزمه ، ثم أمره فعادَ إلى مكانه .

٧٧١ ـ وفي حديث بُرَيْدَةَ : فقال ـ يَعْني : النبيَّ ﷺ ـ : «**إن شئْتَ أُرُدُّكَ إلى الحائط الذي كنْتَ فيه تنبتُ لك عروقُك ، ويَكْمُل خَلْقُك ، ويُجدَّد لك خُوصٌ وثمرة ، وإنْ شِئْتَ أَغْرِسْكَ في الجنّة ، فيأكل أوْلياءُ اللهِ من ثَمَرِكَ**» . ثم أَصغَى له النبيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ ما يقول .

فقال : بل تَغْرِسني في الجنَّة ، فيأكل مني أولياءُ الله ، وأكونُ في مَكانٍ لا أَبْلَى فيه .

فسمعه مَنْ يَلِيه .

فقال النبيُّ ﷺ : «**قد فعلتُ**» ثم قال : «**اختارَ دارَ البقاءِ على دار الفَنَاء**»[3] .

٧٧٢ ـ فكان الحسَنُ إذا حدَّثَ بهذا بكى ، وقال : يا عبادَ اللهِ! الخشبَةُ تَحِنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه ، فأنتم أحقُّ أنْ تَشتَاقُوا إلى لقائه[4] .

رواه عن جابرٍ : حَفْصُ بن عُبيد الله ـ ويقال : عُبيد الله بن حفص ـ وأيمن ، وأبو نَضْرَةَ ، وابن المسيَّب ، وسَعِيد بن أبي كَرِب ، وكُرَيْب ، وأبو صالح[5] .

ورواهُ عن أنس بن مالكٍ : الحسَنُ ، وثابتٌ ، وإسحاقُ بن أبي طلحة[6] .

ورواهُ عن ابن عُمر : نافعٌ ، وأبو حَيَّةَ (٨٧/ ١) .

---

(١) تقدم حديث أُبَيٍّ بن كعب برقم (٧٥٣) . (رفاتاً) الرفاتُ : الحطام والفتات من كل ما تكسَّر واندقَّ .

(٢) يخرق : يشق .

(٣) تقدم حديث بُريدة برقم (٧٦٠) . (الحائط) : البستان . (خوص) الخوص : ورق النخل .

(٤) قطعة من حديث الحسن البصري عن أنس المتقدم برقم (٧٥٥) .

(٥) ورواه أيضاً عن جابرٍ : أبو الزبير ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . وقد جمع طرقه أستاذنا الفاضل حسين أسد في مسند أبي يعلىٰ (٢١٧٧) فانظره إذا شئتَ .

(٦) وقد جمع طرقه أستاذنا الفاضل حسين أسد في مسند أبي يعلىٰ (٢٧٥٦) فانظره إذا شئت .

ورواه أبو نَضْرَةَ ، وأبو الوَدَّاكِ ، عن أبي سَعِيد .

وعَمّارُ بن أبي عَمّار ، عن ابن عباس .

وأبو حازم ، وعباسُ بن سَهْل بن سعد [1] ، عن سهل بن سعد .

وكثيرُ بن زَيْد عن المطّلب .

وعبْدُ الله بن بُرَيْدَة عن أبيه .

والطُّفيْلُ بن أُبَيٍّ ، عن أبيه .

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : فهذا حديثٌ كما تراه خرَّجه أهلُ الصحة ، ورواه من الصحابة مَنْ ذكرنا ، وغَيْرهم من التابعين ضِعْفُهم ، إلى مَنْ لم نذكره ، وبمَنْ دونَ هذا العددِ يقَعُ العِلْمُ لِمَنْ اعتنى بهذا البابِ . واللهُ المثبّتُ على الصواب .

فصـل

[فِيْ مُعْجِزَاتٍ أُخْرَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيْ سَائِرِ الجَمَادَاتِ كَتَسْبِيْحِ الطَّعَامِ وَتَسْلِيْمِ الحَجَرِ] [2]

ومِثْلُ هذا في سائر الجمادات :

٧٧٣ ـ حدثنا القاضي أبو عبد الله : محمد بن عيسى التَّمِيمي ، حدثنا القاضي أبو عَبْد الله : محمد بن المُرَابِط ، حدثنا المُهَلَّبُ : أبو القاسم [3] ، حدثنا أبو الحَسن القابِسي ، حدثنا المَرْوَزِيُّ ، حدثنا الفَرَبْرِيُّ ، حدثنا البُخَاري ، حدثنا محمد بن المُثَنَّى ، حدثنا أبو أحمد الزُّبَيْري ، حدثنا

---

(١) «ابن سعد» ، لم يرد في المطبوع .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

(٣) في المطبوع : «حدثنا المهلب حدثنا أبو القاسم» . والصواب ما في نسختنا . أبو القاسم هي كنية المهلب بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة (٤٣٥) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٧٩/١٧) .

إسرائيل ، عن منصور ، عنِ إبراهيم ، عَنْ عَلْقَمة ، عن عبد الله [بن مسعود] قال: لقد كنّا نسمَعُ تسبيحَ الطّعَام وهو يُؤكَلُ[1].

٧٧٤ ـ وفي غير هذه الروايةِ ، عن ابن مسعود: كُنَّا نأكلُ مع رسول الله ﷺ الطعامَ ونحنُ نسمعُ تسبيحَه[2].

٧٧٥ ـ وقال أنس: أخذ النبيُّ ﷺ كَفّاً من حصىً ، فسبَّحْن في يدِ رسول الله ﷺ حتىٰ سَمِعْنا التسبيحَ ، ثم صبَّهُنَّ في يدِ أبي بكر [رضي اللهُ عنه] فسبَّحْنَ ، ثم في أيدينا فما سبَّحْنَ[3].

٧٧٦ ـ ورَوى مثلَه أَبو ذرٍّ ، وذكر أنهنّ سبَّحْنَ في كفّ عُمر وعثمان[4].

٧٧٧ ـ وقال علي: كنّا بمكة مع رسول الله ﷺ ، فخرج إلى بَعضِ نواحيها فما استقْبله شجرةٌ ولا جَبَلٌ إلا قال له: السلامُ عليك ، يا رسول الله![5].

٧٧٨ ـ وعن جابر بن سَمُرَةَ ، عنه عليه السلام: «إني لأَعْرِفُ حجراً بمكةَ كان يسلِّم عليَّ»[6]. قيل: إنه الحجرُ الأسود.

٧٧٩ ـ وعن عائشة [رضي اللهُ عنها][7]: «لمَّا استقبلني جبريلُ [عليه السلام]

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٣٥٧٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٣٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) عزاه في مناهل الصفا (٥٨٩) إلىٰ ابن عساكر.
(٤) أخرجه البزار ٣/١٣٥ برقم (٢٤١٣). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/١٧٩) و(٨/ ٢٩٩). وقال في الموضع الثاني: «رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف» وقال في الموضع الأول: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف . .».
(٥) أخرجه الترمذي (٣٦٢٦) ، والدارمي برقم (٢١) ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».
(٦) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).
(٧) أي: ترفعه للنبي ﷺ.

بـالـرسـالـة جعلْـتُ لا أَمـرُّ بحَجَـرٍ ولا شجَـر إلا قـال: السـلام عليـكَ، يا رسول الله!»[1].

٧٨٠ ـ وعن جابر بن عبد الله: لم يكن [النبي] ﷺ يمرُّ بحَجَرٍ ولا شجَرٍ إلا سجد له[2].

٧٨١ ـ وفي حديث العباس (٨٧/ب)، إذ اشتمل عليه النبيُّ ﷺ وعلى بَنيه، بمُلاَءةٍ، ودعا لهم بالسَّتْرِ من النار كَسَتْرِهِ إياهم بمُلاءته، فأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الباب وحوائطُ البيت: آمين، آمين[3].

٧٨٢ ـ وعن جعفر بن محمد، عن أبيه: مَرِضَ النبيُّ ﷺ، فأتاه جبريلُ بطبَق فيه رُمَّانٌ وعِنَبٌ، فأكل منه النبيُّ ﷺ، فَسَبَّحَ[4].

٧٨٣ ـ وعن أنس: صَعِدَ النبيُّ ﷺ، وأبو بكر، وعُمَرُ، وعثمانُ، أُحُداً، فرَجف بهم فقال: «اثْبُتْ أُحُدُ، فإنما عليكَ نبيٌّ وصِدِّيق، وشهيدان»[5].

٧٨٤ ـ ومِثْلُه عن أبي هريرة في حِراءَ، وزاد: معه عليٌّ، وطلحةُ، والزُّبَيْرُ، وقال: «[فإنما] عليك نبيٌّ، أو صِدِّيق، أو شَهِيد»[6].

---

(١) أخرجه البزار (٢٣٧٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ وقال: «رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب، وهو ضعيف».

(٢) البيهقي في الدلائل/ مناهل الصفا (٥٩٤).

(٣) رواه البيهقي في الدلائل من حديث أبي أسيد الساعدي/ المناهل (٥٩٥)، ورواه ابن ماجه في سننه مختصراً كما في شمائل الرسول لابن كثير ص (٢٥٥). وفي إسناده عبد الله بن عثمان بن إسحاق الوقاصي. روىٰ عنه جماعة. وقال ابن معين: لا أعرفه. وقال أبو حاتم: يروي أحاديث مشبهة، وسيعيده المصنف برقم (١٢٧٨). (مُلاءة): ملحفة. (أُسْكُفَّةُ الباب): عَتَبَتُهُ.

(٤) قال السيوطي في المناهل (٥٩٦): «لم أجده» وذكره الحافظُ في الفتح (٦/ ٥٩٢) نقلاً عن القاضي عياضٍ.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧٥). (أحد): جبل شمالي المدينة المنورة، معروف لا يجهله أحد.

(٦) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

٧٨٥ ـ والخبَرُ في حِرَاء أيضاً عن عثمان ، قال: ومعه عَشَرَةٌ من أصْحابه أنا فيهم.

وزاد: عَبْدَ الرحمن ، وسَعْداً ، قال: ونسيتُ الاثنين[١].

٧٨٦ ـ وفي حديث سَعِيد بن زيد أيضاً مِثْلُه ، وذكر[٢] عَشَرةً ، وزاد نَفْسَه[٣].

٧٨٧ ـ وقد رُويَ أنه حين طلبَتْه قُريش قال له ثَبِيرٌ: اهْبِطْ يا رسول الله! فإني أخافُ أَنْ يقتلوكَ على ظَهْرِي فيعذبني الله.

فقال له حِرَاءُ: إليَّ يا رسول الله[٤]!

٧٨٨ ـ وعن [٥]ابن عُمرَ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ: قرأ على المِنْبر: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٩١] ، ثم قال: «**يُمجِّدُ الجبّارُ نَفْسَه ، أَنا الجبّار ، أنا الجَبّار ، أنا الكبيرُ المتعال**» ، فرجَف المِنْبَر حتى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ عنه[٦].

٧٨٩ ـ وعن ابن عباس: كان حولَ البيتِ ستّون وثلاث مئة صَنَم مُثْبَتَةُ الأرجُلِ بالرَّصاص في الحجارة ، فلمَّا دخل رسول الله ﷺ المسجد عامَ الفَتْح جعل يُشير بقَضيبٍ في يده إليها ولا يمسُّها ، ويقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٩٩) ، والنسائي ٦/ ٢٣٦ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٤٧) ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».
(٢) وفي المطبوع: «وزاد» بدل «وذكر».
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٨ ، ٤٦٤٩ ، ٤٦٥٠) ، والترمذي (٣٧٥٧) ، وابن ماجه (١٣٤). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
(٤) أورده السيوطي في مناهل الصفا (٦٠١) ، ولم يذكر من خرَّجه. (ثبير): جبل عند مكة ، وهو علىٰ يسار الذاهب من منىٰ إلىٰ عرفات. وذلك الجبل من منىٰ.
(٥) في المطبوع: «وروىٰ».
(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٧٢) بهذا اللفظ ، وهو في البخاري (٧٤١٢) ، ومسلم (٢٧٨٨/ ٢٥) بسياقة أخرىٰ. (ليخِرَّنَّ): ليسقطنَّ.

﴿ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فما أشار إلى وَجْه صنَمٍ إلاَّ وَقع لِقَفَاهُ، ولا لِقَفَاهُ إلاّ وقَع لوَجْهِه، حتى ما بقي منها صَنَمٌ[١].

٧٩٠ ـ ومثلُه في حديث ابن مسعود، وقال: فَجَعَلَ يَطْعَنُها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[٢] [سبأ: ٤٩].

٧٩١ ـ ومن ذلك حديثُه مع الراهب في ابتداءِ أَمْرِه[٣]، إذ خرج تاجراً مع عمِّه، وكان الراهبُ لا يخرجُ لأَحَدٍ، فخرج وجعل يتخَلَّلُهم، حتى أخذَ بيدِ رسول الله ﷺ (٨٨/أ) فقال: هذا سيِّدُ العالَمين، يَبْعَثُه اللهُ رحمةً للعالَمين.

فقال له أَشياخٌ مِنْ قُريش: ما عِلْمُكَ؟ فقال: إنه لم يَبْقَ شَجَرٌ ولا حَجَرٌ إلاّ خَرَّ ساجداً له، ولا يسجدُ إلاّ لنبيّ... وذكر القِصّةَ، ثم قال: وأَقْبل ﷺ وعليه غَمَامةٌ تُظِلُّه، فلما دنا من القوم، وجدهم سبقوه إلى فَيْءِ الشجرة، فلما جلس، مال الفَيْءُ إليه.

فصل

فِيْ الآيَاتِ فِيْ ضُرُوْبِ[٤] الحَيَوانَاتِ

٧٩٢ ـ حدثنا سراجُ بن عبد الملك: أبو الحسين الحافظ[٥]، حدثنا أبي، حدثنا القاضي يونس، [قال] حدثنا أبو الفضلِ الصَّقَلِّي، حدثنا ثابت بن

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٧٦ وقال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات، ورواه البزار باختصار».

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٢٠)، والبيهقي في الدلائل من حديث أبي موسىٰ الأشعري، وصححه الحاكم في المستدرك ٢/٦١٦ والحافظ ابن حجر وغيره، وحسَّنه الترمذي وقدح فيه بعضهم. انظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٣٣، وسيعيده المصنف برقم (١١٢١).

(٤) ضروب: أنواع.

(٥) في المطبوع: «حدثنا سراج بن عبد الملك، حدثنا أبو الحسين الحافظ»، وهو غلط. أبو الحسين كنيته سراج بن عبد الملك، وقد روى عنه المصنف في أكثر من موضع. انظر الحديث المتقدم برقم (٤٧٢).

قاسم بن ثابت ، عن أبيه وجدّه ، قالا : حدثنا أبو العلاء : أحمد بن عِمْران ، حدثنا محمد بن فضيل[١] ، حدثنا يونس بن عمرو ، حدثنا مُجاهد ، عن عائشة [رضي الله عنها] قالت : كان عندنا دَاجِنٌ ، فإذا كان عندنا رسولُ الله ﷺ قَرَّ وثبتَ مكانَه ، فلم يجيءْ ولم يذهَبْ ، وإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذَهَبَ[٢] .

٧٩٣ ـ ورُوي عن عُمَرَ أنَّ رسول الله ﷺ كان في مَحْفِل من أصحابه إذ جاءَ أعرابيٌّ قد صادَ ضَبّاً ، فقال : من[٣] هذا؟ قالوا : نبيُّ الله . فقال : واللّاتِ والعُزَّىٰ! لا آمَنْتُ بكَ أو يُؤمِنَ بك هذا الضَّبُّ ، وطَرَحه بين يدي النبيِّ ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : «يا ضَبُّ!» ، فأجابه بلسانٍ مُبينٍ يَسْمَعُهُ القومُ جميعاً : لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا زَيْنَ مَنْ وَافَى القيامة .

قال : «مَنْ تَعْبُدُ؟» قال : الذي في السماء عَرْشُه ، وفي الأرضِ سُلطَانُه ، وفي البحر سبيلُه ، وفي الجنة رَحْمَتُه ، وفي النار عِقابُه .

قال : «فمَنْ أنا؟» قال : رسولُ ربِّ العالمين ، وخاتِمُ النبيِّين ، وقد أفلحَ مَنْ صَدَّقَك ، وخابَ مَنْ كذَّبك ، فأسلم الأعرابيُّ[٤] .

---

(١) في الأصل : «محمد بن فضل» ، وضبطه القاري «فضيل» مُصغراً .

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ١١٢ ، ١٥٠ ، ٢٠٩ ، وأبو يعلىٰ (٤٤٤١ ، ٤٦٦٠) وغيره من طرق حدثنا يونس بن عمرو بهذا الإسناد ، وقال ابن كثير في الشمائل ص (٢٨٠) عن إسناد أحمد : «وهذا الإسناد على شرط الصحيح» . وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣ ـ ٤ وقال : «رواه أحمد وأبو يعلىٰ ، والبزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح» وصححه السيوطي في مناهل الصفا (٦٠٥) . (داجن) : هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم . وقد يقع على غير الشاء من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها . وفي رواية أحمد وأبي يعلىٰ : «وحش» بدل «داجن» . (قرَّ) : سَكَنَ .

(٣) في المطبوع : «ما» .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤ وقال : «رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، عن شيخه محمد بن علي بن الوليد البصري . قال البيهقي : والحمل في هذا الحديث عليه ، قلت : وبقية رجاله رجال الصحيح» . وقال ابن دحية : «حديث الضب موضوع» . وقال الذهبي في الميزان : «خبر باطل» . وقال الحافظ المِزّي : «لا يصح إسناداً=

٧٩٤ ـ ومن ذلك قصةُ كلام الذّئب المشهورةُ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ:

بَيْنا راعٍ يَرْعَىٰ غَنَماً له، عرَضَ الذئبُ لشاةٍ منها، فأخذها الرَّاعي منه، فأَقعىٰ الذئبُ، وقال للرَّاعي: ألا تَتَّقِي الله! حُلْتَ بيني وبَيْنَ رِزْقِي!

قال الرَّاعي: العَجَبُ من ذِئبٍ يَتَكَلَّمُ بكلام الإنس! فقال الذّئبُ: ألا أُخْبرك بأعجب من ذلك؟ رسولُ الله ﷺ بين الحَرَّتَيْنِ (٨٨/ب) يحدث الناسَ بأنباء ما قد سَبَق.

فأتى الرَّاعي النبيَّ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «قُمْ فَحدِّثْهُمْ»، ثم قال: «صَدَق»(١).

والحديث فيه قصةٌ، وفي بعضه طُول.

٧٩٥ ـ ورُوِي حديثُ الذئب عن أبي هُريرةَ.

وفي بعض الطُّرُقِ عن أبي هُريرة [رضي الله عنه]: فقال الذِّئبُ: أنتَ أعجَبُ واقفاً على غَنَمك، وتركْتَ نبيّاً لم يَبْعَث الله قَطُّ نبيّاً أعظمَ منه عنده قَدْراً، قد فُتِحَت له أبوابُ الجنَّة، وأشرفَ أهلُها على أصحابه، ينظرون

= ولا متناً، وهو مطعون فيه، وقيل: إنه موضوع». وقال الحوت البيروتي في أسنىٰ المطالب ص (٢٨٨): «كَذِبٌ وافتراء عليه ﷺ» وانظر شمائل الرسول لابن كثير ص (٢٨٥). (مَحْفِل): مكان الاجتماع، و ـ المجلس/ المعجم الوسيط: (الضَّبُّ): حيوان من جنس الزواحف.

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٨٣ ـ ٨٤، ويونس بن بكير في زياداته علىٰ سيرة ابن إسحاق ص (٢٧٩ ـ ٢٨٠) وغيره. وقال ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٧٤): «وهذا إسناد على شرط الصحيح وقد صححه البيهقي»، وصححه أيضاً الحاكم ٤/ ٤٦٨ ووافقه الذهبي. وكذلك صححه ابن حبان (٢١٠٩) موارد الظمآن، وهناك، استوفينا تخريجه. (أقعىٰ): جلس علىٰ استه، وبسط ذراعيه مفترشاً رجليه وناصباً يديه/ المعجم الوسيط. (الحَرَّتين): تثنية حَرَّة، وهي أرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأنها أحرقت بالنار. وفي المدينة حِرَارٌ كثيرة. ذكرها أستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب في كتابه القيّم «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» ص (٩٨ ـ ١٠٠). وأشهر حرار المدينة: حَرَّةُ واقمٍ وهي الحرَّة الشرقية، وحَرَّة الوَبَرَة، وهي الحَرَّة الغربية.

قِتَالهم ، وما بينكَ وبينه إلا هذا الشِّعْبُ ، فتَصِير في جنود الله!

قال الرَّاعي: مَنْ لي بغَنَمي؟ قال الذئبُ: أنا أرعاها حتى ترجِعَ.

فأسلم الرجلُ إليه غَنَمه ومضَى.

وذَكَرَ قصتَه وإسلامَه ووجودَه النبيَّ ﷺ يُقاتل ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**عُدْ إلى غَنمكَ تجدْها بوَفْرِها**».

فوجدها كذلك ، وذبح للذِّئْبِ شاةً منها[1].

٧٩٦ ـ وعن أُهْبانَ بن أَوسٍ: وأنه كان صاحبَ هذه القصَّة ، والمحدِّثَ بها ، ومكلِّم الذئب[2].

٧٩٧ ـ وعن سلمةَ بن عَمْرو بن الأَكْوَعِ: أنه كان صاحبَ هذه القصة أيضاً ، وسبَبَ إسلامِهِ بِمثْلِ حديث أبي سَعيد[3].

٧٩٨ ـ وقد رَوَى ابنُ وَهْبٍ مِثْلَ هذا أنه جَرَى لأبي سُفْيانَ بن حَرْب ، وصَفْوانَ بن أُمَيَّةَ ، مع ذئب وَجَدَاه أَخَذَ ظَبْياً ، فدخل الظَّبْيُ الْحَرَم ، فانصرفَ الذئبُ ، فَعَجِبا من ذلك ، فقال الذئبُ: أعجبُ من ذلك محمدُ بن عبد الله بالمدينة ، يدعوكم إلى الجَنَّةِ وتدعونه إلى النار.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٠٦ ، ومَعْمَرُ بن راشد في «الجامع» ١١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ وغيره ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩١ ـ ٢٩٢ وقال: «قلت: هو في الصحيح باختصار ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات» ، وجوَّد إسناده السيوطي في مناهل الصفا(٦٠٨). وما أشار إليه الهيثمي أخرجه البخاري (٣٦٩٠) ، ومسلم (٢٣٨٨). (الشِّعْبُ): الطريق بين جبلين ، أو ما انفجر بينهما ، أو مسيل الماء في بطن من الأرض له جرفان مشرفان ، وأرضه بطحة. (بوفرها): بكمالها وتمامها لم ينقص منها شيء.

(٢) أخرجه البخاري في التاريخ ، والبيهقي في الدلائل. قال البخاري: «إسناده ليس بالقوي» اهـ. لأن فيه عبد الله بن عامر الأسلمي وهو ضعيف. قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة أُهبان. وتزعم أيضاً طيِّىء أن رافع بن عميرة الطائي هو الذي كلمه الذئب ، انظر أسد الغابة ٢/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) أورده السيوطي في المناهل ٦١٠) ، ولم يذكر من خرَّجه.

فقال أبو سُفيان: واللَّاتِ والعُزَّى! لئن ذَكَرْتَ هذا بمكة لَتَتْرُكَنَّها خُلُوفاً[1].

وقد رُوِي مِثْلُ هذا الخَبَرِ ، وأنه جَرَى لأبي جَهْل وأصحابه.

٧٩٩ ـ وعن عباس بن مِرْدَاسٍ: لمَّا تعجَّب من كلام ضِمَارٍ: صَنَمِهِ ، وإنشادِه الشِّعرَ الذي ذكر فيه النبيَّ ﷺ ، فإذا طائرٌ سقطَ ، فقال: يا عباسُ! أتعجبُ مِن كلام ضِمَارٍ ، ولا تعجب من نَفْسِك؟ إنَّ رسول الله ﷺ يَدْعُو إلى الإسلام وأَنْتَ جالسٌ؟ فكان سببَ إسلامِه[2].

٨٠٠ ـ وعن جابر بن عَبْد الله [رضي الله عنهما] عن رجل أَتَى النبيَّ ﷺ وآمنَ به وهو على بعض حصونِ خَيْبَرَ[3] ، وكان في غَنَمٍ يرعاها لهم (٨٩/أ) فقال: يا رسول الله! كيف بالغنم؟ قال: «**احْصِبْ وجُوهَها ، فإنَّ الله سيؤدِّي عنكَ أمانَتَك ، ويردُّها إلى أهلها**».

ففعلَ ، فسارت كلُّ شاةٍ حتى دخلَتْ إلى أهلها[4].

٨٠١ ـ وعن أنس [رضي الله عنه] دخل النبيُّ ﷺ حائطَ أنصاريٍّ ، وأبو بكر ، وعُمر ، ورجلٌ من الأنصار [رضِيَ اللهُ عنهم] ، وفي الحائط غَنَمٌ

---

(١) نقله عن القاضي عياضٍ الحافظُ ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٨٠) . (ذَكَرْتَ): المخاطَبُ صفوان بن أميّة . (الظبي): الغزال . (خُلوفاً): أي خالية من أهلها.

(٢) قال السيوطي في المناهل (٦١٢): «لم أقف عليه كذا ، وفي معجم الطبراني الكبير من حديثه قريب من هذا بسند لا بأس به» ا هـ. وحديث الطبراني ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/٨ ـ ٢٤٧) وقال: «فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ، ضعفه الجمهور ، ووثقه سعيد بن منصور ، وقال: كان مالك يرضاه ، وبقية رجاله وثقوا» وانظر السيرة لابن هشام ٤٢٧/٢ (ضمار) : هو بالبناء على الكسر كحذام ورقاش.

(٣) خيبر: بلدة معروفة في المملكة السعودية ، تبعد عن المدينة المنورة (١٦٥) كيلاً شمالاً على طريق الشام/ المعالم الأثيرة.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل/ المناهل (٦١٣). (احصب وجوهها): ارم وجوهها بالحصباء ، وهي صغار الحجارة.

فسجدَتْ له. فقال أبُو بكر: نحن أحقُّ بالسجود لكَ منها... الحديث [1].

٨٠٢ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]: دخل النبيُّ ﷺ حائطاً، فجاء بعيرٌ فسجد له، وذكر مِثْلَه [2].

٨٠٣ ـ ٨٠٦ ـ ومِثْلُه في الجَمَلِ، عن ثعلبة بن مالكٍ، وجابر بن عبد الله، ويَعْلىٰ بن مُرّة، وعبد الله بن جعفر، قال: وكان لا يدخلُ أحدُ الحائطَ إلاّ شدَّ عليه الجَمَلُ، فلما دخل عليه النبيُّ ﷺ دَعَاه، فوضع مِشْفَرَه، على الأرض، وبرَكَ بين يديه، فخطَمه، وقال: «**مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ شَيْءٌ إلاّ يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ الله ﷺ إلاّ عاصِيَ الجِنِّ والإِنْسِ**» [3].

---

(١) أورده ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٧٣) وقال: «غريب وفي إسناده من لا يعرف» وأخرجه برواية أخرىٰ الساجد فيها جمل استصعب عليهم ـ أحمد ٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩، والبزار (٢٤٥٤)، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤ وقال: «رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص بن أخي أنس». وصحح إسناده السيوطي في مناهل الصفا (٦١٤)، وجوَّده ابن كثير في شمائل الرسول ص: (٢٥٩).
(حائطَ أنصاري): أي بستانه.

(٢) أخرجه البزار (٢٤٥١)، وعبد الله بن حامد في «دلائل النبوة» كما في «شمائل الرسول» ص (٢٦١). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٧ وقال: «رواه البزار، وروىٰ الترمذي طرفاً من آخره، وإسناده حسن»، وتبعه على تحسينه السيوطي في المناهل (٦١٥).

(٣) حديث ثعلبة بن مالك أخرجه أبو نعيم في الدلائل، وحديث جابر بن عبد الله أخرجه أحمد ٣/ ٣١٠، والدارمي برقم (١٨) وغيره، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٧: «رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف». وحديث يعلىٰ بن مرة أخرجه أحمد ٤/ ١٧٠ ـ ١٧٢ وغيره، وصححه والعراقي في تخريج الإحياء (١/ ١١٣) والحاكم ٢/ ٦١٧ ـ ٦١٨ ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦: «رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح». وأورد طرقه ابن كثير في شمائل الرسول ص (٢٦٣ ـ ٢٦٧) وقال: «فهذه طرق جيدة متعددة». وحديث عبد الله بن جعفر أخرجه أبو داود (٢٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٠٤) وصححه الحاكم ٢/ ٩٩ ـ ١٠٠ ووافقه الذهبي، وذكره النووي في رياض الصالحين (١٠٠٩) بتحقيقي، وهو لا يذكر إلا حديثاً صحيحاً كما نبه في المقدمة وهو حديث طويل روىٰ بعضه مسلم (٣٤٢). (الحائط): البستان. (شد عليه الجمل): حمل عليه وأسرع نحوه هائجاً. (المِشْفَرُ): شفة البعير الغليظة. (خَطَمَهُ): وضع في أنفه الخِطَامَ، وهو الرَّسَنُ.

٨٠٧ ـ ومِثْلُه عن عَبْد الله بن أبي أَوْفى[١].

٨٠٧م ـ وفي خبر آخر في حديثِ الجَمَل أنّ النبي ﷺ سألهم عن شأْنِه، فأخبروه أنهم أرادوا ذبْحَه.

وفي رواية: أن النبيَّ ﷺ قال لهم: «**إنه شَكَا كَثْرَةَ العملِ، وقِلَّة العَلَفِ**».

وفي رواية: «**أنه شكا إليَّ أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاقِّ العمل**[٢] **من صغره**» فقالوا: نعم[٣].

٨٠٨ ـ وقد روِي في قصة العَضْبَاء[٤] وكلامِها النبيَّ ﷺ، وتعريفِها له بنفسها، ومبادرةِ العُشْبِ إليها في الرَّعْيِ، وتجنُّبِ الوحوشِ عنها، وندائهم لها: إنَّـكِ لِمُحَمَّدٍ، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتّى[٥] ماتَتْ. ذكره الإسفراييني[٦].

٨٠٩ ـ وروى ابْنُ وَهْبٍ، أنَّ حمامَ مكةَ أظلَّت النبيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِها، فدعا لها بالبركة[٧].

٨١٠ ـ ورُوي عن أنس، وزيد بن أَرْقَم، والمغيرة بن شعبة ـ أنَّ النبيَّ ﷺ

---

(١) نسبه في المناهل (٦١٥) إلى أبي نعيم والبيهقي.

(٢) قوله: «وفي رواية: أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاقّ العمل»، لم يرد في المطبوع. وهو مثبت أيضاً في شرح الخفاجي والقاري.

(٣) تكليم الجمل له ﷺ حين دخل حائط أنصاري لم يثبت، بل ثبت أنه حَنَّ وذرفت عيناه كالمستجير به المشتكي/ قاله الحوت البيروتي في أسنى المطالب ص (٨٨)، وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٧ـ ٩.

(٤) العضباء: اسم لناقة النبي ﷺ، وناقة عضباء: أي مشقوقة الأذن، ولم تكن العضباء مشقوقة الأذن، وقال بعضهم: إنها كانت مشقوقة الأذن. والأول أكثر.

(٥) في المطبوع: «حين». والصواب ما في نسختنا.

(٦) قال الـدَّلَجي: «وأما قصة العضباء فلم أدر من رواها ولا حديث حمام مكة» أي: الحديث التالي.

(٧) انظر التعليق السابق.

[قال]: ليلة الغارِ أمر اللهُ شجرةً ، فنبتت تُجَاهَ النبيّ ﷺ فسترته ، وأمر حمامَتَيْنِ فـوَقَـفَـتَا بفَمِ الغار[1].

٨١٠م ـ وفي حديثٍ آخر: وأنّ العنكبوتَ نسجت على بابه[2] ، فلما أَتى الطالبون له ، ورأوا ذلك ، قالوا: لو كان فيه أحد (٨٩/ب) لم تكن الحماماتانِ ببابه ، والنبيُّ ﷺ يسمَعُ كلامَهم ، فانصرفوا.

٨١١ ـ وعن عبد الله بن قُـرْطٍ: قُرِّبَ إلى رسول الله ﷺ بَدَنَاتٌ خَمْسٌ أو سِتٌّ أو سبع ، ليَنْحَرَها يوم عيد ، فازْدَلَـفْـنَ إليه بأيَّتِهنَّ يبدأ[3].

٨١٢ ـ وعـن أُمِّ سلَمـةَ: كـان النبـيُّ ﷺ فـي صحـراء ، فنـادَتْـهُ ظَبْيَـةٌ ، يا رسول الله! قال: «مَا حَاجَـتُـكِ؟» قالت: صادَني هذا الأعرابيّ ، ولي خِشْفانِ في ذلك الجبَل ، فأَطْلِقْني حتى أذهبَ فَأُرْضِعَهما وأَرجِعَ.

قال: «وتَفْعَلين؟» قالت: نعم. فأطلقها ، فذهبت ورجعت ، فأوثقها ، فانْتَبه الأعرابيُّ وقال: يا رسول الله! أَلَكَ حاجةٌ؟ قال: «تُـطلق هذه الظَّبْـيَة»

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل وأبو نعيم في الدلائل أيضاً. وابن عساكر كما في البداية والنهاية (١٥٨/٣ ـ ١٥٩). وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه» وزاد نسبته في المناهل إلى ابن سعد والبزار. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٣١ وقال: «رواه الطبراني في الكبير ، وأبو مصعب المكي والذي روىٰ عنه وهو: عوين بن عمرو القيسي لم أجد من ترجمهما وبقية رجاله ثقات». وقال الحوت في أسنىٰ المطالب ص (٢٨٦): «ما يذكر في السير من نبات شجرة عند فم الغار وقت هجرته... باطل لا أصل له».

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٨/١ من حديث ابن عباس. قال ابن كثير في السيرة ٢/ ٢٣٩: «وهذا إسناد حسن ، وهو أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار» وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧ وقال: «رواه أحمد والطبراني ، وفيه عثمان بن عمرو الجزري ، وَثَّقه ابن حبان ، وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح». وسيأتي ذكر الحمام والعنكبوت برقم (١٠٦١).

(٣) أخرجه أبو داود (١٧٦٥) ، وأحمد ٤/ ٣٥٠ ، وصححه الحاكم ٤/ ٢٢١ ووافقه الذهبي ، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (١١٧٩) ، وزاد نسبته المنذري للنسائي أيضاً. (بدنات): جمع بَدَنةٍ ، وتقع على الجمل والناقة والبقرة ، وهي بالإبل أشبه ، وسميت بَدَنَةً لِعِظَمِها وسمنها. (ازدلفن): اقتربْنَ.

فأطلقها فخرجَتْ تَعْدُو في الصحراء ، وتقول: أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنك رسول الله[1].

٨١٣ ـ وفي[2] هذا الباب ما رُوي مِنْ تسخِير الأَسَدِ لسفينةَ : مولى رسول الله ﷺ ، إذ وجَّهَهُ إلى مُعَاذٍ باليَمن ، فَلقِي الأَسدَ فعرَّفَه أنه مَوْلَى رسول الله ﷺ ، ومعه كِتَابُه ، فَهَمْهَم وتنحّى عن الطريق ، وذكر في مُنْصَرَفه مِثْلَ ذلك[3].

٨١٤ ـ وفي رواية أُخرى عنه: أن سفينةً تكسَّرَت به ، فخرج إلى جزيرةٍ فإذا الأسدُ ، فقلتُ له: أنا مَوْلَى رسول الله ﷺ ، فجعل يَغْمِزني بمَنْكِبه حتى أَقَامني على الطريق[4].

٨١٥ ـ وأخذ ـ عليه السلام ـ بأُذُنِ شاةٍ لقوم من عبد القيس بين إِصبَعيه ، ثم

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٥ وقال: «رواه الطبراني ، وفيه أغلب بن تميم ، وهو ضعيف»: وأورده الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٥٦٨ وصدَّره بـ (رُوِيَ) دلالة على ضعفه كما نبه على ذلك في المقدمة. وفي الباب: عن أنس وأبي سعيد الخدري وزيد ابن أرقم ولا تخلو طرقها من ضعيف أو نكارة. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (٣٣٢): «تسليم الغزالة اشتهر على الألسنة ، وفي المدائح النبوية ، وليس له ـ كما قال ابن كثير ـ أصل ، ومن نسبه إلىٰ النبي ﷺ فقد كذب ، ولكن قد ورد الكلام في الجملة في عدة أحاديث يقوي بعضها بعضاً. . .» وانظر شمائل الرسول ص (٢٨١ ـ ٢٨٤). (ظَبْيَةٌ): غزالة (خشفان): تثنية خشف ، وهو ولد الغزال. ويطلق على الذكر والأنثىٰ. (تعدو): تجري بسرعة.

(٢) في المطبوع: «ومن».

(٣) ذكره البخاري في التاريخ ، وأخرج معمر بن راشد في «الجامع» برقم (٢٠٥٤٤) ، والبغوي (٣٧٣٢) وغيره من طريق محمد بن المنكدر أن سفينة أخطأ الجيش بأرض الروم ـ أو أُسر في أرض الروم ـ فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد. . . وانظر الرواية التالية. (هَمْهَمَ) الهمهمة: كلام خفي لا يفهم ، وأصل الهمهمة: صوت البقر.

(٤) أخرجه البزار ، والبيهقي ، وصححه الحاكم (٢/ ٦١٩) و(٣/ ٦٠٦) ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٦٩ وقال: «رواه البزار والطبراني بنحوه. . . ورجالهما ثقوا». (يغمزني): يدفعني. (المَنْكِبُ): مجتمع رأس العضد والكتف. (أقامني على الطريق): دَلّني عليه.

خلاّها فصار لها مِيْسماً ، وبقيَ ذلك الأثَر فيها وفي نَسْلها بَعْدُ[١] .

٨١٦ ـ وما رُوِيَ عن إبراهيم بن حَمّادٍ بسنَده من كلام الحِمَار الذي أَصابه بخَيْبَر ، وقال له : اسمي يزيدُ بن شهاب . .

فسمّاه النبيُّ ﷺ يَعْفُوراً ، وأنه كان يوجِّهُهُ إلى دُور أَصحابه ، فيضرب عليهم البابَ برأسِه ، ويَسْتدْعِيهم ، وأنَّ النبيَّ ﷺ لما مات تردَّى في بئرٍ ، جَزَعاً وحُزْناً ، فمات[٢] .

٨١٧ ـ وحديثُ الناقةِ التي شهِدتْ عند النبيِّ ﷺ لصاحِبها أنه ما سرقها ، وأنها مِلْكُه[٣] .

٨١٨ ـ وفي حديث[٤] العَـنْـز التي أَتَتْ رسول الله ﷺ في عسكره ، وقد أَصابهم (٩٠/أ) عَطَش ، ونزلوا على غير ماءٍ ، وهم زُهاءُ ثلاث مِئَةٍ فحلبها رسول الله ﷺ ، فَأَرْوىٰ الجُنْـدَ ، ثم قال لرافع[٥] : «أَمْلِكْها وما أُراكَ» فربطها فوجدها قد انطلقت .

---

(١) أورده السيوطي في المناهل (٦٢٣) ، ولم يذكر من خرَّجه . وقال الخفاجي : «لا يعلم من رواه من المحدثين» . (مِيسَماً) : علامة .

(٢) ذكره ابن حبان في المجروحين (٢/٣٠٨) ، وابن الجوزي في الموضوعات ، وابن كثير في «شمائل الرسول» ص (٢٨٨) ، وابن حجر في «الإصابة» ٤/١٨٦ من حديث أبي منظور . قال ابن حبان : «هذا حديث لا أصل له» . وقال ابن كثير : «أنكره غير واحدٍ من الحفاظ الكبار» ، وقال الحافظ أبو موسىٰ المديني : «هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتناً ، لا أحل لأحد أن يرويه عني إلا مع كلامي عليه . . .» وقال الحافظ في الإصابة ـ ترجمة أبي منظور ـ خبر واهٍ» . وقال الحوتُ في أسنىٰ المطالب ص (٨٨) : «لم يثبت فهو موضوع» .

(٣) أخرجه الحاكم (٢/٦١٩ ـ ٦٢٠) من حديث ابن عمر ، وقال : «رُواةُ هذا الحديث عن آخرهم ثقات ، ويحيى بن عبد الله المِصْري هذا ، لست أعرفه بعدالة ولا جرح » وقال الذهبي متعقباً الحاكم : «قلت : هو الذي اختلقه» وقال أيضاً عن هذا الخبر : «هو كَذِبٌ» . ورواه أيضاً الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل كما في المناهل / ٦٢٥/ . وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ٩/ ١١ : «فيه من لم أعرفه» .

(٤) كلمة : «حديث» ، لم ترد في المطبوع .

(٥) هكذا في الأصل والمطبوع . وأظنه تحريفاً ، صوابه : «النافع» . و«نافع» صحابي غير منسوب روىٰ حديث العنز . انظر ترجمته في أسد الغابة والإصابة .

رواه ابنُ قانع وغَيْرُه ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : «إنّ الذي جاء بها هو الذي ذهب بها»[1] .

٨١٩ ـ وقال لفرسه ، عليه السلام ـ وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره ـ : «لا تَبْرحْ ، باركَ اللهُ فيك ، حتى نَفْـرَغَ من صلاتنا» وجعله قِبْلَتَه ، فما حرّكَ عُضواً منه حتى صلى ﷺ[2] .

٨٢٠ ـ [ويلتحقُ بهذا ما رواه الواقدي : أنَّ النبيَّ ﷺ لما وجَّهَ رسُلَه إلى الملوك ، فخرجَ ستةُ نفرٍ منهم في يوم واحد ، فأصبح كلُّ رجلٍ منهم يتكلم بلسانِ القوم الذين بعثه إليهم][3] .

والحديثُ في هذا الباب كثير ، وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كُتُبِ الأئمة .

فصل

فِيْ إِحْيَاءِ المَوْتَىٰ وَكَلَامِهِمْ ، وَكَلَامِ الصِّبْيَانِ والمَرَاضِعِ[4] وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ﷺ

٨٢١ ـ حدثنا أبو الوليد : هِشَام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه ، والقاضي أبو الوليد : محمد بن رُشْد ، والقاضي أبو عبد الله : محمد بن عيسى

---

(١) أخرجه ابن سعد ، وأبو أحمد الحاكم في الكنىٰ ، وابن قانع ، وابن السَّكَنِ ، والبيهقي من حديث نافع وكانت له صحبة. قال ابن كثير في «شمائل الرسول» ص : (١٩٥) : «حديث غريب جداً إسناداً ومتناً» . وأخرجه ابن عدي والبيهقي ـ كما في المناهل (٦٢٦) ـ من حديث سعد مولى أبي بكر . قال ابن كثير في الشمائل ص (١٩٥) : «وهذا أيضاً حديث غريب جداً إسناداً ومتناً وفي إسناده مَنْ لا يعرف حاله» . وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣١٣ ، وقال : «رواه الطبراني ورجاله ثقات» . (العنز) : الأنثىٰ من المعزِ والظباء . (زُهاء ثلاث مئة) : أي قَدْر ثلاث مئة . (أملكها وما أُراك) : أي احتفظ بها وما أعتقد أنك تقدر على ذلك .

(٢) ذكره في المناهل (٦٢٧) ولم يخرجه .

(٣) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المُصنَّفِ (١٤/ ٣٢٨) .

(٤) (المراضع) : جمع مرضع ، اسم مفعول ، وهو الولد الصغير / قاله الخفاجي ٣/ ٩٠ .

التميمي ، وغَيْرُ واحدٍ سماعاً وإذْناً ، قالوا : حدثنا أبو علي الحافظ قال : حدثنا أبو عُمرَ الحافظ ، حدثنا أبو زيد : عبد الرحمن بن يحيى ، حدثنا أحمد بن سَعِيد ، حدثنا ابنُ الأعرابي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا وهْبُ بن بَقِيَّة ، عن خالد ـ هو الطحّان ـ عن محمد بن عَمْرٍو ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هريرة : أَنَّ يهوديَةً أَهْدت للنبي ﷺ بخَيْبَر شاةً مَصْلِيَّـةً سَمَّتْهَا ، فأكل رسول الله ﷺ منها ، وأكل القَوْمُ ، فقال : «ارفَعُوا أيديَكم فإنها أَخْبَـرَتْـنِي أَنَّـهَا مَسْمُومـةٌ» . فمات بِشْر بن البراء .

وقال لليهودية : «ما حملكِ على ما صَنَعْتِ؟» قالت : إنْ كنْتَ نبيّاً لم يَضُرَّكَ الذي صَنعْتُ ، وإنْ كنتَ مَلِكاً أرحْتُ الناسَ منك . قال : فأمر بها فقُتِلت[1] .

٨٢٢ ـ وقد رَوىٰ هذا الحديثَ أَنسٌ ، وفيه : قالت : أردتُ قَتْلَكَ . فقال : (٩٠/ب) «ما كان اللهُ لِيُسلِّطَكِ على ذلك» . فقالوا : نقتلها؟

قال : «لا»[2] .

٨٢٣ ـ وكذلك رُوي عن أبي هريرة ـ من حديث[3] غير وَهْبٍ ـ قال : فما عَرضَ لها[4] .

٨٢٤ ـ ورواه أيضاً جابر بن عبد الله ، وفيه : «أَخْبَـرَتْـنِي به هذه الذِّراعُ» قال : ولم يعاقِبْها[5] .

٨٢٥ ـ وفي رواية الحسن : «أنّ فَخِذَها تكلمني أنها مسمومةٌ» .

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٥١٢) ولم يذكر أبا هريرة . وأخرجه الحاكم (٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة ، وقال : صحيح علىٰ شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وأصل حديث أبي هريرة رواه البخاري (٣١٦٩) . (مَصْليّة) : مشويّة .
(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٧) ، ومسلم (٢١٩٠) ، وسيأتي طرف منه برقم (٨٢٨) .
(٣) في المطبوع : «من رواية» .
(٤) أخرجه أبو داود (٤٥٠٩) ، والبيهقي . وانظر البخاري (٤٢٤٩) .
(٥) أخرجه أبو داود (٤٥١٠) من طريق ابن شهاب قال : كان جابر يحدث . . . وهذا إسناد منقطع . لكن أحاديث الباب تشهد له .

٨٢٦ ـ وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن قالت: «**إني مسمومة**»[١].

٨٢٧ ـ وكذلك ذكر الخَبَرَ ابنُ إسحاق[٢]، وقال فيه: فتجاوز عنها.

٨٢٨ ـ وفي الحديث الآخر، عن أَنس أنه قال: فما زلْتُ أَعرِفُها في لَهَواتِ رسول الله ﷺ[٣].

٨٢٩ ـ وفي حديث أبي هُريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال في وَجَعهِ الذي مات فيه[٤]: «**ما زالَتْ أُكْلَةُ خَـيْـبَـرَ تُعادُّني، فالآنَ أَوَانَ قَطَعَتْ أَبْهَري**»[٥].

٨٣٠ ـ وحكى ابن إسحاق[٦]: إنْ كان المسلمون ليَرَوْنَ أنَّ رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمَهُ اللهُ به من النبوّة.

وقال ابنُ سُحْنون[٧]: أَجمع أَهلُ الحديث أنّ رسول الله ﷺ قتلَ اليهوديّة التي سمَّتْـهُ.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٥١٢*) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً.

(٢) في الأصل: «عن إسحاق» وهوتحريف. والمثبت من المطبوع والخبر في سيرة ابن إسحاق، كما نقله عنه ابن هشام في السيرة ٢/ ٣٣٨.

(٣) متفق عليه وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (٨٢٢). (لَهَوَاتِ) اللهوات: جمع لَهَاةٍ، وهي اللَّحَمَاتُ في سقف أقصىٰ الفم/ النهاية.

(٤) في الأصل: «منه»، والمثبت من المطبوع.

(٥) نسبه في المناهل (٦٣٢) إلىٰ ابن سعد. وأخرجه أبو داود (٤٥١٢*) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، ولم يذكر أبا هريرة، وعلّقه البخاري (٤٤٢٨) من حديث عائشة. (الأُكْلَةُ): اللقمة التي أَكَلَ مِن الشاة/ النهاية. (تعادُّني): أي تراجعني ويعاودني ألمُ سُمها في أوقاتٍ معلومة/ النهاية. (أوان): الحين والزمان. (أبْهَري) قال أهل اللغة: الأبهرُ: عرق مستبطن بالظهر، متصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه اهـ الفتح (٧/ ١٣١).
وفي علم الطب: وريدٌ، وهما اثنان، الأعلىٰ والأسفل، وهما الوريدان اللذان يتجمَّع فيهما الدم من جميع أوردة الجسم، ويعودان به إلىٰ الأُذَيْن الأيمن من القلب/ الصحاح في اللغة والعلوم.

(٦) كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨.

(٧) هو محمد أبو عبد الله، ابن فقيه المغرب، عبد السلام سُحنُون التنوخي. كان إماماً ثقة علاّمة كبير القدر، ولد سنة (٢٠٢) هـ وتوفي سنة (٢٥٦) هـ. له كتاب «السير» عشرون مجلداً وكتاب التاريخ وغيره. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٠ ـ ٦٣.

وقد ذكرنا اختلافَ الرِّوايات في ذلك عن أبي هريرة ، وأَنَس ، وجابر.

٨٣١ ـ [وفي رواية ابنِ عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه دَفَعها لأَولياء بشْرِ بن البراء فقتلوها[١].

وكذلك قد اختلف في قَتْلِه للّذي سحَره ، قال الواقدي: وعَفْوهُ عنه أَثبتُ عندنا وروي عنه أنه قتله].

٨٣٢ ـ وروى الحديثَ البزَّارُ ، عن أبي سَعيدٍ ، فذكر مثْلَه ، إلا أنه قال في آخره: فبسط يَدَه وقال: «كلُوا ، باسم الله»فأكَلْنَا ، وذكر اسم الله ، فلم تضرَّ منا أحداً[٢].

قال القاضي أبو الفضل: وقد خرَّج حديثَ الشاةِ المسمومة أهلُ الصحيح ، وخرّجه الأئمة ، وهو حديثٌ مَشْهُورٌ.

واختلف أئمة أهـل[٣] النظـرِ فـي هذا الـباب ، فمِنْ قائـل يقـول: هو كلامٌ يخلُقه اللهُ تعالى في الشاةِ الميتة ، أو الحجـر أو الشجر ، وحـروفٌ وأصوات يحدثها الله تعالىٰ فيها [و] يُسمعها منها دونَ تغيير أشكالها ، ونَقْلِها عن هيئتها.

وهو مَذْهَبُ الشيخ أبي الحسنِ[٤] ، والقاضي أبي بكر[٥] رحِمَهما اللهُ.

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياةِ بها أولاً ، ثم الكلامِ بعده.

وحُكِي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن[٦] ، وكلٌّ محتَمل ، واللهُ أعلم ،

---

(١) رواه ابن سعد/ المناهل (٦٣٤).

(٢) أخرجه البزار (٢٤٢٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ وقال: «رواه البزار ، ورجاله ثقات». وصححه الحاكم ٤/ ١٠٩ ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر ـ كما في مناهل الصفا (٦٣٥) ـ: هو منكر. وانظر تحفة الذاكرين ص (٢٢٦).

(٣) كلمة: «أهل» ، لم ترد في المطبوع. وهي مثبتة في شرح الخفاجي والقاري. (وأئمة أهل النظر) أي من المتكلمين ونقاد الحديث.

(٤) أبو الحسن: هو الأشعري. تقدمت ترجمته.

(٥) أبو بكر: هو الباقلاني ، تقدمت ترجمته.

(٦) (أبو الحسن): هو الأشعري تقدمت ترجمته.

إذ لم نَجْعلِ الحياةَ شرطاً لوجود (٩١/أ) الحروف والأصواتِ ، إذ لا يستحيلُ وجودُها مع عدم الحياة بمجَرَّدِها .

فأمّا إذا كانت عبارةً عن الكلام النفسيّ فلا بدّ من شَرْط الحياة لها ، إذ لا يوجَدُ كلامُ النَّفْس إلا مِنْ حَيٍّ ، خلافاً للجُبَّائِيِّ [1] من بين سائر متكلّمي الفِرَق في إحالَتِهِ وجودَ الكلام اللفظّي والحروف والأصواتِ إلا مِنْ حيٍّ مركَّب على تركيب مَنْ يصِحُّ منه النطقُ بالحروف والأصوات .

والتزم ذلك في الحصىٰ ، والجِذْع ، والذِّراع ، وقال: إنَّ اللهَ خلق فيها حياةً ، وخَرَقَ [2] لها فماً ، ولساناً ، وآلَةً أمكنها بها منَ الكلام .

وهذا لو كان ، لَكَانَ نَقْلُه والتهمُّمُ به آكدُ من التهمُّم [3] بنَقْل تسبيحهِ أو حَنِينِهِ ، ولم ينقُلْ أحدٌ من أهل السِّيَر والرِّواية شيئاً من ذلك ، فدلَّ على سقوط دَعْوَاه ، مع أنه لا ضرورةَ إليه في النَظر ، والموفِّق الله .

٨٣٣ ـ ورَوَى وَكِيعٌ ، رَفَعَه ، عن فَهْد بن عَطِيَّةَ : أَنّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ بصبيٍّ قد شبَّ لم يتكلمّ قطُّ ، فقال: «مَنْ أنا؟» فقال: رسول الله [4] .

٨٣٤ ـ ورُوِي عن مُعَرِّض بن مُعَيْقِيبٍ : رأيتُ مِنَ النبيِّ ﷺ عَجَباً ، جِيء بِصبيٍّ يوم وُلِد . . . فذَكر مثْلَه .

وهو حديثُ مُبارَك اليمامة ، ويُعرف بحديث شَاصُونـةَ [5] : اسم رَاوِيه ،

---

(١) هو أبو علي: محمد بن عبد الوهّاب البصري الجُبَّائي ، شيخ المعتزلة . مات بالبصرة سنة (٣٠٣) هـ . وعاش (٦٨) سنة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣ .

(٢) خرقَ: شقَّ.

(٣) التهممُ به : الاهتمام والاعتناء به .

(٤) رواه البيهقي عن شِمْرِ بن عطية ، عن بعض أشياخه المناهل/ (٨٣٣) .

(٥) في الأصل: «شاصَوَيه» ، وهو تصحيف . قال السمعاني في الأنساب ٧/ ٢٤٦ : «شاصونة: هو اسم لِجَدِّ أبي الفضل ، العباس بن محبوب بن عثمان بن عبيد الشاصوني . و(شاصونة) لقب عثمان بن عبيد فيما أظن وهو: شاصونة بن عبيد بن معرِّض بن عبد الله بن معيقيب اليمامي . وذكر قصة أنه كان صبياً صغيراً ملفوفاً في خرقة ، فقال له رسول الله ﷺ: من أنا؟ فقال: أنت رسول الله . . .» .

وفيه: فقال له النبيّ [ﷺ]: «صدقْتَ، باركَ الله فيكَ».

ثم إنّ الغلامَ لم يتكلّم بعدها حتى شبَّ، فكان يسمّى مُبَارك اليمامة[1].

وكانت هذه القصةُ بمكة في حِجَّةِ الوداع.

٨٣٥ ـ وعن الحَسنِ: أَتى رجلٌ النبيَّ ﷺ، فذكر أنه طرح بُنـيَّـةً له في وادِي كذا، فانطلق معه إلى الوَادِي، وناداها باسمها: «يا فلانـةُ! أجيبي بإذنِ الله تعالى» فخرجت وهي تقول: «لَـبَّـيْـك وسَعْدَيْك! فقال لها: «إنَّ أَبَوَيْكِ قد أَسْلَما، فإنْ أَحْبَبْتِ أن أردّك عليهما؟» قالت: لا حاجةَ لي فيهما، وَجَدْتُ الله خيراً لي منهما[2].

٨٣٦ ـ وعن أنس: أنَّ شاباً من الأنصار تُوفِّيَ وله أُمٌّ عجوزٌ عَمْيَاءُ، فسجّيْنَاهُ، وعزَّيناهَا، فقالت: مات ابْني؟ قُلْنَا: نعم. قالت: اللهمّ! إنْ كنت تعلمُ أني هاجرتُ إليك وإلى نبيّك رجاءَ أن (٩١/ب) تعِينني على كل شدةٍ فلا تَحْمِلَنَّ عليَّ هذه المصيبة.

---

(١) أخرجه ابن قانع والبيهقي في الدلائل، وابن الأثير في أسد الغابة (٤/ ٤٦٦) وغيره من طريق محمد بن يونس الكُدَيْمي، حدثنا شاصونه بن عبيد، حدثني مُعرِّض بن عبد الله بن مُعَرِّض بن معيقيب، عن أبيه، عن جده (مُعَرِّض بن معيقيب). ومحمد بن يونس الكُدَيْمي ضعيف كما في شمائل ابن كثير ص (٣٠٧) والتقريب. وقال ابن حجر في الإصابة ٣/ ٤٢٤: «وذكره البيهقي من طريق الكديمي، ومعرِّض وشيخه مجهولان، وكذلك شاصونة، واستنكروه على الكديمي...». وحكم بوضعه ابن دحية كما في المناهل (٦٣٧). وقال الحافظ ابن كثير في الشمائل ص (٣٠٢): «هذا الحديث مما تكلم الناس في محمد بن يونس الكديمي بسببه، وأنكروه عليه، واستغربوا شيخه هذا، وليس هذا مما ينكر عقلاً ولا شرعاً...» وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير طريق الكديمي، رواه ابن جُمَيْع في معجمه ص (٣٥٤) برقم (٣٣٧)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٩ ـ ٦١) والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٤٤٤)، والحاكم في الإكليل. قال ابن كثير: «إلا أنه بإسناد غريب أيضاً». وحسنه السيوطي في الخصائص الكبرى كما في نسيم الرياض ٣/ ٩٨. وقال البيهقي: «ولهذا الحديث أصل من حديث الكوفيين بإسناد مرسل يخالفه في وقت الكلام» ثم ذكر حديثنا السابق، وانظر لسان الميزان ٥/ ١٩٨.

(٢) حديث مرسل، رواه البيهقي في الدلائل.

فما برِحْنَا أنْ كشفَ الثوبَ عن وَجْهه ، فطَعِمَ وطَعِمْنَا[1] .

٨٣٧ ـ ورُوِيَ عن عَبْد الله بن عُبيد الله الأنصاري[2] : كنتُ فيمن دفَن ثابتَ بن قيس بن شَمَّاسٍ ، وكان قتل باليمامة ، فسمِعْنَاهُ حين أدخلناهُ القَبْرَ يقول: محمدٌ رسول الله ، أبو بكر الصدِّيقُ ، عُمَر الشهيدُ ، عثمانُ البَرُّ الرحِيمُ ، فَنَظَرْنا فإذا هو ميّت[3] .

٨٣٨ ـ وروي[4] عن النُّعمانِ[5] بن بشير: أن زَيْد بن خارجة خَرَّ ميّتاً في بعض أزِقَّةِ المدينة ، فَرُفِع وسجِّي إذ سمعوه بين العشَاءَيْن والنساءُ يَصْرُخْنَ حوله يقول: أَنْصِتُوا ، أَنْصتوا ، فَحَسر عن وجْهه ، فقال: محمدٌ رسول الله ، النبيُّ الأُمِّيُّ ، وخاتَمُ النبيِّين ، كان ذلك في الكتاب الأولِ ، ثم قال: صَدَقَ ، صَدَقَ ، وذكَر أبا بكر ، وعُمر ، وعثمان ، ثم قال: السلام عليكَ ، يا رسول الله! ورحمة الله وبركاتُه ، ثم عاد ميتاً كما كان[6] .

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل من طريق عيسىٰ بن يونس ، عن عبد الله بن عون ، عن أنس. قال الحافظ ابن كثير في الشمائل ص (٥٦٤): «وهذا إسناد رجاله ثقات ، ولكنْ فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس ، والله أعلم». وقال العلامة ابن الزَّملكاني كما في شمائل الرسول لابن كثير ص (٥٦٣): «وقد ثبت عن أنس رضي الله عنه أنه قال: دخلنا علىٰ رجل. . . وذكر حديثنا هذا». وقال ابن كثير أيضاً: «وقد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا ، والحافظ أبو بكر البيهقي ، من غير وجه ، عن صالح بن بشير المرّي ـ أَحَدِ زُهَّادِ البصرة وعبَّادها وفي حديثه لِيْنٌ ـ عن ثابت ، عن أنس ، فذكره. .

(٢) هكذا في الأصل وفي المطبوع. وورد اسمه في شمائل الرسول ص (٣٠١): «عبد الله بن عبيد الأنصاري» وهو من رجال التهذيب.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل ، وذكر نحوه ابن كثير في شمائل الرسول ص (٣٠١) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا. (اليمامة): سيأتي التعريف بها عند الحديث (١٢٥٢).

(٤) في المطبوع: «وَذُكِرَ».

(٥) في الأصل: «نعمان» ، والمثبت من المطبوع.

(٦) أخرجه الطبراني وأبو نعيم وابن مندة. وأخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بن مالك/ المناهل (٦٤٠) ، وقال ابن كثير في الشمائل ص (٥٦٥): «وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه به بعد الموت. . . فمشهورة مروية من وجوهٍ كثيرة صحيحة». (سُجِّيَ): غُطِّيَ.

فصــل

فِـيْ إِبْـرَاءِ المَرْضَـىٰ وذَوِي العَاهَـاتِ

٨٣٩ ـ أخبرنا أبو الحسَن: علي بن مُشَرَّفٍ، فيما أجازَنيه، وقرأتُه على غيره، قال: حدثنا أبو إسحاق الحبّال، قال: حدثنا أبو محمد بن النحاس، حدثنا ابن الوَرْد، عن البَرْقيّ، عن ابن هشامٍ، عن زيادٍ البَكّائي، عن محمد بن إسحاق، حدثنا ابنُ شهاب، وعاصمُ بن عُمر بن قَتَادة، وجماعةٌ ذكرهم بقضية أُحُدٍ بطولها، قال: وقالوا: قال سعد بن أبي وقاص:

إنَّ رسول الله ﷺ لَيُناولني السَّهْمَ لا نَصْلَ له، فيقول: «ارْمِ به»[1].

٨٤٠ ـ وقد رَمَى رسول الله ﷺ يومئذٍ عن قَوْسه حتى اندقّت، وأُصيب يومئذٍ عَيْنُ قَتَادةَ ـ يعني ابن النعمان ـ حتى وقَعَتْ على وجْنَتهِ، فردّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسنَ عَيْـنَيْـهِ[2].

---

(١) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسحاق في سيرته ص (٣٢٢ ـ ٣٢٨). وأصله في البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢) بلفظ: «نَثَلَ لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: ارم فداك أبي وأمي». (نَثَلَ): نفض، وزناً ومعنىً. (الكنانة): جعبة السهام. (النَّصْل): حديدة الرمح والسهم والسكين.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص (٣٢٨)، والبيهقي في الدلائل من طريق عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً. ووصله أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق ابن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان. ووصله أيضاً أبو يعلىٰ (١٥٤٩) من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه، عن قتادة بن النعمان. وقال السيوطي في المناهل (٦٤٢): «وصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة، وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ وقال: «رواه الطبراني وأبو يعلىٰ، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم، وفي إسناد أبي يعلىٰ عبد الحميد الحمّاني وهو ضعيف».
وأورد القصة الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٥٥ ولم يذكر لها إسناداً. وروىٰ الأصمعي ـ كما في تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٥٨ ـ عن أبي معشر قال: قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان، فقال: ممَّن الرجل؟ فقال:

أنـا ابـن الـذي سَـالَـتْ علىٰ الخَـدِّ عينُـه … فـرُدَّتْ بِكَـفِّ المصطفـىٰ أَحْسَـنَ الـرَّدِّ=

ورَوَى قصَّةَ قَتادةَ عاصِمُ بنُ عُمَر بن قتادةَ ، ويزيد بن عياض [عن][1] ابن عُمر بن قَتَادة .

٨٤١ ـ ورَوَاها أبو سَعِيد الْخَدْريّ عن قتادَةَ[2] (٩٢/أ) .

٨٤٢ ـ وبَصَق على أثَرِ سَهْمٍ في وَجْهِ أبي قَتَادة في يوم ذي قَرَدٍ ، قال: فما ضَرَب عَلَيَّ ولا قَاحَ[3] .

٨٤٣ ـ ورَوَى النّسائي ، عن عثمان بن حُنَيفٍ: أنّ أعْمى قال: يا رسول الله! ادْعُ الله أن يكشفَ لي عن بَصَري .

قال: «**فانطلِقْ ، فتوضَّأْ ، ثم صَلِّ ركعتين ، ثم قُلْ: اللهم! إنّي أسألكَ وأتوجَّهُ إليك بنَبيِّي محمد ، نبيّ الرحمةِ ، يا محمدُ ، إني أتَوَجَّهُ بكَ إلى ربك أنْ يكشفَ عن بَصَري ، اللهمَّ شفِّعْهُ فِيَّ**» .

قال: فرجَعَ وقد كشَفَ اللهُ عن بصره[4] .

= فعادَتْ كما كانت لأوَّلِ أمرها فياحُسْنَ ما عينٍ ويا حُسْنَ ما رَدّْ

فقال عمر رضي الله عنه:

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لبنٍ شِيْبَا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندي ، انظر ترجمة يزيد بن عياض في تهذيب الكمال .

(٢) عزاه ابن كثير في السيرة ٣/ ٦٦ إلىٰ الدارقطني بإسناد غريب . وعزاه السيوطي في المناهل (٦٤٢) إلىٰ البيهقي .

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٤٨٠ ، والبيهقي في الدلائل والواقدي في المغازي ٢/ ٥٤٥ من حديث أبي قتادة الأنصاري واسمه الحارث ، ويقال عمرو ، أو النعمان بن رِبعي . وسيأتي طرف منه برقم (٨٧١) . وقال الخفاجي في نسيم الرياض ٣/ ١٠٥ : «حديث صحيح رواه الترمذي والبيهقي» ، ولم أجده في سنن الترمذي ، والله أعلم .

(ذي قَرَدٍ): قَرَدٌ: جبل أسود بأعلىٰ وادي النُّقمى: شمال شرقي المدينة علىٰ قرابة (٣٥) كيلاً/ قاله أستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب في المعالم الأثيرة . ويوم ذي قَرَدٍ هو غزوة الغابة ، انظرها في نور اليقين ص (١٦٠) بتحقيقي . (فما ضربَ عليَّ): ما آلمني . (ولا قاحَ): قاحَ الجرْحُ: صار فيه القيح . وهو إفراز ينشأ من التهاب الأنسجة بتأثير الجراثيم الصديدية .

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٠) . وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٥٧٨) ، وابن ماجه (١٣٨٥) ، وأحمد ٤/ ١٣٨ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٨) ، وغيره ، وصححه=

٨٤٤ ـ ورُوِيَ أنَّ ابن مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ أصابه استِسْقَاءٌ ، فبعثَ إلى رسول الله ﷺ ، فأخذَ بيده حَثْوَةً من الأرض ، فتفَل عليها ، ثم أعطاها رسولَهُ ، فأخذها متعجِّباً ، يُرى أنْ قد هُزِىءَ به ، فأتاه بها ، وهو على شَفاً ، فشربها ، فشفَاهُ الله[1] .

٨٤٥ ـ وذكر العُقَيْلي ، عن حَبيب بن فُدَيْكٍ ـ ويقال: فُوَيْك[2] ـ أنَّ أباهُ ابيضَّتْ عيناه ، فكانَ لا يُبْصِر بهما شيئاً ، فنفث رسول الله ﷺ في عَيْنَيه ، فأبصر ، فرأيتُه يُدْخِلُ الخَيْطَ في الإبْرَة ، وهو ابْنُ ثمانين[3] .

٨٤٦ ـ ورُمِي كُلْثُوم بن الحُصَيْنِ يومَ أُحُدٍ في نَحْرِه ، فبصق رسول الله ﷺ فيه ، فبرِىء[4] .

٨٤٧ ـ وتَـفَـلَ علىٰ شَجَّةِ عَبْدِ الله بن أُنيس فلم تُمِدَّ[5] .

= الحاكم (١/ ٣١٣ ، ٥١٩ ، ٥٢٦) ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً الترمذي وابن خزيمة والطبراني وغيره. وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين ص (٢١٢): «وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل ، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالىٰ ، وأنه المعطي المانع ، ما شاء كان وما شاء لم يكن».

(١) حديث مرسل. قال السيوطي في المناهل (٦٤٥): رواه الواقدي ١/ ٣٥٠ ، وأبو نعيم في الدلائل من حديث عروة (ملاعب الأَسِنّة): هو عامر بن مالك ، مختلف في إسلامه وله ترجمة في الإصابة لابن حجر. (استسقاء): الاستسقاء تجمُّع سائلٍ مَصْليٍ في التجويف البريتوني ، لا يكاد يبرأ منه/ المعجم الوسيط. (حثوة): أي قبضة. (يُرى): يعتقد. (وهو علىٰ شَفاً): أي قارب الهلاك.

(٢) ويقال فُرَيك أيضاً كما في ترجمة حبيب في الإصابة.

(٣) أخرجه العقيلي ، والبيهقي ، وابن أبي شيبة والطبراني. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٨ وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم».

(٤) ذكره الواقدي في مغازيه (١/ ٢٤٣) ، وعزاه ابن حجر في الإصابة ٤/ ٧١ إلىٰ أبي عروبة. (كلثوم بن الحصين): هو أبو رُهْمٍ الغفاري.

(٥) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن أُنيس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٨: «وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف». (تَفَلَ) التَّفْلُ: شبيهٌ بالبَزْق ، وهو أقل منه. أوله البَزْقُ ، ثم التَّفْلُ ، ثم النَّفْثُ ، ثم النفخُ / مختار الصحاح. (الشجَّة): الجراحة في الرأس أو الوجه أو الجبين/ المعجم الوسيط. (فلم تُمِدّ): أي لم يحصل فيها قيح.

٨٤٨ ـ وتَفَل في عينيْ عليٍّ يوم خَيْبر ، وكان رَمِداً ، فأصبح بارئاً[١] .

٨٤٩ ـ ونفث على ضَرْبةٍ بساقِ سلَمةَ بن الأكْوَع يوم خَيْبرَ فبرئت[٢] .

٨٥٠ ـ وفي رِجْل زَيْد بن مُعَاذ حين أصابها السيف إلى الكَعْب ، حين قتلَ ابنَ الأشْرَفِ ، فبرئت[٣] .

٨٥١ ـ وعلى ساقِ عليّ بن الحَكَم يوم الخَندق إذ انكسرت ، فبرىء مكانه ، وما نزل عن فرسه[٤] .

٨٥٢ ـ واشتكى علي بن أبي طالب ، فجعل يَدْعو ، فقال النبي ﷺ: «اللهم! اشْفِه ، أو عَافِهِ» ثم ضربه بِرِجْله ، فما اشتكى ذلك الوَجَعَ بَعْدُ[٥] .

٨٥٣ ـ وقطع أبو جَهْل يومِ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذ بن عَفْراءَ ، فجاء يحملُ يدَه ، فبَصقَ عليها رسولُ الله ﷺ ، وألْصقها فَلَصِقَتْ . رواه ابْنُ وَهْب .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد الساعدي. (رَمداً) الرَّمدُ: داء التهابي يصيب العين/ المعجم الوسيط. (بارئاً): أي معافىً.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٦) من حديث سلمة بن الأكوع. (نَفَثَ) النَّفْثُ: شبيه بالنفخ وهو أقل من التَّفْل/ مختار الصحاح.

(٣) رواه عَبْدُ بن حُمَيْدٍ في تفسيره عن عكرمة ، وأخرجه الواقدي بأسانيد ، لكنْ قال: الحارث بن أوس بدَل زيد بن معاذ ، وأخرجه البيهقي من حديث جابر وقال بدلهما: عباد بن بشر/ المناهل/ ٦٥١ . (ابن الأشرف): هو كعب بن الأشرف اليهودي عظيم بني النضير. انظر قصة قتله في نور اليقين ص (١٢٠) بتحقيقي.

(٤) عزاه ابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٠ إلىٰ البغوي والطبراني وابن السكن وابن مندة من طريق كثير بن معاوية بن الحكم السلمي ، عن أبيه. . . قال ابن مندة: «غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وقال ابن حجر: «في الإسناد صغار بن حميد لا يعرف» ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥ وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه ، ويعقوب بن محمد الزهري ، ضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حِبَّان».

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٦٤) وغيره ، وصححه الحاكم ٢/ ٦٢٠ ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» ، وصححه أيضاً ابن حبان (٢٢٠٩) موارد ، وهناك استوفينا تخريجه.

٨٥٤ ـ ومن روايته أيضاً: أنّ خُبَيْبَ بن يَسَاف[١] أُصيبَ يوم بَدْر مع رسول الله ﷺ بضَرْبةٍ على عاتقِهِ (٩٢/ب) حتى مال شِقُّه، فردَّه رسول الله ﷺ، ونفَثَ عليه حتى صَحَّ[٢].

٨٥٥ ـ وأتَتْه امرأةٌ مِنْ خَثْعم، معها صبيٌّ به بَلَاءٌ لا يتكلّم، فأُتي بماء فمَضْمَض فاهُ، وغسل يدَيْه، ثم أعطاها إيّاه، وأمَرَها بسَقْيِه ومَسِّه به، فَبَرِىء الغلام، وعَقَل عَقْلاً يفضلُ عقولَ الناس[٣].

٨٥٦ ـ وعن ابن عبّاس: جاءت امرأةٌ بابْنٍ لها به جنُونٌ، فمسح صَدْرَه، فثَعَّ ثَعَّةً، فخرج من جَوْفِه مِثْلُ الْجَرْوِ الأسودِ، فشفي[٤].

٨٥٧ ـ وانكفأتِ القِدْرُ على ذِراعِ محمد بن حاطب وهو طفْلٌ، فَمَسَحَ عليه ودعا له، وتَفَل فيه فَبَرِىءَ لحِينه[٥].

٨٥٨ ـ وكانت في كفّ شُرَحْبِيل الجُعْفيِّ سِلْعَةٌ تمنعُه القَبْض على السيفِ وعِنَانِ الدابّةِ، فشكاها للنبيِّ ﷺ، فما زال يَطْحَنها بكفِّه حتى رفعها، ولم يبْقَ لها أثَرٌ[٦].

---

(١) في نسخة: «إساف».

(٢) رواه ابن إسحاقَ، والبيهقي عنه/ المناهل (٦٥٥). (العاتق) ما بين المنكب والعنق/ المعجم الوسيط. (صَحَّ): بَرِىء من هذه الضربة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المُصَنَّفِ عن أم جندب/ المناهل (٦٥٦).

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٤، والدارمي برقم (١٩) وغيره. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢ وقال: «رواه أحمد والطبراني، وفيه فرقد السَّبخي، وثقه ابن معين والعجلي، وضعَّفه غيرهما». (فَثَعَّ ثَعَّةً) الثَّعُّ: القيء. والثَّعَّةُ: المرة الواحدة/ النهاية (الجِرْو): ولد الكلب والسباع (مختار الصحاح).

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٤١٨ وغيره من حديث محمد بن حاطب عن أمه: أم جميل بنت المجلل، وصححه ابن حبان (١٤١٥) موارد وهناك استوفينا تخريجه. وأصل القصة عند النسائي في عمل اليوم والليلة (١٨٧، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦)، وأحمد ٣/ ٤١٨ وغيره من حديث محمد بن حاطب، وصححه ابن حبان (١٤١٦) موارد، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح». (انكفأت): انقلبت وسقطت.

(٦) رواه الطبراني من حديث محمد بن عقبة بن شُرَحْبِيل، عن جده عبد الرحمن، عن أبيه، =

٨٥٩ ـ وسأَلَتْهُ جاريةٌ طعاماً ، وهو يَأْكلُ ، فناولها مِنْ بين يديه ، وكانت قليلةَ الحياء ، فقالت: إنما أُريدُ من الذي في فِيكَ ، فناوَلها ما في فِيهِ ، ولم يكن يُسْأَل شيئاً فيَمْنَعَه.

فلما استقرَّ في جَوْفِها أُلْقِيَ عليها من الحياءِ ما لم تكن امرأَةٌ بالمدينةِ أشدَّ حياءً منها[1].

فصل

فِيْ إجَابَةِ دُعَائِهِ [ﷺ]

وهذا بابٌ واسعٌ جدّاً وإجابةُ دعوةِ النبيِّ ﷺ لجماعةٍ بما دعا لهم وعليهم متواتِرٌ على الجملةِ ، معلومٌ ضرورةً.

٨٦٠ ـ وقد جاء في حديث حُذَيْفَةَ: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لرجلٍ أدْرَكَتْ الدعوةُ ولدَه وولدَ ولدِه[2].

٨٦١ ـ حدثنا أبو محمد العتَّابيُّ بقراءتي عليه ، حدثنا أبو القاسم: حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن القابِسيُّ ، حدثنا أبو زَيْد المَرْوَزِيُّ ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عَبْدُ الله بن أبي الأسود، حدثنا حَرَمِيٌّ ، حدثنا شُعْبة ، عن قتادةَ ، عن أَنَس [رضي الله عَنْه] ، قال:

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٨: «رواه الطبراني ، ومخلد ومن فوقه لم أعرفهم ، وبقية رجاله رجال الصحيح». (السِّلعة): هي غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت/ النهاية. (عنان الدابة): سَيْرُ اللجام الذي تمسك به/ المعجم الوسيط. (يطحنها): يعالجها.

(١) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢١: «وإسناده ضعيف».

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣٦٨ وقال: «رواه أحمد ، عن ابنٍ لحذيفة ، عن حذيفةَ ، ولم أعرفه».

قالت أُمِّي: يا رسولَ الله! خادِمُك أنَسٌ، ادْعُ الله له. قال: «**اللهمّ! أَكْثِر مالَه وَوَلَده، وبارِكْ له فيما آتَيْته**»[١].

٨٦٢ ـ ومِنْ رواية عِكرمة: قال أَنس: فوالله! إنَّ مالي لكثير؛ وإنَّ وَلَدي وولدَ ولدي لَيُعَادُّون اليومَ على نحو المئة[٢].

٨٦٣ ـ وفي رواية (٩٣/أ): وما أعلمُ أحداً أصاب مِنْ رَخَاءِ العيش ما أصبْتُ، ولقد دفنْتُ بِيَدَيَّ هاتين مِئَـةً من ولدي، لا أقولُ سِقْطاً ولا وَلَدَ ولدٍ[٣].

٨٦٤ ـ ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عَوْف بالبركة[٤]، قال عبد الرحمن: فلو رفعتُ حجراً لرجَوْتُ أنْ أُصِيبَ تحته ذهباً، وفتح الله عليه، ومات فحُفِرَ الذهبُ من تركته بالفؤوس حتىٰ مَجَلَت فيه الأَيْدِي[٥]، وَأَخَذَتْ كلُّ زوجةٍ ثمانين ألفاً، وكُنَّ أَرْبعاً، وقيل: مئة ألف.

وقيل: بل صُولحت إحداهنّ، لأنه طلَّقها في مَرَضه على نَيِّف وثمانين ألفاً، وأوْصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشيةِ[٦] في حياته، وعَوَارِفه[٧] العظيمة: أعتق يوماً ثلاثين عَبْداً، وتصدَّقَ مرةً بِـعِير[٨] فيها سبعُ مِئة بَعِير، وردَتْ عليه تَحْمِلُ من كل شيء، فتصدَّقَ بها وبما عليها، وبأَقْتَابِها[٩]

---

(١) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٦٣٤٤). وأخرجه أيضاً مسلم (٢٤٨١/ ١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨١/ ١٤٣). (ليعادّون): أي ليزيدون.

(٣) هذه الرواية نسبها السيوطي في المناهل (٦٦١) إلىٰ البيهقي. (سِقْطاً) السُّقط: الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه (النهاية).

(٤) دعاؤه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة أخرجه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧) من حديث أنس.

(٥) مجلت فيه الأيدي: يقال مَجَلَتْ يده، إذا ثخن جلدها وتعجَّر، وظهر فيها ما يشبه البَثْرَ، من العمل بالأشياء الصُّلبة الخشنة.

(٦) الفاشية: الكثيرة المشهورة.

(٧) عوارفه: جمع عارفة، وهي الإحسان.

(٨) العِيرُ: ما جُلب عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير.

(٩) أقتابها: القَتَبُ: الرَّحْلُ الصغير علىٰ قدر سنام البعير.

وأَحْلاَسِها[1].

٨٦٥ ـ ودعا لمعاويةَ بالتمكين في البلاد ، فنال الخلافةَ[2].

٨٦٦ ـ ولسعد بن أبي وقّاص [رضِيَ الله عنه] أَنْ يجِيبَ اللهُ دعوتَه ، فما دَعَا عَلَى أحدٍ إلاّ استُجِيبَ له[3].

٨٦٧ ـ ودعا بعِزِّ الإسلام بعُمر رضِيَ الله عنه ، أو بأَبي جَهْل ، فاستُجِيب له في عُمر[4].

٨٦٨ ـ قال ابنُ مسعود رضِي الله عنه : ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عُمر[5].

٨٦٩ ـ وأصاب الناسَ في بعض مَغازِيه عَطشٌ ، فسأله عُمَرُ الدعاءَ ، فدعا ، فجاءت سحَابةٌ ، فسقتهم حاجتَهم ، ثم أَقْلَعَتْ[6].

٨٧٠ ـ ودعا في الاستسقاء ، فسُقوا ، ثم شَكَوْا إليه المطَر ، فدعا ، فصَحَوْا[7].

٨٧١ ـ وقال لأبي قَتَادة : «أَفْلَحَ وَجْهُك ، اللهم! بارِكْ له في شَعره وبَشَره» ، فمات وهو ابنُ سبعين سنةً ، وكأنه ابن خمس عشرة سنة[8].

---

(١) أحلاسها : الحِلْسُ : كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرَّحْل والقَتَب والسَّرْج .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٦/ ٤٤٦ وقال : «إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف عند أهل المعرفة بالحديث غير أن لهذا الحديث شواهد» . ونسبه في المناهل (٦٦٢) إلىٰ ابن سعد .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٥١) ، وصححه ابن حبان (٢٢١٥) موارد ، والحاكم ٣/ ٤٩٩ ، ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨١) ، وأحمد ٢/ ٩٥ وغيره من حديث ابن عمر ، وصححه ابن حبان (٢١٧٩) موارد .
وقال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح غريب» . وأخرجه الترمذي (٣٦٨٣) من حديث ابن عباس ، والحاكم ٣/ ٨٣ من حديث ابن مسعود .

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٨٤) .

(٦) تقدم حديث عمر برقم (٧٠٧) .

(٧) أخرجه البخاري (١٠١٦) ، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك .

(٨) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٨٠) ، والبيهقي في الدلائل . وتقدم طرف منه برقم (٨٤٢) ، وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٣١٩ .

٨٧٢ ـ وقال للنابغة: «لا يَـفْضُضِ اللهُ فَـاكَ» فما سقطت له سنٌ[١].

وفي روَايةٍ: فكان أحسنَ الناس ثَغْراً، إذا سقطَتْ له سِنٌ نَبَتَتْ له أُخرى، وعاش عشرين ومِئَةَ سنة، وقيل: أكثَر من هذا.

٨٧٣ ـ ودعا لابْن عبَّاسٍ: «اللهم! فقِّـهْـهُ في الديـن، وعلِّمْـه التـأويل»[٢] فسُمِّي بَعْدُ الحَبْرَ[٣]، وتَرْجُمان القرآن[٤].

٨٧٤ ـ ودَعَا لعبد الله بن جعفر بالبَرَكةِ في صَفْقَةِ يَمِينه، فما اشْتَرى شيئاً إلا رَبحَ[٥] فيه.

٨٧٥ ـ ودعا لِلْمِقْدادِ بالبركة، فكانت عنده غَرَائرُ من المالِ[٦].

٨٧٦ ـ ودعا بمثله لعُرْوة بن أبي الجَعْد[٧]، فقال: فلقد كنتُ أقومُ بالكُناسةِ[٨]، فما أَرْجع حتى أربحَ أربعينَ ألفاً.

---

(١) أخرجه البزار (٢١٠٤)، وابن الأثير في «أُسْدِ الغابة» وابن حجر في «الإصابة» وغيره، من حديث النابغة الجَعْدِيِّ. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٢٦ وقال: «رواه البزار وفيه يعلىٰ بن الأشدق وهو ضعيف». قلت: لكنه متابع عليه. انظر الإصابة ترجمة النابغة الجعدي.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨ من حديث ابن عباس، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٦ وقال: «هو في الصحيح غير قوله: «وعلمه التأويل»، رواه أحمد والطبراني بأسانيد... ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح». وصححه الحاكم ٣/ ٥٣٤ ووافقه الذهبي، وهو في البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقهه في الدين» والنص للبخاري.

(٣) الحَبْر: العالم.

(٤) ترجمان القرآن: مفسِّره ومبيِّنه.

(٥) رواه البيهقي في الدلائل من حديث عمرو بن حُرَيْثٍ. (صفقة يمينه): أي تبايعه.

(٦) رواه البيهقي في الدلائل. (غرائر): جمع غِرارةٍ، وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه (المعجم الوسيط).

(٧) أخرجه البخاري (٣٦٤٢) من حديث عروة بن أبي الجعد البارقي نفسه.

(٨) الكُناسة: محلة بالكوفة/ معجم البلدان.

وقال البخاري في حديثِهِ (٩٣/ب): فكان لو اشترى الترابَ رَبِحَ فيه[١].

٨٧٧ ـ ورُوِي مِثْلُ هذا لِغَرقدة أيضاً[٢].

٨٧٨ ـ وندّت له ﷺ ناقة[٣]، فدعا فجاءهُ بها إعصارُ ريحٍ، حتى ردَّها عليه.

٨٧٩ ـ ودعا لأُمِّ أبي هريرة فأَسلمت[٤].

٨٨٠ ـ ودعا لعليّ أن يُكفَى الحرَّ والقَرَّ، فكان يلبسُ في الشتاء ثيابَ الصيفِ، وفي الصيف ثيابَ الشتاء، ولا يصيبه حَرٌّ ولا بَرْد[٥].

٨٨١ ـ ودعا لفاطمة ابْنتِهِ اللهَ أَلاَّ يُجِيعَها، قالت: فما جُعْتُ بعد[٦].

٨٨٢ ـ وسأله الطُّفيل بن عَمْرو آيةً لقومِه، فقال: «اللهمّ! نوِّرْ له» فسطَعَ نورٌ بين عَيْنَيْه، فقال: يا ربّ![٧] أخاف أَنْ يقولوا: مُثْلَةٌ، فتحوّل إلى طَرَفِ سَوْطِه، فكان يُضيء في الليلة المظلمة، فسمِّيَ ذا النور[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).
(٢) أخرجه ابن قانع ـ كما في الإصابة ٣/ ١٩٠ ـ من حديث غرقدة. قال الحافظ: «وهو تصحيف وإنما هو عن عروة، لا عن غرقدة».
(٣) ندَّت له ناقة: أي نفرت وشردت.
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩١) من حديث أبي هريرة.
(٥) أخرجه ابن ماجه (١١٧) من حديث علي، وقال البوصيري: إسناده ضعيف». (القَرّ): البرد.
(٦) رواه البيهقي في الدلائل عن عمران بن حُصَيْنٍ.
(٧) قوله: «يا رب»، لم يرد في المطبوع.
(٨) ذكره ابن إسحاق ـ كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٢ ـ بلا سند، ورواه الطبري وابن عبد البر في الاستيعاب ـ علىٰ هامش الإصابة ٢/ ٢٢٢ ـ من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي.
وهذا إسناد منقطع. وراويه ابن الكلبي.
قال الدارقطني وغيره: «متروك»، وقال ابن عساكر: «رافضي ليس بثقة». (آية): علامة. (مُثْلَة): المثلة: العقوبة والتنكيل/ المعجم الوسيط.

٨٨٣ ـ ودَعا على مُضَر فأُقْحِطوا ، حتى استَعْطَفَته قريش ، فدعا لهم فسُقوا[١] .

٨٨٤ ـ ودعا على كِسرى حين مزَّق كتابَه أَن يمزِّقَ [اللهُ] مُلْكَه[٢] ، فلم تَبْقَ له باقية ، ولا بقِيَتْ لفارسَ رِيَاسةٌ في أقطار الدنيا .

٨٨٥ ـ ودعا على صبيٍّ ، قطع عليه الصلاةَ ، أن يقطَع [الله] أَثَره ، فأُقْعِد[٣] .

٨٨٦ ـ وقال لرجل رآه يأكل بِشِماله : «كُلْ بيمينكِ» فقال : لا أستطيعُ . فقال : «لا استَطَعْتَ» فلم يرفَعْها إلى فِيه[٤] .

٨٨٧ ـ ودعا على عُتَيْبَة بن أبي لَهَب[٥] : «اللهمّ! سلِّطْ عليه كَلْباً من كلابِك»[٦] ، فأكله الأَسَد .

٨٨٨ ـ وقال لامرأةٍ : «أَكَلَكِ الأسدُ»[٧] فأكلها .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢١) ، ومسلم (٢٧٩٨/ ٤٠) من حديث ابن مسعود . (أُقْحطوا) : حبس عنهم المطر .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤) من حديث ابن المسيّب مرسلاً .

(٣) أخرجه أبو داود (٧٠٧) من حديث سعيد بن غزوان ، عن أبيه ، أنه نزل بتبوك وهو حاج ، فإذا برجل مُقْعَدٌ ، فسأله عن أمره؟ فقال : سأحدثك حديثاً فلا تحدث به ما سمعت أني حيٌّ . إن رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلىٰ نخلة ، فقال : هذه قبلتنا ، ثم صلىٰ إليها ، فأقبلت وأنا غلام أسعىٰ ، حتىٰ مررت بينه وبينها ، فقال : «قطع صلاتنا قطع الله أثره» ، فما قمت عليها إلىٰ يومي هذا . وضعّف إسناده ابن القطان وعبد الحق الإشبيلي وابن قيّم الجوزية . وقال الذهبي : «أظن أنه موضوع» .
(الغلام) : الصبي من حين يولد إلىٰ ما بعد البلوغ ما لم يخضرَّ شاربه . فإذا اخضرَّ شاربه وأخذ عذاره في الطلوع ، فهو باقل . انظر تحفة المودود لابن القيم ص (٢١٢) بتحقيقي .

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢١) من حديث سلمة بن الأكوع .

(٥) في المطبوع : «وقال لعتبة بن أبي لهب» والصواب : «عُتَيبة» بدل «عُتْبة» .

(٦) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٩ من حديث نوفل بن أبي عقرب ، عن أبيه ، وقال : «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي وذكره ابن كثير في تفسير سورة (النجم) من طريق ابن عساكر عن هَبّار بن الأسود . وانظر مجمع الزوائد ٦/ ١٨ ـ ١٩ . وسيأتي برقم (١٠٢٥) .

(٧) رواه ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذا إسناد فيه محمد بن السائب الكلبي . متهم بالكذب .

٨٨٩ ـ وحديثُه المشهور ، من رواية عَبْد الله بن مسعود [رضي الله عنه] في دعائه على قُريش حين وضَعُوا السَّلاَ على رقَبته هو ساجدٌ مع الفَرْث والدم ، وسمّاهم ، قال : فلقد رأيتُهم قُتِلُوا يوم بَدْر[١] .

٨٩٠ ـ ودعا على الحكَم بن أبي العاص ، وكان يَخْتَلج بوجهه ، ويغمِزُ عند النبيِّ ﷺ ، أي : لا ، فرآه ، فقال : «**كذلك كُنْ**» فلم يـزَلْ يختلِجُ إلى أن مات[٢] .

٨٩١ ـ ودعا على مُحَلِّم بن جَثَّامة فمات لسَبْـعٍ ، فلفظَتْـهُ الأرض ، ثم وُورِيَ ، فلفظَتْه مرَّاتٍ ، فألْقَوه بين صُـدَّين ، ورضَمُوا عليه بالحجارة[٣] . [و] الصُّدّ : جانِبُ الوادي .

٨٩٢ ـ وجحده رجلٌ بَـيْعَ فرس ـ وهي التي شهِدَ فيها خُزَيمةُ للنبيِّ ﷺ ـ فردّ الفرسَ بعدُ النبيُّ ﷺ على الرجل ، وقال : «**اللَّهُمَّ! إنْ كان كاذباً فلا تبارِكْ له فيها**»[٤] (٩٤/أ) فأصبحتْ شاصِيةً برجْلِها ، أي : رافعةً .

وهذا البابُ أكثَـرُ مِنْ أن يُحاطَ به .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠) ، ومسلم (١٧٩٤) ، (السَّلا) : اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوانات ، وهي من الآدمية : المشيمة .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل : (يختلج) : يتحرك ويضطرب . (يغمز عند النبي ﷺ أي : لا) . أي يشير بعينه أو حاجبه . رداً لكلام النبي ﷺ واستهزاءً به .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ـ كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٨ ـ من حديث الحسن البصري مرسلاً . (وُورِي) : دُفِنَ . (لفظته الأرض) : قذفته ورَمَتْ به . (رضموا عليه بالحجارة) : كوَّموها عليه .

(٤) أصل هذه القصة عند أبي داود (٣٦٠٧) ، والنسائي ٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢ وغيره من حديث عمارة بن خزيمة ، أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً . . . وإسناده حسن . وهي في الطبراني من حديث خزيمة بن ثابت .
قال الحافظ الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٢٠ : «رجاله كلهم ثقات» .

فصل

فِيْ كَرَامَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ وانقِلاَبِ الأَعْيَانِ لَهُ فِيْمَا لَمَسَهُ أَوْ بَاشَرَهُ

٨٩٣ ـ أخبرنا أحمدُ بن محمد ، حدثنا أبو ذَرّ الهَرَوِي ، إجازةً.

وحدثنا[1] القاضي أَبو عليّ سماعاً ، والقاضي أبو عَبْد الله: محمد بنُ عبد الرحمن وغيرُهما ، قالوا: حدثنا أبو الوليد القاضي ، حدثنا أبو ذَرّ ، حدثنا أبو محمد[2] ، وأبو إسحاق ، وأبو الهَيْثَم ، [قالوا]: حدثنا الفِرَبْرِي ، حدثنا البخاري ، [حدثنا عبد الأعلىٰ بن حماد][3] حدثنا يزيد بن زُرَيع ، حدثنا سَعِيد ، عن قتادة ، عن أَنَس بن مالك [رضي الله عنه] أن أَهْلَ المدينةِ فَزِعُوا مرةً ، فركبَ رسول الله ﷺ فَرَساً لأَبي طَلْحَةَ كان يَقْطِف ـ أو به قِطَاف ـ وقال غيره: يُبَطَّأ ، فلما رجع قال: «وجَدْنا فَرَسَك بَحْراً» فكان بَعْدُ لا يُجَارَى[4].

٨٩٤ ـ ونَخَس جَمَلَ جابر ، وكان قد أَعْيَا ، فَنَشِطَ حتى كان ما يَمْلِكُ زِمَامَه[5].

٨٩٥ ـ وصنَع مِثْلَ ذلك بفرس لجُعَيْلٍ الأَشجعي ، خفقها بمِخْفَقَةٍ معه ، وبرَّك عليها ، فلم يمْلِك رأسَها نَشَاطاً ، وباع من بَطْنِها باثني عشر أَلْفاً[6].

---

(١) في المطبوع: «حدثنا» ، بدون الواو وهو غلط. والواو ـ هنا ـ تدل علىٰ تحويل السند.

(٢) قوله: «أبو محمد» ، لم يرد في المطبوع ، وأبو محمد هو عبد الله بن أحمد بن حمّويه ، راوي الصحيح عن الفربري ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٩٢).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من صحيح البخاري (٢٨٦٧).

(٤) أسنده المصنف من طريق البخاري (٢٨٦٧). وأخرجه أيضاً مسلم برقم (٢٣٠٧).
(كان يقطف أو به قطاف) الفرس القطوف: البطيء المشي ، وقيل: الضَّيِّق المشي.
(بحراً) أي واسع الجري/ النهاية. (لا يجارىٰ) لا يسابَقُ/ الفتح ٦/ ٧٠.

(٥) أخرجه البخاري (٢٧١٨) ، ومسلم في المساقاة (٧١٥/ ١٠٩) من حديث جابر بن عبد الله
(نخس الدابة) : طعن مؤخَّرها أو جنبها بالمنخاس لتنشط/ المعجم الوسيط. (أعيا) : تعب.

(٦) رواه النسائي بسند صحيح كما في الإصابة ترجمة (جُعَيْل الأشجعي). ورواه أيضاً البخاري =

٨٩٦ ـ ورَكِبَ حماراً قَطوفاً لسعد بن عُبَادة فردَّه هِمْلاجاً لا يُسايَرُ(١).

٨٩٧ ـ وكانت شَعراتٌ مِنْ شعره في قَلَنْسُوَةِ خالد بن الوليد ، فلم يشهَدْ بها قِتَالاً إلاّ رُزِقَ النَّصرَ(٢).

٨٩٨ ـ وفي الصحيح ، عن أسماء بنت أبي بكر [رضيَ اللهُ عنها] ، أنها أخرجت جُبّةَ طَيَالسةٍ ، وقالت: كان رسول الله ﷺ يَلْبَسُها ، فنحن نَغْسِلها للمرضى نَسْتشْفِي بها(٣).

وحدثنا القاضي أبو علي ، عن شَيْخه أبي القاسم بن المأمون ، قال: كانت عندنا قَصْعةٌ من قِصاع النبيّ ﷺ ، فكُنّا نجعلُ فيها الماءَ للمرضى ، فيستشفون بها.

٨٩٩ ـ وأخذ جَهْجَاهٌ الغِفَاري القَضيبَ من يد عثمانَ رضي الله عنه ليَكْسِرَه على ركبته ، فصاح الناسُ به ، فأخَذَتْهُ فيها الآكِلةُ ، فقطعها ، ومات قبل الحَوْل(٤).

= في التاريخ والبيهقي في الدلائل وأبو بكر بن أبي خيثمة كما في شمائل الرسول لابن كثير ص (٣١٢). (خفقها بمخفقة) : أي ضربها بالدِّرَّةِ. (برَّكَ عليها): دعا لها بالبركة.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة. (قطوفاً) تقدم شرحها عند الحديث المتقدم برقم (٨٩٣). (هملاجاً): أي يسير سيراً حسناً في سرعة.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٧١٨٣) ، وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٥٨٨ ، والطبراني في الكبير (٣٨٠٤) ، والحاكم ٣/ ٢٩٩ من حديث خالد بن الوليد. وقال الذهبي: «منقطع». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٤٩ وقال: «رواه الطبراني وأبو يعلىٰ بنحوه ، ورجالهما رجال الصحيح. وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا». وقال البوصيري ـ كما في حاشية المطالب العالية (٤٠٤٤) ـ: «رواه أبو يعلىٰ بسند صحيح». وسيأتي برقم (١٣٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٦٩). وفي المطبوع وصحيح مسلم: «يُسْتَشْفىٰ بها». (جُبَّةَ طيالِسَةٍ) بإضافة جُبَّة إلىٰ طيالسة ، والطيالسة جمع طيلَسان ، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ، خال عن التفصيل والخياطة/ المعجم الوسيط.

(٤) رواه ابن السكن وغيره ـ كما في الإصابة ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ـ من حديث ابن عمر. وسيأتي برقم (٦٣٣٣). (القضيب): هو عصا النبي ﷺ. (الآكِلَةُ): داءٌ يصيب الأعضاء فتتآكل.

٩٠٠ ـ وسكب من فَضْلِ وَضُوئه في بئر قُبَاء فما نَزَفَتْ بعد[١] .

٩٠١ ـ وبزق في بئر كانت في دار أنس ، فلم يكن بالمدينة (٩٤/ب) أَعذب منها[٢] .

٩٠٢ ـ ومَرّ على ماءٍ ، فسأَل عنه ، فقيل له : اسْمُه بِيْسان ، وماؤه مِلْح ، فقال : «بل هو نَعْمان وماؤه طيب»[٣] فطاب .

٩٠٣ ـ وأُتِي بدَلوٍ من ماء زمزم ، فمجَّ فيه ، فصار[٤] أطيبَ من المِسْك[٥] .

٩٠٤ ـ وأعطىٰ الحسن والحُسين لسانَه فمصّاه ، وكانا يبكيان عَطشاً ، فسكتا[٦] .

٩٠٥ ـ وكان لأُمِّ مالكٍ عُكّةٌ تُهْدِي فيها للنبي ﷺ سَمْناً فأَمرها النبيّ ﷺ ألاّ تَعْصرَها ، ثم دفعها إليها ، فَإذا هي مَمْلُوءَةٌ سَمْنًا ، فيأتيها بَنُوها يسأَلونها الأُدْمَ ، وليس عندهم شيءٌ فتَعْمِدُ إليها . فتجدُ فيها سَمْناً ، فكانت تُقيم أُدْمَها حتى عَصَرَتْها[٧] .

٩٠٦ ـ وكان يَتْفُلُ في أفواهِ الصبيان المراضع فيجزئهم ريقُه إلى الليل[٨] .

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل من حديث أنس . (قُباء) : كانت قرية قِبْلِيّ المدينة المنورة وهي اليوم من أحيائها . (ما نزفت) : لم ينقص ماؤها .

(٢) أخرجه أبو نعيم عن أنس/ المناهل (٦٦٦) . (أعذب منها) العَذْبُ : السائغ .

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ في ترجمة طلحة بن عبيد الله ، وياقوت في معجم البلدان عند ترجمته لـ (بيسان) . وقال ﷺ ذلك في غزوة ذي قَرَدٍ . وهي غزوة الغابة أيضاً .

(٤) في المطبوع : «فصارت» .

(٥) أخرجه ابن ماجه (٦٥٩) ، وأحمد ٤/ ٣١٥ وغيره ، من حديث وائل بن حُجْر ، وليس فيه «من ماء زمزم» وقال البوصيري في مصباح الزجاجة : «إسناده منقطع . . .» وسيأتي برقم (٩٣٤) . (مجَّ) : تَفَلَ .

(٦) رواه الطبراني من حديث أبي هريرة . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٨٠ ـ ١٨١ : «ورجاله ثقات» .

(٧) أخرجه مسلم (٢٢٨٠) من حديث جابر بن عبد الله . (عُكَّة) وعاء صغير للسَّمن .

(٨) أخرجه أبو يعلىٰ (٧١٦٢) ، والبيهقي في الدلائل من حديث عليلة ، عن أمها قالت : قلت =

٩٠٧ ـ ومن ذلك: بركةُ يده فيما لمسه وغرسَهُ لِسَلْمانَ [رضي الله عنه] حين كاتَبَه مواليه على ثلاث مئة وَدِيَّةٍ يَغْرِسُها لهم، كلُّها تَعلَقُ وتُطْعِم، وعلى أربعين أُوقيَّةً من ذهب، فقام عليه السلام وغَرسها له بيده إلا واحدة غرسها غَيْرُه، فأَخذت كلّها إلا تلك الواحدة، فقلعها النبيُّ ﷺ وردَّها، فأَخذت.

وفي كتاب البزّار: فأَطعم النَّخْلُ مِنْ عامه إلا الواحدة، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فأطعمتْ مِنْ عامها.

وأعطاه مِثْلَ بَيْضَةِ الدَّجَاجَة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه، فوزَن منها لمواليه أربعين أوقيّة، وبقِيَ عنده مِثْلُ ما أعطاهم[١].

٩٠٨ ـ وفي حديث حَنَشِ بن عَقِيل: سقاني رسول الله ﷺ شَرْبةً من سَويق شرِبَ أَوّلَهَا وشربتُ آخِرها، فما برحتُ أجدُ شِبَعَها إذا جُعْتُ، ورِيَّها إذا عَطِشْتُ، وبَرْدَها إذا ظمئتُ[٢].

٩٠٩ ـ وأعطى قَتادةَ بن النعمان ـ وصلّى معه العشاء في ليلة مُظْلمةٍ مَطِيرةٍ ـ

= لأَمَةِ الله بنت رزينة، حدثتكِ أمك رزينة أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر صوم عاشوراء؟ قالت: نعم. وكان يعظِّمه حتىٰ يدعو برضَعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في أفواههن ويقول للأمهات: «لا ترضعنهن إلىٰ الليل». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٨٦ وقال: «وعليلة ومن فوقها لم أجد من ترجمهن...». (تَفَلَ) التَّفْلُ: شبيه بالْبَزقِ، وهو أقل منه/ مختار الصحاح.

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٤، والطبراني في الكبير (٦٠٦٥) وغيره، من حديث سلمان الفارسي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٣٦ وقال: «رواه كله أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولىٰ عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح، غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع ورواه البزار». وانظر موارد الظمآن ٧/ ٢١٨. (كاتَبَهُ) الكِتابَةُ: أن يكاتب الرجل عبده علىٰ مال يؤديه إليه منجّما، فإذا أَدّاه صار حُرّا/ النهاية، (وَدِيَّة) هي النخلة الصغيرة. (أوقية): اسم لأربعين درهما/ المعجم الاقتصادي الإسلامي. (تعلق): تنبت بعد غرسها. (أخذت كلها): أي نبتت وأدركت.

(٢) رواه قاسم في الدلائل من طريق موسىٰ بن عقبة عن المسور بن مخرمة/ الإصابة ترجمة حَنَش بن عقيل. (سَوِيق): طعام يتخذ من مَدْقوقِ الحنطة والشعير. سمي بذلك لانسياقه في الحلق/ المعجم الوسيط.

عُزجوناً ، وقال: «انطلق به ، فإنه سيُضِيءَ لك مِنْ بين يديْكَ عَشْراً ومن خَلْفِكَ عَشْراً ، فإذا دخَلْتَ بيتَك فسترى سواداً فاضْرِبه حتى يخرجَ ، فإنه الشيطانُ» .

فانطلق فأضاء له العُرجونُ حتى دخل بيْتَه ، ووجد السّوَاد فضربه (٩٥/أ) حتى خرج[١] .

٩١٠ ـ ومنها: دَفْعُه لعُكَّاشة جِذْلَ حطَب ، وقال: «اضْرِبْ به» حين انكسر سيفُه يوم بَدْر ، فعاد في يده سيفاً صارماً ، طويلَ القامة ، أبْيَضَ ، شدِيدَ المَتْنِ ، فقاتل به ، ثم لم يزَلْ عنده يشهَدُ به المواقِفَ إلى أن استُشهِد في قِتَالِ أهل الردّة[٢] .

وكان هذا السيف يسمى العَوْن.

٩١١ ـ ودَفْعُهُ لعبد الله بن جَحْش يوم أُحُد ـ وقد ذهب سيفُه ـ عَسِيبَ نخْلٍ ، فرجع في يده سيفاً[٣] .

٩١٢ ـ ومنه: بركَتُه في دُرُورِ الشّيَاه الحوائل باللبن[٤] الكثير ، كقصّة شاة أُمّ مَعْبَدٍ[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٦٥ من حديث أبي قتادة. وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٦٧٤). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٩: «ورجال أحمد. . .رجال الصحيح». ورواه أيضاً البزار والطبراني. (مطيرة): كثيرة المطر. (العرجون): ما يحملُ التمرَ. و ـ العِذْقُ: هو من النخل كالعنقود من العنب. (سواداً): أي شخصاً.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل من حديث عُكَّاشَةَ بن مِحْصَنٍ/ المناهل (٦٧٥). (جذل حطب) الجذل: أصل الشجرة يقطع ، وقد يجعل العود جذلاً/ النهاية.

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل عن سعيد بن عبد الرحمن عن أشياخه/ المناهل (٦٧٦). (عسيب نخل) العسيبُ: جريدة النخل المستقيمة يكشطُ خوصها/ المعجم الوسيط. والخوص: الأوراق.

(٤) دُرور الشياه الحوائل باللبن: أي امتلاء ضروعها باللبن بعد أن كانت لا لبن فيها. والحوائل: جمع حائلٍ ، وهي التي لم تحمل مطلقاً.

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٣١٣ من حديث أم معبد وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حزام بن هشام بن حبيش وأبيه ، وكلاهما ثقة». وتقدم حديث أم معبد برقم (٤٩ ، ٥٩ ، ١٢٦ ، ٣٧٨).

٩١٣ ـ وأعْنُز معاوية بن ثَور[١] .

٩١٤ ـ وشاةِ أنس[٢] .

٩١٥ ـ وغَنَم حليمة : مُرْضِعَتِهِ ، وشارِفِها[٣] .

٩١٦ ـ وشاةِ عبد الله بن مسعود[٤] ، وكانت لم يَنْزُ عليها فَحْل .

٩١٧ ـ وشاةِ المِقْداد[٥] .

٩١٨ ـ ومن ذلك تَزْويدُهُ أَصحابَه سقاءَ ماءٍ بعد أَنْ أَوكَأَهُ ، ودعَا فيه ، فلما حضرتهم الصلاةُ نزلوا فحلُّوه ، فإذا به لبَنٌ طيب وزُبدة في فمه ـ من رواية حمّاد بن سلمة[٦] .

٩١٩ ـ ومسح على رَأْسِ عُمير بن سَعْد[٧] وبرّك ، فمات وهو ابنُ ثمانين ، فما شاب .

٩٢٠ ، ٩٢١ ـ ورُوِيَ مِثْلُ هذه القِصص عن غير واحدٍ ، منهم : السائبُ بن يزيد[٨] ، وَمَدْلوك[٩] .

---

(١) رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله/ المناهل (٩١٣) .

(٢) حديث شاة أنس أورده السيوطي في المناهل (٦٧٩) ولم يذكره من خرجه .

(٣) تقدم حديث حليمة السعدية برقم (١٦٤ م) وسيأتي برقم (١١١٦) . (الشارف) : الناقة المسنة/ النهاية .

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٣٧٩ ، والطيالسي (٢٤٥٦) منحة المعبود من حديث ابن مسعود . وهو حديث حسن . انظر تمام تخريجه في مسند أبي يعلىٰ (٤٩٨٥) .

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٥٥) من حديث المقداد بن عمرو .

(٦) رواه ابن سعد عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً/ المناهل (٦٨٣) .

(٧) هكذا في الأصل والمطبوع : «عمير بن سعد» . وورد اسمه في مناهل الصفا (٦٨٤) : «عبادة بن سعد» ، وهو الصواب . وهذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في أخبار المدينة . انظر الإصابة ترجمة عبادة الزرقي ، وترجمة سعد بن عثمان أبي عبادة .

(٨) أخرجه البخاري (٣٥٤٠) من حديث السائب بن يزيد . ونحوه في صحيح مسلم (٢٣٤٥) .

(٩) رواه الطبراني من حديث مدلوك . وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٤٠٩ : «فيه من لم أعرفهم» . ونسبه السيوطي في المناهل (٦٨٦) إلىٰ البيهقي في الدلائل .

٩٢٢ ـ وكان يوجَدُ لعُتْبة بن فَرْقَد طِيبٌ يغلبُ طيبَ نسائه ، لأَنَّ رسول الله ﷺ مسح بيده على بَطْنِه وظَهْرِه(١) .

٩٢٣ ـ وسلَتَ الدَّمَ عن وَجْهِ عائذ بن عَمْرو ، وكان جُرِحَ يوم حُنَين ، ودعا له ، فكانت له غُرّةٌ كَغُرَّةِ الفرس(٢) .

٩٢٤ ـ ومَسح على رأس قَيْس بن زَيْد الجُذَامي ، ودعا له ، فهلك [وهو] ابْنُ مِئة سنة ، ورأسُه أبيض ، وموضِعُ كفِّ النبي ﷺ وما مَرّت يَدُه عليه من شعره أسودُ ، فكان يُدْعى الأغرَّ(٣) .

٩٢٥ ـ ورُوي مِثْلُ هذه الحكاية لعَمْرِو بن ثعلبة الجُهَني(٤) .

٩٢٦ ـ ومسح وَجْهَ آخر ، فما زال على وجْهه نُور(٥) .

٩٢٧ ـ ومسحَ وَجْهَ قَتَادةَ بن مِلْحان ، فكان لوجْهه بَرِيق حتى كان يُنْظَرُ في وجهه كما يُنْظَرُ في المرآة(٦) .

٩٢٨ ـ ووضع يَده على رأس حنظلة بن حِذْيَم ، وبرَّكَ عليه ، فكان حَنْظَلَة

---

(١) رواه البيهقي والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عتبة بن فرقد. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه. . . ورجال الأوسط رجال الصحيح غير أم عاصم فإني لم أعرفها».

(٢) رواه الطبراني من حديث عائذ بن عمرو. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤١٢: «وفيه من لم أعرفهم». (سلت الدم): مسحه. (غُرَّة الفرس): البياض الذي يكون في وجهها. وفي المطبوع: «خرجَ» بدل: «جُرِحَ». وهو تصحيف.

(٣) أخرجه ابن السَّكَنِ وابن مندة وغيرهما كما في الإصابة ٣/ ٢٣٧.

(٤) أخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٠٥ وقال: «رواه الطبراني ورجاله إلىٰ أبي نُعَيْم ثقات».

(٥) قال السيوطي في المناهل (٦٩١): «ابن سعد عن أبي وجزة السعدي أن رسول الله ﷺ مسح علىٰ وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء».

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٢٨ ـ ٢٩ ، والبيهقي وابن شاهين ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٩ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

يُؤْتَى بالرجُل قد وَرِمَ وَجْههُ ، والشاة قد وَرِم (٩٥/ب) ضَرْعُها ، فيوضَعُ على موضع كفِّ النبيِّ ﷺ فيذهبُ الوَرَمُ[١] .

٩٢٩ ـ ونضح في وَجْه زينب بنت أُم سَلَمة نَضْحة مِنْ ماءٍ ، فما يُعْرَف كان في وَجْه امرأةٍ من الجمال ما بها[٢] .

٩٣٠ ـ ومسح على رَأس صبي به عاهة ، فَبَرِىء[٣] واستوى شعره . وعلى غير واحدٍ من الصِّبْيَان [و] المرضى والمجانين ، فبرَؤُوا .

٩٣١ ـ [ومثله روي في خبر المُهَلّبِ بنِ قَبَالَةَ][٤] .

٩٣٢ ـ وأتاه رجل به أُدْرَةٌ ، فأَمره أن يَنضَحَها بماءٍ ، من عَيْن مَجَّ فيها ، ففعل ، فَبَرِىء[٥] .

٩٣٣ ـ وعن طاووس : لم يُؤْتَ النبيُّ ﷺ بأَحدٍ به مَسٌّ ، فصكَّ في صَدْره إلا ذهب[٦] .

والمَسُّ : الجنونُ .

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٦٨ ، والبيهقي من حديث حنظلة بن حِذْيَم ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٤٠٨ وقال : «رواه الطبراني في الأوسط ، والكبير بنحوه ، وأحمد في حديث طويل ، ورجال أحمد ثقات» . (بَرّكَ عليه) : دَعَا لَهُ بالبركة .

(٢) رواه الطبراني من حديث زينب بنت أم سلمة . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٥٩ وقال : «رواه الطبراني ، وأم عطاف لم أعرفها» ، وذكره أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب (نضح) : رشّ .

(٣) رواه أبو نعيم عن الوازع/ المناهل (٦٩٥) .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من نسيم الرياض ٣/ ١٤٧ . ويغلب على ظني أن في هذا الاسم تحريفاً . قال : مُلاّ علي القاري في شرح الشفا ٣/ ١٤٧ : «ورُوي هُـلْب بن قُنافَـةَ (من رجال التهذيب) قيل : وهو الصواب ، ولعلهما قصتان . وقال الطبري : هو المهلب بن يزيد بن عدي ابن قُنافة الطائي . وفد علىٰ رسول الله ﷺ وهو أقرع ، فمسح علىٰ رأسه ، فنبت شعره ، فسمي المهلب» .

(٥) أورده ابن الأثير في النهاية . (الأُدْرَةُ) : نفخةٌ في الخُصْيَةِ . (مجَّ فيها) : تَفَلَ .

(٦) حديث مرسل . ذكره السيوطي في المناهل (٩٣٣) ولم يخرجه . (صَكَّ) : ضرب .

٩٣٤ ـ ومَجَّ في دَلْوٍ من بئر ، ثم صبّ فيها ، ففاح منها ريحُ المِسْكِ(١) .

٩٣٥ ـ وأخذ قَبْضَةً من تُرابٍ يوم حُنَين ، ورَمى بها في وجوه الكفّار ، وقال : «شاهَتِ الوجوهُ» فانصرفُوا يمسحون القذى عن أَعْيُنهم(٢) .

٩٣٦ ـ وشكا إليه أبو هريرة [رضي الله عنه] النِّسيانَ ، فأَمره ببَسْطِ ثَوْبه ، وغَرف بيده فيه ، ثم أَمره بضَمِّهِ ، ففعل ، فما نَسِيَ شيئاً بعد(٣) .

وما يُروَى عنه في هذا كثير .

٩٣٧ ـ وضرب صَدْرَ جَرِير بن عَبد الله ، ودَعَا له ، وكان ذُكِرَ له أنه لا يثبُتُ على الخيل ، فصار من أفرس العرب وأثبتهم(٤) .

٩٣٨ ـ ومسح [علىٰ] رَأْس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير ، وكان دَميماً ، ودعا له بالبركة ، فَفَرَعَ الرجالَ(٥) ، طُولاً وتَماماً .

فصل

[فِيْ مَا أُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُيُوبِ](٦)

ومن ذلك ما أُطْلِعَ عليه من الغيوبِ وما يكون . والأحاديثُ في هذا الباب بَحرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، ولا يُنْزَفُ غَمْرُه(٧) .

وهذه المعجزَةُ من جملة معجزاتِه المعلومة على القَطْعِ ، الواصلِ إلينا

---

(١) تقدم برقم (٩٠٣) . (مجّ) : تَفَل .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع . (شاهت الوجوه) : أي قبحت/ النهاية (القذىٰ) : التراب المُدَقَّقُ ، وهو الذي يقع في العين/ المعجم الوسيط .

(٣) أخرجه البخاري (١١٩) ، ومسلم (٢٤٩٢) من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٦) ، ومسلم (٢٤٧٥/ ١٣٥) من حديث جرير نفسه .

(٥) ذكره ابن الأثير في أُسْدِ الغابة ٣/ ٣٤٦ ، وعزاه السيوطي في المناهل (٧٠٣) إلى الزبير بن بكّار . (دميما) الدَّمامةُ : القِصَرُ والقبح/ النهاية . (فَرَعَ الرجال) : طالهم وعلاهم .

(٦) ما بين حاصرتين من عندي .

(٧) (لا ينزف غَمْرُه) : لا يفنىٰ ماؤه .

خَبَرُها على التواتُر ، لكَثْرةِ رُوَاتِها ، واتفاق مَعَانيها على الاطلاع على الغيب .

٩٣٩ ـ حدثنا الإمامُ أبو بكر : محمد بن الوليد الفِهْري إجازةً ، وقرأتُه على غيره . قال أبو بكر : حدثنا أبو علي التُّسْتَري ، حدثنا أبو عُمر الهاشميّ ، حدثنا اللّؤْلؤي ، حدثنا أبو داود ، حدثنا عثمان بن أبي شَيْبة ، حدثنا جَرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حُذَيفة ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ مَقَاماً ، فما ترك شيئاً يكونُ في مَقَامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثه ، حفِظَه من حفظَه ، ونَسِيَه مَنْ نَسِيَه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكونُ منه الشيءُ فأَعرفُه فأذكرُه كما يذكر الرجلُ وَجْهَ الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآهُ عرفه[١] .

٩٤٠ ـ ثم قال حُذَيفة : ما أدري ، أنسيَ أصحابي أَم تناسَوْه؟ (٩٦/أ) واللهِ! ما ترك رسول الله ﷺ مِنْ قائد فِتْنَة إلى أن تَنْقَضِي الدنيا يبلغ مَنْ معه ثلاث مِئَةٍ فصَاعِداً إلا قد سمّاه لنا باسْمِه ، واسْمِ أبيه ، وقَبيلته[٢] .

٩٤١ ـ وقال أبو ذَرّ : لقد تركَنَا رسولُ الله ﷺ وما يحرِّك طائرٌ جناحَيْهِ في السماءِ ، إلاّ ذكَّرنا منه عِلْماً[٣] .

٩٤٢ ـ وقد خرَّج أهلُ الصحيح والأئمةُ ما أعلمَ به أصحابَه ﷺ ممّا وَعدهم به من الظُّهور على أعدائه[٤] .

٩٤٣ ـ وفَتْحِ مكة[٥] .

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٢٤٠) ، وأخرجه أيضاً البخاري (٦٦٠٤) ، ومسلم (٢٣/٢٨٩١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٤٣) ، وفي إسناده عبد الله بن فروخ . قال المنذري : وقد تكلّم فيه غير واحد .

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٥٣ ، والبزار (١٤٧) ، والطبراني (١٦٤٧) وغيره . وصححه ابن حبان (٧١) موارد ، والسيوطي في المناهل (٧٠٦) . وفي الباب : عن أبي الدرداء عند أبي يعلىٰ (٥١٠٩) بإسناد صحيح .

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٥٢) من حديث خبّاب ، وفيه : «وليتمَّنَّ الله هذا الأمر . . . حتىٰ يسير الراكب» .

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) من حديث المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم .

٩٤٤ ـ وبيتِ المَقْدس[١] .

٩٤٥ ـ واليمن ، والشام ، والعراقِ[٢] .

٩٤٦ ـ وظُهُورِ الأَمْنِ ، حتى تَظْعَنَ المرأةُ من الحِيْرَةِ إلى مكّة ، لا تخافُ إلا الله[٣] .

٩٤٧ ـ وأنَّ المدينة ستُغْزَى[٤] .

٩٤٨ ـ وتُفْتَح خَيْبَرُ على يدي عليّ في غَدِ يومِه[٥] .

٩٤٩ ـ وما يفتحُ اللهُ على أُمَّته من الدنيا ، ويُؤْتَوْن من زَهْرَتها[٦] .

٩٥٠ ـ وقِسْمَتِهِم كنوزَ كسرى وقَيصر[٧] .

٩٥١ ـ وما يَحْدُث بينهم من الفُتُون والاختلاف والأهواء[٨] .

٩٥٢ ـ وسلوك سبيل مَنْ قَبْلَهم[٩] .

٩٥٣ ـ وافتراقهم على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، الناجيةُ منها واحدةٌ[١٠] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٥) ، ومسلم (١٣٨٨) من حديث سفيان بن أبي زهير ، وسيأتي طرف منه برقم (١٥٠٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٩٥) من حديث عدي بن حاتم الطائي . (تظعن) : ترتحل . (الحيرة) : بلد في العراق بين النجف والكوفة فتحها خالد بن الوليد . قال في المعالم الأثيرة : وأظنها قد درست .

(٤) أخرجه البخاري (١٨٧٤) ، ومسلم (١٣٨٩) من حديث أبي هريرة .

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد . وله طرق أخرىٰ عن عدد من الصحابة .

(٦) أخرجه البخاري (١٤٦٥) ، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيدالخدري .

(٧) أخرجه البخاري (٣١٢١) ، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سَمُرَةَ ، والبخاري (٣١٢٠) ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة .

(٨) جمع أحاديث الباب في الكتب الستة ابنُ الأثير في جامع الأصول (١٠/ ٣) فانظرها فيه .

(٩) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

(١٠) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٢ ، وأبو داود (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وابن ماجه (٣٩٩١) ، =

٩٥٤ ـ وأنها ستكونُ لهم أنماطٌ[١].

٩٥٥ ـ ويَغْدُو أحدُهم في حُلَّـةٍ ، ويروحُ في أُخرى ، وتُوضَع بين يديه صَحْفَةٌ وتُرفَعُ أُخرى ، ويستُرونَ بيوتَهم كما تُسْتَرُ الكعبة .

ثم قال آخرَ الحديث : «وأنتم اليومَ خَيْـرٌ منكم يومئذٍ»[٢] .

٩٥٦ ـ وأنهم إذا مشَوْا المُطَيْطاءَ وخدَمَتْهم بناتُ فارِسَ والروم ردّ اللهُ بأْسَهم بينهم ، وسلَّط شِرَارَهم على خِيَارهم[٣] .

٩٥٧ ـ وقتالِهم التُّرْكَ[٤] .

٩٥٨ ـ والخُزْرَ[٥] ، والرُّوم .

٩٥٩ ـ وذَهَابِ كسرى وفارس حتى لا كسْرى ولا فارس بعده ، وذهابِ قَيْصَر حتى لا قَيْصر بَعْدَه[٦] .

= وأبو يعلى (٥٩١٠) من حديث أبي هريرة . وصححه ابن حبان (١٨٣٤) موارد ، والحاكم ١/ ١٢٨ ، ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن صحيح» . وروي هذا الحديث عن عدد من الصحابة أيضاً . انظر مسند أبي يعلى ٧/ ٣٢ ـ ٣٣ .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣١) ، ومسلم (٢٠٨٣) من حديث جابر بن عبد الله . (الأنماط) : ضَرْبٌ من البُسُطِ له خَملٌ رقيق ، واحدها نمط/ النهاية .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٧٦) من حديث علي ، وفي إسناده راوٍ لم يُسَمَّ . وقال الترمذي : «هذا حديث حسن» . (حُلَّة) : ثوبان ، إزار ورداء . ولا تكون حلة إلا وهي جديدة تحل من طيِّها فتلبس . (صَحْفة) : إناء من آنية الطعام .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٦١) من حديث ابن عمر . وقال : «هذا حديث غريب . . .» ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨٦٧) ، ورواه الطبراني عن أبي هريرة كما في فيض القدير ١/ ٤٤٥ . قال الهيثمي : «وإسناده حسن» . (إذا مشت أمتي المطيطاء) : أي تبختروا في مشيتهم عجباً واستكباراً .

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٢٨) ، ومسلم (٢٩١٢/ ٦٥) من حديث أبي هريرة . (الترك) : جيل من المغول/ المعجم الوسيط . وفي المطبوع : «الفرس» بدل : «الترك» .

(٥) انظر البخاري (٣٥٩٠) . (الخُزْر) : طائفة من الترك . وانظر تاريخ يهود الخزر ، نقله إلى العربية وقدم له الدكتور سهيل زكار . دار حسان .

(٦) أخرجه البخاري (٣١٢٠) ، ومسلم (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة ، والبخاري (٣١٢١) =

٩٦٠ ـ وذكر أنَّ الرومَ ذاتُ قُرونٍ إلى آخر الدّهر[١].

٩٦١ ـ وبذهاب الأمْثَلِ فالأمثل من الناس[٢].

٩٦٢ ـ وتقارُبِ الزمان ، وقَبْضِ العِلْم ، وظهورِ الفِتن ، والهَرْجِ[٣].

٩٦٣ ـ وقال: «ويلٌ للعرب مِنْ شرٍّ قد اقترب»[٤].

٩٦٤ ـ وأنه زُوِيَتْ له الأرض فأُرِيَ مَشَارِقَها ومَغَارِبَها ، وسيبلغُ مُلْكُ أُمَّته ما زُوِيَ له منها[٥].

فكذلك كان ، امتدّت في المشارق والمغارب ما بين أرضِ الهند أقْصى المَشرق إلى بَحْر طَنْجة[٦] (٩٦/ب) حيث لا عِمَارة وراءه ، وذلك ما لم تملِكْهُ أُمَّةٌ من الأمم ، ولم تمتدّ في الجنوب ولا في الشّمال مِثْلَ ذلك.

٩٦٥ ـ وقوله: «لا يزالُ أهلُ الغَرْبِ ظاهرينَ على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ»[٧] ـ ذهب ابن المَديني إلى أنهم العَرَبُ ، لأنهم المختصّون بالسَّقْي بالغَرْب ـ وهي الدّلو ـ وغَيْرُه يذهبُ إلى أنهم أهلُ المَغْرِب ، وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه.

= ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة ، وانظر الجامع الصغير (٥٨٣٢).

(١) أخرج الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن مُحَيْرِيز مرفوعاً: «فارس نَطْحَةٌ أو نطحتان ، ثم لا فارس بعد هذا أبداً ، والروم ذات القرون ، كلما هلك قرن خلفه قرن. . . ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٥٨٣٢) ، ورمز لضعفه: قال المُناوي: يريد أن فارس تقاتل المسلمين مرة أو مرتين ثم يبطل ملكها ويزولُ. . .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٣٤) من حديث مِرْداسٍ الأسلمي.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣٦) ، ومسلم في العلم (١١/١٥٧) من حديث أبي هريرة. وفيه: وما الهرجُ؟ قال: «القتل».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٦) ، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) ، وقد تقدم برقم (٦٦١). (زُويت): جُمِعَت.

(٦) بحر طنجة: أي البحر الأبيض المتوسط ، وطَنْجة: مدينة ساحلية جميلة ، تقع شمالي المملكة المغربية.

(٧) أخرجه مسلم (١٩٢٥) من حديث سعد بن أبي وقّاص. (ظاهرين): أي معاونين أي غالبين أو قاهرين لأعداء الدين/ قاله المناوي في فيض القدير ٦/ ٣٩٦.

٩٦٦ ـ وفي حديث آخر، مِنْ رواية أبي أُمَامَة: «لا تزالُ طائفةٌ من أُمّتي ظاهريـنَ على الحقِّ، قاهِرينَ لِعدُوِّهِمْ، حتى يأتِيَهم أَمْرُ اللهِ وهم كذلك».

قيل: يا رسول الله! وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس»[1].

٩٦٧ ـ وأَخْبَر بمُلْك بني أُمية[2].

٩٦٨ ـ ووِلاية مُعَاوية، ووصَّاهُ[3].

٩٦٩ ـ واتخاذِ بني أُميّة مالَ اللهِ دُوَلاً[4].

٩٧٠ ـ وخروج ولدِ العباسِ بالرايات السُّودِ[5].

٩٧١ ـ ومُلْكهم أضعافَ ما ملكوا[6].

٩٧٢ ـ وخروج المهدي[7].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨٨ وقال: «رواه عبد الله (٥/ ٢٦٩)/ وجادةً عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات».

(٢) رواه الحاكم والترمذي عن الحسن بن علي، والبيهقيُّ عن أبي هريرة/ المناهل (٧٣٢).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٧٣٨٠) من حديث معاوية، وأخرجه أحمد ٤/ ١٠١ من حديث أبي أمية عمرو بن يحيىٰ بن سعيد، قال: سمعت جدي يحدث أن معاوية أخذ الإداوة بعد أبي هريرة، فبينا هو يُوضِّىء رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرةً، أو مرتين، فقال: يا معاوية! إن وليتَ أمراً فاتق الله عز وجل واعدل... وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٨٦، وقال: «رواه أحمد وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يعلىٰ عن سعيد، عن معاوية فوصله، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني...».

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٥٢٣) من حديث أبي هريرة. وصحح إسناده البوصيري. وفي الباب: عن الخدري وأبي ذر وغيرهما. (اتخذوا مال الله دولاً) أي: استأثروا به ولم يصرفوه في حقه.

(٥) أخرجه أحمد والبيهقي وغيرهما من طرق/ المناهل (٧٣٥). وانظر ابن ماجه (٤٠٨٤).

(٦) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بن مالك. قال الهيثمي في المجمع ٥/ ١٨٧: «وفيه بكر بن يونس وهو ضعيف». ورواه العقيلي في الضعفاء عن أبي بَكْرة/ المناهل (٧٣٦).

(٧) رواه أصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة جداً/ المناهل (٧٣٧). وقد صححه عدد من العلماء. لكن قال الحوت في أسنىٰ المطالب ص (٢٧٨): «أحاديث المهدي كلها ضعيفة ليس منها ما يعتمد عليه، ولا يغتر بمن جمعها في مؤلفات». وانظر جامع الأصول =

٩٧٣ ـ وما ينالُ أهلَ بيتِه وتَقْتيلهم وتَشْريدهم[١].

٩٧٤ ـ وقَتْل عليٍّ ، وأَنَّ أَشْقاهَا الذي يَخْضِبُ هذه من هذه ، أي لحيَتَه من رَأْسه[٢].

٩٧٥ ـ وأنّه قسيمُ النار[٣] ، يَدْخُل أولياؤه الجنة ، وأعداؤه النار [٤]، فكان فيمَنْ عاداه الخوارج[٥] والناصِبَـة[٦] ، وطائفةٌ مِمّن يُنْسَبُ إليه من الروافِضِ[٧] كفَّروه.

٩٧٦ ـ وقال: «يُـقْـتَـلُ عثمانُ وهو يَـقْرأُ في المُصحفِ»[٨].

= ١٠/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢ ، مجمع الزوائد (٧/ ٣١٣ ـ ٣١٨) ، الجامع الصغير رقم (٩٢٤١ ـ ٩٢٤٥).

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ٤٨٧ من حديث الخدري وقال: «هذا حديث صحيح. . .» وقال الذهبي متعقباً: «لا ، والله! كيف وإسماعيل متروك؟ ثم لم يصح السند إليه».

(٢) رواه الطبراني من حديث علي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٣٧ : «وإسناده حسن». وروىٰ هذا الحديث أيضاً عمار بن ياسر وصهيب الرومي وجابر بن سمرة كما في مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦ ـ ١٣٧ . (أشقاها): أي أشقىٰ الناس. (يخضب): يُـلَطِّخ. (لحيته): أي لِحْيَـةُ عَلِيٍّ .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٤/ ٦١ : «وفي حديث علي: «أنا قسيم النار» أراد أن الناس فريقان: فريق معي ، فهم علىٰ هدىً ، وفريق عَلَيَّ ، فهم على ضلال ، فنصف معي في الجنة ، ونصف عليَّ في النار ، وقسيم: فعيل بمعنىٰ مفاعِلٍ ، كالجليس والسَّمير. قيل: أراد بهم الخوارج ، وقيل: كُلّ من قاتله».

(٤) في المطبوع: «يدخل أولياؤُهُ النَّارَ» ، بدل: «يدخل أولياؤه الجنة ، وأعداؤه النار» ، فَجَلَّ من لا يضل ولا ينسىٰ.

(٥) الخوارج: فرقة من الفرق الإسلامية ، خرجوا علىٰ الإمام علي كرم الله وجهه ، يكفِّرون أصحاب الكبائر. ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً. انظر المِلَل والنحل ١/ ١٠٥.

(٦) الناصبة: طائفة تديَّنت ببغض علي كرم الله وجهه ، سموا بذلك لأنهم نصبوا له وعادوه.

(٧) الروافض: جمع رافضة ، وهي فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة ، سُمُّوا بذلك لأن أوليهم رَفَضُوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن ، في الشيخين (المعجم الوسيط) . وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ١/ ٨٩: «وإنَّما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر».

(٨) أخرج الترمذي (٣٧٠٨) عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال: «يُـقْـتَـلُ فيها هذا =

٩٧٧ ـ وأن الله عسى أَنْ يُلْبِسَه قَميصاً ، وأنهم يُرِيدون خَلْعه(١) .

٩٧٨ ـ وأنّـه سيَقْطُـر دمُـه علـى قـولـه : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾(٢) [البقرة : ١٣٧] .

٩٧٩ ـ وأَنَّ الفِتَن لا تَظْهَر ما دام عُمَرُ حيّاً(٣) .

٩٨٠ ـ وبمحاربة الزُّبَيْرِ لعليٍّ وهو ظالم له(٤) .

٩٨١ ـ وبنُبَاح كِلابِ الحَوْأَب على بعض أَزواجِه(٥) .

٩٨١ م ـ وأنه يُقْتَل حولَها قتلى كثيرٌ ، وتَنْجُو بعد ما كادت(٦) ، فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البَصْرة .

= مظلوماً» لعثمان ، قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» وانظر المجمع ٩/ ٨٩ ـ ٩٣ .

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٥) ، وابن ماجه (١١٢) من حديث عائشة . قال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» . (قميصاً) : أراد به الخلافة .

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ١٠٣) من حديث ابن عباس . قال الذهبي : «كَذِبٌ بَحْتٌ» .

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٩٦) ، ومسلم (١٤٤) من حديث حذيفة بن اليمان ، وأعاده مسلم في الفتن باب : في الفتنه التي تموج كموج البحر .
ملحوظة : عقب هذا الحديث ذكر السيوطي في المناهل ثلاثة أحاديث لم ترد في الأصل ولا في المطبوع ، وهي : قوله : وأخبر بقتل عمر ، هو في حديث حذيفة/ المناهل (٧٤٤) .
قوله : وأنه يقتل شهيداً . البزار عن جابر أنه قال لعمر : عش حميداً أو مت شهيداً/ المناهل/ ٧٤٥ .
وفي قصة أحد : وشهيدان/ المناهل (٧٤٦) .

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٦٦) من حديث علي . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٥ وقال : «رواه أبو يعلىٰ ، وفيه عبد الملك بن مسلم . قال البخاري : لم يصح حديثه» . وقوله : «وهو ظالم له» ، لم يرد في المطبوع .

(٥) أخرجه أحمد ٦/ ٥٢ ، وأبو يعلىٰ (٤٨٦٨) وغيره من حديث عائشة وصححه السيوطي وابن حبان (١٨٣١) موارد . وهناك استوفينا تخريجه . (الحَوْأَب) : موضع قريب من البصرة علىٰ طريق مكة ، المعالم الأثيرة .

(٦) أخرجه البزار (٣٢٧٣) من حديث ابن عباس ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤ : «ورجاله ثقات» : وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٧٤٩) .

٩٨٢ ـ وأنَّ عمّاراً تقتلُه الفئةُ الباغِيةُ[١] ، فقتله أصحابُ معاوية .

٩٨٣ ـ وقال لعبد الله بن الزُّبير : «ويلٌ للناس مِنْكَ! وويْلٌ لكَ من الناس!»[٢] .

٩٨٤ ـ وقال في قُزْمانَ ـ وقد أَبْلَى مع المسلمين ـ : «إنه من أهْلِ النار»[٣] فقتل نَفْسَه .

٩٨٥ ـ وقال في جماعة فيهم أبو هريرة ، وسَمُرَةُ بن جُنْدُب ، وحُذَيفة : «آخركم موتاً في النار»[٤] فكان بعضهم يسألُ عن بعض (٩٧/أ) فكان سَمُرَةُ آخرَهم موتاً ، هَرِم وخَرِف ، فاصطلى بالنارِ فاحترقَ فيها .

٩٨٦ ـ وقال في حَنْظَلَةَ الغَسِيل : «سلُوا زوجَته [عنه] فإني رأيتُ الملائكة تغسِّلُه»[٥] فسألوها فقالت : إنه خرج جُنُباً ، وأعجلَه الحالُ عن الغُسْلِ .

قال أبو سعيد [رضي الله عنه] : وجَدْنا رَأْسَه يَقْطُر ماءً .

٩٨٧ ـ وقال : «الخلافةُ في قُرَيش»[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٥) من حديث الخدري ، و(٢٩١٦) من حديث أم سلمة . وانظر جامع الأصول (٩/ ٤٢ ـ ٤٥) . (الباغية) : هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام/ النهاية .

(٢) تقدم برقم (٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٨) ، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد . (قُزمان) : رجل من المنافقين قاتل مع المسلمين يوم أحد قتالاً شديداً . وكان قتاله حمية عن قومه ، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٥٢٥ .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٠ : «وفيه علي بن زيد بن جُدعان ، وقد وثق ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح» . وقال الذهبي في السير ٣/ ١٨٤ : «هذا حديث غريب جداً ، ولم يصح لأبي نضرة سماع من أبي هريرة ، وله شويهد» . وقال في تاريخه : إن صحَّ هذا فيكون إن شاء الله قوله عليه السلام : «آخركم موتاً في النار» متعلقاً بموته في النار لا بذاته .

(٥) رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، والسراج عن عبد الله بن الزبير/ المناهل (٧٥٤) .

(٦) أخرجه أحمد ٤/ ١٨٥ من حديث عتبة بن عبد السلمي . وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ١٩٦ =

٩٨٨ ـ «ولن يزالَ هذا الأمْرُ في قُريش ما أقاموا الدِّين»[١].

٩٨٩ ـ وقال عليه الصلاة والسلام: «يكون في ثَقِيف كَذّابٌ ومُبِيرٌ»[٢] فرأوهُما: الحَجَّاجَ، والمُخْتَارَ.

٩٩٠ ـ وأن مُسَيْلِمَةَ يعقرهُ الله[٣].

٩٩١ ـ وأَنّ فاطمة أَولُ أهلِه لحوقاً به[٤].

٩٩٢ ـ وأَنْذَر بالردَّة[٥].

٩٩٣ ـ وبأَنّ الخلافة بَعْده ثلاثون [سنة]، ثم [تكون] مُلْكاً[٦]، فكانت كذلك بمدّةِ الحسَنِ بن عليّ.

٩٩٤ ـ وقال: «إنَّ هذا الأمْرَ بدَأَ نُـبُوَّةً ورحمةً، ثم يكون رحمةً وخلافةً، ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً، ثم يكون عُتُوّاً وجَبَروتاً وفساداً في الأُمة»[٧].

= وقال: «رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد ثقات». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير. وانظر جامع الأصول ٤/ ٤٢ ـ ٤٧.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر، (كذاب): هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب قتله مصعب بن الزبير، (مبير): أي مُهْلك.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٠)، ومسلم (٢٢٧٣) من حديث ابن عباس. (يعقره): يهلكه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٦)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما.

(٥) كما في حديث ثوبان عند مسلم (١٩٢٠): «ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان...» وانظر جامع الأصول ١٠/ ٣٤ ـ ٣٧.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي ـ كما في تحفة الأشراف/ ٤٤٨٠ ـ وغيره. من حديث سفينة. وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤١٤٧)، وابن حبان (١٥٣٤) موارد، وهناك استوفينا تخريجه.

(٧) أخرجه أبو يعلىٰ (٨٧٣)، والبزار (١٥٨٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٣٠) من حديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٨٩ وقال: «رواه أبو يعلىٰ والبزار عن أبي عُبيدة وحده... ورواه الطبراني عن معاذ وأبي عبيدة... وفيه ليث بن أبي سُلَيم وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات». وفي الباب: عن حذيفة بن اليمان ذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩ وقال: «رواه أحمد في ترجمة النُّعمان، والبزار أتمّ=

٩٩٥ ـ وأخبر بشَأْنِ أُوَيْسٍ القَرَني[١].

٩٩٦ ـ وبأُمَرَاء يؤَخِّرون الصلاةَ عن وَقْتها[٢].

٩٩٧ ـ وسيكونُ في أُمته ثلاثون كذَّاباً ، فيهم أَربَعُ نسوةٍ[٣].

٩٩٨ ـ وفي حديث آخر: «ثلاثون دجَّالاً كذّاباً أَحَدُهم الدجّال الكذاب ، كلُّهم يكْذِبُ على اللهِ ورسوله»[٤].

٩٩٩ ـ وقال: «يوشكُ أن يكثُرَ فيكم العَجَمُ ، يأكلون فَيْئَكُمْ ، ويَضْربُون رِقَابكُم»[٥].

١٠٠٠ ـ و«لا تقومُ الساعةُ حتى يسوقَ الناسَ بعصاهُ رجلٌ من قَحْطانَ»[٦].

١٠٠١ ـ وقال: «خَيْرُكم قَرْني ، ثم الذين يلُونَهم ، ثم الذين يَلُونهم ، ثم

= منه ، والطبراني ببعضه في الأوسط ، ورجاله ثقات». وهو حديث صحيح بشواهده. (ملكاً عضوضاً): أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنَّهم يُعَضُّون فيه عضًا/ النهاية. (عتوّاً): أي تجبراً وتكبراً. (جبروتاً): عتواً وقهراً.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٤) من حديث ابن مسعود.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٩٦ من حديث حذيفة ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٢ وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح». وقال السيوطي في المناهل (٧٦٥): «رواه أحمد والطبراني والبزار بسند صحيح». ورواه أيضاً الديلمي والضياء في «المختارة».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٣٤) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري (٧١٢١) ، ومسلم في الفتن (١٥٧/ ٨٤) بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله». وفي المطبوع: «آخرهم» بدل «أحدهم».

(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣١٠ ـ ٣١١ من حديث سَمُرَةَ وأنس وعبد الله بن عَمْرٍو وحذيفة وأبي هريرة. وقال عن حديث الأخير: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». (فيئكم): أموالكم.

(٦) أخرجه البخاري (٣٥١٧) ، ومسلم (٢٩١٠) من حديث أبي هريرة. (يسوق الناس بعصاه): لم يرد العصا نفسها ، وإنما ضربها مثلاً لطاعتهم ، واستيلائه عليهم ، إلا أن في ذكرها دليلاً على ذلك ، وعلى خشونته عليم ، وعسفه بهم/ قاله ابن الأثير في جامع الأصول ١٠/ ٣٩٥.

يأتي بَعْد ذلك قومٌ يشهَدُون ولا يُسْتَشْهدون ، ويخونون ولا يُؤتمنون ، ويُنْذِرون ولا يُوفُون [ويظهر فيهم السِّمَنُ]»(١) .

١٠٠٢ ـ وقال: «لا يأتي زمانٌ إلاّ والذي بعده شَرٌّ منه»(٢) .

١٠٠٣ ـ وقال: «هلاكُ أُمتِي على يَدي أُغَيْلِمَةٍ من قُريش». قال أبو هريرة راوِيه: لو شئتُ سمّيتُهم لكم: بنُو فلان ، وبنو فلان(٣) .

١٠٠٤ ـ وأَخبر بِظُهورِ القَدَرية(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حُصَيْن. (ولا يستشهدون): هذا عام في الذي يؤدي الشهادة قبل أن يطلبها صاحب الحق منه. وقيل: معناه هم الذين يشهدون بالباطل الذي لم يحملوا الشهادة عليه ، ولا كانت عندهم/ النهاية باختصار. (لا يؤتمنون): أي لا يثق الناس بهم ولا يعتقدونهم أمناء/ الفتح ٥/ ٢٥٩ . (ويظهر فيهم السِّمَن): أي يحبون التوسع في المآكل والمشارب. وقيل غير ذلك. انظر الفتح ٥/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس بن مالك.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠٥) من حديث أبي هريرة. وانظر صحيح مسلم. (٢٩١٧) . (أُغَيْلِمَة) تصغير أَغْلِمة ، جمع غلام ، وهو تصغير تحقير.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦١٣) ، وأحمد ٢/ ٩٠ من حديث ابن عمر. وصححه الحاكم ١/ ٨٤ ، وقال الذهبي في الكبائر (٢٣٥) بتحقيقي: «وهذا علىٰ شرط مسلم». وانظر جامع الأصول ١٠/ ١٢٨ ـ ١٣٢ . (القدرية): في إجماع أهل السنة والجماعة: هم الذين يقولون الخير من الله والشر من الإنسان ، وان الله لا يريد أفعال العصاة. وسموا بذلك ، لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالىٰ ، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه ، وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون هذا الاسم إلى مخالفيهم من أهل الهدىٰ ، فيقولون: أنتم القدرية ، حين تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله ، وأنكم أولىٰ بهذا الاسم منا ، وهذا الحديث يبطل ما قالوا ، فإنه ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة» ومعنى ذلك: أنهم لمشابهتهم المجوس في مذهبهم ، وقولهم بالأَصْلَيْنِ ، وهما: النور والظُّلْمة ، فإن المجوس يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، فصاروا بذلك ثنوية ، وكذلك القدرية لما أضافوا الخير إلى الله ، والشرَّ إلى العبيد: أثبتوا قادِرَيْنِ خالِقَيْنِ للأفعال ، كما أثبت المجوس ، فأشبهوهم وليس كذلك غير القدرية ، فإن مذهبهم أن الله تعالىٰ خالق الخير والشر ، ولا يكون شيء منهما إلا بخلقه ومشيئته. فالأمران معاً مضافان إليه خلقاً وإيجاداً ، وإلى العباد مباشرة واكتساباً/ قاله ابن الأثير في جامع الأصول (١٠/ ١٢٨).

١٠٠٥ ـ والرافِضَة[١].

١٠٠٦ ـ وسَبِّ آخِرِ هذه الأمةِ أوَّلَها[٢].

١٠٠٧ ـ وقلّةِ الأنصار حتى يكونوا كالمِلْحِ في الطعام[٣]، فلم يَزَلْ أمْرُهم يتبدَّدُ[٤] حتى لم يَبْقَ لهم جماعةٌ.

١٠٠٨ ـ وأنهم سيلْقَوْن بعده أثَرَة[٥].

١٠٠٩ ـ وأخبر بشأن الخَوارجِ وصِفَتهم، والمُخْدَجِ الذي فيهم، وأَنَّ سِيمَاهُمُ التَّحليق[٦].

١٠١٠ ـ ويُرَى رِعاءُ الغنم رؤوسَ الناس، والعراةُ الحُفاةُ يتبارَوْن في البُنْيان.

وأَنْ تلِدَ الأَمَةُ رَبَّتها[٧].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢١ ـ ٢٢ من حديث أُمِّ سلمة، وفاطمة، وعلي، وابن عباس وقال عن حديث الأخير: «رواه الطبراني، وإسناده حسن». وانظر السنة لابن أبي عاصم ص (٤٦٠ ـ ٤٦٢). (الرافضة) تقدم التعريف بها عند الحديث المتقدم برقم (٩٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) من حديث علي، و(٢٢١١) من حديث أبي هريرة، وكلاهما إسناده ضعيف. ونسبه في المناهل (٧٧٥) إلى البغوي عن عائشة، وابن ماجهْ عن جابر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٠) من حديث ابن عباس.

(٤) يتبدد: يتفرق.

(٥) أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس بن مالك. (أَثَرَة) أي يُفَضَّلُ غيركم في نصيبه من الفيء/ انظر النهاية.

(٦) حديث الخوارج وصفتهم رواه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق. انظر جامع الأصول (١٠/ ٧٦ ـ ٩٣). (الخوارج) تقدم التعريف بهم عن الحديث المتقدم برقم (٩٧٥). (المُخْدَجُ): الناقص. وورد في صفة الخوارج: «فيهم رجلٌ مُخْدَج اليد» أي ناقصها، وهو ذو الثُّدَيَّة. وكان في يده مثل ثدي المرأة. (وسيماهم): علامتهم. (التحليق): حلق شعر الرأس.

(٧) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر. (وأن تلد الأَمة رَبَّتها) قال في جامع الأصول ١/ ٢١٢: «وهي الأمة تلد للرجل، فيكون ابنها مولىً لها، وكذلك ابنتها، لأنها في الحسب كأبيها. والمراد: أن السَّبْي يكثر، والنعمة تفشو في الناس وتظهر. (رعاء) جمع راعٍ. (يتبارون): يتفاخرون.

١٠١١ ـ وأَنّ قريشاً والأحزاب لا يَغْزُونَه أَبداً ، وأنه هو يغزوهم[١] .

١٠١٢ ـ وأخبر (٩٧/ب) بالمُوتان الذي يكونُ بعد فَتْحِ بيت المقدس[٢] .

١٠١٣ ـ وما وعَد من سُكْنَى البَصْرة[٣] .

١٠١٤ ـ وأنهم يَغْزُونَ في البحر كالملوكِ على الأَسِرَّةِ[٤] .

١٠١٥ ـ وأن الدِّين لو كان مَنُوطاً بالثريّا لنالَهُ رِجَالٌ من أبناء فارِس[٥] .

١٠١٦ ـ وهاجَت ريح في غَزَاته فقال: «هاجَتْ لموتِ منافقٍ»[٦] ، فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك .

١٠١٧ ـ وقال لقومٍ من جلسائه: «ضِرْسُ أَحدِكم في النار أعظمُ من أُحُد»[٧] .

قال أَبو هريرة: فذهب القومُ ـ يعني: ماتُوا ـ وبقيتُ أنا ورجلٌ ، فقُتِل مرتَدّاً يوم اليمامة .

---

(١) أخرجه البخاري (٤١١٠) من حديث سليمان بن صُرد .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٧٦) من حديث عوف بن مالك . (مُوتان): موت يقع في الماشية فيهلكها/ جامع الأصول (١٠/ ٤١٢) . والمراد: حدوث وباء أو طاعون يكثر فيه الموت .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٠٧) عن أنس . وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تعليقه علىٰ جامع الأصول ٤/ ٥١٣ : «وهو حديث صحيح» .

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٠٠) ، ومسلم (١٩١٢) من حديث أنس عن خالته أم حَرامٍ . (الأَسِرَّة): جمع سرير ، وهو مقعد يعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعاً وتعظماً .

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٩٧) ، ومسلم (٢٥٤٦) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة . (منوطاً) مُعَلَّقاً . (الثريا): نجم معروف . قال القرطبي: «وقع ما قاله ﷺ عياناً ، فإنه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها ما لم يشاركهم فيه كثير من أحدٍ غيرهم» .

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٨٢) من حديث جابر بن عبد الله . وفي المطبوع: «في غزاة» بدل «في غزاته» .

(٧) رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٠ : «وفي إسناد هذا الحديث الواقدي وهو ضعيف» (اليمامة): سيأتي التعريف بها عند الحديث (١٢٥٢) .

١٠١٨ ـ وأعْلَم بالذي غَلَّ خَرَزاً من خَرَزِ يَهُودَ ، فَـوُجِدَتْ في رَحْله[١] .

١٠١٩ ـ وبالذي غَلَّ الشَّمْلَةَ ، وحيثُ هي[٢] .

١٠٢٠ ـ وناقتهُ حين ضلَّتْ ، وكيف تعلّقت بالشجرة بخِطَامها[٣] .

١٠٢١ ـ وبشأنِ كتاب حَاطِبٍ إلى أَهل مكة[٤] .

١٠٢٢ ـ وبقضيَّة عُمَيْرٍ مع صَفْوَانَ حين سارَّه وشارَطه على قَتْل النبيِّ ﷺ. فلما جاء عُميرٌ للنبيّ ﷺ قاصداً لقَتْلِه ، وأَطْلَعَهُ رسول الله ﷺ على الأمر والسرّ أَسلم[٥] .

١٠٢٣ ـ وأخبر بالمالِ الذي تركه عمُّه العباسُ [رضي الله عنه] عند أم الفَضْل بعد أَن كتمه ، فقال: ما عَلِمَه غيري وغيرُها ، فأسلم[٦] .

١٠٢٤ ـ وأَعلم بأنه سيَقْـتُل أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ[٧] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧١٠) ، والنسائي ٤/ ٦٤ ، وابن ماجه (٢٨٤٨) ، ومالك في الموطأ ٢/٤٥٨ ، وغيره من حديث زيد بن خالد الجهني. وصححه الحاكم ٢/ ١٢٧ ووافقه الذهبي. (غلّ): أي سرق يوم خيبر من الغنيمة قبل القسمة. (خَرَزا): جمع خَـرَزَةٍ ، وهي واحدة الخرزات التي تنظم في سلك ليتزيَّن بها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٣٤) ، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة. (غَلَّ الشملة): أي أخذها خفية من الغنيمة قبل القسمة. والشملة: نوع من اللباس.

(٣) رواه البيهقي عن عروة مرسلاً/ المناهل (٧٨٧). (ضَلَّت): ضاعت ، (بخطامها): بِرَسَنِها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي. (حاطب) هو ابن أبي بَلْتَعَةَ صحابي شهد بدراً.

(٥) رواه الطبراني من حديث أنس بن مالك ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٧ : «ورجاله رجال الصحيح». وللحديث طرق أخرىٰ انظرها في مجمع الزوائد. (عمير): هو ابن وهب (صفوان): هو ابن أمية.

(٦) رواه أحمد ١/ ٣٥٣ من حديث ابن عباس ، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٦: «وفيه راوٍ لم يُسَمَّ ، وبقية رجاله ثقات». وصححه الحاكم ٣/ ٣٢٤ من حديث عائشة ، ووافقه الذهبي. (أم الفضل): هي زوج العباس عم النبي ﷺ. وأخت السيدة ميمونة زوج النبي ﷺ .

(٧) تقدم برقم (٢٠٧).

١٠٢٥ ـ وفي عُتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب [من كلاب] الله[(١)].

١٠٢٦ ـ وعن مَصَارع أهلِ بَدْر ، فكان كما قال[(٢)].

١٠٢٧ ـ وقال في الحسَنِ: «إن ابني هذا سيّدٌ ، وسيُصْلحُ اللهُ به بين فئَتَيْن عظيمتين من المسلمين»[(٣)].

١٠٢٨ ـ ولسَعْدٍ: «لعلَّك تُخلَّفُ حتى ينتفِعَ بكَ أقوام ويستضرَّ بك آخرون»[(٤)].

١٠٢٩ ـ وأخبر بقَتْلِ أهل مُؤْتة يوم قُتِلُوا وبينهم مسيرةُ شهرٍ أو أزْيدُ[(٥)].

١٠٣٠ ـ وبموت النجاشيّ يوم مات وهو[(٦)] بأرضه[(٧)].

١٠٣١ ـ وأخبر فَيْرُوزَ إذ ورد عليه رَسُولاً من كسرى بموت كسرى ذلك

---

(١) تقدم برقم (٨٨٧). وكلمة: «أنه» ، لم ترد في المطبوع . والصواب: «عُتَيبة» بدل «عُتْبَة».

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس. (مصارع): مواضع القَتْل. (بدر): كانت في السنة الثانية من الهجرة. وبدر ـ الآن ـ بلدة كبيرة عامرة على بعد حوالي (١٥٠) كيلاً من المدينة المنورة.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) من حديث أبي بَكْرَةَ: نُفَيْعِ بنِ الحارث. (الحسن): هو ابن عليٍّ رضي الله عنهما ، وحشرنا في الجنة معهما. وقوله: «عظيمتين من المسلمين» ، لم يرد في المطبوع .

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٠٩) ، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص. (لعلَّك تخَلَّف) المراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من الصحابة. وهذا الكلام قاله ﷺ لسعد بعد أن مرض سعد مرضاً أشفىٰ منه علىٰ الموت. (ويستضر بك آخرون): أي من غير المسلمين.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٤٦) من حديث أنس. (أهل مؤتة) هم أمراء تلك الغزوة: زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة. و(مؤتة) تقدم التعريف بهاعند الحديث (٦٥٤).

(٦) كلمة: «وهو» ، لم ترد في المطبوع .

(٧) أخرجه البخاري (١٢٤٥) ، ومسلم (٩٥١) من حديث أبي هريرة. (النجاشي) لقب لكل من ملك الحبشة والمراد هنا: أَصْحَمَةُ.

اليوم[1] ، فلما حقّق فيروزُ القصةَ أَسلم .

١٠٣٢ ـ وأخبر أبا ذرٍّ [رضي الله عنه] بِتَطْرِيدِه كما كان ، ووجده في المسجد نائماً ، فقال له : «كيف بكَ إذا أُخرِجْتَ منه؟» قال : أسكُن المسجدَ الحرام . قال : «فإذا أُخرِجْتَ منه . . .» الحديث .[2] .

١٠٣٣ ـ وبعَيْشِه وَحْدَه ، ومَوْته وحْدَه[3] .

١٠٣٤ ـ وأخبر أَنّ أَسرعَ أَزواجه به لحوقاً أَطولُهنَّ يداً[4] (٩٨/أ) ، فكانت زينب لطُول يدها بالصدقة .

١٠٣٥ ـ وأخبر بقَتْل الحُسَين بالطَّفِّ ، وأخرج بيده تُرْبةً ، وقال : «فيها مَضْجَعُـهُ»[5] .

١٠٣٦ ـ وقال في زيد بن صُوحَان : «يسبقُه عُـضْوٌ منه إلى الجنة»[6] فقُطعت يَـدُه في الجهاد .

---

(١) رواه البيهقي/ المناهل (٧٩٨) . (كسرىٰ) لقب لكل من ملك فارس . واسمه : أبرويز .

(٢) رواه الطبراني من حديث أبي ذر . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٢٣ : «رجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا السليل ضُرَيْبَ بن نُفَيْرٍ لم يدرك أبا ذر» . وفي الباب : عن أسماء بنت يزيد عند أحمد ٦/ ٤٥٧ . وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٢٣ : «وفيه شهر بن حَوْشَبٍ وقد وثق» . (بتطريده) : أي بإخراجه من المدينة .

(٣) رواه ابن إسحاق بسند ضعيف عن ابن مسعود/ الإصابة (٤/ ٦٥) . ونسبه السيوطي في المناهل (٨٠٠) إلى أحمد وابن راهويه في مسنديهما ، والبيهقي عن ابن مسعود ، وابن أبي أسامة عن أبي المثنىٰ المكي .

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢٠) ، ومسلم (٢٤٥٢) من حديث عائشة .

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث عائشة ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٨٧ ـ ١٨٨ ، «وفي إسناد الكبير ابنُ لَهِيْعَةَ ، وفي إسناد الأوسط من لم أعرفه» ورويٍ إخباره ﷺ بمقتل الحسين من طرق كثيرة : انظرها في مجمع الزوائد ٩/ ١٨٧ ـ ١٩١ . (الطَّفُّ) : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية/ المعالم الأثيرة .

(٦) أخرجه أبو يعلىٰ (٥١١) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٤٤٠) من حديث علي . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٩٨ وقال : «رواه أبو يعلىٰ وفيه من لم أعرفهم» ، وزاد نسبته في المناهل (٨٠٣) إلىٰ ابن عدي والبيهقي .

١٠٣٧ ـ وقال في الذين كانُوا معه على حِرَاء: «اثبُتْ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيد»[١]، فقُتِل عليٌّ، وعُمَرُ، وعثمانُ، وطلحةُ، والزُّبيرُ، وطُعِن سعدٌ.

١٠٣٨ ـ وقال لسُرَاقَةَ: «كيف [بكَ] إذا أُلْبستَ سُوَارَيْ كِسْرى؟»[٢] فلما أُتِيَ بهما عُمَرُ ألبسهما إياه، وقال: الحمدُ للهِ الذي سلبهما كسرى وأَلبسهما سُراقةَ.

١٠٣٩ ـ وقال: «تُبْنَى مدينةٌ بين دِجْلَة ودُجَيْل وقُطْرَبُّل والصَّراةِ تُجْبَىٰ إليها خزائنُ الأَرْضِ، يُخْسَف بها»[٣]، يعني بغداد.

١٠٤٠ ـ وقال: «سيكونُ في هذه الأمة رَجلٌ يقال له: الوليدُ، هو شَرٌّ لهذه الأُمة من فرعونَ لقومه»[٤].

---

(١) تقدم برقم (٧٨٣، ٧٨٥، ٧٨٦).

(٢) رواه البيهقي في الدلائل/ المناهل (٨٠٥). وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ١٨ ـ ١٩ من حديث الحسن مرسلاً.

(٣) رواه الخطيب في التاريخ، وأبو نعيم في الدلائل عن جرير بن عبد الله (المناهل/ ٨٠٦). قال أحمد ويحيىٰ بن معين: ليس لهذا الحديث أصل. وقال أحمد: ما حدث به إنسان ثقة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وانظر اللآلىء المصنوعة ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٩٢. (دجلة): نهر بالعراق. (دُجَيْل): اسم نهر في موضعين أحدهما: مخرجه من أعلىٰ بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامراء، ودُجَيْل الآخر: نهر بالأهواز. حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس/ معجم البلدان باختصار. (قُطْرَبُّل) كلمة أعجمية: اسم قرية بين بغداد وعكبرا/ معجم البلدان. (الصَّراة): نهر ببغداد/ معجم البلدان.

(٤) أخرجه أحمد ١/ ١٨ من حديث عمر. وحسّنه البيهقي ـ كما في المناهل (٨٠٧) ـ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٤٠. وقال ابن حبان في المجروحين ١/ ١٢٥: «هذا خبر باطل». وقال الحافظ في الفتح ١٠/ ٥٨٠: «واعتمد ابن الجوزي على كلام ابن حبان، فأورد الحديث في الموضوعات، فلم يُصِبْ». وأخرجه أيضاً معمر بن راشد في الجامع (١٩٨٦١) عن الزهري مرسلاً. (الوليد): قال الأوزاعي ـ كما في الفتح ١٠/ ٥٨٠ ـ: «فكانوا يرونه الوليد بن عبد الملك. ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد لفتنة الناس به حين خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحَتْ الفتن على الأمة بسبب ذلك وكثر فيهم القتل». (فرعون): لقب لكل مَنْ ملك مصر.

١٠٤١ ـ وقال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تَقْتَتِلَ فئتان دَعْواهما واحدةٌ»(١).

١٠٤٢ ـ وقال لعُمَر في سُهَيْل بْنِ عَمْرٍو: «عسى أَنْ يقُومَ مقاماً يسُرُّكَ يا عُمرُ!»(٢) فكان كذلك، قام بمكّة مقامَ أبي بكر يوم بلغَهم مَوْتُ النبيِّ ﷺ، وخطب بنحو خُطْبَتِه، وثبَّتَهم وقوَّى بصائرهم.

١٠٤٣ ـ وقال لخالد حين وجَّهه لأُكَيْدِر: «إنك تجدُه يَصِيدُ البقَرَ»(٣) فوُجِدت هذه الأمورُ كلُّها في حياته، وبعد موته، كما قال عليه السلام.

إلى ما أخبر به جُلساءَه من أسرارهم وبَوَاطنهم، واطّلَع عليه من أَسرار المنافقين وكُفرهم، وقولهم فيه وفي المؤمنين، حتى إنْ كان بعضهم ليقولُ لصاحبه: اسكُتْ، فوالله! لو لم يكُنْ عنده مَنْ يُخْبِرهُ لأَخْبَـرَتْـهُ حجارةُ البَطْحاء(٤).

١٠٤٤ ـ وإعلامُـه بصفـة السّحر الذي سَحره به لَبِيدُ بن الأعْصَم، وكونه في مُشْطٍ ومُشَاقةٍ، في جُفّ طَلْعِ نخلةٍ ذَكَرٍ، وأنه أُلقِيَ في بئر ذَرْوَانَ(٥)،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٨)، ومسلم في الفتن (١٥٧/١٧).

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٢٨٢، والبيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن محمد مرسلاً. (سهيل بن عمرو): خطيب قريش وأحد سادتها في الجاهلية، وهو الذي تولىٰ أمر الصلح بالحديبية. أسلم يوم فتح مكة. وتوفي بالشام سنة (١٨) هـ. انظر الأعلام.

(٣) رواه ابن إسحاق والبيهقي عن يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر مرسلاً، ووصله ابن مندة في معرفة الصحابة، من طريق آخر عن بُجَيْرِ بن بَجْرَةَ الطائي صحابي/ المناهل (٨١٠). وأخرجه أيضاً أبو نعيم كما في أسد الغابة في ترجمة بجير بن بَجْرَةَ. (أُكَيْدِر): هو ابن عبد الملك صاحب دُومة الجندل. وهي قرية من الجَوْف شمال السعودية، تقع شمال تيماء على مسافة (٤٥٠) كيلاً.

(٤) البطحاء: مَسِيْلٌ فيه دقاق الحصىٰ.

(٥) متفق عليه من حديث عائشة. وقد تقدم برقم (١٧٦). (لبيد بن الأعصم): يهودي من يهود بني زُرَيق. (مُشاقَة): هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط. (جُفّ): هو وعاء طَلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه. (بئر ذروان): بئر في المدينة لبني زُرَيق. قال في المعالم الأثيرة: «ويظن أن البئر كانت من جهات البقيع من المدينة النبوية».

فكان كما قال ، ووُجِد على تلك الصِّفَة .

١٠٤٥ ـ وإعلامُه قُرَيشاً بأَكْل الأَرَضَةِ ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم ، وقطعوا بها رَحِمَهُم ، وأنها أبقَتْ فيها كلَّ اسمٍ للهِ[١] ، فوجدوها كما قال .

١٠٤٦ ـ ووصْفُه لكفارِ قريش بيتَ المقدس حين كَذَّبوه في خَبرِ (٩٨/ب) الإسراء ، ونَـعْـتُـهُ إياه نَعْتَ مَنْ عرفَهُ[٢] .

١٠٤٧ ـ وإعلامُهم[٣] بِعِيرهم التي مَرَّ عليها في طريقه ، وإنذارُهم[٤] بوقْتِ وصولها[٥] ، فكان كلُّه كما قال ﷺ .

إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولمْ يَأْتِ بعدُ ، منها ما ظهرَتْ مُقَدِّماتها .

١٠٤٨ ـ كقوله : «عُمْرَانُ بيت المقدس خَرَابُ يَثْرب ، وخَرابُ يَثْرِب خروجُ المَلْحمة ، وخروجُ الملحمة فتْحُ القُسْطنطينية»[٦] .

---

(١) أورده ابن كثير في السيرة (٢/ ٤٥) من حديث الزهري مرسلاً . (الأَرَضَةُ) : حشرة بيضاء مصفرة تشبه النملة . تعيش في مستعمرات كبيرة ، وتأكل الخشب ونحوه/ المعجم الوسيط . (تظاهروا) : تعاونوا وتناصروا .

(٢) تقدم برقم (٨٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤) ، (ونَـعْته) : ووصْفه .

(٣) في المطبوع : «وأعلمهم» .

(٤) في المطبوع : «وأنذرهم» .

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٧٤) من حديث شداد بن أوس ، وقال : «رواه البزار والطبراني في الكبير . . . وفيه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء ، وثقه يحيىٰ بن معين ، وضعَّفه النسائي» . (بِعِيْرِهم) العِيْرُ : الإبل والدواب التي كانوا يتاجرون عليها .

(٦) أخرجه أبو داود (٤٢٩٤) ، وأحمد ٥/ ٢٣٢ من حديث معاذ بن جبل . قال الحافظ المنذري : «فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، وكان رجلاً صالحاً ، وثقه بعضهم ، وتكلم فيه غير واحد» ، وأورده الحافظ الذهبي في الميزان من جملة مناكيره . ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٥٦١٢) .
(الملحمة) : هي الحرب وموضع القتال . قال الجوهري : الوقعة العظيمة . (القسطنطينية) : هي مدينة استانبول في تركيا ، وكانت حصن المسيحية الشمالية ، فتحها البطل المسلم محمد =

ومِنْ أشراط الساعة وآياتِ حلولِها ، وذِكْرِ النَّشْرِ والحَشْرِ ، وأخبارِ الأبرار والفجَّار ، والجنةِ والنار ، وعَرَصات القيامة[1] .

وبحَسْب هذا الفصل أن يكون ديواناً مُفْرَداً يشتملُ على أجزاء وحْدَهُ ، وفيما أشَرْنا إليه من نُكت الأحاديث التي ذكرناها[2] كفايةٌ ، وأكثَرُها في الصحيح ، وعند الأئمة .

فصل
في عِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ وَكِفَايَتِهِ مَنْ آذَاهُ

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ [الطور : ٤٨] .

وقال : ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

قيل : بكاف محمداً ﷺ أعداءَه المشركين . وقيل غَيْر هذا .

وقال : ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحِجْر : ٩٥] .

وقال : ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

١٠٤٩ ـ أخبرنا القاضي الشهيدُ أَبو عليّ الصَّدَفي بقراءتي عليه ، والفقيهُ الحافظ أبُو بكر : محمد بن عبد الله المَعَافِرِيّ ، قالا : حدثنا أبو الحُسين الصَّيْرفي ، قال : حدثنا أَبو يَعْلَى البَغْدَادي ، حدثنا أبو عليّ السِّنْجيُّ ، حدثنا أبو العباس المَرْوزي ، حدثنا أبو عيسى الحافظ ، حدثنا عَبْد بن حُميد ، حدثنا

= الفاتح ـ رحمه الله ـ يوم الثلاثاء (٢٠) جُمادىٰ الآخرة سنة (٨٥٧) هـ = ٢٩ أيار سنة (١٤٥٣) م .

(١) عَرَصَاتُ القيامة : شدائدها وأهوالها .

(٢) في المطبوع : «ذكرنا» .

مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الحارث بن عُبيد ، عن سَعِيد الجُرَيْري ، عن عَبْد الله بن شَقِيق ، عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: كان النبيُّ ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. فأخرج رسولُ الله ﷺ رَأْسَه من القُبَّة ، فقال لهم: «يا أَيُّها النَّاسُ! انْصَرِفُوا ، فقد عَصَمَنِي رَبِّي عزَّ وجلَّ»[١].

١٠٥٠ ـ ورُوِي أن النبيَّ ﷺ كان إذا نـزل مَنْـزِلاً اختار له أَصحابُه شجرةً يَقِيلُ تحتها ، فأَتَاهُ أعرابيٌّ فاخترط سيْفَه (٩٩/أ) ثم قال: مَنْ يمنَعُك منّي؟ فقال: «اللهُ [عزَّ وجل]» فأُرعِدَتْ[٢] يَدُ الأعرابيّ ، وسقط سيفُه ، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دِماغُه ، فنزلت الآية[٣].

١٠٥١ ـ وقد رُوِيت هذه القصةُ في الصحيح ، وأَنْ غَورثَ بن الحارث صاحبُ هذه القصة ، وأنّ النبيَّ ﷺ عَفا عنه ، فرجع إلى قومه ، وقال: جِئْتكم من عند خَيْرِ الناس[٤].

١٠٥٢ ـ وقد حُكِيت مِثْلُ هذه الحكاية ، [و] أنها جرت له يوم بَدْر ، وقد انفرد من أصحابه لقضاءِ حاجتِه ، فتبعه رجلٌ من المنافقين. . . وذكر مِثْلَه[٥].

١٠٥٣ ـ وقد رُوِيَ أنه وَقَعَ له مِثْلُها في غزوة غَطَفان بِـذِي أَمَرّ ، مع رجل اسمه دُعْثُور بن الحارث ، وأن الرجلَ أَسْلَمَ ، فلما رجع إلى قومه الذين أَغْرَوْهُ

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي عيسىٰ الترمذي (٣٠٤٦). وصححه الحاكم ٢/ ٣١٣ ، ووافقه الذهبي ، وحسَّنه الحافظ في الفتح. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٢) في المطبوع: «فَرُعِدَتْ».

(٣) أخرجه ابن جرير من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً. (يقيل تحتها) القيلولة: نومة نصف النهار ، أو الاستراحة فيه ، وإن لم يكن نوم/ المعجم الوسيط. (اخترط سيفه): سَلَّهُ من غمده . (أرعدت يد الأعرابي): أي اختلجت واضطربت.

(٤) هذه الرواية أخرجها إبراهيم الحربي في كتاب «غريب الحديث» من حديث جابر بن عبد الله/ قاله الحافظ في الفتح ٧/ ٤٢٨. وأخرجه بسياق آخر: البخاري (٤١٣٥ ، ٤١٣٦) ، ومسلم (٨٤٣) ، وقد تقدم برقم (١٧٤).

(٥) أورده السيوطي في المناهل (٨١٦) ولم يذكر مَنْ خرَّجه.

ـ وكان سيِّدَهم وأشجَعهُم ـ قالوا له: أين ما كنْتَ تقولُ، وقد أمكنك؟ فقال: إنّي نظرتُ إلى رجل أبيضَ طويلٍ دَفَع في صَدْري، فوقعتُ لظَهْرِي، وسقط السيفُ من يدي، فعَرفتُ أنه مَلَك، وأسلمتُ[1].

قيل: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

١٠٥٤ ـ وفي رواية الخطَّابي أَنَّ غَورثَ بنِ الحارث المُحَاربي أراد أَنْ يَفْتِكَ بالنبيّ ﷺ، فلم يَشْعُر به إلاّ وهو قائم على رَأسِه مُنْتَضِياً سيْفَه، فقال: «اللَّهُمَّ! اكْفِنيه بما شئْتَ»، فانكبَّ مِنْ وَجْهه من زُلَّخَةٍ زُلِّخَها بين كتفيه، وندَر سيْفُه من يده[2]. الـزُّلَّـخَةُ: وجع الظَّهْرِ.

وقيل في قصتِه غَيْرُ هذا، وذُكِر أَنَّ فيه نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

١٠٥٥ ـ وقيل: كان رسول الله ﷺ يخافُ قريشاً، فلما نزلت هذه الآيةُ استَلْقَى، ثم قال: «مَنْ شاءَ فليَخْذُلْنِي»[3].

١٠٥٦ ـ وذكر عَبْدُ بن حُميد، قال: كانت حَمَّالَةُ الحطَب تضَعُ العِضَاهَ

---

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه ١/ ١٩٤ ـ ١٩٦ من حديث عبد الله بن أبي بكر وغيره مرسلاً. وأخرجه الواقدي ـ فيما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة وابن حجر في الإصابة ـ من طريق عبدالله بن رافع بن خديج، عن أبيه مرفوعاً. وقال الحافظ في الإصابة ١/ ٤٦٤: «وقصته هذه شبيهة بقصة غُورث بن الحارث المخرجة في الصحيح من حديث جابر، فيحتمل التعدد، أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتحاد». (ذي أَمَر): موضع بناحية النُّخيل بنجد.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة الكبرىٰ من حديث جابر بن عبد الله / المناهل (٨١٧). وأورده أيضاً ابن الأثير في النهاية. (زُلَّخةٍ): وجع يأخذ في الظهر لا يتحرك الإنسانُ من شدته (النهاية). (منتضيا): مجرداً وسالاً. (انكب من وجهه): وقع عليه. (ندر): سقط ووقع.

(٣) رواه ابن جرير عن ابن جُرَيج.

ـ وهي جَمْرٌ ـ على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يَطَؤُها كَثِيباً أَهْيَلَ[1] .

١٠٥٧ ـ وذكر ابن إسحاق عنها أَنها لمَّا بلغَها نزولُ : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد : ١] ، وذِكْرُها بما ذَكَرها اللهُ مع زَوْجِها (٩٩/ب) من الذم ، أَتَتْ رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، وفي يَدِها فِهْرٌ من حجارة .

فلما وَقَفَتْ عليهما لم تَرَ إلا أبا بَكر ، وأَخذ اللهُ تعالى بِبصَرِها عن نبيه ﷺ ، فقالت : يا أبا بكر! أين صاحِبُكَ؟ فقد بلغني أَنه يَهْجُوني ، والله! لو وجدتُه لضربتُ بهذا الفِهْرِ فاهُ[2] .

١٠٥٨ ـ وعن الحَكَم بن أبي العاص : تواعَدْنا على النبيّ ﷺ حتى إذا رأَيناه سمعنا صوتاً خَلْفَنَا ما ظننَّا أنه بَقِي بِتهامَة أَحدٌ ، فوقَعْنا مَغْشيّاً علينا ، فما أفَقْنا حتى قضى صلاتَه ورجع إلى أَهْلِهِ .

ثم تواعَدْنا ليلةً أُخرى ، فجئْنَا حتى إذا رأَيناه جاءت الصَّفَا والمَرْوةُ ، فحالت بيننا وبينه[3] .

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره مرسلاً . (العِضَاهُ) : كل شجر له شوك/ المعجم الوسيط . (و هي جمر) المراد تشبيه الشوك بالجمر حال حدتها . (كثيباً أَهْيَلَ) : أي رملاً سائلاً .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٥٣) ، والحميدي (٣٢٥) وغيره من حديث أسماء بنت أبي بكر ، وصححه الحاكم ٢/ ٣٦١ ، ووافقه الذهبي . وفي الباب عن ابن عباس خرجناه في موارد الظمآن (٢١٠٣) ، وحسنه الحافظ في الفتح (٨/ ٧٣٨) . (الفِهْر) : الحجر ملء الكف ، وقيل : هو الحجر مطلقاً/ النهاية . (فاهُ) : فَـمَـهُ .

(٣) رواه الطبراني وأبو نعيم في «الدلائل» بسند جيد/ المناهل (٨٢٠) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٧ وقال : «رواه الطبراني ، ورجال ثقات ، غير بنت الحكم فلم أعرفها» . (تِهامة) : تطلق علىٰ الأرض المنكفئة إلىٰ البحر الأحمر من الشرق من العقبة في الأردن ، إلىٰ «المخا» في اليمن . وفي اليمن تسمىٰ تهامة اليمن ، وفي الحجاز تسمىٰ تهامة الحجاز ، ومنها مكة المكرمة ، وجُدة ، والعقبة/ قاله أستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب في المعالم الأثيرة . (الصفا) : أكمة صخرية تبعد عن الكعبة المشرفة ما لا يزيد عن (٢٠٠) م . أصبحت الآن جزءاً من المسجد الحرام ، ومنها يبدأ السعيُ إلى المروة سبعة أشواط . (المروة) أكمة صخرية ،=

١٠٥٩ ـ وعن عُمر رضيَ اللهُ عنه: تواعَدْتُ أنا وأبو جَهْم بن حُذَيفة لَيلةً قَتْلَ رسول الله ﷺ، فجئْنا منزلَه، فَتَسَمَّعْنا له فافتتح وقرأ الفاتحة، وقرأ ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٨].

فضرب أبو جَهْم على عَضُد عُمر، وقال: انْجُ، وفَرَّا هاربَيْنِ، فكانت من مقدّمات إسلام عُمر [رضي الله عنه][(١)].

١٠٦٠ ـ ومنه العِبْرَةُ المشهورة، والكفاية التامة عندما أَخافته قُريش، وأجمعت على قَتْله وبيَّتُوه، فخرج عليهم من بيته، فقام على رؤوسهم، وقد ضرب الله [تعالى] على أبصارهم، وذَرَّ الترابَ على رؤوسهم، وخلص منهم[(٢)].

١٠٦١ ـ وحِمايتُه عن رؤيتهم في الغار بما هيّأ اللهُ له من الآيات، ومن العنكبوت الذي نسج عليه، حتى قال أُميّةُ بن خَلَف ـ حين قالوا: ندخُل الغار ـ: ما أَرَبُكم فيه، وعليه من نَسْج العنكبوت ما أُرى أنه من[(٣)] قَبْل أَنْ يولَد محمد؟

= هي نهاية المسعىٰ من الشمال. أصبحت الآن جزءاً من المسجد الحرام. والمسافة بين الصفا والمروة حوالي (٣٩٦) مِتْرًا.

(١) أخرجه ـ بنحوه ـ أحمد ١/ ١٧، من طريق شُرَيْح بن عبيد عن عمر، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦٢ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن شريح بن عبيد لم يدرك عمر». وفي المطبوع: «فسمعنا له» بدل: «فتسمَّعنا له». قوله: «وقرأ الفاتحة» لم يرد في المطبوع. ولا في شرح الخفاجي والقاري.

(٢) ذكره ابن إسحاق. وأخرجه البيهقي. وأخرجه ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس/ المناهل (٨٢٢). وذكره بنحوه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٨ وقال: «رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح». (بيَّتوه): قصدوا قتله ليلاً في خفية.

(٣) كلمة: «من»، لم ترد في المطبوع.

وَوَقَفَت حَمَامتان على فمِ الغارِ ، فقالت قريش: لو كان فيه أَحدٌ لما كانت هناك الحَمَام[1].

١٠٦٢ ـ وقصته مع سُراقَة بن مالك بن جُعْشُم حين الهجرة ، وقد جعلت قُريش فيه وفي أبي بكر الجَعَائلَ ، فأُنذِر به ، فركب فرسَه واتّبعه حتى إذا قُرب منه دعا عليه النبيُّ ﷺ ، فساخت قوائمُ فَرَسِه ، فخرّ عنها ، واسْتَقْسَمَ بالأزلامِ ، فخرج له ما يكره.

ثم ركب ودَنَا حتى سمع قراءةَ النبيّ (١٠٠/أ) ﷺ ، وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكر [رضي الله عنه] يلتفتُ فقال للنبي ﷺ: أُتينا. فقال: «**لا تحزَنْ ، إنّ اللهَ معنا**» [التوبة: ١٤٠] فساخت ثانيةً إلى رُكْبتها ، وخرَّ عنها ، فزجرها فنهضَتْ ولقوائمها مِثْلُ الدُّخَانِ ، فناداهم بالأَمان ، فكتب له النبيُّ ﷺ أماناً ، كتبه ابن فُهَيرة ، وقيل: أبو بكر ، وأخبرهم بالأخبار ، وأمره النبيُّ ﷺ ألا يتركَ أحداً يلحقُ بهم.

فانصرف يقولُ للناس: كُفِيتُم ما هاهنا.

وقيل: بل قال لهما: أَرَاكُما دعوتما عليّ ، فادْعُوَا لي[2].

فنجا ، ووقع في نَفْسه ظُـهُورُ النبيِّ ﷺ.

١٠٦٢م ـ وفي خبر آخر: أَنَّ راعياً عرفَ خَبَرَهما ، فخرج يشتَـدُّ ، يُعلِمُ

---

(١) تقدم برقم (٨١٠ ، ٨١٠ م). (أَرَبُكُم): حاجتكم وطلبتكم. وفي المطبوع: «ووقعت» بدل: «ووقفت».

(٢) قصة سراقة رواها البخاري (٣٩٠٦) من حديثه. وهي في البخاري (٣٩٠٨) ، ومسلم في الزهد (٢٠٠٩/ ٧٥) من حديث البراء بن عازب. ورواها أيضاً البخاري (٣٩١١) من حديث أنس. (الجعائل): جمع الجِعالة: وهي ما يجعل على العمل من أجر. (ساخت): غاصت في الأرض/ المعجم الوسيط. (فخرّ عنها): سقط عنها. (استقسم بالأزلام) الأزلام: هي الأعواد التي كانت في الجاهلية ، عليها مكتوب الأمر والنهي: افعل ، ولا تفعل. كان الرجل يضعها في وعاء له ، فإذا أرد أمراً مهماً أدخل يده ، فأخرج منها عوداً ، فإن خرج الأمرُ ، مضىٰ لشأنه ، وإن خرج النهيُ ، كفَّ عنه ، ولم يفعله. (ظُهورُ النبي): غلبته وانتصاره علىٰ أعدائه. (مثل الدخان): أي غبار مرتفعٌ في الجو كأنه دخان.

قريشاً ، فلما ورد علىٰ(1) مكةَ ضُرِب على قَلْبِه ، فما يَدْرِي ما يَصْنع ، وأُنْسِيَ ما خرج له ، حتى رجع إلى موضعه .

١٠٦٣ ـ وجاءه ـ فيما ذَكر ابنُ إسحاقَ وغَيْرُه ـ أبو جهل ، بصَخْرةٍ وهو ساجدٌ ، وقريش ينظرون ، ليَطْرَحَها عليه ، فلزِقَتْ بيده ، ويَبِسَتْ يدَاهُ إلى عُنقه ، وأقبل يرجع القَهْقَرى إلى خَلْفهِ ، ثم سأله أنْ يدعُوَ له ، ففعل ، فانطلقت يَدَاه ، وكان قد تواعد مع قُريش بذلك ، وحلف لئن رآهُ ليَدْمَغَنَّه ، فسألوه عن شأنه؟ فذكر أنه عَرَض لي دونه فَحْلٌ ، ما رأيتُ مِثْلَه قطُّ ، همَّ بي أن يأكلني .

فقال النبيُّ ﷺ: «ذاكَ جبْريلُ ، لو دَنَا لأَخذَهُ»(2) .

١٠٦٤ ـ وذكر السَّمَرْقَنْدي أنَّ رجلاً من بني المُغيرة أَتى النبيَّ ﷺ لِيقْتُلَه ، فطمسَ اللهُ على بَصَرِه ، فلم يرَ النبيَّ ﷺ ، وسمعَ قولَه ، فرجع إلى أصحابه ولم يَرهم حتى نادَوْهُ .

وذكر أَنَّ في هاتين القصتين ، نزلت: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(3) [يس: ٨ ، ٩].

---

(١) كلمة: «علىٰ». لم ترد في المطبوع.

(٢) أورده ابن كثير في السيرة ١/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني رجل من أهل مصر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس. . . وفي آخره ، قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «ذلك جبريل ، ولو دنا منه لأخذه». ونسبه السيوطي في المناهل (٨٢٥) إلى أبي نعيم في الدلائل. وروىٰ البخاري (٤٩٥٨) عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ علىٰ عنقه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة». (القهقرىٰ): الرجوع إلىٰ خلف. (لَيَدْمَغَنَّهُ) دمغ فلاناً: شجّه حتىٰ بلغت الشَّجَّةُ دماغه ، و ـ أخرج دماغه/ المعجم الوسيط. (فحل) أي من الإبل ، والفحل: الذكر القوي من كل حيوان.

(٣) رواه أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس بلفظ: أن ناساً من قريش قاموا ليأخذوه ، فإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وآذانهم ، عمي لا يبصرون. فقالوا: أنشدك الله والرحم. فدعا حتىٰ ذهب ذلك عنهم ، فنزلت: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يسٓ: ١ ـ ٧].

١٠٦٥ ـ ومن ذلك ما ذكره ابْنُ إسحاق ، [وغيره] في قِصَّته ، إذْ خرج إلى بني قُرَيظَة ، في أصحابه ، فجلس إلى جِدار بَعْضِ آطامِهم ، فانبعث عَمْرُو بن جِحَاش أحدُهم ليَطْرحَ عليه رَحىً ، فقام النبيُّ ﷺ فانصرفَ إلى المدينة وأعلمهم بقِصَّتِهم[1].

وقد قيل (١٠٠/ب) إنَّ قولَه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة: ١١]. في هذه القصة نزلت.

١٠٦٦ ـ وحكى السَّمَرقَنْدِي أنه خرج إلى بني النَّضِير يستعينُ في عَقْل الكِلاَبِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قتلهما[2] عَمْرُو بن أُمية ، فقال له حُيَيُّ بن أَخْطَب: اجلس ، يا أبا القاسم! حتى نُطْعِمَك ونُعْطيك ما سأَلْتَنا.

فجلس النبيُّ ﷺ مع أبي بكر وعُمر [رضي الله عنهما] وتَوامرَ حُيَـيٌّ معهم على قَتْلِهِ ، فأَعلم جبريلُ [عليه السلام] النبيَّ ﷺ بذلك ، فقام كأنه يريدُ حاجته حتى دخل المدينة[3].

١٠٦٧ ـ وذكر أهلُ التفسير والحديث[4] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن أبا جَهْل وعَد قُريشاً لئن رأى محمداً يصلِّي ليَطَأَنَّ رقَبَتَه.

فلما صلّى النبيُّ ﷺ أَعْلَمُوه ، فأَقبل ، فلما قَرُب منه وَلى هارباً ناكصاً على عَقِبَيهِ ، متَّقِياً بيَدَيْه ، فسئل ، فقال: لما دنَوْتُ منه أشرَفْتُ على خَنْدق مملوءٍ

---

(١) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في سيرة ابن كثير ٣/ ١٦٢ ـ من حديث يزيد بن رومان. وعزاه السيوطي في المناهل (٨٢٧) إلى الكلبي في تفسيره. (آطامهم): حصونهم. (رحىً): هي الأداة التي يُطحن بها ، وهي حجران مستديران ، يوضع أحدهما على الآخر/ المعجم الوسيط.

(٢) في الأصل: «قتل» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) رواه البيهقي عن عروة/ المناهل (٨٢٨) ، وهو حديث مرسل. (عَقْل): دِيَة. (الكلابِيَّيْن): أي الرجلين اللذين ينتسبان إلىٰ بني كلاب وانظر خبر قتلهما في سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٦. (توامر): تشاور واتفق مع بني النضير على الغدر برسول الله ﷺ.

(٤) في الأصل: «وذكر أهل التفسير ومعنىٰ الحديث». والمثبت من المطبوع.

ناراً كِذْتُ أَهْوِي فيه ، وأبصرتُ هَوْلاً عظيماً ، وخَفْقَ أجنحةٍ قد ملأت الأرضَ.

فقال ﷺ: «تلك الملائكةُ ، لو دَنَا لاختطفَتْهُ عُضواً عُضواً».

ثم أُنزل على النبي ﷺ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[1] [العلق: ٦ ـ ١٩].

١٠٦٨ ـ ويروى أنَّ رجلاً يعرف بـ: شَيْبَة[2] بن عثمان الحَجَبيِّ أدركه يوم حُنَيْن ، وكان حمزةُ قد قَتَل أباه وَعمّه ، فقال: اليومَ أُدْركُ ثأري من مُحَمد.

فلما اختلط الناسُ أتاهُ من خَلْفِه ، ورفع سيفَهُ ليَصُبَّه عليه ، قال: فلما دنوتُ منه ارتفع إليّ شُواظٌ من نارٍ أسرعُ من البرقِ ، فولّيتُ هارباً ، وأَحَسّ بي النبيُّ ﷺ فدعَاني ، فوضع يدَهُ علي صَدْري ، وهو أبغضُ الخَلْق إليّ ، فما رفعها إلاَّ وهو أحبُّ الخَلْقِ إليّ ، [وقال لي: «ادْنُ فقاتِلْ» فتقدمتُ أمامَه أضربُ بسيفي وأقيه بنفسي ، ولو لقيتُ أبي تلكَ الساعةَ لأوقعتُ به دونه][3].

١٠٦٩ ـ وعن فَضالةَ بن عَمْرو[4]: أردتُ قتْلَ النبيّ ﷺ عامَ الفتح ، وهو يطوفُ بالبيت ، فلما دنوتُ منه قال: «يا فَضَالة!»[5] قلتُ: نعم. قال: «ما كنتَ تحدِّثُ به نَفْسَك؟» قلتُ: لا شيءَ ، فَضَحِكَ واستغْفَرَ لي ، ووضعَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧). (نكص على عقبيه): رجع عما كان قد اعتزمه ، وأحجم عنه.

(٢) في المطبوع: «وروي أنَّ شيبة. . . .».

(٣) نسبه السيوطي في المناهل (٨٣٠) إلى أبي نعيم في الدلائل عن شَيْبَة. وقال الحافظ في الإصابة ٢/ ١٥٧: «رواه ابن أبي خيثمة ، وذكره ابن إسحاق في المغازي بمعناه ، وكذا أخرجه ابن سعد ، عن الواقدي ، بإسنادٍ له مطول ، وكذا ساقه البغوي بإسناد آخر عن شيبة. . . قال ابن السَّكَنِ: في إسناد قصة إسلامه نظر». (شُواظ من نار): لهب خالص لا دخان فيه/ كلمات القرآن لمخلوف.

(٤) هكذا في الأصل والمطبوع. وورد اسمه في أسد الغابة والإصابة «فضالةَ بن عُمَيْر».

(٥) في المطبوع: «أفضالة؟».

يدهُ على صدري ، فسكن قلبي . فو الله ! ما رفعها حتى ما خلق الله (١٠١/أ) شيئاً أحبَّ إليّ منه[١] .

١٠٧٠ ـ ومن مشهورِ ذلك خَبَرُ عامر بن الطُّفيل ، وأرْبَدِ بن قيس ـ حين وفَدا على النبيّ ﷺ ، وكان عامرٌ قال له : أنا أشغَلُ عنك وَجْه محمد فاضرِبه أنت . فلم يَرَهُ فعل شيئاً ، فلما كلَّمه في ذلك ، قال له : واللهِ! ما هَمَمْتُ أنْ أضربَه إلا وجدتُك بيني وبينه ، أفأَضْرِبكَ؟[٢]

ومن عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكَهَنة ، أنْذَروا به ، وعَيّنوه لقُريش ، وأخبروهم بِسَطْوَتِهِ[٣] بهم ، وحضُّوهم على قَتْله ، فَعَصَمَهُ اللهُ تعالى حتى بلغ فيه أمْرَه .

١٠٧١ ـ ومن ذلك نَصْرُه بالرُّعْب أمامَهُ مَسيرةَ شَهْر ، كما قال عليه السلام[٤] .

فصل

[فِيْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ فِيْمَا جَمَعَ اللهُ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ][٥]

ومن معجزاته الباهرة ما جَمعه اللهُ له من المعارف والعلوم ، وخصّه به من الاطّلاع على جميع مصالح الدُّنيا والدِّين ، ومعرفَتهُ أمُور[٦] شرائعه ، وقوانين دينه ، وسياسةِ عِبَادِه ، ومصالحِ أمته ، وما كان في الأمم قَبْلَه ، وقِصصِ

---

(١) أشار إلى رواية عياضٍ هذه الحافظُ ابن حجر في الإصابة (ترجمة فضالة بن عمير) . وعزاها السيوطي في المناهل (٨٣١) إلىٰ ابن إسحاق .
(٢) رواه البيهقي ، وابن إسحاق بلا سند ، وأسنده أبو نعيم في الدلائل عن عروة/ المناهل (٨٣٢) وهو حديث مرسل .
(٣) بسطوته بهم : أي بقهره لهم .
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥) ، ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله .
(٥) ما بين حاصرتين من عندي .
(٦) في المطبوع : «بأمور» .

الأَنبياءِ والرُّسُلِ والجبابرة والقرون الماضية من لَدُنْ آدم إلى زمَنِه ، وحِفْظ شرائعهم وكتبهم ، وَوَعْيِ سِيَرهم ، وسَرْدِ أنبائهم ، وأيامِ اللهِ فيهم ، وصفاتِ أعيانِهم ، واختلافِ آرائهم ، والمعرفةِ بمُدَدِهم وأعمارهم ، وحِكَم حُكمائهم ، ومُحاجَّةِ كلِّ أُمَّةٍ من الكَفَرة ، ومُعَارضة كلِّ فِرْقة من الكِتَابيِّين بما في كُتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومُخَبَّآت علومِها ، وإخبارهم بما كتَمُوه من ذلك وغيَّرُوه .

إلى الاحتواء على لغات العَرب ، وغريب ألفاظِ فِرَقِها ، والإحاطةِ بضروب فَصَاحتها [1] ، والحِفْظ لأَيَّامِها وأمثالها ، وحِكَمها ومعاني أشعارها ، والتخصيص بجَوامع كَلِمِها إلى المعرفة بضَرْب الأمثالِ الصحيحة ، والحِكَم البيّنة لتَقْريب التفهيم [2] للغامض ، والتّبْيين للمُشْكل ، إلى تَمْهيد قواعِد الشَّرْع الذي لا تناقُضَ فيه (١٠١/ب) ولا تَخَاذُل ، مع اشْتِمال شَرِيعته على محاسِن الأخلاق ، ومَحَامِدِ الآداب ، وكلِّ شيء مُسْتَحْسن مُفَضَّل ، لم يُنْكِر منه مُلْحِدٌ ذُو عَقْل سليم شيئاً إلاّ مِنْ جهة الخِذْلاَن [3] .

بل كلُّ جاحِدٍ له ، وكافرٍ من الجاهلية به إذا سَمِع ما يَدْعُو إليه صَوَّبه ، واستحسنه دونَ طلبِ إقامةِ بُرْهانٍ عليه .

ثم ما أَحلَّ لهم من الطَّيِّبات ، وحرّمَ عليهم من الخبائث ، وصانَ به أنفُسَهم وأعراضَهم وأموالَهم من المُعاقَبَاتِ والحدودِ عاجلاً ، والتخويفِ بالنار آجلاً [مما لا يعلم علمه ، ولا يقوم به ، إلاَّ من مارس الدرسَ ، والعكوف على الكتب ، ومُشَافَنَةَ بعض] هذا [4] .

إلى الاحتواءِ على ضُروب العلوم ، وفُنونِ المعارفِ ، كالطب ،

---

(١) في المطبوع : «فصاحاتها» .

(٢) في نسخة : «الفهم» .

(٣) الخذلان : عدم التوفيق .

(٤) (مثافنة بعض هذا) : متابعة بعض ما ذكر .

والعِبَارة[1] ، والفرائض[2] ، والحِسَاب ، والنَّسَب ، وغير ذلك من العلوم مِمَّا اتخذَ أهلُ هذه المعارفِ كلامَه [ﷺ] فيها قُدْوةً وأصولاً في عِلْمِهم.

١٠٧٢ ـ كقوله: «**الرُّؤْيَا لأَوَّلِ عَابِرٍ**»[3].

١٠٧٣ ـ وهي «**على رِجْلِ طائرٍ**»[4].

١٠٧٤ ـ وقوله: «**الرؤيا ثلاث: رُؤْيا حقٌّ ، ورُؤْيا يحدِّثُ بها الرجلُ نَفْسَه ، ورؤيا تَحْزِينٌ من الشيطان**»[5].

١٠٧٥ ـ وقوله: «**إذا تقارب الزمانُ لم تَكَدْ رُؤْيَا المؤمن تَكْذِب**»[6].

١٠٧٦ ـ وقوله: «**أَصْلُ كلِّ داءٍ البَرْدَةُ**»[7].

---

(١) العبارة: تأويل الرؤيا وتعبيرها.

(٢) الفرائض: علم المواريث.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩١٥) من حديث أنس. وفي زوائد البوصيري: «في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف». (عابر) العابر: الناظر في الشيء. ومعنى الحديث: أن الرؤيا إذا احتملت تأويلَيْنِ أو أكثر ، فعبرها من يعرف عبارتها ، وقعت على ما أَوَّلها ، وانتفى عنها غيره من التأويل.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٢٠) ، والترمذي (٢٢٧٨) ، وابن ماجه (٣٩١٤) وغيره من حديث أبي رزين العقيلي. وصححه ابن حبان (١٧٩٥) موارد ، والحاكم (٤/ ٣٩٠) ، ووافقه الذهبي: وقال الترمذي «هذا حديث حسن صحيح». (على رِجْلِ طائر): المرادُ أنَّ الرؤيا هي التي يعبِّرها المُعَبِّر الأول ، فكأنها كانت على رِجْلِ طائرٍ فسقطت ، ووقعت حيث عُبِّرَت ، كما يسقط الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة/ النهاية.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة. وانظر البخاري (٧٠١٧). وقال السيوطي في المناهل (٨٣٥): «الشيخان ، وغيرهما ، من حديث بضعة عشر من الصحابة». وتصحف في المطبوع «تحزين» إلى «تخزين».

(٦) أخرجه البخاري (٧٠١٧) ، ومسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٧) قال السيوطي في الدرر المنتثرة رقم (٢١): «الدارقطني في العِلل من حديث أنس وضعفه. قال: وروي عن الحسن من قوله ، وهو أشبه بالصواب». وزاد نسبته في الجامع الصغير (١٠٨٧) إلى ابن السني وأبي نعيم في الطب عن علي. وعن أبي سعيد ، وعن الزهري مرسلاً. وقال المُناوي في فيض القدير ١/ ٥٣٢: «قال بعضهم: ولا يصح شيء من طرقِهِ ، وقال ابن عدي: باطل بهذا الإسناد ، وجعله في الفائق من كلام ابن مسعود» وانظر المقاصد=

١٠٧٧ ـ وما رُوِي عنه في حديث أَبي هريرة [رضي الله عنه] من قوله: «المَعِدَةُ حَوْضُ البَدن، والعروقُ إليها وارِدةٌ»(١)، وإن كان هذا حديثاً لا نصَحِّحُه لضعفه وكَوْنِه موضوعاً تكلّم عليه الدارَقُطْني.

١٠٧٨ ـ وقوله: «خَيْرُ ما تداوَيْتُم به السَّعُوطُ، واللَّدُودُ، والحِجَامةُ، والمَشِيُّ»(٢).

١٠٧٩ ـ و«خَيْرُ الحِجَامةِ يوم سَبْعَ عَشَرَةَ، وتِسْعَ عَشَرَةَ، وإحدى وعشرينَ»(٣).

١٠٨٠ ـ «وفي العُودِ الهِنْدِي سبعةُ أَشْفِيَةٍ»(٤).

١٠٨١ ـ وقوله: «ما ملأَ ابْنُ آدمَ وعاءً شرّاً من بَطْنٍ(٥)، فإن كان لابُدّ، فثُلثٌ للطعام، وثُلثٌ للشراب، وثلثٌ للنَّفَس»(٦).

١٠٨٢ ـ وقوله ـ وقد سُئل عن سبأ ـ أَرَجُلٌ هو أم امرأةٌ، أم أرضٌ؟ فقال:

= الحسنة (١٢)، وأسنىٰ المطالب ص (٤٣)، ومعرفة التذكرة رقم (١١٤) لابن القيسراني، والمجروحين لابن حبان ١/ ٢٠٤. (البَرَدَةُ): هي التخمة وثِقَلُ الطعام علىٰ المعدة/ النهاية.

(١) رواه الطبراني في الأوسط. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٨٦: «وفيه يحيىٰ بن عبد الله البابلتي، وهو ضعيف». وحكم بوضعه القاضي عياض كما ترىٰ. وقال الدارقطني ـ كما في المقاصد الحسنة رقم (١٠٣٥) ـ: ولا يعرف هذا من كلام النبي ﷺ. إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أبجر».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٤٧، ٢٠٤٨، ٢٠٥٣) من حديث ابن عباس، وقال: «هذا حديث حسن غريب». (السَّعُوطُ): الدواء يُدخَلُ في الأنف. (اللَّدُودُ): ما يُصَبُّ من الأدوية ونحوها في أحد شِقَّي الفم. (الحِجامة) امتصاص الدم بالمِحْجم. (المشِيُّ): المُسْهِلُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٥٣) من حديث ابن عباس، وصححه الحاكم ٤/ ٢١٠ ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» وانظر جامع الأصول ٧/ ٥٤٢ ـ ٥٤٤.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧١٣)، ومسلم (٢٢١٤) من حديث أم قيس بنت مِحْصَنٍ. (العود الهندي) خشب يؤتىٰ به من بلاد الهند، طيب الرائحة، قابض، فيه مرارة يسيرة.

(٥) في الأصل زيادة: «إلى قوله».

(٦) حديث صحيح. تقدم برقم (١٣٢).

«رجلٌ ، وَلَد عَشَرَةَ : تَيامَنَ منهم ستةٌ ، وَتَشَاءَمَ أربعةٌ . . .»[1] الحديث (١٠٢/أ) بطوله .

١٠٨٣ ـ وكذلك جوابه في نَسب قُضَاعةَ[2] ، وغير ذلك مما اضطرت العربُ على شُغْلها بالنسب إلى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك .

١٠٨٤ ـ وقوله : «حِمْيَر رأسُ العَرب ونابُها ، ومَذْحِج هامَتُها وغَلْصَمَتها . والأَزْد كاهِلُها وجُمْجُمتها ، وهَمْدانُ غارِبُها وذُرْوَتُها»[3] .

١٠٨٥ ـ وقوله : «إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئتـهِ يومَ خَـلقَ اللهُ السمواتِ والأَرضَ»[4] .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٢٢) ، وأبو داود (٣٩٨٨) ، والحاكم ٢/ ٤٢٤ من حديث فروة بن مسيك المرادي . وقال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب» . ورواه أحمد والطبراني من حديث ابن عباس ، وذكره الهيثمي في المجمع ١/ ١٩٣ و ٧/ ٩٤ وقال : «رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لَهِيْعَة وفيه ضعف ، وبقية رجالهما ثقات» . وصححه الحاكم ٢/ ٤٢٣ ووافقه الذهبي . ورواه أيضاً الطبراني من حديث يزيد بن حصين السلمي . قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٩٤ : «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن ابن صالح الصائغ ولم أعرفه» . (تيامن) : سكن اليمن . (تشاءم) : سكن الشام .

(٢) رواه أحمد ، وأبو يعلىٰ (١٥٦٧) ، والبزار ، والطبراني من حديث عمرو بن مرة الجهني . قال الهيثمي في المجمع ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤ : «وفيه ابن لهيعة» . وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث سَبْرَةَ ، وقال الهيثمي في المجمع : «ورجاله رجال الصحيح ، إلا محمد بن أبي عبيد الدَّراوَرْدِي ، والد عبد العزيز ، فإني لم أر من ترجمه» . ولفظ حديث عمرو بن مرة : «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال : «مَنْ هاهنا من مَعَدٍّ فليقم» قال : فأخذت ثوبي لأقوم . قال : «اقعد» . ثم قال الثانية . فقلت : ممن أنا؟ يا رسول الله! قال : «أنتم معشر قضاعة من حِمْيَر» .

(٣) أخرجه البزار ٣/ ٣٠٥ برقم (٢٨٠٧) من حديث عثمان ، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١ . وقال ابن حجر ـ كما في المناهل (٨٤٥) ـ : «وهو منكر» . (نابها) : يقال : هو ناب قومه : سيدهم . (هامتها) : رأسها . (غَلْصَمَتُها) الغَلْصَمَةُ : رأس الحلقوم . وهو إشارة إلىٰ تمكنهم في الشرف والمنزلة . (كاهلها) : الكاهل من الإنسان . ما بين كتفه أو موصل العنق في الصُّلْب . وفلان كاهل بني فلان : معتمدهم في الملمَّات .
(جمجمتها) الجمجمةُ : رئيس القدم وسيِّدهم/ المعجم الوسيط . (غاربها) الغارب : الكاهل ، و ـ أعلىٰ كل شيء/ المعجم الوسيط . (ذُروتها) ذُروة كل شيء : أعلاه .

(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٧) ، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بَـكْرَةَ . ومعنىٰ الحديث : أن =

١٠٨٦ ـ وقوله في الحوض: «زَوَايـاهُ سَوَاء»[١].

١٠٨٧ ـ وقوله ـ في حديث الذِّكر ـ: «وإنَّ الحسنةَ بعشر [أَمثالها] فتلك مِئةٌ وخمسون على اللسان، وألفٌ وخمسُ مئةٍ في الميزان»[٢].

١٠٨٨ ـ وقوله وهو بموضعٍ: «نِعْمَ موضِعُ الحمَّام هذا»[٣].

١٠٨٩ ـ وقوله: «ما بين المشرق والمغرب قِبْلَةٌ»[٤].

١٠٩٠ ـ وَقَوله لعُـيَـيْـنَـةَ، أو الأَقْرَعِ: «أنا أفرسُ بالخَيْل مِنك»[٥].

١٠٩١ ـ وقوله لكاتبه: «ضَعِ القلمَ على أُذُنك، فإنه أَذْكَرُ للمُمِلِّ»[٦].

هذا مع أنه ﷺ كان لا يكتب، ولكنه أُوتي عِلْمَ كلِّ شيءٍ، حتى [قد]

= العرب كانوا يؤخِّرون المحرَّمُ إلىٰ صَفَر، وهو النَّسيء، ليقاتلوا فيه، ويفعلون ذلك سنة بعد سنة، فينتقل المحرَّم من شهر إلىٰ شهر حتىٰ يجعلوه في جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة ـ عام حجة الوداع ـ كان قد عاد إلىٰ زمنه المخصوص به قبل النقل، ودارت السنة كهيئتها الأولىٰ/ النهاية.

(١) تقدم برقم (٥١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٥)، والترمذي (٣٤١٠)، والنسائي (٣/ ٧٤)، وابن ماجه (٩٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وصحح إسناده النووي في الأذكار رقم (٢٠٤) بتحقيقي، والحافظ ابن حجر، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي رافع. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٧٩: «وفيه يحيىٰ بن يعلىٰ، وهو ضعيف» وتبعه على تَضْعيفه السيوطي في المناهل (٨٤٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٤)، وابن ماجه (١٠١١). وقوّاه البخاري كما في بلوغ المرام (٢٠٨) بتحقيقي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٧) من حديث عمرو بن عَبَسَةَ. ولم يذكر فيه الأقرع بن حابس التميمي. وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤٣ وقال: «رواه أحمد متصلاً ومرسلاً، والطبراني... ورجال الجميع ثقات». (عُيَيْنَةَ) هو ابن حِصْنٍ الفَزَاري. (الأَقْـرَعُ): هو ابن حابسٍ التميمي (أفرس): أَبْصَرُ وأَعْلَمُ.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٧١٤)، وابن حِبَّانَ في المجروحين ٢/ ١٨٠ من حديث زيد بن ثابت: وَضعَّفَ إسناده الترمذي. ونسبه السيوطي في الجامع الصغير (٨٢٦) إلى ابن عساكر في تاريخه عن أنسٍ، ورمز له بالضعف. (لِلْمُمِلِّ) أصله: المُمْلِل. والإملاء: إلقاء ما يكتب على الكاتب.

وردَتْ آثارٌ بمعرفته حروفَ الخطّ وحُسْنَ تصويرها .

١٠٩٢ ـ كقوله : «لا تمدُّوا بسم الله الرحمن الرحيم»[١] رواه ابنُ شَعْبان[٢] من طريق ابن عباس .

١٠٩٣ ـ وقوله في الحديث الآخر ـ الذي يُـرْوَى عن مُعَاوية ـ أنه كان يكتُب بين يديه عليه السلام فقال له : «أَلِقْ الـدَّوَاةَ ، وحَرِّف القَلَم ، وأَقِم الباءَ ، وفَرِّقِ السين ، ولا تُـعَوِّر الميمَ ، وحَسِّن اللهَ ، ومُـدَّ الرحمن ، وجَوِّد الرحيم»[٣] .

وهذا ، وإنْ لم تصحّ الروايةُ أنه عليه السلام كَتَب فلا يبعد أن يُرزقَ عِلْمَ هذا ويُمْنَع الكتابة والقراءة .

وأمّا عِلْمُه عليه السلام بلغاتِ العربِ ، وحِفْظُه معانِي أَشعارها ، فأمْرٌ مشهورٌ ، قد نبَّهْنَا على بعضه أول الكتاب .

وكذلك حفْظُه لكثيرٍ من لغاتِ الأُمم .

١٠٩٤ ـ كقوله في الحديث : «سَنَّـهْ ، سَنَّـهْ»[٤] وهي حسَنَةٌ بالحبشيَّة .

---

(١) قال السيوطي في المناهل (٨٥٣) : «لم أجده» ، وفي نسيم الرياض : «ضعفه ابن حزم» ، وللديلمي في مسند الفردوس والخطيب في الجامع من حديث أنس : «إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن» ، ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير (٨٣٤). وقال الذهبي : «فيه كذاب» . وللخطيب وابن عساكر ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه : «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم ، فبيِّن السين فيه» ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٣٥) ، ورمزه لضعفه . (لا تمدوا) : أي لا تجعلوا السين مدة طويلة .

(٢) هو محمد بن القاسم بن شعبان العَمَّاري . من ولد عمار بن ياسر . قال الذهبي : كان صاحب سنة واتباع ، وباع مديد في الفقه ، مع بصر بالأخبار ، وأيام الناس ، مع الورع والتقوىٰ وسعة الرواية . له التصانيف البديعة : منها كتاب «الزاهي» في الفقه ، وكتاب «أحكام القرآن» وغيره . مات سنة (٣٥٥) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس . (أَلِقِ الدواة) : أصلِحْ مِدَادَها . (حَرِّف القلم) حَرِّف القلمَ : قَطُّهُ مُحَرَّفاً/ المعجم الوسيط . وَقَطُّ الشيء : قطعه عرضاً . (أَقِم الباء) اجعلها مستقيمة . (لا تعوِّر الميم) : أي لا تجعل دائرتها مطموسة . (وحسّن الله) : أي كتابة لفظ الجلالة .

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٧٤) من حديث أم خالد بنت خالد . قالت : «قدمت من أرض الحبشة ، وأنا جويرية ، فكساني رسول الله ﷺ خميصةً لها أعلام ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام»

١٠٩٥ ـ وقوله: «ويكثر الهَرْجُ»[1] وهو القَتْل بها.

١٠٩٦ ـ وقوله ـ في حديث أبي هريرة ـ: «أَشْكَنْب دَرْدَمْ؟»[2] أي وَجَعُ البَطْن بالفارسية.

إلى غير ذلك مما لا يعلمُ بَعْضَ هذا ولا يقوم به (١٠٢/ب) ولا ببعضه إلا مَنْ مارَس الدَّرْسَ والعُكوفَ على الكُتبِ ومُثَافَنَةَ[3] أهلها عُمُرَه.

وهو رجلٌ ـ كما قال الله [تعالى] ـ أُمّيٌّ، لم يكتب ولم يقرأ، ولا عُرِف بصُحْبة مَنْ هذه صِفَتُه، ولا نشأ بين قَوْمٍ لهم عِلْمٌ ولا قراءةٌ لشيءٍ من هذه الأمور، ولا عُرِف هو قَبْلُ بشيءٍ منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

إنما كانت غايةُ معارفِ العربِ النسبَ وأخبارَ أوائلها، والشعرَ، والبيانَ، وإنما حصل ذلكَ لهم بعد التفرُّغِ لعِلْمِ ذلكَ، والاشتغالِ بطلبِه، ومباحثة أهلِه عنه.

وهذا الفنُّ نُقْطةٌ من بَحْرِ عِلْمِه ﷺ.

ولا سبيل إلى جحد المُلْحِد لشيءٍ مما ذكرناه، ولا وجدَ الكفَرةُ حِيلةً في دفْع ما نصَصْناهُ إلاّ قولَهم: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] و[4] ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

فردّ اللهُ قولَهم بقوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

= بيده ويقول: «سَناه سَناه»، قال الحميدي: يعني حسَنٌ حَسَنٌ». «سَنَـه»: تخفف نونها وتشدَّد.

(١) تقدم برقم (٩٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٤٥٨). وفي الزوائد: «في إسناده ليث وهو ابن أبي سُلَيْم، وقد ضعفه الجمهور». وجاء في سنن ابن ماجه: «اشِكَمَتْ دَرْدْ». قال محققهُ الأستاذ عبد الباقي: «بالفارسية: أشكم: أي بطن. ودَرْدْ: أي وجع. والتاء للخطاب. والهمزة همزة وصل. كذا حققه الدكتور حسين الهمداني، ومعناه: أتشتكي بطنَك؟ ولكن جاء في تكملة مجمع بحار الأنوار ص (٧): «أَشْكَنْبِ دَدَمْ، وفي رواية بسكون الباء». وفي المطبوع: «أَشْكَنْتِ دَرْدْ».

(٣) (مُثافنة): مُلازمة ومجالسة.

(٤) لم ترد «الواو» في المطبوع.

ثم ما قالوه مكابرة العِيَان ، فإنّ الذي نسبُوا تعليمَه إليه إمّا سَلْمان الفارسيّ [(١)]، أوالعبد الرُّومي ، وسَلْمان إنما عرفه بعد الهِجْرَة ، ونزولِ الكثير من القرآن ، وظهورِ ما لا يَنْعَدُّ من الآيات.

وأما الرُّوميّ فكان أَسلم وكان يقرأُ على النبي ﷺ ، واختُلف في اسمه.

وقيل: بل كان النبيُّ ﷺ يجلسُ عنده عند المَرْوة ، وكلاهما[(٢)] أَعجميُّ اللسان ، وهم الفصحاءُ اللُّدُّ[(٣)] ، والخطباءُ اللُّسْنُ[(٤)] ، قد عجزوا عن مُعارضةِ ما أَتى به ، والإتْيانِ بمثله بل عن فَهْم رَصْفِه ، وصُورَة تأليفه ونَظْمه ، فكيف بأعجميّ أَلْكَنَ[(٥)]!.

نَعَمْ ، وقد كان سَلْمانُ ، أو بَلْعَامُ الروميُّ ، أَوْ يَعِيش ، أَوِ جَبْر ، أو يَسار ـ على اختلافهم في اسمه ـ بين أَظْهُرهم يكلِّمونهم[(٦)] مَدَى أَعمارهم ، فهل حُكِيَ عن واحدٍ منهم شيء مِنْ مِثْل ما كان يجيءُ به محمدٌ عليه السلام؟ وهل عُرِف واحدٌ منهم بمعرفة شيء من ذلك؟ وما منع العدوَّ حينئذٍ ـ على كَثْرة عددِه (١٠٣/أ) ودُؤُوب طلبه، وقوةِ حَسَدِه[(٧)] ـ أن يجلسَ إلى هذا فيأْخذ عنه[(٨)] أيضاً ما يُعارضُ به ، ويتعلَّمُ منه ما يَحْتَجُّ به على شيعتهِ[(٩)] كفِعْل النَّضْر بن الحارث بما كان يُمَخْرِق [(١٠)]به من أَخبار كُتُبه؟

ولا غاب النبيُّ ﷺ عن قَوْمِه ، ولا كثُرت اختلافاتُه إلى بلاد أَهل الكتاب ،

---

(١) كلمة «الفارسي» ، لم ترد في المطبوع.

(٢) (كلاهما): أي سلمان الفارسي ، والعبد الرومي. وسيذكر المصنف ـ بعد قليل ـ الاختلاف في اسم هذا العبد.

(٣) (اللُّدُّ) جمع أَلَدّ ، وهو الشديد الخصومة.

(٤) (اللُّسْنُ) الفصحاء البُلغاء.

(٥) (أَلْكَن) أي في إفصاحه بالعربية صعوبة ، لعُجْمَةِ لسانه.

(٦) في المطبوع: «يكلمونه».

(٧) في الأصل: «جسده» ، والمثبت من المطبوع.

(٨) في المطبوع: «عليه».

(٩) في المطبوع: «شَغَبه».

(١٠) (يمخرق): من المخرقة ، وهي افتعال الكذب.

فيُقال له[1] : استمدَّ منهم[2] ، بل لم يزَلْ بين أَظْهُرهم يَرْعَى في صِغَرِه وشَبَابه ، على عادةِ أبنائهم ، ثم لم يخرج عن بِلادِهم إلا في سَفْرَةٍ أو سَفْرتين لم يَطل فيهما[3] مُكْثُه مدّةً يُحْتَمل فيها تعليمُ القليل ، فكيف الكثير!.

بل كان في سفرِه في صُحْبة قومه ، ورَفَاقَـةِ[4] عَشِيرتِه ، لم يغِبْ عنهم ، ولا خالف حَالَهُ مدةَ مُقَامِه بمكة من تعليم ، واختلاف إلى حَبْرٍ ، أو قَسّ ، أو منجِّم ، أو كاهن.

بل لو كان هذا بعدُ كلُّه لكانَ مَجيءُ ما أَتى به في مُعْجز القرآنِ قاطعاً لكل عُذر ، ومُدْحِضاً لكل حُجَّةٍ ، ومُجْلياً[5] لكل أمر.

فصل

[فِيْ أَخْبَارِهِ ﷺ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ وَرُؤْيَةِ كَثِيْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُمْ][6]

ومن خصائصه ـ عليه السلام ـ وكراماتِه ، وباهر آياتِه أَنباؤُهُ مع الملائكة والجنّ ، وإمْدَادُ اللهِ له بالملائكة ، وطاعةُ الجنِّ له ، ورؤيةُ كثير من أصحابه لهم ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وقال: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) كلمة: «له» ، لم ترد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «فيقال: إنه استمدَّ منهم».

(٣) في الأصل: «فيها» ، والمثبت من المطبوع..

(٤) (ورَفَاقَة عشيرته): وصُحبة عشيرته.

(٥) (مجليا): كاشفاً وموضحاً.

(٦) ما بين حاصرتين من عندي.

﴿مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩ ، ١٠].

وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ الأحقاف: ٢٩].

١٠٩٧ - حدثنا سُفْيان بن العاصي الفقيه، بسماعي عليه، حدثنا أبو الليْث السَّمَرْقَـنْدي، قال: حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجُلودي، حدثنا ابْنُ سفيان، حدثنا مُسلم، حدثنا عُـبَـيْـدُ الله بن معاذ[1]، حدثنا أبي، حدثنا شُعْبَةُ، عن سليمان الشيباني، سمع زِرَّ بن حُبَيْشٍ، عن عبد الله، قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]. قال: رأى جبريلَ [عليه السلام] في صورتِه، له ستُّ مئة جناحٍ[2].

١٠٩٨ - والخَبَرُ في محادثتهِ مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة، وما شاهده من كَثْرتهم (١٠٣/ب) وعِظَمِ صُورِ بعضِهم ليلةَ الإسراءِ مشهورٌ[3].

١٠٩٩ - وقد رآهم بحَضْرَته جماعةٌ من أَصحابه في مَوَاطِن مختلفة، فرأى أصحابُه جبريلَ عليه السلامُ في صُورةِ رجُلٍ يسأله عن الإسلام والإيمان[4].

١١٠٠، ١١٠١ - ورأى ابنُ عباسٍ، وأُسَامةُ بن زيد، وغيرُهما عنده جبريلَ في صورة دِحْيَةَ[5].

---

(١) في الأصل: «عبد الله بن معاذ»، والتصويب من صحيح مسلم والمطبوع.

(٢) أسنده المصنف من طريق الإمام مسلم (١٧٤/ ٢٨٢). وأخرجه أيضاً البخاري (٣٢٣٢). وقد تقدم برقم (٤٤٥).

(٣) انظر حديث أنس في الإسراء، المتقدم برقم (٤٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب.

(٥) رؤية ابن عباس لجبريل في صورة دِحية الكلبي. ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٧٦ - ٢٧٧) وقال: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه». ورؤيته - بدون ذكر دحية - ذكرها الهيثمي في المجمع أيضاً ٩/ ٢٧٦ وقال: «رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح». وانظر الترمذي (٣٨٢٢). وأخرج البخاري (٤٩٨٠)، ومسلم (٢٤٥١) من حديث أسامة بن =

١١٠٢ ـ ورأى سعدٌ عن[1] يمينه ويسارِه جبريلَ وميكائيل في صورةِ رجُلين عليهما ثيابٌ بيضٌ[2].

ومِثْلُه عن غَيْرِ واحد.

١١٠٣ ـ وسمِعَ بعضُهم زَجْرَ الملائكة خَيْلَها يوم بَدْرٍ[3].

١١٠٤ ـ وبعضُهم رأى تَطَايُرَ الرؤوس من الكفار، ولا يَرَوْنَ الضارب[4].

١١٠٥ ـ ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذٍ رجَالاً بِيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض، ما يقومُ لها شيء[5].

١١٠٦ ـ وقد كانت الملائكةُ تصافِحُ عِمْران بن الحُصَيْن[6].

١١٠٧ ـ وَأَرىٰ النبيُّ ﷺ لحمزَةَ جبريلَ في الكعبة، فخر مغشيّاً عليه[7].

١١٠٨ ـ ورأى عبد الله بن مسعود الْجِنَّ ليلة الجِنِّ، وسمع كلامَهم، وشبَّههم برجال الزُّطِّ[8].

= زيد أن أم سلمة ـ زوج النبي ﷺ ـ رأته. (دحية): هو الكلبي، صحابي جليل نزل المِزَّة ـ وهي الآن حيّ من أحياء دمشق بعد أن كانت من قرىٰ غوطتها الغربية ـ ومات في خلافة معاوية.

(١) في الأصل: «علىٰ»، والمثبت من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس. (زَجْرَ الملائكة خيلَها): أي حثها وحملها على السرعة.

(٤) رواه الطبراني من حديث سَهْلِ بن حُنَيْفٍ. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٤: «وفيه محمد بن يحيىٰ الإسكندراني. قال ابن يونس: روىٰ مناكير». وأخرجه أحمد ٥/ ٤٥٠ من حديث أبي داود المازني. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٨٣: «وفيه رجل لم يُسَمَّ». وأخرجه البيهقي في الدلائل من حديث أبي واقد الليثي/ المناهل (٨٦٢).

(٥) أخرجه الواقدي في المغازي ١/ ٧٦، والبيهقي في الدلائل من حديث سهيل بن عمرو أنه هو الذي رأىٰ ذلك: (بُـلْقٌ): أي فيها سواد وبياض.

(٦) رواه ابن سعد عن قتادة/ المناهل (٨٦٤). وروىٰ مسلم (١٢٢٦/ ١٦٧) أَنها كانت تسلم عليه.

(٧) رواه البيهقي عن عمار بن أبي عمار مرسلاً/ المناهل (٨٦٥).

(٨) رواه البيهقي/ المناهل (٨٦٦). وانظر حديث اجتماعه ﷺ بالجن في صحيح مسلم (٤٥٠)، ومجمع الزوائد ٨/ ٣١٣ ـ ٣١٥. (ليلة الجن): أي الليلة التي اجتمع فيها رسول الله ﷺ =

١١٠٩ ـ وذكر ابْنُ سعدٍ أَنّ مُصْعَب بن عُمير لما قُتِل يوم أُحد أَخذ الرايةَ مَلَكٌ على صورتِه ، فكان النبيُّ ﷺ يقول له: «تقدَّمْ ، يا مُصْعَبُ!» فقال له المَلَك: لستُ بمُصْعَب ، فعلِم أنه مَلَكٌ[(١)].

١١١٠ ـ وقد ذكر غَيْرُ واحدٍ من المصنِّفين عن عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: بينا نحن جلوسٌ مع النبيّ ﷺ إذ أَقْبَل شيخٌ بيده عصا ، فسلّم على النبيّ ﷺ ، فردّ عليه ، وقال ـ ﷺ: «نَغْمةُ الجِنّ! مَنْ أَنْتَ؟» قال أنا هامةُ بن الهِيْم بن لاقِس بن إبليس ، فذكر أنه لَقِي نوحاً ومَنْ بَعْدَه. . . في حديث طويل[(٢)] ، وأنّ النبيَّ ﷺ علَّمه سُوَراً من القرآن.

١١١١ ـ وذكر الواقدي رحمه الله قتْل خالدٍ عند هَدْمه العُزّى للسوداء التي خرجَتْ له ناشِرةً شَعرَها عُرْيانةً ، فجزَلها بسيفه ، وأَعلم النبيّ ﷺ ، فقال له: «تلك العُزّى»[(٣)].

١١١٢ ـ وقال عليه السلام: «إن شيطاناً تفلَّتَ البارحةَ ليقطعَ عليّ صلاتي ، فأَمْكنني اللهُ منه ، فأخذتُه فأَرَدْتُ أَنْ أَرْبطه إلى سارية من سَوَارِي المسجدِ حتى تنظروا إليه كلّكم ، فذكرتُ دعوةَ أخي سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي

= بالجن ، فقرأ عليهم القرآن ، وسألوه الزاد. . . . (الزُّطُّ): جنس من السودان والهنود/ النهاية.

(١) عزاه المصنف إلىٰ ابن سعد ، وأخرج ابن أبي شيبة في «المُصَنَّف» ، حدثنا زيد بن خباب ، عن موسىٰ بن عُبيدة ، حدثني محمد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد «أَقْدِمْ مصعبُ» ، فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله! ألم يقتل مصعب؟ قال: «بلىٰ» ولكن ملك قام مكانه وتسمَّى باسمه»/ المناهل (٨٦٧) وهذا إسنادٌ ضعيف.

(٢) رواه البيهقي ، والعُقيلي وغيره. وحكم بوضعه ابن الجوزي وغيره. انظر اللآلىٔ المصنوعة ١/ ١٧٤ ـ ١٧٧.

(٣) وأخرجه أيضاً النسائي في الكبرىٰ ، والبيهقي في الدلائل ، والطبراني ، وأبو يعلىٰ (٩٠٢). من حديث أبي الطُّفيل ، وصححَ إسناد أبي يعلىٰ أستاذنا الفاضل حسين أسد محقق المسند. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٧٦ وقال: «رواه الطبراني ، وفيه يحيى بن المنذر وهو ضعيف». (فجزلها): قطعها.

لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [صٓ: ٣٥] فردّه الله خاسئاً»[١].

وهذا بابٌ واسع.

فصل

[فِيْ إِخْبَارِ الرُّهْبَانِ وَالأَحْبَارِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الكِتَابِ عَنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ أُمَّتِهِ][٢]

ومن دلائل نبوّته وعلاماتِ رسالته ما ترادفت به الأَخبارُ عن الرهبان والأحبار وعلماء أهلِ الكتاب، من صفتِه وصفةِ أُمته (١٠٤/أ) واسْمِه وعلاماته، وذكْر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وُجِد من ذلك في أشعار الموحِّدين المتقدمين، من شِعْر تُبَّع[٣]، والأَوْسِ بن حارثة[٤]، وكعب بن لؤي[٥]، وسُفيان بن مُجاشع، وقُسِّ بن ساعدة[٦]، وما ذُكِر عن سَيْف بن ذي يَزَن[٧] وغيرهم.

وما عرَّف به من أمْره زَيدُ بن عَمْرِو بن نُفَيلٍ[٨]، ووَرَقَةُ بن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١) من حديث أبي هريرة، وسيعيده المصنف برقم (١٥٥٦). (تفلّت البارحة): أي تعرّض لي في صلاتي فجأة/ النهاية. (سارية): عمود. (خاسئًا): صاغراً ذليلاً.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) تُبّع: لَقَبٌ للملك الأكبر من ملوك الدولة الحِمْيرية الثانية في بلاد اليمن.

(٤) أوس بن حارثة بن ثعلبة: جد قبيلة الأوس. له ترجمة في الأعلام.

(٥) جدٌّ جاهلي، خطيب، من سلسلة النسب النبوي مات سنة (١٧٣) قبل الهجرة، له ترجمة في الأعلام.

(٦) قُسُّ بن ساعدة الإيادي، خطيب بليغ مشهور. مات نحو سنة (٢٣) قبل الهجرة. له ترجمة في الإصابة (القسم الرابع).

(٧) من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم، مات نحو سنة (٥٠) قبل الهجرة. له ترجمة في الأعلام.

(٨) هو والد الصحابي الجليل سعيد بن زيد، لم يدرك الإسلام، وكان يعبد الله على دين إبراهيم. رآه النبي ﷺ قبل النبوة، وسئل عنه بعدها، فقال: «يبعث يوم القيامة أمة وحده». توفي قبل المبعث بخمس سنين. انظر الأعلام.

نـوْفل[١] ، وعَثْكلاَنُ الْحِمْيَرِيُّ ، وعلماءُ يَهُود ، وشامُول عالِمُهم صاحب تُبَّع ، مِنْ صِفَتِهِ وخَبَره.

وما أُلْفِـيَ مِنْ ذلك فـي التـوراةِ والإنجيـل ممـا قـد جمعـه العـلماءُ وبَـيَّنُوه ، ونقـله عنهـما[٢] ثِقَـاتُ مَنْ أسْـلَم منهـم ، مثـل ابـنِ سـلاَم[٣] ، وبَنِي[٤] سَعْيَةَ[٥] ، وابن يامِين[٦] ، ومُخَيْرِيق[٧] ، وكعْب[٨] ، وأشباههم ممّنْ أسلم من عُلماء يَهُود.

وبَحِيـرا[٩] ، ونَسْطـور[١٠] الحبشـة ، وصـاحـب بُصْـرى[١١] ، وضَغَـاطـر[١٢] ، وأُسقُـفّ الشـام ، والجـارود[١٣] ،

---

(١) هو ابن عم خديجة أم المؤمنين ، حكيم جاهلي متنصِّر. ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وابن حجر وغيرهم في الصحابة. مات نحو (١٢) قبل الهجرة. انظر ترجمته في الإصابة والأعلام.

(٢) في الأصل: «عنها» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) هو عبد الله ، كان ـ قبل إسلامه ـ حبراً من أحبار اليهود. له أحاديث وفضل. مات بالمدينة سنة (٤٣) هـ.

(٤) في المطبوع: «وابْـنَـيْ» ، والصواب ما في نسختنا.

(٥) وهم: زيد بن سَعْيَةَ ، وثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأُسَيْدُ بن سَعْيَةَ. كانوا يهوداً فأسلموا. ويقال: «سَعْنَة» بدل: «سَعْـيَـة» وتقدمت قصة إسلام زيد بن سَعْيَة برقم (١٨١).

(٦) هو يامين بن يامين ، من مسلمي أهل الكتاب. وقد اختلفوا في اسم أبيه. انظر ترجمته في أُسْدِ الغابة.

(٧) حَبْر من أحبار اليهود وأغنيائهم ، أسلم ، واستشهد بأحد. انظر خبر إسلامه واستشهاده في سيرة ابن هشام ١/٥١٨.

(٨) هو كعب الأحبار. تقدمت ترجمته.

(٩) أخرج قصته الترمذي (٣٦٢٠) ، والحاكم ٢/ ٦١٥ ـ ٦١٦ من حديث أبي موسىٰ الأشعري وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب. . .» وصححه الحاكم ، ولم يوافقه الذهبي.

(١٠) كتب فوقها الناسخ: «ونسطون ، أصل».

(١١) بصرىٰ: تقدم التعريف بها.

(١٢) أسقفٌ رومي ، أسلم لمّا قرأ كتاب النبي ﷺ إلى قيصر ، انظر ترجمته في الإصابة.

(١٣) اسمه بشر بن عمرو العبدي ، والجارود لقب له ، كان نصرانياً فأسلم. مات شهيداً بفارس سنة (٢٠) هـ/ الأعلام.

وسلْمان[١] [وتميم][٢] ، والنجَاشي[٣] ، ونصارى من[٤] الحبشة ، وأَساقف نَجْران[٥] ، وغيرهم ممّن أَسْلَم من علماء النصارى .

وقد اعترف[٦] بذلك هِرَقْلُ ، وصاحبُ رُومة[٧] عالِما النصارى ، ورَئيساهم ، ومُقَوْقِس[٨] : صاحب مِصْر ، والشيخ صاحبُه ، وابن صُورِيا[٩] ، وابن أَخْطب ، وأَخوه[١٠] ، وكعب بن أَسد[١١] ، والزَّبِيْر[١٢] بن باطِيا[١٣] ، وغيرهم مِنْ علماءِ اليهود ، ممَّنْ حمله الحسَدُ والنَّفَاسَة[١٤] على البقاء على الشقَاوة ، والأخبارُ في هذا كثيرة لا تَنحصر .

---

(١) سلمان هو الفارسي . صحابي جليل أصله من أصبهان ، مات سنة (٣٤) هـ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من نسيم الرياض . وتميم هو الداري . صحابي جليل . قيل : مات سنة (٤٠) هـ ، وقد أفرده أستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب بترجمة عنوانها : «تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، راهب أهل عصره ، وعابد أهل فلسطين» طبعت في سلسلة أعلام المسلمين ـ دار القلم .

(٣) النجاشي : لقب لكل من ملك الحبشة ، والمراد ـ هنا ـ أَصْحَمَة . أَسْلَمَ ، وصلىٰ عليه النبي ﷺ صلاة الغائب .

(٤) «من» ، ليست في المطبوع .

(٥) نجران : تقدم التعريف بها .

(٦) اعتراف هرقل وصاحب رومة بصدق النبي ﷺ ثابت في البخاري برقم (٦) .

(٧) رومة : ويقال : رومِيَة ، وهي عاصمة إيطاليا . قال ياقوت : وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجة .

(٨) المقوقِسُ : لقَبٌ . قال ابن ماكولا : «اسم المقوقس : جُرَيج» . انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١٣ ، ونور اليقين ص(١٧٨) بتحقيقي .

(٩) تقدم التعريف به .

(١٠) تقدم التعريف بابْنَيْ أخطب .

(١١) كعب بن أسد بن سعيد القرظي ، من بني قريظة . صاحب عقدهم وعهدهم . انظر قصته مع قومه في سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٥ .

(١٢) في المطبوع : «الزُّبَيْر» ، بضم الزاي ، والصواب بفتحها وكسر الباء .

(١٣) الزَّبير بن باطيا القُرَظِي : كان من أعلم اليهود ، قتل يوم بني قريظة كافراً . والزَّبير ـ كما ضبطه السُّهَيلي ـ بفتح الزاي وكسر الباء . انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(١٤) النَّفاسَةُ : المُنَافَسَةُ .

وقد قرّعَ[1] أسماعَ يهودَ والنصارى بما ذكرَ أنه في كتُبهم من صفته وصفةِ أصحابه ، واحتجَّ عليهم بما انطَوَتْ عليه من ذلك صحُفُهم ، وذمَّهم بتحريف ذلكَ وكِتْمَانِه ، وليِّهِم أَلْسِنَتهم[2] ببيانِ أمره ، ودعوتهم إلى المُبَاهَلَة[3] على الكاذب ، فما مِنْهم إلاّ مَنْ نَفَر عن معارضته ، وإبداءِ ما ألزمهم مِنْ كتُبهم إظهارَه .

ولو وجدوا خلافَ قوله لكان إظهارهُ أَهونَ عليهم من بَذْلِ النفوس والأموالِ وتخريب[4] الدِّيَار ونبذ القِتال ، وقد قال لهم : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣] .

إلى ما أَنْذَرَ به الكُهَّانُ[5] ، مِثْلُ : شافع بن كُلَيب ، وشِقّ[6] ، وسَطِيْح[7] ، وسَوَاد بن قَارِب[8] ، وخُنَافِر[9] ، وأَفْعَى نَجْرَان[10] ، وجِذْل بن (١٠٤/ب) جِذْل الكِنْدي ، وابن خَلَصَةَ الدَّوْسِي ، وسُعْدىٰ بنت كُرَيْز[11] ، وفاطمة بنت النعمان ، ومَنْ لا يَنْـعَدّ كَثْرةً .

---

(١) قرّع فلاناً : أوجعه باللوم والعتاب والتوبيخ .

(٢) وليّهم أَلْسِنَتَهُم : أي صَرْفَها عن قول الحق .

(٣) المباهلة : الملاعنة ، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله علىٰ الظالم منا/ النهاية .

(٤) في الأصل : «تخربت» ، والمثبت من المطبوع .

(٥) الكُهَّان : جمع كاهنٍ ، وهو الذي يتعاطىٰ الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان / النهاية .

(٦) هو شِقُّ بن صعب الأزدي ، كاهن جاهلي ، مات نحو (٥٥) قبل الهجرة/ الأعلام .

(٧) هو ربيع بن ربيعة ، كاهن جاهلي غسّاني ، مات سنة (٥٢) قبل الهجرة/ الأعلام .

(٨) كاهنٌ شاعرٌ في الجاهلية ، صحابي في الإسلام ، مات نحو (١٥)هـ/ الأعلام . له قصة مع عمر بن الخطاب خرجناها في معجم شيوخ أبي يعلىٰ برقم (٣٢٩) . وهي في البخاري (٣٨٦٦) .

(٩) كاهن من حِمْيَر ، أسلم على يد معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(١٠) هو الأفعىٰ الجرهمي ، حكيم جاهلي قديم ، كان معاصراً لنزار (أبي ربيعة ومضر) . الأعلام .

(١١) في الأصل : «سَعد بن بنت كُرَيز» ، والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب . وسُعدىٰ : هي بنت كُريز بن ربيعة بن عبد شمس ، خالة عثمان بن عفان ، كاهنة في الجاهلية ، صحابية في الإسلام ، لها ترجمة في الإصابة ، وأعلام النساء .

إلى ما ظهر على أَلسنة الأَصنام من نبوّته ، وحُلُولِ وقتِ رسالتِه ، وسُمِع مِنْ هواتفِ الجان ، ومن ذبائح النُّصب[١] ، وأَجوافِ الصُّور[٢] ، وما وجد من اسْمِ النبيِّ ﷺ والشهادةِ له بالرسالة مكتوباً في الحجارة والقبُورِ بالخطِّ القديم ، ما أَكثَرُهُ مشهورٌ ، وإسلامُ مَنْ أَسْلَمَ بسبب ذلك معلوم مذكور.

فصل

[فِيْ الآيَاتِ الَّتِيْ ظَهَرَتْ عِنْدَ مَوْلِدِهِ ﷺ][٣]

ومِنْ ذلك ما ظهر من الآيات عند مَوْلِده ، وما حكَتْه أُمُّهُ ومَنْ حضره من العجائب.

١١١٣ ـ وكونُه رافعاً رأْسَه عندما وضعَتْه ، شاخصاً ببَصَره إلى السماء[٤].

١١١٣ م ـ وما رَأتهُ من النُّور الذي خرج معه عند ولادته[٥].

١١١٤ ـ وما رأَتْه إذ ذاكَ أُمُّ عثمان بنِ أبي العاص مِنْ تَدَلِّي النجوم ، وظهورِ النُّور عند ولادتِه ، حتى ما تَنْظُرُ إلاَّ النّور[٦].

---

(١) النصب : بضم الصاد وسكونها : حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ، ويتخذونه صنماً فيعبدونه ، والجمع : أنصاب. وقيل : هو حجر كانوا ينصبونه ، ويذبحون عليه فيحمرّ بالدم / النهاية.
وأخرج البخاري (٣٨٦٦) عن عمر قال : «بيما أنا نائم عند آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قطُّ أشد صوتاً منه يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا أنت ، فوَثَبَ القوم. قلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادىٰ : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، فقُمت ، فما نَشِبْنَا أَنْ قِيل : هذا نبي». (جَليح) : معناه الوقح ، المطافح بالعداوة. (فما نشبنا) : أي لم نتعلق بشيء من الأشياء حتى سمعنا أن النبي ﷺ قد خرج / الفتح (٧/ ١٨١).

(٢) الصور : التماثيل.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) قطعة من حديث حليمة السعدية المتقدم برقم (١٦٤م).

(٥) قطعة من حديث العِرْباض بن سارية المتقدم برقم (٤١٢).

(٦) رواه الطبراني. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٠ : «وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك».

١١١٥ ـ وقولِ الشِّفَاءِ ، أُمِّ عبدِ الرحمن بن عَوْف: لما سقَطَ عليه السلامُ على يديَّ وَاسْتَهَلَّ سمِعتُ قائلاً يقول: رحِمَكَ اللهُ ، وأضاءَ لي ما بين المَشْرِقِ والمغرب حتى نظرتُ إلى قُصور الرُّوم(١).

١١١٦ ـ وما تعرَّفتْ [به] حَليمةُ وزَوْجُها ـ ظِئْراهُ ـ مِنْ بركتِه ، ودُرُورِ لَبَنِها له ، ولبنِ شارِفِها وخِصْب غَنَمِها ، وسُرْعَةِ شَبَابه ، وحُسْنِ نَشْأَتِه(٢).

١١١٧ ـ وما جرى من العجائب ليلةَ مولده ، من ارْتجاج إيوان كسرى ، وسقوطِ شُرَفاتِه ، وغَيْضِ بحيرة طبريّة ، وخمود نار فارس ، وكان لها ألفُ عام لم تَخْمُدْ(٣).

١١١٨ ـ وأنه كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا أَكلَ مع عمّه أبي طالبِ وآلِهِ ـ وهو صغير ـ شبعُوا ورَوُوْا ، فإذا غاب فأكلوا في غَيْبَتِهِ لم يَشْبَعُوا.

وكان سائرُ وَلَدِ أبي طالب يُصبحون شُعْثاً ويُصْبح هو ﷺ صَقِيلاً دَهيناً كَحِيلاً(٤).

---

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل ، عن عبد الرحمن بن عوف عن أمه الشفاء/ المناهل (٨٧٤). (استهلَّ): رفع صوته بأنْ عطس.

(٢) قطعة من حديث حليمة السعدية المتقدم برقم (١٦٤م). (ظِئراه): أي أبوه وأمه من الرضاعة والظِّئْرُ: المرضعة غير ولدها. ويقع على الذكر والأنثىٰ. (شارفها) الشارِف: الناقة المسنَّة.

(٣) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وابن السَّكَن في معرفة الصحابة ، عن مخزوم بن هانىء المخزومي عن أبيه / المناهل (٨٧٦). (إيوان كسرىٰ): الإيوان: مجلس كبير على هيئة صُفَّةٍ واسعةٍ ، لها سقف محمول من الأمام علىٰ عَقْد ، يجلس فيها كبار القوم/ المعجم الوسيط. (غَيْض) غاضت بحيرة طبرية: أي غار ماؤها وذهب. و(طبرية): مدينة تقع في الشمال الشرقي من فلسطين الجريح ، على شاطىء بحيرة طبرية الغربي. و(بحيرة طبرية): جزء من مجرىٰ نهر الأردن ، تقع على مسيرة (٤٣) كيلاً من البحر المتوسط ، وطولها (٢١) كيلاً ، وأوسع عرض لها (١٢) كيلاً ، وأعمق نقطة في شمالها (٤٥) متراً ، وتنخفض عن مستوىٰ سطح البحر (٢١٢) متراً. انظر معجم بلدان فلسطين ص(٤٩٩) لأستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب. (خمود نار فارس) خمدت النار: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها / المعجم الوسيط.

(٤) رواه ابن سعد عن ابن عباس ، ومجاهد وإسماعيل بن أبي حبيبة في حديث طويل ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض / المناهل (٨٧٧). (سائر): جميع. (شُعْثاً): جمع أَشْعث:=

١١١٩ ـ [قالت أُمُّ أَيمن حاضِنَتُه: ما رأَيْتُه ﷺ شَكَا جُوعاً قطُّ ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً][١].

ومن ذلك حراسةُ السماءِ بالشُّهُب[٢]، وقَطْعُ رَصَدِ[٣] الشياطين، ومَنْعُهم اسْتِراقَ السَّمْعِ.

١١٢٠ ـ وما نشأَ عليه مِن بُغْضِ الأصنام[٤].

١١٢٠ م ـ والعفَّةِ عن أمور الجاهلية[٥].

١١٢٠ م١ ـ وما خصَّه اللهُ به مِنْ ذلك وحَمَاهُ حتى في سَتْرِه في الخبر المشهورِ عند بناءِ الكعبة إذ أخذ إزارَه ليجعَلَه على عاتِقِه، ليحملَ عليه الحجارةَ وتَعرَّى، فسقط إلى الأرض (١٠٥/أ) حتى ردّ إزارَه عليه.

فقال له عمّه: ما بالُك؟ قال: «إني قد نُهِيتُ عن التعرِّي»[٦].

١١٢١ ـ ومن ذلك إظْلاَلُ الله له بالغَمَام في سفره[٧].

١١٢٢ ـ وفي رواية: أَنَّ خديجةَ ونساءَها رأَيْنَهُ لمَّا قَدِم، ومَلَكَانِ يُظِلاَّنه، فذكرتْ ذلك لمَيْسَرةَ، فأَخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفَره[٨].

= وهو المغبرُّ الرأس، المتفرق الشعر. (صقيلاً): رائق اللون. (دهيناً): كأنه طلي وجهه بالدهن لإشراقه وصفائه. (كحيلاً): الكَحيلُ: من كان في أجفان عينيه سوادٌ خِلْقَةً.

(١) رواه ابن سعد، وأبو نعيم في الدلائل/ المناهل (٨٧٨). (أم أيمن): هي بركة الحبشية. زوج زيد بن حارثة. (حاضنته): مُرَبِّيَتُه.

(٢) الشهب: جمع شهاب: أراد به الذي ينقضُّ في الليل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشعلة من النار.

(٣) رصد الشياطين: ترصدهم وانتظارهم الخبر من السماء.

(٤) تقدم برقم (١٦٥).

(٥) انظر الحديث المتقدم برقم (١٦٦).

(٦) أخرجه ـ بنحوه ـ البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. وزاد نسبته السيوطي في المناهل (٨٧٩) إلى البيهقي عن ابن عباس.

(٧) تقدم برقم (٧٩١).

(٨) رواه ابن سعد عن نفيسة بنت مُنْيَةَ.

١١٢٣ ـ [وقد رُوِي أَنّ حليمةَ رأَتْ غمامةً تُظِلُّه ، وهو عندها(١) .

١١٢٣م ـ ورُوِي ذلك عن أَخيه من الرَّضَاعةِ] .

١١٢٤ ـ ومن ذلكَ أنه نـزَلَ في بعض أَسفارِه قبل مَبْعَثِه تحت شجرةٍ يابسة ، فاعْشَوْشَبَ ما حولَها وأَيْنَـعَتْ هي فأَشرقَتْ وتدلَّتْ عليه أغصانُها بمَحْضَر مَنْ رآه(٢) .

١١٢٥ ـ وميل فَيءِ الشجرةِ إليه في الخَبَرِ الآخر حتى أظلَّتْه(٣) .

١١٢٦ ـ وما ذُكِر [مِنْ] أنه كان لا ظِلّ لشَخْصِه في شمسٍ ولا قَمر ، لأنه كان نُوراً(٤) .

١١٢٧ ـ وأن الذُّبابَ كان لا يَـقَعُ على جَسدِه ولا ثيابه(٥) .

١١٢٨ ـ ومن ذلك : تَحْبِيبُ الخَلْوَةِ إليه حتى أُوحِيَ إليه(٦) .

١١٢٩ ـ ثم إعلامُه بموته ودُنُـوِّ أَجَلِه(٧) .

١١٣٠ ـ وأَنّ قبْـرَهُ بالمدينة(٨) .

١١٣١ ـ وفي بَيتِـهِ(٩) .

---

(١) رواه الواقدي ، وابن سعد ـ وابن عساكر في تاريخه من طريقه ـ عن ابن عباس .

(٢) أورده السيوطي في المناهل (٨٨٣) ، ولم يذكر من خرَّجه . وقال الـدَّلَـجِـيُّ : «لم أدر مَنْ رواه» .

(٣) هو فقرة من حديث سفره ﷺ إلى الشام ، وقد تقدم برقم (٧٩١ ، ١١٢١) .

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول / المناهل (٦٨) ، وفي إسناده عبد الرحمن بن قيس وهو وضَّاع كذَّاب ، وعبد الملك بن عبد الله وهو مجهول .

(٥) أورده السيوطي في المناهل / ٨٨٦ ولم يذكر من خرجه . وفي نسيم الرياض : «رواه صاحب الوفا عن ابن عباس» .

(٦) فقرة من حديث بدء الوحي ، أخرجه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة .

(٧) أخرجه البخاري (٦١٨٦) ، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة عن فاطمة الزهراء .

(٨) رواه أبو نعيم في الدلائل عن معقل بن يسار بلفظ : «المدينة مهاجري ، ومضجعي من الأرض / المناهل (٨٨٨) .

(٩) رواه البيهقي في الدلائل من حديث أبي بكر الصديق / المناهل (٨٨٩) .

١١٣٢ ـ وأَنَّ بين بَـيْتِه وبين مِنْـبَره رَوْضةً من رياض الجنة[١].

١١٣٣ ـ وتَخْيير اللهِ له عند مَوته[٢].

١١٣٤ ـ وما اشتمل عليه حديثُ الوفاةِ من كراماته، وتشريفه، وصلاة الملائكةِ على جَسده على ما رَوَيْنَـاهُ في بعضها.

واستِـئْـذَان مَلَكِ الموتِ عليه، ولم يستأذِنْ على غيره قَبْـلَـه[٣].

١١٣٥ ـ وندائهم الذي سمعوه ألاّ ينْزعوا القميص عنه عند غُسْله[٤].

١١٣٦ ـ وما رُوِي من تَـعْزِية الخَضِر[٥] والملائكةِ أهلَ بيتِه عند موته.

إلى ما ظهر على أَصحابه من كراماته وبركتِه في حياتِه وموتِه.

١١٣٧ ـ كاسْتِسْقاءِ عُمر بعَمِّه[٦]، وتبرُّك غيرِ واحدٍ بذرِّيته.

فصل

[فِـيْ أَنَّ مُـعْجِـزَاتِ نَـبِـيِّـنَـا مُحَمَّـدٍ ﷺ أَظْـهَـرُ مِنْ سَائِـرِ مُعْجِـزَاتِ الرُّسُـلِ][٧]

قال القاضي أبو الفضل: قد أتينا في هذا الباب على نُـكَتٍ مِنْ مُعجزاته

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد، ومن حديث أبي هريرة/ جامع الأصول ٩/ ٣٢٩.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٨)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٤٦٦) من حديث الخدري.

(٣) رواه الشافعي في سننه، والعدني في مسنده، والبيهقي في الدلائل، وفيه تخييره، واستئذان ملك الموت عليه، وتعزية الخَضِر / المناهل (٨٩١). وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ٤٧٣: «وهو منكر»، وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٥ ـ ٣٦.

(٤) أخرجه أبو داود (٣١٤٠) وغيره من حديث عائشة، وصححه الحاكم والبيهقي وابن حبان (٢١٥٦) موارد. وهناك استوفينا تخريجه.

(٥) قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء ٤/ ٤٧٤: «وأما ذكر الخضر في التعزية، فأنكر النووي وجوده في كتب الحديث، وقال: إنما ذكره الأصحاب. قلت: بلىٰ قد رواه الحاكم في المستدرك في حديث أنس، ولم يصححه، ولا يصح...».

(٦) أخرجه البخاري (١٠١٠) من حديث أنس بن مالك.

(٧) ما بين حاصرتين من عندي.

واضحةٍ ، وجُمَلٍ من علامات نبُوتِه مُقْنِعَةٍ ، في واحدٍ منها الكفاية والغُنْيَة ، وتركنا الكثير سِوَى ما ذكَرْنا ، واقتصَرْنا من الأحاديث الطوال على عَيْنِ الغَرَض ، وفَصٍّ[1] المَقْصِد ، ومن (١٠٥/ب) كثير الأحادِيثِ وغَرِيبها على ما صَحَّ واشتهر إلا يسيراً من غَرِيبه مما ذكره مشاهيرُ الأئمة ، وحذفْنَا الإسناد في جُمهورها ، طلباً للاختصار.

وبِحَسب هذا الباب لو تُقُصِّي[2] أَن يكونَ ديواناً جامعاً[3] يشتمل على مُجلَّداتٍ عدة.

ومعجزاتُ نبيّنا ﷺ أَظهرُ من سائر معجزات الرسل بوَجْهين :

أحدهما : كَثْرتُها ، وأَنه لم يُؤْتَ نبيٌّ معجزةً إلا وعند نبيّنا مثْلُها ، أو ما هو أَبلغُ منها.

وقد نَبَّه الناسُ على ذلك ، فإن أَرَدْتَه فتأَمَّلْ فصول هذا الباب ، ومعجزاتِ مَن تقدّم من الأنبياء ، تقِفْ على ذلك إن شاء الله [تعالى].

وأما كونُها كثيرة فهذا القرآن ، وكلُّه مُعْجزٌ ، وأَقلُّ ما يقَعُ الإعجازُ فيه عند بعض أئمة المحقّقين سورةُ : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر : ١] ، أو آيةٌ في قَدْرها.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ كلَّ آية منه ـ كيف كانت ـ معجزة.

وزاد آخرون إلى أَنَّ كلَّ جملةٍ مُنْتَظمةٍ منه معجزةٌ ، وإن كانَتْ من كلمة أو كلمتين.

والحقُّ ما ذكرناه أولاً ، لقوله تعالى : ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[4]

---

(١) فص المقصد : الفَصُّ : الحقيقة والجوهر . والمرادُ : زبدةُ المقصود.
(٢) تُقُصِّيَ : تَقَصَّىٰ المسألة : بلغ الغاية فيها ، و ـ الأمر : بلغ أقصاه في البحث عنه.
(٣) ديواناً جامعاً : كتاباً كبيراً.
(٤) في المطبوع : ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس : ٣٨].

[البقرة: ٢٣] ، فهو أقل ما تحدَّاهُمْ به ، مع ما ينصُر هذا[١] من نَظَر وتحقيقٍ يطولُ بَسْطُه.

وإذا كان هذا ففي القرآنِ من الكلماتِ نحوٌ من سبعةٍ وسبعين ألفَ كلمة ونَيِّف[٢] على عددِ بعضهم ، وعدَدُ كلمات: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] عَشْرُ كلمات ، فَتَجَزُّؤُ القرآنِ[٣] على نسبة عددِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أزيد من سبعة آلافِ جُزْء ، كلُّ وَاحِدٍ[٤] منها مُعْجِزٌ في نفسه.

ثم إعجازُه ـ كما تقدّم ـ بوَجْهين: طريقِ بلاغتِه ، وطريقِ نَظْمِه ، فصار في كلِّ جُزْءٍ من هذا العدد مُعْجِزَتان ، فتضاعفَ العدَدُ من هذا الوَجْهِ.

ثم فيه وجوهُ إعجازٍ أُخر من الإخبار بعلوم الغيب ، فقد يكونُ في السورة الواحدة مِن هذه التجزئة الْخَبَرُ عن أشياءَ من الغيبِ ، كلُّ خَبَرٍ منها بنفسه معجزٌ (١٠٦/أ) فيتضاعف[٥] العدَدُ كرّةً أخرى.

ثم وجوهُ الإعجازِ الأُخَر التي ذكرناها توجبُ التضعيفَ ، هذا في حقّ القرآنِ ، فلا يكادُ يَأْخُذُ العدُّ معجزاتِه ، ولا يَحْوِي الْحَصْرُ بَرَاهِينَه.

ثم الأحاديثُ الواردةُ ، والأخبارُ الصادرةُ عنه ـ عليه السلام ـ في هذه الأبواب وعما دلَّ على أمره مما أَشرنا إلى جُمَلِه تبلغُ نحواً من هذا.

الوَجْه الثاني: وضوحُ معجزاته ﷺ ، فإنَّ معجزات الرُّسلِ كانَتْ بقَدْرِ هِمَم

---

(١) ينصر هذا: يؤيده ويقويه.

(٢) قال الزرقاني في مناهل العرفان ١/٣٤٨: «ذكر بعضهم أن كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) أربع وثلاثون وتسع مئة وسبعة وسبعون ألف كلمة ، وذكر بعضهم غير ذلك. قيل: وسبب الاختلاف في عدد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منها جائز...».

(٣) أي تقسيم عدد كلمات القرآن على عدد كلمات سورة إنا أعطيناك الكوثر.

(٤) هكذا في الأصل والمطبوع: «واحد» ، لكن الناسخ ضرب عليها وأثبت فوقها كلمة «جزء» وعلّم عليها بالصحة.

(٥) في المطبوع: «فتضاعف».

أهلِ زمانهم ، وبحسَب الفنّ الذي سما فيه قَرْنه .

فلما كان زمن موسى غاية علم أهلةِ السِّحْر ، بُعث إليهم موسى بمعجزة تُشْبه ما يدَّعون قُدْرتَهم عليه ، فجاءهم منها ما خرق عادتَهم ، ولم يكن في قُدرتِهم ، وأبْطَل سِحْرَهم .

وكذلك زمَنُ عيسى أغْنَى ما كان الطبُّ ، وأوفر ما كان أهلُه ، فجاءهم أمرٌ لا يقدرون عليه ، وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميّت ، وإبراءِ الأكْمَهِ[1] والأبرصِ دونَ معالجةٍ ولا طِبّ .

وهكذا سائرُ معجزاتِ الأنبياء .

ثم إنَّ الله [تعالى] بعثَ محمداً ﷺ ، وجملةُ معارفِ العرب وعلومها أربعة : البلاغةُ ، والشِّعرُ ، والخبرُ ، والكِهَانَة[2] ، فأُنْزِل عليه القرآنُ الخارق لهذه الأربعة فصولٍ من الفصاحة ، والإيجاز ، والبلاغة الخارجة عن نَمَط[3] كلامهم ، ومن النظم الغريب ، والأسلوب العجيب الذي لم يَهتَدُوا في المنظوم إلى طَرِيقهِ ، ولا علموا في أَساليب الأوزان مَنْهَجه ، ومن الأخبار عن الكوائن والحوادثِ والأسرار والمُخَبّآت والضمائر ، فتوجَدُ على ما كانت ، ويعترفُ المُخْبَرُ عنها بصحةِ ذلك وصِدْقِه ، وإن كان أعْدَى العدوّ .

فأبطلَ الكِهَانةَ التي تصدُقُ مَرَّةً وتكذب عَشْراً ، ثم اجتثَّها[4] من أصْلها برَجْم الشُّهُب ، ورَصْدِ النجوم .

وجاء من الأخبار عن القرون السالفة (١٠٦/ب) وأنباء الأنبياء ، والأمم البائدة ، والحوادث الماضية ، ما يَعْجَزُ مَنْ تفرَّغ لهذا العلم عن بعضه ، على الوجوه التي بسطناها ، وبينَّا المُعْجِزَ فيها .

---

(١) الأكمه : الذي ولد أعمىٰ .
(٢) الكِهانة : تعاطي الخبر من الأمور المغيبة .
(٣) نمط : أُسلوب .
(٤) اجتثها : قلعها .

ثم بقيتْ هذه المعجزَةُ الجامعةُ لِهٰذِه الوجوهِ إلى الفصول الأُخَرِ التي ذكرناها في معجزاتِ القرآن ثابتةً إلى يوم القيامة ، بيِّـنـةَ الحجةِ لكل أمة تأتي ، لا يَخْفَى وجوهُ ذلك على مَنْ نظَر فيه ، وتأمَّل وجوهَ إعجازه.

إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل ، فلا يمرّ عَصْر ولا زَمَن إلا ويظهر فيه صِدْقُه بظهور مُخْبَرِه على ما أخبر ، فيتجدَّدُ الإيمانُ ، ويتظاهر البُرْهان ، وليس الخَبَر كالعِيَان [كما قيل] ، وللمشاهدة زيادةٌ في اليقين ، والنفسُ أَشدُّ طمأْنينةً إلى عَيْن اليقين[١] منها إلى علم اليقين[٢] وإن كان كلٌّ عندها حقّاً.

وسائر معجزاتِ الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعُدِمت بعَدَم ذَوَاتها ، ومعجزةُ نبيّنا ﷺ لا تَبِيد ولا تنقطع ، وآياتُه تتجدَّدُ ولا تضمَحِلُّ.

١١٣٨ ـ ولهذا أشار ـ عليه السلام ـ بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو عليّ ، حدثنا القاضي أبو الوليد ، حدثنا أبو ذرّ ، حدثنا أبو محمد ، وأبو إسحاق ، وأبو الهَيْثَم ، قالوا: حدثنا الفَرَبْرِي ، حدثنا البخاري [٣] ، حدثنا عبد العزيز بن عَبْد الله ، حدثنا الليثُ ، عن سَعِيد ، عن أَبيه ، عن أبي هُريرة [رضي الله عنه] عن النبي ﷺ ، قال: «**ما مِن الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعْطِي من الآيات ما مثلُه آمَنَ عليه البَشَرُ ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وَحْيا أَوحاه اللهُ إليّ ، فأَرجو أَنّي أكثرُهم تابعاً يوم القيامة**»[٤].

هذا معنى الحديث عند بعضهم ، وهو الظاهر ، والصحيحُ ، إن شاء الله.

وذهب غيرُ واحدٍ من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبيّنا ـ عليه السلام ـ إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وَحْياً وكلاماً (١٠٧/أ) لا يمكن

---

(١) عين اليقين: نفس اليقين ، وهو المشاهدة / كلمات القرآن لمخلوف.

(٢) علم اليقين: العلم الذي ليس فيه شك.

(٣) قوله: «حدثنا البخاري» ، لم يرد في المطبوع.

(٤) أسنده المصنف من طريق البخاري (٧٢٧٤) ، وهو متفق عليه. وقد تقدم برقم (٤٠٩).

التخييلُ فيه ، ولا التحيُّل عليه [1]، ولا التشبيه ، فإنّ غيرها من معجزات الرسل قد رَامَ المعاندون لها بأشياء طمِعُوا في التخييل بها على الضّعفَاء كإلقاء السَّحَرة حِبَالهم وعصيّهم وشِبْه هذا مما يخيِّلُه الساحرُ ، أو يتحيَّل فيه.

والقرآنُ كلامٌ ليس للحيلةِ ولا للسّحْر في[2] التخييل فيه عملٌ ، فكان من هذا الوجه عندهم أظهرَ من غيره من المعجزات ، كما لا يتمُّ لشاعرٍ ولا لخطيب أَن يكون شاعراً أو خطيباً بضَرْب من الْحِيَل والتَّمْوِيهِ.

والتأويلُ الأول أخلصُ وأرضى.

وفي هذا التأويل الثاني ما يُغَمِّضُ الجَفْنُ عليه ويُـغْضى[3].

ووجْهٌ ثالث على مَذْهب مَنْ قال بالصَّرْفَة[4] ، وأَنّ المعارضة كانت في مقدور البَشر ، فصُرِفوا عنها ، أو على أحدِ مذهَبَيْ أهل السنةِ من أَنَّ الإتْيَانَ بمثله مِنْ جنس مقدورهم ، ولكن لم يكن ذلك قَبْلُ ، ولا يكون بعدُ ، لأن الله [تعالى] لم يُقْدِرْهم ، ولا يُقدِرُهم عليه.

وبين المذهبين فرقٌ بَـيِّنٌ ، وعليهما جميعاً ، فتَرْكُ العرب الإتيانَ بما في مقدورهم ، أو ما هو من جِنْس مقدورهم ، ورِضَاهم بالبلاءِ ، والجَلاَء[5] ، والسِّبَـاءِ[6] ، والإذلال ، وتغييـر الحـال ، وسَلْـب النفـوس ، والأمـوالِ ، والتقريع ، والتوبيخ ، والتعجيز ، والتهديد ، والوعيد ـ أبْـيَن آيةٍ للعَجْزِ عن

---

(١) (التخييل): التمويه والتخليط ، حتى لا تعرف الحقيقة. (التحيُّل): من الحيلة.

(٢) في المطبوع: «ولا».

(٣) كناية عن أنه غير سالم من الاعتراض.

(٤) الصَّرفة: أي صرف الله العرب عن معارضته ، علىٰ حين أنه لم يتجاوز في بلاغته مستوىٰ طاقاتهم البشرية. ويعزىٰ القول بالصرفة إلىٰ أبي إسحاق الإسفراييني من أهل السنة ، والنَّظَّام من المعتزلة ، والمرتضىٰ من الشيعة. وهو قولٌ مرجوحٌ ، وقد رَدَّ شُبَهَ القائلين به الزرقانيُ في مناهل العرفان ٢/ ٤١٤ ـ ٤٢٠ فانظره إذا شئت.

(٥) الجلاء: ترك الوطن من خوف أو غيره.

(٦) السِّباء: الأَسْرُ.

الإتْيان بمثله ، والنكُولِ عن معارضته ، وأَنهم مُنِعوا عن شيءٍ هو من جِنْس مقدورهم.

وإلى هذا ذهب الإمامُ أبو المعالي: الجُويني ، وغيره ، قال: وهذا عندنا أبلغُ في خَرْقِ العادةِ بالأفعال البديعة في أنفسها ، كقَلْب العصا حيَّةً ونحوها ، فإنه قد يسبقُ إلى بالِ الناظرِ بِدَاراً[١] أنَّ ذلك من اختصاصِ صاحبِ ذلك بمزيةِ معرفةٍ في ذلك الفنّ ، وفَضْلِ علْمٍ إلى أنْ يَرُدَّ ذلك صحيحُ النَّظَرِ.

وأما التحدِّي للخلائق في مِئِين مِنَ السنين بكلامٍ مِنْ جِنْسِ كلامهم ليأْتُوا (١٠٧/ب) بمثله فلم يَأْتُوا ، فلم يَبْقَ بعدَ توفُّر الدَّواعِي على المعارضة ثم عَدَمِها إلاّ مَنْعُ اللهِ الخَلْقَ عنها بمَثَابةِ ما لو قال نبيٌّ: آيتي أَنْ يَمْنَعَ اللهُ القيامَ عن الناس مع مقدرتهم عليه ، وارتفاع الزَّمَانَةِ[٢] عنهم ، فكان ذلك ، وعَجَّزَهُم اللهُ [تعالى] عن القِيام ـ لكان ذلك من أَبْهَرِ آيةٍ ، وأظهر دِلالةٍ. وبالله التوفيق.

وقد غاب عن بعضِ العلماءِ وَجْهُ ظهورِ آيتِه على سائر آياتِ الأنبياء ، حتى احتاج للعُذْرِ عن ذلكَ بدقَّةِ أفهامِ العَرَب ، وذكاءِ ألبابِها ، ووفُور عقولِها ، وأَنهم أدركوا المُعْجزَةَ فيه بفِطْنَتِهم ، وجاءهم مِنْ ذلك بحسب إدْرَاكهم ، وغَيْرُهم مِنَ القِبْط[٣] وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونُوا بهذه السبيل ، بل كانوا من الغَبَاوَة ، وقِلَّةِ الفِطْنَة ، بحيث جوَّز[٤] عليهم فرعونُ أنه ربُّهم ، وجوَّز عليهم السامريُّ ذلك في العِجْل بعد إيمانهم ، وعبَدُوا المسِيحَ مع إجماعهم على صَلْبه: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] فجاءتهم من الآيات الظاهرة البيّنة للأبصار بقَدْر غلَظ أفهامهم ما لا يشكّون فيه ، ومع هذا فقالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] ولم يصبروا على

---

(١) بداراً: أي من أول وهلة.

(٢) الزَّمانة: المرض.

(٣) القِبْطُ: كلمة يونانية الأصل ، بمعنىٰ سكان مصر ، ويُقصد بهم اليوم: المسيحيون من المصريِّين / المعجم الوسيط.

(٤) جوَّز: سَوَّغَ.

المنِّ[1] والسَّلْوَى[2] ، واستبدلوا الذي هو أَدْنى بالذي[3] هو خير .

والعربُ ـ على جاهليتها ـ أكثرها يعترفُ بالصانع ، وإنما كانت تتقرَّبُ بالأصنام إلى الله زُلْفى[4] .

ومنهم مَنْ آمنَ باللهِ وَحْدَه من قَبْلِ الرسول ﷺ بدليل عَقْله ، وصفاءِ لُبِّه .

ولما جاءهم الرسولُ بكتاب الله فهموا حِكْمَتَهُ ، وتَبَيَّنُوا ـ بفَضْل إدراكهم لأول وهلةٍ ـ معجزتَه ، فآمَنُوا به ، وازدادوا كلَّ يوم إيماناً ، ورَفَضُوا الدُّنيا كلَّها في صحبته ، وهجروا ديارَهم وأموالَهم ، وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نُصْرته ، وأتى[5] في معنى هذا بما يلوحُ له رَوْنَقٌ[6] ، ويُعْجِبُ منه زِبْرِج[7] لو احتِيج إليه[8] وحُقِّق[9] ، لكنَّا قدَّمْنَا مِنْ بيان معجزةِ نبينا ﷺ وظهورِها ما يُغْني عن ركوب بُطون هذه (١٠٨/أ) المسالِك[10] وظُهورها[11] .

وبالله أستعين [وهو حَسْبي ، ونعم الوكيل].

* * *

---

(١) المنُّ : مادة صمغية حلوة كالعسل / كلمات القرآن لمخلوف .

(٢) السلوىٰ : الطائر المعروف بالسُّمَّاني / كلمات القرآن لمخلوف .

(٣) بالذي : الباء ـ هنا ـ تسمَّىٰ باء التَّرْكِ ، وتدخل على المتروك . وقد لحن أحمد شوقي عندما قال : «أنا من بدَّل بالكتب الصحابا» . وكان حقه أن يقول : أنا من بدَّل الكتب بالصحابِ ، لأنه ترك الصحاب وأخذ الكتب . انظر معجم الشوارد النحوية لأستاذنا محمد شُرَّاب ص(١٦٠) ، ومعجم الأغلاط الشائعة للعدناني ص(٣٦) .

(٤) زلفىٰ : قُربىٰ .

(٥) وأتىٰ : أي هذا القائل الذي غاب عنه ما تقدم .

(٦) يلوح له رونق : أي يظهر له لفظٌ حسن .

(٧) الزِّبْرِجُ : الزينة والوشي الذي هو كالطلاء ، وفيه إشارة إلىٰ عدم قبوله لضعفه .

(٨) (لو احتيج إليه) : أي إلىٰ كلامه .

(٩) (حُـقِّـق) : بينت حقيقته .

(١٠) (ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك) : أي ادعاء مثل هذه الأمور الخفية .

(١١) (وظهورها) : أي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر / قاله الخفاجي .

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني

فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل [رحمه الله]: وهذا قِسْمٌ لخَّصنَا فيه الكلام في أربعة أبواب على ما ذكَرْنَاه [في] أولِ الكتاب، ومجموعها في وجوب تصديقه واتِّباعه [في سُنَّته] وطاعتِهِ، ومحبَّتِه ومُناصحته، وتوقيرِه، وبرِّهِ، وحُكْمِ الصلاةِ عليه، والتسليم، وزيارةِ قَبْرِه ﷺ.

الباب الأول

في فَرْضِ الإيْمَانِ بـه وَوُجُـوبِ طَـاعَتِـهِ وَاتِّـبَـاعِ سُـنَّتِـهِ

إذا تقرر بما قَدَّمْناه ثبوتُ نبوَّته وصحةُ رسالته ، وجب الإيمانُ به وتصديقُه فيما أتىٰ به ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن : ٨].

وقال : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الفتح : ٨ ، ٩].

وقال : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

فالإيمانُ بالنبيِّ محمد ـ عليه السلام ـ واجبٌ مُتَعَيِّن لا يتمُّ الإيمانُ(١) إلا به ، ولا يصحُّ إسلامٌ إلاَّ معه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح : ١٣].

١١٣٩ ـ حدثنا أبو محمدٍ الخُشَنِيُّ الفقيه بقراءَتي عليه ، حدثنا الإمام أبو علي الطبري ، حدثنا عبد الغافر الفارسي ، حدثنا ابن عَمْرُويَهْ ، حدثنا ابْنُ سُفْيَان ، حدثنا أَبو الحُسَين ، حدثنا أميَّةُ بن بِسْطَام ، حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، حدثنا رَوْح ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أَبيه ، عن أَبي هُرَيرة [رضي الله عنه] عن رسول الله ﷺ ؛ قال : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يشهدوا أن**

---

(١) في المطبوع : «إيمان».

لا إله إلا اللهُ ، ويُؤمنوا بي وبما جئتُ به؛ فإذا فعلوا ذلك عَصَمُوا منّي دِمَاءَهُم وأَموالَهم إلاَّ بحَقِّها ، وحسابُهم علىٰ الله»[١].

قال القاضي أبو الفضل:

والإيمانُ به ـ عليه السلام ـ هو تصديقُ نُبوَّتِه ورسالةِ اللهِ له ، وتصديقهُ في جميع ما جاءَ به وما قاله ، ومطابقةُ تصديقِ القَلْب بذلك شهادةُ اللسان بأنه رسولُ الله؛ فإذا اجتمع التصديقُ به بالقلب ، والنطقُ بالشهادةِ بذلك باللسان.

١١٤٠ ـ تمَّ الإيمان[٢] به والتصديق له (١٠٨/ب). كما ورَدَ في هذا[٣] الحديث نَفْسِه مِنْ روايةِ عَبْد الله بن عُمَر [رضي الله عنهما]: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إله إلاَّ الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله»[٤].

١١٤١ ـ وقد زادَهُ وُضوحاً في حديث جبريل؛ إذ قال: أَخْبِرْني عن الإسلام؟ فقال النبيّ ﷺ: «أَنْ تشهدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ ، وأَنَّ محمداً رسولُ الله. . .» وذكر أركانَ الإسلام. ثم سأله عن الإيمان ، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. . .» الحديث[٥].

فقد قرَّرَ أَنّ الإيمانَ به محتاجٌ إلىٰ العَقْدِ بالْجَنَان[٦] ، والإسلامَ به مضطرٌ إلىٰ النطق باللسان.

وهذه الحالُ المحمودةُ التامةُ.

وأما الحالة المذمومةُ فالشهادةُ باللسانِ دونَ تصديقٍ بالقَلْب ، وهذا هو

---

(١) أسنده المصنف من طريق أبي الحُسين: مسلم بن الحجّاج القُشَيري النيسابوري برقم (٢١/ ٣٤) ، وانظر البخاري (١٣٩٩) ، وسيعيده المصنف برقم ١٨٠٠).

(٢) (تم الإيمان): أي الحقيقي المنجي في الدنيا والآخرة. وفي شرح القاري: «تَمَّ الإيمانُ»: أي كمل.

(٣) «هذا» ، لم ترد في المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢).

(٥) تقدم برقم (١٠١٠ ، ١٠٩٩). وقوله: «ثم سأله. . . الحديث»، لم يرد في المطبوع.

(٦) العَقْدُ بالجنان: أي الاعتقاد الجازم بالقلب.

النِّفَاق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؛ أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم، وهم لا يَعْتَقدونه؛ فلمَّا لم تُصدِّق ذلك ضمائرُهم لم ينفَعْهم أَنْ يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ فخرجوا عن اسْم الإيمان، ولم يكن لهم في الآخرة حُكمهُ؛ إذ لم يكن معهم [إيمان]، ولَحِقُوا بالكافرين في الدَّرْكِ الأسفَلِ من النار، وبقي عليهم حكمُ الإسلام، بإظهار شهادةِ اللسان، في أحكام الدنيا المتعلقةِ بالأئمة وحكامِ المسلمين الَّذين أحكامُهم علىٰ الظواهرِ، بما أَظْهرُوهُ من علامةِ الإسلام؛ إذ لم يُجْعَل للبشَر سبيلٌ إلىٰ السرائر، ولا أُمِرُوا بالبَحْثِ عنها؛ بل نَهَىٰ النبيُّ ﷺ عن التحكّم عليها؛ وذمَّ ذلك.

١١٤٢ ـ وقال: «**هلاّ شَقَقْتَ عن قَلْبِه**»[١].

وللفرق بين القول والعَقْد[٢] ما جُعِلَ في حديث جبريلَ: الشَّهادةُ من الإسلام، والتصديقُ من الإيمان.

وبقيت حالتان أُخْرَيَان بين هذين:

١١٤٣ ـ إحداهما: أَنْ يُصدِّقَ بقلبه ثم يُخْتَرَمَ[٣] قَبْلَ اتِّساع وَقْتِ الشهادةِ بلسانه؛ فاختلف فيه؛ فشَرَطَ بَعْضُهم مِنْ تمامِ الإيمان القولَ والشهادةَ [به]؛ ورآه (١٠٩/أ) بعضهم مُؤْمناً مستوجباً للجنة؛ لقوله عليه السلام: «**يَخْرُج من النار مَنْ كان في قَلْبه مِثْقالُ ذَرَّةٍ من إيمان**»[٤]؛ فلم يذكر سِوَىٰ ما في القَلْبِ.

وهذا مُؤمنٌ بقَلْبه، غَيْرُ عاصٍ ولا مُفَرِّط بتَرْك غيره.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد. وانظر البخاري (٦٨٧٢)، وفتح الباري (١٩٥/١٢).

(٢) (العقد): الاعتقاد والتصديق بالقلب.

(٣) يخترم: يموت.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٩٨) من حديث الخدري. وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه ـ مطولاً ـ الشيخان بسياقة أخرىٰ.

وهذا هو الصحيح في هذا الوَجْه.

الثانية: أنْ يصدِّقَ بقلبه ويُطَوِّلَ مَهَلَه[1]، وعَلِمَ ما يلزمُه من الشَّهادة؛ فلم ينطق بها جملة ولا اسْتَشهد في عُمُره ولا مرةً واحدة؛ فهذا اختُلف فيه أيضاً؛ فقيل: هو مُؤمن؛ لأَنه مصدِّقٌ، والشهادةُ من جُمْلة الأعمال؛ فهو عاصٍ بتَرْكها غَيْرُ مُخَلَّدٍ [في النار].

وقيل: ليس بمؤمن حتى يقارِنَ عَقْدُه[2] شهادةَ [اللسان]؛ إذ الشهادةُ إنشاءُ عَقْدٍ، والتزامُ إيمان؛ وهي مرتبطةٌ مع العَقْد، ولا يتمُّ التصديقُ مع المُهْلَة إلا بها. وهذا هو الصحيح.

وهذه نُبْذَةٌ تُفْضِي[3] إلىٰ مُتَّسَع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابِهما، وفي الزيادة فيهما والنقصانِ، وهذا[4] التجزّي مُمْتَنِع علىٰ مجرّدِ التصديق لا يصحُّ فيه جملةً؛ وإنما يرجعُ إلىٰ ما زَادَ عليه من عَمَلٍ، وقد[5] يعرضُ فيه لاختلاف صفاته، وتَبَايُن حالاتهِ؛ من قُوَّةِ يَقين، وتصميم اعتقاد، ووضُوحِ مَعْرِفَةٍ، ودَوَام حالةٍ، وحضور قَلْب.

وفي بَسْطِ هذا خروجٌ عن غرض التأليف؛ وفيما ذكرنا غُنْية فيما قصدْنا إن شاء الله.

فصل

[فِيْ وُجُوبِ طَاعَتِهِ ﷺ][6]

وأَما وجوبُ طاعتهِ، فإذا وجب الإيمانُ به وتصديقهُ فيما جاء به وجبت

---

(١) ويطوِّل مَهَلَهُ: أي سكوته وعدم نطقه بالشهادتين.

(٢) عقده: اعتقاد قلبه وجزمه.

(٣) في المطبوع: «وهذا نبذ يفضي». ومعنى (تفضي): توصل. و(النبذة): القطعة من الشيء.

(٤) في المطبوع: «وهل».

(٥) في الأصل: «أَوْ قَدْ»: والمثبت من المطبوع.

(٦) ما بين حاصرتين من عندي.

طاعتُه؛ لأنَّ ذلك مما أَتىٰ به؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

[وقال]: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [النور: ٥٤].

وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]؛ فجعل تعالىٰ طاعةَ رسولهِ طَاعَتَهُ، وقَرنَ طاعَته بطاعَتِه، ووعد (١٠٩/ب) على ذلك بجزيلِ الثَواب؛ وأوعد على مخالفَته بسوءِ العِقَاب، وأَوجَب امتثالَ أَمرِه، واجتنابَ نَهْيه.

قال المفسِّرونَ والأئمةُ: طاعةُ الرسولِ في[1] الْتِزَامَ سُنَّتِه والتسليم لما جاءَ به.

وقالوا: وما أرسلَ اللهُ مِنْ رَسُولٍ إلاّ فرض طاعتَه علىٰ مَنْ أَرسلَهُ إليه.

وقالوا: مَنْ يُطِع الرسولَ في سُنَّتِه يُطِع اللهَ في فَرَائضه.

وسُئِل سَهْلُ بْنُ عَبْد اللهِ عن شرائع الإسلام؛ فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال السَّمَرْقَنْدي: يقال: أَطِيعُوا اللهَ في فرائضه، والرسولَ في سُنَّتِه. وقيل: أطيعوا اللهَ فيما حرَّم عليكم، والرسولَ فيما بلّغكُمْ.

ويقال: أَطِيعوا اللهَ بالشَّهادةِ له بالرُّبوبيّةِ، والنبيَّ بالشهادةِ له بالنبوّة.

---

(١) كلمة: «في»، لم ترد في المطبوع.

١١٤٤ ـ حدثنا أَبو محمد بن عتّاب بقراءتي عَليه ، حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أَبو الحَسَن : عليّ [بن محمد] بن خَلف ، حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا البخاري ، حدثنا عَبْدان ، أخبرنا عَبْد الله ، أخبرنا يونس ، عنِ الزُّهري ، أَخبرني أَبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن ، أنه سمع أَبا هُرَيرة يقولُ : إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : «مَنْ أَطاعني فقد أَطاعَ الله ، ومَنْ عصاني فقد عَصَى اللهَ ، ومَنْ أَطاع أَمِيري فقد أطاعني ، ومَنْ عصىٰ أَميري فقد عصاني»[1] .

فطاعةُ الرسُولِ من طاعة الله ؛ إذ اللهُ أَمر بطاعته ؛ فطاعتُه امتثالٌ لما أَمر اللهُ به ، وطاعةٌ له .

وقد حَكَىٰ اللهُ عن الكفَّار في دَرَكات جهنّم : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب : ٦٦] ؛ فتمنَّوْا طاعتَه حيثُ لا ينفعهُم التمني .

١١٤٥ ـ وقال عليه السلام : «إذا نهيتُكم عن شيء فاجْتَنِبُوه ، وإذا أمرتُكم [بأَمْرٍ] فأْتُوا منه ما استطعْتُم»[2] .

١١٤٦ ـ وفي حديث أبي هريرة [رضيَ اللهُ عنه] عنه عليه السلام : «كلُّ أُمتي يَدْخُلون الجنةَ إلاَّ مَنْ أَبىٰ» .

قالوا : [يا رسول الله]! ومَنْ يَأْبىٰ؟ قال : «مَنْ أَطاعني دخل الجنةَ ، ومَنْ عَصاني فقد أَبىٰ»[3] .

١١٤٧ ـ وفي الحديث الآخر الصحيح ، عنه عليه السلام : «مَثَلي وَمَثَلُ ما بعثني اللهُ به (١١٠/ب) كمَثَل رَجُلٍ أَتى قوماً ، فقال : يا قوم! إني رأَيتُ الجَيْشَ بعَيْنَيَّ ، وإني أَنا النَّذِيرُ العُرْيان ، فالنَّجاءَ ؛ فأطاعَه طائفةٌ من قومه ،

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (٧١٣٧) ، وأخرجه أيضاً مسلم (١٨٣٥) .
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة .
(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) .

فأَدْلَجُوا ، فانطلقوا علىٰ مَهَلِهم فَنَجَوْا ؛ وكذّبَتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيشُ فأهلكهم واجْتَاحَهُم ؛ فذلك مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي ، واتَّبَعَ ما جِئْتُ به ، ومَثَلُ مَنْ عَصَاني وكذّب ما جئتُ به من الحقِّ»(١) .

١١٤٨ ـ وفي الحديث الآخر في مَثَلِهِ: «كَمَثَلِ مَنْ بنَىٰ دَاراً وجعلَ فيها مأْدُبةً ، وبعث دَاعِياً؛ فَمَنْ أَجابَ الداعِيَ دخلَ الدارَ ، وأَكَل من المأدُبة؛ ومَنْ لم يُجِبِ الداعيَ لم يدخل الدارَ ولم يأْكُلْ من المَأْدُبة؛ فالدارُ: الجنة ، والداعي: محمدٌ [ﷺ]. فمن أَطاع محمداً فقد أَطاعَ اللهَ ، ومَنْ عصىٰ محمداً فقد عصىٰ الله ؛ ومحمدٌ فَرْقٌ بين الناس»(٢) .

فصــل

[فِيْ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وامْتِثَالِ سُنَّتِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ](٣)

وأما وجوبُ اتّباعِه وامتثالِ سُنّتهِ والاقتداءِ بِهَدْيه ؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] أي ينقادون

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري. (النجاءَ): أي اطلبوا الخلاص ، وأنجوا أنفسكم وخلصوها. (النذير العُرْيان): الذي لا ثوب عليه ، وخص العريان ، لأنه أَبْيَنُ في العين ، وأصل هذا: أن الرجل منهم كان إذا أنذر قومه ، وجاء من بلد بعيد انسلخ من ثيابه ، ليكون أبين للعين. (أدلجوا) إذا خُفِّفَ ـ من أدلج يدلج ـ كان بمعنى: سار الليل كله. وإذا ثقل ـ من ادَّلج يدَّلج ـ كان: إذا سار آخر الليل. (اجتاحهم): استأصلهم/ جامع الأصول ١/ ٢٨٧.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨١) من حديث جابر بن عبد الله. (المأدبَة): طعام الدعوة. (محمد فَرْقٌ بين الناس): أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه/ النهاية.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

لحكمك؛ يقال: سلّم، واستسلم، وأسلم؛ إذا انقاد.

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(1) الآية [الأحزاب: ٢١].

قال محمد بن علي التِّرمذي(2): الأُسوةُ في الرسولِ الاقتداءُ به، والاتّباعُ لسُنَّتِه، وتركُ مخَالفتِه في قولٍ أو فعل.

وقال غَيْرُ واحدٍ مِنَ المفسِّرين بمعناه.

وقيل: هو عِتَابٌ للمتخلِّفين عنه.

وقال سَهْلٌ(3) في قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]. قال: بمتابعة السنَّةِ؛ فأمرهم تعالىٰ بذلك، ووعَدهم الاهتداءَ باتِّباعِه؛ لأنَّ الله تعالىٰ أَرسله بالهُدىٰ ودين الحق ليُزَكِّيَهم ويعلِّمهم الكِتَابَ والحِكْمَة، ويَهديهم إلىٰ صراطٍ مستقيم، ووعدهم محبَّتَه تعالىٰ في الآية الأخرىٰ ومَغْفِرته إذا اتَّبعوه، وآثروه علىٰ أهوائهم، وما تَجْنَحُ (١١٠/ب) إليه نفوسُهُمْ؛ وأنَّ صِحَّةَ إيمانهم بانقيادِهم له، ورِضَاهم بحُكْمه، وتَرْكِ الاعتراضِ عليه.

١١٤٩ ـ ورُوي عن الحَسَنِ أَنَّ أَقَوَاماً قالوا: يا رسُولَ اللهِ! إنّا نُحبّ اللهَ. فأنزل اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(4) [آل عمران: ٣١].

ورُوِيَ أن الآيةَ نزلت في كَعْب بن الأَشْرَفِ وغيره، وأَنهم قالوا: نحن أَبناءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُه؛ ونحن أَشَدُّ حُبّاً لله؛ فأنزل الله الآية.

---

(1) في المطبوع زيادة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ وهذه الزيادة هي من الآية رقم /٦/ من سورة الممتحنة وليست من سورة الأحزاب.

(2) هو الحكيم الترمذي صاحب نوادر الأصول. تقدمت ترجمته.

(3) هو سهل بن عبد الله التُّسْتري. تقدمت ترجمته.

(4) رواه ابن المنذر في تفسيره/ المناهل (٩٠٤). وانظر أقوالاً أخرىٰ في أسباب النزول للواحدي ص(٧٣ ـ ٧٤).

وقال الزَّجَّاجُ: معناهُ إنْ كنتُم تحبُّون الله - إن تَقْصِدُوا طاعته - فافعلوا ما أَمركم به؛ إذْ مَحَبَّةُ العَبْدِ للهِ والرسولِ: طاعتُه لَهُمَا، ورِضَاهُ بما أَمرا؛ ومحبَّةُ اللهِ لهم عَفْوُه عنهم، وإنعامُه عليهم برحْمَتِه.

ويُقال: الحبُّ من الله عصمةٌ وتوفيقٌ؛ ومِنَ العِبَادِ طاعةٌ؛ كما قال القائل:

تَعْصِـي الإلـهَ وأَنْـتَ تُظْهِـرُ حُبَّـهُ ... هـذا لَعَمْـرِي فِـي القِيَـاسِ بَـدِيـعُ
لـو كـانَ حبُّـكَ صَـادِقـاً لأَطَعْتَـهُ ... إنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيـعُ[1]

ويقال: محبةُ العَبْدِ للهِ تعظيمُه له وهَيْبَتُه منه؛ ومحبَّةُ اللهِ له رحمتُه له، وإرادتُه الجميلَ له؛ وتكون بمعنى مَدْحِه وثنائه عليه[2].

قال القُشَيْري: فإذا كان بمعنىٰ الرحمةِ والإرادَةِ والمَدْحِ كان من صفاتِ الذات. وسيأتي بَعْدُ في ذِكْرِ مَحَبَّة العَبْدِ غيرُ هذا بحَوْلِ اللهِ تعالىٰ.

١١٥٠ - حدثنا أبو إسحاق: إبراهيم بن جعفر الفقيهُ؛ قال: حدثنا أبو الأَصْبَغ: عيسىٰ بن سَهْل، وحدثنا أبو الحَسَن: يونس بن مُغِيث الفقيهُ بقراءتي عليه؛ قالا: حدثنا حاتم بن محمد؛ قال: حدثنا أبو حفص الجُهَني، حدثنا أبو بكر الآجُرِّي، حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الجَوْزِي، حدثنا داود بن رُشَيْد، حدثنا الوَلِيدُ بن مُسلم، عن ثَوْر بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن عبد الرحمن بن عَمْرِو الأسلمي[3]، وحُجْرِ الكَلاَعِي، عن العِرْباض بن سارِيَة في حديثه في موعظةِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**فعليكم بسُنَّتي (١١١/أ) وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الراشدين المَهْدِيِّين؛ عَضُّوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومُحْدَثات الأُمورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَـةٌ وَكُلَّ بِدْعَـةٍ ضَلاَلَـةٌ**»[4].

---

(١) ديوان الشافعي ص(٤٨). وهذا البيتان منسوبان أيضاً لمحمود الوراق ولغيره.

(٢) في الأصل: «عليهم»، والمثبت من المطبوع.

(٣) هكذا في الأصل وفي المطبوع: «الأسلمي». وهو تحريف، صوابه: «السُّلمي» كما في مصادر تخريج الحديث والتهذيب وفروعه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣) وغيره. وصححه =

١١٥١ ـ زاد في حديث جابر بمعناه: «وكُلُّ ضَـلاَلَةٍ في النار»[١].

١١٥٢ ـ وفي حديث أَبي رافع عنه عليه السلام: «لا أُلفِيَـنَّ أَحَدَكـم متّـكئـا علىٰ أَرِيكتـهِ، يَأْتيه الأَمـرُ من أمري، مما أَمرتُ بـه، أو نهيتُ عنـه، فيقول: لا أَدري، ما وجَـدْنَـا في كتابِ الله اتَّـبَـعْنَـاه»[٢].

١١٥٣ ـ وفي حديث عائشة [رضي اللهُ عنها]: صنعَ رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً ترخَّصَ فيه، فتنزَّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فحمد الله، ثم قال: «ما بالُ قوم يتـنزَّهون عن الشيء أَصنَـعُه؟ فواللهِ! إنِّي لأَعْـلَمُهم بالله، وأشدُّهـم له خَـشْيَـةً»[٣].

١١٥٤ ـ ورُوي عنه عليه السلام أنه قال: «القرآنُ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ علىٰ مَنْ كرهه [٤]، وهو الحَكَم؛ فمن استمسك بحديثي وفَهِمَهُ وحَفِظَهُ جاء مع القرآن؛

= الحاكم ١/ ٩٥ ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً الترمذي وابن حبان (١٠٢) موارد، وهناك استوفينا تخريجه. (عضُّوا عليها بالنواجذ) النواجذ: الأضراس التي بعد الناب، وهذا مثلٌ في شدة الاستمساك بالأمر. (محدثات الأمور): ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع. (بدعة): قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤/ ٢٥٣: «والبدعة أصلها ما أحدث علىٰ غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة. والتحقيق أنها إنْ كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلىٰ الأحكام الخمسة» وانظر النهاية، وجامع الأصول ١/ ٢٨٠، ٦/ ١٢٢.

(١) حديث جابر رواه مطولاً مسلم (٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٩) لكن قوله: «وكل ضلالة في النار» ورد في رواية النسائي دون مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣)، وأحمد ٦/ ٨، وصححه الحاكم ١/ ١٠٨، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وسيأتي برقم (١١٨٨) (لا أُلفِينَّ): لا أجدنَّ.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦). (فتنزَّه عنه قوم): أي تركوه وأبعدوا عنه ولم يعملوا بالرخصة فيه. توهُّماً أنه أقرب لهم عند الله تعالىٰ. (إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية): جمع ﷺ بين القوة العلمية، والقوة العملية.

(٤) مفهومه أنه سهل متيسر علىٰ من أحبه وارتضاه/ قاله القاري.

ومَنْ تهاوَنَ بالقرآن وحديثي خَسِر الدُّنيا والآخرة ، أُمِرتُ أمتي أن يأخذُوا بقَوْلي ، ويُطيعُوا أمري ، ويتَّبعُوا سُنَّتي ؛ فمن رَضِيَ بقولي فقد رضي بالقُرْآنِ»[1] قال الله [تعالى]: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر : ٧].

١١٥٥ ـ وقال عليه السلام: «من اقتدَىٰ بي فهو مِنّي ، ومَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني»[2].

١١٥٦ ـ وعن أبي هُريرة [رضي اللهُ عنه] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنّ أحسنَ الحديث كتابُ اللهِ ، وخَيْرُ الهُدىٰ هُدىٰ محمدٍ[3] ، وشَرُّ الأمور مُحْدَثَاتُها»[4].

١١٥٧ ـ وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص [رضي اللهُ عنه قال]: قال النبيُّ ﷺ: «العلم ثلاثة ، فما سِوَىٰ ذلك فهو فَضْل: آية مُحْكَمَةٌ ، أو سُنَّة قائمةٌ ، أو فريضةٌ عادلةٌ»[5].

١١٥٨ ـ وعن الحسن بن أَبِي الحَسَنِ [رضيَ الله عنه]: قال عليه السلام:

---

(١) رواه أبو الشيخ ، وأبو نعيم ، والديلمي ، عن الحكم بن عمير الثُّمالي/ المناهل (٩١٠).

(٢) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (٢٠٥٦٨) من حديث الحسن البصري مرسلاً بلفظ: «ومن استنَّ بي فهو مني. . .». والفقرة الأخيرة من الحديث رواها البخاري ومسلم. وستأتي برقم (١١٨٦).

(٣) في الأصل: «هدىٰ الله» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) قال الدَّلَجيُّ: «لا أدري مَنْ روى هذا الحديث». وأخرجه مسلم (٨٦٧) ، وابن ماجهْ (٤٥) من حديث جابر بن عبد الله ، وتقدم برقم (٢٩٨) من حديث ابن مسعود موقوفاً.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٨٨٥) ، وابن ماجهْ (٥٤) ، والحاكم (٤/ ٣٣٢) ، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٥٧٠٩) ، وضعفه الذهبي وغيره. (الآية المحكمة): هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف ، أو ما ليس بمنسوخ. (السنة القائمة): هي الدائمة المستمرة التي العمل بها متصل لا يترك. (الفريضة العادلة): هي التي لا جَوْرَ فيها ولا حَيْف في قضائها/ جامع الأصول ٨/ ١٠.

«عَمَلٌ قليلٌ في سُـنَّـةٍ[1] خَيـرٌ من عَمَلٍ كثير في بِدْعَـةٍ»[2].

١١٥٩ ـ وقال عليه السلام: «إنَّ اللهَ [تعالىٰ] يُدخِلُ العَبْدَ الجنَّةَ بالسُنَّةِ تَمسَّكَ بها»[3].

١١٦٠ ـ وعن أبي هريرة [رضي اللهُ عنه]، عن النبيّ ﷺ، قال: «المُتَمَسِّكُ بسنَّتي عند فسادِ أُمتي له أَجْرُ مِئَةِ شَهيد»[4].

١١٦١ ـ وقال عليه السلام: «إنَّ بني إسرائيل افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين مِلَّةً؛ وإنّ أُمتي تَفْتَرِقُ علىٰ ثلاثٍ وسبعين، كلُّها في النارِ إلا واحدةً». قالوا: ومَنْ هم؟ يا رسولَ الله! (١١١/ب) قال: «الذي أنا عليه اليومَ وأصحابي»[5].

---

(١) (في سُنَّة): السنة ـ هنا ـ تقابل البدعة. وهي اسم جامع لمعانٍ كثيرة في الأحكام وغير ذلك فمن السنة مثلاً: القول بإثبات القَدَرِ، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وأن أبا بكر أفضل أصحاب رسول الله ﷺ، وأن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي والزلات. والسنة ـ في اصطلاح الفقهاء ـ: ما يترتب الثواب علىٰ فعله، ولا يترتب العقاب علىٰ تركه.

(٢) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (٢٠٥٦٨). وهو حديث مرسل وسيأتي من قول ابن مسعود برقم (١١٧٣). (البدعة): تقدم شرحها عند الحديث المتقدم برقم (١١٥٠).

(٣) أورده السيوطي في المناهل (٩١٥)، ولم يذكر من خرجه.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٢: «وفيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه وبقية رجاله ثقات». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٩١٧١). وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٨٠: «رواه الطبراني من حديث أبي هريرة، بإسناد لا بأس به، إلا أنه قال: فله أجر شهيد».
ملحوظه: قوله: «مئة شهيد» ورد في حديث ابن عباس عند البيهقي كما في الترغيب والترهيب ١/ ٨٠.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال: «هذا حديث حسن مُفَسَّرٌ غريب...». (وإن أمتي تفترق) قال الخطابي: فيه دلالة علىٰ أن هذه الفرق غير خارجة عن المِلَّة والدين، إذ جعلهم من أمته/ جامع الأصول ١٠/ ٣٢

١١٦٢ ـ وعن أَنس: قال عليه السلام: «مَنْ أَحْيا سُنَّتي فقد أَحياني ، ومَنْ أحياني كان معي [في الجنّة]»(١).

١١٦٣ ـ وعن عَمْرِو بنِ عَوْف المُزَنيِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لبلال بن الحارث: «مَنْ أَحْيا سُنَّةً من سُنَّتِي قد أُمِيتَتْ بَعْدِي ، فإنَّ له من الأَجْر مِثْلَ مَنْ عمل بها من غير أَنْ ينقُصَ من أجورِهم شيئاً؛ ومن ابتدع بِدْعَة ضلالةٍ لا تُرْضِي اللهَ ورسولَه كان عليه مثْلُ آثام مَنْ عَمِلَ بها ، لا ينْقُصُ ذلكَ من أوزارِ الناس شيئاً»(٢).

فصل

[فِيْ مَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ مِنِ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالاقْتِدَاءِ بِهَدْيِـهِ وَسِيْرَتِـهِ ﷺ](٣)

١١٦٤ ـ وأما ما ورد عنِ السَّلَف والأئمة من اتّباع سُنَّته والاقتداء بهَدْيه وسيرته ، [فـ]حدَّثنا الشيخُ أبو عِمْرَانَ: موسىٰ بن عبد الرحمن بن أبي تَلِيد الفقيهُ سماعاً عليه؛ قال: حدثنا أبو عُمر الحافظ ، قال: حدثنا سَعِيد بن نَصْر ، حدثنا قاسم بن أَصْبَغَ ، وَوَهْب بن مَسَرَّةَ(٤)؛ قالا(٥): حدَّثنا محمد بن وضَّاح ، حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ ، حدثنا مالك ، عن ابْنِ شهابٍ ، عن رجلٍ من آل خالد بن أَسِيْد ـ أنه سَأَل عبدَ الله بن عُمَرَ ، فقالَ: يا أَبَا عبد الرحمن! إنَّا نَجِدُ صلاةَ الْخَوْفِ ، وصلاةَ الْحَضَر في القرآن ، ولا نجدُ صلاةَ السفَر؟ فقال

---

(١) هو طرف من الحديث الآتي برقم (١٢٢٤). فانظر تخريجه هناك.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧) ، وابن ماجه (٢١٠). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وفي إسناده كثير بن عبد الله ، قال المنذري في الترغيب والترهيب ١/٨٨: «متروك ، ولكن للحديث شواهد».

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) في الأصل: «وهب بن ميسرة» ، والمثبت من المطبوع وهو الصواب. وله ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٥/٥٥٦.

(٥) في الأصل: «قال» ، والمثبت من المطبوع.

ابْنُ عُمر: يا بْن أَخي! إنَّ الله بعثَ إلينا محمداً [ﷺ]، ولا نعلمُ شيئاً؛ فإنما نفعلُ كما رأَيْنَاه يَفْعل[1].

١١٦٥ ـ وقال عُمر بن عبد العزيز: سنَّ رسُولُ اللهِ ﷺ ووُلاةُ الأَمرِ بعده سُنَناً، الأَخْذُ بها تصديقٌ بكتابِ الله، واستعمالٌ لطاعة اللهِ، وقوةٌ علىٰ دِين الله، ليس لأَحدٍ تغييرُها ولا تبديلها ولا النَّظَرُ في رَأْيِ مَنْ خالفها؛ من اقتدىٰ بها [فهو] مُهْتدٍ، ومن انتصر بها منصورٌ، ومَنْ خالفها واتَّبَعَ غَيْرَ سبيلِ المؤمنين ولاَّه اللهُ ما تولَّىٰ، وأَصْلاهُ جَهَنَّم وساءَتْ مَصِيراً[2].

١١٦٦ ـ وقال الحَسَنُ بن أَبي الحَسَن: عمَلٌ قليل في سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَملٍ كثير في بِدْعة[3].

١١٦٧ ـ وقل ابْنُ شِهاب[4]: بلغَنَا عن رِجَالٍ من أَهلِ العلم، قالوا: الاعتصامُ بالسنَّةِ نجاةٌ[5].

١١٦٨ ـ وكتب عُمَرُ بن الخطاب [إلىٰ عُمّالهِ] بتعلّمِ السنَّة والفَرائض واللَّحْن[6]. أي: اللغة.

١١٦٩ ـ وقال: إنَّ نَاساً يجادِلُونكم ـ يعني: بالقرآن ـ فخذُوهم بالسّنَنِ[7]؛

---

(١) أسند المصنف من طريق مالك في الموطأ ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦. وأخرجه أيضاً ابن ماجه (١٠٦٦) والنسائي (٣/ ١١٧) وإسناده صحيح.

(٢) رواه اللّالْكائي في السُّنَّةِ/ المناهل (٩٢١). وفي المطبوع: «بطاعة الله» بدل: «لطاعة الله».

(٣) تقدم برقم (١١٥٨) عن الحسن مرسلاً.

(٤) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري. فقيه، حافظ، متفق علىٰ جلالته وإتقانه. مات سنة (١٢٥) هـ. وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. وقد أفرده بالترجمة أستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب في كتاب سماه: «الإمام الزهري، عالم الحجاز والشام». وقد طبع هذا الكتاب في سلسلة أعلام المسلمين ـ دار القلم.

(٥) رواه اللاّلكائي في السنَّة/ المناهل (٩٢٢).

(٦) رواه سعيد بن منصور في سننه.

(٧) علىٰ هامش الأصل: «والفرائض، أصل». وهذه الزيادة ليست في المطبوع.

فإنّ أَصحابَ (١١٢/أ) السنن أَعلمُ بكتابِ الله[1].

١١٧٠ ـ وفي خبره حين صلَّىٰ بذي الحُلَيْفةِ[2] رَكْعَتَيْن ، فقال: أَصنَعُ كما رأَيتُ رسولَ الله ﷺ يصنَع[3].

١١٧١ ـ وعن عليّ ـ حين قَرَنَ[4] ـ فقال له عُثْمان: تَرَىٰ أَني أَنْهىٰ الناسَ عنه وتَفْعَله؟ قال: لم أَكُنْ أَدَعُ سُنَّةَ رسُولِ الله ﷺ لقَوْلِ أحدٍ من الناس[5].

١١٧٢ ـ وعنه: أَلاَ إنّي لستُ بنبيّ ولا يُوحَىٰ إليّ ، ولكن[6] أَعْمَلُ بكتاب اللهِ وسُنّةِ نبيه [محمد] ﷺ ما استَطَعْتُ.

١١٧٣ ـ وكان ابْنُ مسعود يقول: القَصْدُ في السنَّة خير من الاجتهاد في البِدْعة[7].

١١٧٤ ـ وقال ابنُ عُمَرَ: صلاةُ السفر ركعتان؛ مَنْ خالف السنّة كَفَرَ[8].

١١٧٥ ـ وقال أُبَيُّ بن كَعب: عليكم بالسبيل والسنَّةِ؛ فإنه ما علىٰ الأَرْض من عَبْدٍ علىٰ السبيلِ والسنّةِ ذكَر اللهَ [في نَفْسهِ]ففاضت عَيْنَاه من خَشْيَةِ رَبِّه ،

---

(١) رواه الدارمي برقم (١٢١) وهو أثر صحيح.

(٢) ذو الحُلَيفة: قرية بظاهر المدينة النبوية علىٰ طريق مكة ، بينها وبين المدينة تسعة أكيال ، وتعرف اليوم «بيار علي». وهي ميقات أهل المدينة ومن مرَّ بها حاجاً أو معتمراً. انظر المعالم الأثيرة ص(١٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٦٩٢).

(٤) قَرَنَ: أي جمع بين الحج والعمرة ، بِنِيَّةٍ واحدة ، وتلبية واحدة ، وإحرام واحد ، وطواف واحد ، وسعي واحد ، فيقول: لبيك بحج وعمرةٍ/ النهاية.

(٥) أخرجه البخاري (١٥٦٣) ، وانظر صحيح مسلم (١٢٢٣).

(٦) في المطبوع: «ولكني».

(٧) أخرجه الدارمي برقم (٢٢٣) بإسناد جيد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٣ وقال: «رواه الطبراني في الكبير ، وفيه محمد بن بشير الكِنْدي ، قال يحيىٰ: ليس بثقة». وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٨٠: «رواه الحاكم موقوفاً ، وقال: إسناده صحيح علىٰ شرطهما». وزاد نسبته في المناهل (٩٢٦) إلىٰ اللاَّلْكائي في السنة. (القَصْدُ): الاعتدال.

(٨) رواه عبد بن حُميد في مسنده بسند صحيح/ المناهل (٩٢٧).

فيعذبه اللهُ أبداً؛ وما علىٰ الأرْض من عَبْدٍ علىٰ السبيلِ والسنَّةِ ذَكَر اللهَ في نَفْسه فاقشعَرَّ جلْدُه من خشية الله إلا كان مَثَلُه كمَثَل شجرةٍ قد يَبِس وَرَقُها؛ فهي كذلك ، إذْ أصَابتها رِيحٌ شديدةٌ ، فتَحاتَّ عنها وَرَقُها[1] إلا حَطَّ اللهُ عنه خطاياه كما تَحاتَّ عن الشَّجَرَةِ ورَقُها؛ فإنّ اقتصاداً في سبيلٍ وسنةٍ[2] خيرٌ من اجتهادٍ في خلافِ سبيلٍ وسنّةٍ ، [وموافقةِ بدْعةٍ] ، وانظروا أنْ يكونَ عَمَلُكم ـ إنْ كان اجتهاداً واقتصاداً ـ أن يكون علىٰ مِنْهاج الأنبياء وسُنّتهم[3] .

١١٧٦ ـ وكتب بعضُ عُمّال عُمَر بن عبد العزيز إلىٰ عُمَرَ بحال بلدِه ، وكَثْرةِ لُصُوصِه؛ هل يَأْخُذهم بالظِّنّة ، أو يَحْمِلهم علىٰ البيِّنة وما جَرَتْ عليه السنّة ؟

فكتب إليه عُمَرُ: خُذْهم بالبيّنةِ وما جَرَتْ عليه السنّةُ؛ فإنْ لم يُصلحهم الحقُّ فلا أصْلَحهم الله[4] .

١١٧٧ ـ وعن عطَاء ، في قوله: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] [أي] إلىٰ كتاب اللهِ وسُنّةِ رسُولِ اللهِ [ﷺ].

١١٧٨ ـ وقال الشافعي: ليس في سُنّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ إلاّ اتّبَاعُها.

١١٧٩ ـ وقال عمر ـ ونظر إلىٰ الحَجَرِ الأَسود ـ: واللهِ![5] إنك حَجَرٌ لا تنفع ولا تضرّ؛ ولولا أني رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُقبّلُكَ (١١٢/ب) ما قَبّلْتُك[6]؛ ثم قبّله.

١١٨٠ ـ ورُئي عَبْدُ الله بن عُمر يُدِيرُ ناقَتَه في مكانٍ ، فسُئل [عنه] ، فقال:

---

(١) فتحاتَّ عنها ورقها: أي تساقط.

(٢) في الأصل: «فإن اقتصاداً في سبيل الله وسننه» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) رواه الأصبهاني في الترغيب ، واللالكائي في السُّنَّة/ المناهل (١١٧٥).

(٤) هذا الخبر في تهذيب تاريخ الخلفاء ص(١٧٦). والعامل هو: يحيىٰ الغساني. والبلد هو الموصل. (الظنة): التهمة.

(٥) قوله: «والله» ، لم يرد في المطبوع.

(٦) أخرجه البخاري (١٥٩٧) ، ومسلم (١٢٧٠).

لا أدري؟ إلا أني رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فَعَله ، ففَعَلْتُه[1] .

١١٨١ ـ وقال أبو عثمان الحِيرِي[2] : مَنْ أَمَّرَ السنَّةَ علىٰ نفسه قَوْلاً وفِعْلاً نطق بالحكمة ، ومَنْ أَمَّرَ الْهَوَىٰ علىٰ نَفْسه نطق بالبدْعة .

١١٨٢ ـ وقال سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ : أُصولُ مَذْهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبيِّ ﷺ في الأخلاقِ والأفعال ، والأكلُ من الحلالِ ، وإخلاصُ النيّة في جميع الأعمال .

١١٨٣ ـ وجاء في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] ـ إنه الاقتداءُ برسُولِ الله ﷺ .

١١٨٤ ـ وحُكِيَ عن أَحمد بن حَنْبل ؛ قال : كُنْتُ يوماً في[3] جماعةٍ تجرّدوا ودخلوا الماءَ ، فاستعملتُ الحديث : «مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فلا يدخلُ الحمَّام إلا بمِئْزَرٍ»[4] ولم أَتجرّد ؛ فرأيتُ تلكَ الليلةَ قائلاً لي : يا أحمدُ ! أَبْشِر ؛ فإنَّ اللهَ قد غفر لك باستعمالك السنَّةَ ، وجعلكَ إماماً يُقْتَدىٰ بك .

قلت : مَنْ أَنتَ؟ قال : جبريل .

---

(١) رواه أحمد والبزار (١٢٨). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) وقال: «رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون». وقال الحافظ المنذري في الترغيب ١/ ٨٢: «رواه أحمد والبزار بإسناد جيد». وصحح إسناده السيوطي في المناهل (٩٣٠).

(٢) هو الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة ، شيخ الإسلام ، الأستاذ سعيد بن إسماعيل الحيري الصوفي. مولده سنة (٢٣٠) بالريّ. ووفاته سنة (٢٩٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢ ـ ٦٦ ، وفيها قوله هذا.

(٣) في المطبوع: «مع».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٠٢) ، والنسائي (١/١٩٨) من حديث جابر بن عبد الله. وحسَّنه الترمذي وتبعه السيوطي ، وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر ، وصححه الحاكم ٤/٢٨٨ ووافقه الذهبي. (بِمِئزَر) الْمِئزَر: الإزار ، وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

فصـل

[فِيْ أَنَّ مُخَالَفَـةَ أَمْـرِهِ ﷺ وَتَـبْدِيْـلَ سُـنَّتِـهِ ضَـلاَلٌ وَبِـدْعَـةٌ][1]

ومخالفةُ أَمره وتبديل سُنَّتِهِ ضَلالٌ وبِدْعةٌ متوعَّد من الله [تعالىٰ] عليه بالخِذْلان والعذاب، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

١١٨٥ ـ حدثنا أبو محمد: عبد الله بن أبي جَعْفر، وعبد الرحمن بن عتّاب بقراءتي عليهما؛ قالا: حدثنا أبو القاسم: حاتِمُ بن محمد، حدثنا أبو الحسَن القابِسيّ، حدثنا أبو الحسن[2] بن مسرور الدبّاغ، حدثنا أحمد بن أبي سليمان، حدثنا سُحْنُون بن سَعِيد، حدثنا ابنُ القاسم، حدثنا مالك، عن العَلاء بن عبد الرحمن، عن أَبِيه، عن أبي هريرة أَنَّ رسولَ الله ﷺ خرج إلىٰ المقبرة... وذكر الحديثَ في صفةِ أُمَّته؛ وفيه: «**فَلَيُذَادَنَّ رجَالٌ عن حَوْضِي كما يُذَادُ البعيرُ الضالُّ، فأُنادِيهم: أَلاَ هَلُمَّ! أَلا هَلُمَّ!**

فيقال: إنهم قد بدَّلُوا بَعْدَكَ. فأقول: (١١٣/أ) **فَسُحْقاً، فَسُحْقاً، فَسُحْقاً**»[3].

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) في المطبوع: «أبو الحسين». وهو علي بن محمد بن مسرور الدباغ. المتوفىٰ سنة (٣٥٩) هـ/ نسيم الرياض ٣/ ٣٤٠.

(٣) أسنده المصنف من طريق الإمام مالك في الموطأ ١/ ٢٨ ـ ٣٠ وأخرجه أيضاً الإمام مسلم (٢٤٩)، وانظر صحيح البخاري (١٣٦). (فليذادنَّ): أي لَيَطرُدَنَّ. وفي رواية: (فلا يُذَادَنَّ) أي لا يفعلَنَّ أحد فِعْلاً يذاد به عن حوضي. (البعير الضَّال): البعير الضائع الذي لا ربَّ له يسقيه. (الاهَلُمَّ): أي تعالَوا. (سحقاً): أي بُعْداً.

١١٨٦ ـ وَرَوَىٰ أَنَس أَن النبيَّ ﷺ قال: «من رَغِبَ عن سُنتي فليس مني»[١].

١١٨٧ ـ وقال: «من أَدْخَل في أَمرنا ما ليس منه فهو رَدٌّ»[٢].

١١٨٨ ـ وَرَوَىٰ ابن أَبي رافع، عن أبيه، عن النبي ﷺ؛ قال: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكم متَّكِئاً علىٰ أَرِيكَتِه يأْتيه الأمرُ من أَمري، مما أَمَرْتُ به، أَو نَهَيْتُ عنه، فيقول: لا أَدْرِي، ما وجدنا في كتابِ الله اتَّبعْنَاه»[٣].

١١٨٩ ـ زاد في حديث المِقْدام: «أَلاَ وإِنّ ما حَرَّم رسولُ الله ﷺ مِثْلُ ما حَرّم الله»[٤].

١١٩٠ ـ وقال عليه السلام ـ وجِيءَ بكتابٍ في كَتِفٍ ـ: «كفىٰ بقوم حُمْقاً ـ أو قال: ضَلالاً ـ أَنْ يَرْغَبُوا عما جاءَ به نَبِيُّهم إلىٰ غير نبيِّهم، أَو كتابٍ غَيْر كتابِهم؛ فنزلت: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] [العنكبوت: ٥١]».

١١٩١ ـ وقال عليه السلام: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١): (فمن رغب عن سنتي) المراد بالسنة: الطريقة، لا التي تقابل الفَرْض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلىٰ غيره/ الفتح ٩/ ١٠٥

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة. (فهو رَدٌّ) أي مردودٌ عليه/ النهاية.

(٣) تقدم برقم (١١٥٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وصححه الحاكم ١/ ١٠٩، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». وانظر سنن أبي داود (٤٦٠٤).

(٥) أخرجه أبو داود في المراسيل (٤٥٤)، والدارمي برقم(٤٩٥)، وابن جرير في التفسير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر من حديث يحيىٰ بن جعدة مرسلاً.

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٧٠) من حديث ابن مسعود. (المتنطّعون): هم المتعمّقون المغالون في الكلام/ النهاية.

١١٩٢ ـ وقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: لستُ تارِكاً شيئاً كان رسولُ الله ﷺ يعْمَلُ به إلا عملْتُ به؛ إِني أَخْشى إِنْ تَرَكْتُ شيئاً من أمره أَنْ أَزِيَغ[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩/ ٥٤) من حديث عائشة. (أزيغ) الزيغ: الميل عن الاستقامة.

الباب الثاني

في لُزُوْمِ مَحبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فكفىٰ بهذا حضّاً[١] وتنبيهاً ودِلالةً وحُجَّةً علىٰ إلزام محبّته، ووجوب فَرْضِها، وعِظَم خَطَرِها، واستحقاقِه لها عليه السلام. إذ قرَّع[٢] تعالىٰ مَنْ كان مالُه وأهلُه وولَدُه أحبَّ إليه من اللهِ ورسولِه، وأوعدهم بقوله [تعالىٰ] ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ....﴾ الآية [التوبة: ٢٤].

ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممّن ضَلَّ ولم يَهْدِه اللهُ.

١١٩٣ ـ أخبرنا أبو عليّ الغسّاني الحافظ فيما أَجازَنيه، وهو مما قرَأْتُه علىٰ غير واحد؛ قال: حدثنا سِراجُ بن عبد الله القاضي، حدثنا أبو محمد الأَصِيلي، حدثنا المَرْوَزيُّ، حدثنا أبو عبد الله: محمد بن يُوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، عن عبد العزيز بن صُهَيْب، عن أَنَس [رضي الله عنه] أَنَّ رسولَ الله ﷺ (١١٣/ب)

---

(١) في الأصل: «حظّاً»، والمثبت من المطبوع.

(٢) قَرَّع: يقال قرّع فلاناً: أوجعه باللوم والعتاب والتوبيخ.

قال: «لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أَحبَّ إليه من وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أجمَعين»(١).

١١٩٤ ـ وعن أبي هريرة نحوُه(٢).

١١٩٥ ـ وعن أَنَسٍ، عنه عليه السلام: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَد حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولهُ أَحبَّ إليه مما سِوَاهما، وأَنْ يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للهِ، وأنْ يكرهَ أنْ يَعُودَ في الكفر كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار»(٣).

١١٩٦ ـ وعن عُمر بن الخطاب [رضي اللهُ عنه] أنه قال للنبيّ ﷺ: لأَنْتَ أحبُّ إليّ من كلِّ شيء إلاَّ نَفْسي التي بين جَنْبيَّ.

فقال النبيُّ ﷺ: «لن يُؤمِنَ أحَدُكم حتى أكونَ أَحَبَّ إليه مِنْ نفسه».

فقال عمر: والذي أنزَلَ عليك الكتابَ! لأَنْتَ أحبُّ إلي من نفسي التي بين جَنْبيَّ.

فقال له النبيُّ ﷺ: «الآن، يا عُمَرُ!»(٤).

١١٩٧ ـ قال سَهْلٌ: مَنْ لم يَرَ وِلاَيةَ الرسول عليه في جميع الأَحوالِ، ويرىٰ نفسَه في مِلْكِه عليه ـ السلام ـ لا يَذُوقُ حلاوةَ سُنَّتِه؛ لأنَّ النبيّ ﷺ قال: «لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه....» الحديث(٥).

فصل

فِيْ ثَوَابِ مَحَبَّتِهِ [ﷺ]

١١٩٨ ـ حدثنا [أبو] محمد بن عَتَّاب بقراءتي عليه، حدثنا أبو القاسم:

---

(١) أسنده المصنف من طريق البخاري (١٥). وأخرجه أيضاً الإمام مسلم (٤٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٤) أخرجه البخاري (٦٦٣٢) من حديث عبد الله بن هشام. وسيأتي برقم (١٢١٠).
(٥) هو مكرر سابقه. (سَهْل): هو ابن عبد الله التستري. تقدمت ترجمته.

حاتم بن محمد ، حدثنا أبو الحسن: علي بن خلَف ، حدثنا أبو زَيْد المَرْوزي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عَبْدان ، حدثنا أبي ، حدثنا شُعْبة ، عن عَمْرو بن مُرَّة ، عن سالم بن أبي الْجَعْد ، عن أنَس: [رضي الله عنه] أنّ رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: متى الساعة؟ يا رسولَ الله! قال: «ما أعْدَدْتَ لها؟» قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صدقةٍ ، ولكنّي أُحبُّ اللهَ ورسولَه. قال: «أنْتَ مع مَنْ أحبَبْتَ»[1].

١١٩٩ ـ وعن صَفْوانَ بنِ قُدامَةَ: هاجرتُ إلىٰ النبيّ ﷺ فأتَيْتُه ، فقلت: يا رسولَ الله! ناوِلْني يدَكَ أبايعك. فناوَلَني يَدَهُ ، فقلتُ: يا رسولَ الله! إني أحبُّك. قال: «المرءُ مع مَنْ أَحبَّ»[2] (١١٤/أ).

١٢٠٠ ـ ورَوَىٰ هذا اللفظَ عن النبيّ ﷺ عبْدُ الله بن مسعود[3].

١٢٠١ ـ وأبو موسىٰ[4].

١٢٠٢ ـ وأنس[5].

١٢٠٣ ـ وعن أبي ذرّ بمعناه[6].

١٢٠٤ ـ وعن عليّ أَنّ النبيّ ﷺ أخذَ بِيَدِ حَسن وحُسين ، فقال: «مَنْ أَحبّني

---

(١) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٦١٧١). وأخرجه أيضاً مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٤). وفي المطبوع: «عبد الله» بدل «عبدان» ، وعبدان لقب للإمام الحافظ عبد الله بن عثمان، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥: «وفيه موسىٰ بن ميمون ، وكان قدرياً ، وبقية رجاله وثقوا».

(٣) حديث ابن مسعود أخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٧٠) ، ومسلم (٢٦٤١).

(٥) أخرجه أبو داود (٥١٢٧) ، والترمذي (٢٣٨٥) قال الترمذي: «هذا حديث صحيح». وهو متفق عليه بلفظ: «أنت مع من أحببت» ، وقد تقدم برقم (١١٩٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٥١٢٦) وهو حديث صحيح استوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٥٠٦). وقد جمع الحافظ أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه: «كتاب المحبين مع المحبوبين». وبلغ الصحابة فيه نحو العشرين/ قاله في الفتح ١٠/ ٥٦٠

وأحبَّ هٰذَيْـن وأَبَـاهما وأُمَّهما كان معي في دَرَجَـتي يوم القيامـة»[1].

١٢٠٥ ـ ورُوِي[2] أنَّ رجُلاً أَتَىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! لأَنْتَ أَحبُّ إليّ مِنْ أَهلي ومَالِي؛ وإني لأَذكُرُكَ فما أصبِر حتى أَجِيءَ فأنظرَ إليك؛ وإني ذكرتُ مَوْتِي وموتَك، فعرفتُ أنك إذا دخلْتَ الجنةَ رُفِعْتَ مع النبيّين، وإن دَخَلْتُها لا أَرَاك.

فأنزل اللهُ [تعالىٰ]: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فدعا به فقرأها عليه[3].

١٢٠٦ ـ وفي حديثٍ آخَر: كان رَجُلٌ عند النبيِّ ﷺ ينظرُ إليه لا يَطْرِفُ، فقال: «ما بالُكَ؟» قال: بأَبي وأُمّي! أَتَمَتَّعُ من النظَر إليكَ، فإذا كان يومُ القيامةِ رفعك الله بتفضيله؛ فأنزل اللهُ الآية[4].

١٢٠٧ ـ وفي حديث أَنَسٍ رضِيَ اللهُ عنه: «مَنْ أَحبَّني كان معي في الجنَّةِ»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٣٣)، وأحمد ١/ ٧٧، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب...» وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٥٤ وقال: «إسناده ضعيف والمتن منكر» وسيأتي برقم (١٢٨٣).

(٢) في الأصل: «وعنه»، والمثبت من المطبوع. انظر التعليق التالي.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص(١٢٣) من حديث عائشة، وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧ وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران وهو ثقة». ورواه أيضاً الطبراني من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٧: «وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

(٤) أورده السيوطي في المناهل (٩٥٠)، ولم يذكر من خرَّجه.

(٥) فقرة من حديث سيأتي برقم (١٢٢٤). وتقدم طرف منه برقم (١١٦٢).

فصـل

فيمَـا رُوِيَ عَـنِ السَّلَـفِ والأَئِمَّـةِ
مِـنْ مَحَبَّتِهِـمْ للنَّبِـيِّ ﷺ وشَوْقِهِـمْ لَـهُ

١٢٠٨ ـ حدثنا القاضي الشَّهيد ، حدثنا العُذْريّ ، حدثنا الرازيّ ، حدثنا الجُلُودي ، حدثنا ابن سُفْيان ، حدثنا مُسْلِم ، حدثنا قُتَيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرةَ [رضي اللهُ عنه] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لي حُبّاً ناسٌ يكونونَ بَعْدِي؛ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لو رآني بأهله ومَالِهِ**»(١).

١٢٠٩ ـ ومِثْلُه عن أَبي ذَرٍّ(٢).

١٢١٠ ـ و[قد] تقدّم حديثُ عُمَرَ(٣) [رضيَ اللهُ عنه] وقولُهُ للنبي ﷺ: لأَنْتَ أَحَبُّ إليَّ من نفسي ، وما تقدم عن الصحابةِ في مِثْلِهِ.

١٢١١ـ وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما كان أحدٌ أحبَّ إليّ (١١٤/ب) من رَسُولِ الله ﷺ(٤).

١٢١٢ ـ وعن عَبْدَةَ بنت خالد بن مَعْدان؛ قالت: ما كان خالدٌ يَأْوِي إلىٰ فراشٍ إلاَّ وهو يذْكُرُ من شَوْقِه إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، وإلىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار يُسمِّيهم ويقول: هُم أَصْلِي وفَصْلي ، وإليهم يحنُّ قَلْبِي ، طالَ شوقي إليهم ، فعجّل ربِّ! قَبْضي إليك ، حتى يَغْلِبَه النَّوْم(٥).

---

(١) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٨٣٢).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٦/٥ ، وفي إسناده راوٍ لم يُسَمَّ. ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير(١٠٦٠).

(٣) برقم (١١٩٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٢١) ، وسيأتي برقم (١٢٥٧).

(٥) حليه الأولياء ٥/ ٢١٠ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٩. (خالد) هو ابن مَعْدان ، ثقة عابد ، من التابعين. مات سنة (١٠٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٦ ـ ٥٤١).

١٢١٣ ـ ورُوِي عن أبي بكْر [رضِيَ اللهُ عنه] أنه قال للنبيّ ﷺ: والذي بعثك بالحق! لإسلامُ أبِي طالب كان أقرَّ لعيني من إسلامِهِ ـ يعني: أباه أبا قُحافَةَ ـ وذلك أنَّ إسلامَ أبي طالب كان أقرَّ لعينكَ(١).

١٢١٤ ـ ونحوُه عن عُمر بن الخطَّاب؛ قاله للعباس: أنْ تُسْلمَ أحَبُّ إليَّ من أنْ يُسلمَ الخطَّابُ؛ لأنَّ ذلكَ أحبُّ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ(٢).

١٢١٥ ـ وعن ابْن إسحاقَ: أنَّ امرأةً من الأنصار قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجُها يوم أُحُدٍ مع رسولِ الله ﷺ، فقالت: ما فَعَل رسُولُ اللهِ ﷺ؟ قالوا: خيراً، هو بحَمْدِ الله كما تُحبِّين. قالت: أَرُونِيهِ حتى أَنْظُرَ إليه. فلما رَأَتْهُ قالت: كُلُّ مُصيبةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ(٣).

١٢١٦ ـ وسُئِل عليُّ بن أبي طالب [رضِيَ اللهُ عنه] كيف كان حُبُّكم لرسُول الله ﷺ؟ قال: كان واللهِ! أَحبَّ إلينا من أموالنا وأولادِنا وآبائنا وأُمَّهاتنا، ومن المَاءِ البارِدِ علىٰ الظَّمأ(٤).

١٢١٧ ـ وعن زيد بن أسلم: خرج عُمر [رضِيَ اللهُ عنه] ليلةً يحرُس الناسَ، فرأىٰ مِصْبَاحاً في بيتٍ، وإذا عجوزٌ تَنفُش صُوفاً، وتقول:

علىٰ مُحمَّدٍ صلاةُ الأبرارْ صلَّىٰ عليه الطيِّبونَ الأَخيارْ
قد كنتَ قَوَّاماً بُكاً بالأسحارْ ياليتَ شِعْرِي والمَنَايَا أطوارْ
هل تَجْمَعَنِّي وحَبِيْبِي الدَّارْ؟

تَعْنِي: النبيَّ ﷺ.

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر/ المناهل (٩٥٤). (أَقرّ لعينك): أي أَحَبَّ لك.

(٢) رواه البزار من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٨: «وفيه عبد العزيز بن أبان، وهو متروك».

(٣) رواه ابن إسحاق، والبيهقي عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، مرسلاً/ المناهل (٩٥٦). وانظر مجمع الزوائد (٦/ ١١٥). (جَلَلٌ): أي هَيِّنة يسيرة.

(٤) أورده السيوطي في المناهل (٩٥٧)، ولم يذكر من خرَّجه.

فجلس عُمر [رضِيَ اللهُ عنه] يَبْكِي؛ وفي الحكاية طول[1].

١٢١٨ ـ ورُوِيَ أنَّ عَبْدَ الله بن عُمر خَدِرتْ رِجْلُه، فقيل [له]: اذْكُر أحبَّ الناسِ إليك يَزُلْ عنك.

فصاحَ: يا مُحَمَّدَاه! فانتشرَتْ[2].

١٢١٩ ـ ولما احتُضِر[3] بلالٌ [رضِيَ اللهُ عنه] نادت امرأتُه: واحُزْنَاه! فقال: واطَرَبَاهُ! غداً أَلْقَىٰ الأَحِبَّة، محمداً وحِزْبه (١١٥/أ).

١٢١٩م ـ [ومثله عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما].

١٢٢٠ ـ ويُروىٰ أنَّ امرأةً قالت لعائشة [رَضِيَ الله عنها]: اكْشِفي لي قَبْرَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فكشفَتْه لها، فبكَتْ حتى ماتت.

١٢٢١ ـ ولما أخرج أَهلُ مكة زَيْدَ بن الدَّثِنَةَ من الحَرَم ليَقْتُلوه، قال له أبو سفيان بنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ باللهِ يا زَيْدُ! أتُحِبُّ أنَّ مُحَمَّداً الآنَ عندنا مكانك تُضْرَبُ عُنُقُهُ، وأَنَّكَ في أهلك؟

فقال زَيْد: والله! ما أُحبُّ أَنْ محمداً الآنَ في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُه شَوْكةٌ وأَني جالس في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أَحداً يحبُّ أَحداً كَحُبِّ أَصحابِ محمدٍ محمداً ﷺ[4].

١٢٢٢ ـ وعن ابن عباس: كانَتْ المرأَةُ إذا أَتَت النبيّ ﷺ حلَّفها بالله:

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد ص(٣٦٢ ـ ٣٦٣) وابن عساكر. (بُكا): أي صاحب بكاء. (ليت شعري): ليتني أعلم. (والمنايا أطوار): أي الموت له أسباب مختلفة.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٨، ١٧٠، ١٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٧) وإسناده ضعيف. (انتشرت): امتدَّتْ لزوالِ خدرها. (خدرت رجله): أي عراها فتور واسترخاء.

(٣) (احْتُضِرَ): حضره الموتُ.

(٤) رواه البيهقي عن عروة/ المناهل (٩٦٠). وأصل قصة زيد بن الدَّثِنَةَ في البخاري (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة.

ما خرجَتْ مِنْ بُغْضِ زَوجٍ ولا رَغبَةً بأرضٍ عن أرضٍ؛ وما خرجَتْ إلا حبّاً لله ورسوله[1].

١٢٢٣ ـ ووقف ابن عُمَرَ علىٰ ابْنِ الزُّبير [رَضِيَ اللهُ عنهما] بعد قَتْلِه، فاستغفر له، وقال: كنتَ، والله ـ ما علمتُ ـ صوَّاماً قوَّاماً تُحِبُّ اللهَ ورسوله[2].

فصل

فِيْ عَلامَةِ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ

اعلَمْ أَنَّ مَنْ أَحبَّ شيئاً آثَرَه، وآثَر مُوَافقَته، وإلاَّ لم يكُنْ صادقاً في حُبِّه، وكان مُدَّعِياً. فالصادقُ في حبِّ النبيِّ ﷺ مَنْ تَظْهَرُ علاماتُ ذلك عليه.

وأوَّلُها: الاقتداءُ به واستعمالُ سُنَّتِه، واتِّبَاعُ أَقوالِه وأفْعَالِهِ، وامتثالُ أوامره، واجتنابُ نواهيه، والتأدُّبُ بآدابه في عُسْره ويُسْره، ومنْشَطِه ومَكْرَهِه، وشاهدُ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإيثارُ ما شَرَعه وَحَضَّ عليه علىٰ هَوَىٰ نفسه، وموافقةِ شهوتِه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وإسْخَاطُ العبادِ في رضا الله [تعالىٰ].

١٢٢٤ ـ حدثنا القاضي أبو عليّ (١١٥/ب) الحافظ، حدثنا أبو الْحُسَيْن الصَّيْرَفِيُّ، وأبو الفضل بن خَيْرون؛ قالا: حدثنا أبو يَعْلَىٰ البَغْدَادِيّ، حدثنا

(١) أخرجه البزار (٢٢٧٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢٣: «وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة، والثوري، وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات».

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (١٨) في المسند الصغير برواية أبي عمرو بن حمدان، وإسناده ضعيف.

أبو علي السِّنْجِيُّ[1]، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا مسلم بن حاتم، حدثنا محمد بن عَبْد الله الأنصاري، عن أبيه، عن عليّ بن زَيْد، عن سَعِيد بن المسيَّب؛ قال: قال أَنَس بن مالك [رضي اللهُ عنه]: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا بُنَيَّ! إنْ قَدَرْتَ علىٰ أَنْ تُصْبِحَ وتُمْسِي ليس في قَلْبك غِشٌّ لأَحدٍ فافْعَل**».

ثم قال لي: «**يا بُنَيّ! وذلكَ مِنْ سُنَّتي، ومَنْ أَحْيَا سُنّتي فقد أَحبَّني، ومَنْ أَحبَّني كان معي في الجنَّة**»[2].

فمن اتَّصفَ بهذه الصفةِ فهو كاملُ المحبةِ للهِ ورسوله، ومَنْ خالفَها في بعضِ هذه الأمور فهو ناقصُ المحَبَّةِ، ولا يخرج عن اسْمِها.

١٢٢٥ ـ ودليلُه قَوْلُه عليه السلام للذي حدَّهُ في الخَمْر فلَعَنَه بعضُهم، وقال: ما أكثرَ ما يُؤْتَىٰ به! فقال [النبيُّ] ﷺ: «**لا تَلْعَنْهُ، فإنّه يُحِبُّ اللهَ ورسولَه**»[3].

ومن علاماتِ محبّة النبيِّ ﷺ كَثْرَةُ ذِكْرِه له؛ فمن أَحبَّ شيئاً أَكثَرَ ذِكْرَه.

ومنها: كثرةُ شَوْقِه إلىٰ لِقَائه؛ فكلُّ حَبِيبٍ يحبُّ لِقَاءَ حَبِيبه.

١٢٢٦ ـ وفي حديث الأَشعريِّين عند قدومهم المدينةَ: أَنهم كانوا يَرْتَجِزون: غداً نَلْقَىٰ الأَحبَّه. محمداً وصَحْبَه[4].

---

(١) قوله: «حدثنا أبو علي السِّنْجيُّ»، لم يرد في المطبوع.

(٢) أسنده المصنف من طريق أبي عيسىٰ الترمذي (٢٦٧٨)، وأخرجه مطولاً: الطبراني في الصغير ٢/ ٣٢ ـ ٣٣، وأبو يعلىٰ (٣٦٢٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب...» وقال أيضاً: «وذاكرت به محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ فلم يعرفه...»، وذكره الهيثمي (١/ ١٧١ ـ ١٧٢) وقال: «رواه أبو يعلىٰ والطبراني في الصغير.... وفيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد، وهو ضعيف». وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة خالد بن أنس وقال: «وحديثه منكر جداً». وتقدم طرفٌ منه برقم (١١٦٢، ١٢٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب.

(٤) رواه البيهقي عن أنس/ المناهل (٩٦٦). (الأشعريين): هم قوم أبي موسىٰ الأشعري.

١٢٢٧ ـ وتقدّم قولُ بلال[١].

١٢٢٨ ـ ومثْلُه قال عمار قبل قَتْلِه[٢].

١٢٢٩ ـ وما ذَكَرْناه مِنْ قِصّة خالد بن مَعْدان[٣].

ومن علاماته ـ مع كَـثْرة ذِكْـره ـ تعظيمُه له ، وتَوْقيره عند ذِكْرِه ، وإظهارُ الخشوع والانكسار مع سَمَاع اسْمِه.

قال إسحاق التُّجِيبي[٤]: كان أصحابُ النبيِّ ﷺ بعده لا يذكرونَه إلاَّ خَشَعوا واقشعرَّتْ جُلودُهم وبَكَوْا.

وكذلك كثير من التابعين. منهم مَنْ يفعلُ ذلكَ محبةً له وشوقاً إليه؛ ومنهم مَنْ يفعلهُ تَهَيُّباً وتوقيراً.

ومنها محبّـتُه لمَنْ أَحبَّ النبيُّ ﷺ ، ومَنْ هو بِسَبَبِه من أَهلِ بَيْته وصَحَابته من المهاجرين والأنصار؛ وعداوةُ مَنْ عادَاهم (١١٦/أ) وبُغْضُ مَنْ أبغَضهم وسبَّهم؛ فَمَنْ أَحبَّ شيئاً أَحبّ من يحبُّ.

١٢٣٠ ـ وقد قال عليه السلام ـ في الحَسن والْحُسَين: «**اللَّهُمَّ! إِنِّي أُحبُّهما فأَحِبَّهما**»[٥].

١٢٣١ ـ وفي رواية ، في الْحَسن: «**[اللَّهُمَّ! إني أُحبُّه] فأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه**»[٦].

---

(١) برقم (١٢١٩).

(٢) رواه الطبراني بلفظ: «اليوم ألقىٰ الأحبه ، محمداً وحزبه» ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٨/٩: «وإسناده حسن».

(٣) تقدمت قصته برقم (١٢١٢).

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم التُّجِيْبِيُّ ، شيخ المالكية بقرطبة ، علامة فقيه ، قدوة ، ورع ، صالح. توفي سنة (٣٥٢) هـ. له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٩ ـ ٨٠.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٨٢) من حديث البراء بن عازب ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ، وأصله في البخاري ومسلم. وأخرجه الترمذي (٣٧٦٩) من حديث أسامة بن زيد ، وقال: «هذا حديث حسن غريب» وقد استوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٢٣٤).

(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٢) ، ومسلم (٢٤٢١) من حديث أبي هريرة.

١٢٣٢ ـ وقال: «مَنْ أَحبَّهما فقد أَحبَّني ، ومَنْ أحبَّني فقد أحبَّ الله ، ومَنْ أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضني فقد أَبْغَضَ اللهَ»[١] .

١٢٣٣ ـ وقال: «اللهَ اللهَ في أصحابي ، لا تَتَّخِذُوهم غَرَضاً [بعدي] ، فمن أحبَّهم فبحُبّي أَحبَّهم ، ومن أبغضهم فبِبُغْضي أَبْغَضَهُم ، ومَنْ آذاهم فقد آذاني ، ومَنْ آذاني فقد آذَىٰ اللهَ ، ومَنْ آذىٰ اللهَ يُوشِكُ أَنْ يأْخُذَه»[٢] .

١٢٣٤ ـ وقال في فاطمة [رضِيَ اللهُ عنها]: «إنها بَضْعَةٌ مني ، يُغضِبُني ما أغْضَبها»[٣] .

١٢٣٥ ـ وقال لعائشة ـ في أُسامة بن زيد ـ: «أَحِبِّيه فإني أُحبُّه»[٤] .

١٢٣٦ ـ وقال: «آيةُ الإيمانِ حبُّ الأَنصار؛ وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُهم»[٥] .

١٢٣٧ ـ وفي حديث ابنِ عُمر: «مَنْ أَحبَّ العربَ فبِحُبِّي أَحَبَّهم ، ومَنْ أَبغَضهم فبِبغْضي أَبْغَضهم»[٦] .

---

(١) أخرجه ـ بنحوه ـ ابن ماجة (١٤٣) من حديث أبي هريرة. وفي الزوائد: «إسناده صحيح ، رجاله ثقات». وزاد نسبته في المناهل (٩٦٨) إلىٰ النسائي. وانظر مجمع الزوائد ٩/ ١٧٩ ـ ١٨٥ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢) ، وأحمد ٤/ ٨٧ من حديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ. ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٤٤٢). وقال الترمذي: «هذا حديث غريب. . .» وسيعيده المصنف برقم (١٣٠٤ ، ١٨٢١). (الغرضُ): الهدف ، أي: لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم/ جامع الأصول ٨/ ٥٥٤. (أوشك) يوشِكُ: إذا أسرع وقارب ، والإيشاك والوشك: السرعة/ جامع الأصول ٨/ ٥٥٤ .

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٤) ، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ. وسيعيده المصنف برقم (١٧٩١ ، ١٨٢٧). (البَضْعَةُ) بالفتح: القطعة من اللحم ، وقد تكسر ، أي إنها جزء مني/ النهاية .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨١٨) من حديث عائشة. وقال: «هذا حديث حسن غريب» .

(٥) أخرجه البخاري (١٧) ، ومسلم (٧٤) من حديث أنس بن مالك .

(٦) رواه البيهقي في الشُّعب/ المناهل (٩٧٣). وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٥٢ ـ ٥٣ .

فبالحقيقة ، مَنْ أحبّ شيئاً أحبَّ كلَّ شيءٍ يحبُّه . وهذه سِيرةُ السَّلَفِ حتى في المُبَاحَات وشَهَواتِ النفس .

١٢٣٨ ـ وقد قال أنس ـ حين رأىٰ النبيَّ ﷺ يتتبَّع الدُّبَّاءَ من حَوَالي القَصْعَة : فما زلتُ أُحبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يومئذٍ(١) .

١٢٣٩ ـ وهذا الحسنُ بنُ عليّ ، وعبدُ اللهِ بن عبّاس ، وعبد الله بنُ جعفر أتَوْا سَلْمىٰ ، وسألُوها أَنْ تصنَع لهم طعاماً مِمَّا كان يُعْجبُ النبيَّ ﷺ(٢) .

١٢٤٠ ـ وكان ابنُ عُمر يلبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ ، ويَصْبغُ بالصُّفرةِ ؛ إذ رأىٰ النبيَّ ﷺ يَفْعَلُ نَحْوَ ذلك(٣) .

ومنها : بُغْضُ مَنْ أبغضَ اللهَ ورسولَه ، ومعاداةُ مَنْ عاداهُ ، ومجانَبةُ مَنْ خَالَف سُنَّتَه وابْتَدَعَ في دِينه ، واستثقالُ كلِّ أَمرٍ يخالفُ شَرِيعَته ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . . ﴾ الآية [المجادلة : ٢٢] .

وهؤلاء أصحابُه ـ عليه السلام ـ قد قتلوا أَحِبّائَهم في مرضاته ، وقاتلوا آباءَهُمْ وأبناءهم .

١٢٤١ ـ وقال له عبدُ اللهِ بن (١١٦/ب) عبد الله بن أُبَيٍّ : لو شئْتَ لأَتيتُكَ برأْسِه(٤) ، يعني : أَبَاهُ .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩٢) ، ومسلم (٢٠٤١) . (الدُّبَّاءُ) : القَرْعُ ، واحدها : دُبَّاءَة/ النهاية . (القصعة) : إناء من آنية الطعام .

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل (١٧٩) من حديث سلمىٰ : امرأةِ أبي رافع . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٢٥ وقال : «رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح ، غير فائد مولىٰ ابن أبي رافع وهو ثقة» . (سَلْمىٰ) : هي خادم النبي ﷺ ، يقال : إنها مولاة صفية عمة النبي ﷺ . ويقال لها أيضاً : مولاة النبي ﷺ . انظر ترجمتها في أُسْدِ الغابة والإصابة .

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٥١) ، ومسلم (١١٨٧) من حديث ابن عمر . (النعال السِّبْتِيّة) : هي المتخذة من جلود البقر ، المدبوغة بالقرظ . وهي نعال أهل النعمة والسعة . انظر النهاية .

(٤) أخرجه البزار (٢٧٠٨) من حديث أبي هريرة ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣١٨ وقال : «رواه البزار ورجاله ثقات» .

١٢٤٢ ـ ومنها أَنْ يُحِبَّ القرآنَ الذي أَتَىٰ به ـ عليه السلام ـ وهَدَىٰ به واهتدىٰ ، وتخلَّق به حتى قالت عائشةُ رضِيَ الله عنها[١] : «كان خُلُقُهُ القرآن»[٢] وحبُّه للقرآن: تلاوتُه ، والعملُ به وتفهُّمه .

ويحبُّ سُنَّته ، ويقِفُ عند حُدُودها .

قال سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ: علامةُ حُبِّ اللهِ حبُّ القرآنِ ؛ وعلامةُ حُبِّ الله وحُبِّ القرآنِ حُبُّ النبيِّ ﷺ[٣] ، وعلامةُ حُبِّ النبيِّ ﷺ حُبُّ السنَّةِ ، وعلامةُ حُبِّ السنَّةِ حبُّ الآخرةِ ، وعلامةُ حبِّ الآخرةِ بُغْضُ الدُّنيا ، وعلامةُ بُغْضِ الدُّنيا أَلاَّ يَدَّخِرَ منها إلاَّ زاداً وبُلْغَةً[٤] إلىٰ الآخرة .

١٢٤٣ ـ وقال ابن مسعود: لا يسأَلُ أحدٌ[٥] عن نفسه إلاَّ القرآن ؛ فإنْ كان يحبُّ القرآنَ فهو يحبُّ اللهَ ورَسُولَه[٦] .

ومِنْ علامة حبِّهِ للنبيِّ ﷺ: شفَقَتُه علىٰ أُمَّته ، ونُصْحُه لهم ، وسَعْيُهُ في مَصَالِحهم ، ورَفْعُ المَضَارِّ [عنهم] ؛ كما كان ـ عليه السلام ـ بالمؤمنين رؤوفاً رَحِيماً .

ومن علامةِ تَمَامِ محبّته: زُهْدُ مُدَّعِيها في الدنيا ، وإيثارُه الفَقْر[٧]

---

(١) في الأصل: «عائشة عليه السلام» ، وهو سهو ناسخ ، والمثبت من المطبوع .
(٢) تقدم برقم (١٥٨ ، ٥٥٢) .
(٣) في المطبوع: «وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ» .
(٤) (بُلْغة): هي ما يكفي لسد الحاجة ، ولا يفضل عنها/ المعجم الوسيط .
(٥) في نسخة: «أحدكم» .
(٦) رواه البيهقي في الأدب وابن الضُّرَيس في فضائل القرآن/ المناهل (٩٧٨) .
(٧) لا يحبذ الإسلام الفقر ، ولا يدعو إليه . بل تشريعات الإسلام الاجتماعية والاقتصادية من أكبر غاياتها القضاء علىٰ الفقر والقلة . وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: اليد العليا خير من اليد السفلىٰ . وقال: نِعمَ المال الصالح للمرء الصالح . وقال: المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف . وثبت دعاؤه ﷺ لخادمه أنس بكثرة المال . وكان من أصحابه ﷺ أصحابُ الأموال كعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وفاض المالُ في عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز . والزهد ـ حقيقة ـ أن يكون المال في جيبك ويدك لا في قلبك . ولعلَّ =

واتّصافه به.

١٢٤٤ ـ وقد قال ـ عليه السلام ـ لأبي سَعِيد الخُدْريّ: «إنَّ الفقر إلىٰ مَنْ يُحبّني منكم، أَسرعُ من السَّيْلِ من أعلىٰ الوادي ـ أو الجبَل ـ إلىٰ أسْفَله»[١].

١٢٤٥ ـ وفي حديث عَبْد الله بن مُغَفَّل: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله! إني أُحبُّك. فقال: «انظر ما تقول». فقال: واللهِ! إني أحبّك، ثلاث مرات. قال: «إنْ كُنْتَ تُحبني فأعِدَّ لِلْفَقر تِجْفَافاً»[٢].

ثم ذكر نَحْوَ حديثِ أَبي سعيد بمعناه.

فصل

فِيْ مَعْنَىٰ الْمَحَبَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَحَقِيْقَتِهَا

اختلف الناسُ في تفسير محَبَّةِ الله ومحبَّةِ النبيِّ ﷺ، وكثُرت عباراتُهم في كل رواية[٣] وليست ترجعُ بالحقيقة إلى اختلاف مَقَالٍ، ولكنها اختلافُ أحوال.

فقال سفيانُ: المحبةُ اتِّبَاعُ الرَّسول عليه السلام. كأنه التفت إلى قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]،

= مراد المصنف هذا المعنى. وللدكتور القرضاوي كتاب «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام». يحسن الاطلاع عليه.

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٧٤ وقال: «ورجاله رجال الصحيح إلا أنه شبه مرسل».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٥٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب...»، وصححه ابن حبان (٢٥٠٥) موارد. (تِجْفافاً): أي عدة ووقاية، وأصل التجفاف: ما يلبسه المحارب كالدرع. وما يُجَلَّلُ به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب/ المعجم الوسيط. أقول: ليس في هذا الحديث دعوة للفقر. بل فيه حضٌّ علىٰ إعداد ما يدفعه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(٣) في المطبوع: «وكثرت عباراتهم في ذلك».

وقال بعضُهم: محبّةُ الرسولِ ﷺ (١١٧/أ) اعتقادُ نُصْرَتِه، والذَّبّ عن سُنَّتِه، والانقياد لها، وهيبة مخالفته.

وقال بعضهم: المحبةُ: دَوام الذِّكر للمحبوب.

وقال آخر: إيثار المحبوب.

وقال بعضهم: المحبةُ الشَّوقُ إلىٰ المحبوب.

وقال بعضُهم: المحبةُ مُوَاطَأَةُ القَلْبِ لِمُرَادِ الربِّ؛ يُحبُّ ما أَحبَّ، ويكرهُ ما كَرِهَ.

وقال آخر: المحبةُ مَيْلُ القلبِ إلىٰ مُوافِقٍ له.

وأَكثرُ العِبَارَاتِ المتقدمة إشارةٌ إلىٰ ثمراتِ المحبّة دُونَ حقيقتها.

وحقيقةُ المحبَّةِ الميلُ إلىٰ ما يُوافِقُ الإنسانَ، وتكون موافَقَتُه له إمَّا لاسْتِلْذَاذِهِ بإدراكه؛ كحبِّ الصُّورة[١] الجميلةِ، والأصواتِ الحسنة، والأطعمة والأشربة اللذيذة، وأَشباهِها ممّا كلُّ طَبْعٍ سليم مائلٌ إليها لموافَقَتِها له، أَوْ لاِسْتلذاذه بإدراكه بحاسّةِ عَقْله وقَلْبه مَعانِيَ باطنةً شريفةً؛ كَحُبِّ[٢] الصالحين، والعلماء، وأهل المعروف، والمأثور عنهم السِّيَرُ الجميلةُ، والأفعالُ الحسنة؛ فإنَّ طَبْعَ الإنسانِ مائلٌ إلىٰ الشغَفِ بأمثال هؤلاء حتى يبلغَ التَعصبُ بقومٍ لقوم[٣]، والتشيُّعُ من أمة في آخرين ما يؤدّي إلىٰ الجلاء عن الأوطان، وهَتْكِ الحُرم، واخْترامِ النفوسِ[٤].

أو يكونُ حبُّه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه؛ فقد جُبِلت النفوسُ علىٰ حُبِّ مَنْ أحسن إليها.

فإذا تقرّرَ لك هذا، نظرْتَ هذه الأَسبابَ كلَّها في حقّهِ عليه السلام فعلمتَ

---

(١) في المطبوع: «الصور».
(٢) في المطبوع: «كمحبة».
(٣) كلمة «القوم»، لم ترد في المطبوع.
(٤) (اخترام النفوس): استئصالها.

أنه عليه السلام جامعٌ لهذه المعاني الثلاثة[1] الموجِبةِ للمحبة.

أمّا جمالُ الصورةِ والظاهر، وكمالُ الأخلاقِ والباطن، فقد قرّرْنا منها قبلُ فيما مرَّ من الكتاب ما لا يحتاجُ إلىٰ زيادةٍ.

وأما إحسانُه وإنعامُه[2] علىٰ أُمَّتِه فكذلك قد مرَّ منه[3] في أوصافِ اللهِ تعالىٰ له من رأفتِه بهم، ورَحْمَته لهم، وهِدَايته إياهم، وشفَقَته عليهم، واستنقاذهم به من النار، وأنه بالمؤمنين رَؤوفٌ رحيم، ورحمة للعالمين، ومُبشّراً ونَذِيراً، ودَاعياً إلىٰ الله بإذْنِه وسِراجاً مُنِيراً، ويَتْلو عليهم آياتِه، ويُزكّيهم، ويُعَلِّمهم الكِتاب (١١٧/ب) والحِكْمَة، ويَهْدِيهم إلىٰ صراطٍ مُستقيم.

فأي إحسانٍ أجلُّ قَدْراً، وأعظمُ خَطَراً[4] من إحسانه إلىٰ جميع المؤمنين؟ وأَيُّ إفْضالٍ أعمُّ منفعةً، وأكثَرُ فائدةً من إنعامِه علىٰ كافّةِ المسلمين؟ إذ كان ذَريعَتَهم[5] إلىٰ الهداية، ومُنْقِذَهم من العَماية[6]، وداعِيَهم إلىٰ الفَلاحِ والكرامة[7]، ووسيلَتهم إلىٰ رَبِّهم، وشفيعَهم، والمتكلِّمَ عنهم، والشاهدَ لهم، والموجبَ لهمُ البقاءَ الدائم والنعيمَ السَّرْمَد.

فقد استبان لكَ أَنه عليه السلام مستوجبٌ للمحبّة الحقيقية شَرْعاً بما قدّمناه من صحيح الآثار، وعادةً وجبلّةً بما ذكرناه آنِفاً، لإفاضتِه الإحسان، وعُمومِه الإجْمالَ[8]؛ فإذا كان الإنسانُ يحبُّ مَنْ مَنَحهُ في دُنْياه ـ مرّةً أو مرتين ـ معروفاً، أو استنقذه من هَلَكَةٍ أو مَضَرَّةٍ مدّة، التأذّي بها قليلٌ منقطع، فمَنْ

---

(١) في الأصل زيادة: «هذه»، وهي ليست في المطبوع.
(٢) (وإنعامه): وإحْسَانُهُ.
(٣) في الأصل: «لنا»، والمثبت من المطبوع.
(٤) (خطراً): منزلة وقدراً.
(٥) الذريعة: الوسيلة.
(٦) العماية: الباطل والجهالة.
(٧) قوله: «والكرامة» لم يرد في المطبوع.
(٨) (عمومة الإجمال): أي شمول جميله كل أحد.

منحه ما لا يَبيدُ[1] من النعيم ، ووَقَاه ما لا يَفْنى من عذابِ الجحيم أوْلىٰ بالحبّ .

وإذا كان يُحَبُّ بالطَّبْع مَلِكٌ لحُسْن سيرته ، أَو حاكِمٌ لما يُؤْثَر من قَوَام طريقته[2] ، أو قاض[3] بعيدُ الدار لما يُشاد مِنْ عِلْمه ، أو كرمِ شيمتِه ، فمَنْ جمع هذه الخصالَ علىٰ غايةِ مراتب الكمال أحقُّ بالحبّ ، وأَوْلىٰ بالميل .

١٢٤٦ ـ وقد قال عليّ رضِيَ اللهُ عنه في صفته ﷺ: مَنْ رآه بَدِيهةً هَابَهُ ، ومَنْ خالطه معرفةً أَحَبَّه[4] .

١٢٤٧ ـ وذُكِر لنا عن بَعْضِ[5] الصحابة أنه كان لا يصرِفُ بصَرَهُ عنه محبةً فيه .[6]

فصــل

فِــيْ وُجُــوْبِ مُنَاصَحَتِــهِ عَلَيْــهِ السَّــلاَمُ

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ٩١] .

قال أهلُ التفسير : ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ : إذا كانوا مُخْلصين مُسْلمين في السرِّ والعَلاَنِيَة .

١٢٤٨ ـ حدثنا [القاضي] الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه ، حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا يوسف بن عبد الله ، حدثنا ابنُ عبدِ المؤمنِ ، حدثنا أبو بكر

---

(١) (ما لا يبيد): ما لا يفنىٰ .

(٢) قوام طريقته : عدلها واستقامتها .

(٣) قاضٍ : ضبطها الناسخ بالصاد المهملة ، وبالضاد المعجمة وكتب فوقها: «معاً» دلالة علىٰ قراءتها بالوجهين . وفي هامش الأصل : «بمعجمة ، أو مهملة . اصطفا» .

(٤) فقرة من الحديث المتقدم برقم (٤١ ، ٣٧٥) .

(٥) في الأصل زيادة : «الصالحين أو» ، وهي لا وجه لها ، ولم ترد في المطبوع .

(٦) تقدم برقم (١٢٠٦) .

التمَّار، حدثنا أبو داود، قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زُهير، حدثنا سُهَيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد، عن تَمِيم الداري؛ قال: قال [١٨/أ] رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ. إنَّ الدِّينَ النصيحةُ. إنَّ الدِّينَ النصيحةُ»** ثلاث مرات[١]. قالوا: لمَنْ؟ يا رسولَ الله! قال: **«للهِ، ولِكتابه، ولرسُولِه، ولأئمة المسلمين، وعامّتهم»**[٢].

قال الأئمة رحمهم الله[٣]: النصيحة للهِ ولرسولِه ولأئمة المسلمين وعامّتهم واجبةٌ.

قال الإمام أبو سليمان البُسْتي[٤]: النصيحةُ: كلمةٌ يُعبَّرُ بها عن جُمْلَةِ إرادةِ الخير للمنصوحِ له؛ وليس يمكنُ أَنْ يعبَّرَ عنها بكلمةٍ واحدةٍ تحصُرُها. ومعناها في اللغة الإخلاصُ؛[٥] من قولِهم: نصحتُ العسلَ، إذا خلَّصتَه من شَمعه.

وقال أَبو بكر بن أبي إسحاق الخفَّاف: النُّصْحُ فِعْلُ الشَّيْءِ الذي به الصَّلاحُ والملاءمة، مأخوذ منَ النِّصَاح؛ وهو الخيطُ الذي يُخَاطُ به الثوبُ.

[و]قال أبو إسحاق الزجَّاجُ نحوه.

فنصيحةُ اللهِ تعالىٰ: صِحَّةُ الاعتقادِ له بالوَحْدَانية، ووصْفُه بما هو أَهلُه، وتَنْزيهُهُ عما لا يجوزُ عليه، والرغبةُ في مَحَابّه، والبُعْدُ من مساخِطِه، والإخلاص في عبادته.

والنصيحةُ لكتابه: الإيمانُ به، والعملُ بما فيه، وتحسينُ تلاوته، والتخشّع عنده، والتعظيم له، وتفهُّمه والتفقُّه فيه، والذبُّ عنه من تأويل الغالين، وطَعْنِ المُلْحِدِين.

---

(١) قوله: «ثلاث مرات» لم يرد في المطبوع.

(٢) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٩٤٤). وأخرجه أيضاً مسلم (٥٥) بدون تكرار: «إن الدين النصيحة».

(٣) في المطبوع: «قال أئمتنا: النصيحة...».

(٤) هو أبو سليمان الخَطَّابي. تقدمت ترجمته.

(٥) في معالم السنن وجامع الأصول: «الخلوص».

والنصيحةُ لرسوله: التصديقُ بنبوّته، وبَذْلُ الطاعةِ له فيما أَمَرَ به ونهى عنه؛ قاله أبو سُليمان.

وقال أبو بكر: ومُوازرتُه[1] ونُصْرَتُهُ وَحِمَايَتُهُ حياً وميتاً، وإحياءُ سُنَّته بالطلب، والذّبِّ عنها، ونَشْرِها، والتخلُّق بأخلاقه الكريمة، وآدابه الجميلة.

وقال أبو إبراهيم: إسحاقُ التُّجِيبي: نصيحةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: التصديقُ بما جاءَ به، والاعتصامُ بسنَّتِه، ونَشْرُها، والحضُّ عليها، والدعوةُ (١١٨/ب) إلىٰ الله، وكتابِه ولرسولِه[2]، وإليها، وإلىٰ العمل بها.

وقال أحمد بن محمد[3]: مِنْ مفروضاتِ القلوبِ اعتقادُ النَّصيحةِ لرسولِ اللهِ ﷺ.

قال أبو بكر الآجُرّي[4] وغيره: النصحُ له يَقْتَضِي نُصْحَين؛ نُصْحاً في حياته، ونُصْحاً بعد مماته؛ ففي حياته نُصْحُ أَصحابِه له بالنَّصر والمُحَاماة عنه ومعاداة مَنْ عاداه، والسَّمْع والطاعةِ له، وبَذْلِ النفوس والأموالِ دونَه؛ كما قال [الله] تعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال: ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وأمّا نصيحةُ المسلمين له بعد وَفَاتِه فالتزامُ التوقير والإجلال، وشدةُ المحبة له، والمثابرةُ علىٰ تعلُّم سُنَّتِه، والتفقُّهِ في شَرِيعته؛ ومحبّةُ أهل[5] بيته

---

(١) موازرته: معاضدته ومعاونته.

(٢) في المطبوع: «وإلى كتابه وإلىٰ رسوله».

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل، الإمام المشهور، صاحب المذهب الحنبلي.

(٤) هو الإمام المحدث القدوة، شيخ الحرم الشريف: محمد بن الحسين البغدادي الآجري. مات بمكة سنة (٣٦٠) هـ وكان من أبناء الثمانين. من كتبه: الشريعة، آداب العلماء، وغيرهما. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٣ ـ ١٣٦

(٥) في المطبوع: «آل».

وأصحابِه ، ومجانبةُ مَنْ رَغِبَ عن سُنّته ، وانحرف عنها ، وبُغْضُه والتحذير منه ، والشفقةُ علىٰ أمته ، والبحثُ عن تعرُّف أخلاقِه وسِيره وآدابه ، والصَّبرُ علىٰ ذلك .

فعلىٰ ما ذكره تكونُ النصيحةُ إحدىٰ ثمراتِ المحبّة ، وعلامةً من علاماتها كما قدمنا .

١٢٤٩ ـ وحكىٰ الإمام أبو القاسم القُشَيْرِيُّ أَنَّ عَمْرو بن الليث[1] ـ أحدَ ملوكِ خُراسان ، ومشاهيرَ الثوّار[2] ، المعروفَ : بالصفَّار ـ مات ، فرئي في النوم ؛ فقيل له : ما فعل اللهُ بك؟ فقال غُفِر لي ، فقيل : بماذا؟ قال صعدتُ ذُرْوَةَ جَبَلٍ يوماً فأشرفتُ علىٰ جنودي فأعجبتني كثرتُهم ، فتمنّيت أني حضرتُ رسولَ الله ﷺ فأَعَنْتُه ونَصَرْتُه ؛ فشكر اللهُ لي ذلك وغفرَ لي .

وأمّا النُّصْحُ لأئمةِ المسلمين : فطاعَتُهم في الحقِّ ، ومَعُونتُهم فيه ، وأَمْرُهم به ، وتذكيرهم إياه علىٰ أَحْسَنِ وَجْهٍ وتَنْبِيههُم على ما غَفَلوا عنه ، وَكَتِم عنهم ، من أمورِ المسلمين ، وتَرْكُ الخروجِ عليهم ، وتضريبِ الناس[3] وإفسادِ قلوبهم عليهم .

والنُّصْحُ لعامّة المسلمين : إرشادهم (١١٩/أ) إلىٰ مَصَالحهم ، ومعونَتُهم في أَمْر دِينهم ودُنْياهم بالقول والفِعْل ، وتنبيهُ غافِلهم ، وتبصيرُ جاهلهم ، ورَفْدُ محتاجِهم ، وسَتْرُ عَوْراتهم ، ودَفْعُ المضارّ عنهم ، وجَلْب المنافع إليهم .

* * *

---

(١) هو ثاني أمراء الدولة الصفارية ، وأحد الشجعان الدهاة . ولي بعد وفاة مؤسس الدولة أخيه يعقوب بن الليث (سنة ٢٦٥ هـ) ومات ببغداد سنة (٢٨٩) هـ . انظر ترجمته في الأعلام .

(٢) (الثوار) : الأبطال الشجعان .

(٣) (تضريب الناس) : إغراؤهم وتحريكهم علىٰ أئمة المسلمين .

الباب الثالث

فِي تَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَوُجُوبِ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . . . ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٥].

﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحُجُرات: ١].

و: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٢ ـ ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [النور: ٦٣].

فأوجب [الله] تعالىٰ تَعْزِيرَه(١) وَتَوْقِيرَهُ، وأَلْزَم إكرامَه وتعظيمه.

قال ابن عباس: تُعزِّرُوه: أي تُجِلُّوه. وقال المبرّد: تعزِّروه: تبالغوا في تعظيمه.

---

(١) في الأصل: «تعزيزه»، والمثبت من المطبوع.

وقال الأخفش: تَنصرونه. وقال الطبري: تُعينونه.

وَقُرِىء[1]: تُعَزِّزُوه - بزايين - من العزّ.

ونُهِيَ عن التقدُّم بين يديْهِ بالقولِ؛ وسُوءِ الأدب بسَبْقِه بالكلام، علىٰ قول ابن عباس وغَيْره؛ وهو اختيارُ ثَعْلَبٍ.

قال سَهْلُ بن عبد الله: لا تَقُولوا قبل أَنْ يَقُول؛ وإذا قال فاستمِعُوا له وأَنْصِتوا.

ونُهُوا عن التقدُّم والتعجُّلِ بقَضَاءِ أَمْرٍ قبلَ قَضائِهِ فيه؛ وأَنْ يَفْتَاتُوا بشيء[2] في ذلك مِنْ قِتَالٍ أو غيره من أَمْرِ دِينهم إلاَّ بأمره، ولا يسبقوه به[3].

[و]إلىٰ هذا يرجعُ قولُ الحسن[4]، ومجاهد، والضحّاكِ، والسُّدِّي، والثّوري.

ثم وعظَهم وحذَّرهم مخالفةَ ذلك؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] قال الماوَرْديُّ: اتَّقُوا: يعني في التقدُّم.

وقال السُّلَمي: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في إهمالِ حَقِّه وتَضْيِيع حُرْمَتِه، إنّه سميعٌ لقَوْلكم، عَلِيم بِفعْلكم.

ثم نهاهم عن رَفْعِ الصوتِ فوقَ صَوْتِه، والجَهْرِ له بالقول كما يجْهرُ بعضُهم لبعض ويرفَعُ صوتَه.

وقيل: كما يُنَادِي بعضُهم بَعْضاً باسمه.

قال أبو محمد: مَكّيٌّ: أَيْ لا تُسَابِقُوه بالكلام، وتُغْلِظُوا له بالْخِطَاب (١١٩/ب) ولا تُنَادُوه باسْمِه نِداءَ بَعْضِكُمْ لبعض[5] ولكن عظِّموه ووَقِّروه ونادُوه

---

(١) في الشواذ/ قاله الخفاجي في نسيم الرياض ٣ / ٣٨٥.

(٢) (أن يفتاتوا): أن ينفردوا ويستبدوا به.

(٣) في الأصل: «ولا يسبقونه به»، والمثبت من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «الحسين»: وهو خطأ.

(٥) في المطبوع: «بعضاً».

بأَشرفِ ما يحبُّ أَنْ يُنَادىٰ به: يا رسولَ الله! يا نبيَّ اللهِ!

وهذا كقوله في الآية الأخرىٰ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ [النور: ٦٣] على أَحَدِ التأويلين.

[و] قال غيره: لا تخاطِبوه إلاَّ مُسْتَفْهِمين.

ثم خوَّفَهم اللهُ تعالىٰ بحَبْط أعمالهم[1] إن هم فعلوا ذلكَ، وحذّرهم منه.

١٢٥٠ ـ وقيل: نزلت الآية في وَفْدٍ من[2] بني تميم ـ وقيل: في غيرهم؛ أَتَوا النبيَّ ﷺ فنادَوْه: يا محمدُ! يا محمدُ! اخْرُج إلينا. فذمَّهم الله تعالىٰ بالْجَهْل، ووصفَهم بأَنَّ أكثرَهم لا يَعْقِلون[3].

١٢٥١ ـ وقيل: نزلت الآيةُ[4] في محاوَرَةٍ كانت بين أَبي بكر وعُمر بين يدي النبيِّ ﷺ، واختلافٍ جَرَىٰ بينهما، حتى ارتفعَتْ أَصواتُهما[5].

١٢٥٢ ـ وقيل: نزلت في ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس خَطِيب النبيِّ ﷺ في مفاخرة بَنِي تميم، وكان في أُذُنَيْه صَمَم؛ فكان يَرْفَعُ صَوْتَه؛ فلما نزلت هذه الآية أقام في مَنْزِله، وخَشِيَ أَنْ يكونَ حَبِطَ عَمَلُه؛ ثم أَتَىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيّ اللهِ! لقد خَشيتُ أَنْ أكون هلكتُ؛ نهانااللهُ أَنْ نَجْهَر بالقَوْلِ، وأنا امرؤٌ جَهِيرُ الصوت.

فقال له النبيُّ ﷺ: «يا ثابتُ! أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تعيشَ حميداً، وتُقْتَلَ شَهِيداً، وتدخلَ الجنة؟»[6] فقُتِلَ يومَ اليمامة[7].

---

(١) بحبط أعمالهم: أي بطلانها.

(٢) كلمة: «من»، لم ترد في المطبوع.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم/ مناهل (٩٨٣).

(٤) في الأصل زيادة: «الأولى».

(٥) أخرجه البخاري (٤٣٦٧) من حديث عبد الله بن الزبير.

(٦) أخرجه ابن جرير بلفظ المصنف. وأخرجه ـ بسياقة أخرىٰ ـ البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) عن أنس.

(٧) يوم اليمامة: أي وقعة اليمامة، وكانت المعركة سنة (١٢)هـ في القرية المسماة اليوم بـ«الجبيلة» بقرب «العيينة»، بوادي حنيفة، في نجد، وانتهت المعركة بظفر المسلمين =

١٢٥٣ ـ ورُوي أَنَّ أَبا بكر لما نزلت هذه الآيةُ قال: واللهِ! يا رسولَ اللهِ! لا أُكَلِّمُكَ بعدها إلا كأخي السِّرَارِ[١].

١٢٥٤ ـ وأَنَّ عُمر كان إذا حَدَّثَه حـدَّثَـه كأخِـي الـسِّرار؛ ما كان يُسمِعُ رسولَ الله ﷺ شيئاً بَعدَ [هذه] الآية حتى يَسْتَفْهِمَه[٢].

١٢٥٥ ـ فأَنزل اللهُ [تعالىٰ] فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٣] [الحجرات: ٣].

وقيل: نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ...﴾ [الحجرات: ٤] في غير بني تميم؛ نادَوه باسْمِه.

١٢٥٦ ـ ورَوَىٰ صَفْوانُ بن عَسَّال: بَيْنَا النبيُّ ﷺ في سَفر إذ ناداهُ أَعرابيٌّ بصوتٍ له جَهْوَرِي: أَيَا محمدُ! أيا محمدُ! فقلنا له: اغْضُضْ من صَوْتِك؛ فإنكَ قد نُهِيتَ عن رَفْعِ الصوت[٤].

= بقيادة خالد بن الوليد، ومقتل مسيلمة الكذاب. ولا تزال إلىٰ اليوم آثار قبور الشهداء من الصحابة، ظاهرة في قرية «الجبيلة» حيث كانت الواقعة، وقد أكل السيل من أطرافها حتى إنَّ الجالس في أسفل الوادي يرىٰ ـ علىٰ ارتفاع (١٥) متراً تقريباً ـ داخل القبور ولحدها. انتهى ملخصاً من الأعلام (ترجمة مسيلمة الكذاب).

(١) أخرجه البزار ٣/ ٦٩ برقم (٢٢٥٧) من حديث أبي بكر، وصححه الحاكم (٣/ ٧٤)، وردَّه الذهبي بقوله: «حصينٌ واهٍ». وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٠٨: «فيه حصين بن عَمْرٍو الأحمسي، وهو متروك، وقد وثقه العِجْليُّ، وبقيه رجاله رجال الصحيح». وقال ابن كثير في التفسير ٤/ ٢٠٦: «حصين بن عمرو، هذا، وإنْ كان ضعيفاً، لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك، والله أعلم». (كأخي السِّرار) السِّرار: المُسارَرة: أي كصاحب السِّرار، أو كَمِثْلِ المُسارَرَةِ، لخفض صوته، والكاف صفة لمصدر محذوف/ النهاية.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٢)، وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (١٢٥١). (لا يسمعه حتى يستفهمه) تأكيد لمعنى قوله: «كأخي السِّرار» أي: يخفض صوته، ويبالغ، حتى يحتاج إلى استفهامه عن بعض كلامه/ الفتح ١٣/ ٢٨٠.

(٣) رواه ابن جرير/ المناهل (٩٨٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٨٧)، والنسائي في التفسير في الكبرىٰ. وقال الترمذي: «هذا حديث =

وقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا . . .﴾ [البقرة: ١٠٤].

قال بعض المفسرين: هي لغةٌ كانت في الأنصارِ؛ نُهُوا عن قَوْلها تعظيماً للنبيِّ ﷺ، وتَبْجيلاً له؛ لأنَّ معناها: ارْعَنا نَرْعَكَ [فَنُهوا عن قَوْلها؛ إذْ مُقْتضاها، كأنهم لا يرعَونه إلاَّ بِرعايتهِ لهم؛ بل حقُّه أنْ يُرْعَىٰ] علىٰ كلِّ حال.

وقيل: كانت اليهودُ تُعرِّضُ [بها] للنبيِّ ﷺ بالرُّعونة؛ فَنُهي المسلمون عن قَوْلها؛ قَطْعاً للذَّريعة، ومَنْعاً للتَّشبيه بهم في قولها، لمشاركة اللفظ. وقيل غَيْرُ هذا.

فصل
فِيْ عَادَةِ الصَّحَابَةِ فِيْ تَعْظِيْمِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَإِجْلالِهِ وَتَوْقِيْرِهِ

١٢٥٧ ـ حدثنا القاضي أَبو علي الصَّدَفي، وأبو بَحْرِ الأَسَدِي بسماعي عليهما في آخرين؛ قالوا: حدثنا أَحمد بن عُمَر، حدثنا أَحمدُ بن الْحَسَن، حدثنا محمد بن عيسىٰ، حدثنا إبراهيم بن سُفْيان، حدثنا مُسْلم، حدثنا محمد بن المُثَنّىٰ، وأبو مَعْن الرَّقاشي، وإسحاق بن منصور؛ قالوا: حدثنا الضحّاك بن مَخْلَد، حدثنا حَيْوَةُ بن شُرَيح، حدثني يزيد بن أبي حَبِيب، عن ابن شُمَاسَة المَهْرِيِّ؛ قال: حَضَرْنَا[1] عَمْرَو بنَ العاص. . .

فذكر حديثاً طَويلاً فيه عن عَمْرو، قال: وما كان أحدٌ أَحبَّ إليَّ مِنْ رسولِ الله ﷺ، ولا أَجَلَّ في عَيْني منه، وما كنتُ أُطيقُ أَنْ أَملأَ عَيْنَيَّ منه إجلالاً له؛ ولو سُئلتُ أَنْ أَصِفَه ما أطقتُ؛ لأني لم أَكُنْ أملأُ عَيْنَيَّ منه[2].

= حسن صحيح». (جَهْوَرِيّ): شديدِ عالٍ/ النهاية.

(١) في المطبوع: «حَضَرَنَا»، وهو خطأ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١)، وتقدم بعضه برقم (١٢١١).

١٢٥٨ ـ ورَوَى التِّرمذي ، عن أَنس ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يخرجُ علىٰ أَصحابه مِن المُهَاجرين والأنصار وهم جلوسٌ ، فيهم أبو بكر ، وعُمر؛ فلا يرفَعُ أَحدٌ منهم بَصَرَه إليه إلاَّ أبو بكر وعُمرُ؛ فإنهما كانا ينظُرَانِ إليه وينظر إليهما ، ويتبَسَّمان إليه ، ويتبسَّمُ إليهما[١] .

١٢٥٩ ـ ورَوَىٰ أُسامةُ بن شَرِيك؛ قال: أَتيت النبيَّ ﷺ وأصحابُه حولَه كأنما علىٰ رُؤُوسِهم الطَّيرُ[٢] .

١٢٦٠ ـ وفي حديث صِفَتِه : إذا تكلَّم أَطرق جلساؤه[٣] كأنما علىٰ رُؤوسهم الطير[٤] .

١٢٦١ ـ وقال عُروة بن مسعود حين وجَّهَتْه قُرَيش عامَ القضيّة[٥] إلىٰ رسُولِ الله ﷺ ، فرأى[٦] من تعظيم أصحابه له (١٢٠/ب) ما رأى ، وأنه لا يتوضّأ إلا ابتَدَرُوا وَضُوءه ، وكادوا يَقْتَتِلون عليه ، ولا يَبْصُق بُصاقاً ، ولا يتنخَّمُ نُخَامَةً إلا تلقَّوْها بأكفهم فدَلكُوا بها وُجوهَهم وأجسادَهم؛ ولا تسقُط منه شعرةٌ إلاَّ ابْتَدَرُوها؛ وإذا أمرهم بأَمْرٍ ابْتَدَروا أَمْرَه؛ وإذا تكلَّم خَفَضُوا أصواتَهم عنده ، وما يُحِدُّون إليه النظَر تعظيماً له .

فلما رجعَ إلىٰ قُريش ، قال: يا مَعْشَر قُريش! إني جئْتُ كِسْرَىٰ في مُلْكه ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٨) ، والطيالسي (٢٥١٨) ، وأحمد (٣/ ١٥٠) ، وأبو يعلىٰ (٣٣٨٧) ونسبه السيوطي في المناهل (٩٩٢) إلىٰ الحاكم أيضاً. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية ، وقد تكلم بعضهم في الحكم بن عطية».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥) وغيره. وصححه أكثر من واحد. وقد استوفينا تخريجه في موارد الظمآن (١٣٩٥). (كأنما علىٰ رؤوسهم الطير): وصَفَهم بالسكون والوقار ، وأنهم لم يكن فيهم طيش ولا خفة ، لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن/ النهاية.

(٣) في الأصل: «أطرقوا كلهم» ، والمثبت من المطبوع ومن مصادر تخريج الحديث.

(٤) فقرة من حديث الحسين بن علي عن أبيه المتقدم برقم (٣٧٤/ ١). (أطرق): أمال رأسه إلىٰ صدره وسكت فلم يتكلم/ المعجم الوسيط.

(٥) عام القضية: أي عام صلح الحديبية سنة ست من الهجرة.

(٦) في المطبوع: «ورأىٰ».

وقَيْصَرَ في مُلْكه ، والنَّجَاشي[1] في مُلكه ؛ وإني ، واللهِ! ما رأَيْتُ مَلِكاً في قومٍ قَطُّ مثلَ محمدٍ في أصْحَابه[2].

وفي رواية : إنْ رأيتُ مَلكاً قطُّ يُعظّمه[3] أصحابُه ما يُعَظِّمُ محمداً أصحابُه . وقد رأيتُ قوماً لا يُسْلِمُونه أبداً.

١٢٦٢ ـ وعن أنس : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ والحلاَّق يحلقُه ، وقد أطاف به أصحابُه ، فما يُريدون أن تَقَع شعرةٌ إلاَّ في يَدِ رَجُلٍ[4].

١٢٦٣ ـ ومن هذا لمّا أذِنَتْ قُريش لعُثمانَ في الطَّواف بالبيت حين وجَّهه النبيُّ ﷺ إليهم في القَضِيَّة أَبَى ، وقال : ما كُنْتُ لأَفْعَلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ[5].

١٢٦٤ ـ وفي حديث طَلْحَةَ : إنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالُوا لأَعرابي جاهلٍ : سَلْهُ عمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ـ وكانوا يَهَابونَه ويوقّرونه ـ فسأله ، فأَعرض عنه ، إذ طلع طَلْحةُ ، فقال رسول الله ﷺ : «هذا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ»[6].

١٢٦٥ ـ وفي حديث قَيْلَةَ : فلما رأيتُ رسول الله ﷺ جالساً القُرْفُصاءَ أُرْعِدْتُ من الفَرَق[7] . وذلك هَيْبَةً له وتعظيماً.

---

(١) في الأصل : «والنجاشي رحمه الله».

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) من حديث المِسْوَرِ بن مَخْرَمة ومروان بن الحكم. (ابتدروا وَضوءه) : أي أسرعوا إلىٰ الماء الذي توضّأ به ليأخذوه تبركاً. (النخامة) : ما يلفظه الإنسانُ من البلغم/ المعجم الوسيط. (ما يُحِدُّون) : أي ما يديمون/ الفتح ٥/ ٣٤١

(٣) في الأصل زيادة : «مِن».

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٢٥). (أطاف به أصحابه) : أحاطوا به ﷺ.

(٥) رواه البيهقي عن عروة ، وابن سعد عن سلمة بن الأكوع/ المناهل (٩٩٦). (عثمان) هو ابن عفان رضي الله عنه. (القضية) : أي في قضية صلح الحديبية عام ستٍ من الهجرة.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٧٤٢) ، وأبو يعلىٰ (٦٦٣) ، وصححه الضياء في «المختارة» ، وقال الترمذي : «هذا حديث حسن غريب . . .». (طلحة) : هو ابن عبيد الله . من العشرة المبشرين بالجنة. (نحبه) النَّحبُ : النذر ، وقيل : الموت ، وذلك أن طلحة بن عبيد الله ألزم نفسه إذا لقي العدو أن يصدقه القتال ففعل/ جامع الأصول (٩/ ٥).

(٧) تقدم برقم (١٥٣).

١٢٦٦ ـ وفي حديث المغيرة: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يَقْرَعُون بابَهُ بالأظافير[(١)].

١٢٦٧ ـ [و] قال البَراء بن عازب: لقد كنتُ أُرِيدُ أن أَسألَ رسولَ الله ﷺ عن الأمر فأُؤخّره سِنين مِنْ هَيْبَتِهِ[(٢)].

فصــل

[فِيْ تَعْظِيْمِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَعِنْدَ ذِكْرِهِ، وَتَعْظِيْمِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ][(٣)]

واعلم أنَّ حُرْمَةَ النبيِّ ﷺ بعد موتِه، وتوقِيرَه وتعظيمَه، لازمٌ كما كان في حال حياتِه؛ وذلك عند ذِكْرِه ـ عليه السلام ـ وذِكْرِ حديثه وسُنَّتِه، وسَمَاعِ اسْمِه وسيرته، ومُعَاملةِ آلِهِ وعِتْرَته[(٤)]، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

وقال أبو إبراهيم: إسحاق التُّجِيبي[(٥)]: واجبٌ (١٢١/أ) على كل مُؤمنٍ متى ذَكَرَه ـ أو ذُكِر عنده ـ أنْ يخضَعَ ويَخْشع، ويتوَقَّر ويسكنَ مِنْ حركته، ويأْخُذَ في هَيْبَتِهِ وإِجلالِه بما كان يأخُذ به نَفْسَهُ لو كان بين يَدَيْه؛ ويتأَدَّبَ بما أَدَّبَنَا[(٦)] اللهُ به.

---

(١) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص: (١٩)، والبيهقي في المدخل كما في المناهل (٩٩٨). وفي الباب: عن أنس بن مالك عند البزار (٢٠٠٨)، قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٣): «وفيه ضرار بن صرد، وهو ضعيف»، ورمز لضعفه أيضاً السيوطي في الجامع الصغير (٦٨٢٧) وانظر فيض القدير ٥/ ١٦٩. (يقرعون بابه بالأظافير) أي: يطرقون بأطراف أظافر الأصابع طرقاً خفيفاً، بحيث لا يزعج، تأدباً معه، ومهابة له.

(٢) رواه أبو يعلىٰ الموصلي/ المناهل (٩٩٩). ولم أجده في المسند الذي حققه أستاذنا الفاضل حسين أسد. ولعله في مسنده الكبير برواية ابن المقرىء.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) وعترته: عِتْرة النبي ﷺ: بنو عبد المطلب. وقيل: أهل بيته الأقربون، وهم أولاده وعليٌّ وأولاده. وقيل: عترته: الأقربون والأبعدون منهم/ النهاية.

(٥) في الأصل: «قال أبو أسحاق إبراهيم التجيبي»، والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٩.

(٦) في الأصل: «أدبه»، والمثبت من المطبوع.

قال القاضي أبو الفضل: وهذه كانت سيرةَ سَلَفِنَا الصالِح وأَئمتنا الماضين رضي الله عنهم أجمعين.

١٢٦٨ ـ حدثنا القاضي أبو عبد الله: محمد بن عبد الرحمن الأَشعري، وأبو القاسم: أحمد بن بَقِيّ الحاكم، وغيرُ واحد، فيما أجازُونيه؛ قالوا: حدثنا أبو العباسِ: أحمد بن عمر بن دِلْهاث [قال]: حدثنا أبو الحسن: علي بن فهر، حدثنا أبو بكر[1]: محمد بن أحمد بن الفَرَج، حدثنا أبو الحَسَن: عبد الله بن المُنْتَاب، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا ابنُ حُمَيْد؛ قال: ناظرَ أبو جَعْفَرٍ أميرُ المؤمنين مَالِكاً في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، فقال له مَالِكٌ: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صَوْتَك في هذا المسجد، فإن اللهَ عز وجل أَدَّبَ قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

ومدَح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

وذمَّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] وإنَّ حُرْمَتَه ميتاً كحُرْمَتِه حياً.

فاستكان لها أبو جَعْفَرٍ [2]، وقال: يا أبا عبد الله! أَأَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ وأَدْعُو أم أستقبلُ رسولَ الله ﷺ وأدعو؟ فقال: ولِمَ تصرفُ وجْهَك عنه وهو وَسِيلَتُك وَوَسِيلةُ أَبيكَ آدمَ ـعليه السلام ـ إلىٰ الله [تعالىٰ] يوم القيامة؟ بل استقبلْهُ واستَشْفِعْ بهِ، فيشفِّعه[3] اللهُ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

(١) في الأصل زيادة: «بن» والمثبت من المطبوع.

(٢) أي خضع وخشع وذلّ.

(٣) في المطبوع: «فيشفعك».

جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[١] [النساء: ٦٤].

وقال مالك ـ وقد سُئِل عن أيوب السَّخْتِياني[٢] ـ: إني ما حدثتُكم عن أحدٍ إلا وأيوب أفضل منه.

قال: وحَجَّ حِجَّتَيْن، فكنتُ أَرْمُقُهُ ولا أسمَعُ منه، غير أنه كان إذا ذُكِرَ النبيُّ ﷺ بكىٰ حتى أَرْحَمَهُ!

فلما رأيتُ منه ما رأيتُ، وإجلالَه للنبي ﷺ كَتَبْتُ عنه.

وقال مُصْعَب بن عبد الله[٣]: كان مالك إذا ذُكر النبيُّ ﷺ يتغيَّر لونُه (١٢١/ب) ويَنْحَنِي حتى يَصْعُبَ ذلك علىٰ جُلسائه؛ فقيل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيتُم ما رأيت لما أنكرتُم عليّ ما تَرَوْن؛ ولقد كنت أرىٰ محمد بن المُنْكَدِر[٤] ـ وكان سيِّدَ القُرَّاء ـ لا يكادُ يسألُه أحدٌ عن حديثٍ[٥] أبداً إلاَّ يَبْكي حتى نَرْحَمَه.

ولقد كنتُ أَرَىٰ جعفَر بن محمد الصادق، وكان كثيرَ الدُّعَابةِ والتبسُّم؛ فإذا ذُكر عنده النبيُّ ﷺ اصْفَرَّ. وما رأيتُه يحدّثُ عن رسولِ الله ﷺ إلا علىٰ طَهارةٍ.

وقد اختلفْتُ إليه[٦] زَماناً فما كنتُ أراه إلا علىٰ ثلاث خِصَال: إمّا مُصَلِّيًا،

---

(١) قصة أبي جعفر المنصور مع الإمام مالك، قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوىٰ (١٦٦/٢٧): «باطلة لا أصل لها»، وقال في الفتاوى أيضاً (٢٦/٢٨): «كذبٌ على مالك» وصحح إسنادها الخفاجي في نسيم الرياض ٣/ ٣٩٨.

(٢) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السَّخْتياني. ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العبَّاد. مات سنة (١٣١) هـ وله (٦٣) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥ ـ ٢٦.

(٣) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوَّام. علاَّمة، صدوق، إمام، مات سنة (٢٣٦) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) إمام حافظ قدوة، كان من سادات القُرَّاء. ولد سنة بضع وثلاثين للهجرة. ومات سنة (١٣٠) هـ. أو (١٣١) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٣ ـ ٣٦١.

(٥) في المطبوع: «لا نكاد نسأله عن حديث».

(٦) اختلفتُ إليه: تردَّدْتُ إليه.

وإمَا صامتًا؛ وإمّا يقرأُ القُرآن؛ ولا يتكلّم فيما لا يَعْنيه؛ وكان من العلماء والعُبَّادِ الذين يَخْشَوْنَ اللهَ عزَّ وجَلَّ.

ولقد كان عَبْدُ الرحمن بن القاسم[1] يذكُرُ النبيَّ ﷺ فيُنْظَرُ إلىٰ لونه كأنه نُزِفَ منه الدَّمُ، ولقد جفَّ لسانهُ في فَمِه هَيْبَةً لرسُولِ الله ﷺ.

ولقد كنتُ آتِي عامِرَ بن عَبْد الله بن الزُّبَـيْر[2] فإذا ذُكِر عِنْده النبيُّ ﷺ بكى حتى لا يَبْقَى في عينيْهِ دُموع.

ولقد رأيتُ الزُّهريَّ، وكان من أَهنأ الناسِ وأقربِهم، فإذا ذُكِر عنده النبيُّ ﷺ فكأنه ما عَرَفك ولا عَرَفْتَهُ.

ولقد كنتُ آتِي صَفْوَان بن سُلَيم[3]، وكان من المتعبّدين المجتهدين؛ فإذا ذُكِر عنده النبيُّ ﷺ بكىٰ، فلا يزالُ يبكي حتى يقومَ الناسُ عنه ويتركوه.

ورُوِيَ عَنْ قتادة أنه كان إذا سَمِعَ الحديثَ أَخذه العَوِيلُ والزَّويل[4].

ولما كَثُر علىٰ مالكٍ الناسُ قيل له: لو جَعَلْتَ مُسْتَمْلِيا[5] يُسْمِعُهم؟ فقال: قـال الله تعـالـىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] وحُرْمتُه حيّاً وميتاً سواء.

[وكان ابْنُ سِيرين ربما يَضْحَكُ؛ فإذا ذُكِرَ عنده حديثُ النبيِّ ﷺ خَشَع][6].

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، إمام، ثبت، فقيه، عداده في صغار التابعين. ولد في خلافة معاوية، ومات سنة (١٢٦)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/ ٥ ـ ٦)

(٢) إمام ربّاني، ثقة عابد. روىٰ له الستة. توفي سنة (١٢١) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٣) إمام، ثقة، حافظ، فقيه، عابد. مات سنة (١٣٢) هـ. وعاش (٧٢) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٤ ـ ٣٦٨.

(٤) (العويل والزويل) العويل: رفع الصوت بالبكاء/ المعجم الوسيط. (الزويل): أي القلق والانزعاج بحيث لا يستقر على المكان/ النهاية.

(٥) مستمليا: أي رجلاً تملي عليه الحديث ثم يقوم بتبليغه.

(٦) سيعيده المصنف في الفصل التالي.

وكان عَبْدُ الرحمن بن مَهْدِي[1] إذا قرأ حديثَ النبيِّ ﷺ أَمرهم بالسكوت؛ وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] وَيَتَأَوَّل أنه يجبُ له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجبُ له عِنْدَ سَمَاع قوله.

فصل

فِيْ سِيْرَةِ السَّلَفِ فِي تَعْظِيْمِ رِوَايَةِ (١٢٢/أ) حَدِيْثِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ[2]

١٢٦٩ - حدثنا الحُسين[3] بن محمد الحافظ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرُون، حدثنا أبو بكر البَرْقَانِي، وغَيْرُه، حدثنا أبو الحسن الدارَقُطني، حدثنا علي بن مُبَشِّر، حدثنا أحمد بن سِنَان القطّان، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا المسعودي، عن مُسلم البَطِين، عن عَمْرو[4] بن مَيْمُون؛ قال: اختلفتُ إلىٰ ابْنِ مسعود سَنَةً؛ فما سمعتهُ يقول: قال رسولُ الله ﷺ، إلاَّ أنه حدَّث يوماً فجرىٰ علىٰ لسانه: قال رسولُ الله ﷺ، ثم عَلاَهُ كَرْبٌ، حتى رأَيتُ العَرَقَ يتحدَّر عن جَبهته، ثم قال: هكذا إنْ شاء الله، أو فَوْق ذا، أَو ما دُونَ ذَا، أو ما هو قريبٌ مِنْ ذَا[5].

وفي رواية: فتربَّدَ وَجْهه[6].

وفي رواية: وقد تغَرْغرتْ عَيْنَاه[7]، وانتفَخَتْ أَوداجُه[8].

---

(١) هو سيد الحفّاظ، كان إماماً، ناقداً، مجوِّداً، ثبتاً. ولد سنة (١٣٥) هـ وتوفي سنة (١٩٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢ - ٢٠٩.

(٢) في المطبوع: «وسننه».

(٣) في الأصل: «الحسن»، والمثبت من المطبوع، وهو الصواب.

(٤) في الأصل: «عمر»، والمثبت من المطبوع، وهو الصواب.

(٥) أخرجه الحاكم ٣/ ٣١٤، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه الدارمي برقم (٢٨٩) من حديث علقمة قال: قال عبد الله... وإسناده صحيح.

(٦) فتربّد وجهه: أي احمرَّ حُمْرةً فيها سواد لشدة كربه وحزنه.

(٧) تغرغرت عيناه: تردَّد فيهما الدمع/ المعجم الوسيط.

(٨) الأوداج: جمع وَدَجٍ، وهو عرق في العنق.

وقال إبراهيم بن عبد الله بن قُرَيْم الأنصاري ، قاضي المدينة : مَرّ مالكُ بن أَنَس علىٰ أبي حازم[1] ، وهو يحدِّثُ ، فجازَهُ ، وقال : إني لم أَجِدْ مَوْضِعاً أَجلِسُ فيه ، وكرهتُ أَنْ آخُذَ حديثَ رسول الله ﷺ وأنا قائم .

وقال مالك : جاء رجلٌ إلىٰ ابْنِ المُسَيَّب ، فسَأله عن حديثٍ وهو مُضْطَجِعٌ ، فجلس وحدَّثَه ؛ فقال له الرجُلُ : وَدِدْت أنكَ لم تَتَعَنَّ[2] ، فقال[3] : إني كرهتُ أَنْ أُحدِّثكَ عن رسولِ الله ﷺ وأنا مُضْطَجع .

ورُوي عن محمد بن سيرين أنه قد يكونُ يضحكُ ، فإذا ذُكِرَ عنده حديثُ النبيّ ﷺ خَشَع .

وقال أبو مُصْعب[4] : كان مالكُ بن أَنَس لا يُحدِّثُ بحديثِ رسولِ الله ﷺ إلاّ وهو علىٰ وُضوءٍ ، إجلالاً له .

وحكىٰ مالكٌ ذلك عن جعفر بن محمد الصادق[5] .

وقال مُصْعَب بن عبد الله : كان مالك بن أَنَس إذا حدَّث عن رسولِ الله ﷺ توضَّأ وتَهَيَّأ ، ولبِسَ ثيابَه ، ثم يحدِّث .

قال مُصْعب : فسُئل عن ذلك ، فقال : إنه حديثُ رسولِ الله ﷺ .

قال مُطَرِّفٌ[6] : كان إذا أَتى الناسُ مالكاً خرجَتْ إليهم الجاريةُ وتقول لهم

---

(١) هو سلمة بن دينار . الإمام الزاهد الثقة العابد القدوة ، الواعظ ، شيخ المدينة المنورة ، مات في خلافة المنصور بعد سنة (١٤٠) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦ ـ ١٠٣ .

(٢) لم تتعنَّ : أي لم تتعب نفسك .

(٣) في الأصل : «قال» ، والمثبت من المطبوع .

(٤) هو الإمام الثقة الفقيه ، شيخ دار الهجرة ، أحمد بن أبي بكر : القاسم بن الحارث بن زرارة القرشي ، قاضي المدينة . وأحد رواة «الموطأ» عن الإمام مالك . ولد سنة (١٥٠) هـ . ومات سنة (٢٤٢) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٣٦ ـ ٤٤٠

(٥) كلمة : «الصادق» ، لم ترد في المطبوع .

(٦) هو ابن أخت الإمام مالك ، مطرِّف بن عبد الله اليَساري . مات سنة (٢٢٠) هـ . وله (٨٣) سنة . انظر تهذيب الكمال وفروعه .

(١٢٢/ب): يقولُ لكم الشيخُ: تُريدون الحديثَ أو المسائل؟ فإنْ قالوا: المسائل خرج إليهم، وإنْ قالوا: الحديث، دخل مُغْتَسَله، فاغتسل وتطَيَّبَ، ولبس ثياباً جُدُداً، ولبس ساجَه[١] وتعمَّمَ، ووضَع علىٰ رأسه رداءَه، وتُلْقىٰ له مِنَصَّةٌ[٢]، فيخرج فيجلسُ عليها، وعليه الخشوع، ولا يزالُ يُبَخَّرُ بالعودِ حتى يَفرُغَ مِنْ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قال غَيْرهُ: ولم يكن يجلسُ علىٰ تلك المِنصَّةِ إلا إذا حدَّث عن رسولِ الله ﷺ.

قال ابنُ أبي أُوَيْس[٣]: فقيل لمالك في ذلك، فقال: أُحِبُّ أَنْ أُعظِّمَ حديثَ رسولِ الله ﷺ، ولا أُحدِّثُ به إلا علىٰ طهارةٍ مُتَمَكِّناً.

قال: وكان يكرهُ أَنْ يحدِّثَ في الطريق، أو وهو قائم، أو مُسْتَعْجل.

وقال: أُحِبُّ أَنْ أُفَهِّمَ حديثَ رسولِ الله ﷺ.

قال ضِرَارُ بن مُرَّة[٤]: كانوا يكرهون أَنْ يحدِّثوا [بحديثٍ] علىٰ غير وُضوء.

ونَحْوُه عن قَتَادة.

وكان الأعمشُ[٥] إذا أحبَّ أن يحدِّث[٦] وهو علىٰ غير وُضوء تَيَمَّم.

---

(١) الساج: الطيلسان الأخضر/ مختار الصحاح. والطيلسان: ضرب من الأوشحة يلبس علىٰ الكتف، أو يحيط بالبدن، خال عن التفصيل والخياطة/ المعجم الوسيط.

(٢) منصة: كرسي مرتفع/ المعجم الوسيط.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الله بن أويس الأصبحي المدني. إمام حافظ، صدوق. ولد سنة (١٣٩) هـ ومات سنة (٢٢٦) هـ وقيل (٢٢٧) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٩١ـ٣٩٥.

(٤) ثقة، ثبت، فاضل. حفر قبره قبل موته بـ(١٥) سنة، وكان يأتيه فيختم فيه القرآن. توفي سنة (١٣٢) هـ. انظر تهذيب الكمال وفروعه.

(٥) هو سليمان بن مِهْران الأعمش، الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين. ولد سنة (٦١) هـ. ومات سنة (١٤٧) أو (١٤٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦ـ٢٤٩.

(٦) في المطبوع: «إذا حدَّث وهو...».

وكان قَتَـادةُ لا يحدّث إلا علىٰ طَهارةٍ ، ولا يقرأُ حديثَ النبيِّ ﷺ إلا علىٰ وُضُوء.

قال عبد الله بن المبارك: كنتُ عند مالك ، وهو يحدِّثنا ، فلدغَتْه عَقْرَبٌ ستَّ عَشْرةَ مَرَّةً[1] ، وهو يتغيَّرُ لونُه وَيَصْفَرُّ ولا يقْطَعُ حديثَ رسولِ الله ﷺ.

فلما فرغ من المجلس ، وتفَرَّقَ عنه الناسُ قلتُ له: يا أَبا عبد الله! لقد رأيتُ منك اليومَ عجَباً؟ قال: نعَمْ [لدغَتنِي عقرب سِتَّ عَشْرَةَ مرَّةً ، وأَنا صابرٌ في جميع ذلك؛ [و] إنما صَبَرْتُ إجلالاً لحديثِ رسولِ الله ﷺ.

قال ابْنُ مهدي[2]: مشيتُ يوماً مع مالك إلىٰ العَقِيق[3] ، فسألتُه عن حديثٍ ، فانتهرني[4] وقال [لي]: كنتَ في عيني أجلَّ [من] أَنْ تسأَلَني عن حديثِ رسولِ الله ﷺ ونحنُ نمشي.

وسأَله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديثٍ وهو قائم ، فأَمر بحَبْسه ، فقيل ، له: إنه قاضٍ! قال: القاضي أَحقُّ مَنْ أُدِّبَ.

وذُكِر أَن هشام بن الغازي[5] سأَل مالكاً عن حديثٍ وهو واقفٌ فضربه عشرين سَوْطاً ، ثم أشفق [عليه] فحدَّثه عشرين حديثاً؛ فقال هشام: وِدِدْتُ لو زادني سِيَاطاً ويزيدني حديثاً.

---

(١) في الأصل: «ستة عشر مرةً» ، والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب.

(٢) تحرَّف في الأصل إلىٰ: «ابن مُهَذَّبٍ» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) (العقيق): أشهر أودية المدينة المنورة. وهذا الوادي أطيب مناطق المدينة ماءً وهواءً. وقد أفرده بالدراسة أستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب في كتاب سماه: «أخبار الوادي المبارك». طبع في مكتبة دار التراث بالمدينة النبوية.

(٤) (انتهرني): زجرني.

(٥) إمام مقرىء محدث. مات سنة (١٥٦) أو (١٥٣) هـ. مترجم في سير أعلام النبلاء ٧/ ٦٠. ولا يعلم له رواية عن الإمام مالك. ولعلَّ الصواب: «هشام بن عمار القارىء» فقد قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢٠): «سمع من مالكٍ، وتمَّتْ له معه قصة».

قال عَبْدُ الله بن صالح[1]: كان مالكٌ واللَّيثُ[2] لا يكتبان الحديثَ إلاَّ وهما طاهِرَان.

وكان قتادةُ يستحبُّ [١٢٣/أ] ألاَّ يَقْرأ أَحاديث النبيِّ ﷺ إلا علىٰ وضوءٍ، ولا يحدِّثُ به إلاَّ علىٰ طَهَارةٍ.

وكان الأعمشُ إذا أراد أَنْ يحدِّثَ وهو علىٰ غير وضوءٍ تيمَّم.

فصل

ومن تَوْقيره ﷺ وبِرِّه ـ بِرُّ آلِه وذُرِّيَّته وأُمَّهاتِ المؤمنين: أزواجِه، كما حضَّ عليه ﷺ، وسلكهُ السلفُ الصالحُ رضِيَ الله عنهم

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

١٢٧٠ ـ أَخبرنا الشيخ أبو محمدِ بن أحمد العَدْل مِنْ[3] كتابِه، وكتَبْتُ من أصله، حدثناأبو الحسن المقرىء الفَرْغاني، حدثتني أُمُّ القاسم بنت الشيخ أبي[4] بكر الخفَّاف، قالت: حدثني أبي، حدثنا حاتم ـ وهو ابن عقيل، حدثنا يحيىٰ: هو ابن إسماعيل، حدثنا يحيىٰ: هو الحِمّاني، حدثنا وَكيع، عن أبيه، عن سَعِيد بن مسروق، عن يزيد بن حَيّان، عن زَيد بن أَرْقَمَ؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنْشُدُكُمُ اللهَ في[5] أَهل بيتي...» ثلاثاً.

---

(١) هو كاتب الليث بن سعد، إمام، محدث، من أوعية العلم. ولد سنة (١٣٧) هـ. ومات سنة (٢٢٣) هـ. انظر ترجمته في السير ١٠/ ٤٠٥ ـ ٤١٦.

(٢) (اللَّيث): هو ابن سعد. إمام، مجتهد مطلق. مات سنة (١٧٥) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦ ـ ١٦٣.

(٣) في الأصل: «في». والمثبت من المطبوع.

(٤) في الأصل: «أبو»، والمثبت من المطبوع، وهو الصواب.

(٥) كلمة: «في»، لم ترد في المطبوع.

قلنا لزَيْد: مَنْ أَهْلُ بيتِه؟ قال: آلُ عليٍّ بن أبي طالب ، وآلُ جَعْفرٍ ، وآل عَقِيلٍ ، وآلُ العباس[1].

١٢٧١ ـ وقال عليه السلام: «إني تَارِكٌ فيكم ما إنْ أخذتُم به لم تضِلُّوا: كتابَ الله ، وعِتْرتي: أهلَ بيتي؛ فانْظُرُوا كيف تَخْلُفوني فيهما»[2].

١٢٧٢ ـ وقال عليه السلام: «معرفةُ آلِ محمدٍ [ﷺ] براءةٌ من النار ، وحُبُّ آلِ محمد ـ ﷺ ـ جَوازٌ علىٰ الصِّراطِ ، والوِلايةُ لآل محمدٍ أمانٌ من العذاب»[3].

قال بعضُ العلماء: معرفتُهم هي معرفةُ مكانِهم من النبيّ ﷺ ، وإذا عَرَفَهُمْ بذلك عرفَ وُجُوبَ [حقِّهم و] حُرمَتهم بسببه.

١٢٧٣ ـ وعن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ـ وذلك في بيت أمِّ سلمَة ـ دعا فاطمة وحَسَنا وحُسيناً ، فجلَّلهم بكساءٍ ، وعَلِيٌّ خَلْفَ ظهره [فجلَّله بكساءٍ][4] ، ثم قال: «اللَّهُمَّ! هؤلاء أهلُ بيتي؛ فأَذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ ، وطَهِّرْهُم تطهيراً»[5].

١٢٧٤ ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص (١٢٣/ب): لما نزلت آيةُ المُبَاهَلة دعا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨) من حديث زيد بن أرقم وأبي سعيد الخدري. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وقال السمهودي ـ كما في فيض القدير ٣/ ١٥ ـ: «وفي الباب ما يزيد علىٰ عشرين من الصحابة». وانظر صحيح مسلم (٢٤٠٨). (عترتي): تقدم شرحها.

(٣) أورده السيوطي في المناهل (١٠٠٣) ، ولم يذكر من خرَّجه. (الوَلاَية): النُّصْرَةُ.

(٤) زيادة من سنن الترمذي. وهي ليست موجودة في جامع الأصول ٩/ ١٥٦. ولعل ذلك من اختلاف النسخ.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٨٧) وقال: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه» وقال أيضاً: وفي الباب عن أم سلمة ، ومعقل بن يسار ، وأبي الحمراء ، وأنس. (الرجس): النجس ، وكل ما يستقذر ، وقيل: هو الإثم/ جامع الأصول ٩/ ١٥٥

النبيُّ ﷺ عَلِيّا وحَسَناً وحُسيناً وفاطمة ، وقال: «اللَّهُمَّ! هؤلاء أهلي»[١].

١٢٧٥ ـ وقال النبيُّ ﷺ في عليٍّ: «مَنْ كنتُ مَوْلاه فعليٌّ مولاه؛ اللهم! وَالِ مَنْ وَالاَهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[٢].

١٢٧٦ ـ وقال فيه: «لا يحبُّكَ إلاّ مُؤمنٌ ، ولا يُبْغضُك إلا مُنَافقٌ»[٣].

١٢٧٧ ـ وقال للعبّاس: «والذي نفسي بيده! لا يَدْخُلُ قَلْبَ رجُلٍ الإيمانُ حتى يُحبّكم للهِ ورسُولِه. ومَنْ آذَىٰ عَمّي فقد آذاني؛ وإنما عَمُّ الرجلِ صِنْوُ أبيه»[٤].

١٢٧٨ ـ وقال للعباس: «اغْدُ عليَّ يا عمّ! مع وَلدك» فجمعهم وجَلَّلَهم بمُلاَءَتِهِ ، ثم قال: «هذا عَمّي وصِنْوُ أبي؛ وهؤلاءِ أهلُ بيتي؛ فاسْتُرْهم اللَّهُمَّ! من النار كَسَتْرِي إياهم» فأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الباب وحوائطُ البيت: آمين. آمين[٥].

١٢٧٩ ـ وكان يأخذ أُسامةَ بن زَيْد ، والْحَسَن؛ ويقول: «اللَّهُمَّ! إني أُحبُّهما فَأَحِبَّهُما»[٦].

١٢٨٠ ـ وقال أبو بكر: ارْقُبُوا محمَّداً في أهل بيته[٧].

١٢٨١ ـ وقال أيضاً: والذي نَفْسِي بيده! لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليّ[٨]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤/ ٣٢).
(٢) تقدم برقم (٦٤٤).
(٣) أخرجه مسلم (٧٨) عن علي قال: «إنه لعهد النبي الأمي ـ ﷺ ـ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».
(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨) من حديث عبد المطلب بن ربيعة. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». (الصِّنْوُ): المِثْلُ/ جامع الأصول ٩/ ٢٢.
(٥) تقدم برقم (٧٨١). (جَلَّلهم): غطّاهم. (ملاءة): ملحفة. (أُسْكُفَّة البابِ): عَتَبَتُهُ.
(٦) أخرجه البخاري (٣٧٣٥) من حديث أسامة بن زيد.
(٧) أخرجه البخاري (٣٧١٣). قال الحافظ في الفتح ٧/ ٧٩: «يخاطب بذلك الناس ، ويوصيهم به ، والمراقبة للشيء: المحافظة عليه ، يقول: احفظوه فيهم ، فلا تؤذوهم ، ولا تسيئوا إليهم».
(٨) في الأصل زيادة: «مِنْ».

أنْ أصِلَ مِن قرابتي[1].

١٢٨٢ ـ وقال[2] ﷺ: «أَحَبَّ اللهُ مَنْ أحبَّ حُسيناً»[3].

١٢٨٣ ـ وقال: «من أحبّني وأحَبَّ هذين ـ وأشار إلىٰ حَسَنٍ وحُسَين وأباهما وأُمَّهما ـ كان معي في دَرجتي يوم القيامة»[4].

١٢٨٤ ـ وقال عليه السلام: «مَنْ أهان قُريشاً أهانه اللهُ»[5].

١٢٨٥ ـ وقال [ﷺ]: «قَدِّموا قُريشاً ولا تَقَدَّموها»[6].

١٢٨٦ ـ وقال عليه السلام لأُم سَلَمَةَ: «لا تؤذيني[7] في عائِشَةَ»[8].

١٢٨٧ ـ وعن عُقْبَة بن الحارث: رأيتُ أبَا بكر [رضي الله عنه] وقد جعل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٢)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧٥)، وابن ماجه (١٤٤) من حديث يعلىٰ بن مرة. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وقد استوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٢٢٤٠).

(٣) في الأصل: «أحب الله من أحب حسناً، وحسيناً، وأمهما وأباهما»، والمثبت من مصادر التخريج. في المطبوع: «أحب الله من أَحبَّ حَسناً وحُسَيناً».

(٤) تقدم برقم (١٢٠٤).

(٥) أخرجه أحمد ١/ ٦٤، والحاكم ٤/ ٧٤ من حديث عثمان بن عفان. ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٨٥٤٣)، وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٧ وقال: «رواه أحمد وأبو يعلىٰ في الكبير باختصار، والبزار بنحوه، ورجالهم ثقات». وهو عند أحمد ١/ ١٨٣ من حديث سعد بن أبي وقاص، وعند الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أنس كما في المجمع ١٠/ ٢٧

(٦) أخرجه البزار (٢٧٨٤) من حديث علي. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥ وقال: «رواه الطبراني، وفيه أبو معشر، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح». ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٦١١٠). وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٥١٩) من حديث عبد الله بن السائب، و(١٥٢٠) من حديث عتبة بن غزوان، و(١٥٢١) من حديث سهل بن أبي حثمة.

(٧) في الأصل: «لا تؤذوني»، والمثبت من المطبوع والبخاري (٢٥٨١).

(٨) أخرجه البخاري (٢٥٨١) من حديث عائشة. وانظر صحيح مسلم (٢٤٤٢).

الحَسَن بن علي علىٰ عُنقِه وهو يقول: بأَبي شَبِيهٌ بالنبي ، ليس شبيهاً بعليّ ، وعليٌّ [رضِيَ الله عنه] يَضْحَك[1].

١٢٨٨ ـ ورُوِي عن عَبْد الله بن الحسَن[2] ، قال: أَتَيتُ عُمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ في حاجة ، فقال لي: إذا كانت لك حاجةٌ فأَرْسِلْ إليّ أو اكتُبْ؛ فإني أستحيي من الله أن يراك علىٰ بابي.

١٢٨٩ ـ وعن الشَّعْبيِّ: صلّى زَيْد بن ثابت علىٰ جَنَازة أمه ، ثم قُرِّبَت له بَغْلتُه ليركَبَها (١٢٤/أ) ، فجاء ابْنُ عباس فأخذ برِكَابِه؛ فقال زَيْدٌ: خَلِّ عنه ، يا بْنَ عمِّ رسولِ الله! فقال: هكذا نَفْعَلُ بالعلماء. فقبَّل زَيْد يَدَ ابْن عباس؛ وقال: هكذا أُمرنا أَنْ نَفْعلَ بأَهل بيتِ نبيّنا[3].

١٢٩٠ ـ ورأىٰ ابْنُ عُمَرَ محمدَ بن أُسامةَ بن زَيْد؛ فقال: لَيْتَ هذا عَبْدي[4]؛ فقيل له: هو محمد بن أُسامة. فَطأطَأ ابنُ عُمَرَ رَأْسَه ، ونقَر بيده الأَرْض ، وقال: لو رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ لأَحَبَّه[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٠). (بأبي شبيه بالنبي) يحتمل أن يكون التقدير: هو مفدى بأبي شبيه ، فيكون خبراً بعد خبر ، أو أفديه بأبي ، وشبيه بالنبي خبر مبتدأ محذوف/ الفتح ٧/ ٩٦ .

(٢) في المطبوع زيادة: «بن الحسين»، وهو تحريف. وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أمه فاطمة بنت الحسين. قال ابن حجر. «ثقة جليل القدر» وقال الطبرانيُّ: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. مات في أوائل سنة (١٤٥) هـ. وله (٧٥) سنة. انظر التهذيب وفروعه.

(٣) أخرجه ـ مختصراً ـ الطبراني في الكبير (٤٧٤٦) ، وقال الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٤٥: «ورجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة» وصححه الحاكم ٣/ ٤٢٣ ، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً الحافظ في الإصابة (في ترجمة زيد بن ثابت) ، ونسبه إلىٰ يعقوب بن سفيان ، وزاد نسبته السيوطي في المناهل (١٠١٩) والعراقي في تخريج أحاديثِ الإحياء (١/ ٥٠) إلىٰ البيهقي في المدخل. (خَلِّ عنه): أي دَعِ الركابَ واتركه.

(٤) في البخاري (٣٧٣٤) والمطبوع: «ليت هذا عِنْدي». قال ابن حجر في الفتح ٧/ ٨٨: «أي قريباً مني حتىٰ أنصحه وأعظه ، وقد روي بالباء الموحدة من العبودية ، وكأنه علىٰ ما قيل كان أسود اللون».

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٣٤) من حديث عبد الله بن دينار.

١٢٩١ ـ وقال الأَوْزَاعي[(١)]: دخلَتْ بنْتُ أُسامةَ بن زَيْدٍ ـ صاحبِ رسولِ الله ﷺ ـ علىٰ عُمر بن عبد العزيز ومعها مَوْلَى لها يُمْسِكُ بيدها، فقام لها عُمر، ومشَىٰ إليها حتى جعل يدَها بين يَدَيْه، ويَدَاه في ثِيَابه [(٢)]، ومَشَىٰ بها حتى أَجْلسها علىٰ مَجْلسه، وجلس بين يديها، وما تركَ لها من حاجَةٍ إلاَّ قَضَاها.

١٢٩٢ ـ ولما فَرض عُمَرُ بن الخطّاب لابْنِه عبدِ اللهِ في ثلاثةِ آلافٍ، ولأُسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمس مئة، قال عبدُ الله لأَبيه: لِمَ فضَّلْتَه؟ فوالله! ما سبقني إلىٰ مَشْهَد. فقال له: لأَنَّ زيداً كان أَحَبَّ إلىٰ رسولِ الله ﷺ مِنْ أَبيك، وأُسَامةُ أَحبُّ إليه منكَ؛ فآثرتُ حُبَّ رسولِ الله ﷺ علىٰ حُبِّي[(٣)].

١٢٩٣ ـ وبلغ معاويةَ: أَنَّ كابِس بن رَبيعة يُشَبَّه برسولِ الله ﷺ؛ فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره، وتلقَّاه، وقبَّل بين عَيْنيه، وأَقطعه المِرْغابَ لِشَبهه بصورةِ رسولِ الله ﷺ[(٤)].

١٢٩٤ ـ ورُوِي أَن مالكاً ـ رحِمَه الله ـ لمّا ضَربه جعفَرُ بن سليمان[(٥)]، ونال منه ما نال، وحُمِل مَغْشياً عليه، دخل عليه الناسُ، فأَفَاقَ، فقال: أُشْهِدُكم أَنِّي قد جعلتُ ضاربي في حِلّ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي. مجتهد مطلق. كان إمام الديار الشامية في الفقه والزهد. ولد عام (٨٨) هـ. وتوفي ببيروت سنة (١٥٧) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ ـ ١٣٤. والخبر حكاه ابن عساكر في تاريخه.

(٢) حتىٰ لا يمس امرأة أجنبية لا تحل له.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨١٣) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) رواه ابن عساكر/ المناهل (١٠٢١). المرغاب: موضع بالبصرة/ انظر معجم البلدان ٥/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٥) جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله، ابن عم المنصور، ولي المدينة سنة (١٤٦) هـ. ثم مكة معها، ثم عزل فولي البصرة للرشيد. توفي سنة (١٧٤) هـ وقيل سنة (١٧٥) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

فسُئل بعد ذلك ، فقال: خِفتُ أن أموتَ ، فألْقَىٰ النبيَّ ﷺ ، فأستَحِي منه أَنْ يدخُلَ بَعْضُ آلِه بِسَبَبِي النار.

١٢٩٥ ـ وقيل: إنَّ المنصور[١] أقاده من جعفر[٢] ، فقال له: أَعوذُ باللهِ! (١٢٤/ب) واللهِ! ما ارتفعَ منها سوطٌ عن جسمي إلا وقد جعلتُه في حِلٍّ لقَرَابته من رسول الله ﷺ.

١٢٩٦ ـ وقال أبو بكر بن عَيَّاشٍ[٣]: لو أَتاني علي وعمر وأبو بكر[٤] لبدأْتُ بحاجةِ عليٍّ قَبْلهما؛ لقرابته مِنْ رسُولِ الله ﷺ؛ وَلأَنْ أَخِرَّ من السماء إلىٰ الأرض أحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَه عليهما.

١٢٩٧ ـ وقيل لابْن عباس: ماتت فلانة ـ لبعض أزواج النبي ﷺ ـ فسجد؛ فقيل له: أَتَسجدُ هذه الساعة؟ فقال: أَليس قال رسولُ الله ﷺ: «إذا رأيتُم آيةً فاسْجُدوا» ، وأيُّ آيةٍ أعظمُ من ذهابِ أَزواج النبيّ ﷺ[٥]؟

١٢٩٨ ـ وكان أبو بكر وعُمر يَزُورَانِ أُمَّ أَيْمَنَ مولاةَ النبيِّ ﷺ ويقولان: كان رسولُ الله ﷺ يَزُورُها[٦].

١٢٩٩ ـ ولمّا وردَتْ حليمةُ السعديّةُ علىٰ النبيّ ﷺ بسط لها رداءهُ وقَضَىٰ حاجتَها[٧].

فلما تُوفّيَ وفدت علىٰ أَبي بكر وعُمر فصنعا بها مِثْلَ ذلك.

---

(١) هو أبو جعفر: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. ثاني خلفاء بني العباس ، ولد سنة (٩٥) هـ. أو نحوها ، وتوفي سنة (١٥٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣ ـ ٨٩.

(٢) (أقاده من جعفر): أي أمر أن يقتص لمالك من جعفر فيضرب كما ضربه.

(٣) مختلف في اسمه علىٰ عشرة أقوال. قال ابن حجر: «ثقة عابد ، إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، وكتابه صحيح» مات سنة (١٩٤) هـ. أو نحوها وقد قارب المئة. انظر التهذيب وفروعه.

(٤) في المطبوع: «أبو بكر وعمر وعلي».

(٥) أخرجه أبو داود (١١٩٧) ، والترمذي (٣٨٩١) وقال: «هذا حديث حسن غريب . . .».

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) من حديث أنس بن مالك.

(٧) تقدم من حديث أبي الطفيل برقم (٢٥٢).

فصـل

ومن توقيره وبرّه [ﷺ] توقيرُ أَصْحَابِه وَبِرُّهم ومعرفةُ حقِّهم ، والاقتداءُ بهم ، وحُسْنُ الثناء عليهم ، والاستغفارُ لهم ، والإمساكُ عمَّا شَجَر بينهم ، ومعاداةُ مَنْ عادَاهُمْ ، والإضرابُ عنِ أخبار المؤرّخين ، وجهَلةِ الرُّواة ، وضُلاَّلِ الشِّيعَة والمُبْتَدِعين القادحةِ في أحدٍ منهم ؛ وأن يُلْتَمس لهم - فيما نُقِل [عنهم] من [مِثْل] ذلك فيما كان بينهم مِنَ الفِتَن - أحسنُ التأويلات ، ويُخرَّج لهم أصْوَبُ المخارج . إذ هم أهلُ ذلك ، ولا يُذكَرُ أحدٌ منهم بسوءٍ ، ولا يُغْمَصُ[1] عليه أمْرُهُ ، بل يُذْكَر حسناتُهم وفضائلُهم ، وحَمِيدُ سِيرتهم ، ويُسكتُ عما وَرَاءَ ذلك .

١٣٠٠ - كما قال عليه السلام : «إذا ذُكِرَ أَصْحَابِي فأَمسِكُوا»[2] .

قال الله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(١) (يغمص) : يُعاب .

(٢) أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢) عن الحديث الأول : «فيه مسهر بن عبد الملك ، وثقه ابن حبان وغيره ، وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح» . وقال عن الثاني : «فيه يزيد بن ربيعة ، وهو ضعيف» ، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٦١٥) ، وزاد نسبته إلىٰ ابن عدي عن عمر . وقال المُنَاوي في فيض القدير ١/ ٣٤٨ : «قال الحافظ العراقي وفي سنده ضعف ، وقال ابن رجب : روي من وجوه في أسانيدها كلها مقال . وبه يعرف ما في رمز المؤلف - أي السيوطي - لحُسْنِه تبعاً لابن صَصْرىٰ ، ولعله اعتضد» . وسيأتي برقم (١٣٠٧) .

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال [تعالىٰ] ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال: ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

١٣٠١ ـ حدثنا القاضي أَبو عليّ، حدثنا أبو الحُسَيْن، وأبو الفَضْل؛ قالا: حدثنا أَبو يَعْلىٰ، حدثنا أبو عليّ السِّنْجيّ، حدثنا محمد بن محبوب، حدثناالتِّرمذي، حدثنا الحَسَن بن الصبَّاح، حدثنا سُفْيان بن عُيَيْنة، عن زائدة، عَنْ عَبْد الملك بن عُمَيْر، عن رِبْعيّ بن (١٢٥/أ) حِرَاش، عن حُذَيفة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقْتَدُوا باللَّذَين مِنْ بعدي[(١)]: أبي بكر، وعُمَر»[(٢)].

١٣٠٢ ـ وقال: «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقْتَديتُم اهتديتُم»[(٣)].

١٣٠٣ ـ وعن أَنس [رضي الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ أَصحابي كمثَلِ المِلْحِ في الطعام؛ ولا يصلحُ الطعامُ إلا به»[(٤)].

١٣٠٤ ـ وقال: «اللهَ اللهَ في أصحابي؛ لا تتَّخذوهم غَرَضاً بعدي؛ فمن أَحبَّهم فبحبّي أحبّهم، ومن أَبْغَضهم فبِبُغضِي أَبْغَضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني،

---

(١) قوله: «باللَّذين من بعدي» ورد في الأصل مضطرباً، والمثبت من المطبوع.

(٢) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٣٨٠٤) باب: في مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه. وأخرجه أيضاً ابن ماجة (٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٥)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير. والحاكم (٣/ ٧٥)، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٣) روي هذا الحديث من عدة وجوه، ولا يخلو إسناده من ضعفٍ. انظر فيض القدير ٤/ ٧٦، وجامع الأصول ٨/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٦٢)، وابن المبارك في الزهد ص(٢٠٠)، والبزار (٢٧٧١). وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٨ وقال: «رواه أبو يعلىٰ، والبزار بنحوه، وفيه إسماعيل بن مسلم، وهو ضعيف». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨١٦٠). قال المناوي: «وهو غير حَسَن».

ومن آذاني فقد آذىٰ اللهَ ، ومَنْ آذىٰ اللهَ يوشكُ أَنْ يَأْخذَه»[1] .

١٣٠٥ ـ وقال : «لا تَسُبُّوا أصحابي ؛ فلو أَنفق أحدُكم مِثْلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أَحَدِهم ولا نَصِيفَه»[2] .

١٣٠٦ ـ وقال : «مَنْ سبَّ أصحابي فعليه لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً»[3] .

١٣٠٧ ـ وقال : «إذا ذُكر أصحابي فأَمْسِكُوا»[4] .

١٣٠٨ ـ وقال في حديث جابر : «إنَّ اللهَ اختارَ أَصحابي علىٰ جميع العالَمين سِوَىٰ النبيِّين والمرسلين ، واخْتَار لي منهم أربعةً : أبا بكر ، وعُمر ، وعُثمان ، وعليّاً[5] ؛ فجعلهم خَيْرَ أصحابي ، وفي أصحابي كلِّهم خير»[6] .

١٣٠٩ ـ وقال : «مَنْ أَحبَّ عُمَرَ فقد أحبَّني ، ومَنْ أَبغضَ عُمَرَ فقد أبغضني»[7] .

---

(١) تقدم برقم (١٢٣٣) ، وسيأتي برقم (١٨٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) من حديث الخدري . وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة . (المدُّ) : رُبع الصاع . ويساوي (٦٠٠) غرام تقريباً . (النصيف) : نصف المدّ ، والتقدير : ما بلغ هذا القدر اليسير من فضلهم ، ولا نصفه/ قاله ابن الأثير في جامع الأصول ٨/ ٥٥٣ .

(٣) رمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٨٧٣٤) وعزاه إلىٰ الطبراني عن ابن عباس . وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢١ : «فيه عبد الله بن خِراش ، وهو ضعيف» . وروي هذا الحديث عن عدد من الصحابة . انظر السنة لابن أبي عاصم ص(٤٦٩) ، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢١ وسيعيده المصنف برقم (١٨٢٢) . (الصَّرْفُ) : التوبة . وقيل : النافلة . (العَدْل) : الفدية . وقيل : الفريضة/ النهاية .

(٤) تقدم برقم (١٣٠٠) .

(٥) في الأصل : « . . . واختار منهم أربعة : علي وعمر وعثمان وأبي بكر» والمثبت من المطبوع .

(٦) أخرجه البزار (٢٧٦٣) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦ : «ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف» .

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد =

١٣١٠ ـ [و]قال مالك بن أنسٍ ، وغَيْرُه : مَنْ أَبْغَضَ الصحابةَ وسبَّهم فليس له في فَيْءِ[1] المسلمين حقٌّ ، ونَزَعَ[2] بآية الحشر : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٦ ـ ١٠] .

١٣١١ ـ وقال : مَنْ غاظه أصحابُ محمدٍ فهو كافر؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

١٣١٢ ـ وقال عبدُ الله بن المُبارك : خَصْلتان مَنْ كانَتَا فيه نجا : الصدقُ ، وحُبّ أصحَابِ محمد [ﷺ] .

١٣١٣ ـ وقال أيوب السَّخْتِيَاني : مَنْ أَحب أبا بكر فقد أقام الدِّين ، ومَنْ أحبَّ عُمر فقد أَوْضَحَ السبيلَ ، ومَنْ أحبَّ عثمان فقد اسْتَضَاء بنُورِ الله ، ومَنْ أحبَّ عليّاً فقد أخذ بالعُرْوة الوُثْقىٰ ، ومَنْ أَحسنَ الثناءَ علىٰ أصحابِ محمد ـ ﷺ ـ فقد بريء من النِّفاق ، ومن انْتَقَصَ منهم أَحَداً فهو مُبْتَدِعٌ مخالف السُّنَّة[3] والسلف الصالح؛ وأخافُ ألاَّ يَصْعَد له عملٌ إلىٰ السماء حتى يحبّهم جميعاً ، ويكون قَلْبُه سليماً .

١٣١٤ ـ وفي حديث خالد بن (١٢٥/ب) سعيد أَنَّ النبيّ ﷺ قال : «يا أَيُّها الناس! إني راضٍ عن أَبي بكر فاعْرِفُوا له ذلك . أَيها النَّاسُ! إني راضٍ عن

= ٦٩/٩ : «وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات» . وحسَّن إسناده السيوطي في المناهل (١٠٣٣) .

(١) (الفيءُ) : الغنيمة تؤخذ دون قتال .

(٢) (نَزَع) : بعد عن الفيء فلا حقَّ له فيه/ قاله الملاّعلي القاري في شرح الشفا ٣/ ٤٢٦ .

(٣) في المطبوع : «للسنة» .

عُمر ، وعن عليّ ، وعن عثمان ، وطلحَة ، والزُّبير ، وسَعدٍ ، وسعيدٍ ، وعبد الرحمن بن عَوْف ؛ وأبي عبيدة ؛[1] فاعرفوا لهم ذلك .

أَيُّهاالناسُ! إنَّ اللهَ غَفَر لأَهلِ بَدْرٍ والْحُدَيْبِيَة . أيهاالناس! احفظوني في أَصحابي وَأَصْهاري وأَخْتَاني ، لا يطالبنَّكم أَحدٌ منهم بمَظْلِمَةٍ ؛ فإنها مَظْلِمةٌ لا توهَب في القيامةِ غداً»[2] .

١٣١٥ ـ وقال رجلٌ للمُعَافَىٰ بن عمرانَ : أين[3] عُمر بن عبد العزيز مِنْ معاوية؟ فغضب وقال : لا يُقاسُ بأصحاب النبيِّ ﷺ أَحدٌ ، معاوية صاحبُه وصِهْره[4] ، وكاتِبُه وأَمِينُه عَلَىٰ وَحْي الله .

١٣١٦ ـ وأُتِي النبيُّ ﷺ بجَنَازَةِ رَجُلٍ فلم يُصَلِّ عليه ، وقال : «كَان يُبْغُض عُثمانَ ، فأَبْغَضَه الله»[5] .

١٣١٧ ـ وقال عليه السلام في الأنصار : «اعْفُوا عن مُسِيئهم ، واقْبَلُوا من مُحسِنهم»[6] .

١٣١٨ ـ وقال : «احْفَظُوني في أصحابي وأَصْهَاري ؛ فإنه مَنْ حفظني فيهم حَفظَه الله في الدنيا والآخرة ، ومَنْ لم يحفَظْني فيهم تخلَّىٰ اللهُ منه ، ومَنْ تخلَّىٰ اللهُ منه يوشِكُ أن يأخذه»[7] .

---

(١) قوله : «وأبي عبيدة» ، لم يرد في المطبوع .

(٢) أخرجه الطبراني من حديث سهل بن يوسف بن سهل ، عن أبيه ، عن جده . قال الهيثمي في المجمع ٩/ ١٥٧ : «وفيه جماعة لم أعرفهم» . (أختاني) : أي أزواج بناته ﷺ . (مَظْلِمَة) : أي ظُلامة . وهي ما يُؤخذ ظلماً وجوراً .

(٣) تحرفت في الأصل إلىٰ : «بن» .

(٤) (صهره) : أي أخو زوجه أم حبيبة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٧٠٩) من حديث جابر . وفي إسناده محمد بن زياد صاحب ميمون بن مِهْران . قال الترمذي : «ضعيف في الحديث جداً . . .» .

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٩٩) ، ومسلم (٢٥١٠) من حديث أنس ، والبخاري نحوه (٣٨٠٠) من حديث ابن عباس .

(٧) أخرجه الطبراني من حديث عياض الأنصاري . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦ : =

١٣١٩ ـ وقال عليه السلام: «مَنْ حَفِظني في أصحابي كنتُ له حَافظاً يوم القيامة»[١].

١٣٢٠ ـ و[قال]: «مَنْ حَفِظني في أَصحابي وردَ عَلَيَّ الحوضَ، ومَنْ لم يَحْفظني في أصْحابي لَم يَرِدْ عليّ الحوضَ، ولم يَرَني إلاَّ مِنْ بَعِيد»[٢].

١٣٢١ ـ وقال مالك ـ رحمه الله ـ: هذا النبيُّ مؤدِّب الْخَلْق الذي هدَانا اللهُ به، وجعله رحمةً للعالمين، يخرجُ في جَوْفِ الليل إلىٰ البَقِيع[٣] فَيَدْعُو لهم ويستغفِرُ كالمُوَدِّع لهم؛ وبذلك أمره الله، وأَمِر النبيّ بحبّهم، ومُوَالاتهم، ومَعاداة مَنْ عَادَاهم.

١٣٢٢ ـ وروي عن كعب: ليس أَحدٌ مِنْ أصْحابِ محمد ﷺ إلاَّ ولَهُ شفاعةٌ يوم القيامة[٤].

١٣٢٣ ـ وطَلَبَ[٥] من المُغيرة بن نَوْفَل أَنْ يشْفَع له يوم القيامة.

١٣٢٤ ـ قال سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ: لم يُؤْمِن بالرسولِ مَنْ لم يُوَقِّرْ أَصحابَه، ولم يُعِزَّ أَوَامره.

= «وفيه ضعفاء جداً، وقد وثقوا»، وضعف إسناده الحافظ العراقي كما في فيض القدير ١/١٩٧، وزاد نسبته السيوطي في الجامع الصغير (٢٦٧) إلىٰ البغوي وأبي نعيم وابن عساكر، ونسبه في المناهل (١٠٣٧) إلى ابن منيع عن أنس. (تخَلَّىٰ الله منه) أعرض عنه وتركه. (يوشك): يسرع.

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه عن عطاء بن أبي رباح مرسلاً/ المناهل (١٠٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/١٧: «وفيه حبيب كاتب مالك، وهو كذاب».

(٣) البقيع: مدفن أهل المدينة، يقع شرقي الحرم النبوي. وهو معروف لا يجهله أحد. وخروجه ﷺ إلىٰ البقيع ثابت في صحيح مسلم (٩٧٤) من حديث عائشة.

(٤) رواه ابن سعد بلفظ: «ليس مؤمن من آل محمد...»/ المناهل (١٠٤١). (كعب): هو المعروف بكعب الأحبار. تقدمت ترجمته.

(٥) أي كعب الأحبار.

فصل

ومن إعظامه وإكْبارِه إعظامُ جميعِ أَسبابِهِ ، وإكرامُ مشاهِدِه وأَمكنتهِ من مكة والمدينة ، وَمَعَاهِدِه[1] ، وما لَمَسَهُ عليه السلامُ (١٢٦/أ) أو عُرف به

١٣٢٥ ـ ورُوِي عن صَفِيّةَ بنت نَجْدَةَ؛ قالت: كان لأَبي مَحْذورَة[2] قُصَّةٌ[3] في مُقَدَّم رأسه ، إذا قَعَد وأرسلها أَصابت الأَرضَ. فَقيل له: أَلاَ تحلقُها؟ فقال: لم أَكُنْ بالذي أَحلِقُها ، وقد مَسَّها رسُولُ الله ﷺ بِيَدِه.

١٣٢٦ ـ وكانت في قَلَنْسُوة خالد بن الوليدِ شَعَراتٌ من شَعْر رسول الله ﷺ ، فسقطتْ قلنسوتُه في بَعْضِ حُروبه ، فشدَّ عليها شَدّةً أَنكر عليه أَصحابُ النبيّ ﷺ كَثْرةَ مَنْ قُتِل فيها؛ فقال: لم أَفعَلْها بسبب القَلَنْسُوة؛ بل لِمَا تضمَّنَتْه من شعْرِه ـ عليه السلام ـ لئلا أُسْلَب بركتهَا وتقع في أيدي المشركين[4].

١٣٢٧ ـ ورُئي ابْنُ عُمر واضعاً يَدَهُ علىٰ مَقْعَدِ النبيّ ﷺ من المِنْبَر ، ثم وضعها علىٰ وَجْهه[5].

١٣٢٨ ـ ولهذا كَان مالك ـ رحِمَه الله ـ لا يركبُ بالمدينة دابّةً؛ وكانَ يقول: أَسْتَحِي من الله أنْ أَطَأَ تُرْبةً فيها رسولُ الله بحافِرِ دا بّة.

١٣٢٩ ـ ورُوي [عنه] أنه وهب للشّافعي كُراعاً[6] كثيراً كان عنده؛ فقال له

---

(١) الأمكنة التي عهد أنه ﷺ كان يألفها.

(٢) هو أبو محذورة الجمحي ، المكي ، المؤذّن ، صحابي مشهور. اسمه أوس، وقيل غير ذلك مات بمكة سنة (٥٩) هـ/ التهذيب وفروعه.

(٣) قُصَّة: شعر مُقَدَّمِ الرأس/ المعجم الوسيط.

(٤) تقدم تخريجه برقم (٨٩٧).

(٥) رواه ابن سعد/ المناهل (١٠٤٤). وسيأتي برقم (١٤٧٨). (مقعد النبي ﷺ): أي مكان قعوده ﷺ.

(٦) الكُراع: اسم لجميع الخيل/ النهاية.

الشافعيُّ: أَمْسِكْ منها دابّةً. فأجابه بمثل هذا الجواب.

١٣٣٠ ـ وقد حكىٰ أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن أحمد بن فَضْلَوَيه الزَّاهد ـ وكان من الغُزاة الرُّماة ـ أنه قال: ما مَسَسْتُ القَوْسَ بيدي إلاّ علىٰ طَهارة منذ بلغني أنَّ النبيَّ ﷺ أخذ القوسَ بيده.

١٣٣١ ـ وقد أَفْتىٰ مالكٌ فيمن قال: تربةُ المدينة رَدِيَّةٌ(١) ـ يُضْرَبُ ثلاثين دِرَّةً(٢)، وأمر بحَبْسه، وكان له قَدْرٌ؛ وقال: ما أَحْوَجَه إلىٰ ضَرْبِ عُنُقه! تُربةٌ دُفِنَ فيها خير البشر: النبيُّ ﷺ، يزعمُ أنها غير طيبة!!

١٣٣٢ ـ وفي الصحيح أنه قال عليه السلام ـ في المدينة: «**مَنْ أحدث فيها حَدَثاً أو آوىٰ مُحْدِثاً فعليه لَعْنَةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين؛ لا يقبلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً**»(٣).

١٣٣٣ ـ وحُكي أن جَهْجَاهاً الغِفَاريَّ أخَذَ قضيبَ النبيِّ ﷺ من يد عثمان [رضي اللهُ عنه] وتناوله لِيكْسِره علىٰ رُكْبته، فصاح به الناسُ، فأخذته الآكِلَةُ في رُكْبته فقطعها، وماتَ قبل الْحَوْلِ(٤).

١٣٣٤ ـ وقال عليه السلام: «**مَنْ حلف علىٰ مِنْبري كاذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ**»(٥).

١٣٣٥ ـ وحُدِّثْتُ أنَّ أبا الفضل (١٢٦/ب) الجَوْهري لما وردَ المدينةَ زائراً، وقَرُب من بيوتها تَرَجَّلَ ومشىٰ باكياً، يُنْشِد(٦):

---

(١) رديّة: فاسدة.

(٢) دِرَّة: السوط يضرب به/ المعجم الوسيط.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي. (صرفاً ولا عدلاً) تقدم شرحهما عند الحديث المتقدم برقم (١٣٠٦).

(٤) تقدم برقم (٨٩٩). (الآكلة): مرضٌ يفسد الأعضاء.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٢٤٦)، والنسائي في الكبرىٰ، وابن ماجه (٢٣٢٥) وغيره من حديث جابر وصححه ابن حبان (١١٩٢) موارد، والحاكم ٤/٢٩٦ ووافقه الذهبي. وتمام تخريجه في مسند أبي يعلىٰ (١٧٨٢) بتحقيق أستاذنا الفاضل حسين أسد.

(٦) في المطبوع: «مُنشداً». والبيتان من قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني.

وَلَمَّا رَأَينا رَسْمَ[1] مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنا فُـؤَاداً لِعِـرْفـانِ الـرُّسـومِ ولا لُبّـا[2]
نَزَلْنا عَنِ الأَكْوَارِ[3] نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بانَ[4] عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ به رَكْبا[5]

١٣٣٦ ـ وحُكي عن بعض المُريدين أنه لما أَشرف علىٰ مدينة الرسول ﷺ أنشد يقول متمثِّلاً:

رُفِـع الحِجَـابُ لنـا فَـلاَحَ لنـاظـرٍ قَمَـــرٌ تَقَطَّـــعُ دونَـــهُ الأَوْهَـــامُ
وإذا المَطِـيُّ[6] بنـا بَلَغْـنَ مُحَمَّـدًا فَظُهُـورُهُـنَّ علـىٰ الـرِّجَـالِ حَـرَامُ
قَـرَّبْنَنَـا مِـنْ خَيْـرِ مَـنْ وطِـىءَ الثَّـرَىٰ ولهـــا عَلَيْنَـــا حُـــرمـــةٌ وذِمَـــامُ[7]

١٣٣٦م ـ وحُكي عن بعض المشايخ أنه حجَّ ماشياً؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: العَبْدُ الآبِقُ[8] لا يأتي إلىٰ بيت مولاه راكباً، لو قدرتُ أن أَمشِيَ علىٰ رأسي ما مشيتُ علىٰ قَدَمَيَّ.

١٣٣٦م١ ـ قال القاضي: وجدير لِمَوَاطنَ عُمِّرت بالوَحْي والتنزيل، وتردَّدَ بها جبريلُ وميكائيل، وعرجَت منها الملائكة والرُّوحُ، وضَجَّت عَرَصَاتُها[9] بالتقديس والتسبيح، واشتملت تُرْبَتُهَا علىٰ جَسدِ سيِّدِ البَشَر، وانتشر عنها مِنْ ديـن الله وسنّـةِ رسـولـه ﷺ مـا انتشـر، مـدارسُ آيـاتٍ[10]، ومسـاجـدُ صلواتٍ[11]، ومشاهِدُ الفضائلِ والخيرات، ومعاهدُ البراهين والمعجزات،

---

(١) رسم: المراد به آثار المصطفىٰ ﷺ في معاهده ومساكنه.
(٢) لعرفان: لمعرفة. (لُبّـا): اللُّبُّ: العقل الخالص من الشوائب.
(٣) الأكوار: جمع كُوْر: وهو للإبل بمنزلة السَّرج للفرس.
(٤) بان: ظهر رَسْمُهُ/ قاله القاري.
(٥) أن نُلمّ به رَكْبا: أي لا يليق بنا ـ وقد قرب مقام الحبيب ـ أن نأتيه راكبين.
(٦) المَطيُّ: جمع مَطِيَّة، وهي الناقة التي يركبُ مَطاها: أي ظهرها/ النهاية.
(٧) ذمام: أي حقٌّ وحرمة. والأبيات لأبي نواس في مدح محمد الأمين العباسي.
(٨) الآبق: الهارب.
(٩) العَرَصَات: جمع عَرْصَة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه/ النهاية.
(١٠) مدارسُ آيات: محال يدرس فيها القرآن.
(١١) في المطبوع: «ومساجدُ وصلوات». (المساجد): مواضع السجود. (الصلوات): جمع =

ومَنَاسِكُ الدِّين ، ومشاعِرُ المسلمين ، ومواقفُ سيد المرسلين ، وَمُتبَوّأ[١] خاتمِ النبيِّين ـ ﷺ وعلىٰ عترته أجمعين ـ حيث انفجرت النبوّة ، وأين فاضَ عُبَابُها[٢] ؛ ومَوَاطن مَهْبِط الرسالة ؛ وأول أرضٍ مَسَّ جِلْدَ المصطفىٰ تُرَابُها ، أَنْ تُعَظَّم عَرَصاتُها ، وتُتَنَسَّم نفحاتها ، وتُقَبَّل رُبوعها وجُدْرَانها[٣] :

يــا دارَ خَيْـرِ المُـرْسَلِيـنَ ومَـنْ بِـهِ ... هُـدِيَ الأَنـامُ وخُـصَّ بـالآيـاتِ
عِنْدي لأَجْلِكَ لَوْعَةٌ[٤] وصَبَابَةٌ[٥] ... وَتَشَـوُّقٌ مُتَـوَقِّـدُ الجَمَـرَاتِ
وعَلَيَّ عَهْدٌ إنْ مَلأْتُ مَحاجِري[٦] ... مِـنْ تِلْكُـمُ الْجُـدْرَانِ والعَـرَصـاتِ
لأُعَفِّـرَنَّ[٧] مَصُـونَ شَيْبِـي بَيْنَهـا ... مِـنْ كَثْـرَةِ التَّـقْبيـلِ والـرَّشَفَـاتِ
لولا العَوَادِي[٨] ، والأعَادِي زُرْتُها ... أبَـدًا ولـو سَحْبـاً عَلَـىٰ الـوَجَنـاتِ
لٰكِـنْ سَأُهْـدِي مِنْ حَفيـلِ[٩] تَحِيَّتِي ... لِقَطِيْـنِ[١٠] تِلْـكَ الـدَّارِ والحُجُـراتِ
أَزْكىٰ من المِسْكِ المُفَتَّقِ[١١] نَفْحةً ... تَغْشَـاهُ بـالآصـالِ والبُكُـراتِ
وَتَخُصُّـهُ بِـزَواكـيَ الصَّلَـواتِ ... ونـوامـيَ التَّسْلِيْـمِ والبَـرَكـاتِ

* * *

= صلاة، وهي العبادة المعروفة.

(١) متبَوّأ: أي منزل.

(٢) العبابُ: كثرة الماء والسيل.

(٣) في الأصل زيادة: «شعر».

(٤) اللوعة: حرقة في القلب وألم يجده الإنسان من حبٍّ أو نحوه.

(٥) الصَّبابة: رِقَّةُ الشوق وحرارته.

(٦) محاجري: المحجرُ في العين: ما أحاط بها.

(٧) لأعفِّرنَّ: لأمرِّغنَّ.

(٨) العوادي: العوائق.

(٩) الحفيل: الكثير النفيس.

(١٠) لِقطين: أي المقيم.

(١١) المفتَّق: ما خلط بغيره ليزداد طيباً.

الباب الرابع

فِيْ ذِكْرِ(١) الصَّلاَةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيْمِ وَفَرْضِ ذٰلكَ وَفَضِيْلَتِهِ

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٣٣٧ ـ قال ابنُ عباس: معناه: إنَّ اللهَ وملائكَته يُبارِكون علىٰ النبيِّ(٢).

وقيل: إنَّ اللهَ يَترَحَّمُ علىٰ النبيّ، وملائكتَه يَدْعُون له.

قال المُبَرِّد: وأصل الصَّلاَة الترحُّم، فهي مِنَ الله رحمةٌ، ومن الملائكة رِقَّةٌ واستدعاءٌ للرحمة من الله.

١٣٣٨ ـ وقد ورد في الحديث صِفَةُ صلاةِ الملائكة علىٰ مَنْ جَلس ينتظرُ الصَّلاة: «اللَّهُمَّ! اغفِرْ له، اللَّهُمَّ ارحَمْه»(٣) فهذا دُعاء.

١٣٣٩ ـ [و] قال بَكْرٌ القُشَيْرِيُّ: الصلاةُ مِنَ اللهِ [تعالىٰ] لِمَنْ دونَ النبيِّ ﷺ رحمةٌ، وللنبيِّ ﷺ تشريفٌ وزِيادةُ تَكْرِمَةٍ(٤).

---

(١) في المطبوع: «حكم».

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم / المناهل (١٠٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٢) باب: فضل صلاة الجماعة، من حديث أبي هريرة.

(٤) نقله الحافظ في الفتح ١١/ ١٥٦ عن القاضي عياض.

١٣٤٠ ـ وقال أبو العالية[١]: صلاةُ اللهِ ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاةُ الملائكةِ الدعاء.

١٣٤١ ـ قال [القاضي] أبو الفضل: وقد فرّق النبيُّ ﷺ ـ في حديث تعليم الصلاة عليه ـ بين لفظ الصلاة ولفظ البركة؛ فدلّ أنهما بمعنَيَيْن.

١٣٤٢ ـ وأما التسليمُ الذي أمر اللهُ تعالىٰ به عبادَه فقال القاضي أبو بكر بن بُكير (١٢٧/ب): نزلت هذه الآيةُ علىٰ النبيِّ ﷺ، فأَمر اللهُ أصحابَه أنْ يسلِّموا عليه؛ وكذلك مَنْ بَعْدَهم أُمِرُوا أنْ يسلِّموا علىٰ النبيّ ﷺ عند حضورهم قَبْرَه، وعند ذِكْرِه.

وفي معنى السلامِ عليه ثلاثةُ وجوه:

أحدها: السلامةُ لكَ ومَعك، ويكونُ السلامُ[٢] مَصْدراً كاللَّذَاذ واللَّذَاذة.

الثاني: أي السلامُ علىٰ حِفْظك ورِعَايتك مُتَوَلٍّ له[٣]، وكَفِيل به، ويكون ـ هنا ـ السلامُ: اسْمُ الله.

الثالث: أَنَّ السلامَ بمعنى المُسالمة [له] والانقياد؛ كما قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فصل

[فِيْ حُكْمِ الصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ][٤]

واعلَمْ أنَّ الصلاةَ علىٰ النبيّ ﷺ فَرْضٌ علىٰ الجملة، غير محدّد بوقْتٍ؛

---

(١) هو رُفَيْعُ بن مِهْرانَ الرِّياحي. تقدمت ترجمته.
(٢) في الأصل: «وتكون السلامة»، والمثبت من المطبوع.
(٣) في الأصل: «منوىً له»، والمثبت من المطبوع.
(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

لأَمْرِ اللهِ تعالىٰ بالصَّلاَةِ عليه ، وحَمَلَ الأئمةُ والعلماءُ له علىٰ الوجوب ، وأجمعوا عليه .

وحكى أبو جعفر: محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ أَنَّ مَحْمَلَ الآية عِنْده علىٰ النَّدْبِ؛ وادَّعىٰ فيه الإجماعَ؛ ولعلَّه فيما زادَ علىٰ مرَّةٍ؛ والواجبُ منه الذي يَسْقُطُ به الحَرَجُ ومَأْثَمُ ترك الفَرْضِ مرةٌ؛ كالشهادةِ له بالنبوَّة؛ وما عَدَا ذلك مندوبٌ مُرَغَّبٌ فيه ، من سُننِ الإسلام وشِعَارِ أهله .

قال القاضي أبو الحَسَنِ بن القَصَّار[1]: المشهورُ عن أصحابنا أنَّ ذلك واجبٌ في الجملة علىٰ الإنسان ، وفَرْضٌ عليه أنْ يأتِيَ بها مرَّةً من دَهْره مع القُدْرَةِ علىٰ ذلك .

وقال القاضي أبو بكر بن بُكير: افترض اللهُ علىٰ خَلْقه أَنْ يُصَلُّوا علىٰ نبيِّه ويسلّموا تسليما ، ولم يجعَلْ ذلكَ لوقتٍ معلوم؛ فالواجبُ أنْ يُكْثِرَ المرءُ منها ، ولا يَغْفُل عنها .

قال القاضي أبو محمدِ بنُ نَصْر[2]: الصلاةُ علىٰ النبيّ ﷺ واجبةٌ في الجملة .

قال القاضي أبو عبد الله: محمد بن سَعِيد: ذهب مالك وأصْحابُه وغَيْرُهم من أهل العلم أنَّ الصلاةَ علىٰ النبيّ ﷺ فرضٌ بالجملةِ بَعَقْدِ الإيمان ، لا تتعيّن فيه الصلاة ، وأن مَنْ صلَّىٰ عليه مرةً واحدةً في عُمُرِهِ سقط الفَرْضُ عنه .

وقال أصحابُ الشافعي: الفَرْضُ منها الذي أمرَ اللهُ تعالىٰ به ورسُوله عليه السلام (١٢٨/أ) هو في الصلاة .

وقالوا: وأما في غيرها فلا خلافَ أنها غَيْرُ واجبة .

وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفرٍ: محمد بن جرير الطبريُّ ،

---

(١) هو شيخ المالكية ، علي بن عمر بن أحمد البغدادي ابن القصَّار . كان أصولياً نظَّاراً . مات سنة (٣٩٧) هـ . له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) هو الإمام العلامة شيخ المالكية عبد الوهَّاب بن علي بن نصر التغلبي . المتوفىٰ سنة (٤٢٢) هـ . مترجم في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣٢ .

والطَّحاوي وغيرُهما إجماعَ جميع المتقدِّمين والمتأخِّرين من علماءِ الأمَّةِ علىٰ أنَّ الصلاةَ علىٰ النبيِّ ﷺ في التشهُّد غيرُ واجبةٍ[1].

وشذَّ الشافعيُّ في ذلك[2]؛ فقال: «مَنْ لم يُصَلِّ علىٰ النبيِّ ﷺ من بعد التشهُّد الآخر[3] وقَبْلَ السلام فَصَلاَتُه باطلة[4] فاسدةٌ، وإنْ صلَّىٰ عليه قَبْلَ ذلك لم تجْزِه» ولا سلَفَ له في هذا القول ولا سنَّة يَتَّبعها.

وقد بالغ في إنكارِ هذه المسألةِ عليه ـ لمخالفته فيها مَنْ تقدَّمَه ـ جماعةٌ، وشنَّعوا عليه الخلافَ فيها، منهم الطّبري، والقُشَيْري، وغيرُ واحِدٍ.

وقال أبو بكر بن المنذر[5]: يستحبُّ ألاَّ يُصَلِّيَ أحدٌ صلاةً إلاَّ صَلَّىٰ فيها علىٰ رسولِ الله ﷺ؛ فإنْ تركَ ذلك تارك[6] فصلاتُه مُجْزئة في مَذْهب مالك، وأهل المدينة، وسفيان الثوري، وأهلِ الكوفة من أصحاب الرّأي وغيرهم. وهو قولُ جُمَلِ أَهْلِ العلم.

وحُكي عن مالك وسُفيانَ أنها في التشهُّد الأخير مستحبّةٌ، وأنَّ تارِكَها في التشهُّد مُسيءٌ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب: «لا إجماع علىٰ خلافه ـ يعني الشافعي ـ في هذه المسألة لا قديماً ولا حديثاً». وإلىٰ وجوب الصلاة عليه ﷺ بعد التشهد ذهب عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وابن مسعود، وأبو مسعود البدري، وجابر بن زيد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والفقيه ابن الموّاز، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي. وذهب الجمهور إلىٰ عدم الوجوب، منهم: مالك، وأبو حنيفة، وأصحابه، والثوري، والأوزاعي وآخرون. وانظر تفسير ابن كثير ٣/٥٠٨، فتح الباري ١١/١٦٤، والتعليق المغني علىٰ الدارقطني ١/٣٥٦.

(٢) لم يشذ الشافعي في ذلك. انظر التعليق السابق.

(٣) في المطبوع: «الأخير».

(٤) قوله: «باطلة»، لم ترد في المطبوع.

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري. إمام حافظ علامة. عداده في فقهاء الشافعية. توفي سنة (٣١٨) هـ. من كتبه: «الإشراف» و«الإجماع». انظر ترجمته في السير ١٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢.

(٦) قوله: «تارك» لم ترد في المطبوع.

وشذَّ الشافِعيُّ فأَوْجَب علىٰ تارِكها في الصلاة الإعادَة؛ وأَوجب إسحاق[1] أيضاً الإعادةَ مع تَعَمُّد تَرْكِها دونَ النِّسْيان.

وحكىٰ أبو محمدِ بن أبي زَيْد[2]، عن محمد بن المَوَّاز[3] - أنَّ الصلاةَ علىٰ النبيِّ ﷺ فريضةٌ.

قال أبو محمد: يريدُ[4] ليست مِنْ فرائضِ الصلاة؛ وقاله محمد بنُ عبد الحكم[5] وغيره.

وحكىٰ ابنُ القَصَّار[6] وعَبْدُ الوهَّاب[7] - أنَّ محمدَ بنَ الموَّاز يَراها فريضةً في الصلاة كقولِ الشافعي.

وحَكَىٰ أبو يَعْلَىٰ العَبْديّ المالكيّ عن المذهب فيها ثلاثةَ أقوال في الصلاة: الوجوبَ، والنَّدْبَ، والسنةَ.

وقد خالف الخطّابيُّ - من أصحاب الشافعيّ - وغيرُ[هُ] الشافعيَّ في هذه المسألة؛ قال الخطابي: وليَسَتْ بواجِبةٍ في الصلاة؛ وهو قَوْلُ جماعةِ الفقهاءِ إلا الشافعي؛ ولا أعلمُ له فيها قدوةً.

والدليلُ علىٰ أنها ليست من فروضِ الصلاة عمَلُ السَّلَفِ الصالح قَبْل الشافعيّ، وإجماعُهم عليه.

وقد شنَّع الناسُ عليه في هذه المسألة جدّاً.

---

(١) إسحاق هو ابن راهويه. تقدمت ترجمته.

(٢) هو عالم أهل المغرب، عبد الله بن أبي زيد. يقال له مالك الصغير. توفي سنة (٣٨٩) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني المالكي. إمام علاّمة فقيه. توفي سنة (٢٦٩) هـ. مترجم في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٦.

(٤) في الأصل: «قال أبو محمد بن يزيد»، والمثبت من المطبوع.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، فقيه مالكي، إمام علامة. ولد سنة (١٨٢) هـ، ومات سنة (٢٦٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٩٧ - ٥٠١.

(٦) هو القاضي أبو الحسن بن القَصَّار. تقدمت ترجمته.

(٧) عبد الوّهاب: هو أبو محمد بن نصر. تقدمت ترجمته.

١٣٤٣ ـ وهذا تَشَهُّدُ ابْنِ (١٢٨/ب) مسعود[١] الذي اختاره الشافعيُّ[٢]، وهو الذي علَّمه له النبيُّ ﷺ، ليس فيه الصلاةُ على النبيّ ﷺ.

١٣٤٤ حتى ١٣٥٠ ـ وكذلك كل مَنْ يَرْوي التشهُّدَ عن النبيّ ﷺ، كأبي هُريرة، وابن عباس، وجابرٍ، وابن عُمر، وأبي سَعِيد الْخُدْري، وأبي موسىٰ الأَشْعري، وعبدِ الله بن الزُّبيرِ لم يذكروا فيه صلاةً علىٰ النبي ﷺ[٣].

١٣٥١، ١٣٥٢ ـ وقد قال ابن عبَّاس، وجابرٌ: كان النبيُّ ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلمنا السورةَ من القرآن[٤].

١٣٥٣ ـ ونحوه عن أبي سعيد[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) بل التشهد الذي اختاره الشافعي تشهد ابن عباس. قال الإمام النووي في الأذكار عقب الحديث (١٨٢) بتحقيقي: «وأفضلها ـ أي التشهدات ـ عند الشافعي: حديث ابن عباس للزيادة التي فيه من لفظ المباركات».

(٣) حديث أبي هريرة أخرجه ابن مردويه/ المناهل(١٠٤٨). وحديث ابن عباس أخرجه مسلم (٤٠٣)، وحديث جابر أخرجه النسائي ٢/ ٢٤٣، والبيهقي ٢/ ١٤٢، وصححه الحاكم ١/ ٢٦٧ ووافقه الذهبي وقال الترمذي ـ كما في سنن البيهقي ٢/ ١٤٢ ـ: سألت البخاري عن هذا الحديث فقال: «خطأ...». وحديث ابن عمر أخرجه أبو داود (٩٧١) وإسناده صحيح. وحديث الخدري أخرجه ابن مردويه كما في المناهل (١٠٤٨). وحديث أبي موسىٰ الأشعري أخرجه مسلم (٤٠٤). وحديث عبد الله بن الزبير أخرجه البزار (٥٦٢)، والطبراني في الكبير ـ كما في المجمع ٢/ ١٤١ وقال: «مداره علىٰ ابن لهيعة، وفيه كلام». وقال السيوطي في المناهل (١٠٤٨) ـ متابعاً ابن حجر في التلخيص ١/ ٢٦٨ ـ: «ورواه صحابة آخرون تتمة أربعة وعشرين».

(٤) حديث ابن عباس أخرجه مسلم (٤٠٣)، وحديث جابر فقرة من الحديث المتقدم برقم (١٣٤٦).

(٥) ورواه أيضاً ابن مسعود وجرير بن عبد الله كما في مجمع الزوائد ٢/ ١٤٠، ١٤١

١٣٥٤ ـ وقال ابنُ عُمَرَ: كان أبو بكر يُعَلِّمُنا التشهُّد علىٰ المِنْبَر كما يُعلِّمون الصبيانَ في الكُتَّاب[١].

١٣٥٥ ـ وعلّمه أيضاً علىٰ المِنبر عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ [رَضِيَ الله عنه][٢].

١٣٥٦ ـ وفي الحديث: «لا صلاةَ لِمَنْ لم يُصَلِّ عليَّ»[٣].

قال ابن القصَّار: معناه: كاملةً؛ أَو لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عليَّ مرّةً في عُمُره.

وضعَّف أهلُ الحديثِ كلُّهم رِوايةَ هذا الحديث.

١٣٥٧ ـ وفي حديث أبي جعفرٍ، عن أبي مسعود[٤]، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ صلّىٰ صلاةً لم يُصَلِّ فيها عليَّ وعلىٰ أهلِ بَيْتي لم تُقْبَلْ منه»[٥].

١٣٥٨ ـ قال الدارقُطْنِي: الصوابُ أنه من قَوْلِ أبي جعفر: محمد بن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة كما في تلخيص الحبير ١/ ٢٦٨. قال الحافظ: «ورواه أبو بكر بن مردويه في كتاب التشهد من رواية أبي بكر مرفوعاً أيضاً وإسناده حسن». وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر بلفظ: «كان النبي ﷺ يعلم الناس التشهد علىٰ المنبر كما يعلم المعلم الغلمان». قال الهيثمي في المجمع ٢/ ١٤٠: «فيه عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة وهو ضعيف».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٩٠)، والبيهقي (٢/ ١٤٢)، وصححه الحاكم (١/ ٢٦٦)، ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً النووي في الأذكار برقم (١٨٠) بتحقيقي. وانظر تلخيص الحبير ١/ ٢٦٥.

(٣) أخرجه ابن ماجهْ (٤٠٠)، والحاكم (١/ ٢٦٩)، والبيهقي (٢/ ٣٧٩)، والدارقطني (١/ ٣٥٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي. وفي إسناده عبد المهيمن بن عباس. قال البيهقي: «ضعيف لا يحتج برواياته». وانظر تلخيص الحبير ١/ ٢٦٢.

(٤) في الأصل والمطبوع: «ابن مسعود»، وهو تحريف. انظر التعليق التالي والقول البديع ص (٢٥٧).

(٥) أخرجه الدارقطني ١/ ٣٥٥ وغيره من حديث جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن أبي مسعود الأنصاري (عقبة بن عمرو البدري) مرفوعاً، وقال: «جابر ضعيف، وقد اختلف عنه». وانظر الرواية التالية.

عليّ بن الحسين: لو صليتُ صلاةً لم أَصَلِّ فيها على النبيّ ﷺ ولا عَلَىٰ أَهْلِ بيته لرأيتُ أنها لا تتم[1].

فصل

فِيْ المَوَاطِـنِ الَّتِيْ يُسْتَحَـبُّ فِيْهَـا الصَّـلاةُ والسَّـلامُ عَلـىٰ النَّبِـيِّ ﷺ ويُرْغَـبُ[2]

من ذلك في تشهُّد الصَّلاةِ كما قدَّمناه؛ وذلك بعد التشهُّد وقبل الدعاء.

١٣٥٩ ـ حدثنا أبو علي القاضي بقراءتي عليه ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا الإمام أبو القاسم البَلْخي [قال]: حدثنا الفارسيُّ، عن أبي القاسم الخُزَاعي، عن أبي سعيد: الهَيْثم بن كُليب، عن أبي عيسىٰ الحافظ [قال]: حدثنا محمود بن غَيْلان، حدثنا عبد الله بن يزيدَ المُقرىء، حدثنا حَيْوَةُ بن شُريح، حدثني أبو هانىء الخَوْلاني أَنَّ عَمْرَو بن مالك الْجَنْبِيَّ، أخبره أنه سمع فَضَالةَ بن عُبَيد يقول: سمع النبيُّ ﷺ رجلاً يَدْعُو في صلاته، فلم يُصَلِّ علىٰ النبي ﷺ؛ (١٢٩/أ) فقال النبيُّ ﷺ: «**عَجِلَ هذا**». ثم دعاه فقال له ولغيره: «**إذا صَلَّىٰ أَحَدُكم فَلْيَبْدَأْ بتحميد اللهِ والثناءِ عليه، ثم ليُصَلِّ علىٰ النبيّ ﷺ؛ ثم لِيَدْعُ بَعْدُ بما شاءَ**»[3].

---

(١) أخرجه الدارقطني ١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦ من حديث جابر الجعفي، عن أبي جعفر: محمد بن علي بن الحسين، عن أبي مسعود الأنصاري من قوله، وليس من قول محمد بن علي بن الحسين. وفي إسناده أيضاً جابر الجعفي وفي هذا القول تأييد لمذهب الشافعي دون ما قاله المصنف. وللعلامة محمد بن محمد الخيضري (٨٢١ ـ ٨٩٤)هـ كتاب مطبوع في الردِّ على القاضي عياضٍ سَمَّاه: «زهر الرياض في ردِّ ما شَنَّعهُ القاضي عياض».

(٢) في الأصل زيادة: «فيه»، وهي ليست في المطبوع.

(٣) أسنده المصنف من طريق أبي عيسىٰ الترمذي (٣٤٧٧). وأخرجه أيضاً أبو داود (١٤٨١)، والنسائي (٣/ ٤٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وتمام تخريجه في بلوغ المرام (٣١١) بتحقيقي.

ويُروىٰ من غَيْر هذا السنَد: «بتمجيد[1] اللهِ» وهو أَصَحُّ.

١٣٦٠ ـ وعن عُمر بن الخطّاب [رَضِيَ الله عنه] قال: الدُّعاءُ والصلاةُ معلقٌ بيـن السمـاء والأرض؛ فـلا يصعـدُ إلـىٰ اللهِ منـه شـيءٌ حتـى يُصَلَّـى علـىٰ النبيّ ﷺ[2].

١٣٦١ ـ وعن عليّ بن أبي طالب، عن النبيّ بمعناه؛ وقال: وعلىٰ آل محمد[3].

١٣٦٢ ـ ورُوِيَ أَنَّ الدُّعاءَ محجوبٌ حتى يُصَلِّي الداعِي علىٰ النبيّ ﷺ[4].

١٣٦٣ ـ وعن ابن مسعود: إذا أراد أَحدُكم أن يسأل اللهَ شيئاً فليبدأ بمَدْحِه والثناء عليه بما هو أهلُه؛ ثم يصلِّي علىٰ النبيّ ﷺ؛ ثم ليسْأَلْ؛ فإنه أجدرُ أن يَنْجَحَ[5].

١٣٦٤ ـ وعن جابر [رَضِيَ الله عنه] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تجعلوني كَقَدَح الرَّاكب؛ فإنَّ الراكب يملأُ قَدَحَهُ ثم يَضَعُهُ، ويرفع مَتَاعَه؛ فإن احتاج إلىٰ**

---

(١) في الأصل: «بتحميد»، والمثبت من المطبوع. (تمجيد الله): تعظيمه.

(٢) أخرجه الترمذي (٤٨٦) بدون قوله: «والصلاة». وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر عليه والقول البديع ص: (٣٢١).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والبيهقي في الشعب/ المناهل (١٠٥٥)، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٤٢٦٦). وأخرجه موقوفاً علىٰ عليٍّ رضي الله عنه، الطبرانيُّ في الأوسط. قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٦٠: «رجاله ثقات». وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٠٥: «رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصح».

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، كما في تحفة الذاكرين ص(٥١). قال الشوكاني: في إسناده محمد بن عبد العزيز الدينوري. قال الذهبي في الضعفاء: منكر الحديث.

(٥) أخرجه معمر بن راشد في الجامع (١٩٦٤٢) برواية عبد الرزاق، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٥ وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه» وأشار إليه أيضاً ١٠/ ١٦٠ وقال: «وهو حديث جيد». وصحح إسناده السيوطي في المناهل (١٠٥٦). (أن ينجح): أن يصيب طلبته.

شراب شربه ، أوِ الوضوءِ تَوضّأ ، وإلاّ هَرَاقه؛ ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأَوْسطه وآخِرِه»[1].

١٣٦٥ ـ وقال ابن عطاء: للدعاء أَركان وأجنحةٌ وأسبابٌ وأوقاتٌ؛ فإنْ وافق أركانَه قَوِي ، وإن وافَق أجنحتَه طار في السماء ، وإنْ وافَق مواقيتَه فاز ، وإن وافق أسبابَه أَنْجَحَ؛[2] فأركانُه: حضورُ القَلْب ، والرِقّةُ ، والاستكانةُ والخشوعُ ، وتعلُّق القَلْب بالله ، وقطعهُ من[3] الأسباب ، وأَجنحتهُ: الصِّدقُ. ومواقيتهُ: الأسحار ، وأسبابهُ: الصلاةُ علىٰ محمد ﷺ.

١٣٦٦ ـ وفي الحديث: «الدُّعاءُ بين الصلاتَيْنِ عليَّ لا يُرَدُّ»[4].

١٣٦٧ ـ وفي حديث آخر: «كلُّ دُعَاءٍ محجوبٌ دونَ السماءِ؛ فإذا جاءَتْ الصلاةُ عليّ صعِدَ الدُّعاءُ»[5].

١٣٦٨ ـ وفي دُعاءِ إبْنِ عباس الذي رَواه عنه حَنَشٌ؛ فقال في آخره: واستجِبْ دُعَائي ، ثم يبدأ بالصَّلاَة علىٰ النبيّ ﷺ فيقول[6]: اللهم! إني أسْألكَ

---

(١) أخرجه البزار (٣١٥٦) ، وعبد الرزاق (٣١١٧) وأبو يعلىٰ والبيهقي في الشعب وغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٥: «فيه موسىٰ بن عبيدة ، وهو ضعيف». وقال الحافظ في تخريج الأذكار: «حديث غريب. . .» وتبعه السخاوي في القول البديع ص (٣١٩) وانظر جامع الأصول ٤/ ١٥٥. (لا تجعلوني كَقَدح الراكب): القَدَحُ: إناء صغير يشرب به الماء. قال في النهاية: أي لا تؤخروني في الذِّكْرِ ، لأن الراكب يعلِّقُ قدحه في آخر رَحْلِهِ عند فراغه من تَرْحاله ويجعله خلفه. (هراقه): أي صَبَّهُ.

(٢) أَنْجَحَ: ظفر بحاجته وأصاب طلبته ، انظر النهاية (نجح).

(٣) كلمة: «من» لم ترد في المطبوع.

(٤) هو في «شَرَفِ المصطفىٰ» بلا إسناد/ قاله السخاوي في القول البديع ص: (٣٢١).

(٥) أورده ـ بنحوه ـ ابن الأثير في جامع الأصول برقم (٢١٢١) من حديث عمر بن الخطاب مرفوعاً وقال: «هذه الرواية ذكرها رزين». وقد تقدم موقوفاً على عمر برقم (١٣٦٠). وانظر القول البديع ص: (٣٢٠).

(٦) في المطبوع: «ثم تبدأ. . . . فتقول».

أن تُصَلِّي علىٰ محمدٍ عَبْدِك ونَبِيّك ورَسُولك أفْضَلَ ما صلَّيْتَ علىٰ أحدٍ مِنْ خَلْقِكَ أجمعين (١٢٩/ب) آمين[١].

ومِنْ مواطنِ الصلاة عليه: عند ذِكْرِه، وسَمَاعِ اسْمِه، أو حديثه[٢]، أو عند الأذان.

١٣٦٩ ـ وقد قال عليه السلام: «رَغِمَ أَنْفُ رجلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصَلِّ عَلَيّ»[٣].

وَكَرِه ابْنُ حبيب[٤] ذِكْرَ النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم عند الذَّبْح.

وكَرِهَ سُحْنُون الصلاةَ عليه عند التعجُّب؛ وقال: لا يصلَّىٰ عليه إلا علىٰ طريق الاحتساب، وطَلَب الثواب.

قال أَصْبَغُ[٥]، عن ابن القاسم: مَوْطِنان لا يُذْكَر فيهما إلا الله: الذبيحةُ، والعُطَاس؛ فلا تَقُلْ فيهما بعد ذِكْرِ اللهِ؛ محمدٌ رسولُ اللهِ. ولو قال بعد ذِكْرِ اللهِ: صلَّىٰ اللهُ علىٰ محمد لم يكن تسميةً له مع اللهِ.

---

(١) الدعاء بطوله ذكره السخاوي في القول البديع ص (٣٣٧ ـ ٣٣٨) وقال: رواه النميري.

(٢) في المطبوع: «أو كتابته».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، والحاكم (١/٥٤٩) من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وسيأتي مطولاً برقم (١٤٢٢). وانظر موارد الظمآن (٢٠٢٨). (رغم) بكسر الغين المعجمة: أي لصق بالرغام، وهو التراب، ذلاً وهواناً. وقال ابن الأعرابي: هو بفتح الغين، ومعناه: ذلّ/ الترغيب والترهيب (٢/٥٠٨).

(٤) هو عالم الأندلس: عبد الملك بن حبيب القرطبي المالكي. ولد في حياة الإمام مالك بعد (١٧٠) هـ. ومات سنة (٢٣٨) أو (٢٣٩) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/١٠٢ ـ ١٠٧.

(٥) هو أصبَغ بن الفرج المالكي. مفتي الديار المصرية وعالمها. ولد بعد (١٥٠) هـ. ومات سنة (٢٢٥) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/٦٥٦ ـ ٦٥٨.

وقاله أَشْهَبُ[1]؛ قال: [و]لا ينبغي أَنْ تجعلَ الصلاةُ علىٰ النبي ﷺ فيه استِنَانا[2].

١٣٧٠ ـ ورَوَىٰ النَّسائي، عن أَوْسِ بن أَوْسٍ، عن النبيّ ﷺ: الأَمْرَ بالإِكْثَارِ مِنَ الصلاةِ عليه يوم الجمعة[3].

ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد:

١٣٧١ ـ قال أبو إسحاق بن شعبان: وينبغي لمَنْ دخل المسجدَ أَنْ يُصَلِّيَ علىٰ النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم، وعلىٰ آله، ويترحَّم عليه، وعلىٰ آله، ويبارِك عليه وعلىٰ آله، ويسلِّم تسليماً؛ ويقول: «**اللهمَّ! اغفرِ لي ذُنُوبي، وافتَح لي أبوابَ رَحْمتك**».

وإذا خرج فَعل مِثْلَ ذلك، وجعلَ موضعَ «**رَحْمَتِكَ**» «**فَضْلِكَ**»[4].

١٣٧٢ ـ وقال عَمْرُو بن دينار[5] ـ في قوله [تعالىٰ]: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ـ قال: إنْ لم يكُنْ في البيت أحدٌ فقل: السلامُ

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز، العلامة المصري الفقيه. يقال: اسمه مسكين، وأشهب: لقب له. ولد سنة (١٤٠) هـ ومات سنة (٢٠٤) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٠ ـ ٥٠٣.

(٢) أي سنة وطريقة لأنه تشريع فيما لم ينقل. وذلك خلافا للشافعي حيث قال: لا أكره مع التسمية على الذبيحة أن يقول: صلى الله تعالى عليه وسلم، بل أحب ذلك.

(٣) أخرجه النسائي ٣/ ٩١ ـ ٩٢، وأبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣)، والدارقطني، والنووي في رياض الصالحين رقم (١٢١٢) بتحقيقي، والحاكم ١/ ٢٧٨، ووافقه الذهبي. واستوفينا تخريجه في موارد الظمآن (٥٥٠). وسيأتي برقم (١٤٤٣).

(٤) سيأتي هذا الذكر مرفوعاً من حديث فاطمة برقم (١٣٧٧، ١٤٨٣).

(٥) في الأصل: «عمر بن دينار»، وهو تحريف. والمثبت من المطبوع. وهو عمرو بن دينار المكي الأثرم، شيخ الحرم في زمانه. ولد سنة (٤٥) أو (٤٦) هـ، ومات سنة (١٢٦) هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠ ـ ٣٠٧.

علىٰ النبيّ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ ، السلامُ علينا وعلىٰ عِبَاد اللهِ الصالحين، السلامُ علىٰ أهل البيتِ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

١٣٧٣ ـ قال ابن عباس: المرادُ بالبيوتِ ـ ههنا ـ المساجد.

١٣٧٤ ـ وقال النَّخعي[١]: إذا لم يَكُن في المسجد أحدٌ فقل: السلامُ علىٰ رسولِ الله ﷺ؛ وإذا لم يكن في البيتِ أحدٌ فقل: السلامُ علينا وعَلَىٰ عبادِ اللهِ الصالحين.

١٣٧٥ ـ وعن عَلْقمةَ[٢]: إذا دخلْتُ المَسجدَ أقول: السلامُ عليك أيُّها النبيُّ! ورحمةُ الله وبركاته ، صلّىٰ اللهُ وملائكتُهُ علىٰ محمد.

١٣٧٦ ـ ونَحْوُه عن كَعب: إذا دخلَ ، وإذا خرج ، ولم يذكر الصلاةَ.

١٣٧٧ ـ واحتجَّ ابْنُ شَعْبَانَ ـ لما ذَكَره ـ بحديث فاطمةَ بنتِ رسول الله ـ عليهما الصلاة والسلام ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كَان يفعَلُه إذا دخل المسجد[٣].

١٣٧٨ ـ ومِثلُه عن أَبي بكرِ بن عَمْرِو بن حَزْمٍ[٤]. وذَكَرَ السلامَ والرحمةَ.

وقد ذكرنا هذا الحديثَ آخِر القسم ، والاختلافَ في ألفاظه.

١٣٧٩ ـ ومِنْ مواطن الصلاة عليه أيضاً عند[٥] الصلاةِ عَلَىٰ الجنائز.

---

(١) هو الإمام ، الحافظ ، فقيه العراق ، إبراهيم بن يزيد النَّخَعي. مات سنة (٩٦) هـ وعاش (٤٩) أو (٥٨) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠ ـ ٥٢٩.

(٢) هو علقمة بن قيس النَّخَعي. فقيه الكوفة وعالمها ومقرئها ، كان إماماً مجتهداً ، وحافظاً مجوداً. ولد في أيام الرسالة المحمدية ، وعداده في المخضرمين. مات بعد (٦٠) هـ. وقيل بعد (٧٠) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣ ـ ٦١.

(٣) حديث فاطمة أخرجه الترمذي (٣١٤) ، وابن ماجهْ (٧٧١) ، وأحمد (٦/ ٢٨٢) ، وابن السني (٨٧). وقال الترمذي: «حديث فاطمة حديث حسن وليس إسناده بمتصل...» وسيأتي ـ بروايات ـ برقم (١٤٨٣ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨).

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْمٍ الأنصاري. أمير المدينة ، ثم قاضي المدينة ، أحد الأئمة الأثبات. اسمه وكنيته واحد ، وقيل: إنه يكنى أبا محمد. مات سنة (١٢٠) هـ. وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٥) كلمة «عند» ، لم ترد في المطبوع.

وذكر عن أَبي أُمامةَ[١] أَنها من السنَّة[٢].

ومن مَوَاطن الصلاةِ التي مضىٰ عليها عملُ الأمة، ولم تُنْكرها: الصلاةُ عَلىٰ النبيّ وعلىٰ آله في الرسائل، وما يُكتب بَعْدَ البَسْمَلة؛ ولم يكن هذا في الصَّدْرِ الأَوّل؛ وأُحْدِثَ عند ولاية بني هاشم، فمضَىٰ به عَمَلُ الناسِ في أقطارِ الأرض.

ومنهم مَنْ يختِمُ به أيضاً الكُتب.

١٣٨٠ ـ وقال عليه السلام: «مَنْ صلّىٰ عَلَيَّ في كِتَابٍ لم تزَلِ الملائكةُ تستغْفِرُ له ما دامَ اسْمِي في ذلكَ الكتاب»[٣].

ومِنْ مواطِن السلام عَلَىٰ النبي ﷺ تشهُّدُ الصلاة.

١٣٨١ ـ حدثنا أبو القاسم: خلف بن إبراهيم المقرىء الخطِيب رَحمه الله، وغيره قال: حدثتني كرِيمة بنت أحمد؛[٤] قالت: حدثنا أبو الهَيْثَم، [حدثنا] محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أَبو نُعيم، حدثنا الأعمش، عن شَقِيق بن سلَمة، عن عَبد الله بن مَسعود، عن النبيّ ﷺ؛ قال:

---

(١) هو أسعد بن سهل بن حُنيف، معروف بكنيته، معدود في الصحابة، له رؤية. مات سنة (١٠٠) هـ وله (٩٢) سنة (التقريب) وانظر التعليق التالي.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده برقم (٥٨١)، والبيهقي (٤/ ٤٠)، وغيره من حديث أبي أُمامة أخبره رجال من أصحاب رسول الله ﷺ. وأخرجه ـ مختصراً ـ النسائي ٤/ ٧٥ من حديث أبي أمامة قال: السنة في الصلاة علىٰ الجنازة... وصححه النووي وابن حجر وغيرهما. وانظر جامع الأصول ٦/ ٢١٩.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، وغيره، من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في المجمع ١/ ١٣٧: «وفيه بشر بن عبيد الدارسي، كذبه الأزدي، وغيره». وزاد السيوطي نسبته في المناهل (١٠٨٠) إلىٰ أبي الشيخ في الثواب بسند ضعيف». وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وقا ل ابن كثير في التفسير ٣/ ٥١٦: «وليس هذا الحديث بصحيح، ونقل قول الذهبي: أحسبه موضوعاً». وسيأتي برقم (١٤١٢). وانظر القول البديع ص (٣٥٤).

(٤) في المطبوع: «كريمة بنت محمد»، وكلاهما صواب، لكنه في المطبوع نسبت إلى جدها، انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥).

«إذا صلَّىٰ أحدُكم فليقل: التحياتُ للهِ والصلوات[1] والطيباتُ ، السلامُ عليكَ ، أيّها النبيُّ! ورحمةُ الله وبركَاتهُ. السلامُ علينا وعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصالحين؛ فإنكم إذا قلتموها أصابَتْ كلَّ عَبْـدٍ صالح في السماء والأرض»[2].

هذا أَحَدُ مواطنِ التسليم عليه؛ وسنّتُـه أَول التشهّد.

١٣٨٢ ـ وقد رَوَىٰ مالكٌ ، عن ابن عُمر: أنه كان يقولُ ذلك إذا فرَغَ مِنْ تَشَهُّدِه وأراد أن يُسلِّمَ[3].

واستحبَّ مالكٌ في «المبسوط»[4] أَنْ يسلِّمَ بمثْلِ ذلك قبل السلام.

١٣٨٣ ـ قال محمد بن مَسْلَمَةَ: أَراد ما جاء عن عائشة وابنِ عُمرَ أنهما كانا[5] يَـقُولاَنِ عند سَلاَمهما: السلامُ عليكَ أَيُّها النبيُّ! ورحمةُ اللهِ وبركاتُه. السلامُ علينا وعَلَىٰ عبادِ اللهِ الصالحين. السلامُ عليكم[6].

واستحبَّ أهلُ العِلم أَنْ يَنْوِي (١٣٠/ب) الإنسانُ حين سلامِه كلَّ عبدٍ صالح في السماء والأرضِ من الملائكة وبني آدم والجنِّ.

قال مالكٌ في «المجموعة»[7]: وأُحِبُّ للمأموم إذا سلَّم إمامُه أن يقول: السلام عَلَى النبيِّ ورحمةُ اللهِ وبركَاته ، السلامُ علينا وعَلَىٰ عبادِ الله الصالحين. السلام عليكم.

---

(١) في المطبوع: «الصلاة».

(٢) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٨٣١). وأخرجه أيضاً مسلم برقم (٤٠٢).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٩١. وإسناده صحيح. وهو موقوف له حكم المرفوع. مثله لا يقال بالرأي.

(٤) كتاب في فقه الإمام مالك، للقاضي إسماعيل.

(٥) في الأصل: «كان» ، والمثبت من المطبوع.

(٦) حديث ابن عمر هو السابق ، وحديث عائشة أخرجه أيضاً مالك في الموطأ ١/ ٩١ ، وإسناده صحيح ، وهو موقوف ، له حكم المرفوع.

(٧) قال الخفاجي ٣/ ٤٦٨: «قيل: أراد بها المُدَوَّنَة».

فصل

فِيْ كَيْفِيَّةِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيْمِ

١٣٨٤ ـ حدثنا أبو إسحاق: إبراهيم بن جَعْفَرٍ الفقيه بقراءتي عليه ، حدثنا القاضي أبو الأَصْبَغ ، حدثنا أبو عبد الله بن عَتَّاب ، حدثنا أبو بكر بن وافد[1] وغيره ، [قالوا]: حدثنا أبو عيسىٰ ، حدثنا عُبَيْد اللهِ ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا مالك ، عن عَبْد الله بن أبي بكَر بن عمرو بن حَزْم ، عن أبيه ، عن عَمْرو بن سُليم الزُّرَقي أنه قال: أخبرني أبو حُمَيد الساعديُّ أنهم قالوا: يا رسولَ الله! كيفَ نُصَلِّي عليكَ؟ قال: «قولُوا: اللهمّ! صَلِّ عَلَىٰ محمدٍ وأَزواجِهِ وذرِّيتِه ، كما صَلَّيْتَ عَلىٰ آلِ إبراهيم ، وبارِكْ عَلَىٰ محمد وأزواجه وذُرِيّتِهِ كما باركْتَ عَلَىٰ آل إبراهيم ، إنك حَمِيد مجيد»[2] .

١٣٨٥ ـ وفي رواية مالك، عن أبي مسعود الأنصاري؛ قال: «قولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمد وعَلَى آلهِ، كما صليتَ عَلَى آلِ إبراهيم، وبارِكْ عَلَى محمد وعلى آله[3] كما باركْتَ عَلَى آل إبراهيم في العالمين، إنك حَمِيدٌ مَجيدٌ. والسلام كما قد عَلِمْتُم»[4] .

١٣٨٦ ـ وفي رواية كعب بن عُجْرَةَ: «اللهم! صَلِّ عَلَى مُحمدٍ وآل محمد، كما صليتَ عَلَى إبراهيم، وبارِكْ عَلَى مُحمّدٍ وآلِ محمدٍ كما باركْتَ على إبراهيم، إنكَ حَمِيد [مجيد]»[5] .

---

(١) في الأصل والمطبوع: «واقد» بالقاف، وهو تصحيف. والتصويب من تبصير المنتبه ص (١٤٦٦)، وتقدم التعريف به عند الحديث رقم (١٧٠).

(٢) أسنده المصنف من طريق مالك في الموطأ ١/ ١٦٥. ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٣٣٦٩) ، ومسلم (٤٠٧). وسيأتي طرف منه برقم (١٤٥٤).

(٣) قوله: «وعلى آله» لم يرد في المطبوع.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦. ومن طريق مالك أخرجه مسلم برقم (٤٠٥) ، وستأتي رواية أخرىٰ لحديث أبي مسعود الأنصاري (عقبة بن عمرو البدري) برقم (١٣٨٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ، ومسلم (٤٠٦).

١٣٨٧ ـ وعن عُقْبَـةَ بن عَمْرٍو في حديثه: «اللهمّ! صَلِّ عَلَىٰ محمد النبيّ الأُمِّيِّ، وعَلَىٰ آل محمد»[١].

١٣٨٨ ـ وفي رواية أَبي سَعِيد الْخُدْرِي: «اللهمّ! صلِّ عَلَىٰ محمدٍ عَبْدِك ورسولِك...»[٢] وذكر معناه.

١٣٨٩ ـ حدثنا[٣] القاضي أبو عبد الله التميمي سماعاً عليه، وأَبو عليّ: الحَسَنُ بنِ طَرِيف النحْوي بقراءتي عليه؛ قالا: حدثنا أبو عبد الله بن سَعْدُون الفقيهُ، حدثنا أَبو بكر المُطَوِّعي، حدثنا أبو عبد الله الحاكم، عن أبي بكر بن أبي دارِم الحافظ، عن عليّ بن أحمد العِجْلي، عن حَرْب بن الحَسَن، عن يحيىٰ بن المُساوِر، عن عَمْرو بن خالد (١٣١/أ) عن زَيْد بن عليّ بن الْحُسين [عن أبيه علي، عن أبيه الحسين،] عن أَبيه عليّ بن أَبي طالب؛ قال: عَدَّهُنَّ في يَدِي رَسُولُ الله ﷺ، وقال: «عَدَّهُنَّ في يدي جبريلُ، وقال: هكذا نزلَتْ من عند ربِّ العزَّة؛ اللهمَّ! صَلِّ عَلَىٰ محمد، وعَلَىٰ آلِ محمد، كما صليتَ علىٰ إبراهيم، وعَلَىٰ آل إبراهيم، إنك حَمِيدٌ مجيد، اللهم! بارك علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد[٤]. اللَّهُمَّ وَتَرَحَّمْ عَلَىٰ محمد، وعَلَىٰ آلِ محمدٍ، كما ترحَّمْتَ علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حَمِيد مَجِيد.

اللهمّ! وتحنَّنْ عَلَىٰ محمدٍ، وعَلَىٰ آلِ محمد، كما تَحَنَّنْتَ عَلَىٰ إبراهيم، وعَلَىٰ آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مَجِيد، اللَّهُمَّ! وَسَلِّمْ علىٰ محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما سلمتَ على إبراهيمَ، وعلى آلِ إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٩٨١)، وأصل الحديث في صحيح مسلم برقم (٤٠٥)، وقد تقدم برقم (١٣٨٥). (عقبة بن عمرو): هو البدري، أبو مسعود الأنصاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٥٨).

(٣) في الأصل: «قال»، والمثبت من المطبوع.

(٤) قوله «اللهم بارك.... حميد مجيد» لم يرد في المطبوع.

(٥) أسنده المصنف من طريق أبي عبد الله الحاكم في معرفة علوم الحديث ص(٣٢ ـ ٣٣). وهو حديث مسلسل بالعدِّ في اليد. وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في المعرفة، =

١٣٩٠ ـ وعن أَبي هريرة ، عن النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَكْتَالَ بالمِكْيَال الأَوْفَىٰ إذا صلَّىٰ علينا أهلَ البيتِ فليقُلْ: اللهمَّ! صَلِّ على محمدٍ ، النبيِّ ، وأزواجِهِ أمهات المؤمنينَ ، وذُرِّيتهِ ، وأَهْلِ بيته ، كما صليتَ علىٰ إبراهيم ، إنك حَميد مَجِيد»[١] .

١٣٩١ ـ وفي رواية زَيْد بن خارجةَ الأنصاري: سألتُ النبيَّ ﷺ: كيف نُصَلِّي عليك؟

فقال: «صلُّوا عليَّ[٢] واجتهدُوا في الدعاء ، ثم قولوا: اللهمَّ! باركْ علىٰ محمد ، وعلىٰ آل محمد ، كما باركت علىٰ إبراهيم إنك حَمِيد مجيد»[٣] .

١٣٩٢ ـ وعن سَلامةَ الكِنْدِي: كان عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ يعلِّمُنا الصَّلاة علىٰ النبيِّ ﷺ فيقول: اللهمَّ! داحِيَ المَدْحُوَّات ، وبارِىءَ المَسْمُوكاتِ ، اجْعَلْ شرائفَ صَلَوَاتِك ، ونَوَامِيَ بركاتِك ، ورَأْفَةَ تَحَنُّنِك علىٰ محمد ، عَبْدِكَ ورسولِك ، الفاتِح لما أُغْلِق ، والخاتِمِ لِمَا سبقَ ، والمُعْلِنِ الحقَّ بالحقِّ ، والدامِغ لجَيْشاتِ الأباطِيل ، كما حُمِّلَ ، فاضْطَلَعَ بأَمْرِك لطاعتك ، مستَوْفِزاً في مَرْضَاتكَ ، واعِياً لِوَحْيك ، حافظاً لِعَهْدِك ، ماضياً علىٰ نَفَاذِ أمرِكَ ، حتى أَوْرَىٰ قَبَساً لقابسٍ ، آلاَءُ اللهِ تَصِلُ بأَهله أَسبابَهُ . (١٣١/ب) به هُدِيَتِ القلوبُ بعد خَوْضَاتِ الفِتَنِ وَالإثمِ ، وأَبْهَج مُوضِحَاتِ الأعلام ، ونائراتِ الأحكام ، ومُنيراتِ الإسلام؛ فهو أَمينُك المأمونُ ، وخازِنُ عِلْمِك المَخْزُونِ ، وشَهِيدُكَ

= والديلمي في مسنده ، وابن بشكوال ، وأبو الفيض الفاداني في العجالة في الأحاديث المسلسلة برقم (٩١) وغيرهم من أهل المسلسلات. وفي سنده ثلاثة ضعفاء ، وبعضهم نسب إلىٰ الوضع والكذب. وقال ابن حجر في أماليه: «اعتقادي أنه موضوع». وقال الحافظ العراقي: «ضعيف جداً». وقال السيوطي: «غاية ما يقال فيه إنه ضعيف».

(١) أخرجه أبو داود (٩٨٢) ، وفي سنده حبان بن يسار الكلابي. قال الحافظ في التقريب: «صدوق اختلط» وانظر القول البديع ص (٦٧).

(٢) قوله: «عَلَيَّ» ، لم يرد في المطبوع.

(٣) أخرجه النسائي ٣/ ٤٩ ، وأحمد ١/ ١٩٩ وغيره ، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٥٠٣٣).

يوم الدِّين ، وبَعِيثُكَ نِعمةً ، ورَسُولُك بالحقِّ رحمةً ؛ اللهمّ! افسحْ له في عَدْنِكَ ، واجْزِه مضاعَفَاتِ الخيرِ مِنْ فضلك ، مُهَنَّئَاتٍ له غير مُكَدِّرَات ، مِنْ فَوْزِ ثوابِكَ المحلولِ ، وجزيل عَطَائِك المعلول.

اللهمّ! أَعْلِ علىٰ بناءِ الناس بِنَاهُ ، وأَكرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْك ونُزُلَهُ ، وأَتِمَّ له نورَه ، واجْزِه مِن ابتعاثك له مقبولَ الشهادةِ ، ومَرْضيَّ المَقَالَةِ ، ذا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وخُطَّةٍ فَصْلٍ ، وبُرْهانٍ عظيم(١).

١٣٩٣ ـ وعنه أيضاً في الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ، وسعيد بن منصور ، والطبري ، والطبراني وغيره. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط ، وسلامة الكندي روايته عن علي مرسلة ، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقال ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب ٣/ ٥٠٩: «في إسناده نظر. قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي: سلامة الكندي هذا ، ليس بمعروف ، ولم يدرك علياً ، كذا قال» وضعَّف إسناده السخاوي في القول البديع ص (٦٩) وسكت عنه الحافظ في الفتح ١١/ ١٥٨. (داحي المدحوَّات) وروي: «المَدْحيَّات» الدَّحْوُ: البسط ، والمدحُوَّاتُ: الأَرَضُونَ/ النهاية. (بارىء المسموكات): أي خالق السماوات السبع. (شرائف): جمع شريفة ، وهي العالية ، الرفيعة المقدار. (نوامي): زيادات. (دامغ جيشات الأباطيل): أي مهلكها. و(الجيشات): جمع جَيْشَةٍ ، وهي المرة من جاشَ إذا ارتفع. (اضْطَلعَ): نهض. (مستوفزاً): أي مُسْرِعاً مستعجلاً في طاعتك. (واعياً لوحيك): وعىٰ الحديث: فهمه وحفظه. (حتى أَوْرَىٰ قبساً لقابسٍ): أي أظهر نوراً من الحق لطالب هُدىً. (آلاءُ الله): نِعَمُهُ. (تصل بأهله أسبابَهُ): أي وسائِلَهُ التي قدرها ، وذرائِعَهُ التي قررها ، وفي اللوح المحفوظ حررها. وفي أصل الدَّلَجيِّ: «لقابسٍ آلاءِ الله» بالإضافة ، أي: لمبتغي سوابغ نعمه ، ومواكب كرمه.

(أبهج): أنار وأشرق. وفي المطبوع: «أنهج»: أي أوضح وبين. (موضحات): جمع موضحة. اسم فاعل من الإيضاح وهو الكشف والبيان. (الأعلام): جمع عَلَم ، وهو العلامة و ـ الجبل ـ وشيء منصوب في الطرق يهتدىٰ به. (نائرات): جمع نائرة: ظاهرة واضحة. (منيرات): مظهرات. (شهيدك): فعيل بمعنى فاعل: أي شاهد. (بعيثك): أي مبعوثك الذي بعثته إلىٰ الخلق ، أي أرسلته ، فعيل بمعنىٰ مفعول (عَدْنك): جنتك. ومعناها دار الإقامة والخلود. (المحلول): اسم مفعول. من حلّ المكان ، إذا نزل. أي الكائن في الجنة. (المعْلول): المضاعَف: أي عطاءً بعد عطاء. (خطة فصْل): أي أمر فاصل بين الحق والباطل. وانظر شرح هذا الأثر في القول البديع ص (١٤٥).

عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

لبَّيْكَ اللهمَّ! [ربِّي] وسَعْدَيْك، صلواتُ اللهِ البَرِّ الرَّحيم، والملائكةِ المقرَّبين، والنبيّين والصِّدِّيقين، والشّهداءِ والصالحين، وما سبَّح لكَ من شيء يا ربّ العالمين! علىٰ محمد بن عَبْد الله، خاتم النبيِّين، وسيِّدِ المرسلين، وإمامِ المتَّقين، ورسولِ ربِّ العالمين؛ الشاهِد البشير، الداعِي إليك بإذْنِكَ، والسراجِ المُنير؛ وعليه السلام[١].

١٣٩٤ ـ وعن عبد الله بن مسعود: اللهمَّ! اجعَلْ صَلَوَاتِكَ وبركاتِكَ ورَحْمتَكَ علىٰ سيِّدِ المرسلين، وإمامِ المتَّقين، وخاتَمِ النبيِّين، محمدٍ عَبْدِك ورسُولِك؛ إمامِ الخير، ورسُول الرحمةِ.

اللهمَّ! ابْعَثْهُ مَقَاماً محموداً يَغْبِطُه فيه الأوَّلون والآخِرُونَ.

اللهم! صَلِّ علىٰ محمَّدٍ، وعلىٰ آل مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علىٰ إبراهيم، وآل إبراهيم[٢]، إنك حَمِيد مجيد؛ وبارِكْ علىٰ مُحمد، وعلىٰ آل محمدٍ، كما باركْتَ علىٰ إبراهيمَ، وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حَميد مَجيد[٣].

١٣٩٥ ـ وكان الحَسَنُ البَصْري يقول: مَنْ أَراد أَنْ يشربَ بالكأسِ الأَوْفَىٰ من حَوْضِ المصْطَفىٰ فليَقُلْ: اللهمّ! صَلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آله، وأَصحابِه، وأولادِه، وأزواجِهِ، وذرِّيَّتِه، وأَهل بيته، وأَصهارِه، وأَنْصارِه وأَشياعِه[٤] (١٣٢/أ) وَمُحِبِّيْهِ وأمَّتِه؛ وعلينا، معهم أجمعين. يا أرحمَ الرَّاحمين![٥]

---

(١) قال السخاوي في القول البديع ص (٧٠): «رويناه من حديثه ـ أي من حديث علي ـ في الشفا، لكن لم أقف على أصله».

(٢) قوله: «وآل إبراهيم»، لم يرد في المطبوع.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩٠٦)، وعبد الرزاق (٣١٠٩)، وهو موقوف علىٰ عبد الله بن مسعود. وفي زوائد البوصيري: «رجاله ثقات، إلا أن المسعودي اختلط بآخر عمره...»، وحسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٥٠٥) والسخاوي في القول البديع ص (٧٥)، وقال مَغْلطاي: إنه صحيح، وسيأتي برقم (١٣٩٨).

(٤) الأشياع: الأتباع والأنصار.

(٥) عزاه السخاوي في القول البديع ص: (٧١) للنميري.

١٣٩٦ ـ وعن طاووس، عن ابْن عبَّاس. أنه كان يقول: اللهمَّ! تقَبَّل شفاعةَ محمد الكبرىٰ، وارفَعْ دَرَجَتَه العُلْيَا، وآتِه سُؤْلَه في الآخرةِ والأُولىٰ، كما آتيتَ إبراهيم وموسىٰ[١].

١٣٩٧ ـ وعن وُهَيب بن الوَرْد[٢] أنه كان يقول في دُعائه: اللهمَّ! أَعْطِ محمداً أَفضلَ ما سألكَ لنفسه، وأَعْطِ محمداً أَفضلَ ما سألكَ له أَحدٌ مِنْ خَلْقك، وأَعْطِ محمداً أفضلَ ما أَنْتَ مسؤول له إلىٰ يوم القيامةِ.

١٣٩٨ ـ وعن ابنِ مسعود [رَضِيَ الله عنه] أنه كان يقولُ: إذا صلَّيْتُم علىٰ النبيّ ـ عليه السلام ـ فأَحْسِنُوا الصلاةَ عليه؛ فإنكم لا تَدْرُونَ، لعَلَّ ذلك يُعْرَضُ عليه؛ وقولوا: اللهمّ! اجْعَلْ صلواتِكَ ورَحْمَتَكَ وبركاتِك علىٰ سيّد المُرْسلين، وإمامِ المتقين، وخاتم النبيين، محمدٍ عَبْدِكَ ورسولِك، إمامِ الخير، وقائد الخير، ورَسُولِ الرحمة.

اللهم! ابعثْه مقاماً محموداً، يَغْبِطُه فيه الأوّلون والآخِرُون؛ اللهمَّ! صَلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صلَّيْتَ علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيمَ[٣]، إنك حَمِيدٌ مجيد.

اللهمَّ! بارِكْ علىٰ محمّد وعلىٰ آلِ محمد، كما باركْتَ علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم[٣] إنكَ حميد مجيد[٤].

وما يُـؤثَـرُ في تطويل الصلاة، وتكثير الثناءِ علىٰ أهل البيت، وغيرهم، كثير.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣١٠٤)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ برقم (٥٢). قال ابن كثير في التفسير ٣/٥١٣: «إسناده جيد قوي صحيح»، وتابعه على هذا القول السخاوي في القول البديع ص: (٧١).

(٢) ثقة، عابد، من الحكماء، من أهل مكة. كان من أقران إبراهيم بن أدهم. كان اسمه عبد الوهاب فصغّر، فقيل: وهيب. توفي بمكة سنة (١٥٣) هـ. انظر التهذيب والأعلام.

(٣) قوله: «وعلى آل إبراهيم»، لم يرد في المطبوع.

(٤) تقدم برقم (١٣٩٤).

١٣٩٩ ـ وقولُه: «والسلامُ كما قد عَلِمْتُمْ»[١] هو ما علَّمَهم اللهُ في التَّشَهُّد من قوله: «السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ! وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاتُه، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين».

١٤٠٠ ـ وفي تشهُّد عليّ ـ رضي الله عنه ـ: السلامُ علىٰ نبيِّ الله ـ ﷺ ـ السلامُ علىٰ أنبياءِ الله ورُسُله، السلامُ علىٰ رسول الله، السلامُ علىٰ محمد بن عبد الله، السلام علينا، وعلىٰ المؤمنين والمؤمنات، مَنْ غاب منهم ومن شَهِد.

اللهم! اغفِرْ لمحمدٍ، وتقبَّلْ شفاعتَه، واغْفِرْ لأَهْلِ بَيْتِه، واغفِرْ لي ولِوالديّ[٢] وما وَلَدَا، وارحمهما.

السلامُ علينا وعلى عِبَادِ اللهِ الصالِحين، السلامُ (١٣٢/ب) عليكَ، أيُّها النبيُّ! ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

جاء في هذا الحديث عن علي ـ رضي الله عنه ـ: الدعاءُ للنَّبيِّ ﷺ بالغفران.

وفي حديث الصلاةِ عليه أيضاً قَبْلُ: الدعاءُ له بالرحمة؛ ولم يأْتِ في غيره من الأحاديث المرفوعة المعروفة.

وقد ذهب أبو عُمَرَ بنُ عبد البرِّ، وغَيرُه إلىٰ أنه لا يُدْعَى للنبي ـ ﷺ ـ بالرحمة؛ وإنما يُدْعَىٰ له بالصلاةِ والبركةِ التي تختصُّ به، ويُدْعَىٰ لغيره بالرحمة والمغفرة[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٥) من حديث أبي مسعود البَدْرِيِّ: عُقْبَةَ بن عمرو. وقد تقدم برقم (١٣٨٥).

(٢) قال السخاوي في القول البديع ص: (١٠٢): «قاله علي رضي الله عنه على طريق التعليم للمَتَشهِّدِ، لا أنه دعا لوالديه به، إذ قد صحَّ في الحديث موت أبيه كافراً، أفاده المِزِّيُّ».

(٣) جواز الترحم علىٰ النبي ﷺ هو قول الجمهور. نصَّ علىٰ ذلك ابن كثير في تفسير سورة الأحزاب ٣/ ٥٠٩. وقد عدَّ النووي استحباب ذلك بدعة لا أصل لها. فقد قال في الأذكار عقب الحديث (٣٦٠) بتحقيقي: «وأمّا ما قاله بعض أصحابنا، وابن أبي زيد المالكي من =

١٤٠١ ـ وقد ذكر أبو محمدِ بن أبي زَيْد في الصلاة علىٰ النبيّ ﷺ: اللهمَّ! ارْحَمْ محمداً ، وآل محمدٍ ، كما تَرَحَّمْتَ علىٰ إبراهيم ، وعلىٰ آلِ إبراهيم.

ولم يأتِ هذا في حديث صحيح. وحجّتُه قوله في السلام: «السلامُ عليكَ أيّها النبيُّ! ورحمةُ اللهِ وبَـرَكاتُـهُ».

فصل

فِـيْ فَضِيْلَـةِ الصَّـلاَةِ علـىٰ النَّبِـيِّ ﷺ وَالتَّسْلِيْـمِ عَلَيْـهِ وَالدُّعَـاءِ لَـهُ

١٤٠٢ ـ أخبرنا أحمد بن محمد[1] الشيخُ الصالح من كتابه ، حدثنا القاضي يونس بن مُغِيث ، حدثنا أبو بكر بن مُعَاوِية ، حدثنا النَّسائي ، حدثنا سُوَيد بنُ نصر ، حدثنا عبد الله ، عن حَيْوَة بن شُرَيح؛ قال: أخبرني كَعْبُ بن عَلْقَمَة أنه سَمِع عبد الرحمن بن جُبير: مَوْلىٰ نافع ، أنه سمع عبد الله بن عَمْرٍو[2] يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا سمعتُم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول ، وصَلُّوا علـيَّ؛ فإنـه مَنْ صلَّىٰ علـيَّ مـرة [واحـدة] صلَّىٰ اللهُ عليه بها عَشْراً؛ ثم سَـلُوا الله لي الوسيلةَ ، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تَـنْـبَـغِي إلاَّ لِعَـبْـدٍ مِنْ عِبَـادِ اللهِ ، وأَرجـو أَنْ أكون أنـا هو؛ فمن سـأَلَ الله لي الوسيـلة حلَّـتْ عليه الشَّـفاعـةُ»[3].

= استحباب زيادة علىٰ ذلك وهي: «وارحم محمداً وآل محمد» فهذا بدعة لا أصل لها. وقد بالغ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه: «شرح الترمذي» في إنكار ذلك ، وتخطئة ابن أبي زيد في ذلك ، وتجهيل فاعله. قال: لأن النبي ﷺ علمنا كيفية الصلاة عليه ﷺ ، فالزيادة علىٰ ذلك استقصار لقوله ، واستدراك عليه ، وبالله التوفيق».

(١) في الأصل زيادة: «بن» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في الأصل: «عبد الله بن عمر» ، والمثبت من المطبوع ، وهو الصواب.

(٣) أسنده المصنف من طريق النسائي (٢/ ٢٥). وأخرجه أيضاً مسلم (٣٨٤). وقد تقدم برقم (٥٩٦).

١٤٠٣ ـ وعَنْ أَنس بن مالِك أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ صلَّىٰ عَلَيَّ صلاةً، صلَّىٰ اللهُ عليهِ عَشْرَ صَلَواتٍ، وحطَّ عنه عَشْرَ خَطِيئاتٍ، ورفعَ له عَشْرَ درجاتٍ»(١).

١٤٠٤ ـ وفي رواية: «وكتب له عَشْرَ حَسَناتٍ»(٢).

١٤٠٥ ـ وعن أَنَس، عنه عليه السلام: «إنَّ جبريل نادَاني، فقال: مَنْ صلَّىٰ عليكَ صلاةً صلَّىٰ اللهُ عليه عشراً، ورفَعه عَشْر درجاتٍ»(٣).

١٤٠٦ ـ وفي(٤) روايةِ عبد الرحمن بن عوف، عنه عليه السلام: «لقيتُ جبريلَ فقال [لي]: إني أُبشِّركَ أَنَّ الله [تعالىٰ] يقول: مَنْ سلَّم عليكَ سلَّمتُ عليه، ومَنْ صَلَّىٰ عليك صَلَّيتُ عليه»(٥).

١٤٠٧ ـ ونَحْوُه مِنْ روايةِ أَبي هريرة(٦).

١٤٠٨ ـ ومالكِ بن أَوْسِ بن الحَدَثانِ(٧).

---

(١) أخرجه النسائي (٣/ ٥٠) وغيره، وصححه ابن حبان (٢٣٩٠) موارد، والحاكم (١/ ٥٥٠)، ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر: «رواته ثقات». وتمام تخريجه في الموارد.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٢) من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٠): «ورجاله رجال الصحيح، غير ربعي بن إبراهيم، وهو ثقة مأمون» وانظر سنن الترمذي (٤٨٤)، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٣) أخرجه البزار (٣١٥٩) وغيره، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٦١: «فيه سلمة بن وردان، وهو ضعيف». وانظر القول البديع للسخاوي ص: (١٥٨).

(٤) في المطبوع: «ومن».

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٩١)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ برقم (٧)، وصححه الحاكم (١/ ٥٥٠)، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨٧): «رجاله ثقات».

(٦) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٦٤٢)، وفي إسناده سلمة بن وردان. قال في التقريب: «ضعيف». لكن للحديث شواهد تقويه.

١٤٠٩ ـ وعُبيد الله[١] بن أبي طَلْحةَ[٢].

١٤١٠ ـ وعن زَيد بن الحُباب: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول[٣]: «مَنْ قال: اللهمَّ! صَلِّ علىٰ محمدٍ، وأَنْزِله المُنْزَلَ المُقَرَّبَ عندكَ يوم القيامة، وجبَتْ له شفاعتي»[٤].

١٤١١ ـ وعن ابن مسعود: «أَوْلىٰ الناسِ بي يومَ القيامة أكثَرُهم عليَّ صلاةً»[٥].

١٤١٢ ـ وعن أبي هُريرة (١٣٣/أ) عنه عليه السلام: «مَنْ صَلَّىٰ عليَّ في كتابٍ لم تَزَلِ الملائكةُ تستَغْفِرُ له ما بقي اسْمِي في ذلكَ الكتاب»[٦].

١٤١٣ ـ وعن عامر بن ربيعةَ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ صلَّى عليّ

---

(١) هكذا في الأصل والمطبوع: «عبيد الله» مصغراً. وفي نسخة: «عبد الله» مكبراً، وهو الصواب. وهو عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري. أُمُّه: أُمُّ سُلَيم والدةُ أنس بن مالك. وأبوه: أبو طلحة الأنصاري. زيد بن سهل. قال ابن حجر: مات بالمدينة سنة (٨٤) هـ.

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٤٤، ٥٠) وغيره من حديث عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، عن أبيه، وصححه ابن حبان (٢٣٩١) موارد، والسيوطي في المناهل (١٠٨٣)، والحاكم ٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، ووافقه الذهبي، وتمام تخريجه في الموارد. وسيأتي برقم (١٤١٥).

(٣) هكذا في الأصل والمطبوع: «وعن زيد بن الحُباب سمعت النبي ﷺ»، وهو خطأ. صوابه: «وعن رُوَيْفعِ بن ثابت الأنصاري سمعتُ النبيَّ ﷺ». لأنه صحابيُّ هذا الحديث كما يتبين من مصادر التخريج. أما زيد بن الحباب فهو أحد رجال السند في هذا الحديث، وهو من الطبقة التاسعة، مات سنة (٢٠٣) هـ. وقد نبَّه على هذه الخطأ السخاوي في القول البديع ص (٦٦).

(٤) رواه البزار (٣١٥٧)، والطبراني في الكبير والأوسط وغيره من حديث رُوَيْفعِ بن ثابت الأنصاري. قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٠٤: «وبعض أسانيدهم حسن». وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٦٣: «وأسانيدهم حسنة». وأخرجه أيضاً أحمد ٤/ ١٠٨. وقال عنه ابن كثير في التفسير ٣/ ٥١٣: «وهذا إسناد لا بأس به».

(٥) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وصححه ابن حبان (٢٣٨٩) موارد. ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٢٢٤٩). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وتبعه علىٰ ذلك البغوي في شرح السنة (٣/ ١٩٧). وانظر تمام تخريجه في الموارد.

(٦) تقدم برقم (١٣٨٠).

صَلاةً صلَّتْ عليه الملائكةُ ما صلَّىٰ عليّ ، فَلْيُقلِلْ مِنْ ذلك عَبْدٌ أَوْ فلْيُكْثِر»[١] .

١٤١٤ ـ وعن أُبيِّ بن كعْبٍ: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهب رُبُعُ الليل قام فقال: «يا أيها الناسُ! اذْكُرُوا الله ، جاءت الرَّاجفةُ ، تتبعُها الرادفةُ ، جاء الموتُ بما فيه» .

فقال أُبيُّ بن كعبٍ: يا رسولَ الله! إني أُكثِرُ الصلاةَ عليك ، فكم أجعلُ لكَ مِنْ صَلاتي؟

قال: «ما شِئْتَ». قال: الرُّبعَ؟ قال: «ما شئتَ ، وإنْ زِدْتَ فهو خَيْر لك»[٢]. [قال: الثلثَ؟ قال: «ما شئتَ ، وإنْ زِدْتَ فهو خَير»].

قال: النصفَ؟ قال: «ما شئتَ ، وإنْ زِدْتَ فهو خير لك»[٢] .

قال: الثلثين؟ قال: «ما شئتَ ، وإن زِدْتَ فهو خير لك[٢]». قال: يا رسولَ الله! أفأَجْعَلُ صلاتي كلَّها لك؟ قال: «إذاً تُكْفَىٰ ويُغْفَرُ ذَنْبُك»[٣] .

١٤١٥ ـ وعن أَبي طَلْحةَ: دخلتُ علىٰ النبيّ ﷺ فرأيتُ من بِشْره وطَلاَقَتِه ما لم أَرَهُ قطُّ[٤]، فسألتُه ، فقال: «وما يمنَعُني؟! وقد خرج جبريلُ آنفاً ، فأتاني ببشارة مِنْ ربِّي عزَّ وجَلَّ ، قال: إنَّ الله بعثني إليكَ أُبشّرك أنه ليس أحدٌ من

---

(١) أخرجه ابن ماجهْ (٩٠٧) ، وأحمد (٣/ ٤٤٥) ، وعبد الرزاق (٣١١٥) ، وحسَّن إسناده السيوطي في المناهل (١٠٨١) ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٠٠: «وهذا الحديث حسن في المتابعات ، والله أعلم» وحسنه أيضاً الحافظ ابن حجر كما في القول البديع ص: (١٦٩). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: «إسناده ضعيف لأن عاصم بن عبيد الله قال فيه البخاري وغيره: منكر الحديث».

(٢) كلمة: «لك»، لم ترد في المطبوع.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧) ، وغيره. وصححه الحاكم (٢/ ٤٢١) ، ووافقه الذهبي. وحسَّنه الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٨ ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». (قام): أي من نومه. (الراجفة): النفخة الأولىٰ التي يموت لها الخلائق. (الرادفة): النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة. وأصل الرَّجْف: الحركة والاضطراب/ النهاية. (تكفىٰ): أي همك كما في مصادر التخريج.

(٤) كلمة: «قطُّ» ، لم ترد في المطبوع.

أُمَّتِكَ يصلّي عليكَ مرة(١) إلا صلَّىٰ اللهُ عليه ، وملائكتهُ بها عَشْراً»(٢) .

١٤١٦ ـ وعن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال النبيُّ ﷺ : «مَنْ قال حين يسمعُ النداء : اللهمَّ! ربَّ هذهِ الدعوةِ التامة! والصلاة القائمة ، آتِ محمداً الوَسِيلَةَ والفَضِيلة ، وابعَثْه مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَه ، حَلَّتْ له الشفاعةُ يوم القيامة»(٣) .

١٤١٧ ـ وعن سَعْد بن أبي وقَّاص : «مَنْ قال حين يسمَعُ النداءَ ـ أو(٤) المُؤَذِّنَ ـ : وأنا أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له ، وأَنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُه ، رضيتُ باللهِ رباً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ، غُفِرَ لَهُ»(٥) .

١٤١٨ ـ وروىٰ ابْنُ وهْبٍ أَنْ النبيَّ ﷺ قال : «مَنْ سلَّم عليَّ عَشْراً فكأنما أَعتقَ رقبَةً»(٦) .

١٤١٩ ـ وفي بَعْضِ الآثار : «لَيَرِدَنَّ عليَّ أَقوامٌ ما أعرفُهم إلا بكَثْرةِ صلاتهم عليَّ»(٧) .

١٤٢٠ ـ وفي آخَر : «إنَّ أَنجاكم يَوْمَ القيامةِ مِنْ أهوالِها (١٣٣/ب) ومَوَاطِنها أَكثَرُكم عليَّ صلاةً»(٨) .

١٤٢١ ـ وعن أَبي بكر رضي الله عنه : الصلاةُ علىٰ النبيّ ﷺ أَمْحَقُ للذنوب من الماءِ البارِدِ للنار ؛ والسلامُ عليه أفضلُ مِنْ عِتْق الرِّقَاب(٩) .

---

(١) كلمة : «مرة» ، لم ترد في المطبوع .
(٢) تقدم تخريجه برقم (١٤٠٩) .
(٣) أخرجه البخاري (٦١٤) .
(٤) قوله : «النداء أو» ، لم يرد في المطبوع .
(٥) أخرجه مسلم (٣٨٦) .
(٦) أورده السيوطي في المناهل (١٠٨٥) ، ولم يخرجه . وهو في القول البديع ص : (١٠٢) .
(٧) قال السخاوي في القول البديع ص : (١٨٢) : «لم أقف على سنده» .
(٨) رواه الأصبهاني في ترغيبه عن أنس/ المناهل (١٠٨٧) .
(٩) رواه النميري وابن بشكوال وابن عساكر وغيره . قال السخاوي في القول البديع ص : (١٧٧) : «سنده ضعيف» .

فصل

في ذَمِّ مَنْ لَمْ يُصَلِّ علىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَإِثْمِهِ

١٤٢٢ ـ حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رَحِمه الله ، حدثنا أبو الفضل بن خَيْرون ، وأبو الْحُسَين الصَّيْرفي ؛ قالا[(١)]: أخبرنا أبو يَعْلىٰ ، أخبرنا السِّنْجِيّ ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عيسىٰ[(٢)] ، حدثنا أحمد[(٣)] بن إبراهيم الدَّوْرقي ، حدثنا رِبْعيّ بن إبراهيم ، عن عَبْد الرحمن بن إسحاق ، عن سَعِيد بن أبي سَعِيد ، عن أبي هُريرة ؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ ، ورَغِمَ أَنْفُ رجُلٍ دخلَ رمضانُ ثم انسلخَ قَبل أَنْ يُغْفَرَ له ، ورَغِمَ أَنْفُ رجل أدركَ عِنْدَه أَبَوَاهُ الكِبَرَ فلم يُدْخلاه الجنة».

قال عبد الرحمن: وأظنُّه قال: **«أو أحدهما»**[(٤)].

١٤٢٣ ـ وفي حديث آخَر: أَنَّ النبيَّ ﷺ صَعِد المِنْبر فقال: «آمين» ، ثم صعد ، فقال: «آمين» ثم صعد فقال: «آمين» ، فسأله معاذُ بن جبل عن ذلك ، فقال: **«إنَّ جبريل ـ عليه السلام ـ أتاني فقال: يا محمد! مَنْ سُمِّيتَ بين يَدَيْه فلم يُصَلِّ عليكَ فمات فدخل النار ، فأبعده الله ؛ قل: آمين ؛ فقلتُ: آمين».**

وقال فيمن أدركَ رمضانَ فلم يُقْبَل منه فمات مِثْلَ ذلك.

ومَنْ أَدركَ أبويه ـ أو أحدهما ـ فلم يَبرَّهما فمات مثله[(٥)].

---

(١) في الأصل: «قال» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في الأصل: «أبو علي» ، وهو تحريف. وأبو عيسىٰ هو الترمذي صاحب السنن.

(٣) في الأصل: «محمد» ، وهو تحريف. والمثبت من المطبوع وسنن الترمذي (٣٥٤٥).

(٤) أسنده المصنف من طريق أبي عيسىٰ الترمذي (٣٥٤٥). قال الترمذي: «حديث حسن غريب. . .» وقد تقدم برقم (١٣٦٩). (رغم) تقدم شرحها عند الحديث (١٣٦٩).

(٥) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة. قال ابن القيم في «جلاء الأفهام» ص(٣٨٣): «ولا ريب أن الحديث بتلك الطرق المسندة يفيد الصحة». وقد خرجناه في موارد الظمآن =

١٤٢٤ ـ وعن عليّ بن أَبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عنه عليه السلام ، أنه قال : «**البخيلُ ـ كُلُّ البخيل ـ الذي ذُكِرتُ عنده فلم يُـصَلِّ عَلَـيَّ**»(١) .

١٤٢٥ ـ وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**مَنْ ذُكِرتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَـيَّ أُخطِـىءَ به طريـقُ الجنـة**»(٢) .

١٤٢٦ ـ وعن عليّ بن أبي طالب ، عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال : «**إنَّ البخيلَ ـ كُلَّ البخيلِ ـ مَنْ ذُكِرْتُ عنده فلم يُصلِّ عَلَيَّ**»(٣) .

١٤٢٧ ـ وعن أبي هُريرة ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ «**أَيُّما قومٍ جلسوا مَجْلِساً ثم تفرَّقوا قَبْلَ أَنْ يَـذْكُـرُوا اللهَ ، ويُصَلُّوا عَلَىٰ النبيِّ ، ﷺ ، كانت عليهم من الله تِـرَةٌ ، إنْ شاءَ عذَّبهـم ، وإن شاءَ غَفَر لهم**»(٤) .

= (٢٠٢٨) من حديث أبي هريرة ، فانظره إذا شئت .

(١) ذكره الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٧ ـ ١٦٨ وقال : «أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان ، والحاكم وإسماعيل القاضي ، وأطنب في تخريج طرقه وبيان الاختلاف فيه ، من حديث علي ، ومن حديث ابنه الحسين . ولا يقصر عن درجة الحسن» . قلت : حديث الحسين بن علي خرجناه في موارد الظمآن (٢٣٨٨) فانظره إذا شئت .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب مرسلاً . وقال المناوي في فيض القدير ٦/ ١٢٩ : «قال القسطلاني : «حديث معلول» . ونسبه الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٨ إلىٰ ابن ماجهْ (٩٠٨) عن ابن عباس ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ، وابن أبي حاتم من حديث جابر ، والطبراني من حديث حسين بن علي ، وقال : «وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً» . وانظر القول البديع ص : (٢١٣ ـ ٢١٥)، ومجمع الزوائد (١٠/ ١٦٤) والحديث الآتي برقم (١٤٢٨) . (أُخطىء به طريق الجنة) : أي دخل النارَ .

(٣) تقدم برقم (١٤٢٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) ، وأحمد (٢/ ٤٤٦) ، وغيره ، وصححه الحاكم (١/ ٥٥٠) ، ووافقه الذهبي . ورمز لصحته السيوطي في الجامع (٢٩٨٢) ، وقال الترمذي : «حسن صحيح» ، ولتمام تخريجه انظر موارد الظمآن (٢٣٢١ ، ٢٣٢٢) . (تِرَة) أصل الترة : النقصُ ، ومعناها هاهنا : التَّبعة . قاله ابن الأثير في جامع الأصول (٤/ ٤٧٢) .

١٤٢٨ ـ وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ عَلَيَّ نَسِيَ (١٣٤/أ) طريقَ الجنَّـة»[١].

١٤٢٩ ـ وعن قَتَادَة ، عنه ـ عليه السلام ـ: «مِنَ الجفَاءِ أَنْ أُذْكَرَ عند الرجل فلا يُصَلِّي عَلَيَّ»[٢].

١٤٣٠ ـ وعن جابر ، عنه ـ عليه السلام ـ: «ما جلس قومٌ مَجْلِساً ثم تفرَّقوا علىٰ غير صلاةٍ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ إلاَّ تفرَّقوا عَنْ[٣] أَنْـتَنِ مِنْ ريح الْجِيفَـة»[٤].

١٤٣١ ـ وعن أبي سَعِيد ، عن النبيِّ ﷺ ، قال: «لا يجلسُ قومٌ مَجْلِساً لا يصلُّونَ فيه عَلَىٰ النبيِّ ﷺ إلا كان عليهم حسرةً ـ وإنْ دخلوا الجنةَ ـ لما يَرَوْن من الثواب»[٥].

١٤٣٢ ـ وحكىٰ أَبو عيسىٰ الترمذي[٦] ، عن بَعْضِ أَهْل العلم؛ قال: إذا صلَّىٰ الرجلُ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ مرّةً في المجلس أجزأَ عنه ما كان في ذلك المجلس.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب والسنن الكبرى ـ وغيره. وحسن إسناده الرشيد العطار كما في القول البديع ص (٢١٤). (نسي الصلاة): تركها. (نسي طريق الجنة): حُرِمه.

(٢) حديث مرسل. أخرجه عبد الرزاق في جامعه كما في الفتح (١١/١٦٨) والقول البديع ص: (٢١٥). قال السخاوي: «رواته ثقات»، ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٨٢١٥). وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣١٢١) من حديث محمد بن علي مرسلاً. (الجفاء): هو ترك البر والصلة ، وغلظ الطبع (فيض القدير ٦/٧).

(٣) في المطبوع: «علىٰ».

(٤) أخرجه النسائي ـ في عمل اليوم والليلة برقم (٥٨) و(٤١١)ـ وغيره، وصححه الضياء في «المختارة» وقال السخاوي في القول البديع ص (٢٢٢): «رجاله رجال الصحيح على شرط مسلم».

(٥) أخرجه الترمذي عقب الحديث (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري. ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٧٨٨٦). وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٤١٠) موقوفاً علىٰ أبي سعيد. وقد تقدم حديث أبي هريرة وحده برقم (١٤٢٧).

(٦) في سننه عقب الحديث (٣٥٤٥).

فصل

فِيْ تَخْصِيصِهِ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ بِتَبْلِيغِ [صَلاةِ] مَنْ صلَّىٰ عَلَيْهِ أَوْ سَلَّمَ مِنَ الأَنَامِ

١٤٣٣ ـ حدثنا القاضي أبو عبد الله التميميّ[1]، حدثنا الْحُسَين[2] بن محمد، حدثنا أبو عمرَ الحافظ، حدثنا ابنُ عبد المؤمن، حدثنا ابن داسَةَ، حدثنا أبو داودَ، حدثنا ابن عوفٍ، حدثنا المقرِئُ، حدثنا حَيْوَةَ[3]، عن أبي صَخْر: حُمَيد بن زِياد، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط، عن أَبي هُرَيرة [رَضِيَ اللهُ عنه] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما مِنْ أَحدٍ يُسَلِّمُ عَلَيّ إلا رَدّ اللهُ عليَّ رُوحي حتىٰ أَرُدَّ عليه السلامُ»[4].

١٤٣٤ ـ وذكر أبو بكر بن أَبي شَيْبَة، عن أبي هُريرة؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ عند قَبْرِي سمعتُه؛ ومَنْ صَلَّىٰ عليَّ نائياً بُلِّغْتُه»[5].

---

(١) في المطبوع: «حدثنا القاضي عبد الله التميمي»، والصواب ما في نسختنا. انظر ترجمته في السير (١٩/٢٦٦).

(٢) في الأصل: «الحسن»، والمثبت من المطبوع. وهو الصواب.

(٣) في الأصل: «حدثنا ابن حيوة»، والمثبت من المطبوع وسنن أبي داود.

(٤) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٢٠٤١). وأخرجه أيضاً أحمد (٢/٥٢٧)، والبيهقي في السنن ٥/٢٤٥، وصحح إسناده النووي في الأذكار برقم (٣٥٦) وفي رياض الصالحين برقم (١٤٦٢) كلاهما بتحقيقي. وقال ابن حجر: «رواته ثقات»، وحسّن إسناده في تخريج الأذكار، وتبعه علىٰ ذلك السيوطي في المناهل (١٠٩٨).

(٥) أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والبيهقي في الشعب/المناهل (١٠٩٩). ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٨٨١٢). قال المناوي في فيض القدير ٦/١٧٠: «قال ابن حجر في الفتح: سنده جيد، وهو غير جيد». وقال السخاوي في القول البديع ص (٢٢٧): «وسنده جيد كما أفاده شيخنا». وقال العقيلي: حديث لا أصل له. وقال ابن دحية: موضوع، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وفي الميزان: محمد بن مروان السدي تركوه، اتهم بالكذب، ثم أورد له هذا الخبر. وقال ابن كثير في تفسير سورة =

١٤٣٥ ـ وعن ابن مسعود(١): «إنَّ للهِ ملائكةً سيَّاحين في الأَرض يبلِّغوني عن أُمَّتي السلام»(٢).

١٤٣٦ ـ ونحوه عن أَبي هُريرة(٣).

١٤٣٧ ـ وعن ابن عُمَر: أَكثِروا من السلام عَلىٰ نبيِّكم كُلَّ جمعة؛ فإنه يُؤتَىٰ به منكم في كل جمعة(٤).

١٤٣٨ ـ وفي رواية: «فإنَّ أَحداً لا يصلِّي عَلَيّ إلا عُرِضَتْ صلاتُه عَلَيّ حينَ يَفْرُغُ منها»(٥).

١٤٣٩ ـ وعن الحسن بن عليّ، عنه ﷺ: «حيثما كنتُم فصلُّوا عَلَيّ؛ فإنَّ صلاتَكُمْ تَبْلُغني»(٦).

= الأحزاب ٣/ ٥١٥: «في إسناده نظر، تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك». واختلفت أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحكم على هذا الحديث، فحكم بوضعه في الفتاوى (٢٧/ ٢٤١)، بينما قال في الفتاوى (٢٧/ ١١٦): «في إسناده لين، لكن له شواهد ثابتة». وقال ابن القيم: «إنه غريب». (نائياً): بعيداً.

(١) تحرف في المطبوع إلى «أبي مسعود».

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ٤٣) وغيره، من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً. وصححه الحاكم (٢/ ٤٢١)، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً ابن حبان (٢٣٩٢) موارد، وهناك استوفينا تخريجه. (سيَّاحين): أي يطوفون في الأرض.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧) وغيره، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين برقم (١٤٦١) بتحقيقي، وقال الحافظ في تخريج الأذكار: «حديث حسن». ولفظ أبي داود: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً؛ وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». وسيأتي مختصراً برقم (١٤٩٢).

(٤) أورده السخاوي في القول البديع ص: (٢٣٤) وقال: «ذكره عياضٌ ولم أقف على سنده». (يؤتىٰ به): يبلغه.

(٥) أخرجه ابن ماجة (١٦٣٧) من حديث أبي الدرداء. وفي الزوائد للبوصيري: «هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع في موضعين». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٤٠٣).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٢): «فيه حميد بن أبي زينب ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح». وهو حديث حسن، حسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٨)، والحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار، =

١٤٤٠ ـ وعن ابن عباس: ليس أَحدٌ مِنْ أُمَّةِ محمد يسّلم عليه ويصلِّي عليه إلاَّ بُلِّغَه[١].

١٤٤١ ـ وذكر بعضُهم أَنَّ العَبْدَ إذا صلَّىٰ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ عُرِض عليه اسْمُه[٢].

١٤٤٢ ـ وعن الحسن بن عليّ: إذا دخلْتَ المسجِدَ فسلِّم علىٰ النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تَتَّخِذوا بيتي عِيداً، ولا تتخذُوا بُيوتكم** (١٣٤/ب) **قُبُوراً، وصلُّوا عليَّ حيثما كنتم؛ فإنَّ صلاتكم تبلُغني حيثما كنْتُم**»[٣].

١٤٤٣ ـ وفي حديث أَوْس: «**أكثِرُوا عليّ من الصلاة يوم الجمعة؛ فإنَّ صلاتكم مَعْرُوضَةٌ عليّ**»[٤].

١٤٤٤ ـ وعن سُلَيمان بن سُحَيم: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النومِ، فقلت: يا رسولَ الله! هؤلاء الذي يأتونَكَ فيسلِّمونَ عليكَ، أَتَفْقَهُ سلاَمَهم؟ فقال: نعم، وأَرُدُّ عليهم[٥].

١٤٤٥ ـ وعن ابْنِ شِهَاب: بلغَنا أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَكْثِروا من الصلاةِ**

= والسخاوي في القول البديع ص: (٢٢٦) وانظر الرواية التالية برقم (١٤٤٢).

(١) أخرجه البيهقي في الشعب وابن راهويه في مسنده/ مناهل (١١٠٤).

(٢) ورد ذلك في حديث مرفوع، رواه البزار وأبو الشيخ بن حيان، والطبراني، عن عمار بن ياسر كما في الترغيب والترهيب (٢/ ٤٩٩). قال المنذري: «رووه كلهم عن نعيم بن ضمضم، وفيه خلاف، عن عمران الحميري، ولا يعرف». وانظر الحديث التالي برقم (١٤٤٥).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٦٧٦١)، وصححه الضياء المقدسي في «المختارة»، والسيوطي في الجامع الصغير (٥٠١٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٤٧): «فيه عبد الله بن نافع، وهو ضعيف». وانظر الرواية المتقدمة برقم (١٤٣٩). (لا تتخذوا بيتي عيدا): أي لا تتخذوا قبري مظهر عيد/ فيض القدير ٤/ ١٩٩. (لا تتخذوا بيوتكم قبورا): أي لا تخلوها عن الصلاة فيها/ فيض القدير ٤/ ١٩٩.

(٤) تقدم برقم (١٣٧٠).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في حياة الأنبياءِ، والشعب، ومن طريقه ابن بشكوال/ قاله السخاوي في القول البديع ص: (٢٣٦).

عليّ في الليلة الزهراء ، واليوم الأَزْهر؛ فإنهما يؤَدِّيان عنكم ، وإنَّ الأرضَ لا تأكل أجسادَ الأنبياءِ؛ وما مِنْ مسلم يصلّي عليَّ إلا حملها مَلَك حتى يُؤَدِّيها إليّ ، ويُسمِّيه ، حتى إنه ليقولُ: إنّ فلاناً يقول كذا وكذا»[1].

فصل

فِيْ الاخْتِلافِ فِيْ الصَّلاةِ عَلىٰ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ

قال القاضي ـ وفّقه اللهُ ـ: عامّةُ أَهلِ العِلْمِ متّفِقونَ عَلَىٰ جوَازِ الصلاةِ عَلَىٰ غَيْرِ النبيّ ﷺ.

١٤٤٦ ـ ورُوِي عن ابنِ عبَّاس أَنه قال: لا تجوزُ الصلاةُ عَلَىٰ غَيْرِ النبيّ ﷺ[2].

١٤٤٧ ـ ورُوِي عنه: لا يَنْبَغِي الصلاةُ عَلَىٰ أَحَدٍ إلا النبيّين[3].

١٤٤٨ ـ وقال سُفْيَانُ: يُكْرَهُ أَنْ يُصلَّىٰ إلاَّ علىٰ نَبِيّ[4].

١٤٤٩ ـ ووجدتُ بخطّ بَعْضِ شيوخي: مذهبُ مالك أَنه لا يجوزُ أَنْ يصلَّىٰ علىٰ أحدٍ من الأنبياء سِوَىٰ محمد ﷺ ، وهذا غَيْرُ معروفٍ من مذهبه؛ وقد قال

---

(١) حديث مرسل ، أخرجه النميري كما في القول البديع ص (٢٣٥) ، وأخرجه مختصراً الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٦٩ : «فيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري ، وهو ضعيف» وقال السخاوي في القول البديع ص (٢٢٧): «لكن يتقوىٰ بشواهده». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (١٤٠٢) وعزاه إلىٰ ابن عدي عن أنس ، وسعيد بن منصور في سننه عن الحسن ، وخالد بن معدان مرسلاً. وانظر المقاصد الحسنة رقم (١٤٨).

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ، وسعيد بن منصور في سننه/ المناهل (١١٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني ، وعبد الرزاق (٣١١٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٧ وقال: «رواه الطبراني موقوفاً ، ورجاله رجال الصحيح». ونسبه الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٩ ـ ١٧٠ إلىٰ ابن أبي شيبة ، وصحح إسناده.

(٤) ذكره عبد الرزاق في المصنف (٣١١٩). عقب قول ابن عباس السابق.

مالك في «المبسوطة» ليحيىٰ بن إسحاق: أَكْرَهُ الصلاةَ علىٰ غير الأنبياء، وما ينبغي لنا أَنْ نتعدَّىٰ ما أُمِرْنا به[1].

١٤٥٠ ـ [و] قال يحيىٰ بن يحيىٰ[2]: لستُ آخُذ بقوله؛ ولا بَأْسَ بالصلاةِ علىٰ الأنبياء كلهم وعلى غيرهم؛ واحتجَّ بحديث ابن عُمر[3].

١٤٥١ ـ وبما جاءَ في حديث تعليم النبيِّ ﷺ [الصلاة عليه] وفيه: «وعلىٰ آله، وعلىٰ أزواجه»[4].

وقد وجدتُ[5] معلَّقاً عن أَبي عِمْرَان الفاسي[6]: رُوِي عن ابن عبَّاس [رضي الله عنهما] كراهة الصلاةِ علىٰ غَيْرِ النبيِّ ﷺ؛ قال: وبه نقول. ولم تكن تُستَعْمَلُ فيما مضىٰ.

١٤٥٢ ـ وقد روىٰ عبد الرزاق عن أبي هريرة [رَضِيَ الله عنه؛ قال:] قال رسولُ الله ﷺ: «صلُّوا علىٰ أنبياء اللهِ ورُسُلهِ؛ فإنَّه[7] بَعَثهم كما بعثني»[8].

---

(١) نقله ـ عن القاضي عياضٍ ـ الحافظُ ابن حجر في الفتح ١١/ ١٧٠.

(٢) هو يحيىٰ بن يحيىٰ بن كثير الليثي، فقيه الأندلس، وأحد رواة «الموطأ» عن الإمام مالك. ولد سنة (١٥٢) هـ. وتوفي سنة (٢٣٤) هـ وقيل (٢٣٣) هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٩ ـ ٥٢٥.

(٣) سيأتي حديث ابن عمر برقم (١٤٦٠).

(٤) الصلاة علىٰ أزواجه وعلىٰ آله ﷺ تقدمت فيها أحاديث برقم (١٣٨٤ ـ ١٣٩١).

(٥) في المطبوع: «وقد جاء».

(٦) هو الإمام الكبير، العلامة عالم القيروان موسىٰ بن عيسىٰ المالكي. ولد سنة (٣٦٨) هـ، ومات سنة (٤٣٠) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٤٥ ـ ٥٤٨. وفي المطبوع: «القابسي» بدل «الفاسي». وهو غلط.

(٧) في المطبوع: «فإن الله».

(٨) أخرجه عبد الرزاق في المُصَنَّف (٣١١٨) وإسماعيل القاضي وغيره. وضعف إسناده ابن كثير في تفسيره سورة الأحزاب (٣/ ٥١٦)، وابن حجر في الفتح ١١/ ١٦٩، والسيوطي في المناهل (١١١٠). وقال السخاوي في القول البديع ص (٨٠): في سنده موسىٰ بن عبيدة، وهو وإن كان ضعيفاً، فحديثه يستأنس به.

قالوا: والأَسانيدُ عن ابن عبّاس لَيِّنَةٌ[1]، والصلاةُ في لسان العرب بمعنى الترحُّم والدُّعاء؛ وذلك على الإطلاق حتى يمنَعَ منه حديثٌ صحيح أو إجماع.

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٧].

١٤٥٣ ـ وقال [النبيُّ] ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ على آلِ أَبي أَوفى». وكان (١٣٥/أ) إذا أتاه قومٌ بصدقتهم قال: «اللَّهُمَّ! صَلِّ على آلِ فُلاَن»[2].

١٤٥٤ ـ وفي حديث الصلاةِ: «اللَّهُمَّ! صلِّ على محمد، وعلى أَزواجه وذرِّيته»[3].

١٤٥٥ ـ وفي [حديث] آخر: «وعلى آل محمد»[4]: قيل: أتباعه، [وقيل: آل بيته]، وقيل: أُمَّته. وقيل: الأتباع، والرَّهْط، والعشيرة. وقيل: آلُ الرجُلِ: قومه. وقيل: ولده. وقيل: أَهْلُه الذين حُرِّمت عليهم الصَّدَقَةُ.

١٤٥٦ ـ وفي رواية أَنَس: سُئل النبيُّ ﷺ: مَنْ آلُ محمدٍ؟ قال: «كُلُّ تَقِيٍّ»[5].

---

(١) في الأصل: «كثيرة»، والمثبت من المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

(٣) تقدم برقم (١٣٨٤) وسيأتي برقم (١٤٥٩).

(٤) تقدم برقم (١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٩، ١٣٩١).

(٥) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وابن لال، وتمّام، والعُقَيْلي، والحاكم في تاريخه، والبيهقي، وابن مردويه. قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٦٩: «فيه نوح بن أبي مريم، وهو ضعيف». وقال المُناوي في فيض القدير ١/٥٦: «قال البيهقي: هو حديث لا يحل الاحتجاج به، وقال ابن حجر: رواه الطبراني عن أنس، وسنده واهٍ جداً، وأخرجه البيهقي عن جابر من قوله وإسناده ضعيف، وقال السخاوي: أسانيده كلها ضعيفة». ورمز لضعفه =

١٤٥٧ ـ ويَجِيءُ علىٰ مَذْهب الحسَن[١] أَنَّ المرادَ بآلِ محمدٍ: مُحمدٌ نَفْسُه؛ فإنه كان يَقُولُ في صلاتِه علىٰ النبي ﷺ: اللهم! اجعل صَلَوَاتِك وبركاتِك علىٰ آلِ مَحمد[٢]، يريدُ: نَفْسه؛ لأنه كان لا يُخِلُّ بالفَرْضِ، ويَأْتِي بالنَّفْلِ؛ لأنَّ الفَرْضَ الذي أمر اللهُ [تعالىٰ] به هو الصلاةُ علىٰ محمد نَفْسِه.

١٤٥٨ ـ وهذا مِثْلُ قَوْلِه عليه السلام: «لقد أُوتِيَ مِزْماراً مِنْ مَزَامِير آلِ داود»[٣]، يريدُ: مِنْ مزامير داود.

١٤٥٩ ـ وفي حديث أَبي حُمَيْد الساعديّ في الصلاة: «اللهمّ! صلِّ علىٰ محمد وأزواجِه وَذُرِّيَّتِـهِ»[٤].

١٤٦٠ ـ وفي حديث ابْنِ عُمَر أنه كان يُصَلِّي علىٰ النَّبِيِّ ﷺ، و[علىٰ] أَبي بكر وعُمر[٥]. ذكره مالكٌ في «المُوطّأ» من رواية يحيىٰ الأندلسي.

١٤٦١ ـ [والصحيحُ من رواية غيره: ويَدْعُو لأَبي بَكْرٍ وعُمرَ][٦].

١٤٦٢ ـ وروىٰ[٧] ابْنُ وَهْب، عن أَنَس بن مالك: كنّا ندعو لأَصحابنا

= السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٥)، وقال الحوت في أسنىٰ المطالب ص(١١): «أورده تمَّام والديلمي بأسانيد ضعيفة» وقال السخاوي في المقاصد الحسنة رقم (٣): «لكن له شواهد كثيرة».

(١) أي البصري.

(٢) في الأصل: «أحمد»، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٢٣٦/٧٩٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري. (لقد أوتي) أي: أبو موسىٰ الأشعري.

(٤) تقدم برقم (١٣٨٤، ١٤٥٤).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ١/١٦٦ وإسناده صحيح. وسيأتي برقم (١٤٨٠).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٥/٢٤٥) من حديث ابن بكير، حدثنا مالك، عن عبد الله بن دينار أنه قال: رأيت ابن عمر... فذكره. وصححه المصنف كما ترىٰ. وسيذكره المصنف برقم (١٤٨١) من رواية ابن القاسم والقَعْنَبِيِّ عن مالك.

(٧) في الأصل: «وعن»، والمثبت من المطبوع.

بالغَيْب؛ فنقول: اللهم! اجعَلْ منكَ علىٰ فُلان صلواتِ قومٍ أَبرارٍ، الذين يقومونَ بالليل، ويصومُون بالنهار.

قال القاضي [أبو الفضل]: والذي ذهب إليه المحققون، وأَمِيلُ إليه، ما قاله مالك وسُفْيان [رحمهما الله] ورُوِي عن ابن عباس؛ واختاره غَيْرُ واحدٍ من الفقهاء والمتكلِّمين أنه لا يُصَلَّىٰ علىٰ غير الأنبياء عند ذِكْرهم؛ بل هو شيء يختصُّ به الأنبياءُ. توقيراً لهم وتعزيزاً، كما يُخَصُّ الله تعالىٰ عند ذِكره بالتَّنزيه والتَّقْدِيس والتعظيم، ولا يشاركُه فيه غَيْرُه، كذلك يجبُ تخصيص النبيِّ ﷺ وسائرِ الأنبياء بالصلاة والتسليم (١٣٥/ب) ولا يشارِكهم[1] فيه سِوَاهم، كما أَمرَ اللهُ به بقوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ويُذْكَرُ مَنْ سِوَاهم من الأئمّةِ وغيرهم بالغُفْرانِ والرِّضَا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ...﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأيضاً فهو أمْرٌ لم يَكُنْ معروفاً في الصَّدْرِ الأول؛ كما قال أبو عِمْرانَ[2]؛ وإنما أَحدثته الرافضةُ والمتَشَيِّعة في بعض الأئمة؛ فشارَكوهم عند الذِّكْرِ لهم بالصلاة، وساوَوْهم بالنبيّ ﷺ في ذلك.

وأيضاً فإنَّ التشبُّـهَ بأَهْلِ البِدَعِ مَنْهيٌّ عنه؛ فتَجِبُ مُخَالَفَتُهم فيما التزموه من ذلك.

وذِكْرُ الصلاةِ علىٰ الآلِ والأَزواج مع النبيّ ﷺ بحُكْم التَّبَعِ والإضافة إليه لا علىٰ التخصيص.

قالوا: وصلاةُ النبيِّ [ﷺ] علىٰ مَنْ صَلَّىٰ[3] عليه مُجراها مَجرىٰ الدعاءِ

---

(١) في المطبوع: «ولا يشارك».

(٢) هو الفاسي. تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٣) فاعل «صلّىٰ» ضمير يعود على النبي ﷺ.

والمُواجهةِ [1]، ليس مِنها[2] معنى التعظيم والتوقير.

قالوا: وقد قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ [النور: ٦٣] وكذلك يجبُ [أن يكونَ] الدعاءُ له مُخالفاً لدُعاءِ الناسِ بعضهم لبعض.

وهذا اختيارُ [الإمام] أبي المظفَّر الإسْفَراييني[3] أحد[4] شُيوخنا، [وبه قال ابنُ عَبْدِ البرِّ][5].

فصل

فِيْ حُكْـمِ زِيَـارَةِ قَبْـرِهِ عَلَيْـهِ السَّـلامُ، وَفَضِيْلَـةِ مَـنْ زَارَهُ وَسَلَّـمَ عَلَيْـهِ وَكَيْـفَ يُسَلِّـمُ ويَدْعُـو [له]

وزيارةُ قَبْره ـ عليه السلام ـ سُنّةٌ من سُنَنِ المسلمين مُجْمَعٌ عليها، وفَضيلةٌ مُرَغَّبٌ فيها، رُوِيَ عن ابْنِ عُمر [رضيَ اللهُ عنه.

١٤٦٣ ـ حدثنا القاضي أبو عليّ؛ قال: حدثنا أبو الفَضْل بن خَيْرون؛ قال: حدثنا الحَسَن بن جَعْفَرٍ؛ قال: حدثنا أبو الحَسَن: علي بن عُمَر الدارَقُطْني؛ قال: حدثنا القاضي المحامِليّ؛ قال: حدثنا محمد بن عبد الرزّاقِ؛ قال: حدثنا موسىٰ بن هِلال، عن عَبد الله بن عُمر، عن نافع، عن ابن عمر رضِيَ الله عنهما؛ أنه] قال: قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ زار قَـبْري وجبَـتْ لـه شفاعتـي**»[6].

---

(١) حسن المقابلة.

(٢) في المطبوع: «فيها».

(٣) هو طاهر بن محمد الطوسي الشافعي. أحد الأعلام المفتين. توفي بطوس سنة (٤٧١) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠١ ـ ٤٠٢.

(٤) في المطبوع: «من».

(٥) هو يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي. صاحب «الإستيعاب»، و«الإستذكار»، و«التمهيد». ولد سنة (٣٦٨) هـ. ومات سنة (٤٦٣) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣ ـ ١٦٣.

(٦) أسنده المصنف من طريق الدارقطني في السنن (٢/ ٢٧٨). لكن عنده «عبيد الله بن محمد =

١٤٦٤ - وعن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ زارني في المدينة مُحْتَسِباً كان في جِوَاري، وكنتُ له شَفِيعاً يوم القيامة»(١).

١٤٦٥ - وفي حديثٍ آخر: «مَنْ زارني بعد موتي فكأنما زَارَني في حَيَاتي»(٢).

= الوراق» بدل «محمد بن عبد الرزاق». وأخرجه أيضاً البزار (١١٩٨)، وابن عدي، والبيهقي في الشعب، وابن خزيمة في صحيحه متوقفاً في ثبوته، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وأبو الشيخ. وذكره الهيثمي في المجمع ٤/٢ وقال: «رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري، وهو ضعيف». ورمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٨٧١٥)، وقال المناوي في فيض القدير ٦/ ١٤٠: «قال ابن القطان: وفيه عبد الله بن عمر العمري، قال أبو حاتم: مجهول، وموسىٰ بن هلال البصري، قال العقيلي: لا يصح حديثه، ولا يتابع عليه، وقال ابن القطان: فيه ضعيفان. وقال النووي في المجموع: ضعيف جداً، وقال الفريابي: فيه موسىٰ بن هلال العبدي. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال أبو حاتم: مجهول. وقال السبكي: حسن أو صحيح. وقال الذهبي: طرقه كلها لينة لكن يتقوىٰ بعضها ببعض [ومن أجودها إسناداً حديث حاطب الآتي برقم / ١٤٦٥] قال ابن حجر: حديث غريب.... وبالجملة فقول ابن تيمية - في الفتاوى: ٢٧/ ٢٩ -: موضوع، غير صواب». وقال السيوطي في المناهل (١١١٥): «وله طرق وشواهد حسنه الذهبي لأجلها». وللسبكي كتاب: «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ردّ به دعوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية وضع أحاديث الزيارة النبوية. وقد انتصر له ابن عبد الهادي في كتابه «الصارم المنكي». وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي رقم (١١٢٥).

(١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير (٨٧١٦) إلىٰ البيهقي في الشعب، ورمز لحسنه. وتعقبه المناوي في فيض القدير ٦/ ١٤١ فقال: «رَمْزُ المصنف لحسنه ليس بحسنٍ، ففيه ضعفاء...» وذكره - بصيغة التمريض - المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢٤

(٢) أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٧٨) من حديث هارون أبي قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢٤ إلىٰ البيهقي. ونسبه السيوطي في المناهل (١١١٧) إلىٰ سعيد بن منصور في سننه، والدارقطني (٢/ ٢٧٨) والبيهقي في السنن (٥/ ٢٤٦) والطبراني عن ابن عمر. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه حفص بن أبي داود القارىء، وثقه أحمد، وضعفه جماعة من الأئمة». وقال الذهبي - كما في المقاصد الحسنة ص(٤١٣): «ومن أجودها إسناداً، حديث حاطب...» وانظر مجمع الزوائد (٤/ ٢).

١٤٦٦ ـ وكَرِه مالك أَنْ يقَال: زُرْنا قَبْرَ النبيّ ﷺ.

١٤٦٧ ـ وقد اختُلف في معنىٰ ذلك؛ فقيل: كراهة الاسم؛ لِمَا وردَ من قَوْله عليه السلام: «لَعَنَ اللهُ زُوَّاراتِ القُبُورِ»(١).

١٤٦٨ ـ وهذا يردُّه قَوْلُهُ: «نهيتُكم عن زِيارَةِ القبور فزوروها»(٢) (١٣٦/أ).

١٤٦٩ ـ وقوله: «مَنْ زارَ قَبْري»(٣) فقد أَطلق اسْمَ الزيارة.

وقيل: إن ذلك لِمَا قِيل: إنَّ الزائرَ أَفْضَلُ من المَزُور.

١٤٧٠ ـ وهذا أَيضاً ليس بشيء؛ إِذْ ليس كلُّ زائرٍ بهذه الصفة، وليس عموماً؛ وقد وردَ في حديثِ أهلِ الجنة: زيارَتُهم لربّهم(٤)؛ ولم يُمْنَعْ هذا اللفظ في حقه تعالىٰ.

[وقال أبو عمران ـ رحمه الله ـ: إنما كَرِه مالكٌ أن يُقال: طواف الزيارة، وزُرْنا قَبْرَ النبيّ ﷺ لاستعمالِ الناسِ ذلكَ بينهم بعضهِم لبعض؛ فكرِهَ تسويةَ النبيّ ﷺ مع الناس بهذا اللفظ؛ وأحب أن يُخصَّ بأن يُقالَ: سلَّمنا علىٰ النبيّ ﷺ.

وأيضاً فإنَّ الزيارةَ مُبَاحةٌ بين الناسِ، وواجبٌ شَدُّ الرحالِ(٥) إلىٰ قبره ﷺ؛ يريد بالوجُوب هنا وجوبَ نَدْبٍ وترغيبٍ وتأكيد، لا وجوبَ فرضٍ].

---

(١) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ أبو يعلىٰ (٥٩٠٨) من حديث أبي هريرة. وأخرجه أحمد (٢/ ٣٣٧)، والترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٧٦) وغيره بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ زُوارات القبور». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه ابن حبان (٧٨٩) موارد، وهناك استوفينا تخريجه. (زُوَّارت القبور) قال السيوطي: بضم الزَّاي، جمع زُوَّارة، بمعنى زائرة. وقال القاري ٣/ ٥١٢: بفتح الزاي، أي المبالغات في زيارة القبور.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٧) من حديث بُريدة. وفي المطبوع: «نهيتم» بدل «نهيتكم».

(٣) تقدم برقم (١٤٦٣).

(٤) حديث الزيارة أخرجه الترمذي (٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦) من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: «هذا حديث غريب....».

(٥) في نسخة: «المَطِيّ».

١٤٧١ ـ والأَوْلَىٰ عندي أن مَنْعَهُ وكراهةَ مالكٍ له لإضافته إلىٰ قَبْرِ النبيِّ ﷺ؛ وأنه لو قال: زُرْنا[(١)] النبيَّ لم يَكْرهه؛ لقوله عليه السلام: «اللهمَّ! لا تجعَلْ قبري وَثَناً يُعْبَدُ بعدي، اشتدَّ غضَبُ اللهِ علىٰ قومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجدَ»[(٢)].

فحمى إضافةَ هذا اللفظِ إلىٰ القبر، والتشبّه بفعل أولئك؛ قطعاً للذَّريعة، وحَسْماً للباب. [والله أعلم].

قال إسحاقُ بن إبراهيم الفقيه: وممّا لم يَزلْ مِنْ شأنِ مَنْ حَجَّ المرورُ بالمدينة، والقَصْدُ إلىٰ الصلاة في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، والتبرُّكُ برُؤْيةِ رَوْضَتِه ومِنْبَرِهِ وقَبْرِه، ومجلسه، وملامِس يديه، ومواطىء قدميه، والعمودِ الذي كان يَسْتَنِدُ إليه، وينزل جبريل بالوَحْي فيه عليه، وبمَنْ عَمَره وقصَده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كله.

وقال ابنُ أَبي فُدَيْك[(٣)]: سمعتُ بعضَ مَنْ أَدْرَكتُ يقول: بلغَنا أنه مَنْ وقف عند قَبْر النبي ﷺ فتلاَ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ. . .﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثم قال: صلىٰ الله عليك، يا محمدُ! مَنْ يَقُولُها سبعين مرةً ناداه ملَك: صلىٰ اللهُ عليكَ يا فلان! ولم تَسْقط له حاجة.

١٤٧٢ ـ وعن يزيد بن أَبي سَعِيد المَهْري: قدمْتُ علىٰ عُمر بنِ عبد العزيز، فلما وَدَّعتُه قال لي: إليكَ حاجةٌ؛ قلت: ما هي؟ قال[(٤)]: إذا أَتيتَ المدينةَ سترىٰ قَبْرَ النبيِّ ﷺ، فأَقْرِه منّي السلام[(٥)].

---

(١) في المطبوع: «زرت».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٧٢ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً. وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة. وسيأتي برقم (١٤٩١).

(٣) هو الإمام الثقة محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فُدَيْك. قال البخاري: توفي سنة (٢٠٠) هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

(٤) قوله: «قلت: ما هي؟ قال»، لم يرد في المطبوع.

(٥) ذكره السخاوي في القول البديع ص (٣٠٤) وقال: «أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في الشُّعب».

وقال غيره: وكان يُبْرِدُ إليه البريدَ[1] من الشام.

١٤٧٣ ـ قال بعضُهم: رأيتُ أَنس بن مالك أَتَىٰ قَبْرَ النبيِّ ﷺ؛ فوقَفَ، فرفع يَدَيْهِ، حتى ظَنَنْتُ أَنَّـهُ افتتحَ (١٣٦/أ) الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف.

١٤٧٤ ـ [و] قال مالك ـ في رواية ابْنِ وَهْب ـ في الرجل[2] إذا سلَّم علىٰ النبيِّ ﷺ، وَدَعَا: يقِفُ ووَجْهُه إلىٰ القبر [الشريف] لا إلىٰ القِبْلة، ويَدْنُو، ويُسَلِّم، ولا يمسُّ القَبْرَ بيده.

١٤٧٥ ـ وقال في «المبسوط»[3]: لا أَرَىٰ أَنْ يَقِفَ عند قَبْر النبيِّ ﷺ يَدْعو، ولكِنْ يسلِّم ويَمْضِي.

١٤٧٦ ـ قال ابْنُ أَبي مُلَيْكَةَ[4]: مَنْ أَحبَّ أَنْ يقومَ وِجَاهَ النبيِّ ﷺ فليَجْعل القِنْدِيلَ الذي في القِبْلةِ عند القَبْرِ علىٰ رأسه.

١٤٧٧ ـ وقال نافع[5]: كان ابْنُ عُمر يُسلِّمُ علىٰ القَبْر؛ رأيتهُ مئةَ مرةٍ وَأكثر، يجيءُ إلىٰ القبر فيقول: السلامُ عَلَىٰ النبيِّ [ﷺ]، السلامُ علىٰ أبي بكر، السلام عَلَىٰ أبي، ثم ينصرف.

١٤٧٨ ـ [ورُئي ابْنُ عُمر واضعاً يَدَهُ علىٰ مَقْعَد النبيِّ ﷺ من المنبر، ثمّ وضعها علىٰ وجهه[6]].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشُّعب عن حاتم بن وردان. (يبرد إليه البريد): أي يرسل إليه ﷺ رسولاً يسلِّمُ عليه.

(٢) قوله: «في الرجل»، لم يرد في المطبوع.

(٣) كتاب في فقه مالكٍ، لإسماعيل القاضي.

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُليكَة. تابعي ثقة فقيه. مات سنة (١١٧) هـ. قال الذهبي: كان من أبناء الثمانين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨ ـ ٩٠.

(٥) هو أبو عبد الله المدني، مولىٰ ابن عمر، تابعي ثقة ثبت فقيه مشهور. مات سنة (١١٧) هـ أو بعد ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٩٥ ـ ١٠١.

(٦) تقدم برقم (١٣٢٧).

١٤٧٩ ـ وعن ابن قُسَيط[١] والعُتْبي[٢]: كان أصحابُ النبيِّ ﷺ إذا خلا المسجدُ جَسُّوا رُمَّانة المِنْبر التي تَلِي القَبْرَ بَمَيَامِنِهِم ، ثم اسْتَقْبَلُوا القِبلةَ يَدْعُون][٣].

١٤٨٠ ـ وفي الموطَّأ ـ من رواية يحيىٰ بن يحيىٰ اللَّيْثي ـ أنه[٤] كان يقفُ علىٰ قَبْرِ النبيِّ ﷺ فيصلِّي علىٰ النبيِّ ، و[علىٰ] أبي بكر ، وعُمرَ[٥].

١٤٨١ ـ وعند ابن القاسم والقَعْنَبي[٦]: [و]يدْعُو لأَبي بكر ، وعُمر[٧].

١٤٨١م ـ قال مالك ـ في رواية ابْنِ وَهْب ـ: يقولُ المسلِّمُ: السلام عليكَ ، أيُّها النبيُّ! ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

١٤٨١م١ ـ قال في «المبسوط»: ويُسَلِّم علىٰ أبي بكر ، وعُمر.

١٤٨١م٢ ـ قال القاضي أبو الوليد الباجي[٨]: وعندي أنه يَدْعُو للنبيِّ [ﷺ] بلَفْظِ الصلاةِ ، ولأبي بكر ، وعُمر ، كما في حديثِ ابن عُمر من الخِلاَف.

١٤٨١م٣ ـ وقال ابنُ حبيب: ويقولُ إذا دخل مسجد الرسولِ: باسم الله ،

---

(١) هو يزيد بن عبد الله بن قُسيط المدني إمام ، فقيه ، تابعي ، ثقة. مات سنة (١٢٢) هـ. وله تسعون سنة/ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٦.

(٢) هو فقيه الأندلس ، محمد بن أحمد الأموي السفياني ، المالكي. صاحب كتاب «العُتْبِيَّة». مات سنة (٢٥٥) هـ. ويقال (٢٥٤) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٣) حديث ابن قسيط ، رواه ابن سعد/ المناهل (١١٢٣). (جسُّوا): مسُّوا. (رُمَّانة المنبر): أي العقدة المشابهة للرمانة.

(٤) (أنه): الضمير عائد علىٰ عبد الله بن عمر.

(٥) تقدم برقم (١٤٦٠).

(٦) هو عبد الله بن مسلمة بن قَعْنَب ، إمام ثبت قدوة ، وأحد رواة «الموطأ» عن الإمام مالك. مولده بعد سنة (١٣٠) هـ بيسير. ووفاته سنة (٢٢١) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٥٧ ـ ٢٦٤.

(٧) تقدم برقم (١٤٦١). وفي المطبوع: «وعن» بدل «وعند».

(٨) هو سليمان بن خلف الأندلسي. إمام ، علامة ، حافظ ، ذو فنون. ولد سنة (٤٠٣) هـ. ومات سنة (٤٧٤) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٣٥ ـ ٥٤٥.

وسلام عَلَى رسولِ الله ـ عليه السلام ـ السلامُ علينا من ربّنا ، وصلّىٰ اللهُ وملائكتهُ عَلَىٰ محمد. اللَّهُمَّ! اغفِرْ لي ذُنوبي ، وافْتَحْ لي أَبوابَ رَحْمَتِك وجَنَّتك ، واحفَظْني من الشيطان الرجِيم ، ثم اقْصِدْ إلىٰ الرَّوْضة ـ وهي ما بين القَبْر والمِنْبرِ ـ فارْكَعْ فيها ركعتين قبل وقوفك بالقَبْر تَحْمَد اللهَ فيهما[١] وتسأله تمامَ ما خرجْتَ إليه والعَوْنَ عليه.

وإنْ كانت رَكْعَتَان في غير الرَّوْضَةِ أَجْزَأَتْكَ[٢] ، وفي الروضة أفضلُ.

١٤٨٢ ـ وقد قال عليه السلام: «ما بَيْنَ بَيْتي ومِنْبَري رَوْضَةٌ من رِيَاض الجنَّةِ ؛ ومِنْبري عَلىٰ تُرْعة من تُرَعِ الجنَّة»[٣].

ثم تَقِف [بالقبر] مُتَوَاضِعاً متوقّراً ، فتصلِّي عليه (١٣٧/أ) وتُثْنِي بما يَحْضُرُكَ ، وتسلّم عَلَىٰ أبي بكرٍ وعُمر ، وتَدْعُو لهما.

---

(١) في الأصل: «فيها» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وإن كانت ركعتاكَ في غير الروضة أجْزأتاكَ».

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (١١٨) ، والبزار (١١٩٤) من حديث أبي بكر الصديق. قال الهيثمي ٤/ ٩: «فيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو وضّاع» والقسم الأول من الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد المازني ، وأبي هريرة ، وسيأتي تخريجه برقم (١٥٠٢) و(١٥٠٣). والقسم الأخير من الحديث أخرجه أحمد (٥/ ٣٣٥) ، والطبراني من حديث سهل بن سعد قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٤): «ورجال أحمد رجال الصحيح». وانظر مجمع الزوائد (٤/ ٨ ـ ٩). (روضة من رياض الجنة). أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة ، فيكون تشبيهاً بغير أداة. أو المعنى: أن العبادة فيها تؤدي إلىٰ الجنة فيكون مجازاً. أو هو علىٰ ظاهره ، وأن المراد أنه روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلىٰ الجنة. هذا محصل ما أوله العلماء في هذا الحديث ، وهي علىٰ ترتيبها هذا في القوة (الفتح ٤/ ١٠٠). (ومنبري علىٰ ترعة من تُرَع الجنة) الترعة في الأصل: الروضة علىٰ المكان المرتفع خاصة ، فإذا كانت في المطمئن فهي روضة. قال القُتيبي: معناه أن الصلاة والذكر في هذا الموضع يؤديان إلىٰ الجنة ، فكأنه قطعة منها/ النهاية. وفسَّر سهل بن سعد الساعدي (الترعة) بـ (البابِ) كما في مسند أحمد ٥/ ٣٣٥. وفي المطبوع: «ما بين منبري وقبري روضة» بدل «ما بين بيتي ومنبري روضة».

وأَكثِرْ [من] الصلاةِ في مسجدِ النبيِّ ﷺ بالليل والنهار ، ولا تَدَعْ أَنْ تأتي مسجدَ قُبَاء[1] وقبورَ الشهداء.

[و] قال مالك في كتاب محمد[2] : ويسلّم عَلَىٰ النبيِّ ﷺ إذا دخل وخرج ـ يعني في المدينة ـ وفيما بين ذلك.

[و] قال محمد: وإذا خرج جعل آخِرَ عَهْدِه الوقوفَ بالقَبْر ، وكذلك من خَرج مسافراً.

١٤٨٣ ـ وَرَوَىٰ ابنُ وَهْب عن فاطِمَة بنتِ النبي ـ عليهما السلام ـ عن النبيِّ ﷺ قال : «إذا دَخلْتَ المسجدَ فَصَلِّ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ ، وقل : اللهُمَّ! اغفِرْ لي ذُنوبي ، وافتح لي أبوابَ رحمتك. ، وإذا خرجْتَ فصَلِّ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ ، وقل : اللهمّ! اغفِرْ لي ذُنوبي ، وافْتَح لي أبوابَ فَضْلِك»[3] .

١٤٨٤ ـ وفي رواية أُخرىٰ : «فليسلِّم» مكانَ : فليصلّ فيه ، ويقول إذا خرج : «اللهمَّ! إني أَسأَلكَ مِنْ فضلك»[4] .

١٤٨٥ ـ وفي أُخرىٰ : «اللهمَّ! احفَظْني من الشيطان الرجيم»[5] .

---

(١) قُباء : قرية قِبْليّ المدينة. وفيها المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، وهي ـ اليوم ـ حيٌّ من أحياء المدينة المنورة.

(٢) محمد : هو ابن المَوَّاز ، من كبار فقهاء المالكية توفي سنة (٢٦٩) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦).ويحتمل أن يكون محمد بن مسلمة الفقيه المالكي المتوفىٰ سنة (٢١٦)هـ/ انظر نسيم الرياض ٣/ ٤٦٨ .

(٣) تقدم تخريجه برقم (١٣٧٧) وستأتي روايات له برقم (١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٥) ، وغيره ، من حديث أبي حميد أو أبي أُسيد الأنصاري ، وصحح إسنادَهُ النووي في الأذكار برقم(٩٢) بتحقيقي . والفقرة الأخيرة عند مسلم (٧١٣).

(٥) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٩٢) من حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار قوله. وأخرجه ـ بروايات ـ: ابن ماجه (٧٧٣) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٩٠) ، وابن السني (٨٦) من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وصححه ابن حبان (٣٢١) موارد ، وابن خزيمة (٤٥٢) ، والبوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٩٧) ، والحاكم (١/ ٢٠٧) ووافقه الذهبي . وعند ابن ماجه وابن السني : «اعصمني» ، وعند ابن خزيمة وابن =

١٤٨٥م ـ وعن مُحمد بن سيرين: كان الناسُ يقولون إذا دخلوا المسجدَ: صلّىٰ اللهُ وملائكتهُ عَلَىٰ محمدٍ. السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ! وَرحمةُ اللهِ وبركاته (١)، باسم اللهِ دخلنا، وباسْمِ اللهِ خرجنا، وعَلَىٰ اللهِ توكّلنا.

وكانوا يقولون إذا خرجوا مِثْلَ ذلك.

١٤٨٦ ـ وعن فاطمةَ أَيضاً: كان النبيُّ ﷺ إذا دخل المسجدَ قال: «صلىٰ اللهُ عَلَىٰ محمد وسلّم»(٢). ثم ذكَر مِثْلَ حديثِ فاطمةَ قَبْلَ هذا.

١٤٨٧ ـ وفي روايةٍ: حمِدَ اللهَ وَسَمَّىٰ، وصَلَّىٰ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ، وذكر مِثْلَه(٣).

١٤٨٨ ـ وفي روايةٍ: «باسْمِ الله، والسلامُ عَلَىٰ رسولِ الله»(٤).

١٤٨٩ ـ وعن غيرها: كان رسُولُ الله ﷺ إذا دخل المسجدَ قال: «اللهمّ! افتَحْ لي أبوابَ رحمتك، ويَسِّرْ لي أبوابَ رِزْقِك»(٥).

١٤٩٠ ـ وعن أَبي هُرَيرة: «إذا دخل أَحدُكم المسجدَ فليصلِّ عَلَىٰ النبيّ ﷺ، وليَقُلْ: «اللهمّ افتَحْ لي...»(٦).

وقال مالك في «المبسوط»: وليس يلزمُ مَنْ دخَلَ المسجدَ وخرجَ منه من أهل المدينة الوقوفُ بالقبر؛ وَإنما ذلك للغُرباء.

= حبان والحاكم «أجرني» وعند النسائي: «باعدني»، وفي رواية عند ابن السني «أعذني». وسيأتي برقم (١٤٩٠).

(١) قوله: «وبركاته»، لم يرد في المطبوع.

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٤)، وأحمد ٦/ ٢٨٢، ٢٨٣ بلفظ: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلم. وانظر الرواية المتقدمة برقم (١٤٨٣).

(٣) أخرجه ابن السني برقم (٨٧)، وانظر الرواية المتقدمة برقم (١٤٨٣).

(٤) أخرجه ابن ماجهْ (٧٧١)، وأحمد (٦/ ٢٨٣)، وانظر الرواية المتقدمة برقم (١٤٨٣).

(٥) أورده السيوطي في المناهل (١١٢٩)، ولم يذكر من خرَّجه.

(٦) هو رواية من روايات الحديث المتقدم برقم (١٤٨٥).

وقال فيه أيضاً: لا بَأسَ لمَنْ قدمَ مِنْ سَفَرٍ، أو خرج إلىٰ سفر[1] أن يقِفَ علىٰ قَبْرِ النبيّ ﷺ (١٣٧/ب) فيصلّي عليه وَيَدْعُو له وَلأبي بكر وَعُمَر.

فقيل له: فإنَّ ناساً من أهل المدينة لا يَقْدَمون من سفرٍ وَلا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرةً أو أكثر؛ وربَّما وَقفوا في الجمعة أو في الأيام المرةَ والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلّمون وَيَدْعُونَ ساعةً.

فقال: لم يَبْلُغني هذا عَنْ أحدٍ من أهل الفِقْه ببلدنا، وَتَرْكُه وَاسع، ولا يُصْلِحُ آخرَ هذه الأمة إلا ما أَصْلحَ أوَّلَها؛ ولم يَبْلُغْنِي عن أول هذه الأمّة وَصَدْرِها أنهم كانوا يفعلون ذلك، وَيُكره إلا لِمَنْ جاءَ من سفرٍ أو أراده.

قال ابنُ القاسم: وَرَأَيتُ أهلَ المدينةِ إذا خرجوا منها أو دخلوا إليها أتَوا القَبْرَ فسلّموا؛ قال: وذَلك رَأْيٌ.

قال الباجيُّ: فَفَرَّقَ بين أهل المدينة وَالغُرَباء؛ لأنَّ الغرباءَ قَصدوا لذلك؛ وَأهل المدينة مُقيمون بها لم يَقْصِدُوها من أجل القبر وَالتسليم.

١٤٩١ ـ وَقال عليه السلام: «اللهمّ! لا تجعَلْ قَبْري وَثَناً يُعْبَدُ؛ اشتَدَّ غضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائهم مَسَاجدَ»[2].

١٤٩٢ ـ وَقال: «لا تجعلوا قَبْري عيداً»[3].

ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي ـ فيمن وَقف بالقَبْرِ: لا يَلْصق به، ولا يَمسُّه، وَلا يقف عنده طَوِيلاً.

وَفي «العُتْبِيَّة»[4] يَبْدَأ بالركوع قبل السلام في مسجد رسول الله ﷺ؛ وَأحَبُّ

---

(١) قوله: «أو خرج إلى سفر»، لم يرد في المطبوع.

(٢) تقدم برقم (١٤٧١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٧) وغيره من حديث أبي هريرة. وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٦١) بتحقيقي، وقال الحافظ في تخريج الأذكار: «حديث حسن». ونسبه في جامع الأصول ٤٠٦/٤ إلىٰ النسائي. وهو في مسند أبي يعلىٰ (٤٦٩) من حديث علي رضي الله عنه. (لا تجعلوا قبري عيداً): أي لا تتخذوا قبري مظهر عيد.

(٤) اسم كتاب في فقه مالك، لمحمد بن أحمد السفياني.

مواضِع التنفّل فيه مُصَلّىٰ النبيِّ ﷺ حيث العمودُ المُخَلَّق[1].

وَأَمَّا في الفريضة فالتقدُّمُ إلىٰ الصفوف وَالتنفُّلُ فيه للغرباء أَحبُّ إليَّ من التنفّل في البيُوت.

فصل

فِيمَا يَلْزَمُ مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَدَبِ سِوَىٰ مَا قَدَّمْنَاهُ، وفَضْلِهِ، وفَضْلِ الصلاةِ فيه، وَفِيْ مَسْجِدِ مَكَّةَ، وَذِكْرِ قَبْرِه وَمِنْبَرِهِ، وَفَضْلِ سُكْنَى المَدِيْنَةِ وَمكَّةَ

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ... ﴾ الآيات [التوبة: ١٠٨].

١٤٩٣ ـ رُوِيَ أَنَّ النبيّ ﷺ سُئل: أَيُّ مسجدٍ هو؟ قال: «هو[2] مَسجدي هذا»[3].

وهو قولُ ابْنِ المسيَّب، وَزَيْد بن ثابت، وَابْن عمر، وَمالك بن أَنس، وَغَيرهم.

١٤٩٤ ـ وَعن ابن عَبّاس أنه مسجدُ قُبَاء[4].

١٤٩٥ ـ حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه؛ قال: (١٣٨/أ) حدثنا الحُسَيْن بن محمد الحافظ، حدثنا أبو عُمر النَّمَري، حدثنا [أبو] محمد بن عبد المؤمن، حدثنا أبو بكر بن دَاسَة، حدثنا أبو داود، حدثنا مُسَدَّد، حدثنا سُفْيَانُ، عن الزُّهريِّ، عن سَعِيد بن المسَيَّب، عن أبي هريرة [رَضِيَ الله عنه]

---

(١) المُخَلَّق: الذي طُيِّبَ بالخَلوقِ، وهو طيبٌ مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب.

(٢) قوله: «هو»، لم يرد في المطبوع.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩٨) من حديث الخدري.

(٤) رواه ابن أبي حاتم/ المناهل (١١٣٣).

عن النبيِّ ﷺ؛ قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاَّ إلىٰ ثلاثة[1] مساجد: المسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأَقْصَىٰ»[2].

وقد تقدّمت الآثارُ في الصلاةِ والسلام علىٰ النبيِّ ﷺ عند دخول المسجد.

١٤٩٦ ـ وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص، أنَّ النبي ﷺ كان إذا دخل المسجدَ قال: «أَعوذُ بالله العظيم، وبوَجْهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرَّجيمِ»[3].

١٤٩٧ ـ وقال مالك ـ رحمه الله ـ: سمع عُمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه صوتاً في المسجد، فدعا بصاحبه؛ فقال: مِمَّنْ أنتَ؟ قال: رجل مِنْ ثَقِيف. قال: لو كنْتَ من هاتين القَرْيتين [لأَدَّبْتُكَ]، إنّ مسجدَنا هذا[4] لا يُرفَع فيه الصوتُ[5].

قال محمد بن مَسْلَمَةَ: لا يَنْبَغي لأَحدٍ أَنْ يعتمدَ[6] المسجدَ برَفْعِ الصوت، ولا بشيء من الأَذىٰ، وأَنْ يُـنَـزَّهَ عَمّا يُكْرَه.

قال القاضي: حكى ذلك كله القاضي إسماعيلُ[7] في «مَبْسُوطِه» في باب فَضْلِ مسجدِ النبيِّ ﷺ. والعلماءُ كلُّهم مُتَّفِقُون علىٰ أَنَّ حُكْمَ سائر المساجدِ هذا الحُكْم.

---

(١) في الأصل: «ثلاث»، والمثبت من المطبوع، وهو الصواب.
(٢) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٢٠٣٣). وأخرجه أيضاً البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وقال النووي في الأذكار رقم (٩٤) بتحقيقي: «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد»، وحسنه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار.
(٤) قوله: «هذا»، لم يرد في المطبوع.
(٥) أخرجه البخاري (٤٧٠) من حديث السائب بن يزيد عن عمر.
(٦) يعتمد: يقصد.
(٧) هو الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام أبو إسحاق: إسماعيل بن إسحاق البصري المالكي، ولد سنة (١٩٩) هـ، ومات سنة (٢٨٢) هـ. من كتبه: فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ، والمبسوط في الفقه. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٩ـ ٣٤١.

قال القاضي إسماعيل: وقال محمد بن مَسْلَمة[1]: ويُكره في مسجدِ الرسولِ ﷺ الجَهْرُ علىٰ المصلّين فيما يخلِّطُ عليهم صلاتَهم[2]، وليس مما يخصُّ به المساجدُ رَفْعُ الصوتِ، قد كُرِهَ رَفْعُ الصوتِ بالتَّلْبِيَة في مساجدِ الجماعات إلاّ المسجدَ الحرامَ ومسجد منًى[3].

١٤٩٨ ـ وقال أبو هُرَيرة، عنه عليه السلام: «**صلاةٌ في مسجدي هذا خَيْرٌ مِنْ ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرام**»[4].

قال القاضي أبو الفضل: اختلف الناسُ في معنى هذا الاستثناء علىٰ اختلافهم في المُفَاضَلة بين مكة والمدينة؛ فذهب مالك ـ في رواية أشهب عنه ـ وقال[5] ابنُ نافع[6] صاحبه، وجماعةُ أصحابه، إلىٰ أنّ معنى الحديث أن الصلاةَ في مسجد الرسولِ أفضلُ من الصلاةِ في سائرِ المساجد (١٣٨/ب) بألف صلاةٍ إلاّ المسجدَ الحرام؛ فإنَّ الصلاةَ في مسجد النبي ﷺ أفضلُ من الصلاةِ فيه بدون الألْفِ.

١٤٩٩ ـ واحتجُّوا بما رُوِي عن عُمرَ بن الخطاب [رضي اللهُ عنه]: صلاةٌ في المسجد الحرام خَيْرٌ من مئة صلاةٍ فيما سواه[7]. فتأتي فَضِيلةُ مسجدِ الرَّسُولِ ﷺ بتِسْع مِئةٍ، وعلىٰ غيره بِألْفٍ.

وهذا مَبْنِيٌّ علىٰ تَفْضِيل المدينة علىٰ مَكَّة علىٰ ما قدّمناه؛ وهو قولُ عُمر بن

---

(١) فقيه من المالكية.

(٢) في المطبوع: «صلواتهم».

(٣) في الأصل: «ومسجدنا هذا»، والمثبت من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٥) في المطبوع: «وقاله».

(٦) هو عبد الله بن نافع الصائغ، من كبار فقهاء أهل المدينة، وكان قد لزم الإمام مالكاً لزوماً شديداً. ولد سنة نيف وعشرين ومئة، ومات سنة (٢٠٦) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٤.

(٧) أخرجه الحميدي في مسنده برقم (٩٧٠). قال محققه أستاذنا الفاضل حسين أسد: «إسناده صحيح وهو موقوف علىٰ عمر».

الخطاب ، ومالك ، وأكثر أهل المدينة[1].

وذهب أَهلُ الكوفَةِ ومكة إلىٰ تفضيل مكةَ؛ وهو قولُ عطاءٍ ، وابنِ وَهْبٍ وابنِ حَبِيب من أصحاب مالك ، وحكاه السَّاجِي[2] عن الشافعي؛ وحَملُوا الاستثناءَ في الحديث المتقدِّم علىٰ ظاهره ، وأَنَّ الصلاة في المسجد الحرام أَفضلُ.

١٥٠٠ ـ واحتجُّوا بحديثِ عَبْد الله بن الزُّبَير ، عن النبيِّ ﷺ بمثْلِ حديثِ أَبي هريرة؛ وفيه: «**وصلاةٌ في المسجد الحرام أَفضلُ من الصلاة في مسجدي هذا بمئة صلاة**»[3].

ورَوى قتادةُ مِثلَه؛ فيأتي فَضْلُ الصلاةِ في المسجدِ الحرام ـ علىٰ هذا ـ علىٰ الصلاة في سائر المساجد بمئة ألفٍ.

ولا خِلاَفَ أَنَّ موضِعَ قَبْرِه أَفضلُ بِقَاع الأرض.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: الذي يقتَضِيه الحديثُ مخالفةُ حُكْمِ [مسجِد] مكّةَ لسائر المساجِدِ ، ولا يُعْلَم منه حُكْمُها مع المدينة.

وذهب الطَّحَاوي إلىٰ أَنَّ هذا التفضيلَ إنما هو في صلاةِ الفَرْض.

وذهب مُطَرِّفٌ ـ من أصحابنا ـ إلىٰ أَنَّ ذلك في النافلة أيْضاً؛ قال: وَجُمُعَةٌ خَيْرٌ من جُمُعَةٍ ، ورَمضانُ خَيْرٌ من رمضانَ.

١٥٠١ ـ وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينةِ وغيرها حديثاً نحوه[4].

---

(١) في المطبوع: «وأكثر المدنيين».

(٢) في الأصل: «الباجي»، والمثبت من المطبوع. وهو زكريا بن يحيى الساجي الشافعي، إمام ثبت حافظ. مات بالبصرة سنة (٣٠٧) وهو في عشر التسعين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧ ـ ٢٠٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٥) ، وغيره ، وصححه ابن حبان (١٠٢٧) موارد ، وهناك استوفينا تخريجه. وحديث أبي هريرة تقدم برقم (١٤٩٨).

(٤) وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث بلال بن الحارث رفعه: «رمضانُ بالمدينة أفضل =

١٥٠٢ ـ وقال ـ عليه السلام ـ «ما بين بَيْتِي ومِنْبَري رَوْضَةٌ من رياض الجنة»[١].

١٥٠٣ ـ ومثلُه عن أبي هُريرة ـ أو أبي سعيد[٢] ـ وزاد: «ومِنْبَري علىٰ حَوْضِي»[٣].

١٥٠٤ ـ وفي حديث آخر: «[مِنْبَري] علىٰ تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنة»[٤].

قال الطبري: فيه مَعْنَيان:

١٥٠٥ ـ أحدهما: أَن المراد بالبيت: [بيتُ] سُكْناه علىٰ الظاهر، مع أَنه رُوي ما يبيّنه: «بين حُجْرَتي ومنبري»[٥].

١٥٠٦ ـ والثاني: أَنَّ البيتَ هذا[٦] (١٣٩/أ) القَبْرُ؛ وهو قولُ زَيْد بن أَسْلَم في هذا الحديث، كما رُوِيَ: «بين قبري ومِنْبري»[٧]. قال الطَّبَري: وإذا كان

= من ألف رمضان فيما سواها، وجمعة في المدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٤٥): «فيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف». ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٨٠)، وزاد نسبته إلىٰ الضياء المقدسي في «المختارة». وأورده الذهبي في الميزان وقال: «وهذا باطل، والإسناد مظلم... ولم يصب الضياء بإخراجه في المختارة».

(١) أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠) من حديث عبد الله بن زيد المازني.

(٢) في الأصل والمطبوع: «وأبي سعيد». والمثبت من مُوَطَّأ مالك.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٩٧. قال ابن عبد البَرّ: «هكذا رواهُ رواةُ الموطأ على الشكِّ». وأخرجه البخاري (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١) من حديث أبي هريرة.

(٤) هو فقرة من الحديث المتقدم برقم (١٤٨٢).

(٥) هذه الرواية عند أحمد (٣/ ٣٨٩)، وأبي يعلىٰ (١٧٨٤) من حديث جابر بن عبد الله. قال الهيثمي في المجمع ٤/ ٨: «فيه علي بن زيد، وفيه كلام وقد وثق».

(٦) في المطبوع: «هنا».

(٧) أخرجه أحمد (٣/ ٦٤)، وأبو يعلىٰ (١٣٤١) من حديث الخدري. وأخرجه البزار (٤٣٠) من حديث علي وأبي هريرة، وأورده الذهبي في السير ١٢/ ٧٧ ـ ٧٨ من حديث ابن عمر. قال القرطبي ـ كما في الفتح ٣/ ٧٠ ـ: والرواية الصحيحة: «بيتي»، ويروىٰ: «قبري»، وكأنه بالمعنىٰ لأنه دفن في بيت سكناه».

قَبْـرُهُ في بَـيْتِهِ اتَّفَقَتْ معاني الروايات ، ولم يكن بينها[1] خِلاَف ؛ لأن قَبْره في حُجْرَتِهِ ، وهو بَيْتُه .

وقولهُ : «ومِنْبَري علىٰ حَوْضِي» : قيل : يحتمل أَنه مِنْبره بعَيْنه الذي كان في الدنيا ؛ وهو أظهر .

والثاني : أن يكون له هناك منبر .

والثالث : أَنَّ قَصْدَ مِنْبره والحضورَ عنده لملازمةِ الأعمالِ الصالحة يُوردُ الحوضَ ، ويوجبُ الشُّرْبَ منه ، قاله الباجي .

وقوله : «رَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الجَنَّةِ» يحتمل معنيين :

أحدهما : أنه موجِبٌ لذلك ، وأَنَّ الدعاءَ والصلاةَ فيه يستحقُّ ذلك من الثواب .

١٥٠٧ ـ كما قيل : «الجنـةُ تحت ظِلاَلِ السيوف»[2] .

والثاني : أَنَّ تلكَ البُقْعَةَ قد ينقُلها اللهُ فتكون في الجنةِ بعينها ؛ قاله الدَّاوُدِيُّ .

١٥٠٨ ـ وَرَوَىٰ ابنُ عمرَ ، وجماعةٌ من الصحابة ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال في المدينة : «لا يَصْبِرُ علىٰ لأْوَائها ، وشِـدَّتِها أَحـدٌ ، إلاَّ كُنْتُ لـه شَهِيـداً ـ أو شفِيعاً ـ يَـوْمَ القيامـة»[3] .

١٥٠٩ ـ وقال فيمن تَحَمَّلَ عن المدينة[4] : «والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يَـعْلَمُـون»[5] .

---

(١) في الأصل : «بينهما» ، والمثبت من المطبوع .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٨) ، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ مرفوعاً .

(٣) أخرجه مسلم (١٣٧٧) من حديث ابن عمر . وانظر جامع الأصول ٩/٣١٣ ـ ٣١٧ .
(اللأواء) : الشدة والأمر العظيم .

(٤) تحمَّل عن المدينة : فارقها وترك سكناها .

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٥) ، ومسلم (١٣٨٨) من حديث سفيان بن أبي زهير .

١٥١٠ ـ وقال: «إنَّما المدينةُ كالكِير تَـنْفِي خَبَثَها ، وتَـنْصَعُ طَيِّـبَها»(١) .

١٥١١ ـ وقال: «لا يخرجُ أَحدٌ من المدينة رَغْبةً عنها إلا أَبْدَلها اللهُ خيراً منه»(٢) .

١٥١٢ ـ ورُوي عنه عليه السلام: «مَنْ ماتَ في أَحَدِ الحرمَيْن حاجّاً أو مُعْتَمِراً ، بعثه اللهُ يومَ القيامة ولا حِسابَ عليه ولا عذَابَ»(٣) .

١٥١٣ ـ وفي طريق آخر: «بُعِثَ من الآمنين يوم القيامة»(٤) .

١٥١٤ ـ وعن ابن عُمَرَ: «مَن استطاعَ أَنْ يموتَ بالمدينة فَلْيَمُتْ بها ؛ فإني أَشفَعُ لِمَنْ يَموتُ بها»(٥) .

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٣) ، ومسلم (١٣٨٣) من حديث جابر بن عبد الله . (الكير): جهاز من جلد أو نحوه ، يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإذكائها/ المعجم الوسيط . (تنفي خبثها): أي تخرجه عنها/ النهاية . (وتنصع طيبها): أي تُخْلِصُه/ النهاية . وفي المطبوع: «وينصع طَيِّبُها» .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٨٧ ، وعبد الرزاق في المصنف (١٧١٦٠) من حديث عروة مرسلاً . وأخرجه بنحوه مسلم (١٣٦٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ، و(١٣٨١) من حديث أبي هريرة .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ، والدارقطني (٢/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) عن عائشة بسند ضعيف/ المناهل (١١٤٩) . وانظر مجمع الزوائد ٢/ ٣١٩

(٤) رواه الطبراني في الكبير من حديث سلمان . قال الهيثمي في المجمع ٢/٣١٩: «وفيه عبد الغفور بن سعيد وهو متروك» . ورواه أيضاً الطبراني في الصغير والأوسط من حديث جابر بن عبد الله . قال الهيثمي في المجمع ٢/٣١٩: «وفيه موسىٰ بن عبد الرحمن المسروقي ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات ، وفيه عبد الله بن المؤمل ، وثَّقَهُ ابن حبان وغيره ، وضعفه أحمد وغيره ، وإسناده حسن» . وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن عن عمر/ المناهل (١١٤٩) .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٩١٧) ، وابن ماجهْ (٣١١٢) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعاً ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» . وصححه ابن حبان (١٠٣١) موارد ، وهناك استوفينا تخريجه .

﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٦ ، ٩٧].

قال بعضُ المفسرين: ﴿ءَامِنٗاۗ﴾ من النارِ. وقيل: كان يَأمَنُ من الطلب مَنْ أَحدث حَدثاً [خارجاً عن الحرم] ، ولجأ إليه في الجاهلية؛ وهذا مِثْلُ قَوله: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ [البقرة: ١٢٥] علىٰ قول بعضهم.

وحُكي أَنَّ قوماً أَتَوْا سَعْدونَ الخَوْلاني[١] بالمُنَسْتِيرِ[٢] فأَعلموه أَن كُتَامَةَ[٣] (١٣٩/ب) قَتَلُوا رجُلاً ، وأضرموا عليه النارَ طولَ الليل. فلم تَعْمَل فيه [شيئاً] وبَقِيَ أَبيَضَ البدن ، فقال: لعلَّه حجّ ثلاثَ حِجَجٍ؟! قالوا: نعم. قال: حُدِّثْتُ أَنَّ مَنْ حَجَّ حِجّةً أَدّىٰ فَرْضَه ، ومَنْ حجّ ثانيةً دايَنَ رَبَّه ، ومَنْ حجّ ثلاث حِجَجٍ حَرّم اللهُ شَعْره وبشَرَه علىٰ النار.

١٥١٥ ـ ولما نظر رسولُ الله ﷺ إلىٰ الكعبة قال: «**مَرْحباً بِك مِنْ بيْتٍ؛ ما أَعْظَمَكِ! وَأَعْظَمَ حُرْمتَكِ!**»[٤].

١٥١٦ ـ وفي الحديث ، عنه عليه السلام: «**ما مِنْ أَحدٍ يَدْعُو اللهَ [تعالىٰ] عند الرُّكن الأسودِ إلاّ استجابَ الله له ، وكذلك عند المِيزَابِ**»[٥].

---

(١) الخَوْلاني: نسبة إلىٰ خولان ، قبيلة يمنية مشهورة. منها التابعي المخضرم أبو مسلم الخولاني الداراني. سيد التابعين وزاهد العصر. وقبر أبي مسلم في مدينتنا ـ داريّا ـ مشهور معروف.

(٢) المُنَسْتِير: مدينة في شرقي الجمهورية التونسية ، لا زالت معروفة بهذا الاسم.

(٣) كُتامة: قبيلة من البربر تسكن شمالي المملكة المغربية. وأصول البربر عربية.

(٤) رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٢: «فيه الحسن بن أبي جعفر ، وهو ضعيف وقد وثق». ونسبه السيوطي في المناهل (١١٥١) إلىٰ الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وجابر. وأخرجه الترمذي (٢٠٣٢) موقوفاً علىٰ ابن عمر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب . . .».

(٥) أورده السيوطي في المناهل (١١٥٢) ، ولم يخرجه. وروىٰ الأزرقي في تاريخ مكة ١/ ٣١٨ عن عطاء موقوفاً: «من قام تحت ميزاب الكعبة ، فدعا ، استجيب له ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وانظر أذكار النووي: فصل في أذكار الطواف. (الركن الأسود): هو الركن الذي فيه الحجر الأسود ، وهو الركن الشرقي من الكعبة المشرفة ، يقابل زمزم من الغرب. (الميزاب): موضوع علىٰ ظهر الكعبة المشرفه من جهة الشمال ، مَصَبُّهُ علىٰ حِجْرِ =

١٥١٧ ـ وعنه عليه السلام: «مَنْ صلَّىٰ خَلْفَ المَقَامِ ركعَتَيْن غُفِر له ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأخَّر ، وحُشِر يوم القيامة من الآمنين»(١).

١٥١٨ ـ قال الفقيه القاضي أبو الفضل ـ رحمه الله ـ: قرأتُ علىٰ القاضي الحافظ أَبي علِيّ رحمه الله ، قلت له(٢): حدثك أبو العباس العُذْرِيّ؛ [قال]: حدثنا أَبو أُسامةَ: محمد بن أحمد بن محمد الهَرَوِيّ ، حدثنا الحسَن بن رَشِيق ، سمعتُ أبا الحَسَن: محمد بن الحسن بن راشد ، سمعتُ أبا بكر: محمد بن إدريس ، سمعتُ الحُمَيْدِيَّ؛ قال: سمعتُ سُفْيان بن عُيَيْنة ، قال: سمعتُ عَمْرَو بن دِينار قال: سمعتُ ابْنَ عباسٍ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما دعا أَحَدٌ بشيء في هذا المُلْتَزَم إلا استُجيبَ لَهُ»(٣).

= إسماعيل. والميزاب الموجود الآن بالكعبة المشرفة صنعه بالقسطنطينية سنة (١٢٧٦) هـ السلطان عبد المجيد خان وركب في السنة نفسها ، وهو مصفح بالذهب نحو خمسين رطلاً. انظر في رحاب البيت ص(١٨٢).

(١) قال السيوطي في المناهل (١١٥٣): «رويناه في رسالة الحسن البصري إلىٰ أهل مكة». (المقام): هو في الأصل ذلك الحَجَرُ الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة ، ثم بني عليه مصلًى صغير ، يصلي الناس فيه ركعتين بعد الطواف ، ثم هدم في التوسعة ، ونقل المصلىٰ إلىٰ الشرق من مكانه ذلك ، حذاء زمزم من الشمال وهدم الأول ، ووضع علىٰ الحجر زجاج بِلَّوْري ترىٰ من ورائه آثار قدم إبراهيم عليه السلام ، المائلة في الحجر/ المعالم الأثيرة ص(٢٧٧) لأستاذنا البحّاثة محمد شُرَّاب.

(٢) قوله: «قلت له»، لم يرد في المطبوع.

(٣) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، وأبو الفيض الفاداني في العجالة في الأحاديث المسلسلة برقم (٢٢) من طريق محمد بن الحسن بن راشد بهذا الإسناد مسلسلاً. وحسّنه ـ كما في العُجالة ـ الحافظ أبو بكر بن مسدي. وحكم بوضعه الذهبي في الميزان (ترجمة محمد بن الحسن بن علي بن راشد الأنصاري) ووافقه عليه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان. وأخرج نحوه سعيد بن منصور كما في المناهل (١١٥٤) والبيهقي في السنن ٥/ ١٦٤ من حديث ابن عباس موقوفاً. قال في «الجياد»: «هو شاهد قوي». ولم أَجِدْ الحديث في مسند الحميدي الذي حققه أستاذنا الفاضل حسين أسد. (الملتزم): هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

قال ابن عباس: وأنا فما دَعَوْتُ اللهَ بشيء في هذا المُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا مِنْ رسولِ الله ﷺ إلاّ استُجيبَ لي.

وقال عَمْرو بن دِينار: وأَنا فما دعوتُ الله تعالىٰ بشيء في هذا المُلْتَزَم منذ سمعتُ هذا من ابن عباس إلا استُجيبَ لي.

وقال سُفْيان: وأَنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا الْمُلتَزم منذ سمعتُ هذا من عَمْرو بن دينارٍ إلاَّ استُجِيبَ لي.

قال الحُميدي(١): وأَنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا الْمُلتَزَم منذُ سمعتُ هذا من سُفْيان إلا استُجيبَ لي.

[و] قال محمد بن إدريسَ (١٤٠/أ): وأَنا فما دَعَوْتُ الله بشيءٍ في هذا الْمُلْتَزَم منذُ سمعتُ هذا من الحُميدي إلا استُجِيب لي.

[و] قال أبو الحسن: محمد بن الحسن: وأَنا فما دعوتُ الله بشيء في هذا المَلْتَزَم منذُ سمعتُ هذا من محمد بن إدريسَ إلاَّ استُجِيبَ لي.

قال أبو أُسامةَ: وما أَذكر الحَسَن بن رَشِيق قال فيه شيئاً: وأَنا فما دَعَوْتُ الله بشيءٍ في هذا المُلْتَزَم منذُ سمعتُ هذا من الحسن بن رَشِيق إلا استُجِيب لي من أَمْرِ الدنيا، وأَنا أَرجو أن يُستَجاب لي مِنْ أمر الآخرة.

قال العُذْري: وأنا فما دَعَوْتُ الله بشيءٍ في هذا الْمُلْتَزَم منذُ سمعتُ هذا من أبي أُسامة إلا استُجِيبَ لي.

قال أبو عليّ: وأَنا فقد دعوتُ الله فيه بأَشياء كثيرة واستُجِيب لي بعضُها،

---

(١) في الأصل: «قال: قال لي الحميدي»، والمثبت من المطبوع. والحميدي هو عبد الله بن الزبير القرشي. المتوفىٰ سنة (٢١٩) هـ. وقد ترجمه ترجمة وافية أستاذنا الفاضل حسين أسد في مقدمة تحقيقه لـ«مسند الحميدي». وقد صدر هذا المسند عن دار السقا بداريا في مجلدين.

وأرجو من سَعَةِ فَضْله أَنْ يستجيب لي بقيّتها .

قال القاضي أبو الفضل : قد ذكرنا نُبَذاً من هذه النُّكت في هذا الفَصْل وإنْ لم تكن من الباب ، لتعلقها بالفَصْل الذي قبله حِرْصاً علىٰ تمام الفائدة؛ والله الموفق للصواب [برحمته] .

* * *

القسم الثالث

فِيمَا يَجِبُ للنَّبِيِّ ﷺ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ [فِي حَقِّهِ] أَوْ يَجُوزُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَمْتَنِعُ أو يَصِحُّ مِنَ الأَحْوَالِ البَشَرِيَّةِ أَنْ تُضَافَ إِلَيْهِ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال [تعالىٰ]: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال [تعالىٰ]: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

فمحمّد ﷺ وسائر الأنبياءِ مِنَ البَشَر ، أُرْسلوا إلى البشرِ ، ولولا ذلك لما أَطاق الناسُ مُقَاوَمَتَهُمْ(١) ، والقَبولَ عنهم ، ومخاطبتهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]؛ أي لمَا كان

---

(١) مقاومتهم: أي القيام معهم ومخاطبتهم. ومنه الحديث في صفة النبي ﷺ: «من جالسه أو قاومه في حاجته صابره» قال في النهاية: «قاومه: فاعله من القيام: أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلىٰ أن يقضيها».

إلاّ في صورةِ البَشَر الذين يمكنكم[1] مخاطبتهم ومخالطتهم؛ إذْ لا تُطِيقون مُقَاومةَ المَلَك، ومخاطبته، ورُؤْيته، إذا كان علىٰ صُورتِه.

وقال [تعالىٰ]: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ (١٤٠/ب) فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥]؛ أي لا يمكنُ في سنَّةِ اللهِ إرسالُ المَلَكِ إلاَّ لِمَنْ هو مِنْ جِنْسه، أو مَنْ خَصَّه اللهُ تعالىٰ واصطفاه وقَوَّاه علىٰ مُقَاومته، كالأنبياء والرسُلِ.

فالأنبياءُ والرسلُ [عليهم السلام] وسائطُ بين الله [تعالىٰ] وبين خَلْقِهِ يُبَلِّغُونَهم أَوَامِرَه ونواهيه، وَوَعْدَه وَوَعِيدَه، ويُعرِّفونَهم بما لم يَعْلَمُوه مِنْ أَمْرِه وخَلْقه، وجَلالِه وسُلْطانِه، وَجَبَرُوته ومَلَكوتِه؛ فظَوَاهِرُهُم وَأَجسادُهم وبِنْيَتُهم[2] متَصِفةٌ بأَوصاف البشر، طارىء عليها ما يَطْرأُ علىٰ البَشَر من الأعراض والأسقام، والموتِ والفناءِ، ونعوت الإنسانية، وأَرْوَاحُهم وبَوَاطنُهم متَصِفَةٌ بأَعْلَىٰ من أَوْصاف البشر، متعَلّقة بالملأ الأعلىٰ، متشبِّهة بصفاتِ الملائكة، سليمةٌ من التغيّر والآفات، لا يلحَقُها غالباً عَجْزُ البشريّة، ولا ضَعْفُ الإنسانية، إذ لو كانت بواطنُهم خالصةً للبَشريةِ كظَوَاهِرِهم لَمَا أَطاقوا الأَخْذَ عن الملائكة، ورؤيَتهم لهم، ومخاطبتَهم إياهم، ومُخَالطتهم[3]، كما لا يُطِيقُه غيرُهم من البَشَر.

ولو كانت أَجسامُهُم وظواهِرُهم متَّسِمَةً بنعوتِ الملائكة، وبخلاف صفاتِ البَشَر، لَمَا أَطاقَ البَشَر ومَنْ أُرْسِلُوا إليهم مخالطتهم، كما تقدم من قولِ الله تعالىٰ؛ فجُعِلُوا من جهة الأَجسام والظَّوَاهر مع البَشَر، ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة.

١٥١٩ ـ كما قال عليه السلام: «لو كنتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتي خَليلاً لاتَّخَذْتُ

---

(١) في المطبوع: «يمكنهم».

(٢) بنيتهم: البِنْيَةُ: الفطرة (مختار الصحاح).

(٣) في المطبوع: «ومُخَالَّتَهُمْ». أي اتخاذهم أَخِلاَّء وأصدقاء.

أَبا بكر خَلِيلا؛ ولكِنْ أُخُوَّةُ الإسلام ، لكِنَّ صَاحِبَكُمْ خليلُ الرحمن»[1] .

١٥٢٠ ـ وكما قال : «تنامُ عَيْنَايَ وَلا يَنَامُ قلبي»[2] .

١٥٢١ ـ وقال : «إنّي لستُ كهيئتكم؛ إنّي أظَلُّ يُطعمني رَبّي ويَسْقيني»[3] .

فبواطنُهم منَزَّهةٌ عن الآفاتِ ، مُطَهَّرَةٌ من النقائص والاعتلالات .

وهذه جملةٌ لن يكتَفِيَ بمضمونها كلُّ [ذي] هِمَّةٍ؛ بل الأكثَرُ يحتاجُ إلىٰ بَسْطٍ وتفصيل علىٰ ما نَأتِي به بَعْدَ هذَا الباب في البابين (١٤١/أ) بعَوْن الله وهو حَسْبِي ونعم الوكيل .

* * *

(١) تقدم برقم (٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات عن الحسن مرسلاً. وهو متفق عليه بلفظ: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي». وقد تقدم برقم (١٣٩) ، وسيأتي برقم (١٦١٤).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر ، وأنس ، وعائشة ، وأبي هريرة. انظر جامع الأصول ٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢ ، وسيأتي برقم (١٦٥١).

الباب الأول

فِيمَا يَخْتَصُّ بِالأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَالكَلامِ فِيْ عِصْمَةِ نَبِيِّنا وَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلامُهُ

قال[1] القاضي أبو الفَضْل رضي الله عنه: اعلم أَنّ الطوارىء من التغيراتِ والآفات علىٰ آحادِ البشر لا يَخْلُو أَنْ تَطْرأَ على جِسْمِه، أو علىٰ حَوَاسّه بغير قَصْدٍ واختيار؛ كالأمراض والأَسقام، أو تطرأ بقصْد واختيار؛ وكلُّه في الحقيقة عمَلٌ وفِعْل، ولكنْ جَرَىٰ رسْمُ المشايخ[2] بتفصيله إلىٰ ثلاثة أنواع: عَقْدٌ بالقلب [3]، وقَوْلٌ باللسان، وعَمَلٌ بالجوارح.

وجميع البَشر تَطْرأُ عليهم الآفاتُ والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كُلِّها.

والنبيُّ ﷺ ـ وإن كان من البَشرِ، ويجوز على جِبِلّتِه ما يجوزُ علىٰ جِبِلَّة البَشر ـ فقد قامت البراهينُ القاطعة، وتمّت كلمةُ الإجماع عَلىٰ خروجِهِ عنهم، وتنزيهه عن كثير من الآفاتِ التي تَقعُ علىٰ الاختيار وعلىٰ غير الاختيار، كما سنُبَيِّنُهُ ـ إن شاء الله ـ فيما نأتي به من التفاصيل.

---

(١) في الأصل: «حدثنا»، والمثبت من المطبوع.

(٢) رسم المشايخ: دَأْبُهُمْ وعادتهم.

(٣) عقدٌ بالقلب: اي نِيَّةٌ نِيَّةً جازمةً، وعزماً مصمماً صادقاً/ قاله الخفاجي.

فصل

فِيْ حُكْمِ عَقْدِ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ[1] مِنْ وَقْتِ نُبُوَّتِهِ

اعلم ـ منَحَنا اللهُ وإياكَ توفيقه ـ أَنَّ ما تعلّق منه بطريق التوحيدِ ، والعِلْمِ بالله وصفاتِهِ ، والإيمانِ به ، وبما أوحِيَ إليه ، فعلىٰ غايةِ المعرفةِ ، ووضوحِ العِلْمِ واليَقِين ، والانتفاء عن الْجَهْل بشيءٍ مِنْ ذلك ، [أ]و الشك أو الرَّيب فيه ، والعصمةِ من كلّ ما يُضادُّ المعرفة بذلك واليَقين.

هذا ما وقع إجماعُ المسلمين عليه ، ولا يَصِحُّ بالبراهين الواضحةِ أَن يكونَ في عقُودِ الأنبياء[2] سِوَاه؛ فلا يُعْتَرضُ علىٰ هذا بقولِ إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ إذ لم يَشُكَّ إبراهيمُ في إخبار الله تعالىٰ له بإحياءِ المَوْتَىٰ ، ولكِنْ أراد طُمَأْنينة القَلْبِ ، وتَرْكَ المنَازعةِ لمشاهدة الإحياءِ؛ فحصل له العِلْمُ الأَوّلُ بوقوعه ، وأراد العِلْمَ الثاني بكيفيته ومشاهدته.

الوجه الثاني: أنَّ إبراهيم ـ عليه السلامُ ـ إنما أراد اختبارَ منزلتِه عند رَبّه ، وعِلْمَ إجابتَه دعوَته بسؤال ذلك مِنْ ربّه؛ ويكون قولُه [تعالىٰ]: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة: ٢٦٠]؛ أي تُصَدّق بمنزلتك مني ، وخُلّتك ، واصطفائك؟.

الوجه الثالث: أنه سأَل زِيادَةَ يَقِينٍ وقوةَ طمأنينة ، وإنْ لم يكنْ في الأول شكّ؛ إذ العلومُ الضروريةُ والنظرية[3] قد تتفاضَل في قُوَّتها ، وطَرَيَان الشكوك علىٰ الضَّرُورياتِ مُمْتنع؛ ومَجوَّزٌ في النظريات؛ فأرادَ الانتقالَ مِنَ النظَرِ أو الْخَبَرِ إلىٰ المشاهدةِ وَالترقِّي مِنْ علمِ اليقين[4] إلىٰ عَيْنِ

---

(١) المراد بعقد قلبه ﷺ: ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده يقيناً/ قاله الخفاجي.

(٢) عقود الأنبياء: عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم/ قاله الخفاجي.

(٣) العلوم الضرورية: هي البديهية التي لا تحتاج إلىٰ برهان ودليل. والعلوم النظرية: هي التي تحتاج إلىٰ نظر واستدلال لكونها غير بديهية.

(٤) عِلْمُ اليقين: العلم الثابت ، لا شك فيه ولا امتراء.

اليقين؛[1] فليس الْخَبَـرُ كالمعايَنَة؛ ولهذا قال سهلُ بنُ عَبْدِ اللهِ: سَأَل كَشْفَ غطَاءِ العِيَان ليزدادَ بنُورِ اليقين تمكّناً في حاله.

الوجه الرابع: أَنه لما احتجَّ علىٰ المشركين بأَنَّ ربَّهُ يُحْيي ويُميتُ طلبَ ذلك مِنْ ربّه، ليَصِحَّ احتجاجُهُ عِيَاناً[2].

الوجه الخامس: قولُ بعضِهم: هو سُؤالٌ علىٰ طريقِ الأدب؛ المرادُ: أَقْدِرْني علىٰ إحياء الموتى، وقوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ عن هذه الأُمْنِيَّةِ.

الوجه السادس: أنه أَرىٰ من نفسه الشكَّ، وما شكّ، لكن ليُجَاوَبَ فَيَزْدَاد قُرْبُـهُ.

١٥٢٢ ـ وقولُ نبيِّنا عليه السلام: «نحن أَحقُّ بالشكّ من إبراهيم»[3]: نفْيٌ لأَنْ يكونَ إبراهيم شكَّ، وإبعادٌ للخواطر الضعيفة أن تَظنَّ هذا بإبراهيم عليه السلام؛ أي نحن موقِنون بالبَعْثِ، وإحياءِ الله الموتىٰ؛ فلو شكَّ إبراهيمُ لَكُنَّا أَوْلى بالشكِّ منه؛ إمّا علىٰ طريقِ الأَدَبِ، أو أَنْ يُريدَ أُمّتَهُ الذين يجوزُ عليهمُ الشَّكُّ، أو على طريق التواضع والإشفاقِ إنْ حَمَلْتَ قِصةَ إبراهيم عَلَىٰ اختبار حاله، أو زيادةِ يقينه.

فإنْ قلْتَ: فما معنى قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [يونس: ٩٤، ٩٥].

فاحذَرْ ـ ثَبَّتَ اللهُ قلبي (١٤٢/أ) وقَلْبَك ـ أَنْ يَخْطُر بِبَالِكَ ما ذكره بعض المُفَسّرِين، عن ابن عباس ـ أو غيره ـ مِنْ إثبات شَكٍّ للنبيّ ﷺ فيما أُوحِيَ إليه، وأنه مِن البشَر؛ فمثْلُ هذا لا يجوزُ عليه جُمْلَةً[4] عليه السلام.

---

(١) عين اليقين: نفس اليقين، وهو الحاصل بمشاهدته عِياناً.

(٢) عياناً: مشاهدة.

(٣) تقدم برقم (٢٦٩).

(٤) في الأصل: «حَمْلَـةً»، والمثبت من المطبوع.

١٥٢٣ ـ بل قد قال ابنُ عباس [وغيرُهُ]: لم يشكَّ النبيُّ ﷺ ، ولم يسأل[١].

ونحوه عن ابن جُبَير [٢]، والحَسَن[٣].

١٥٢٤ ـ وحكى قَتَادةُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما أَشُكُّ ولا أَسأَلُ»[٤]، وعامّةُ[٥] المفسّرين علىٰ هذا.

واختلفوا في معنى الآيـة: فقيل: المرادُ: قُلْ يا محمد! للشاكِّ: ﴿ فَإِن[٦] كُنتَ فِي شَكٍّ. . . ﴾ الآية [يونس: ٩٤].

قالوا: وفي السورة نَفْسِها ما دلَّ علىٰ هذا التأويل وهو قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤].

وقيل: المرادُ بالخطاب العربُ وغَيْرُ النبيّ ﷺ ، كما قال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] الخِطابُ له ، والمرادُ غَيْرُه.

ومثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [هود: ١٠٩] ونظيره كثير.

قال بَكْرُ بْنُ العَلاَء: أَلاَ تَرَاهُ يقول: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [يونس: ٩٥]. وهو ﷺ كان المُكَذَّب فيما يَدْعُو إليه؛ فكيف يكون ممَّن يُـكَذِّبُ[٧] به؟!

فهذا كلُّه يَـدُلُّ علىٰ أنَّ المرادَ بالخطاب غَيْـرُه.

---

(١) أخرجه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وصححه الضياء في «المختارة».

(٢) ابن جبير: هو سعيد، من سادات التابعين.

(٣) الحسن: هو ابن يسار البصري.

(٤) أخرجه ابن جرير/ المناهل (١١٥٩). وهو مرسل.

(٥) في الأصل: «ونحوه وعامة . . .». والمثبت من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «إن» ، والتلاوة ما في نسختنا.

(٧) في المطبوع: «كَذَّبَ».

ومثلُ هذه [الآية] قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] المأمورُ هاهنا غَيْرُ النبيِّ ﷺ، ليسألَ النبيَّ، والنبيُّ ﷺ هو الْخَبِيرُ المسؤول، لا المسْتَخْبِرُ السائلُ.

وقال: إن هذا الشكَّ الذي أُمر به غَيْرُ النبيِّ ﷺ بسؤال الذين يقرؤُون الكتابَ إنما هو فيما قصَّهُ [الله] من أخبار الأُمم، لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة.

ومثْلُ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] المرادُ به المشركون، والخِطَابُ مُواجهة للنبي ﷺ؛ قاله القُتَبِيُّ(١).

وقيل: المعنىٰ سَلْنَا عمَّنْ أَرسَلْنَا مِنْ قبلك؛ فحُذِف الخافض، وتَمّ الكلامُ؛ ثم ابتدأَ الكلام: ﴿أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ...﴾ [الزخرف: ٤٥] الآية (١٤٢/ب) إلىٰ آخرها علىٰ طريقِ الإنكار؛ أي ما جعلنا؛ حكاه مَكِّيٌّ.

وقيل: أُمِر النبيُّ ﷺ أَنْ يسأَلَ الأنبياءَ ليلةَ الإسراءِ عن ذلك؛ فكان أَشدَّ يقيناً من أَنْ يحتاج إلىٰ السؤال.

١٥٢٥ ـ فرُوي أنه قال: «لا أسألُ؛ قد اكتفيْتُ»؛ قاله ابن زَيْد.

وقيل: سَلْ أُمَمَ مَنْ أَرْسَلْنا؛ هل جاؤُوهم بغير التوحيد؟ وهو معنى قول مجاهدٍ، والسُّدِّي، والضَّحَّاك، وقَتَادة.

والمرادُ بهذا والذي قَبْلَه إعلامُه بما بُعِثَتْ به الرُّسُلُ(٢)، وأنه تعالىٰ لم يأذَنْ في عبادةِ غيره لأحدٍ؛ ردّاً علىٰ مُشْركي العربِ وغيرهم؛ في قولهم: ﴿مَا(٣) نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وكذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]؛ أي في عِلْمِهم بأنك رسولُ الله، وإنْ

---

(١) في نسخة: «العتبي»، ورجّح البرهان الحلبي ما ورد في نسختنا.
(٢) في الأصل زيادة: «قبله، نسخة». لم ترد في المطبوع.
(٣) في المطبوع: «إنما». والتلاوة ما في نسختنا. (زُلفىٰ): قُربىٰ.

لم يُقِرُّوا بذلك؛ وليس المراد به شَكُّهُ فيما ذكر في أول الآية.

وقد يكونُ أيضاً علىٰ مِثْلِ ما تَقَدَّم؛ أي: قل يا محمد! لِمَنْ امْتَرَىٰ في ذلك: لا تكونَنَّ من المُمْترين، بدليل قوله [أول الآية]: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] وأن النبيَّ ﷺ يخاطِبُ بذلك غيْرَه.

وقيل: هو تقرير؛ كقوله [تعالىٰ] لعيسىٰ عليه السلام[1]: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وقد عَلِم أنّه لم يَقُلْ.

وقيل: معناه ما كنتَ في شكٍّ فاسأَلْ تَزْدَدْ طُمأنينةً وعِلْماً إلىٰ عِلْمك، ويقيناً[2].

وقيل: إن كنتَ تَشُكُّ فيما شرَّفْناكَ وَفضَّلناكَ به فسَلْهُمْ عن صِفَتك في الكُتب ونَشْرِ فضائلك.

وحُكي عن أبي عُبيدة[3] أنّ المرادَ: إن كُنتَ في شكٍّ من غيرك فيما أنزلنا [ه].

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف: ١١٠] علىٰ قراءة التخفيف؟

قلنا: المعنى في ذلك ما قالته عائشة [رَضيَ الله عنها]: معاذ الله أَنْ تَظُنَّ ذلك الرسلُ بربّها؛ وإنما معنى ذلك (١٤٣/أ) أَنَّ الرسلَ لما استَيْأَسوا ظنّوا أَنَّ مَنْ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ مِنْ أَتْبَاعهم كذبوهم؛ وعلىٰ هذا أكثر المفسرين.

وقيل: إنَّ الضمير في «ظَنُّوا» عائد علىٰ الأَتْبَاعِ والأُمَمِ، لا علىٰ الأنبياء

---

(١) قوله: «لعيسى عليه السلام»، لم يرد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «ويقينك».

(٣) هو معمر بن المثنى، إمام علامة نحوي. ولد سنة (١١٠) هـ ومات سنة (١٩٩) وقيل (٢١٠) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧.

والرسل؛ وهو قولُ ابن عباس ، والنَّخَعي ، وابن جُبير ، وجماعة من العلماء .

وبهذا المعنى قرأ مجاهد : ﴿كَذَبُوا﴾[1] ـ بالفتح ؛ فلا تَشْغَلْ بالَكَ من شاذّ التفسير بسواه ، مما لا يليق بَمَنْصِبِ العلماء ، فكيف بالأنبياء؟!

١٥٢٥م ـ وكذلك ما وَرَدَ في حديث السيرة ، ومُبْتَدأ الوَحْي ؛ في قولهِ ﷺ لخديجة : «لقد خَشِيتُ علىٰ نَفْسِي»[2] ـ ليس معناه الشكّ فيما آتاهُ اللهُ بعد رُؤْية المَلَك ؛ ولكن لَعَلّهُ خَشِيَ ألاّ تحتمِلَ قُوّتُه مقاومةَ الملَك[3] وأَعْبَاءَ الوَحْي ، فَيَنْخَلِع[4] قلبُه ، أو تزهق نفسُه[5] .

[و] هذا علىٰ ما ورد في الصحيح : أنه قاله بعد لِقَائه المَلَكَ ؛ أو يكون ذلك قبل لُقْيَاه المَلَك[6] وإعْلام اللهِ تعالىٰ له بالنبوّة لأَولِ ما عرضت عليه من العجائب ، وسلَّم عليه الحجَرُ والشجَرُ ، وبدأتْه المناماتُ والتباشير ؛[7] كما رُوي في بعض طُرقِ هذا الحديث : [إنَّ] ذلك كان أولاً في المنام ، ثم أُرِيَ في اليَقَظة مِثْلَ ذلك ؛ تأنيساً له عليه السلام ؛ لئلا يَفْجَأَه الأمرُ مشاهدةً ومشافهةً ؛ فلا تَحْتَمِلُه لأوّلِ حالةِ بِنْيَةُ البشريّة .

١٥٢٦ ـ وفي الصحيح عن عائشة [رَضِيَ الله عنها] : أَولُ ما بُدِىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة ؛ قالت : ثم حُبّبَ إليه الْخَلاءُ ؛ وقالت : إلىٰ أن جاءهُ الحقُّ وهو في غار حِراء . . . الحديث[8] .

١٥٢٧ ـ وعن ابن عباس : مكثَ النبيُّ ﷺ بمكة خمس عَشْرَةَ سنةً . يسمَعُ

---

(١) وهي قراءة شاذة .
(٢) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة . وهو فقرة من حديث بدء الوحي .
(٣) مقاومة الملك : لقاؤه ومخاطبته .
(٤) في الأصل : «لينخلع» والمثبت من المطبوع .
(٥) تزهق نفسه : تخرج روحه .
(٦) كلمة : «الملك» ، لم ترد في المطبوع .
(٧) (التباشير) : العلامات المبشرة له ﷺ بالنبوّة .
(٨) أخرجه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

الصوتَ[(١)]، ويرىٰ الضوءَ[(٢)] سبْعَ سنين ولا يَرَىٰ شيئاً؛ وثماني سنين يُوحَىٰ إليه[(٣)].

١٥٢٨ ـ وقد رَوَىٰ ابْنُ إسحاق عن بعضهم أَنَّ النبيَّ ﷺ قال ـ وذَكَر جِواره بغار حِرَاءَ ـ قال: «فجاءَني وأنا نائم فقال: اقْرَأْ، فقلْتُ: ما أَقْرَأُ؟» وذكر نحو حديثِ عائشة في غطّه له وإقرائه [إياه] (١٤٣/ب): ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ . .﴾ السورة [ثلاثاً].

قال: «فانصرف عني، وهبَبْتُ من نومي كأنما صُوِّرَتْ في قلبي، ولم يكُنْ أبْغَض إليّ من شاعرٍ أو مجنون.

ثم قلت: لا تَحَدَّثُ عَنّي قريش بهذا أبداً؛ لأَعْمِدَنَّ إلىٰ حَالقٍ من[(٤)] الجَبَل فلأطرحنّ نفسي منه، فلأقتلنّها.

فبينا أنا عامِدٌ لذلك إذ سمعتُ مُنَادِياً يُنَادِي من السماء: يا محمدُ! أَنتَ رسولُ اللهِ، وأنا جبريل؛ فرفعتُ رَأْسي فإذا جبريلُ علىٰ صورةِ رجل. . .» وذكر الحديثَ[(٥)].

فقد بيّن [لك] في هذا أن قولَه لما قال، وقَصْدَه لما قَصَدَ، إنما كان قَبْل لقاءِ جبريلَ عليهما السلام، وقَبْل إعلامِ اللهِ [تعالىٰ] له بالنُّبوّة، وإظهارِه اصطفاءَه له بالرسالة.

١٥٢٩ ـ ومِثْلُه حديثُ عَمْرِو بن شُرَحْبِيل أنه ـ عليه السلام ـ قال لخديجة

---

(١) يسمع الصوت: أي صوت المَلَكِ.

(٢) ويرىٰ الضوء: أي نور المَلَكِ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٥٣/١٢٣)، وأحمد (١/ ٣١٢). والمشهور أنه ﷺ لبث في مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة. وفي المدينة عشر سنين. ومات وعمره ﷺ ثلاث وستون سنة.

(٤) في المطبوع: «هذا».

(٥) أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص(١٢٠ ـ ١٢١) من طريق عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، عن بعض أهل العلم. وهذا إسناد في جهالة. (إلىٰ حَالقٍ): أي جبل عالٍ.

رضيِ الله عنها: «إني إذا خلوْتُ وَحْدِي سمعتُ نداءً، وقد خَشيتُ والله! أن يكونَ هذا لأمرٍ»[1].

١٥٣٠ ـ ومن رواية حمّاد بن سلمة أَنَّ النبيَّ ﷺ قال لخديجة: «إني لأَسمَعُ صَوْتاً، وأَرىٰ ضَوْءاً، وأَخْشى أَن يكونَ بي جنُونٌ»[2].

١٥٣١ ـ وعلى هذا يُتأَوّلُ ـ لو صَحّ ـ قولُه في بعض هذه الأحاديث: «إنَّ الأَبْعَد شاعرٌ أو مجنونٌ»[3] وألفاظاً يُفْهم منها معانِي الشكّ في تصحيح ما رآه؛ وأنه كان كلّه في ابتداء أمره، وقبلِ لقاء المَلَكِ له، وإعلامِ اللهِ أنه رسولُه؛ فكيف وبعضُ هذه الألفاظ لا تصِحُّ طُرُقُها؟!

وأمّا بَعْدَ إعلامِ الله تعالىٰ لهُ ولقائه المَلَك فلا يصحُّ فيه رَيْبٌ، ولا يجوز عليه شكٌّ فيما أُلقِيَ إليه.

١٥٣٢ ـ وقد رَوَىٰ ابنُ إسحاقَ عن شُيوخِه أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُرْقَىٰ بمكةَ من العَيْن قبل أن يُنَزَّلَ عليه، فلما نزل عليه القرآن أصابَه نحوُ ما كان يُصِيبُه؛ فقالت له خديجة: أُوَجِّهُ إليك من يَرْقيك؟ قال: «أَمّا الآن فلا»[4].

١٥٣٣ ـ وحديثُ خديجة واختبارُها أَمْرَ جبريل بِكشْفِ رَأْسِها.... الحديث[5] إنما ذلك في حق خديجة لتتحقّق صِحّةَ نبوّةِ رسولِ الله ﷺ، وأَنَّ

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل/ المناهل (١١٦٤).

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٥) من حديث ابن عباس وقال: «رواه أحمد (١/ ٣١٢) متصلاً ومرسلاً والطبراني بنحوه.... ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٣) هو فقرة من حديث ابن إسحاق المتقدم برقم (١٥٢٨). وفي سنده جهالة. (إنّ الأبعدَ): يريد نفسه ﷺ كما في سيرة ابن إسحاق ص(١٢١).

(٤) رواه ابن إسحاق في سيرته (١/ ١٢٤) من طريق عبد الله بن أبي بكر، عن أبي جعفر قال: كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة، فتسرع إليه قبل أن ينزل الوحي، فكانت خديجة بنت خويلد تبعث إلىٰ عجوز بمكة ترقيه... فذكره.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث خديجة كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٦). قال الهيثمي: «وإسناده حسن».

الذي يأتيه مَلَك ، ويزولُ الشكُّ عنها ، لا أنها فعلَتْ ذلك للنبيّ ﷺ (١٤٤/أ) ولِيخْتَبِرَ هو حالَه بذلك.

١٥٣٤ ـ بل قد وردَ في حديث عَبْدِ الله بن محمد بن يحيىٰ بن[(١)] عُرْوَةَ ، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: أنَّ ورقةَ أَمر خديجة أَن تختبر[(٢)] الأَمْرَ بذلك[(٣)].

١٥٣٥ ـ وفي حديث إسماعيل بن أَبي حَكِيم أنها قالت لرسولِ الله ﷺ: يا بْنَ عَمّ! هل تستطيعُ أنْ تُخْبرني بصاحبكَ إذا جاءكَ؟ قال: «نعم» فلما جاء جبريلُ أخبرها ، فقالت له: اجلس إلى شِقِّي. . .» وذكر الحديث إلىٰ آخره؛ وفيه: فقالت: ما هذا شيطان![(٤)] هذا الملَك يا بْنَ عمّ! فاثْبُتْ وأَبْشِرْ ، وآمَنَتْ بِهِ.

فهذا يدلُّ على أنها مُسْتَثْبِتَةٌ بما فعلتهُ لنفسها ، ومستَظْهِرَةٌ لإيمانها ، لا للنبيّ ﷺ.

١٥٣٦ ـ وقولُ مَعْمَر[(٥)] في فَتْـرَةِ الوَحْي[(٦)]: «فَحَـزِنَ النبيُّ ﷺ ـ فيما بلغَنا ـ حُزْناً غَدَا مِنه مِرَاراً كي[(٧)] يتـردَّىٰ من شواهق الجبـال»[(٨)] لا يَـقْـدَحُ في هذا

---

(١) في الأصل: «عن» ، وهو تحريف. والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «تَخْبُرَ»: أي تمتحن.

(٣) في إسناده عبد الله بن محمد بن يحيىٰ بن عروة بن الزبير. قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ١١): «لا يحل كتابة حديثه ولا الرواية عنه» وانظر لسان الميزان (٣/ ٣٢) ، والحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل/ المناهل (١١٦٨).

(٤) في المطبوع: «بشيطان».

(٥) هو معمر بن راشد ، إمام حافظ. ولد سنة (٧٥) أو (٧٦) هـ ، ومات سنة (١٥٣) هـ. له كتاب «الجامع» حققه العلامة المرحوم حبيب الرحمن الأعظمي. وطبع ملحقاً بـ«مصنف عبد الرزاق».

(٦) فترة الوحي: يعني احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول.

(٧) في المطبوع: «كاد» ، وما في نسختنا موافق لرواية البخاري حيث نقل المصنف.

(٨) قول معمر ، أخرجه البخاري (٦٩٨٢). وهو من بلاغاته وليس موصولاً.

الأَصل ، لقول مَعْمَرٍ عنه: فيما بلَغَنا ، ولم يُسْنده ، ولا ذَكر راويه[1] ، ولا مَنْ حدَّث به ، ولا أَنَّ النبيَّ ﷺ قاله؛ وَلا يُعْرَف مِثْلُ هذا إلا من جهة النبيِّ ﷺ ، مع أنه قد يُحْمَلُ علىٰ أنه كان أَولَ الأَمرِ كما ذكَرْناه؛ أو أنه فعلَ ذلك لِمَا أَحْرَجه[2] مِنْ تكذيبِ مَنْ بلَّغه ، كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

١٥٣٧ ـ ويُصَحِّح معنى هذاالتأويل حديثٌ رَوَاهُ شَرِيك ، عن عَبْد الله بن محمد بن عَقِيل[3] ، عن جابر بن عبد الله: أَنَّ المشركين لمَّا اجتمعُوا بدارِ النَّدْوَةِ للتَّشَاوُرِ في شأنِ النبيِّ ﷺ ، واتفقَ رأْيُهم علىٰ أَنْ يقولوا: إنه ساحِرٌ، اشْتدَّ ذلكَ عليه ، وتزمَّل في ثيابه ، وتدثَّر فيها؛ فأتاه جبريلُ فقال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمّل: ١] و[4] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[5] [المدثر: ١].

أو خاف أَنَّ الفَتْرَةَ لأَمر أَو سَبَبٍ منه ، فخَشِيَ أَن يكونَ عقوبةً مِنْ ربِّه ، ففعل ذلك بنفسه ، ولم يَرِدْ بعدُ شَرْعٌ بالنَّهْيِ عن ذلك ، فيُعْتَرَض به.

ونحو هذا فِرَارُ يونُس ـ عليه السلام ـ خشيةَ تكذيبِ قومه له ، لمَا وَعَدهم به من العذاب؛ وقولُ اللهِ [تعالىٰ] في يونس عليه السلام: ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ . . . ﴾ الآية [الأنبياء: ٨٧] معناه (١٤٤/ب) أَنْ لَنْ نُضَيِّق عليه.

قال مكّيٌّ: طمِعَ في رَحْمَةِ الله وأَلاَّ يُضَيّق عليه مَسْلَكه في خروجه.

---

(١) في المطبوع: «رواته».

(٢) (أَحْرَجه): أي أوقعه في حرجٍ وضيق صدر.

(٣) في المطبوع: «محمد بن عبد الله بن عقيل» ، والصواب ما في نسختنا ، انظر تهذيب الكمال ترجمة (عبد الله بن محمد بن عقيل).

(٤) «الواو» لم ترد في المطبوع.

(٥) رواه البزار والطبراني في الأوسط. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠: «وفيه معلىٰ بن عبد الرحمن الواسطي ، وهو كذاب». وفي الباب عن ابن عباس عند الطبراني. قال في المجمع ٧/ ١٣١: «وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي ، وهو متروك». (دار الندوة): دار بناها قصي بن كلاب في الجانب الشمالي من الكعبة ، الذي هو الآن فسحة باب الزيادة ، سميت بذلك لأنهم كانوا ينتدون فيها للخير والشر. انظر في رحاب البيت ص: (١٩٤).

وقيل: حَسَّن ظَنّه بمولاه أنه لا يَقْضِي عليه العقوبة.

وقيل: نُقَدِّرُ عليه ما أصابه.

وقد قُرِىءَ[1]: ﴿نُـقَدِّر عليه﴾ بالتشديد.

وقيل: نُؤَاخذه بغَضَبِه[2] وذهابه.

وقال ابن زيد[3]: معناه: أفظنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه؟ علىٰ الاستفهام.

ولا يليقُ أَن يُظَنَّ بنبيّ أَن يَجْهلَ صفةً من صفاتِ ربّه.

وكذلك قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] الصحيح: مُغَاضِباً لقَوْمِه لكُفْرِهم؛ وهو قولُ ابن عباس، والضحّاك، وغيرهما؛ لا لِرَبِّه [عَزَّ وجَلَّ] إذْ مُغَاضَبَةُ اللهِ: مُعَادَاةٌ له؛ ومُعَاداةُ اللهِ: كُفْرٌ لا تليقُ بالمُؤْمنين، فكيف بالأنبياء!

وقيل: مُسْتَحْيياً مِنْ قَوْمِه أن يَسِمُوه[4] بالكذبِ أَو يقتلوه، كما ورد في الخبر.

وقيل: مُغَاضِباً لبَعْضِ الملوكِ فيما أَمَرَهُ به من التوجُّه إلىٰ أَمرٍ أَمرَهُ اللهُ به علىٰ لسانِ نبيٍّ آخر؛ فقال له يونسُ: غيري أَقْوىٰ عليه منّي؛ فعزم عليه فخرج لذلك مُغَاضِباً.

وقد رُوِي عن ابن عبّاس: أَنَّ إرسالَ يونس ـ عليه السلام ـ ونبوّته إنما كانت[5] بعد أَنْ نَبَذَه الحوتُ، واستدلّ من الآية بقوله: ﴿۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ، وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ، وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٥ ـ ١٤٧].

---

(١) أي في الشواذ/ قاله مُلاَّعلي القاري (٤/ ٢٤).
(٢) على هامش الأصل زيادة: «المعصيته»، وعليها علامة الصحة. ولم ترد في المطبوع.
(٣) في المطبوع: «أبو زيد». قال الخفاجي: وهو من تحريف النساخ.
(٤) يَسِموهُ: يَصِفُوهُ.
(٥) في المطبوع: «كان».

ويُستدلُّ أيضاً بقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ . . .﴾ [القلم: ٤٨] وذكر القصة.

ثم قال: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]؛ فتكون هذه القصةُ إذاً قبل نُبوّته.

١٥٣٨ ـ فإنْ قِيل: فما مَعْنَىٰ قولِه عليه السلام: «**إنّه ليُغَانُ علىٰ قَلْبِي، فأَستَغْفِرُ الله [في] كلَّ يوم مئة مرةٍ؟**»[١].

١٥٣٩ ـ وفي طريق آخر: «**في اليوم أكثر من سبعين مرةً**»[٢].

فاحْذَرْ أَنْ يقعَ ببالك أَنْ يكونَ هذا الغَيْنُ وَسْوَسَةً أو رَيْباً[٣] وقع في قلبه عليه السلام؛ بل أَصْلُ الغَيْن في هذا: ما يتغشَّىٰ القَلْبَ ويُغطِّيه؛ قالهُ أبو عُبيدة[٤]، وأَصلُه مِنْ غَيْنِ السماء؛ وهو إطْبَاقُ الغَيْمِ عليها.

وقال غَيْره: والغَيْنُ شَيءٌ يُغَشِّي القَلْبَ ولا يُغَطِّيه [كلَّ التَّغْطِية] كالغَيْمِ الرقيق الذي يَعْرِضُ في الهواء، ولا يَمْنَعُ ضوءَ الشمس.

وكذلك لا يُفْهم من الحديث أنه يُغَانُ علىٰ قَلْبه مئةَ مرةٍ أو أكثر (١٤٥/ أ) مِنْ سبعين [مرة] في اليوم؛ إذْ ليس يقتضيه لَفْظُه الذي ذكرناه؛ وهو أكثر الرواياتِ؛ وإنما هذا عددٌ للاستغفار لا لِلْغَيْنِ؛ فيكون المرادُ بهذا الغَيْنِ إشارةً إلىٰ غَفَلات قَلْبِه، وفَتَرَاتِ نَفْسِه[٥]، وسَهْوِها عن مداومةِ الذِّكْر ومشاهدة الحق، بما كان ﷺ دُفِعَ إليه مِنْ مُقَاسَاةِ البَشَر، وسِياسةِ الأُمة، ومُعانَاةِ الأَهْلِ[٦]، ومُقَاوَمةِ الوَلِيّ، والعدو[٧]، ومصلحةِ النفس؛ وكُلِّفه من أعباء أداءِ الرسالةِ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغرّ المزني. وسيأتي برقم (١٦٠١، ١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة. وسيأتي برقم (١٦٢٩).

(٣) ريباً: شكّا. وفي المطبوع: «ريناً»، أي حجاباً.

(٤) في المطبوع: «أبو عبيد».

(٥) فترات نفسه: فتورها وكسلها.

(٦) معاناة الأهل: الاعتناء بأمرهم.

(٧) ومقاومة الولي والعدو: أي القيام بالأمر الذي يتعلق بالولي والعدو.

وحَمْلِ الأَمانة؛ وهو في كلٍّ هذا في طاعةِ ربِّه ، وعبادةِ خالقهِ؛ ولكن لمّا كان ﷺ أَرفعَ الخَلْقِ عند الله مكانةً ، وأَعلاهم دَرَجةً ، وأَتَمَّهم به معرفةً؛ وكانت حالُه عند خلوص قَلْبه ، وخُلوِّ هِمَّتِهِ ، وتَفرُّدِه بربِّه ، وإقباله بكلِّيَّتِهِ عليه ، ومقامُه هنالك أرفع حالَيْه ، رَأىٰ ـ عليه السلام ـ حال فَتْرتِه عنها ، وشُغْلِه بسوَاها ، غَضّاً مِنْ عَلِيِّ حالِه ، وخَفْضاً من رَفِيعِ مقامِه؛ فاستَغفَرَ اللهَ من ذلكَ .

[و]هذا أَوْلَىٰ وُجُوهِ الحديث وأَشهرُها .

وإلىٰ معنى ما أَشَرْنا به ، مالَ إليه[1] كثيرٌ من الناسِ ، وحام حَوْلَه؛ فقارَبَ ولم يَرِدْ[2] .

وقد قرَّبْنَا غامِضَ معناهُ ، وكشَفْنا للمستفيد مُحَيَّاهُ؛ وهو مبنيٌّ علىٰ جوازِ الفَتَرَاتِ ، والغَفَلاتِ ، والسَّهْو في غير طريقِ البَلاَغ ، علىٰ ما سَيأْتي[3] .

وذهبت طائفةٌ من أَربابِ القلوب ، ومَشْيَخةِ المتصوِّفة مِمَّنْ قال بتَنْزيه النبيِّ ﷺ عن هذا جملةً ، وَأَجلَّه أَنْ يَجُوز عليه في حالِ سَهْوٍ[4] أو فَتْرَةٌ إلىٰ أَنَّ معنى الحديث: ما يُهِمُّ خاطِرَهُ ، ويَغُمُّ فِكْرَهُ من أَمْرِ أُمَّتِه ـ عليه السلام ـ لاهتمامه بهم ، وكَثْرَةِ شفَقَتِه عليهم؛ فيستَغْفِر لهم .

قالوا: وقد يكونُ الغَيْنُ ـ هنا ـ علىٰ قَلْبِه: السَّكينةُ التي تَتَغَشَّاه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٤٠]؛ ويكونُ استغفارُه ـ عليه السلام ـ عندها إظهاراً للعبوديّة والافتقارِ .

وقال ابنُ عطاء: استغْفَارُه وفِعْلُه هذا تَعريفٌ لأُمَّتِهِ[5] بِحَمْلِهم علىٰ الاستغفار .

(١) كلمة: «إليه»، لم ترد في المطبوع .
(٢) لَمْ يَرِدْ: لم يصل إليه .
(٣) في المطبوع: «كما سيأتي» .
(٤) في الأصل «بسهو» ، والمثبت من المطبوع .
(٥) في المطبوع: «لِلأُمَّةِ» .

[و]قال غيره: ويستَشْعِرونَ الحذَرَ، ولا يَرْكنون (١٤٥/ب) إلىٰ الأَمْن.

وقد يُحتمل أن تكونَ هذه الإغَانَةُ حالةَ خَشْيَةٍ وإعظامٍ تغشىٰ قَلْبَه، فيستغْفِر حينئذٍ شُكْراً للهِ، وملازَمةً لعبُودِيته.

١٥٤٠ ـ كما قال في ملازمة العبادة: «أَفَلا أكونُ عَبْداً شَكُوراً؟»[١].

١٥٤١ ـ وعلى هذه الوجُوه الأخيرة يُحمل ما رُوِيَ في بعض طُرُقِ هذا الحديث عنه عليه السلام: «إنَّه ليُغَانُ علىٰ قَلْبِي في اليوم أَكثر من سبعين مرةً، فأَستغفرُ الله»[٢].

فإن قلْتَ: فما معنى قوله تعالىٰ لمحمد عليه السلام: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقوله لنُوحٍ عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فاعلم أنه لا يُلتَفَتُ في ذلكَ إلىٰ قَوْلِ مَنْ قال في آيةِ نبيّنا عليه السلام: فلا تكونَنَّ مِمَّنْ يَجْهَلُ أَنَّ اللهَ لو شاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ الهُدَىٰ. وفي آية نوح: لا تكونَنَّ ممن يجهَلُ أنَّ وَعْدَ الله حقٌّ؛ لقوله: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥]؛ إذ فيه إثْباتُ الْجَهْلِ بصفةٍ من صفاتِ الله؛ وذلك لا يجوزُ علىٰ الأنبياء.

والمقصودُ وَعْظُهم ألاَّ يَتَشَبَّهُوا في أُمورهم بسِمَات الجاهلين، كما قال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾. وليس في آيةٍ منها[٣] دَلِيلٌ علىٰ كَوْنهم علىٰ تلك الصفةِ التي نهاهم الله عن الكَوْنِ عليها؛[٤] فكيف؟ وآيـةُ نوح قَبْـلَها: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾. فَحَمْـلُ ما بعدها علىٰ ما قبلها أَوْلَـىٰ[٥]؛ لأَنَّ مِثْـلَ هذا قد يحتاجُ إلىٰ إذْنٍ.

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم برقم (٦٣٨)، وسيأتي برقم (١٦٤٥).

(٢) لم أقع علىٰ هذه الرواية فيما بين يدي من المصادر.

(٣) في المطبوع: «منهما».

(٤) (الكون عليها): أي الاتصاف بها.

(٥) في الأصل: «فحمل ما قبلها علىٰ ما بعدها أولىٰ»، والمثبت من المطبوع.

وقد تَجُوزُ إباحَةُ السؤالِ فيه ابتداءً؛ فنهاهُ الله أَنْ يسألَه عمّا طَوى عنه عِلْمَه، وأَكَنَّه مِنْ غَيْبه من السببِ المُوجبِ لهلاكِ ابنه.

ثم أَكْمَلَ الله [تعالىٰ] نعمتَه عليه بإعلامِه ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]. حكىٰ معناهُ مَكِّيٌّ.

كذلك أُمِرَ نَبِيُّنا ـ عليه السلام ـ في الآية الأخرىٰ بالتزامِ الصَّبْر علىٰ إعراضِ قومه؛ ولا يَحْرَجُ[1] عند ذلك؛ فيقارِبَ حالَ الجاهلِ بشدَّةِ التحسُّر. حكاه أبو بكر[2] بن فُورَك.

وقيل: معنى الخطاب لأمّة محمدٍ ﷺ؛ أي: فلا تكونوا من الجاهلين. حكاه أبو محمد مَكِّيٌّ؛ وقال: مثْلُه في القرآن كثير.

فبهذا الفضل وجب[3] القولُ بعِصْمَةِ (١٤٦/أ) الأنبياءِ منه بعد النبوة قَطْعاً.

فإنْ قلتَ: فإذا قرّرت عِصْمَتَهم من هذا، وأنه لا يجوزُ عليهم شيءٌ من ذلك، فما معنى إذاً وَعِيدُ اللهِ لنبيّنا [ﷺ] علىٰ ذلك إن فَعَلَه، وتحذيره منه، كقولِه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقولِهِ [تعالىٰ]: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله [تعالىٰ]: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

وقوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

---

(١) (ولا يَحْرَجُ): لا يضيق صدراً.

(٢) قوله: «أبو بكر»، لم يرد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «فبهذا الفَضْلُ أَوْجَبَ».

وقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآية [الأنعام: ١١٦].

وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١].

فاعْلَمْ ـ وفَّقَنا اللهُ وإياكَ ـ أنه [ﷺ] لا يَصِحُّ، ولا يجوزُ عليه، أَنْ لا يُبَلِّغَ، وأن يخالفَ أَمْرَ ربِّه، ولا أَنْ يُشْرِك [به] ولا يتقَوَّل علىٰ الله ما لا يُحِبُّ، أو يَفْتَرِي عليه، أو يَضِلَّ أو يُخْتَم علىٰ قلبه، أو يُطِيعَ الكافرين؛ لكن اللهَ تعالىٰ يَسَّرَ أَمْرَه بالمكاشفَةِ والبيان في البلاغ للمخالفين، وأَنَّ إبلاغَه إنْ لم يكُنْ بهذه السبيل فكأنه ما بلَّغ.

فطيَّبَ نَفْسَه، وقوَّىٰ قَلْبَه[1] بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ كما قال لموسىٰ وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦]؛ لِتَشْتَدَّ بصائرُهم في الإبلاغ، وإظهار دِينِ اللهِ، ويُذْهِبَ عنهم خوفَ العدوِّ المُضْعِفِ للنَّفْسِ.

وأَما قولُه [تعالىٰ]: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[2] [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

وقَوْلُه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] فمعناه: أن هذا جزاءُ مَنْ فَعَلَ هذا، وجزاؤُكَ لو كنْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُه، وهو لا يَفْعَلُه.

وكذلك قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فالمرادُ به غيرُه؛ كما قال: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

---

(١) في الأصل: «عليه»، وهو تحريف، والمثبت من المطبوع.
(٢) الوتين: نياط القلب، أو نخاع الظهر.

وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤] و﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وما أشبهه، فالمرادُ به[1] غيرُه وأنَّ هذه حالُ مَنْ أشْرَكَ؛ والنبيُّ ﷺ لا يجوزُ عليه هذا.

وقوله: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] فليس فيه أنه أطاعَهم، واللهُ (١٤٦/ب) ينهاهُ عمّا يشاءُ ويأمرُ[ه] بما يشاءُ؛ كما قال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]. وما كان طَرَدهم ـ عليه السلام ـ ولا كان مِنَ الظالمين.

فصل

[فِيْ عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنَ الجَهْلِ باللهِ تَعَالىٰ وَصِفَاتِهِ][2]

وأما عِصْمَتُهم من هذا الفن قبل النبوة فللناسِ[3] فيه خِلافٌ؛ والصوابُ أنهم معصومون ـ عليهم السلام ـ قبلَ النبوة من الجهل بالله وصفاته والشَّكِّ[4] في شيء مِنْ ذلك.

وقد تعاضدت الأخبارُ والآثارُ عن الأنبياء بتَنْزيههم عن هذه النَّقيصة منذُ وُلِدُوا، ونَشْأَتِهم على التوحيد والإيمان؛ بل على إشراقِ أنوارِ المعارفِ، ونَفَحاتِ ألطافِ السعادةِ، كما نبّهْنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا.

ولم ينقُلْ أَحدٌ من أَهلِ الأخبارِ أَنَّ أحداً نُبِّىءَ واصطُفِيَ مِمّن عُرِفَ بكُفرٍ

---

(١) كلمة: «به» لم ترد في المطبوع.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) في الأصل: «وللناس»، والمثبت من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «والتَّشَكُّكِ».

وإشراكٍ قبل ذلك. ومُسْتَنَدُ هذا الباب النَّقْلُ؛ وقد اسْتَدلَّ بعضُهم بأَنَّ القلوبَ تَنفِرُ عمَّن كانت هذه سبيله.

وأنا أقول: إنَّ قُريشاً قد رَمَتْ نَبِيَّنا ـ عليه السلام ـ بكلّ ما افْتَرَتْهُ، وعَيَّر كُفّارُ الأمم أنبياءَها بكل ما أَمكنها واختلقَتْه، مما نَصَّ اللهُ [تعالى] عليه، أو نقَلَتْهُ إلينا الرُّوَاةُ، ولم نجدْ في شيء من ذلكَ تَعْيِيراً لواحدٍ منهم برفْضِهِ آلهَته، وتَقْريعه[1] بذَمّه بتَرْكِ ما كان قَدْ جامَعَهم عليه[2].

ولو كان هذا، لكانوا بذلك مُتَبادِرين[3]، وبتَلَوُّنه في معبوده محتجِّين، ولكَان توبيخُهم له بِنَهيِهم عما كان يعبدُ قَبْلُ أفْظَعَ وأقطعَ في الحجة مِنْ توبيخه بنَهْيِهم عن تَرْكِهم آلِهَتهم، وما كان يعبدُ آباؤهم من قبل.

ففي إطْبَاقِهم[4] على الإعراض عنه دَليلٌ على أنهم لم يجدُوا سبيلاً إليه؛ إذ لو كان لنُقِل، ولما سَكتُوا عنه، كما لم يسكتُوا عندَ تحويل القِبْلة، وقالوا: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ... ﴾ [البقرة: ١٤٢]، كما حكاه الله عنهم.

وقد استدلَّ القاضي القُشَيْري على تنزيههم عَنْ هذا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقوله[5] [تعالى]: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال: فطهّرهُ اللهُ في الميثاق (١٤٧/أ).

وبَعِيدٌ أَنْ يَأْخُذَ منه الميثاقَ قَبْل خَلْقِه، ثم يَأْخذ مِيثاق النَّبيين بالإيمان به

---

(١) تقريعه: لَوْمِهِ وَتَوْبِيْخِهِ.
(٢) جامعهم عليه: وافقهم عليه.
(٣) في المطبوع: «مُبادرين».
(٤) إطباقهم: إجماعهم.
(٥) في المطبوع: «وبقوله».

ونَصْرِه قَبْلَ مولده بدُهور ، ويجوِّزَ عليه الشِّرْكَ أو غيرَه من الذنوب. هذا ما لا يجوِّزُه إلا مُلْحِد[1] . هذا معنى كلامه.

١٥٤٢ ـ وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريلُ [عليه السلامُ] وشقَّ قَلْبَهُ صغيراً[2] ، واستخرج منه عَلَقَةً ، وقال: هذا حظُّ الشيطانِ منكَ ، ثم غسله وملأَهُ حِكْمةً وإيماناً ، كما تظاهرت به أخبارُ المبدأ.

ولا يُشَبَّهُ عليكَ بقولِ إبراهيم في الكوكب والقَمر والشمسِ: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦] فإنه قد قيل: كان هذا في سِنّ الطفولية ، وابتداءِ النظَر والاستدلال؛ وقَبْلَ لزومِ التكليف.

وذهب معظَمُ الحُذَّاقِ من العلماء المفسّرين إلى أنه إنما قال ذلك مُبَكِّتاً[3] ، لقومه ، ومستدلاً عليهم.

وقيل: معناه الاستفهامُ الوارِدُ مَوْرِدَ الإنكار؛ والمرادُ: فهذا رَبِّي؟!

قال الزَّجَّاجُ: قولُه: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦] أي على قولكم؛ كما قال: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٧] أي عندكم.

ويدلُّ على أنه لم يَعْبُدْ شيئاً مِنْ ذلك ، ولا أَشْرَكَ قطُّ باللهِ طرْفَةَ عَيْن: قولُ الله تعالى عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٠].

ثم قال: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧].

وقال: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٤]؛ أي: من الشِّرْك.

وقوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فإن قلْتَ: فما معنى قوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الأنعام: ٧٧].

---

(١) ملحِدٌ: زائغ مائل عن الحق.

(٢) تقدمت أحاديث شَقِّ صدره الشريف برقم (٤١٥) وما بعده.

(٣) مُبَكِّتًا: مقرِّعاً مُوَبِّخاً.

قيل: إنه إنْ لم يُؤَيِّدْني [اللهُ] بمعونته أَكُنْ مِثْلَكم في ضَلالتكم وعبادتكم، على معنى الإشْفَاقِ والحذَر؛ وإلاّ فهو معصومٌ في الأَزَلِ من الضلال.

فإنْ قُلْتَ: فما معنى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا. . . .﴾ الآية [براهيم: ١٣]. ثم قال بعد ذلك عن الرسل: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا. . .﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ فلا يُشكِلُ عليكَ لفظةُ العَوْدِ، وأنها تقتضي (١٤٧/ب) أَنَّهُمْ إِنَّما يعودون إلى ما كانوا فيه من مِلّتهم؛ فقد تأتِي هذه اللفظةُ في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداءٌ بمعنى الصَّيرُورَةِ(١).

١٥٤٣ ـ كما جاء في حديث الجهَنَّمِيِّين: «**عادُوا حُمَماً**»(٢) ولم يكونوا قبلُ كذلك.

ومِثْلُه قولُ الشاعر:

[تِلْكَ المكارِمُ لاقَعْبَانِ منْ لَبَنٍ] شِيْبَا بماءٍ فعَادَا بَعْدُ أَبْوالا(٣)

وما كانا قَبْلَ ذلك(٤)، كذلك.

فإن قلْتَ: فما معنى قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]؛ فليس هو من الضلال الذي هو الكُفْر؛ قيل: ضالاًّ عن النُّبوَّةِ فهدَاك إليها؛ قاله الطبري.

وقيل: وجدكَ بَيْنَ أَهلِ الضّلاَلِ، فعصمكَ مِنْ ذلك، وهدَاك للإيمان، وإلى إرشادهم.

---

(١) الصيرورة: هو وجود الشيء بعد أَنْ لم يكن/ قاله الخفاجي (٤/ ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣) من حديث الخدري. (عادوا حُمما): أي صاروا سوداً كالفحم. والحمم: الفحم.

(٣) جزم الخفاجي في نسيم الرياض (٤/ ٤٦) أن هذا البيت للشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن. (قعبان): مثنى قعب، وهو القدح الضخم الغليظ، (شِيبا): خُلِطا ومُزِجا.

(٤) كلمة «ذلك»، لم ترد في المطبوع.

ونحوه عن السُّدِّي وغَيْرِ واحدٍ.

وقيل: ضالاً عن شَرِيعتك التي[1] لاَ تَعْرِفُها فهَدَاك إليها.

والضلال ها هنا: التَّحَيُّر؛ ولهذا كان ـ عليه السلام ـ يخْلُو بغار حِرَاءَ في طلب ما يتوجّه به إلى ربّه، ويَتَشَرَّع[2] به حتى هدَاهُ إلى الإسلام، قال[3] معناه القُشَيْري.

وقيل: لا تَعْرفُ الحقّ، فهدَاكَ إليه. وهذا مثْلُ قوله [تعالى]: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]؛ قاله علي بن عيسى[4].

قال ابن عباس: لم تكن له ضلاَلةُ معصيةٍ.

وقيل: هَدَى؛ أي بيَّن أَمْرَكَ بالبَرَاهين.

وقيل: وَجَدَكَ ضَالاً بين مكة والمدينة، فهدَاكَ إلى المدينة.

وقيل: المعنى: وَجَدك فهدىَ بكَ ضالاً.

وعن جعفر بن محمد: وَوجدكَ ضالاً عن مَحبَّتي لكَ في الأَزَلِ؛ أي: لا تعرفها؛ فمنَنْتُ عليكَ بمعرفتي.

وقرأَ الحسنُ بن عليّ: ووَجدك ضالٌّ فهدَىٰ[5]؛ أي اهتدىٰ بك.

وقال ابنُ عطاء: ووَجدكَ ضالاً، أي: مُحِبّاً لمعرفتي. والضالُّ: المُحِبُّ؛ كما قال: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]؛ أي محبتك القديمة؛ ولم يريدوا ها هنا في الدّين؛ إذْ لو قالوا ذلك (١٤٨/أ) في نبيّ اللهِ لكفَرُوا.

---

(١) في المطبوع: «أي».

(٢) يتشرَّع به: يتخذه شريعة، وعبادة تقربه لربه.

(٣) في المطبوع: «حكىٰ».

(٤) علي بن عيسى الرُّمَّاني. علامة نحوي معتزلي. مات سنة (٣٨٤)هـ عن (٨٨) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤.

(٥) وهي قراءة شاذة/ قاله في نسيم الرياض (٤/ ٤٨).

و[مِثْلُه] عند هذا قولُه: ﴿إِنَّا لَنَرَنٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٣٠]. أي: مَحَبَّةٍ بيِّنَةٍ.

وقال الجُنَيْدُ(١): ووَجدكَ مُتحَيِّراً في بيانِ ما أُنزِلَ عليكَ فهداكَ لِبَيَانِهِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقيل: ﴿ووَجدك﴾ لم يعرفْكَ أَحدٌ بالنبوَّةِ حتى أظهركَ، فَهدى بك السعداءَ، ولا أعلمُ أحداً قال من المفسرين ها هنا(٢) فيها: ضالاً عن الإيمان.

وكذلك في قصةِ موسى عليه السلام قوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي: من المخطئين الفاعلين شيئاً بغير قَصْد؛ قاله ابنُ عَرَفة(٣).

وقال الأزهري(٤): معناه من النَّاسِين.

وقد قيل(٥) ذلك في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]؛ أي ناسياً؛ كما قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ...﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإنْ قلْتَ: فما معنى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) هو الجنيد بن محمد. شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومئتين. ومات سنة (٢٩٧)هـ. من كلامه: عِلْمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ولم يتفقَّهْ، لا يقتدى به. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦ ـ ٧٠.

(٢) قوله: «ها هنا»، لم يرد في المطبوع.

(٣) هو الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، إمام محدث ثقة، ولد سنة (١٥٠)هـ ومات بسامَرّاء سنة (٢٥٧)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/٥٤٧ ـ ٥٥١.

(٤) هو محمد بن أحمد الأزهري. صاحب كتاب تهذيب اللغة. كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ثبتا، ديِّنًا. مات سنة (٣٧٠)هـ عن (٨٨) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/٣١٥ ـ ٣١٧.

(٥) في الأصل زيادة: «في»، وهي إقحامٌ من الناسخ، ولم ترد في المطبوع.

فالجواب أَنّ السمرقندي قال: معناه: ما كنْتَ تَدْرِي قبْل الوَحْيِ أَنْ تقرأ القرآنَ، ولا كيف تدعو الخَلْق إلى الإيمان.

وقال بَكْرٌ القاضي[1] نحوه؛ قال: ولا الإيمانُ الذي هو الفرائض والأحكام؛ قال: فكان [ﷺ] قَبْلُ مؤمناً بتوحيده؛ ثم نزلت الفرائضُ التي لم يكن يَدْرِيها[2] قبْلُ؛ فزاد بالتكليف إيماناً؛ وهو أحسَنُ وجوهِه.

فإن قلْتَ: فما معنى قوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣] فاعلم أنه ليس بمعنى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧]؛ بل قد حكى أبو عُبَيْد الهَرَوي[3] أن معناه لمِنَ الغافلين عن قصةِ يوسف؛ إذْ لم تَعْلَمْها إلاّ بوَحْينا.

١٥٤٤ ـ وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شَيْبَة بِسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري[4] ـ رضي الله عنه ـ أَنّ النبيَّ ﷺ قد كان يشهدُ مع المشركين مشاهِدَهم، فسمِعَ المَلَكَيْنِ خَلْفه، أَحدهما يقولُ لصاحبه: اذهَب حتى تقومَ خَلْفَه. فقال الآخر: كيف أَقومُ خَلْفَه وعَهْدُه باستلامِ الأصنام؟ فلم يشهدهم بعد[5].

فهذا حديثٌ أَنكره أحمد بن حَنْبَل جدّاً، وقال: هذا[6] موضوع، أو شبِيهٌ بالموضوع.

---

(١) هو بكر بن العلاء القشيري. تقدم التعريف به.

(٢) في المطبوع: «يدربها»، وهو خطأ طباعي.

(٣) في الأصل «أبو عبيد الله الهروي»، والمثبت من المطبوع. وأبو عبيد الهروي هو أحمد بن محمد الشافعي الهروي، علامة، لغوي، مؤدب. توفي سنة (٤٠١)هـ. له كتاب «الغريبين» وهو في الجمع بين غريب القرآن والحديث. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) قوله: «ابن عبد الله الأنصاري»، لم يرد في المطبوع.

(٥) واخرجه أيضاً أبو يعلى (١٨٧٧) من طريق عثمان بن أبي شيبة. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٢٣: «وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو سَيِّءُ الحفظ...» وقال أيضاً ٨/ ٢٢٦: «ولا يحتمل هذا من مثله» وقال ابن كثير في السيرة ١/ ٢٥٣: «حديث أنكره غير واحد من الأئمة على عثمان بن أبي شيبة...».

(٦) في المطبوع: «هو».

وقال الدارقُطْني: يقال: إن عثمان وَهِمَ في إسناده.

والحديثُ بالجملة مُنْكرٌ غيرُ متفَق على إسناده؛ فلا يُلتفَتُ إليه.

١٥٤٥ ـ والمعروف عن النبيّ ﷺ خِلافُه عند أهل العلم من قَوْله: «**بُغِّضَتْ إليَّ** (١٤٨/ب) **الأصنامُ**»[١].

١٥٤٦ ـ وقوله في الحديث الآخر الذي روَتْه أُمُّ أيمنَ حين كلَّمه عَمُّه وآلُه في حضُور بعض أعيادهم، وعزَمُوا عليه فيه بعد كَرَاهته لذلك؛ فخرج معهم، ورجع مَرْعُوباً؛ فقال: «**كلّما دَنَوْتُ منها مِنْ صَنَم تمثَّلَ لي شَخْصٌ أبيضُ طويل يصيح بي: وَرَاءَكَ، لا تمسَّه**» فما شَهِدَ بَعْدُ لهم عِيداً[٢].

١٥٤٧ ـ وقوله ـ في قصّة بَحِيْرا حين استحلفَ النبيَّ ﷺ باللَّاتِ والعُزَّى، إذ لقِيَه بالشَّام في سَفْرَته مع عمّه أبي طالب وهو صبيٌّ، ورأى فيه علاماتِ النبوَّة، فاختبره بذلك، فقال له النبيّ ﷺ: «**لا تسألْني بهما، فواللهِ! ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهما**».

فقال له بَحِيرَا: فبالله! إلاّ ما أخبرتني عما أَسأَلُكَ عنه. فقال: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لك**»[٣].

وكذلك المعروف مِنْ سيرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتوفيق الله له أنه كان قبل نبوّته يخالفُ المشركين في وقوفهم بمُزْدَلفة[٤] في الحج؛ فكانَ يقفُ هو بعَرَفَة؛ لأنه كان موقفَ إبراهيم عليه السلام.

---

(١) تقدم برقم (١٦٥).

(٢) أخرجه ابن سعد من رواية ابن عباس عنها/ المناهل (١١٧٧).

(٣) أخرجه ابن سعد عن نفيسة بنت مُنْيَة/ المناهل (١١٧٨). وأخرجه ابن إسحاق في سيرته ص (٧٥) بدون إسناد. (استحلف): أقسم عليه، أو طلب منه أن يحلف.

(٤) المزدلفة: موضع بين منًى وعرفات، يبيت به الحجاج ليلة عيد الأضحى، بعد وقوفهم بعرفة. والمزدلفة واقعة بين مَأزِمَيْ عرفة ـ الذي يقال له المضيق ـ وبين وادي مُحَسِّرٍ من جهة منى، وطولها بين هذين الحدين (٤٣٧٠) متراً. انظر في رحاب البيت ص (٤٠٥).

فصـل

[فِيْ أَنَّـهُ لا يُـشْتَـرَطُ فِـيْ حَـقِّ الأَنْبِيَـاءِ العِصْمَـةُ مِنْ عـدَمِ مَعْرِفَـتِهِمْ بِبَـعْضِ أُمُـورِ الدُّنْيـا][1]

قال القاضي أبو الفضل ـ رحمه الله ـ: قد بان بما قدمناه عقودُ[2] الأنبياءِ في التوحيد ، والإيمان ، والوَحْي وعِصْمتهم في ذلك على ما بيَّنَّاه.

فأَمَّا ما عَدَا هذا الباب من عقودِ قُلوبهم فجِمَاعُها أنها مملوءةٌ عِلْماً ويقيناً على الجُمْلَة ، وأنها قد احتَوَتْ من المعرفة والعلمِ بأمور الدِّين والدنيا مِمَّا[3] لا شَيْءَ فَوْقَه.

ومَنْ طالعَ الأخبارَ ، واعتنى بالحديث ، وتأمَّلَ ما قُلْنَاهُ وَجدَه.

وقد قدمنا منه في حقِّ نبيِّنا ـ عليه السلام ـ في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما يُنبِّه على ما وراءَه ، إلا أنَّ أحوالَهم في هذه المعارفِ تختلِفُ.

فأَمَّا ما تعلّق منها بأَمْرِ الدنيا فلا يُشْتَرَطُ في حَقِّ الأنبياءِ العِصْمَةُ مِنْ عَدَم معرفة الأنبياء ببعضها ، أو اعتِقادِها على خلاف ما هِيَ عليه ، ولا وَصْمَ[4] عليهم فيه؛ إذْ هِمَمُهم متعلِّقَةٌ بالآخرة وأنبائها ، وأمْرِ الشريعةِ وقوانينها. وأمورُ الدنيا تضادُّها[5]، بخلاف غيرهم من أهْلِ الدنيا الذين ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

كما سنُبَيِّنُ هذا في الباب [الثاني] إنْ شاء الله؛ ولكنَّه لا يُقال: إنهم

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.
(٢) عقود: جمع عَقْدٍ، وهو الاعْتقادُ الجازم.
(٣) في المطبوع: «ما».
(٤) لا وَصْمَ: لا عَيْبَ.
(٥) تضادُّها: تخالفها.

لا يعلمون شيئاً مِنْ أَمْرِ الدنيا؛ فإنّ ذلك يؤدي إلى الغَفْلَةِ والبَلَه [(١)]، وهم المنزَّهُون عنه؛ بل قد أُرسِلُوا (١٤٩/أ) إلى أهل الدنيا، وقُلِّدُوا سِيَاسَتَهم وهدايتَهم، والنظرَ في مصالح دِينهم ودُنياهم؛ وهذا لا يكون مع عَدَمِ العِلْمِ بأمور الدنيا بالكلِّيَّة؛ وأحوالُ الأنبياءِ وسِيَرُهم في هذا الباب معلومةٌ، ومعرفتُهُم بذلك كلِّه مشهورةٌ.

وأَمّا إن كان هذا العَقْدُ مما يتعلّقُ بالدِّين [(٢)] فلا يَصِحُّ من النبيِّ [ﷺ] إلاّ العِلْمُ به، ولا يجوزُ عليه جَهْلُه جملةً؛ لأنه لا يَخْلُو أن يكونَ حصلَ عِنْدَهُ ذلك عن وَحْيٍ مِنَ الله، فهو ما [(٣)] لا يصِحُّ الشكُّ منه فيه ـ على ما قدَّمناه ـ فكيف الْجَهْلُ؟ بل حصل له العِلْمُ اليقين. أو يكون فَعَلَ ذلك باجتهاده فيما لم يَنْزِلِ عليه فيه شيء، على القَوْل بتجويز وُقُوع الاجتهادِ منه في ذلك على قول المحقِّقِينَ،

١٥٤٨ ـ وعلى مقتضى حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: «**إني إنَّما أَقْضِي بينكم بِرَأْيي فيما لم يُنْزَل عَلَيَّ فيه شيء**» [(٤)]. خرّجه الثقات.

وكقِصَّة أَسْرَىٰ بَدْر، والإِذْنِ للمُتَخَلِّفين على رَأْيِ بعضهم، فلا يكون أيضاً ما يعتَقِدُه مما يُثْمِرُه اجتهادُه إلا حقّاً وصحيحاً.

هذا هو الحق الذي لا يُلْتَفَتُ إلى خلافِ مَنْ خَالفَ فيه [ممَّنْ أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد] لا على القولِ بتَصْوِيبِ المجتهدين الذي هو الحقُّ والصوابُ عندنا؛ ولا على القولِ الآخَر بأن الحقَّ في طرَفٍ واحدٍ لعصمةِ النبيِّ ﷺ من الخَطأ في الاجتهاد في الشرعيات؛ ولأنَّ القولَ في تَخْطئةِ المجتهدين إنما هو بَعْدَ استقرارِ الشَّرْعِ؛ ونَظَرُ النبيِّ [ﷺ] واجتهادُه إنما هو فيما لم يَنْزِلْ عليه فيه

---

(١) الغفلة والبلَه: شدة البلادة، وعدم الإدراك.

(٢) في الأصل: «فأما إن كان هذا العقد معلق بالدين»، والمثبت من المطبوع.

(٣) كلمة: «ما»، لم ترد في المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣)، وأبو داود (٣٥٨٥)، واللفظ له. وسيأتي برقم (١٥٧٨، ١٦٦٨، ١٦٦٩).

شيءٌ ، ولم يُشْرَعْ لَهُ قَبْلُ؛ هذا فيما عَقَد عليه قلبَه[1] ﷺ ، فأمّا ما لم يَعْقِدْ عليه قَلْبَه من أمْرِ النَّوَازِلِ[2] الشرعية؛ فقد كان لا يعلمُ منها أوّلاً إلاَّ ما علَّمَهُ اللهُ ـ عز وجل ـ شيئاً فشيئاً حتى استقرَّ عِلْمُ جملتها[3] عِنْدَه؛ إمّا بوَحْيٍ من اللهِ ، أو إذْنٍ [له] أنْ يَشْرَع في ذلك ، ويَحْكُم بما أراه الله .

وقد كان ينتظِرُ الوَحْيَ في كثير منها؛ ولكنه لم يَمُتْ ﷺ حتى اسْتَفْرَغَ عِلْمَ[4] جَمِيعها عنده (١٤٩/ب) عليه السلام ، وتقرَّرت معارفُها لدَيْهِ على التحقيق ، ورَفْع الشكّ والرَّيْب ، وانْتِفَاء الْجَهْل .

وبالجملة فلا يَصِحُّ منه الجهلُ بشيءٍ مِنْ تفاصيل الشَّرْعِ الذي أُمِرَ بالدعوة إليه؛ إذ لا تَصِحُّ دَعْوَتُه إلى ما لا يَعْلَمُ[5] .

وأمّا ما تعلَّقَ بعَقْدِهِ من مَلَكُوتِ السمواتِ والأرض[6] ، وخَلْقِ الله [تعالى] وتَعْيين أسمائه الحسنى ، وآياته الكبرى ، وأُمورِ الآخرةِ ، وأشْرَاطِ الساعةِ ، وأَحْوَالِ السعداء والأشقياءِ ، وعِلْم ما كان وما يكونُ مما لا[7] يعلَمُه إلا بوَحْيٍ ـ فعلى ما تقدّم من أنه معصوم فيه ، لا يَأْخُذُه فيما أُعلِمَ به[8] شَكٌّ ولا رَيْبٌ؛ بل هو فيه على غَايةِ اليقين .

١٥٤٩ ـ لكنه لا يشترطُ له العلمُ بجميع تَفَاصِيل ذلك ، وإنْ كَانَ عنده مِنْ عِلْمِ ذلك ما ليس عند جَمِيع البَشَر؛ لقوله : «**إنّي لاَ أَعْلَمُ إلاَّ ما علَّمني رَبّي**»[9] .

---

(١) عقد عليه قلبه : أي عَزم عليه واستقرّ لديه .
(٢) النوازل : القضايا التي تحدث وتحتاج لبيان الحكم فيها .
(٣) في المطبوع : «جميعها» .
(٤) استفرغ : استوفى واستجمع . وفي المطبوع : «استقرّ» ، أي تحقق وتقرّرَ .
(٥) في المطبوع : «يعلمه» .
(٦) بعقده من ملكوت السموات والأرض : أي بجزم قلبه فيما بَصَّرَهُ الله تعالى به من علمه ﷺ بحقيقة الأجرام العلوية .
(٧) في المطبوع : «لم» .
(٨) في المطبوع : «منه» .
(٩) رواه البيهقي/ المناهل (١١٨٢) .

١٥٥٠ ـ ولقوله: «ولاَ خَطَر عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ... ﴾[1] [السجدة: ١٧].

وقول موسى ـ عليه السلام ـ للْخَضِرِ: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

١٥٥١ ـ وقوله ﷺ: «أسألكَ بأسمائك الحُسنى ما علمتُ منها وما لمْ أعْلَمْ»[2].

١٥٥٢ ـ وقوله: «أسألُكَ بكل اسْمٍ [هُوَ لكَ] سَمَّيْتَ به نَفْسَك، أو استأثرتَ[3] به في علم الغيب عندك»[4].

وقد قال [الله] تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] قال زَيْدُ ابن أسْلم وغيرُه: حتى ينتهي العلمُ إلى الله.

وهذا ما لا خَفَاءَ به، إذْ معلوماتُه ـ تعالى ـ لا يُحَاطُ بها، ولا مُنْتَهى لها.

هذا حُكْمُ عَقْدِ النبيِّ ﷺ في التوحيد والشّرْع والمعارف والأمور الدينية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٥) من حديث سهل بن سعد.
(٢) أخرجه الديلمي عن أنس/ المناهل (١١٨٣).
(٣) في المطبوع: «واستأثرت».
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، والبزار (٣١٢٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢)، وابن السني (٣٤٠) من حديث ابن مسعود. وصححه ابن حبان (٢٣٧٢) موارد، وأخرجه الحاكم ١/ ٥٠٩، ٥١٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سَلِمَ من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه». وقال الذهبي: «وأبو سلمة لا يدرىٰ من هو؟ ولا رواية له في الكتب الستة». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦: «ورجال أحمد وأبي يعلى، رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان». وأخرجه الطبراني وابن السني (٣٣٩) من حديث أبي موسى الأشعري. قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٣٧. «فيه من لم أعرفه».

فصـل

[فِيْ إِجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَىٰ عِصْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكِفَايَتِهِ مِنْهُ][(١)]

واعلَمْ أنَّ الأمّةَ مجتمعةٌ على عِصْمَةِ[(٢)] النبيِّ[(٣)] [ﷺ] من الشيطانِ وكفايتِه منه، لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطرِه بالوساوس.

١٥٥٣ ـ وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو عليّ ـ رَحِمه الله ـ قال: حدثنا أبو الفَضْلِ بن خَيْرون العَدْل، حدثنا أبو بكر البَرْقَاني وغَيْرُه، حدثنا أبو الْحَسَنْ الدارقُطْني، حدثنا إسماعيل الصفّارُ، حدثنا عباس التَّرْقُفِي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سُفْيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الْجَعْد، عن مسروق[(٤)]، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (١٥٠/أ) قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْكُم مِنْ أحَدٍ إلاّ وقد وُكِّلَ به قرينُه من الْجِنّ، وقَرِينُه من الملائكة».

قالوا: وإياكَ؟ يا رسولَ الله! قال: «وإيّايَ؛ ولكنَّ اللهَ تعالى أعانني عليه فأَسْلَمَ».

زاد غيرُهُ، عن مَنْصُور: «فلا يأمرني إلاّ بخيرٍ»[(٥)].

١٥٥٤ ـ وعن عائشة بمعناه[(٦)].

رُوي: «فَأَسْلَمُ» بضم الميم؛ أي فأسلمُ أنا منه.

وصحّح بعضُهم هذه الروايةَ ورَجَّحها.

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) في المطبوع: «مجمعة».

(٣) أي حفظه وحمايته.

(٤) في المطبوع: «مسرور» وهو تحريف.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، والدارمي برقم (٢٧٧٧). وعنده: «قال أبو محمد: من الناس من يقول: أسلم: استسلم، يقول: ذلّ».

(٦) أخرجه مسلم (٢٨١٥).

ورُوِيَ: «فأسلمَ» يعني: القَرِينُ، أنه انتقل من حالِ كفرِه إلى الإسلام؛ فصار لا يَأمرُ إلاّ بخير، كالمَلك.

وهو ظاهر الحديث.

١٥٥٥ ـ ورواه بعضُهم: «فاستَسْلَمَ»[(١)].

قال القاضي أبو الفضل: فإذا كان هذا حُكْمُ شَيْطانِه وقَرِينهِ المُسَلَّطِ على بني آدم، فكيف بمن بَعُدَ منه، ولم يلزَمْ صُحْبَته، ولا أُقْدِرَ عَلى الدنوِّ منه؟!

وقد جاءت الآثارُ بتَصَدِّي الشياطين لَهُ في غير مَوْطنٍ؛ رغبةً في إطفاء نُوره وإمَاتةِ نَفْسِه، وإدخالِ شُغْلٍ عليه؛ إذ يئسُوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين، كتعرُّضِه له في صلاته؛ فأخذه النبيُّ ﷺ وأسَره.

١٥٥٦ ـ ففي الصِّحَاح، قال أبو هريرة، عنه عليه السلام: «إنَّ الشيطانَ عَرَض لي ـ قال عبد الرزاق: في صورةِ هِرٍّ ـ فشدَّ عليَّ يقطَعُ عليَّ الصلاةَ فأمْكنني اللهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّه. ولقد هممتُ أَنْ أوثقه إلى سارِيَةٍ من سواري المسجد[(٢)] حتى تُصْبحُوا تنظرونَ إليه، فذكرْتُ قول أخي سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ الآية [صَ: ٣٥] «فَرَدَّهُ الله خاسئاً»[(٣)].

١٥٥٧ ـ وفي حديث أَبي الدَّرْدَاء عنه عليه السلام: «إنَّ عدوَّ اللهِ إبليسَ جاءني بِشهابٍ من نار ليجعله في وَجْهي ـ والنبي ﷺ في الصلاة[(٤)] وذَكَرَ تعَوُّذَه بالله منه، وَلَعْنَهُ له ـ «ثم أردت أن[(٥)] آخُذَه» وذكر نَحْوَه؛ وقال: «لأَصْبَحَ موثَقاً يتلاعَبُ به وِلْدَانُ أَهْلِ المدينة»[(٦)].

---

(١) انظر تخريج الحديث المتقدم برقم (١٥٥٣).

(٢) قوله: «مِنْ سواري المسجد» لم يرد في المطبوع.

(٣) تقدم برقم (١١١٢). (ذَعَتُّهُ) أي خنقتُهُ. والذَّعْتُ والدَّعْتُ بالذال والدَّال: الدفع العنيف. والذعتُ أيضاً: المعك في التراب/ النهاية. (خاسئاً): ذليلاً صاغراً.

(٤) في الأصل: «وأنا في الصلاة». والمثبت من المطبوع.

(٥) كلمة: «أن»، لم ترد في المطبوع.

(٦) أخرجه مسلم (٥٤٢). (الشهاب): الشعلة الساطعة من النار/ المعجم الوسيط.

١٥٥٨ ـ وكذلك في حديثه في الإسراء ، وَطَلَبِ عِفرِيتٍ له بشُعلةِ نارٍ ، فعلّمه جبريلُ ما يتعوَّذُ به منه. ذكره في الموطَّأ[١].

١٥٥٩ ـ ولمّا لم يَقْدر على أذاه بمباشرته تسبَّب بالتوسُّط إلى عِدَاهُ؛ كقضيّته مع قُرَيش في الائتمار بقَتْلِ النبي ﷺ ، وتصوُّره في صورة (١٥٠/ب) الشَّيْخ النَّجْدِي[٢].

١٥٦٠ ـ ومرّةً أُخرة في غَزْوة يوم[٣] بَدْر في صورة سُرَاقة بن مالك[٤] ، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

١٥٦١ـ ومرةً يُنْذِرُ بشأنه عند بَيْعَةِ العَقَبةِ[٥].

وكُلُّ هذا فقد كفَاهُ اللهُ أَمْرَه ، وعَصَمَهُ ضَرَّه وشَرَّه.

١٥٦٢ ـ وقد قال عليه السلام: «إن عيسى ـ عليه السلام ـ كُفِيَ مِنْ لَمْسِه ، فجاءَ لِيَطْعَنَ بيده في خاصِرَتِهِ حين وُلِدَ ، فطَعَنَ في الحِجَابِ»[٦].

١٥٦٣ ـ وقال عليه السلام ـ حين لُدَّ في مَرَضِه ، وقيل له: خَشِينا أن يكون بكَ ذاتُ الجَنْب ـ فقال: «إنَّها من الشيطان ، ولم يكن اللهُ لِيُسلِّطَه عليَّ»[٧].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٥٠ عن يحيى بن سعيد مرسلاً. وأخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) موصولاً من حديث عبد الرحمن بن خنبش ، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٤/ ٣٦٦) من حديث أبي هريرة ، وعزاه إلى الإمام مالك. وقال محقق جامع الأصول الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ٤/ ٣٦٧: «وهو حديث حسن».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وغيره من حديث ابن عباس.

(٣) كلمة: «يوم» ، لم ترد في المطبوع.

(٤) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في تفسير ابن كثير ٢/ ٣١٧ ـ من حديث ابن عباس.

(٥) ذكره ابن إسحاق في السيرة ، كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٨٦) من حديث أبي هريرة. وانظر رواية أخرى في البخاري (٣٤٣١) ، ومسلم (٢٣٦٦). (الحجاب): الجلدة التي فيها الجنين أو الثوب الملفوف على الطفل (الفتح ٦/ ٣٤٢).

(٧) أخرجه أحمد ٦/ ١١٨ ، وأبو يعلى (٤٩٣٦) من حديث عائشة بلفظ: «ما كان الله يسلطها =

فإنْ قيل: فما معنى قوله [تعالى]: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. فقد قال بعض المفسرين: إنها راجعةٌ إلى قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ ثم قال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ ﴾ أي يستَخِفنّك غضَبٌ يحملُك على تَرْكِ الإعْراض عنهم فاستعِذْ بالله [تعالى].

وقيل: النَّزْغُ ـ هنا ـ: الفسادُ، كما قال [تعالى]: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: أفسد. وقيل: باعد[(١)].

وقيل: ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: يُغْرِيَنَّكَ ويُحَرِّكَنَّكَ. والنَّزْغُ: أدنى الوَسْوَسَةِ، فأَمره الله تعالى أنه متى تحرّك عليه غضبٌ على عدوّه، أو رَامَ الشيطانُ من إغرائه به وخَوَاطر أداني وَسَاوِسه، ما[(٢)] لم يُجْعَلُ له سبيلٌ إليه، أَنْ يستعيذَ منه، فيُكَفَى أمْره، ويكون ذلك سببَ تمامِ عِصْمَته، إذ لم يُسلَّط عليه بأكثر من التعرُّضِ له، ولم يُجْعل له قدرةٌ عليه.

وقد قيل في هذه الآية غَيْرُ هذا.

وكذلك لا يصحُّ أَن يتَصوَّرَ له الشيطانُ في صُورةِ المَلَك، ويُلبِّس[(٣)] عليه، لا في أول الرسالة ولا بعدها.

والاعتمادُ في ذلك دَلِيلُ المعجزةِ؛ بل لا يَشُكُّ النبيُّ أَنَّ ما[(٤)] يأتيه من الله المَلَكُ ورسولُه حقيقةً، إمَّا بِعلْم ضَرُورِيّ يخلُقه الله له، أو ببرهان يُظْهره لديه، لَتتِمَّ كلمةُ ربّك صِدْقاً وعَدْلاً، لَا مُبَدِّل لكلماته.

= عليَّ». ووقع في رواية الحاكم في المستدرك ـ كما في الفتح ٨/ ١٤٨ ـ: «ذات الجنب من الشيطان». وأخرجه بسياقه أخرى البخاري (٤٤٥٨)، ومسلم (٢٢١٣). (لُدَّ): أي جُعِلَ في جانب فمه دواء بغير اختياره (الفتح ٨/ ١٤٧).

(١) قوله: «أي أفسد، وقيل: باعد»، لم يرد في المطبوع.

(٢) «ما»، لم ترد في المطبوع.

(٣) يُلَبِّس: يخلط.

(٤) كلمة: «ما»، لم ترد في المطبوع.

فإنْ قيل: فما معنى قوله [تعالى]: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحج: ٥٢].

فاعْلَمْ أَنَّ للناس في معنى هذه الآية أقاويلَ، منها السَّهْلُ (١٥١/أ) والوَعْثُ[١]، والسمينُ والغَثُّ[٢]؛ وأولى ما يقالُ فيها ما عليه الجمهورُ من المفسّرين: أنّ (التمنّي) ها هنا: التلاوةُ، (وإلقاءُ الشيطان فيها) شَغْله بخواطر وأَذكارٍ مِنْ أُمورِ الدُّنْيا للتّالي حتى يُدْخلَ عليه الوَهْمَ والنسيانَ فيما تَلاَه، أو يُدْخلَ غيرَ ذلك على أفهام السامعين من التحريف، وسُوءِ التأويل ما يزيلُه اللهُ وينسخُه، ويكشِفُ لَبْسه، ويُحكم آياته.

وسيأتي الكلامُ على هذه الآية بعدُ بأَشْبَع من هذا إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وقد حكى السَّمَرْقَنديُّ إنكارَ قولِ مَنْ قال بتَسلُّطِ[٣] الشيطانِ على مُلْكِ سليمان، وغَلَبَتهِ عليه، وأَنَّ مِثْلَ هذا لا يَصِحُّ.

وقد ذَكَرْنا قصةَ سليمانَ مبيّنةً بَعْدَ هذا، ومَنْ قال: إنَّ الجسدَ هو الولد الذي وُلِدَ لَهُ.

وقال أبو محمد: مَكِّيٌّ[٤] - في قصة أَيوبَ وقولهِ: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ [صَ: ٤١]: إنه لا يجوز لأحد أن يتأوّل أنّ الشيطانَ هو الذي أَمْرَضَه، وأَلْقَى الضُّرَّ في بَدَنِه، ولا يكونُ ذلك إلا بِفِعْل اللهِ وأَمْرِه، ليَبْتَلِيَهم ويُثِيبَهُمْ[٥].

قال مَكِّيٌّ: وقد قيل: إنَّ الذي أصابه [به] الشيطانُ ما وَسْوسَ بِهِ إلى أَهله.

---

(١) الوَعْثُ: العسير الفهم.

(٢) الغَثُّ: الرديء الفاسد من كل شيء/ المعجم الوسيط.

(٣) في المطبوع: «بتسليط».

(٤) في الأصل: «أبو محمد بن مكي»، والمثبت من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «ويُثَبِّتَهُمْ».

فإن قُلْتَ: فما معنى قوله تعالى ـ عن يُوشَع[1]: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣] وقوله ـ عن يوسفَ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

١٥٦٤ ـ وقولِ نبيِّنا ـ عليه السلام ـ حين نام عن الصلاة يوم الوادِي: «إنَّ هذا وَادٍ به شَيْطَانٌ»[2].

وقول موسى ـ عليه السلام ـ في وَكْزتِه: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ...﴾؟ الآية [القصص: ١٥].

فاعلم أن هذا الكلام قد يَرِدُ في جميع هذا على مَوْرِد مستَمِرٍّ كلامِ العرب[3] في وصْفِهم كلَّ قبيح، من شَخْص، أو فعلٍ، بالشيطانِ أو فعلِه؛ كما قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

١٥٦٥ ـ وقال ـ عليه السلام ـ: «فلْيُقاتِلْه فإنّما هو شَيْطَانٌ»[4].

وأيضاً [فإنَّ] قَوْلَ يُوشعَ لا يَلْزَمنا الجوابُ عنه؛ إذ لم يَثْبت لَهُ في ذلك الوَقْتِ نبوَّةٌ مع[5] موسى؛ كما حكى الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ...﴾ الآية [الكهف: ٦٠].

والمَرْوِيُّ أنه إنما نُبِّىءَ بعد مَوْتِ موسى، وقيل: قُبَيْل موتِه.

وقولُ موسى كان قَبْلَ نبوَّتِه بدليل القرآن.

وقصةُ (١٥١/ب) يوسف أيضاً قد ذُكِرَ أنها كانت قَبْلَ نُبُوَّتِهِ.

---

(١) هو فتىٰ موسى المذكور في سورة الكهف.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٤) عن زيد بن أسلم مرسلاً. وهو صحيح الإسناد. قال الزرقاني في شرح الموطأ: قال ابن عبد البر: مرسلاً باتفاق من رُواةِ الموطأ. وجاء معناه متصلاً من وجوه صحاح.

(٣) مورد مستمر كلام العرب: أي مجرىٰ دأبهم، ومطرد عادتهم.

(٤) فقرة من حديث المارِّ بين يدي المصلي. أخرجه البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥) من حديث الخدري.

(٥) كلمة: «مع»، لم ترد في المطبوع.

وقد قال المفسّرونَ في قوله [تعالى]: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [يوسف: ٤٢] قولَيْن: أَحَدُهُمَا:

أَنَّ الذي أَنساهُ الشيطانِ ذِكْرَ ربّه أَحَدُ صاحبي السِّجْن، و(ربُّه): المَلِكُ؛ أي أنساهُ أنْ يَـذْكُر للملِكِ شأْنَ يوسف عليه السلام.

وأيضاً فإنَّ مِثْلَ هذا مِنْ فِعْلِ الشيطان ليس فيه تسليط[1] على يوسف ـ عليه السلام ـ ويُوشَعَ بوساوس ونَزْغ؛ وإنما هو بشَغْلِ خَوَاطِرهما بأُمُور أُخَرَ، وتذكيرهما من أمورهما ما يُنْسِيهما ما نَسِيَاهُ.

١٥٦٦ ـ وأمّا قولُه ـ عليه السلام ـ: «إنَّ هذا وادٍ به شَيْطَانٌ»[2]. فليس فيه ذِكْرُ تسلُّطه عليه، ولاَ وَسْوَسَةٍ[3] له.

١٥٦٧ ـ بل إنْ كان بمقتضى ظاهِرِه فقد بيَّن أمْرَ ذلك الشيطان بقوله: «إنَّ الشيطانَ أَتَى بِلاَلاً، فلم يـزَلْ يُـهَـدِّئُهُ كما يُـهَـدَّأُ الصبيُّ حتى نام»[4].

فاعلم أَنَّ تسلُّطَ الشيطانِ في ذلك الوادي [الذي عَرّس به][5] إنما كان على بلالِ الموكّل بكِلاءةِ[6] الفَجْر.

هذا إنْ جعلنا قَوْلَه: «إنَّ هـذا وادٍ بـه شيطـان» تَـنْبِيهاً على سبب النَّوْم عن الصلاة. وأما إنْ جعلناه تنبيهاً على سبب الرَّحِيلِ عن الوادي، وعلَّةً لتَرْكِ الصلاة به، وهو دليلُ مساقِ حديثِ زَيْد بن أَسْلَم[7] فلا اعتراضَ به في هذا الباب؛ لبيانه، وارتفاعِ إشكالِه.

---

(١) في المطبوع: «تسلط».

(٢) تقدم برقم (١٥٦٤)، وسيأتي برقم (١٦١٣).

(٣) في المطبوع: «وسوسته».

(٤) هو طرف من الحديث السابق. (يهدِّئه): يُسَكِّنُهُ ويُنَوِّمه.

(٥) عرَّس به: أي نزل به لينام ويستريح. والتَّعريسُ: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة/ النهاية.

(٦) الكِلاءَةُ: الحفظ والحراسة/ النهاية. والمقصود هنا: إيقاظهم لصلاة الفجر.

(٧) تقدم تخريج حديث زيد بن أسلم برقم (١٥٦٤). وفيه بعد قوله ﷺ: «إن هذا وادٍ به شيطان»: فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي. ثم أمرهم رسول الله ﷺ أن ينزلوا، وأن يتوضؤوا. . .».

فصــل

[فِيْ صِدْقِ أَقْوَالِهِ ﷺ فِيْ جَمِيْعِ أَحْوَالِهِ][1]

وأما أَقواله ـ عليه السلام ـ فقامت الدلائل الواضحةُ بصحّةِ المعجزةِ على صِدْقه ، وأجمعت[2] الأُمةُ ـ فيما كان طريقُه البلاغَ [3]ـ أنه معصومٍ فيه من الإخبارِ عن شيء منها بخلاف ما هو به ، لا قَصْداً وعَمْداً ، ولا سَهْواً أو غَلَطاً.

أمَّا تعمُّد الخُلْف[4] في ذلك فَمُنْتَفٍ ، بدليل المعجزةِ القائمة مقام قَوْلِ اللهِ: صَدَقَ[5] فيما قال ، اتفاقا ، وبإطْبَاقِ أهلِ المِلّةِ ، إجماعاً.

وأما وقوعُه على جهة الغَلَطِ في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسْفَرَاييني ومَنْ قال بقوله. [و] مِنْ جهة الإجماع فقط ، ووُرودِ الشَّرْع بانتفاء ذلك ، وعصمةِ النبي ﷺ لا من مقتضى المعجزة نَفْسِها عند القاضي (١٥٢/أ) أبي بكر الباقِلاّني ومَنْ وافقَه لاختلافٍ بينهم في مقتضى الدليل. أعني: دليلَ المعجزة[6]. لا نُطوِّل بذكره ، فنخرجُ عن غَرَض الكتاب؛ بل نعتمد[7] على ما وقع عليه إجماعُ المسلمين ـ أنه لا يجوز عليه خُلْفٌ في القول في إبلاغ الشريعة ، والإعلام بما أخبر به عن رَبّه ، وما أَوْحاهُ إليه من وَحْيِهِ ، لا على وَجْهِ العَمْد ، ولا على غَيْر عَمْد ، ولا في حالتي[8] الرِّضا والسخَط ، والصحةِ والمرض.

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) في الأصل: «واجتمعت». والمثبت من المطبوع.

(٣) البلاغ: التبليغ عن ربّه ما أوحىٰ إليه.

(٤) الخُلْف: الإخبار عن شيء، بخلاف ما هو به.

(٥) كلمة: «صدق» ، لم ترد في المطبوع.

(٦) في المطبوع: «في مقتضىٰ دليل المعجزة».

(٧) في المطبوع: «فلتعتمد» بدل «بل نعتمد».

(٨) في المطبوع: «حالَيْ».

١٥٦٨ ـ وفي حديث عبد الله بن عَمْرٍو[١]: قلتُ: يا رسولَ الله! أَكتُب كلَّ ما أَسمَعُ منك؟ قال: «نعم». قلت: في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإنّي لا أقول في ذلك كلِّه إلا حقّاً»[٢].

ولْنَزِدْ ما أَشَرْنا إليه من دَلِيل المعجزة عليه بياناً؛ فنقول:

إذا قامت المعجزةُ على صِدْقِه، وأنه لا يقولُ إلاّ حقاً، ولا يبلّغُ عن اللهِ إلاّ صِدْقاً، وأنَّ المعجزةَ قائمةٌ مقامَ قَوْلِ الله تعالى له: صدَقْتَ فيما تذْكرُه عني؛ وهو يقول: إني رسولُ الله إليكم، لأُبلّغكم ما أُرسلْتُ به إليكم، وأبيّن لكم ما نُزِّلَ إليكم، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ . . .﴾ الآيات [النجم: ٣، ٤].

و﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؛ فلا يصحُّ أن يوجَدَ منه في هذا الباب خَبَرٌ بخلاف مُخْبَره على أيّ وَجْه كان.

فلو جوّزْنا عليه الغَلَط والسَّهْوَ لما تميّزَ لنا من غيره، ولاخْتَلط[٣] الحقُّ بالباطل؛ فالمعجزةُ مُشْتَمِلَةٌ على تصديقه جُمْلَةً واحدةً من غير خصوصٍ؛ فتنزيهُ النبي ﷺ عن ذلك كلِّه واجبٌ برهاناً وإجماعاً كما قال أبو إسحاق رضي الله عنه.

فصل

[فِيْ رَدِّ المُؤَلِّفِ لِبَعْضِ الشُّبُهَاتِ وَالمَطَاعِن، كَرَدِّهِ لِقِصَّةِ الغَرَانِيْقِ وَبَعْضِ الشُّبَهِ الَّتِي يَتَمَسَّكُ بِهَا الزَّائِغُونَ][٤]

وقد توجَّهتْ هنا لبعض الطاعنين سؤالاتٌ؛ منها:

---

(١) في الأصل: «عبد الله بن عمر»، وهو تحريف.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، وصححه الحاكم (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦) ووافقه الذهبي.

(٣) في المطبوع: «ولا اختلط»، وهو خطأ.

(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

١٥٦٩ ـ ما رُوي من أنّ النبي ﷺ لمّا قرأ سورة(١): ﴿والنجم﴾. وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ـ قال: «تلك الغَرانيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتها لتُرْتَجَى» ويروى: «تُرْتضى» [١٥٢/ب] وفي رواية: «إنَّ شَفَاعَتَها لتُرْتَجَى، وإنها لمَعَ الغَرانيق العُلاَ».

وفي رواية(٢) أخرى: «والغرانقةُ العُلاَ، تلك للشفاعة تُرْتجى».

فلما ختم السورة، سجد ﷺ، وسجد المسلمون معه، والكُفّارُ لمّا سمعوه أَثْـنَىٰ على آلهتهم.

وما وقع في بعض الروايات أَنَّ الشيطانَ ألقاها على لسانه، وأنَّ النبي ﷺ كان تمنّى أنْ لو نزلَ عليه شيء يُقاربُ بينه وبين قومه.

وفي رواية أُخرى: ألاّ ينزل عليه شيء ينفِّرهم عنه؛ وذكر هذه القصة، وأنّ جبريل [عليه السلامُ] جاءه فعرض عليه السُّورة، فلما بلغ الكلمتين قال له: ما جئتُك بهاتين، فحزنَ لذلك النبيُّ ﷺ، فأنزل اللهُ ـ عز وجل ـ عليه تسليةً له(٣): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾(٤) [الإسراء: ٧٣، ٧٤].

---

(١) كلمة: «سورة»، لم ترد في المطبوع.

(٢) كلمة: «رواية»، لم ترد في المطبوع.

(٣) تسليةً له: إذهاباً لحزنه، وتطييباً لخاطره ﷺ.

(٤) قصة الغرانيق كذب مفترى، كما ذكره غير واحد. ولا عبرة بقول مَنْ قوَّاها وأولها ـ كابن حجر في شرح الهمزية ـ إذ لا حاجة لذلك. وصح من هذه القصة في الصحيح قراءة سورة النجم وسجود المسلمين والكافرين. وليس فيه ذكر قصة الغرانيق أصلاً. انظر تعليق العلامة أحمد شاكر على الحديث (٥٧٥) في سنن الترمذي. وانظر أيضاً أسنى المطالب ص (١٤٧ ـ ١٤٩). وسيبسط المصنف ـ رحمه الله ـ رداً وافياً عليها. (الغرانيق): المراد بها ـ هنا ـ الأصنام.

فاعلَمْ ـ وفَّقك اللهُ ـ أنَّ لنا في الكلام على مُشْكِل هذا الحديث مَأْخَذْينِ[١]:

أحدهما: في توهين[٢] أَصْلِه، والثاني على تسليمهِ.

أما المَأْخذُ الأول: فيكفيكَ أنَّ هذا حديثٌ لم يُخرجه أَحَدٌ من أهل الصحة، ولا رَوَاهُ ثِقَةٌ بسندٍ سليم متّصلٍ؛ وإنما أُولِعَ[٣] به وبمثله المفَسِّرُون والمؤرِّخون المولَعُون بكل غريب[٤]، المتلقّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقِيم.

ولقد صدق القاضي بَكْرُ بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلِيَ الناسُ ببعض أهل الأَهْواءِ والتفسير، وتعلَّق بذلك المُلْحِدُون[٥] مع ضَعْف نَقَلَته واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته؛ فقائلٌ يقول: إنه في الصلاة؛ وآخر يقول: قالها في نادِي قومِه حين أُنزلَتْ عليه السورة؛ وآخر يقول: قالها وقد أصابَتْه سِنَةٌ؛[٦] وآخر يقول: بل حَدَّثَ نَفْسَه فَسَها؛ وآخر يقول: إنَّ الشيطان قالها على لسانه، وإنّ النبيَّ ﷺ لمَّا عرضها على جبريل قال: ما هكذا أَقْرَأْتُك؛ وآخر يقول: بل أَعْلَمَهُمْ (١٥٣/أ) الشيطانُ أَنّ النبيّ ﷺ قرأَها؛ فلما بلغ النبيَّ ﷺ ذلك قال: «والله! ما هكذا نزلَتْ» إلى غير ذلك من اختلاف[٧] الرُّوَاة.

ومَنْ حُكِيَتْ هذه الحكايةُ عنه من المفسّرين والتابعين لم يسندها أَحَدٌ منهم، ولا رفعها إلى صاحبٍ؛ وأَكْثَرُ الطرق عنهم فيها ضعيفةٌ واهية، والمرفوعُ فيه: حديثُ شُعْبة، عن أبي بشر، عن سَعِيد بن جُبَير، عن ابن

---

(١) مأخذين: طريقَيْن ومنهجَيْن.
(٢) توهين: تضعيف.
(٣) أولع به: عَلِقَ به شديداً.
(٤) المولَعُون بكل غريب: المُتَعَلِّقون بكل غريب.
(٥) الملحدون: الطاعنون الزائغون.
(٦) سِنَةٌ: نُعَاسٌ.
(٧) في الأصل: «الاختلاف»، والمثبت من المطبوع.

عَبّاس قال فيما أحسبُ ـ الشك في الحديث ـ : أنّ النبيَّ ﷺ كان بمكةَ. . . وذكر القصة.

قال أبو بكر البزّار[1]: هذا الحديثُ لا نعلمُه يُرْوَى عن النبيّ ﷺ بإسنادٍ متّصلٍ يجوزُ ذكْرُه إلاّ هذا، ولم يُسْنِدْه عن شُعْبَةَ إلاّ أُمَيَّةُ بن خالد، وغيرُهُ يُرْسِلُه عن سعيد بن جُبَيْر؛ وإنما يعرفُ عن الكَلْبي، عن أبي صالح، عن ابْنِ عباس؛ فقد بيَّن لك أبو بكر ـ رحمه الله ـ أنه لا يُعْرَف من طريقٍ يجوز ذكره سِوَى هَذَا.

وفيه من الضَّعْفِ ما نبّه عليه مع وقوع الشكّ فيه، كما ذكرنا [ه‍] من الذي لا يُوثَق به، ولا حقيقة معه.

وأما حديث الكلبيِّ فمِمَّا[2] لا تجوزُ الروايةُ عنه ولا ذِكْرهُ لقوَّةِ ضَعْفه وكَذِبه، كما أشار إليه البزّار [رحمه الله].

١٥٧٠ ـ والذي منه في الصحيح أَنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: ﴿والنَّجم﴾ ـ وهو بمكة؛ فسجد، وسجد المسلمون[3] والمشركون والجنّ والإنس. هذا توهينه من طريق النّقْلِ، فأمَّا من جهة المعنى فقد قامت الحجةُ، وأجمعت الأمةُ على عصمته ﷺ ونزاهتِه[4] عن مِثْلِ هذه الرذيلة؛[5] إمَّا من تَمَنِّيه أن يُنْزَلَ عليه مثْلُ هذا من مَدْحِ آلهةٍ غيرِ الله، وهو كفر؛ أو أن يتسوَّرَ[6] عليه الشيطان، ويُشبِّه

---

(١) أبو بكر: هو الحافظ البزَّار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المتوفى سنة (٢٩٢) هـ. من مصنفاته (المسند الكبير) الذي جرّد زوائده الحافظ الهيثمي بكتاب سماه: «كشف الأستار عن زوائد البزار»، وقد طبع الزوائد في أربعة مجلدات بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله.

(٢) في الأصل: «مما»، والمثبت من المطبوع.

(٣) في المطبوع: «فسجد معه المسلمون. . .».

(٤) نزاهته: بعده.

(٥) الرذيلة: الخصلة الذميمة.

(٦) يتسوَّر: يتسلَّط.

عليه القرآن[1] حتى يجعلَ فيه ما ليس منه ، ويعتقدَ النبيُّ ﷺ أنَّ من القرآن ما ليس مِنْهُ حتى يُنَبِّهه جبريلُ عليه السلام ، وذلك كلُّه مُمْتَنِع في حَقِّه عليه السلام ، أو يقول ذلك النبيُّ ﷺ مِنْ قِبَلِ نفسه عَمْداً ، وذلك كُفر؛ أو سَهْواً ، وهو معصومٌ مِنْ هذا كله.

وقد قرَّرنا بالبرهان[2] والإجماع عصمَته ـ عليه السلام ـ من جَرَيانِ الكُفْرِ على قلبه (١٥٣/ب) أوْ لسانه ، لا عَمْداً ولا سَهْواً ، أو أنْ يتشبه عليه ما يُلْقيه المَلَك مِمَّا يُلْقِي الشيطانُ ، أو يكون للشيطانِ عليه سبيلٌ ، أو أن يتقوَّلَ على الله ، لا عَمْداً ولا سهواً ، ما لم يُنَزَّلْ عليه؛ وقد قال [الله] تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

وقال [تعالى]: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٥].

ووَجْهٌ ثانٍ: وهو استحالةُ هذه القصة نظَراً وعُرْفاً[3]؛ وذلك أنَّ هذا الكلام لو كان ـ كما رُوي لكان بعيدَ الالتئام [لكونه] متناقِضَ الأقسام ، مُمْتَزِج المَدْحِ بالذَّمِّ ، متخاذلَ التأليف والنّظم. ولَمَا كان النبيُّ ﷺ ولا مَنْ بحَضْرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ممن يخْفَى عليه ذلك؛ وهذا لا يَخْفَى على أدنى متأمّل ، فكيف بمَنْ رَجَح حِلْمهُ ، واتَّسع في باب البَيَان ومعرفةِ فصيحِ الكلام عِلْمُه؟!

ووَجْهٌ ثالثٌ: أنه عُلِم مِنْ عادةِ المنافقين ، ومُعَانِدي المشركين ، وضَعَفَةِ القُلُوبِ ، والجهلة من المسلمين ـ نفورُهم لأول وَهْلَةٍ؛ وتخليطُ العدوِّ على النبيِّ ﷺ لأقَلِّ فِتْنَةٍ ، وتعييرهم المسلمين ، والشَّمات بهم الفَيْنَة بعد الفَيْنَة ، وارتدادُ مَنْ في قلبه مَرَضٌ مِمَّنْ أظهر الإسلام لأدْنَى شُبْهة ، ولم يَحْكِ أحدٌ في هذه القِصّةِ شيئاً سِوَى هذه الروايةِ الضعيفة الأصل ، ولو كان ذلك لوجدَتْ

---

(١) أي يختلط ويلتبس. وفي المطبوع: «يشبَّه».

(٢) في المطبوع: «بالبراهين».

(٣) عُرْفاً: أي من جهة ما عرف من أحواله ﷺ وأحوال غيره من الأنبياء.

قريش بها على المسلمين الصَّوْلَة (١)، ولأقامت بها اليهودُ عليهم الحجة ، كما فعلوا مكَابرةً في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاءِ رِدَّة ، وكذلك ما رُوي في قِصَّةِ القضِيّة(٢)؛ ولا فِتْنَة أعظمُ من هذه البلية لو(٣) وُجِدَتْ ، ولا تَشْغيب(٤) للمُعَادِي حينئذٍ أشدّ من هذه الحادثة لو أمكنت؛ فما رُوِيَ عَنْ معاندٍ فيها كلمةٌ ، ولا عن مسلم بسببها بنتُ شَفَة؛(٥) فدَلَّ على بُطْلها واجتثاث أصلِها.

ولا شكَّ في إدخال بَعْضِ شياطين الإنْسِ أو الجنّ هذا الحديثَ على بعض مغَفَّلي المحدِّثين ، ليُلَبِّس(٦) به على ضُعفاء المسلمين.

[و] وَجْهٌ رابع: ذَكر الرُّوَاةُ لهذه القضية أنَّ فيها نزلت: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ، ٧٤].

وهاتان الآيتان تَرُدَّان الخبرَ الذي رَوَوْه؛ لأنّ الله تعالى ذكر أنهم كادوا يَفْتِنُونه حتى يَفْتَرِي ، وأنه لولا أنه ثَبَّتَه لكاد يَرْكَنُ إليهم.

فمضمون هذا ومفهومُه أَنّ الله [تعالى] عصَمَه مِنْ أَنْ يَفْتَرِي ، وثبَّتَه حتى لم يَرْكَنْ إليهم شيئاً(٧) قليلاً؛ فكيف كثيراً؟! وهم يَرْوُون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراءِ بمَدْح آلِهَتهم ، وأنه قال عليه السلام: افتريتُ على الله ، وقلت ما لم يَقُلْ؛ وهذا ضِدُّ مَفْهُومِ الآيةِ ، وهي تُضْعِفُ الحديثَ لو صَحّ ، فكيف ولا صحَة له؟!

---

(١) الصولة: الاستطالة والقهر.
(٢) أي قضية صلح الحديبية.
(٣) في الأصل: «ولو» ، والمثبت من المطبوع.
(٤) التشغيب: تهييج الشر والفتنة.
(٥) بنت شفة: أي كلمة.
(٦) ليلبِّس: ليخلِّط.
(٧) كلمة: «شيئاً» ، لم ترد في المطبوع.

وهذا مِثْلُ قوله [تعالى] في الآية الآخرى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ [النساء: ١١٣].

١٥٧١ ـ وقد رُوِيَ عن ابن عباس: كل ما في القرآن «كاد» فهو ما لا يكون أبداً؛[١] قال الله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣]؛ ولم يَذْهب، و﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥]، ولم يَفْعَلْ.

قال القُشَيْرِي القاضي: ولقد طالبَه[٢] قُرَيش وثَقِيف إذْ مرَّ بآلهتهم أَن يُقْبِل بوجهه إليها، ووعَدوه الإيمانَ به إنْ فَعَل، فما فعل، ولا كانَ لِيَفْعَل.

قال ابْنُ الأنباري[٣]: ما قاربَ الرسولُ ولا رَكَنَ[٤].

وقد ذُكِرَتْ في معنى هذه الآية تفاسيرُ أُخَر، ما ذكرناه مِنْ نَصِّ الله على عصمةِ رسوله يَرُدُّ سَفْسافَها[٥]؛ فلم يَبْقَ في الآية إلاّ أَنَّ الله [تعالى] امتَنَّ على رسولِه بعصمته وتثبيتِه مما كادَه به الكُفَّار، ورَامُوا من فِتْنَتِه؛ ومُرَادُنا من ذلك تنزيههُ وعِصْمَتُه ﷺ؛ وهو مفهوم الآية.

وأما المأْخَذ الثاني[٦]: فهو مبنيٌّ على تسليم الحديث لو صَحَّ؛ وقد أَعاذَنا اللهُ من صِحَّته؛ ولكن على كل حال فقد أجاب على ذلك أَئمةُ المسلمين بأجوبةٍ؛ منها الغَثُّ والسمين؛ فمنها ما رَوَاه[٧] قتادةُ ومقاتل ـ أَنَّ النبي ﷺ

---

(١) كلمة: «أبداً»، لم ترد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «طالَبَتْه».

(٣) هو أبو بكر: محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري. إمام، حافظ، لغوي، مقرىء، نحوي. ولد سنة (٢٧١) أو (٢٧٢)هـ ومات سنة (٣٢٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩.

(٤) أي لم يقرب من شيء مما كان عليه الكفرة وأهل الجاهلية، ولا مالَ إلىٰ شيء من أمورهم، وما كانوا عليه، فضلاً عن التَّلَبُّسِ بها.

(٥) سَفْسافها: أي رديئها.

(٦) المأخذ الثاني: أي المنهج الثاني الذي سلكه المؤلف في إبطال قصة الغرانيق.

(٧) في المطبوع: «روىٰ».

أصابته سِنَةٌ عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلامُ على لسانه بحُكْم النوم.

وهذا لا يَصِحُّ؛ إذ لا يجوزُ (١٥٤/ب) على النبيِّ مثلُه في حالة من أحواله، ولا يخلقُه اللهُ على لسانه، ولا يستولي الشيطانُ عليه في نومٍ ولا يَقَظَةٍ لعِصْمتِه في هذا الباب مِنْ جميع العَمْد والسهو.

وفي قَوْلِ الكلبي: إنَّ النبيَّ ﷺ حدَّثَ نَفْسَه؛ فقال ذلكَ الشيطانُ على لسانِه.

وفي رواية ابن شِهَاب؛ عن أبي بكر بن عبد الرحمن؛ قال: وسَهَا؛ فلما أُخْبِرَ بذلك قال: إنما ذلك من الشيطان.

وكلُّ هذا لا يَصِحُّ أَنْ يقولَه ـ عليه السلام ـ لا سَهْواً ولا قَصْداً، ولا يتقوَّلُه الشيطانُ على لسانه عليه السلام.

وقيل: لعلَّ النبيَّ ﷺ قاله [في] أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار؛ كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾؟! [الأنعام: ٧٦] على أحد التأويلات.

وكقوله[١]: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] بعد السَّكْتِ وبيان الفَصْلِ بين الكلامين، ثم رجع إلى تلاوته.

وهذا ممكِنٌ مع بيان الفصل وقَرِينَةٍ تدلُّ على المراد، وأنه ليس من المتلوّ، وهو أَحَد ما ذكره القاضي أبو بكر.

فلا يُعْتَرَضُ على هذا بما[٢] رُوِي أنه كان في الصلاة؛ فقد كان الكلامُ فيها قَبْلُ غيْرَ ممنوع.

والذي يَظْهَرُ وَيَتَرَجَّح في تأويلِهِ عنده وعند غيره من المحقِّقين على تسليمه أن النبيَّ ﷺ كان ـ كما أمره ربُّه ـ يُرَتِّلُ القرآنَ ترتيلاً، ويفصِّلُ الآيَ تَفْصِيلاً في قراءته، كما رَوَاهُ الثقاتُ عنه، فيمكن تَرَصُّد الشيطانِ لتلك السكتَات ودسُّه

---

(١) في الأصل: «القوله»، والمثبت من المطبوع.

(٢) في الأصل: «ما» والمثبت من المطبوع.

فيها ما اختلقه من تلك الكلمات ، مُحَاكِياً نَغْمة النبي ﷺ بحيث يَسْمَعُهُ مَنْ دنَا إليه من الكفّار ، فَظَنُّوها من قَوْلِ النبيّ ﷺ ، وأشاعوها ، ولم يَقْدَح ذلك عند المسلمين بحِفْظِ السورةِ قَبْلَ ذلك على ما أنزلها اللهُ تعالى وتحقُّقِهم مِنْ حال النبي ﷺ في ذمّ الأَوثان وعَيْبِها [على] ما عُرِفَ منه .

وقد حَكَى مُوسى بن عُقْبَةَ في مَغَازِيه نحوَ هذا ، وقال: إنَّ المسلمين لم يسمعوها ، وإنما أَلْقَى الشيطانُ ذلكَ في أَسماع المشركين وقلوبهم؛ ويكون ما رُوِي مِنْ حُزْنِ النبيّ ﷺ لهذه الإشاعة والشبهةِ ، وسبب هذه الفِتنة .

وقد قال [الله] تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] (١٥٥/أ) .

فمعنى ﴿تمَنَّى﴾ : تلا ، قال اللهُ تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة : ٧٨] أي تلاوة .

وقوله : ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الحج : ٥٢] أي يذهبه ، ويزيل اللَّبْس [به] ، ويُحْكِم آياته .

وقيل : معنى الآية : هو ما يقَعُ للنبيّ ﷺ من السَّهْوِ إذا قرأ فيَنْتبه لذلك ويَرْجِعُ عنه .

وهذا نحوٌ من قولِ الكلبي في الآية : إنَّهُ حدَّث نفْسَه ، وقال : ﴿إذا تمنَّى﴾ أي : حدَّث نفْسه .

وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نَحْوه .

وهذا السَّهْوُ في القراءةِ إنما يَصِحُّ فيما ليس طريقُه تغييرَ المعاني ، وتبديلَ الألفاظ ، وزيادةَ ما ليس من القرآن؛ بل السَّهْو عن إسقاطِ آيةٍ منه أو كلمة؛ ولكنه لا يُقَرُّ على هذا السهو؛ بل يُنَبَّه عليه ، ويذكَّر به لِلْحِين على ما سنذكره في حكم ما يجوزُ عليه من السهو وما لا يجوز .

ومما يظهر في تأويله أيضاً أنَّ مجاهداً روَى هذه القصة : «والغَرانِقة العُلاَ»

فإنْ سَلَّمْنا القصةَ قلنا: لا يَبْعُد أَنَّ هذا كان قُرْآناً ، والمراد بالغرانقة العُلا ، وأَنَّ شفاعتهنَّ لتُرْتَجى؛ الملائكة على هذا التأويل وهذه الرواية.

وبهذا فسَّر الكَلْبّي (الغَرَانقة) أنها الملائكة؛ وذلك أَنَّ الكفَّارَ كانوا يعتقدون أنَّ الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكىٰ اللهُ عنهم ورَدَّ عليهم في هذه السورة بقوله: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]؛ فأنكر الله كلَّ هذا من قولهم؛ ورجاءُ الشفاعةِ من الملائكة صحيح ، فلما تأوَّلهُ المشركون على أَنَّ المرادَ بهذا الذِّكْر آلهتَهم ، ولَبَّس عليهم الشيطان ذلك ، وزيّنَه في قلوبهم وأَلقاهُ إليهم نسخَ اللهُ ما أَلْقى الشيطانُ ، وأَحكم آياته ، ورفع تلاوةَ تلك اللَّفْظَتَيْن اللتين وجد الشيطان بهما سبيلاً للتلبيس[1] كما نُسخ كثير من القرآن ورُفعت تلاوتُه؛ وكان في إنزال اللهِ تعالى لذلك حكمةٌ ، وفي نَسْخِه حكْمةٌ؛ ليُضلَّ به مَنْ يشاء ويَهْدِي من يشاء؛ وما يُضلُّ به إلا الفاسقين ، و﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ (١٥٥/ب) فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٣ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٣ ، ٥٤].

وقيل: إنّ النبيّ ﷺ ـ لما قرأ هذه السورة، [و] بلغ ذِكْرَ اللَّاتِ والعُزّى ومَنَاة الثالثة الأُخرى ، خاف الكفَّارُ أن يأتي بشيء من ذَمِّها فسبقوا إلى مَدْحِها بتلك الكلمتين ليُخَلِّطُوا في تلاوةِ النبيّ ﷺ، ويشغِّبُوا[2] عليه على عادتِهم وقَوْلِهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

ونُسِبَ هذا الفعل إلى الشيطان لِحَمْلِه لهم عليه ، وأَشاعوا ذلك وأَذاعوه ، وأن النبي ـ ﷺ ـ قاله؛ فحزنَ لذلك مِنْ كذبهم وافترائهم عليه ، فسلاَّهُ اللهُ[3] تعالى بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ

---

(١) في المطبوع: «للإلباس».

(٢) يشغبوا: يهيجوا الشرَّ والفتنة.

(٣) سَلاَّه اللهُ: أذهب حزنه وطَيَّبَ خَاطِرَهُ.

أُمْنِيَّتِهِۦ. . .﴾ الآية [الحج: ٥٢] وبَيّنَ للناس الحقَّ في ذلك من الباطل، وحَفِظَ القرآنَ، وأَحْكَمَ آياتِهِ، ودفع ما لبّس به العَدُوُّ، و(١) كما ضَمِنَه اللهُ تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجْر: ٩].

ومن ذلك ما رُوِيَ من قِصَّةِ يونسَ ـ عليه السلام ـ أنه وَعَدَ قَوْمَه بالعذاب عَنْ ربّه، فلما تابوا، كُشِفَ عنهم العذابُ، فقال: لا أَرْجِعُ إليهم كذّاباً أبداً، فذهب مُغَاضِباً(٢).

فاعلم ـ أكرمَكَ اللهُ ـ أنَّه(٣) لَيْسَ في خَبَرٍ من الأَخبارِ الواردةِ في هذا الباب أن يُونُسَ ـ عليه السلام ـ قال لهم: إنَّ اللهَ مُهْلِكُكُمْ، وإنما فيه أنَّهُ دعا عليهم بالهلاك؛ والدعاءُ ليس بخبرٍ يُطْلَب صِدْقُه من كَذِبه، لكنه قال لهم: إن العذاب مُصَبِّحكم وقْتَ كذا وكَذَا، فكان ذلك، كما قال؛ ثم رَفَعَ اللهُ [تعالى] عنهم العذابَ وتَدَارَكهم؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

١٥٧١م ـ ورُوِي في الأَخبار أَنهم رَأَوْا دَلاَئِلَ العذاب ومَخَايِلَهُ؛ قاله ابنُ مسعود(٤).

وقال سَعِيد بن جُبَير: غَشّاهم العذابُ كما يُغَشِّي الثوبُ القَبْرَ.

١٥٧٢ ـ فإنْ قُلْتَ: فما معنى ما رُوِي من أَنَّ عبد الله بن أَبي سَرْح كان يَكْتُبُ لرسولِ الله ﷺ، ثم ارتدَّ مُشْرِكاً، وصار إلى قريش، فقال لهم: إني كنتُ أُصَرِّف محمداً حيثُ أُرِيد؛ كان يُمْلِي عليَّ «عَزيز (١٥٦/أ) حكيم» فأقول أو

---

(١) «الواو» ليست في المطبوع.
(٢) مغاضباً: غضبان علىٰ قومه لكفرهم.
(٣) في المطبوع: «أن».
(٤) أخرجه ابن مردويه مرفوعاً، وابن أبي حاتم موقوفاً/ المناهل (١١٩٩).
(مَخَايِلُهُ): دلائله ومظانه.

«عليم حكيم» فيقول: «نَعَمْ؛ كُلٌّ صَوَابٌ»(١).

١٥٧٣ ـ وفي حديث آخر: فيقول له النبيُّ ﷺ: «اكتُبْ كذَا»(٢) فيقول: أَكْتُبُ كذا؟ فيقول: «اكتب كيف شِئْتَ». ويقول: «اكتُبْ: عَلِيماً حَكِيماً» فيقول: أَكْتُبُ: سميعاً بصيراً، فيقول له: «اكتب كيف شِئْتَ»(٣).

١٥٧٤ ـ وفي الصحيح، عن أَنَس [رضي الله عنه] أَنَّ نَصْرَانِياً كان يكتبُ للنبيّ ـ ﷺ ـ بعد ما أَسلم ثم ارتدَّ كافراً(٤)، وكان يقول: ما يَدْرِي محمدٌ إلاَّ ما كتبتُ له(٥).

فاعلَمْ ـ ثبَّتَنَا اللهُ وإياك على الحق، ولا جعل للشيطانِ وتَلْبِيسه الحقَّ بالباطل علينا ولا(٦) إلينا سبيلاً ـ أَنَّ مِثْلَ هذه الحكاية أَوَّلاً لا تُوقِعُ في قَلْبِ مُؤمنٍ رَيْباً؛(٧) إذ هي حكايةٌ عمّن ارتدَّ وكفَر بالله، ونحن لا نقبَلُ خَبَرَ المسلم المُتّهم، فكيف بكافرٍ افترى هو ومِثْلُه على اللهِ ورسُلِه ما هو أعظَمُ مِنْ هذا؟!

والعَجبُ لسليم العَقْل يَشْغَل بمثل هذه الحكاية سِرَّه، وقد صدرَتْ من عدوٍّ كافرٍ، مُبْغِض للدين، مُفْتَرٍ على اللهِ ورسوله؛ ولم يَرِدْ عن أَحدٍ من المسلمين، ولا ذَكَر أَحَدٌ من الصحابةِ أنه شاهد ما قالَهُ وافتراه على نبيّ اللهِ[و] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي

---

(١) أخرجه ابن جرير عن عكرمة/ المناهل (١٢٠).
(٢) في الأصل زيادة: «يقول: اكتب كذا».
(٣) أخرجه ابن جرير عن السُّدِّي/ المناهل (١٢٠١).
(٤) كلمة: «كافراً»، لم ترد في المطبوع. وقد وردت في هامش الأصل وعليها علامة الصحة.
(٥) أخرجه ـ مطولاً ـ البخاري (٣٦١٧) وأبو يعلى (٣٩١٩) من حديث عبد العزيز عن أنس. وعند أبي يعلى: عبد العزيز هو ابن صهيب. وأخرج بعضه مسلم (٢٧٨١) من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت البناني، عن أنس. وليس فيه: «ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له». وأخرجه أحمد ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١ من حديث حميد الطويل عن أنس، وانظر مسند أبي يعلى (٣٩١٩).
(٦) قوله: «علينا ولا»، لم يرد في المطبوع.
(٧) في المطبوع: «رَيْنًا».

﴿الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ . . .﴾ الآية [النحل: ١٠٥].

[وما وقعَ مِنْ ذِكْرِها في حديث أَنَسٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ وظاهِر حكايَتِها؛ فليس فيه ما يدلّ على أنه شاهَدَها، ولعله حكى ما سَمِع.

وقد عَلَّل البزَّارُ حديثَه ذلك، وقال: رَوَاه ثابتٌ عنه، ولم يُتَابَع عليه؛ ورَوَاهُ حُميد عن أنس، قال: وأظنُّ حُميداً إنما سمعه من ثابت.

قال القاضي أبو الفضل ـ وفَّقَه اللهُ ـ: ولهذا؛ واللهُ أعلم، لم يخَرِّجْ أهلُ الصحيح حديثَ ثابت ولا حُميد[1]. والصحيح حديث عبد العزيز بن رُفَيع عن أَنَس[2] رضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي خَرَّجه أَهْلُ الصحة، وذكَرْناه، وليس فيه عن أنَس قولُ شيءٍ من ذلك من قِبَل نفسه إلا مِنْ حكايته عن المُرْتَدّ النصرانيّ] ولو كانَتْ صحيحةً لما كان فيها قَدْحٌ ولا توهِيمٌ للنبيِّ ﷺ فيما أوحِيَ إليه، ولا جَوَاز للنسيان والغَلَطِ عليه والتحريف فيما بلَّغه، ولا طعَن في نَظْم القرآنِ، وأنه من عند الله؛ إذ ليس فيه ـ لو صَحَّ ـ أَكثَرُ من أنَّ الكاتبَ قال له: عليم حكيم ـ وكتبه؛ فقال له النبيّ ـ ﷺ ـ: «**كذلك هو**»، فسبقه لسانه أو قَلَمُه لِكلِمَةٍ أو كلمتين مما نُزِّل عَلَى الرسول قبل إظهارِ الرسولِ لها؛ إذ كان ما تقدَّم ممَّا أَمْلاَهُ الرسولُ يَدُلُّ عليها، ويقتضي وقوعها بقوةِ قُدْرَةِ الكاتب على الكلام، ومعرفته به، وجَوْدةِ حِسِّه وفِطْنته، كما يتَّفِقُ ذلك للعارف إذا سَمِعَ البيت أن يَسْبِقَ إلى قافيته، أو مُبْتَدَأ الكلام (١٥٦/ب) الحَسَنِ إلى ما يَتِمُّ به؛ ولا يتَّفِق ذلك في جُمْلة الكلامِ، كما لا يتَّفِق ذلك في آية ولا سورة.

وكذلك قولُه عليه السلام ـ إنْ صحَّ ـ: «**كُلٌّ صَوَابٌ**» فقد يكون هذا فيما كان فيه مِنْ مقاطِعِ الآي وَجْهَان وقراءتان أُنْزِلتا جميعاً عَلَى النبيِّ ﷺ، فأملى

---

(١) حديث ثابت البناني عن أنس أخرجه مسلم (٢٧٨١). وحديث حميد الطويل عن أنس أخرجه أحمد ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٧) من حديث عبد العزيز ـ بدون تقييد ـ عن أنس. وقيّده أبو يعلى في مسنده (٣٩١٩) فقال: «عبد العزيز بن صهيب».

إِحْداها(١) ، وتوصّل الكاتِبُ بفِطْنَتِه ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأُخرى ، فَذَكَرَها للنبيّ ﷺ [كما قدمناه] فصوّبها له النبيُّ ﷺ؛ ثم أحكمَ اللهُ مِنْ ذلك ما أحكم ، ونَسَخَ ما نَسخَ كما قد وُجِدَ ذلك في بعض مَقَاطِعِ الآي؛ مثل قوله [تعالى]: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

وهذه قراءة الجمهور ، وقد قرأ بعضهم ، وهم(٢) جماعةٌ: «فإنكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحيم»(٣). وليست من المصحف.

وكذلك كلماتٌ جاءَت على وَجْهين في غير المقاطع ، قرأَ بهما معاً الجمهورُ ، وثبتَتَا في المصحف ، مثل: ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾(٤) [البقرة: ٢٥٩] و﴿ نُنشِزُهَا ﴾(٥).

و﴿ يَقْضِ الحَقَّ ﴾(٦) و﴿ يَقُصُّ الحَقَّ ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وكلُّ هذا لا يوجِبُ رَيْباً(٧)، ولا يَنْسبُ للنبي - ﷺ - غَلطاً ولا وَهْماً.

وقد قيل: إن هذا يحتملُ أن يكونَ فيما يكتبُه عن النبي - ﷺ - الكاتبُ(٨) إلى الناس غَيْرِ القرآن ، فيصف اللهَ ويسميّه في ذلك كيف يشاء.

---

(١) في الأصل: «أحدهما» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) قوله: «بعضهم وهم» ، لم يرد في المطبوع.

(٣) قراءة شاذة/ قاله الخفاجي وغيره.

(٤) (نُنشِرُها): بالراء، وهي قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمْرٍو ويعقوب (المبسوط في القراءات العشر ص: ١٥١). ومعنى (ننشرها): نُحْيِيها.

(٥) (نُنشِزُها) بالزاي المعجمة. وهي قراءة ابن عامرٍ ، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف (المصدر السابق). ومعنى (ننشزها): نُرَكِّبُ بعضها علىٰ بعض (مختصر تفسير الطبري).

(٦) (يقصُّ الحق): بضم القاف وتشديد الصاد المهملة. وهي قراءة أبي جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وعاصم. وقرأ الباقون: ﴿يقْضِ الحق﴾ بسكون القاف وكسر الضاد المعجمة (المبسوط) في القراءات العشر ص: ١٩٥).

(٧) في المطبوع: «رَيْنًا». والريب: الشبهة والشكُّ.

(٨) كلمة: «الكاتب» ، لم ترد في المطبوع.

فصـل

[فِيْ حَالِهِ ﷺ فِيْ أَخْبَارِ الدُّنْيا][1]

هذا القولُ فيما طريقُه البَلاَغ ، وأَمَّا ما ليس سبيلُه سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مُسْتَنَدَ لها إلى الأحكام ، ولا أخبار المعادِ ، ولا تُضافُ إلى وَحْيٍ؛ بل في أمورِ الدنيا وأحوال نَفْسِه ـ فالذي يجبُ [اعْتِقَادُه] تَنْزِيهُ النبيّ ـ ﷺ ـ عن[2] أَنْ يَقَعَ خَبَرُه في شيءٍ من ذلك بخلاف مُخْبَره ، لا عَمْداً ولا سَهْواً ولا غلطاً ، وأنه معصوم مِنْ ذلك في حالِ رِضَاه و[في] سَخَطِه ، وجدِّه ومَزْحِه وصِحّته ومرضِهِ.

ودليلُ ذلك اتفاقُ السلَفِ وإجماعُهم عليه؛ وذلك (١٥٧/أ) أَنا نعلمُ مِنْ دِين الصحابةِ وعادتِهم مُبَادرَتَهم إلى تصديق جميع أَحوالِه ، والثِّقَةَ بجميع أخباره في أي باب كانت ، وعن أي شيء وقعَتْ ، وأنه لم يكن لهم توقُّف ولا تردُّد في شيء منها ، ولا استثباتٌ عن حالِه عند ذلك؛ هل وقع فيها سَهْوٌ أم لا؟.

١٥٧٥ ـ ولما احتجَّ ابنُ أبي الحُقَيْق اليهودي على عُمَر حين أَجْلاهم[3] من خَيْبر بإقرار رسولِ الله ـ ﷺ ـ لهم[4] ، واحتجّ عليه عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عنه بقولِه ﷺ: «كيف بكَ إذا أُخْرِجتَ مِنْ خَيْبَر»؟ فقال اليهودي: كانت هُزَيْلَةً من أبي القاسم. فقال عُمر: كذَبْتَ ، يا عدوَّ الله![5]

وأيضاً فإنَّ أَخبارَهُ وآثارَه وسِيَره وشمائلَه مُعْتَنًى بها ، مُستَقْصًى تفاصيلها ،

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.
(٢) كلمة: «عن» ، لم ترد في المطبوع.
(٣) في الأصل: «أخلاهم» ، والمثبت من المطبوع.
(٤) كلمة: «لهم» ، لم تردْ في المطبوع.
(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣٠) من حديث عمر رضي الله عنه. (خيبر): بلدة في المملكة العربية السعودية ، تبعد عن المدينة المنورة (١٦٥) كِيلاً شمالاً على طريق الشام. (هُزَيلة): تصغير هَزْلة ، وهي المرة الواحدة من الهَزْلِ ، ضدّ الجِدِّ/ النهاية.

ولم يَرِدْ في شيء منها استدراكه ـ عليه السلام ـ لغلطٍ في قولٍ قاله ، أو اعترافُه بوَهْم في شيءٍ أخبر به .

١٥٧٦ ـ ولو كان ذلك لنُقِل كما نُقِل من قصَّته ـ عليه السلام ـ في رجوعُه[١] ـ ﷺ ـ عما أشار به على الأنصار في تلقيحِ النخل[٢] ـ وكان ذلك رأياً لا خَبَراً.

١٥٧٧ ـ وغَيْرُ ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب؛ كقوله [ﷺ]: **«واللهِ! لا أَحلفُ على يمين ، فأَرى غَيْرَها خيراً منها إلاَّ فعلتُ الذي حلَفْتُ عليه وكفَّرت عن يميني»**[٣].

١٥٧٨ ـ وقوله: **«إنكم تَخْتَصِمُونَ إليَّ. . . »** الحديث[٤].

١٥٧٩ ـ وقوله: **«اسْقِ يا زُبَيْرُ! حتى يبلغَ الماءُ الجَذْرَ»**[٥] كما سنُبيِّن كلَّ ما في هذا مِنْ مُشْكِلِ ما في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله ، مع أشباهها.

وأيضاً فإنَّ الكَذِبَ متى عُرِف من أَحدٍ ، في شيءٍ من الأخبار ، بخلاف ما هُوَ ، على أيّ وجْه كان ، استُرِيبَ بخبره ، واتُّهِمَ في حديثِه ، ولم يقَعْ لقوله في النفوس موقع[٦] ، ولهذا ما تَرَكَ المُحدِّثون والعلماءُ الحديثَ عمَّن عُرِف بالوَهم والغَفْلة وسوءِ الحِفْظِ ، وكَثْرَةِ الغَلَط ، مع ثقته.

---

(١) في الأصل: «ورجوعه» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) حديث تأبير النخل سيأتي تخريجه برقم (١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٢٣) ، ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري. بدون قوله: «الذي حلفت عليه».

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة ، وتقدم طرف منه برقم (١٥٤٨) ، وسيأتي برقم (١٦٦٨).

(٥) أخرجه البخاري (٢٣٥٩) وأطرافه ، ومسلم (٢٣٥٧) من حديث عبد الله بن الزبير. وسيأتي برقم (١٧٠٤). في المطبوع: «الجَدْر»، وهو: الحائط ، وقيل: الجدر: أصل الجدار. قال الخطابي هكذا الرواية: الجَدْر ، قال: والمتقنون من أهل الرواية يقولون: حتى يبلغ الجذْر ـ يعني بالذال المعجمة ـ وهو مبلغ تمام الشرب ، ومنه جذر الحساب (جامع الأصول ١٠/ ٢٠٢). قلت: الرواية في أصلنا: الجَذْر ، بالذال المعجمة.

(٦) في المطبوع: «ولم يقع قوله في النفوس موقعاً».

وأيضاً فإنَّ تَعَمُّدَ الكذب في أُمور الدنيا معصية (١٥٧/ب) والإكثارُ منه كبيرةٌ بإجماع ، مُسْقِطٌ للمروءة.

وكلُّ هذا مما يُنَـزَّهُ عنه مَنْصبُ النبوة؛ والمرةُ الواحدةُ منه فيما [يُسْتَبْشَعُ و] يُسْتَشْنَع ويَشِيع مِمّا يُخِلُّ بصاحبها ، ويُزْرِي[١] بقائلها لاحقةٌ بذلك[٢].

وأَما فيما لا يقَعُ هذا الموقع فإنْ عَدَدْنَاها من الصغائر فهل يجري على حُكمها في الخلاف فيها؟ مختلف فيه. والصوابُ تَنْزِيهُ النبوَّةِ عن قليله وكثيره ، سَهْوه وعَمْدِه؛ إذ عُمْدَةُ النبوةِ البلاغُ والإعلامُ والتَّبْيين ، وتَصْديقُ ما جاءَ به النبيُّ [ﷺ] وتجويزُ شيءٍ من هذا قادِحٌ في ذلك ، ومُشَكِّكٌ فيه ، مناقِضٌ للمعجزة؛ فلنَقْطع عن يقينٍ بأنه لا يجوز على الأنبياء خُلْفٌ في القول في وَجْهٍ من الوجوه ، لا بقَصْدٍ ولا بغير قَصْدٍ ، ولا نتسامَح[٣] مع مَنْ سامَحَ في تجويزِ ذلك عليهم حالَ السَّهْو فيما ليس طريقُه البلاغَ؛ نعم ، وبأنه لا يجوزُ عليهم الكذِبُ قبل النبوّة ، ولا الاتّسامُ به[٤] في أمورهم وأحوالهم[٥]؛ لأنّ ذلك كان يُزْرِي ويريبُ[٦] بهم وينفّر القلوبَ عن تصديقهم بعدُ.

وانظُرْ إلى أحوالِ أهل عَصْر النبيّ ﷺ من قُريش وغيرها من الأمم وسُؤالِهم عن حالِه في صِدْق لسانِه ، وما عُرِّفُوا به من ذلك واعترفوا به مما عُرِفَ ، واتَّفَق أهلُ[٧] النّقْلِ على عِصْمة نبيّنا ﷺ منه قَبْلُ وبَعْدُ؛ وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أولَ الكتابِ ما يبيِّن لك صحةَ ما أشرنا إليه.

---

(١) يزري : يعيب.
(٢) لاحقة ذلك : أي بما لا يليق بمنصب النبوة.
(٣) نتسامَحُ : نتساهلُ.
(٤) الاتسام به : الاتصاف به.
(٥) في المطبوع : «وأحوال دنياهم».
(٦) يريب : يوقع في الريبة والتهمة.
(٧) كلمة : «أهل» ، لم ترد في المطبوع.

فصــل

[فِيْ ردِّ بَعْضِ الاعْتِرَاضَاتِ وَالشُّبَهِ ، كَسَهْوِهِ ﷺ فِيْ الصَّلاةِ ، وَقَوْلِ إبْرَاهِيْمَ : إنِّي سَقِيْمٌ][1]

١٥٨٠ ـ فإن قلْتَ: فما معنى قوله ـ عليه السلام ـ في حديث السَّهْوِ الذي حَدَّثَنا به الفقيه أبو إسحاق: إبراهيم بن جعفر ، قال: حدثنا القاضي أبو الأَصْبَغ بنُ سهل ، حدثنا حاتم بن محمد ، حدثنا أبو عبد الله بنُ الفخّار ، حدثنا أبو عيسى ، حدثنا عُبيد الله ، حدثنا يحيى ، عن مالك ، عن داود بن الحُصين ، عن أبي سفيان مولى ابن أَبي أَحمد أَنه قال: سمعت أبا هريرة [رضي الله عنه] يقول: صلّى رسولُ الله ﷺ (١٥٨/أ) صلاةَ العصرِ ، فسلَّم في ركعتين ، فقام ذُو اليَدَيْن ، فقال: يا رسول الله! أَقُصِرَت الصلاةُ أَمْ نَسيتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «كلُّ ذلك لم يكن»[2].

١٥٨١ ـ وفي الرواية الأخرى: «ما قُصِرَتْ الصلاة[3] ، وما نسيتُ»[4]. الحديث بقصته؛ فأَخبر [ه] بنَفْي الحالتين ، وأَنها لم تكُن؛ وقد كان أَحدُ ذلك ، كما قال ذو اليَدَيْن: قد كان بعضُ ذلك يا رسولَ الله!

فاعلَمْ ـ وفَّقَنا الله وإياكَ ـ أنَّ للعلماء في ذلك أجوبةً ، بعضُها بصَدِقِ الإنصاف؛ ومنها ما هو بِنِيَّةِ التعسُّف والاعتساف؛ وها أنا أقول:

أمَّا على القول بتجويز الوَهْمِ والغَلَط فيما ليس طريقُه من القول البلاغَ ، وهو الذي زيَّفناهُ[5] من القَوْلَيْن ـ فلا اعتراضَ بهذا الحديث وشِبْهه.

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) أخرجه مسلم (٥٧٣/ ٩٩). وانظر تمام تخريجه في مسند أبي يعلى (٥٨٦٠). وانظر الرواية التالية.

(٣) كلمة: «الصلاة» ، لم ترد في المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢ ، ١٢٢٩ ، ٦٠٥١) من حديث أبي هريرة ، وانظر سابقه.

(٥) زيفناه: رددناه.

وأمّا على مَذْهب مَنْ يمنَعُ السَّهْوَ والنسيان في أفعاله جملةً ، ويَرى أنه في مِثْل هذا عامِدٌ لصورةِ النسيان لِيَسُنَّ ، فهو صادقٌ في خَبَره؛ لأنه لم يَنْسَ ولا قُصِرَتْ ، ولكنه على هذا القولِ تعمَّد هذا الفِعْلَ في هذه الصورة ليسنّه[1] لمن اعْتَراهُ مِثْلُه؛[2] وهو قولٌ مرغوبٌ عنه ، ونَذْكُره في مَوْضِعه.

وأمّا على إحالةِ السَّهْوِ عليه في الأقوالِ وتجويز السَّهْو عليه فيما ليس طريقُه القول ـ كما سنذكره ـ ففيه أجوبةٌ.

منها: أنَّ النبيَّ ﷺ أَخبر عن اعتقادِه وضميره؛ أَمّا إنكارُ القَصْر فحقٌّ وصِدْقٌ باطناً وظاهراً. وأمّا النِّسْيانُ فأَخبر ـ ﷺ ـ عن اعتقاده ، وأنه لم يَنْسَ في ظَنِّه؛ فكأنه قصدَ الخَبرَ بهذا عن ظنّه وإنْ لم يَنْطق به؛ وهذا صِدْقٌ أيضاً.

ووَجْهٌ ثانٍ: أَنَّ قولَه: «[و] لم أَنْسَ» راجعٌ إلى السلام: أي إني سلمتُ قَصْداً ، وسهوتُ عن العَدَدِ ، أي لم أَنْسَه[3] في نَفْس السلام؛ وهذا محتملٌ؛ وفيه بُعْدٌ.

ووَجْهٌ ثالث: ـ وهو أَبعَدُها[4] ـ ما ذهب إليه بعضُهم ، وإن احتمله اللفظُ من قوله: «كلُّ ذلك لم يكن»: أي لم يجتمع القَصْرُ والنسيان؛ بل كان أَحدهما (١٥٨/ب) ومفهومُ اللفظ خلافُه ، مع الرواية الأخرى الصحيحة ، وهو قولُه: «ما قُصِرَت الصلاةُ وما نسيتُ».

هذا ما رأيتُ فيه لأئمتنا[5]؛ وكلٌّ مِنْ هذه الوجوه محتَمل للّفظ على بُعْدِ بعضها ، وتعسُّف الآخر منها[6].

قال القاضي أبو الفضل [رحمه الله]: والذي أقولُ ـ ويظهرُ لي أنه أَقربُ من

---

(١) كلمة «ليسنّه» ، لم ترد في المطبوع.
(٢) اعتراه مثله: أصابه نحوه.
(٣) في المطبوع: «لم أنسَه».
(٤) كلمة: «أبعدها» ، لم ترد في المطبوع.
(٥) في الأصل زيادة: «كلام».
(٦) تعسف الآخر منها: أي تكلّفه وبعده عن الطريق المستقيم/ قاله الخفاجي.

هذه الوجوه كلِّها ـ: أَن قوله [ﷺ]: «لم أَنْسَ» إنكارٌ للَّفظِ الذي نفَاهُ عن نَفْسِه.

١٥٨٢ ـ وأنكرهُ على غيره بقوله: «**بئس ما لأحدكم أنْ يقولَ: نَسِيتُ آيةَ كذا وكذا، ولكنه نُسِّيَ**»[١].

١٥٨٣ ـ وبقوله في بعض روايات الحديثِ الآخر: «**لَسْتُ أَنْسَىٰ، ولكن أُنَسَّىٰ**»[٢]. فلما قالَ له السائلُ: أَقُصِرت الصلاة أم نسيتَ؟ أَنكر قَصْرَها كما كان، ونِسيانَه هو مِنْ قِبَلِ نَفْسه، وإنه إنْ كان جرى شيء من ذلك فقَدْ نُسِّيَ حتى سأل غَيْرَه؛ فتحقَّقَ أنه نُسِّيَ، وأُجْرِي عليه ذلك لِيَسُنَّ؛ فقوله على هذا: «**لم أَنْسَ ولم تُقْصَر**» أو[٣] «**كلُّ ذلك لم يَكُنْ**» صِدْقٌ وحَقٌّ؛ لم تُقْصَر، ولم يَنْسَ حقيقةً، ولكنه نُسِّيَ.

وَوَجْهٌ آخر استَثَرْتُه[٤] من كلامِ بعض المشايخ؛ وذلك أَنه قال: إنّ النبيّ ﷺ كان يَسْهُو ولا يَنسى؛ ولذلك نَفَىٰ عن نَفْسِه النِّسْيان؛ قال: لأَنَّ النّسْيان غَفْلةٌ وآفة؛ والسَّهْو إنما هو شُغْلُ [بالٍ] قال: فكان النبيّ ﷺ يَسْهُو في صلاته ولا يَغْفُل عنها؛ وكان يَشْغَله عن حركات الصلاة ما في الصلاة؛ شُغْلاً بها، لا غَفْلةً عنها.

فهذا ـ إنْ تُحقِّق على هذا المعنى ـ لم يكُنْ في قوله: «**ما قُصِرَتْ الصلاةُ ولا نَسيتُ**» خُلْفٌ في قولٍ.

وعندي أنَّ قولَه: «**ما قُصِرتْ [الصلاةُ] وما نَسِيتُ**» بمعنى التَّرْك الذي هو أَحَدُ وَجْهَي النسيان؛ أراد ـ واللهُ أعلم ـ: إني لم أُسَلِّم من رَكْعَتين تاركاً لإكمال الصلاة، ولكني نسيتُ، ولم يكن ذلك[٥] من تلْقَاء نَفْسي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠) من حديث ابن مسعودٍ، وسيأتي برقم (١٦١٠، ١٦٢٣).

(٢) سيأتي أيضاً برقم (١٦٠٠، ١٦٥٢). وانظر الرواية التالية.

(٣) في المطبوع: «و».

(٤) استثرته: استخرجته.

(٥) كلمة: «ذلك» لم ترد في المطبوع.

١٥٨٤ ـ والدليلُ على ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «إنّي لأنَسى ، أو أُنَسَّى لأسُنَّ»(١).

١٥٨٥ ـ وأما قصَّةُ كلماتِ إبراهيم ـ عليه السلام ـ المذكورة في الحديث أَنها كذباتُه الثلاث(٢) ، المنصوصة(٣) ، في القرآن منها اثنتان: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] و[قوله]: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢ ، ٦٣]. وقوله للملِكِ عن زَوْجته: «إنها أُخْتي» فاعلم ـ أكرمك اللهُ ـ أَنَّ هذه كلَّها خارجَةٌ عن الكذب؛ لا في القَصْد ولا في غيره؛ وهي داخلةٌ في باب المعاريض(٤) التي فيها مندوحة عن الكذب(٥).

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٠٠ بلاغاً عن النبي ﷺ. قال ابن عبد البر: «لا أعلم هذا الحديث روي عن النبي ﷺ مسنداً ولا مقطوعاً ، مِن غير هذا الوجه. وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في الموطأ التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ، ومعناه صحيح في الأصول» ، وصححه القاضي عياض كما ترىٰ. وسيعيده المصنف برقم (١٥٩٩ ، ١٦٠٧).
وقال الحافظ محمد بن مرزوق (٧١١ ـ ٧٨١)هـ وفي كتابه «جنىٰ الجنتين في التفضيل بين الليلتين ، ليلة المولد وليلة القدر» بعد أن تكلم على الأحاديث الأربعة التي لم يجدها مُسْنَدَةً أبو عمر بن عبد البَر، وهي في الموطأ: «توهم بعض العلماء أن قول الحافظ أبي عمر يدل علىٰ عدم صحتها ، وليس كذلك، إذ الانفراد لا يقتضي عدم الصحة، لا سيما من مثل مالك.
وقد أفردتُ قديماً جزءاً في إسناد هذه الأربعة الأحاديث. وقد أسند منها اثنين ، أحدهما في ذكري وغالب ظني الحافظ ابن أبي الدنيا في «إقليد التقليد» له، وقد بَيَّنْتُ أسانيدها في غير هذا «المقتضب». وقال العلامة عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٥٢٣): «وهي فائدة عظيمة يسافر لسماعها ، إذ من زمن ابن عبد البِر والحفاظ ينقلون كلامه في هذه الأربعة ، ويمرون، ولا من تعرَّض لإسنادها، حتى جاد بما رَأَيْتَ الحافظ ابن مرزوقٍ. وقد تكلمتُ في كتابي «الإفادات والإنشادات» علىٰ وَصْلِ ابن الصلاح لها أيضاً، والله أعلم».
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة.
(٣) في الأصل: «المنصوص» ، والمثبت من المطبوع. (المنصوصة): المذكورة صريحاً.
(٤) (المعاريض): جمع معراض، من التعريض، وهو خلاف التصريح من القول/ النهاية.
(٥) (مندوحة عن الكذب): أي سعة وفسحة. قال في النهاية: يعني أن في التعريض بالقول من الاتساع ما يغني الرجل عن تعمد الكذب.

أمّا قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ـ فقال الحسن وغيره: معناه: سأَسْقم؛ أي إنّ كلّ مخلوق معَرَّضٌ لذلك، فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عِيدهم (١٥٩/أ) بهذا.

وقيل: بل سَقِيم بما قُدِّر عليَّ من الموت.

وقيل: سَقِيم القَلْبِ بما أُشاهِدُه من كُفركم وعِنَادِكم.

وقيل: بل كانت الحُمَّى تأْخُذُه عند طلوع نَجْمٍ معلومٍ؛ فلما رآه، قال هذا [1]، اعتذر بعادته.

وكلُّ هذا ليس فيه كذِبٌ؛ بل هو خَبَرٌ صحيح صِدْق.

وقيل: بل عَرَّضَ بسقْمِ حجّته عليهم، وضَعْف ما أراد بيانَه لهم مِنْ جهة النجومِ التي كانوا يشتغِلون بها، وأنه أثناء نظره في ذلك، وقَبْل استقامةِ حجّته عليهم في حال سَقَم ومَرَضٍ حال، مع أنه لم يشكّ هو ولا ضَعُفَ إيمانُه، ولكنه ضَعُفَ في استدلالِه عليهم وسقم نظَره، كما يُقال: حجّةٌ سَقِيمةٌ، ونَظرٌ معلول، حتى ألهمه اللهُ باستدلاله وصحةِ حجّتِه عليهم بالكوكب[2] والشمس والقَمر ـ ما نَصَّه اللهُ [تعالى] و[قد] قدَّمْنا بيانَه.

وأما قولُه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] فإنه علَّق خَبَرَه بشَرْط نطقه، كأنه قال: إنْ كان ينطقُ فهو فَعَله على طريق التبكيت لقومه. وهذا صدقٌ أيضاً، ولا خُلْف فيه.

وَأَمَّا قولُه: «أختي» فقد بيّن في الحديث، وقال: «فإنكِ أُختي في الإسلام» وهو صِدْقٌ؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ . . .﴾ [الحُجُرات: ١٠].

١٥٨٦ ـ فإنْ قلْتَ: فهذا النبيُّ ﷺ قد سمَّاها كَذِبات، وقال: «لَمْ يَكْذِبْ إبراهيمُ إلا ثلاثَ كَذِباتٍ»[3].

---

(١) قوله: «قال هذا»، لم يرد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «الكواكب».

(٣) هو صدر الحديث السابق.

١٥٨٧ ـ وقال في حديث الشفاعة: «ويذكر كذباته»(١) فمعناه: أنه لم يتكلّم بكلام صورتُه صورةُ الكذِب ـ وإنْ كان حقاً في الباطن ـ إلاّ هذه الكلمات.

ولمّا كان مفهومُ ظاهِرها خلافَ باطنها أَشفق إبراهيم ـ عليه السلام ـ مِن مؤاخذته بها.

١٥٨٨ ـ وأما الحديث: «كان النبيُّ ﷺ إذا أراد غَزْوَةً ورَّى بغيرها»(٢) فليس فيه خُلْفٌ في القَوْلِ؛ إنما هو سَتْرُ مَقْصدِهِ، لئلا يأخُذَ عدوُّه حِذْرَه؛ وكَتَم وَجْهَ ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر، والبحث عن أخباره والتَّعْرِيض بذكْرِه، لا أنّه يقول: تجَهَّزُوا إلى غَزْوةِ كذا، أَوْ وجْهَتُنا إلى موضع كذا خلافَ مَقْصدِهِ؛ فهذا لم يَكُنْ؛ والأولُ ليس فيه خَبَرَ يَدْخُلُه الخلفُ. (١٥٩/ب).

١٥٨٩ ـ فإن قلْتَ: فما معنى قولِ موسى ـ عليه السلامُ ـ وقد سُئل: «أَيُّ الناس أَعلمُ؟ فقال: أنا أَعْلَم؛ فَعَتَبَ الله عليه ذلك؛ إذْ لَمْ يَرُدَّ العلمَ إليه» الحديث(٣)؛ وفيه قال: «بل(٤) عَبْدٌ لنا بمَجْمع البَحْرَينِ أَعْلَمُ منك».

وهذا خَبَرٌ قد أَنبأ اللهُ أنه ليس كذلك.

١٥٩٠ ـ فاعلَمْ أَنه [قد] وقع في هذا الحديث من بعض طُرُقه الصحيحةِ، عن ابن عباس: «هل تعلمُ أحداً أعلمَ منك؟».

فإذا كان جوابُه على عِلْمه فهو خبرٌ حقٌّ وصِدْقٌ ولا(٥) خُلْف فيه ولا شُبْهة.

وعلى الطريق الآخر فمَحْمَلُه على ظَنِّه ومُعْتَقَدِه، كما لو صَرَّحَ به؛ لأَنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. وقد تقدم برقم (٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٨)، ومسلم (٢٧٦٩/ ٥٤) من حديث كعب بن مالك. (ورّىٰ بغيرها) أي سترها وكنَّى عنها، وأوهم أنه يريد غيرها.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبَيّ بن كعب. (مجمع البحرين): ملتقاهما/ كلمات القرآن.

(٤) في الأصل: «بلىٰ»، والمثبت من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «لا»، بدون الواو.

حالَه في النبوّة والاصطفاء يقتضي ذلك؛ فيكون إخبارُه بذلك أيضاً عن اعتقادِه وحِسْبانه صِدْقاً لا خُلْفَ فيه.

وقد يُرِيُد بقوله: «أَنا أعلم» بما تَقْتَضِيه وظائفُ النبوة من علوم التوحيد، وأمورِ الشريعة، وسياسة الأمة، ويكون الخَضِر أَعلمَ منه بأمورٍ أُخَر مما لا يعلمُه أحَدٌ إلاَّ بإعلامِ الله مِن علوم غَيْبِهِ؛ كالقصص المذكورة في خبرهما، فكان موسى [عليه السلام] أَعْلَمَ على الجملة بما تقدَّمَ. وهذا أعلمُ على الخصوص بما أُعْلِم به[1].

ويَدُل عليه قولُه تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

وعَتْبُ الله ذلكَ عليه ـ فيما قاله العلماءُ ـ إنكار هذا القَوْل عليه، لأنه لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، أو لأنه لم يَرْضَ قولَه شَرْعاً، وذلك ـ والله أعلم ـ لئلا يَقْتَدِيَ به فيه مَنْ لم يَبْلُغْ كمَالَه في تَزْكِيةِ نَفْسِه وعُلُوِّ دَرَجتِه من أُمته؛ فيَهْلِك لِمَا تضمَّنه مِنْ مَدْحِ الإنسانِ نَفْسَه؛ ويُورِثُه ذلك مِن الكِبْرِ والعُجْب والتعاطي والدّعوى؛ وإنْ نُـزِّهَ عن هذه الرذائلِ الأنبياءُ فغيرُهم بمَدْرَجة سَبِلِها[2] ودَرْك لَيْلها[3] إلاّ مَنْ عَصمهُ اللهُ؛ فالتحفُّـظُ منها أَوْلَى لنفسه، وليُـقْتدى به.

١٥٩١ ـ ولذا قال ـ عليه السلام ـ تحفُّظاً من مِثْل هذا مما قد أُعْلِمَ به: **«أنا سَيِّـدُ وَلَدِ آدم ولا فَخْرَ»**[4].

وهذا الحديث إحْدى حُجَج القائلين بنُبوّة الخَضِر ـ عليه السلام ـ لقوله فيه:

---

(١) كلمة: «به»، لم ترد في المطبوع.
(٢) في المطبوع: «فغيرهم بمدرجة سبيلها». قال الخفاجي: «أي غير الأنبياء يتصف بها». ومعنى: «سيلها»: ممرّها/ قاله القاري.
(٣) في نسخة: «نيلها».
(٤) تقدم برقم (٥٠٢).

«أَنَا أعلمُ من موسى». ولا يكون الوليُّ أعلمَ من النبيّ. بل[1] النبي أعلم من الولي.

فأما الأنبياءُ فيتفاضلونَ في المعارف.

وبقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢]؛ فدلَّ أَنه بوَحْيٍ. ومَنْ قال: إنه ليس بنبيّ [قال]: يحتملُ أَن يكونَ فعلَه بأَمْرِ نبيٍّ آخر.

وهذا يضعَّف؛ لأنه ما عَلِمْنَا [أنه] كان في زَمن موسى ـ عليه السلام ـ نَبِيٌّ غيره إلا أخاه هارون؛ وما نقَلَ أحدٌ من أهلِ الأخبار في ذلك شيئاً يُعَوَّلُ عليه.

وإذا جعلنا: «أعلمَ منك» ليس على العموم؛ وإنما هو على الخصوص، وفي قَضَايا مُعَيَّنَة ـ لم يحْتَجْ إلى إثباتِ نُبوَّةِ الخَضِرِ؛ ولهذا قال بعضُ الشيوخ: كان موسى أعلم مِنَ الخَضِر فيما أخذ عن اللهِ، والخضرُ أَعلمُ فيما دُفِعَ إليه[2] من موسى.

وقال آخر: إنما أُلْجِىءَ موسى إلى الخَضِر للتَّأْديبِ لا لِلتَّعْليم.

فصل

[فِيْ عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ][3]

وأمَّا ما يتعلقُ بالجَوارِحِ من الأعمال، ولا يخرجُ من جُملتها القولُ باللسانِ فيما عدا الخبرَ الذي وقع فيه الكلامُ والاعتقادُ بالقَلْب فيما عَدَا التوحيد، وما قدمناه مِنْ مَعَارفه المختصة به فأجمع المسلمون على عِصْمَةِ الأنبياء من الفَوَاحِشِ والكبائر الموبقات. ومستند الجمهور في ذلك الإجماعُ الذي ذكرناه.

وهو مذهبُ القاضي أبي بكر؛ ومنَعها غَيْرُه بدليلِ العَقْل مع الإجماع؛ وهو قولُ الكافّة، واختاره الأستاذ أبوإسحاق.

(١) كلمة: «بل»، لم ترد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «رُفع إليه». قال الخفاجي: «أي فيما جعله الله تعالى منوطاً به، منتهياً إليه علمه، مما غيب عِلْمَهُ عن غيره».

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

وكذلك لا خِلاَفَ أنهم معصومون مِنْ كِتْمانِ الرِّسالةِ والتقصيرِ في التبليغ؛ لأَنَّ كُلَّ ذلك تقتضِي العصمةَ منه المعجزةُ ، مع الإجماعِ على ذلك من الكافة .

[والجمهورُ قائلون: بأنهم معصومون من ذلك مِنْ قِبَلِ اللهِ ، معتصمون باختيارِهم وكَسْبِهم ، إلا حُسيناً النجار[1]؛ فإنه قال: لا قدرةَ لهم على المعاصي أصلاً].

وأمّا الصغائر فجوّزها جماعةٌ من السَّلَف وغيرهم على الأنبياء؛ وهو مَذْهَبُ أبي جعفر الطبري وغيرِه من الفقهاء والمُحَدّثين والمتكلمين. وسنُورِدُ بَعْدَ هذا ما احتجُّوا به.

وذهبت طائفةٌ أُخرى إلى الوقْفِ ، وقالوا: العَقْلُ لا يُحيل وقوعَها منهم؛ ولم يأْتِ في الشَّرْعِ قاطِعٌ بأَحد الوجهين. (١٦٠/ب).

وذهبت طائفةٌ أُخرى من المحقِّقِين من الفقهاء[2] والمتكلّمين إلى عِصْمَتهم من الصغائر كعِصْمتهم من الكبائر؛ قالوا: لاختلافِ الناسِ في الصغائر وتَعْيينها من الكبائر وإشكالِ ذلك ، وقولِ ابن عباس وغَيْره: إن كلّ ما عُصِيَ اللهُ ـ عز وجل ـ به فهو كبيرةٌ ، وإنه إنما سُمِّي منها الصَّغيرةُ بالإضافة إلى ما هو أكْبَرُ منه؛ ومخالفةُ الباري في أيِّ أمْرٍ كان ، يجبُ كونه كبيرة.

قال القاضي أبو محمد: عبدُ الوهَّاب: لا يمكنُ أَن يُقال: [إنّ] في معاصي الله صغيرةً إلا على معنى أنها تُغْتَفَر باجْتناب الكبائر ، ولا يكون لها حُكْمٌ مع ذلك ، بخلاف الكبائر إذا لم يُتَبْ منها فلا يُحْبِطُها[3] شيء. والمشيئةُ

---

(١) هو الحسين بن محمد النجار الرازي. رأس الفرقة «النجارية» من المعتزلة ، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر ، واكتساب العباد ، وفي الوعد والوعيد ، وإمامة أبي بكر ، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات ، وخلق القرآن ، وفي الرؤية. مات النجار نحو سنة (٢٢٠)هـ. انظر الأعلام.

(٢) قوله: «من الفقهاء»، لم يرد في المطبوع.

(٣) لا يحبطها: أي لا يمحوها.

في العَفْو عنها إلى الله تعالى؛ وهو قولُ القاضي أبي بكر وجماعةِ أئمة الأشعرية وكثيرٍ من أئمة الفقهاء.

[قال القاضي رحمه الله]: وقال بعضُ أَئمتنا: ولا يجبُ على القولين أن يُخْتلفَ أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها؛ إذ يُلحقها ذلك بالكبائر؛ ولا في صغيرةٍ أدَّتْ إلى إزالةِ الْحِشْمَةِ، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء[1] والخساسة؛[2] فهذا أيضاً مِمَّا يُعْصَمُ عنه الأنبياء إجماعاً؛ لأن مِثْلَ هذه يَحُطُّ مَنْصِبَهُ المُتَّسِم به، ويُزْرِي بصاحبه، ويُنَفِّر القلوبَ عنه؛ والأنبياءُ منزَّهون[3] عنِ ذلك. بل يُلْحَق بهذا ما كان مِنْ قَبِيْلِ المُبَاح؛ فأدّى إلى مِثْله؛ لخروجه بما أدّى إليه عن اسْمِ المباحِ إلى الحَظْرِ.

وقد ذهب بعضُهم إلى عِصْمتهم من مُوَاقَعة المكروه قَصْداً.

وقد استدلّ بعضُ الأئمة على عصمتهم من[4] الصغائر بالمَصِير إلى امتثال أفعالهم، واتِّباع آثارهم وسِيرَهم مطلقاً.

وجمهورُ الفقهاءِ على ذلك من أصحاب الشافعيّ ومالكٍ وأبي حنيفة من غير التزامِ قرينةٍ، بل مطلقاً عند بعضهم، وإن اختلفوا في حُكْمِ ذلك.

وحكى ابنُ خُوَيْز مِنْدَاذ[5]، وأبو الفرج[6] (١٦١/أ) عن مالك، التزامَ ذلك وجوباً، وهو قولُ الأبهري[7] وابن القَصَّار وأكثر أصحابنا.

---

(١) الإزراء: الحقارة.

(٢) الخساسة: الدناءة.

(٣) منزَّهون: مُبَرَّؤون.

(٤) في الأصل: «عن»، والمثبت من المطبوع.

(٥) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز المالكي العراقي. فقيه، أصولي، من آثاره: كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه. مات سنة (٣٩٠)هـ تقريبا/ معجم المؤلفين.

(٦) هو عمر بن محمد المالكي، فقيه أصولي. له من الكتب: الحاوي في الفقه، واللمع في أصول الفقه. توفي سنة (٣٣١)هـ/ الفهرست لابن النديم ص (٢٨٣).

(٧) قال الخفاجي في نسيم الرياض (٤/ ١٤١ ـ ١٤٢): «الأبهري من علماء المالكية اثنان: أبو بكر: محمد بن عبد الله بن صالح، والآخر: أبو سعيد: عبد الرحمن بن يزيد بن عبد السلام،=

وقولُ أَكثرِ أهلِ العراقِ ، وابن سُرَيجٍ[1] ، والإصْطَخْرِيّ[2] ، وابن خَيْران[3] من الشافعية . وأكثَرُ الشافعية على أنَّ ذلك ندْبٌ .

وذهبت طائفةٌ إلى الإباحة .

وقيّد بعضُهم الاتّباعَ فيما كان من الأمور الدينية وعُلِمَ به مَقْصِدُ القُرْبة .

ومَنْ قال بالإباحة في أفعاله لم يُقَيِّدْ. قال: فلو جوَّزْنا عليهم الصغائرَ لم يكن الاقتداء بهم في أفعالهم؛ إذ ليس كلُّ فِعْلٍ من أفعاله يتميَّزُ مَقْصِدُه منِ القُرْبَةِ أوالإباحةِ ، أو الحَظْرِ ، أو المعصية . ولا يصحُّ أن يُؤمَر المرءُ بامتثالِ أَمْرٍ لعلَّه معصيةٌ ، لا سيّما على مَنْ يَرَى تقديمَ الفعل على القولِ إذا تعارضَا من الأصوليّين[4] .

ونزيدُ هذا حجّةً بأن نقول: مَنْ جوَّز الصغائرَ ومَنْ نفاها عن نبيّنا ـ عليه السلام ـ مُجْمِعون [على] أنه لا يُقِرُّ على مُنْكَر مِنْ قولٍ ، أو فِعْلٍ ، وأنه متى رأى شيئاً ، فسكت عنه ـ ﷺ ـ دَلّ على جوازِه ، فكيف يكون هذا حالُه في حقّ غيره ، ثم يجوزُ وقوعه منه في نفسه؟!

وعلى هذا المَأخَذ تجبُ عصمتُهم من مُواقعةِ المكروهِ ، [كما قيل. وإذ

= وليس ابن عبد السلام هذا هو الشافعي، وهذا أيضا مشهور عندهم. فمحمد الأبهري من علماء المالكية في أهل طليطلة، ويلقب بأبي تمام، وهو المراد هنا»، وانظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣٣ ـ ٣٣٤).

(١) هو أبو العباس: أحمد بن عمر بن سُرَيجٍ البغدادي ، فقيه الشافعية في عصره له نحو (٤٠٠) مصنف. ولد في بغداد سنة (٢٤٩)هـ. ومات فيها سنة (٣٠٦)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٤.

(٢) هو أبو سعيد: الحسن بن أحمد ، الشافعي ، فقيه العراق. كان إماماً قدوة علامة ورعاً زاهداً. مات سنة (٣٢٨)هـ وله نيف وثمانون سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(٣) هو الإمام أبو علي: الحسين بن صالح بن خَيْران البغدادي الشافعي. مات سنة (٣٢٠)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨ ـ ٦٠.

(٤) قوله: «من الأصوليين»، جاء في المطبوع بعد قوله: «مَنْ يرى».

الحظْرُ أو النّدْبُ على الاقتداء بفعلِه يُنَافِي الزَّجْرَ والنَّهْيَ عن فِعْلِ المكروه].

وأيْضاً قد عُلِم مِنْ دين الصحابةِ قَطْعاً الاقتداءُ بأَفعال النبيّ ﷺ كيف توجَّهَتْ، وفي[1] كل فَنّ كالاقتداء بأقواله.

١٥٩٢ ـ فقد نَبَذُوا خواتيمَهم حين نبذ خاتَمه[2].

١٥٩٣ ـ وخلعوا نِعَالَهم حين خَلَع نعله[3].

١٥٩٤ ـ واحتجاجُهم برؤية ابْنِ عُمَر إياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس[4].

واحتجّ غَيْرُ واحدٍ منهم في غير شيء مما بابُه العبادةُ أو العادة بقوله: رأَيتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ يفعله.

١٥٩٥ ـ وقال: **«هَلاَّ خَبّرتيها أَنّي أُقبّلُ وأَنَا صائمٌ»**[5].

١٥٩٦ ـ وقالت عائشة ـ محتجَّةً: كنت أفعلُه أنا ورسولُ اللهﷺ[6].

١٥٩٧ ـ وغضِبَ ـ عليه السلام ـ على الذي أُخْبِرَ بمثل هذه عنه؛ فقال[7]: يُحِلُّ اللهُ لرسوله ما يشاء (١٦١/ب) وقال[8]: **«إني لأَخْشَاكم للهِ وأَعْلَمُكم بحدوده»**[9].

---

(١) في المطبوع: «وَمِنْ».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٥١)، ومسلم (٢٠٩١) من حديث ابن عمر.

(٣) أخرجه أبو داود (٦٥٠) وغيره من حديث الخدري. وصححه ابن خزيمة (١٠١٧)، والحاكم (١/ ٢٦٠) ووافقه الذهبي. وكلمة «نعْله»، لم ترد في المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٥)، ومسلم (٢٦٦) من حديث ابن عمر.

(٥) انظر تخريج الحديث الآتي برقم (١٥٩٧).

(٦) أخرجه الترمذي (١٠٨) عن عائشة موقوفاً بلفظ: «إذا جاوز الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسلُ، فعلته أنا ورسول الله ﷺ فاغتسلنا». وصححه الترمذي والعلامة أحمد شاكر وغيره.

(٧) فاعل «قال» هو الصحابيُّ المُخْبِرُ.

(٨) قوله: «وقال»، لم يرد في المطبوع.

(٩) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم، في رمضان، فوجد من ذلك وجداً شديداً، فأرسل امرأته =

والآثارُ في هذا أعظم[1] من أَنْ نُحيط عليها ، لكنه يُعْلم مِنْ مجموعها على القَطْعِ اتباعُهم أفعالَه واقتداؤُهم بها ، ولو جوّزُوا عليه المخالفةَ في شيء منها لما اتّسق هذا ، ولَنُقِلَ عنهم وظهر بَحْثُهُمْ عن ذلك ، ولَمَا أنكر - عليه السلام - على الآخر قولَه واعتذارَه بما ذكرناه.

وأَمَّا المُبَاحات فجائزٌ وقوعُها منهم؛ إذ ليس فيها قَدْحٌ ، بل هي مأْذون فيها ، وأيديهم كأيدي غيرهم مسلَّطةٌ عليها ، إلا أنَّهم بما خُصُّوا به من رَفيع المنزلةِ ، وشُرِحَتْ له صدورُهم من أنوار المعرفة ، واصْطُفُوا به مِنْ تَعَلُّقِ الهمم[2] بالله والدارِ الآخرة ، لا يأخذونَ من المباحات إلا الضّرُورات مما يَتَقَوَّوْنَ به على سُلوكِ طريقهم ، وصلاحِ دِينهم ، وضرورةِ دنياهم ، وما أُخِذَ على هذه السبيل التحق بطاعةٍ[3] ، وصار قُرْبَةً ، كما بَيَّنَّا منه أولَ الكتاب طَرفاً في خصال نبيّنا عليه السلام؛ فبان لك عظيمُ فَضْلِ اللهِ على نبيّنا عليه السلام وعلى سائر أنبيائه عليهم السلامُ. بأَنْ جعل أَفعالهم قُرُباتٍ وطاعاتٍ بعيدةً عن وَجْه المخالفة ورسْمِ المعصية[4].

= تسأل له عن ذلك. فدخلت على أم سلمة ، زوج النبي ﷺ. فذكرت ذلك لها ، فأخبرتها أم سلمة : أن رسول الله ﷺ يقبِّلُ وهو صائم ، فرجعتْ ، فأخبرت زوجها بذلك ، فزاده ذلك شرّاً. وقال: لسنا مثل رسول الله ﷺ. الله يحل لرسول الله ﷺ ما شاء. ثم رجعت امرأته إلى أم سلمة ، فوجدت عندها رسول الله ﷺ. فقال رسول الله : «ما لهذه المرأة؟» فأخبرته أم سلمة. فقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرتيها أني أفعل ذلك؟». فقال: قد أخبرتها. فذهبت إلى زوجها فأخبرته. فزاده ذلك شرّاً. وقال: لسنا مثل رسول الله ﷺ. الله يحل لرسول ﷺ ما شاء. فغضب رسول الله ﷺ وقال: «والله! إني لأتقاكم لله ، وأعلمكم بحدوده». وهذه رواية مرسلة لكن وصلها عبد الرزاق ، وأحمد بإسناد صحيح عن عطاء ، عن رجل من الأنصار...

(١) في المطبوع: «أكثر».
(٢) في المطبوع: «هِمَمِهم».
(٣) في المطبوع: «طاعةً».
(٤) رسم المعصية: علامتها وأثرها.

فصل

[فِيْ عِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمَعَاصِيْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ][1]

وقد اخْتُلِفَ في عِصْمتِهم من المعاصي قبل النبوّةِ؛ فمنعها قومٌ، وجوّزها آخرون. والصحيحُ ـ إن شاء الله ـ تنزيههُم من كل عَيْب، وعِصْمَتُهم من كلّ ما يُوجبُ الرَّيْب؛[2] فكيف والمسألةُ تصوُّرُها كالمُمْتَنِع؛ فإنَّ المعاصيَ والنواهِي إنما تكون بعد تقرُّر الشَّرْع.

وقد اختلف الناسُ في حال نبينا ـ عليه السلام ـ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إليه؛ هل كان متَّبِعاً لِشَرْعٍ قَبْلَه أم لا؟ فقال جماعة: لم يكن متَّبِعاً لشيء؛ وهذا قولُ الجمهور؛ فالمعاصيَ على هذا القول غَيْرُ موجودةٍ ولا مُعْتَبرة في حقّه حينئذٍ؛ إذ الأحكامُ الشرعية إنما تتعلّق بالأوامر والنواهي وتَقَرُّرِ الشريعة.

ثم اختلفت (١٦٢/أ) حُجَجُ القائلين بهذه المَقَالة عليها؛ فذهَبَ سيفُ السّنّةِ، ومُقْتَدَى فِرَقِ الأُمّةِ، القاضي أبو بكر[3] إلى أَنّ طريقَ العِلْم بذلك النَّقْلُ، وَمَوارد الخبر مِنْ طريق السمع؛ وحجّتُه أنه لو كان ذلك لنُقِل، ولما أَمكن كَتْمُه وسَتْرُه في العادة؛ إذْ كان مِنْ مُهِمّ أَمْرِه؛ وأَوْلَى ما اهتُبِلَ[4] به مِنْ سيرته، ولفَخَر به أَهلُ تلك الشريعة، ولاحْتَجُّوا به عليه؛ ولم يُؤثر شيءٌ من ذلك جملةً.

وذهبت طائفةٌ إلى امتناع ذلك عَقْلاً؛ قالوا: لأنه يَبْعُد أَنْ يكونَ متبوعاً مَنْ عُرِف تابعاً؛ وبنوا هذا على التحسين والتقبيح؛ وهِي طريقةٌ غيرُ سديدةٍ؛ واستنادُ ذلك إلى النّقْلِ ـ كما تقدمَ للقاضي أبي بكر ـ أَوْلَى وأَظْهَر.

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) الريب: الظن والشك والتهمة.

(٣) هو الباقلاّني.

(٤) اهتبل: اغْتُنِيَ.

وقالت فرقةٌ أُخرى بالوَقْفِ في أمره عليه السلام ، وتَـرْكِ قَطْعِ الحُكْم عليه بشيءٍ في ذلك؛ إذ لم يُحِل أَحَدَ الوجهين منها العَقْلُ ، ولا استبانَ عندنا[1] في أحدهما طريقُ النَّقلِ؛ وهو مَذْهبُ أبي المعالي[2].

وقالت فرقةٌ ثالثة: إنه كان عاملاً بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَه؛ ثم اختلفوا: هل يتعيَّنُ ذلكَ الشرعُ أم لا؟ فوقف بعضُهم عن تَعْيينه ، وأَحْجَم ، وجَسَر[3] بعضُهم على التعيين وصمّم.

ثم اختلَفتْ هذه المعيّنة فيمن كان يتَّبعُ؛ فقيل: نوحٌ، وقيل: إبراهيم، وقيل: موسى، وقيل: عيسى صلوات الله عليهم. فهذه جملةُ المذاهب في هذه المسألة.

والأَظْهرُ فيها ما ذهبَ إليه القاضي أبو بكر ، وأَبعدُها مذاهب المعيَّنين؛ إذ لو كان شيء من ذلك لنُقِلَ كما قَدّمنا ، ولم يَخْفَ جملةً؛ ولا حجةَ لهم في أَنّ عيسى آخِرَ الأَنبياء ، فلزمت شريعتُه مَنْ جاء بعدها؛ إذ لم يثبُتْ عمومُ دَعْوة عيسى ، بل الصحيحُ أنه لم يكن لنبيّ دَعوةٌ عامةٌ إلا لنبيّنا ﷺ؛ ولا حجةَ أيضاً للآخرينَ في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] ، ولا للآخرين[4] في قوله [تعالى]: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣] ، فتُحمل هذه الآية على اتِّباعهم في التَّوْحيد؛ كقوله [تعالى]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ(١٦٢/ ب) ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد سمَّى اللهُ تعالى فيهم مَنْ لم يُبْعَثْ ، ولم يكُنْ له شريعةٌ تَخُصُّهُ؛ كيوسف بن يعقوب على قول مَنْ يقول: إنه ليس برسولٍ.

وقد سمَّى اللهُ تعالى جماعةً منهم في هذه الآية شرائِعُهم مختلفةٌ لا يمكنُ الْجَمعُ بينها؛ فدلّ أَن المرادَ ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادةِ الله [تعالى].

---

(١) كلمة: «عندنا»، لم ترد في المطبوع.

(٢) هو إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. ولد سنة (٤١٩)هـ ، ومات سنة (٤٧٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨ ـ ٤٧٧.

(٣) (جَسَرَ): تجرَّأَ، وَأَقْدَمَ.

(٤) في المطبوع: «للآخر».

وبَعْدَ هذا؛ فهل يلزمُ مَنْ قَال بمَنْع الاتِّبَاع هذا القولُ في سائر الأنبياءِ غَيْرِ نبيِّنا ﷺ ، أو يخالفون بَينهم؟[1].

أمّا مَنْ مَـنَـعَ الاتِّبَاعَ عقلاً فيطَّرِدُ أَصْلُه في كلِّ رسولٍ بلا مِزيَـةٍ. وأمّا مَنْ مال إلى النَّقْل فأينما تُصوِّرُ له وتُـقرِّر اتَّـبَعه.

ومن قال بالوقْفِ فعلَى أَصْلِه ، ومن قال بوجوب الاتّبَاع لمَنْ قَبله يلتزمه[2] بمَسَاقِ حُجَّتِه في كل نبيّ.

فصـل

[فِيْ حُكْمِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ فِيْ الوَظَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ][3]

هذا حكْمُ ما تَكونُ المخالفةُ فيه من الأعمالِ عن قَصْدٍ؛ وهو ما يسمَّى مَعْصِيةً ، ويدخلُ تحت التكليف. وأمّا ما يكون بغير قَصْدٍ وتَعَمُّدٍ ، كالسَّهْو ، والنِّسيان في الوظائف الشَّرْعِيَّة ، مما تَقَرَّرَ الشَّرْعُ بعدم تعلُّق الخطاب به ، وتَرْكِ المؤاخذة عليه؛ فأحوالُ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ في ترْك المؤاخذة به ، وكونه ليس بمعصية لهم مع أُممهم سواء. ثم ذلك على نوعين: ما طريقُه البلاغُ ، وتقريرُ الشَّرْع ، وتعلُّق الأحكام ، وتعليمُ الأمةِ بالفِعْل ، وأخذُهم باتّباعِه فيه ، وما هو خارجٌ عن هذا مما يختصُّ بنفسه.

أَمّا الأوّل: فحُكمه عِنْدَ جماعةٍ من العلماء حُكْمُ السَّهْوِ في القَوْلِ في هذا الباب ، وقد ذكرنا الاتفاقَ على امتناع ذلك في حقِّ النبيِّ ﷺ ، وعِصْمتِه مِنْ جوازِه عليه قَصْداً أو سَهْواً؛ وكذلك قالوا: الأفعالُ في هذا الباب لا يجوز طروُّ المخالفة فيها لا عمْداً ولا سَهْواً؛ لأنها بمعنى القولِ مِنْ جهة التبليغ والأداء ،

---

(١) أو يخالفون بينهم: قال الخفاجي: «أي بين نبيِّنا ﷺ وبين غيره من الأنبياء عليهم السلام، فيقول: إنَّ نبيَّنا لشرف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره، وغيرُهُ يتبع مَنْ قَبْلَهُ». وفي المطبوع: «نَبِيِّهم» بدل «بَيْنَهُم»، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: «فيلتزمه».

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

وطروّ هذه العوارض عليها يوجِبُ التشكيك ، ويسبِّبُ المطاعِنَ.

واعتَذَرُوا عن أَحاديث السَّهْوِ بتوجيهاتٍ نذكرُها بعد هذا. وإلى (١٦٣/أ) هذا مال أبو إسحاق الإسفراييني[١].

وذهب الأكثَرُ من الفقهاء والمتكلمين إلى أنّ المخالفَةَ في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سَهْواً وعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ منه ـ جائز [ة] عليه ، كما تقرَّرَ من أحاديث السَّهْوِ في الصلاةِ؛ وفرَّقُوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لِقيَامِ المعجزةِ على الصِّدْقِ في القَوْلِ ، ومخالفَةُ ذلك يناقِضُها.

وأما السَّهْوُ في الأفعال فَغَيْرُ مُنَاقِضٍ لها ، ولا قادحٍ في النبوة ، بل غلطاتُ الفِعْلِ وغفلاتُ القَلب من سِمَات البشر.

١٥٩٨ ـ كما قال ـ عليه السلام ـ: «إنما أنا بَشَرٌ، أَنْسى كما تَنْسَوْنَ، فإذا نسيتُ فذكِّروني»[٢].

١٥٩٩ ـ نعم ، [بل] حالةُ النسيان والسَّهْو ـ هنا ـ في حقِّه عليه السلام سببُ إفادةِ عِلْمٍ ، وتقريرِ شَرْعٍ ، كما قال عليه السلام: «إني لأَنْسَى ـ أو أُنَسَّى ـ لأَسُنَّ»[٣].

١٦٠٠ ـ بل قد رُوِيَ: «لسْتُ أَنْسى ، ولكن أُنَسَّى لأَسُنَّ»[٤].

وهذه الحالَة زِيادةٌ له[٥] في التبليغ ، وتمامٌ عليه في النعمة ، بعيدةٌ عن سِمَاتِ النَّقْصِ ، واعتراض الطعْن؛ فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرُّسُلَ لا تُقَرُّ عَلَى السَّهْوِ والغَلط؛ بل ينبَّهُون عليه ، ويُعَرَّفون حُكْمه بالفَوْرِ ـ على قولِ بعضهم ـ وهو الصحيح وقَبْلَ انقراضِهم على قَوْلِ الآخرين.

---

(١) كلمة: «الإسفراييني»، لم ترد في المطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١) ، ومسلم (٥٧٢) من حديث ابن مسعود. وسيذكره المصنف برقم (١٦٠٥ ، ١٦٠٩ ، ١٦٢٤).

(٣) تقدم برقم (١٥٨٤) ، وسيأتي برقم (١٦٠٧).

(٤) تقدم برقم (١٥٨٣) وسيأتي برقم (١٦٥٢). وقوله: «لأَسُنَّ»، لم ترد في المطبوع.

(٥) كلمة: «له»، لم ترد في المطبوع.

وأمَّا ما ليس طريقُه البلاغَ[1]، ولا بيانَ الأحكام من أفعاله عليه السلام، وما يختصُّ به من أُمور دِينه، وأذْكار قَلْبِه، مما لَمْ يَفْعَلْه ليُتَّبَع فيه - فالأكثَرُ من طبقاتِ علماء الأمةِ على جواز السَّهْوِ والغَلَط عليه فيها، ولحوقِ الفَترَاتِ، والغَفَلاتِ بقَلْبِه؛ وذلك بِما كُلِّفَه من مقاساةِ الخَلْقِ، وسياسات الأمةِ، ومعاناةِ الأهل، وملاحظةِ الأعداء؛ ولكن ليس على سبيل التكرار، ولا الاتصالِ؛ بل على سبيل النُّـدُور.

١٦٠١ - كما قال عليه السلام: «**إنه ليُغَانُ على قلبي، فأَستَغْفِرُ اللهَ**».[2]

وليس في هذا شيء يَحُطُّ من رُتْبَتِه ويُنَاقِضُ معجزتَه.

وذهبت طائفة إلى مَنْعِ السَّهْوِ، والنِّسيان، والغَفَلات، والفَتَرات في حقه - عليه السلام - جملةً.

وهو مذهبُ جماعة المتصوّفة وأصحاب (١٦٣/ب) عِلْمِ القلوب والمقامات، ولهم في هذه الأحاديث مذاهبُ نذكرها - إن شاء الله - بَعْدُ.

فصــل

فِيْ الكَلامِ عَلىٰ الأَحَادِيْثِ المَذْكُوْرِ فِيْها السَّهْوُ منه عَلَيْهِ السَّلامُ

قد قدّمْنَا في الفصول قبل هذا ما يجوزُ فيه عليه السهْوُ - عليه السلام - وما يمتَنِعُ، وأَحَلْنَاهُ[3] في الأخبارِ جملةً، وفي الأقوال الدينية قَطْعاً، وأَجَزْنَا وقوعَه في الأفعالِ الدينية عَلَىٰ الوَجْهِ الذي رتَّبْنَاهُ، وأشرنا إلى ما ورد في ذلك؛ ونحن نَبْسُط القولَ فيه هاهنا - إن شاء الله[4] - [ونقول]: الصحيح من الأحاديث الواردة في سَهْوِهِ - عليه السلام - في الصلاة ثلاثةُ أحاديث:

---

(١) البلاغ: أي تبليغ شرائع الإسلام.

(٢) تقدم برقم (١٥٣٨)، وسيأتي برقم (١٦٢٨).

(٣) أحلناه: جعلناه مُحالاً.

(٤) قوله: «ها هنا إن شاء الله»، لم يرد في المطبوع.

١٦٠٢ ـ **أوَّلها**: حديث ذي اليَدَيْنِ في السلام من اثنتين[١].

١٦٠٣ ـ **الثاني**: حديث ابن بُحَيْنَةَ في القيام من اثنتين[٢].

١٦٠٤ ـ **الثالث**: حديث ابن مسعود [رضِيَ الله عنه]: أَنَّ النبيَّ ﷺ صلَّىٰ الظُّهْرَ خمساً[٣].

وهذه الأحاديثُ مبنيَّةٌ علىٰ السَّهْوِ في الفِعْلِ الذي قرَّرْنَاهُ، وحكمةُ اللهِ فيه لِيُسْتَنَّ به، إذ البَلاَغُ بالفعل أَجْلَىٰ منه بالقولِ، وأَرفَعُ للاحتمال؛ وشرطه أنه لا يُـقَرّ عَلَىٰ السَّهْوِ؛ بل يُشْعَر به ليرتَفِعَ الالْتِباسُ، وتظهرَ فائدةُ الحكمةِ فيه كما قدمناه؛ وإن النسيانَ والسَّهْوَ في الفِعْلِ فِي حقِّه ـعليه السلام- غير مُضَادّ للمعجزةِ، ولا قادحٍ في التصديق.

١٦٠٥ ـ وقد قال عليه السلام: «**إنما أَنَا بَشَرٌ مثلكم**[٤] **أَنسَىٰ كما تَنْسَوْنَ؛ فإذا نسيتُ فذكِّروني**»[٥].

١٦٠٦ ـ وقال [ﷺ]: «**رحِمَ اللهُ فلاناً؛ لقد أَذْكَرَنِي كذا وكذا آيةً، كنتُ أَسْقَطْتُهُنَّ**»[٦]، ويُرْوَىٰ: «**أُنْسِيتهُنَّ**».

١٦٠٧ ـ وقال عليه السلام: «**إنِّي لأَنْسَىٰ ـ أَو أُنَسَّىٰ ـ لأَسُنَّ**»[٧].

١٦٠٨ ـ قيل: هذا اللفظُ شَكٌّ من الراوي. وقد روى: «**إني لا أَنْسَىٰ، ولكن أُنَسَّىٰ لأَسُنَّ**».

وذهب ابن نافع، وعيسىٰ بن دينار أنه ليس بشكّ؛ وأَنَّ معناه التقسيم؛ أَي أَنْسَىٰ أنا، أو يُنْسِينِي الله.

---

(١) تقدم برقم (١٥٨٠، ١٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٨٢٩)، ومسلم (٥٧٠). (ابن بُحَينة) هو عبد الله، أبوه مالكٌ، وأمه بُحَيْنَةُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٢٦)، ومسلم (٥٧٢/ ٩١).

(٤) كلمة: «مثلكم»، لم ترد في المطبوع.

(٥) تقدم برقم (١٥٩٨)، وهو طرف من الحديث السابق، وسيأتي برقم (١٦٠٩، ١٦٢٤).

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٣٨)، ومسلم (٧٨٨) من حديث عائشة. وسيأتي برقم (١٦٢٥).

(٧) تقدم برقم (١٥٨٤، ١٥٩٩).

قال القاضي أبو الوليد الباجي: يَحْتَمِلُ ما قالاهُ، أَنْ يُرِيدَ إِنِّي أَنْسَىٰ في اليَقَظَةِ، وأُنَسَّىٰ في (١٦٤/أ) النومِ، أو أَنْسَىٰ عَلَى سبيل عادةِ البَشَرِ من الذُّهُولِ عن الشيءِ والسَّهْوِ؛ أو أُنَسَّىٰ مع إقبالي عليه وتفرُّغي له؛ فأضاف أَحَدَ النِّسْيَانَيْن إلى نفسه؛ إذ كان له بعضُ السبب فيه، ونفىٰ الآخرَ عن نفسه؛ إذ هو فيه كالمضطرِّ.

وذهبت طائفةٌ من أصحاب المعاني والكلام عَلى الحديث إلىٰ أَنَّ النبي ﷺ كان يسهو في الصلاة ولا يَنْسَىٰ؛ لأَنَّ النسيان ذُهُولٌ وغَفْلَةٌ وآفةٌ؛ قال: والنبيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ عنها؛ والسَّهْوُ شُغْلٌ؛ فكان النبي ـ عليه السلام ـ يَسْهُو في صلاته، وَيشغله عن حركات الصلاةِ ما في الصلاة، شُغْلاً بها، لا غَفْلَةً عنها.

واحتجَّ بقوله في الرواية الأخرى: «إني لا أَنْسَىٰ».

وذهَبَتْ طائفةٌ إلى مَنْعِ هذا كلِّه عنه، وقالوا: إِنَّ سَهْوَه عليه السلام كان قصداً وعَمْداً لِيَسُنَّ[١].

وهذا قولٌ مرغوبٌ عنه، مُتناقِضُ المقاصدِ، لا يُحْلَىٰ منه بطائلٍ[٢]؛ لأنه كيف يكون متعمِّداً ساهياً في حال؟! ولا حجَّةَ لهم في قولهم: إنَّه أُمِرَ بتَعَمُّدِ صورةِ النسيان لِيَسُنَّ؛ لقوله عليه السلام: «**إِنِّي لأَنْسَى أَو أُنَسَّىٰ لأَسُنَّ**». وقد أثبتَ أَحَدَ الوَصْفَيْنِ، ونَفَىٰ مُنَاقضَة التعمُّدِ والقَصْد.

١٦٠٩ ـ وقال: «**إنما أَنا بَشَرٌ مِثْلُكم أَنْسَى كما تَنْسَوْنَ، [فإذا نسيت فذكّروني]**»[٣].

وقد مَالَ إلى هذا عظيمٌ من المحقِّقين من أئمتِنا، وهو أبو المظفّر الإسْفَراييني، ولم يَرْتَضِه غَيْرُه منهم، ولا أرتضيه، ولا حجَّةَ لهاتَيْن الطائفتين

---

(١) انظر ما قبله.

(٢) لا يحلىٰ منه بطائل: لا يظفر منه بفائدة.

(٣) تقدم برقم (١٥٩٨، ١٦٠٥)، وسيأتي برقم (١٦٢٤).

في قوله: «إني لا أَنسَىٰ ولكن أُنسَّىٰ» إذ ليس فيه نَفْيُ حُكْمِ النسيان بالجملة، وإنما فيه نَفْيُ لَفظِه وكراهَةُ لَقَبِه.

١٦١٠ ـ كقوله: «بئسَ ما لأَحدكم أن يقولَ: نسيتُ آيةَ كذا، ولكنَّه نُسِّيَ»[(١)] أو نَفْيُ الغَفْلَةِ وقلةِ الاهتمامِ بأمرِ الصلاةِ عن قَلْبِهِ، لكِنْ شُغِلَ بها عنها، ونَسِيَ بعضها ببعضها.

١٦١١ ـ كَما ترك الصلاةَ يوم الخَنْدق حتى خرج وقْتُها[(٢)]، وشُغِل بالتحرُّزِ من العدوّ (١٦٤/ب) عنها؛ فشُغِل بطاعةٍ عن طاعةٍ.

١٦١٢ ـ وقيل: إنَّ الذي تُرِكَ يوم الخَنْدقِ أربعُ صلواتٍ: الظهر، والعَصْر، والمغرب، والعشاء، وبه احتجَّ مَنْ ذَهب إلى جَوَازِ تَأخير الصلاةِ في الحرب[(٣)]، إذا لم يتمكّن من أدائها إلى[(٤)] وَقْتِ الأَمْنِ، وهو مذهبُ الشاميِّين.

والصحيحُ أَنَّ حُكْمَ صلاةِ الخوفِ كان بَعْدَ هذا، فهو ناسخ له.

١٦١٣ ـ فإنْ قلْتَ: فما تقولُ في نَوْمِهِ [ﷺ] عن الصلاة يوم الوادي[(٥)].

١٦١٤ ـ وقد قال: «إن عينيّ تنامان ولا ينام قَلْبِي؟»[(٦)].

فاعلم أَنَّ للعلماء عن ذلك أَجوِبةً.

منها: أَنَّ المرادَ بأَنَّ هذا حُكْمُ قَلْبه عند نومه وعينيه في غالب الأوقات، وقد يَنْدُرُ منه غَيْرُ ذلك، كما ينْدُرُ من غيره خلافُ عادتِه.

---

(١) تقدم برقم (١٥٨٢)، وسيأتي برقم (١٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) من حديث علي مرفوعاً ولفظه: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، مَلأَ الله بيوتهم وقبورهم ناراً...» ونحوه عند مسلم (٦٢٨) من حديث ابن مسعود.

(٣) في المطبوع: «الخوف».

(٤) في الأصل: «في»، والمثبت من المطبوع.

(٥) تقدم برقم (١٥٦٤، ١٥٦٦، ١٥٦٧) وسيأتي برقم (١٦٢٠).

(٦) تقدم برقم (١٣٩، ١٥٢٠).

١٦١٥ ـ ويُصَحِّحُ هذا التأويل قولُه ـ عليه السلام ـ في الحديث نَفْسه: «إنَّ اللهَ قَبَضَ أَرواحَنا»[١].

١٦١٦ ـ وقولُ بلالٍ فيه: ما أُلْقِيَتْ عليّ نومةٌ مِثلُها قط[٢]. ولكن مِثْلُ هذا إنما يكونُ منه لأَمْرٍ يريدُه [الله] مِنْ إثبات حُكمٍ، وتأسيس سُنَّةٍ، وإظهار شَرْعٍ.

١٦١٧ ـ وكما قال في الحديث الآخر: «لو شاءَ اللهُ لأَيْقَظَنَا، ولكِنْ أَراد أن يكونَ لِمَنْ بعدكم»[٣].

الثاني: أنَّ قَلْبَه لا يستَغْرِقُه النومُ حتى يكون منه الحدَث فيه.

١٦١٨ ـ لما رُوِيَ أنه كان محروساً[٤].

وأنه كان ينام حَتىٰ يَنْفُخَ، وحتىٰ يُسْمَعَ غَطِيطُه ثم يقوم فَيُصَلِّي ولا يتوضَّأ[٥].

١٦١٩ ـ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءُه عند قيامِه من النّوم[٦]، فيه نومُه مع أَهْلِه؛ فلا يمكن الاحتجاجُ به على وضوئه ـ عليه السلام ـ بِمُجَرَّدِ

---

(١) هو فقرة من حديث نومه ﷺ عن الصلاة يوم الوادي. وقد تقدم برقم (١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥) من حديث أبي قتادة.

(٣) انظر الرواية الآتية برقم (١٦٢٠).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه من طريق عكرمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قصة صلاة الليل في بيت ميمونة، وفيه: ثم وضع رأسه حتى أغفىٰ، وسمعت نحنحةً، ثم جاء بلال، فاستيقظ، فقام يصلي بأصحابه. قال سعيد بن جبير: فقلت لابن عباس: ما أحسن هذا! فقال ابن عباس: إنها ليست إليّ إن رسول الله ﷺ كان يحفظ/ المناهل (١٢٥٩). (محروساً): أي من الحَدَثِ في النوم.

(٥) أخرجه البخاري (١١٧)، ومسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس. وهو فقرة من حديث بَيْتوتَتِهِ عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ. وانظر جامع الأصول ٧/ ٢١٢ ـ ٢١٤. (غطيطه): الغطيط: الصوت الذي يخرج مع نَـفَسِ النائم، وهو ترديده حيث لا يجد مَساغا (النهاية).

(٦) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣/ ١٨٢) وهو فقرة أيضاً من حديث بيتوتة ابن عباس عند خالته ميمونة.

النَّوْمِ ، إذ لعلَّ ذلك لِمُلاَمَسَةِ[1] الأهلِ أو لِحَدَثٍ آخر[2] ، فكيف وفي آخرِ الحديث نَفْسِهِ: ثم نام حتى سمعتُ غَطِيطَه ، ثم أقيمت الصلاةُ فصلَّىٰ ولم يتوضَّأ؟

١٦٢٠ ـ وقيل: لا ينامُ قَلْبُهُ مِنْ أَجْلِ أنه يُوْحَىٰ إليه في النَّومِ ، وليس في قصةِ الوادي إلاَّ نومُ عَيْنَيْهِ عن رؤية الشمس ، وليس هذا من فِعْلِ القَلْبِ ، وقد قال ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ اللهَ قبضَ أرواحَنا ولو شاء لردّها إلينا في حينٍ غير هذا**»[3].

١٦٢١ ـ فإن قيل: فلولا عادَتُه من استِغْراقِ النومِ لما قال لِبِلاَلٍ (١٦٥/أ): «**اكْلأْ لنا الصُّبْحَ**»[4].

١٦٢٢ ـ فقيل في الجواب: إنه كان مِنْ شَأْنِهِ ـ عليه السلام ـ التَّغْليس بالصُّبْحِ[5]؛ ومراعاةُ أولِ الفَجْرِ لا يصحُّ ممَّنْ نامَتْ عينُه؛ إذ هو ظاهرٌ يُدْرَك بالجوارح الظاهرة[6]، فوكَّلَ بلالاً بمراعاةِ أَوَّلِه لِيُعْلِمَه بذلك ، كما لو شُغِل بشغل غير النوم عن مُراعاته.

١٦٢٣ ـ فإنْ قيل: فما معنى نَهْيه ـ عليه السلام ـ عن القول: «**نسيت**»[7].

١٦٢٤ ـ وقد قال عليه السلام: «**إنِّي أَنْسَىٰ كما تَنْسَوْنَ ، فَإِذَا نسيتُ فذكِّرونِي**»[8].

---

(١) في المطبوع: «الملامسته».

(٢) في الحديث نفسِهِ أنه ﷺ أتى حاجته.

(٣) هو فقرة من حديث نومه ﷺ في قصة الوادي. وقد تقدم برقم (١٥٦٤ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٦١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة: ولفظه: «اكْلأْ لنا الليل». (اكلأ): احْفَظْ.

(٥) تغليسه ﷺ بالصبح متفق عليه من حديث عائشة وأنس (جامع الأصول (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤). (التغليس بالصبح): أي إقامتها في غَلَسٍ ، وهو ظلمة آخر الليل بعد طلوع الفجر.

(٦) كلمة: «الظاهرة»، لم ترد في المطبوع.

(٧) تقدم برقم (١٥٨٢ ، ١٦١٠).

(٨) متفق عليه وقد تقدم برقم (١٥٩٨ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٩).

١٦٢٥ ـ وقال[١]: «لقد أذكرني كذا وكذا آيةً كُنْتُ أُنْسِيتُها»[٢].

فاعْلَم ـ أكرمكَ اللهُ ـ أنه لا تَعَارُضَ في هذه الألفاظ؛ أَمَّا نَهْيُه عن أَنْ يُقال: «نسيتُ آيةَ كذا» فمحمول على ما نُسِخَ فعله[٣] من القرآن، أي: إنَّ الغَفْلَةَ في هذا لم تَكُنْ منه، ولكن الله [تعالى] اضطرَّه إليها لِيَمْحُوَ ما يشاءُ وَيُثْبِتَ. وما كان مِنْ سَهْوٍ، [أ] وغَفْلةٍ مِنْ قِبَلِهِ تذكَّرَها صَلُحَ أَنْ يُقَال فيه: أَنْسَىٰ.

وقد قيل: إنَّ هذا مِنْهُ ـ ﷺ ـ على طريقِ الاستحبابِ في أَنَّهُ يُضيفُ[٤] الفِعْلَ إلى خالقه، والآخَرَ عَلَىٰ طريقِ الجوازِ لاكْتِسَابِ العَبْدِ فيه، وإِسْقَاطِهِ ـ عليه السلام ـ لما أسقط من هذه الآيات جائزٌ عليه بعد بلاغِ ما أُمِرَ ببلاغه، وتوصيله إلى عِبَادِ الله[٥]، ثم يستذكِرُها مِنْ أُمَّتِهِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ نَفْسِه، إلاَّ ما قضىٰ اللهُ ـ عز وجل ـ نَسْخَه ومَحْوَه من القلوب وتَرْكَ اسْتِذْكَارِهِ.

وقد يجوزُ أَنْ يَنْسَىٰ النبيُّ ـ ﷺ ـ ما هذا سبيلُه كَرَّةً؛ ويجوز أَنْ يُنَسِّيه منهُ قبل البلاغ ما لا يغَيِّرُ نَظْماً، ولا يخَلِّطُ حُكْماً، مما لا يُدْخِلُ خَلَلاً في الْخَبَرِ، ثم يُذَكِّرُهُ إيَّاه، ويستحيل دَوامُ نسيانِه لَهُ؛ لحِفظِ اللهِ كتابَهُ، وتكليفه بلاغَهُ.

فصل

فِيْ الرَّدِّ عَلىٰ مَنْ أَجَازَ عَلَيْهِمُ الصَّغَائِرَ
والكلامِ عَلى ما احتَجُوا بِهِ فِيْ ذلِكَ

اعلَمْ أَنَّ المجوِّزِينَ الصغائرَ عَلَى الأنبياء من الفقهاء والمحدِّثين ومَنْ شايَعَهم[٦] عَلَىٰ ذلك من المتكلّمين احتجُّوا عَلَىٰ ذلك بظواهِرَ كثيرةٍ من القرآن

---

(١) كلمة: «قال»، لم ترد في المطبوع.
(٢) متفق عليه وقد تقدم برقم (١٦٠٦).
(٣) في المطبوع: «حفظه».
(٤) في المطبوع: «على طريق الاستحباب أن يُضِيْفَ».
(٥) في المطبوع: «إلىٰ عباده».
(٦) (شايعهم): تابعهم.

والحديث ، إن التزموا ظواهِرَها أَفْضَتْ[1] (١٦٥/ب) بهم إلى تجويز الكبائر وخَرْقِ الإجماع ، وما لا يقولُ به مسلمٌ ، فكيف وكلُّ ما احتجوا به مما اختلف المفسِّرون في معناه ، وتقابلت[2] الاحتمالاتُ في مُقْتَضَاهُ ، وجاءت أقاوِيلُ فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك؟ فإذا لم يكن مذهبُهم إجماعاً ، وكان الخلافُ فيما احتجُوا به من ذلك[3] قديماً ، وقامت الحجة[4] والدلالةُ على خطأ قولِهم ، وصحة غيرِهِ ، وجب تَرْكُه ، والمصيرُ إلى ما صَحَّ .

وها نحن نأخذُ في النظَرِ فيها إنْ شاء اللهُ:

فمن ذلك قولُه تعالى لِنَبِيِّنَا محمد ﷺ:

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

وقوله : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ . . . ﴾ الآية [محمد : ١٩] .

وقوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح : ٢ ، ٣] .

وقولُه : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ . . . . ﴾ الآية [التوبة : ٤٣] .

وقولُه : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٨] .

وقوله : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ . . . ﴾ الآية [عبس : ١ ٢] .

وما قصَّ عليه من قَصَصِ غيره من الأنبياء ؛ كقوله : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] .

وقوله : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] .

---

(١) (أفضت بهم) : انتهت بهم .
(٢) (تقابلت) : تعارضَتْ .
(٣) قوله : «من ذلك» ، لم يرد في المطبوع .
(٤) كلمة : «الحجة» ، لم ترد في المطبوع .

وقوله -عنه: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقوله -عن يونس: ﴿ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الآية [الأنبياء: ٨٧].

وما ذكر من قصته وقصةِ داود؛ وقوله: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥].

وقوله -عن يوسف[١]: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية [يوسف: ٢٤] وما قَصَّ من قصَّتِه مع إخوته.

وقوله -عن موسى: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ ﴾ [القصص: ١٥].

١٦٢٦ - وقول النبيّ - ﷺ - في دعائه: «اللَّهُمَّ![٢] اغْفِرْ لي ما قدَّمْتُ ومَا أَخَّرتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ»[٣] ونحوه من أدعيته. عليه السلام.

١٦٢٧ - وذِكْر الأنبياءِ في الموقفِ ذُنُوبَهم، في حديث الشفاعةِ[٤].

١٦٢٨ - وقوله: «إنه ليُغَانُ على قلبي فأَسْتَغْفِرُ الله»[٥].

١٦٢٩ - وفي حديث أبي هُريرة: «إني لأَستغفِرُ اللهَ، وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً»[٦].

وقوله تعالى -عن نوح: ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

---

(١) قوله: «عن يوسف»، لم يرد في المطبوع.

(٢) كلمة: «اللهم»، لم ترد في المطبوع.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) تقدم حديث الشفاعة من حديث أبي هريرة برقم (٥٧٣، ٥٧٥)، ومن حديث أنس برقم (٥٧٤).

(٥) تقدم برقم (١٥٣٨، ١٦٠١).

(٦) تقدم برقم (١٥٣٩).

[هود: ٤٧] وقد كان الله ـ عز وجل ـ قال له: ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ (١٦٦/أ) إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧].

وقال ـ عن إبراهيم: ﴿ وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ. . . ﴾ الآية [الشعراء: ٨٢].

وقوله ـ عن موسى: ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ. . . . ﴾ الآيات [صٓ: ٣٤] إلى ما أشْبَه هذه الظواهر.

[قال القاضي رحمه الله]:

فأمّا احتجاجُهم بقوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] فهذا قد اختلفَ فيه المفسِّرون؛ فقيل: المرادُ ما كان قبل النبوة وبَعْدها.

وقيل: المراد ما وقع لكَ مِنْ ذَنْبٍ وما لم يَقَعْ. أَعلمَهُ أنه مغفورٌ له.

وقيل: [المتقدم] ما كان قَبْلَ النبوَّةِ، والمتأَخّرُ: عِصْمَتُك بَعْدها، حكاه أحمد بن نصر.

وقيل: المراد بذلك أمته عليه السلام.

وقيل: المرادُ ما كان عن سَهْوٍ وغَفْلَةٍ، وتأويل. حكاه الطبري رحمه الله، واختاره القُشَيْري.

[و] قيل: ﴿ مَا تَقَدَّمَ ﴾ لأبيك آدم، ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ من ذنوبِ أُمَّتك؛ حكاه السَّمَرْقَنْدِيُّ والسُّلَمّي عن ابن عطاء.

وبِمِثْلِه والذي قبلهُ يُتَأَوّلُ قولُه: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩] قال مكيٌّ: مخاطبةُ النبيّ ﷺ ـ ها هنا ـ هي مخاطبةٌ لأُمته.

وقيل: إنَّ النبيَّ ﷺ ـ لمّا أُمِر أَنْ يقولَ: ﴿ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩] ـ سُرَّ بذلك الكفّارُ لعنهم الله[1]؛ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ لِّيَغْفِرَ

(١) قوله: «لعنهم الله»، لم يرد في المطبوع.

لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية [الفتح: ٢] وبمآل المؤمنين في الآية الأُخرى بعدها؛ قاله ابن عباس؛ فمقصدُ(١) الآية: إنك مغفور لكَ، غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِذَنْبٍ تُذْنب أَنْ(٢) لو كان(٣). قال بعضُهم: المغفرةُ ها هنا: تَبْرِئَةٌ من العيوب.

وأما قولُه: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح: ٢، ٣]؛ فقيل: ما سلف مِنْ ذَنْبِكَ قبل النبوة؛ وهو قولُ ابْنِ زَيْدٍ، والحسن، ومعنى قولِ قتادة.

وقيل: معناه أنه حُفِظَ قَبْلَ نبوّته منها، وعُصِمَ؛ ولولا ذلك لأثقلت ظَهْره؛ حكى معناه السمرقندي.

وقيل: المرادُ بذلك ما أثقلَ ظَهْرَهُ مِنْ أَعْبَاءِ الرسالةِ حتى بلّغها؛ حكاه الماوَرْدِيُّ، والسُّلَمِيُّ.

وقيل: حَطَطْنَا عَنْكَ ثِقلَ أيّامِ (١٦٦/ب) الجاهليةِ؛ حكاه مكيّ.

وقيلِ: ثِقَلِ شَغْلِ سِرِّكَ وحَيْرَتِكَ وطلبِ شَرِيعتك حتى شَرَعْنَا ذلك لَكَ، حكى معناه القُشَيْري.

وقيل معناه(٤): خفَّفْنَا عليكَ ما حمِّلْتَ بحِفْظِنَا لما استُحفِظْتَ، وحُفِظَ عليك.

ومعنى ﴿أَنقَضَ [ظَهۡرَكَ]﴾ أي: كاد ينقُضه؛ فيكون المعنى على مَنْ جعل ذلكَ لما قبل النبوة اهتمامَ النبيِّ - ﷺ - بأُمُورٍ فَعَلها قبل نُبوَّتِه، وحُرِّمَتْ عليه بعد النبوّة؛ فعدّها أوزاراً، وثقلت عليه، وأشفَق منها.

أو يكون الوضْعُ عِصْمةَ اللهِ له وكفايتَه من ذنوبٍ لو كانت لأنقَضَتْ ظَهْرَهُ(٥).

---

(١) في الأصل: «قال ابن عباس: مقصد...»، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «إنْ»، ونصَّ الخفاجي على أنها بالفتح، وهي زائدة.

(٣) لو كان: لو وُجد.

(٤) في المطبوع: «معنى».

(٥) لأنقضت ظهره: أي لأثقلته حتىٰ سمع له نقيض «صوت».

أو يكون مِنْ ثقل الرسالة؛ أو ما ثَقُلَ عليه وشغل قَلْبَه من أُمور الجاهلية، وإعلامِ اللهِ تعالى له بحفْظِ ما استحفظه مِنْ وَحْيِه.

وأَما قَوْلُه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] فأَمْرٌ لم يتقَدَّم للنبيِّ ﷺ فيه من اللهِ ـ تعالى ـ نَهْيٌ فيُعَدَّ معصية، ولا عدَّه اللهُ [تعالى] عليه معصيةً؛ بل لم يعدّهُ أهلُ العلمِ مُعَاتبةً، وغَلَّطوا مَنْ ذهبَ إلى ذلك؛ قال نِفْطَوَيْهِ: وقد حاشاهُ الله [تعالى] من ذلك؛ بل كان مُخَيَّراً في أَمْرَيْنِ؛ قالوا: وقد كان له أَنْ يَفْعَل ما شاء فيما لم يُنَزَّلْ عليه فيه وَحْيٌ، فكيف وقد قال الله تعالى: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢]. فلمّا أَذِنَ لهم أَعْلَمَهُ اللهُ بما لم يطَّلِعْ عليه مِنْ سِرِّهِمْ أنه لو لم يأْذَنْ لهم لقعدوا، وأنه لا حرجَ عليه فيما فَعلَ، وليس ﴿عفا﴾ ـ هنا ـ بمعنى غَفَرَ.

١٦٣٠ ـ بل كما قال النبيُّ ﷺ: «**عفا الله لكم عن صَدقَةِ الخيل والرقيق**»(١). ولم تَجِبْ عليهم قطُّ؛ أي لم يُلْزمكم ذلك.

ونحوهُ للقُشَيْرِيّ؛ قال: وإنما يقولُ: العَفْو لا يكونُ إلاَّ عَنْ ذَنْبٍ مَنْ لم يَعْرِفْ كلامَ العرب؛ قال: ومعنى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ أي: لم يُلْزِمْك ذَنْباً.

قال الدَّاوُدِيُّ: رُوِيَ أنها تكرمة من الله عز وجل(٢).

وقال مكيٌّ: هو استفتاحُ كلامٍ؛ مثل: أعزَّك اللهُ! وأكرمك الله(٣)!

وحكى السمرقندي أنَّ معناهُ: عافاك الله.

وأما قولُه في أُسَارى (١٦٧/أ) بَدْرٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٢٠)، وأبو داود (١٥٧٤)، والنسائي (٥/ ٣٧)، وابن ماجه (١٧٩٠) من حديث علي مرفوعاً: «قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق». وحسَّن إسناده الحافظ في «الفتح». (الرقيق): اسم يقع على العبيد والإماء (جامع الأصول ٤/ ٥٨٧).

(٢) قوله: «من الله عز وجل»، لم يرد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «مثل أصلحك الله وأعزك».

﴿كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨]. فليس فيه أيضاً إلزامُ ذَنْبٍ للنبيِّ ﷺ؛ بل فيه بَيَانُ ما خُصَّ به وفُضِّل مِنْ بين سائر الأنبياء؛ فكأنه قال: ما كان هذا لنبيٍّ غَيْرِك.

١٦٣١ ـ كما قال ﷺ: «أُحِلَّتْ لي الغنائمُ، ولم تَحِلَّ لنبيٍّ قَبْلي»[١].

فإنْ قيل: فما معنى قوله [تعالى]: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

قيل: الْمَعْنِي بالخطاب لِمَنْ أَرَادَ ذلكَ منهم، وتجرَّد غَرَضُه لِعَرَضِ الدنيا وَحْدَه فيها[٢]، والاستِكْثَارِ منها؛ وليس المراد بهذا النبيَّ ﷺ، ولا عِلْيَةَ أصحابِهِ؛ بل قد رُوِي عن الضحّاك أنها نزلَتْ حين انهزم المشركون يَوْمَ بَدْرٍ، واشتغل الناسُ بالسَّلَبِ[٣] وجَمع الغنائم عن القِتَال؛ حتى خَشِيَ عُمر أَنْ يَعْطِفَ عليهم العدوُّ.

ثم قال تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]؛ فاختلف المفسِّرون في معنى الآية؛ فقيل: معناها: لولا أنه سبق مني أَنْ لا أُعذِّبَ أَحداً إلا بعد النَّهْيِ لعذَّبتُكم.

فهذا يَنْفِي أَنْ يكونَ أَمْرُ الأَسْرَى معصيةً.

وقيل: المعنى: لولا إيمانُكم بالقرآنِ ـ وهو الكتابُ السابقُ ـ فاستوجَبْتُم به الصَّفْحَ لعُوقِبْتُمْ على الغنائم.

ويُزَادُ هذا القولُ تفسيراً وبياناً بأَنْ يُقَال: لولا ما كنْتُم مؤمنين بالقرآنِ، وكنتُم مِمَّنْ أُحِلَّت لهم[٤] الغنائمُ [لعُوقِبْتُم، كما عُوقِبَ مَنْ تَعَدَّى.

وقيل: لولا أنه سبق في اللَّوْحِ المحفوظ أَنَّها حلالٌ لكم لعُوقِبْتم].

---

(١) تقدم برقم (٣٩٨) وما قبله.

(٢) قوله: «فيها»، لم يرد في المطبوع.

(٣) السَّلَبُ: ما يُسْتَلَبُ ويؤخذ من القتيل.

(٤) في الأصل: «لكم»، والمثبت من المطبوع.

فهذ كلُّه يَنْفي الذَّنْبَ والمعصية؛ لأنَّ مَنْ فَعَل ما أُحِلَّ له لم يَعْصِ؛ قال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

١٦٣٢ ـ وقيل: بل كان ـ عليه السلام ـ قد خُيِّرَ في ذلك؛ وقد رُوِي عن علي بن أبي طالب ـ رضِيَ الله عنه ـ أنه قال: جاء جبريلُ ـ عليه السلام ـ إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ يوم بَدْرٍ، فقال: خَيِّرْ أصحابَكَ في الأسارىٰ، إن شاؤُوا القَتْلَ، وإنْ شاؤُوا الفداءَ، على أن يُقْتَل منهم [في] العام المُقْبِل مِثْلُهم.

فقالوا: الفداء ويُقْتَل مِنّا[1].

وهذا دليل[2] على صحة ماقُلْناه، وأنهم لم يفعلوا إلاَّ ما أُذِنَ لهم فيه؛ ولكن بعضَهم مالَ إلى أضعف الوَجْهين مما كان الأَصْلَحُ (١٦٧/ب) غيْرَه من الإثْخَانِ والقَتْلِ؛ فعُوتِبُوا على ذلك، وبُيِّن لهم ضَعْفُ اختيارهم وتصويبُ اختيارِ غَيْرِهم؛ وكلُّهم غَيْرُ عُصَاةٍ ولا مُذْنبين؛ وإلى نحو هذا أشار الطبريُّ.

١٦٣٣ ـ وقولُه ـ عليه السلام ـ في هذه القضيّة: «لو نزل مِن السماء عَذَابٌ مانجا منه إلا عُمرُ»[3] إشارةٌ إلى هذا من تصويب رَأيه، ورَأْيِ مَنْ أَخذ بمَأخذِه، في إعزازِ الدِّين، وإظهار كلمته، وإبادَةِ عَدُوِّه، وأَنَّ هذه القضيّةَ لو استوجبَتْ عذاباً نجا منه عمر ومِثْلُه، وعَيَّنَ عُمَرَ لأنه أولُ من أشار بقَتْلِهم؛ ولكنّ الله لم يقَدِّرْ عليهم في ذلك عذاباً لِحلِّه لهم فيما سبق.

وقال الداوديُّ: الخَبَرُ بهذا لا يثبت، ولو ثبتَ لما جاز أَنْ يُظَنَّ أَنَّ النبيَّ ﷺ حكَمَ بما لا نَصَّ فيه، ولا دليل مِنْ نَصٍّ، ولا جُعِل الأمْرُ إليه فيه؛ وقد نزّهَهُ اللهُ تعالى عن ذلك.

وقال القاضي بَكْرُ بن العلاء: أَخبر اللهُ [تعالى] نبيَّه ـ عليه السلام ـ في هذه

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وفي الباب عن ابن مسعود، وأنس، وأبي برزة، وجبير بن مُطْعِم.

(٢) في الأصل: «هذا، وهذا دليل»، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك عن أبي هريرة (المناهل/ ١٢٣٥).

الاية أنّ تأويلَه وافَق ما كتبه له من إحلالِ الغنائم والفِداء؛ وقد كان قَبْلَ هذا فادَوْا في سَرِيَّةِ عبد الله بن جَحْشٍ[1] التي قُتِلَ فيها ابنُ الْحَضْرميّ بالحَكَم بن كَيْسَان وصاحِبه ، فما عتَبَ اللهُ ذلك عليهم ؛ وذلك قَبْلَ بَدْر بأكثر من عام[2].

فهذا كلُّه يَدُلُّ على أَنَّ فِعْلَ النبيِّ ﷺ في شَأْنِ الأَسْرَى كَان على تأويلٍ وبَصِيرةٍ ، وعلى ما تقدَّم قَبْلُ مثلُه ؛ فلم ينْكِره اللهُ [تعالى] عليهم ، لكنِ اللهُ تعالى أرادَ ـ لِعظَم أَمْرِ بَدْرٍ وكَثْرَةِ أسراها ـ والله أعلم ـ إظهارَ[3] نعمتِه ، وتأكيدَ مِنَّتِه ، بتعريفهم ما كتبه في اللَّوْحِ المحفوظ مِنْ حِلِّ ذلك لهم ، لا على وَجْهِ عِتَابٍ وإنكارٍ أو تَذْنيبٍ[4] . هذا معنى كلامه[5] .

وأما قولُه : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس : ١ ، ٢] .

فليس فيه إثباتُ ذَنْب له عليه السلام ، بل إعلامُ الله ـ عز وجل ـ أَنَّ ذلك المُتَصَدَّىٰ له ممَّنْ لا يتزَكَّى ، وأنَّ الصَّوابَ والأَوْلَى كان ـ لو كُشِفَ لكَ حالُ الرَّجُلَين ـ الإقبالُ على الأعمى .

وفِعْلُ النبيّ ـ ﷺ ـ لِمَا فَعَل ، وتَصَدِّيه لذلك الكافر ، كان طاعةً (١٦٨/أ) للهِ وتبليغاً عنه واستئلافاً له ، كما شرعه اللهُ له ، لا معصية ، ولا مخالفةً له .

وما قصَّه اللهُ له ـ عليه السلام ـ مِنْ ذلك إعلامٌ بحال الرَّجُلين وتوهين أَمْرِ الكَافر [عنده والإشارة إلى الإعراضِ عنه ، بقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس : ٧] .

---

(١) انظر خبر هذه السرية في نور اليقين ص (٩٧ ـ ٩٨) بتحقيقي .

(٢) بل كانت سرية عبد الله بن جحش في رجب من السنة الثانية للهجرة . وغزوة بدر في رمضان من السنة نفسها .

(٣) في الأصل : «لعظيم أمر بدر ، وبكثرة أسراها ، والله أعلم بإظهار . . .» ، والمثبت من المطبوع .

(٤) تذنيب : أي نسبة إلى ذنب .

(٥) في الأصل : «هذا معناه» ، والمثبت من المطبوع .

وقيل: أراد بـ «عبس» ، و«تولّى» ـ الكافر] الذي كان مع النبيِّ ﷺ؛ قاله أبو تمَّام.

وأمّا قصةُ آدمَ عليه السلام ، وقوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا ﴾ [طه: ١٢١] بعد قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]. وقوله: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] ، وتصريحه ـ تعالى ـ عليه بالمعصية بقوله [تعالى]: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] أي جهل.

وقيل أَخطأ؛ فإنَّ اللهَ تعالى [قد] أَخبر بعُذْرِه بقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥]؛ قال ابنُ زيد: نَسِيَ عداوةَ إبليس له ، وما عَهِدَ اللهُ إليه من ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ . . . ﴾ الآية [طه: ١١٧].

وقيلَ: نسي ذلك بما أظهر لهما إبليس من الشفقة ، والميل إليهما ، والنُّصْحِ لهما[١].

وقال ابن عباسٍ: إنَّما سُمِّيَ الإنسانُ إنساناً لأنه عُهِدَ إليه فنَسِيَ.

وقيل: لم يَقْصِد المخالفةَ استحلالاً لها ، ولكنهما اغترّا بِحَلِفِ إبليس لهما: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]؛ وتوهّما أَنَّ أحداً لا يحلفُ بالله حانثاً.

وقد رُوِيَ عُذْرُ آدَمَ عن ذلك[٢] بمثْلِ هذا في بَعْضِ الآثارِ.

وقال ابْنُ جُبَيْر: حلف باللهِ لهما حتى غَرَّهما؛ والمُؤْمِنُ يُخْدَعُ.

و[قد] قيل: نَسِيَ ، ولم يَنْوِ المخالَفة؛ فلذلك قال: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] أي قَصْداً للمخالفة.

وأكثَرُ المفسرين على أَنَّ العَزْمَ ـ ها هنا ـ الحَزْمُ[٣] والصَّبْرُ.

---

(١) قوله: «إبليس . . . والنصح لهما» ، لم يرد في المطبوع.

(٢) قوله: «عن ذلك» ، لم يرد في المطبوع.

(٣) الحزم: الأَخْذُ بما فيه سدادٌ بعد النظر التام فيه/ قاله . . . . =

وقيل: كان عند أَكْله سكرانَ؛ وهذا فيه ضَعْفٌ؛ لأن اللهَ - عز وجل - وصف خَمْر الجنّةِ أنها لا تُسْكر؛ فإذا كان ناسياً لم تكن معصية؛ وكذلك إن كان مُلَبَّساً عليه غالطاً؛ إذ الاتفاقُ على خروج الناسِي والسَّاهِي عن حُكم التكليف.

وقال [الشيخ] أبو بكر بن فُورَك وغيره: إنه يمكنُ أَنْ يكونَ ذلك قبل النبوَّةِ؛ ودليلُ ذلك قُوله تعالى (١٦٨/ب): ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] فذكر أَنَّ الاجتباءَ والهدايةَ كانا بعد العِصْيَانِ.

وقيل: بل أكلها متأَوِّلاً، وهو لا يَعْلَمُ أَنّها الشجرةُ التي نُهِيَ عنها؛ لأَنَّه تأَوّلَ نَهْيَ اللهِ عن شجرةٍ مخصوصةٍ لا على الجِنْس؛ ولهذا قيل: إنما كانت التوبةُ مِنْ تَرْك التحفُّظ، لا مِنَ المخالفة.

وقيل: تأَوَّلَ أَنَّ اللهَ لم يَنْهَهُ عنها نَهْيَ تَحْرِيم.

فإنْ قِيل: فعلى كُلِّ حالٍ فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؛ [وقال]: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾(١) [طه: ١٢٢].

١٦٣٤ - وقوله في حديث الشفاعة(٢) - ويذكرُ ذَنْبَه -: «وإني نُهيتُ عن أَكْلِ الشجرةِ فعصيتُ» فسيأتي الجوابُ عنه وعن أَشباهه(٣) مُجْملاً آخِرَ هذا الفَصْلِ إنْ شاءَ الله تعالى.

وأَمَّا قِصَّةُ يونس فقد مضىٰ الكلامُ على بعضها آنفاً؛ وليس في قصة يونس نَصٌّ على ذَنْبٍ؛ وإنما فيه: ﴿أَبَقَ﴾ [الصافات: ١٤٠] و﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد تكلمنا عليه.

وقيل: إنما نقِم اللهُ عليه خروجَه عن قومه فارًّا من نزول العذاب.

= الخفاجي. وفي المطبوع: «الجزم» وهو تصحيف.

(١) في الأصل: «ثم تاب عليه»، والمثبت من المطبوع.

(٢) تقدم حديث الشفاعة عن أبي هريرة برقم (٥٧٣، ٥٧٥)، وعن أنس برقم (٥٧٤).

(٣) في نسخة: «وأمثاله».

وقيل: بل لمّا وعدهم العذاب ثم عفا [الله] عنهم قال: واللهِ لا أَلقاهم بوجْه كذّابٍ أبداً.

وقيل: بل كانوا يقتُلون مَنْ كذَب فخاف ذَلِكَ.

وقيل: ضَعُفَ عن حَمْلِ أَعباءِ الرسالةِ. وقد تَقَدَّمَ[1] الكلامُ أنه لم يَكْذِبْهم.

وهذا كلُّه ليس فيه نصٌّ على معصية إلاّ على قولٍ مرغوب عنه.

وقوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠] قال المفسرون: تباعَدَ.

وأما قوله: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ فالظُّلْمُ وَضْعُ الشيء في غير موضعه؛ وهذا اعترافٌ منه عند بعضهم بذَنْبِه؛ فإمّا أَنْ يكونَ لخروجه عن قَوْمِه بغير إذْنِ ربّه، أو لضَعْفِه عمّا حُمِّلَه، أو لدعائه بالعذابِ على قَوْمِه، وقد دعا نوحٌ بهَلاَك قومه فلم يؤاخَذْ.

وقال الواسطي [في] معناه: نَزّه رَبَّه عن الظّلم، وأضافَ الظُّلْمَ إِلىٰ نفسه اعترافاً واستحقاقاً. وقيل: هذا مثل قَوْلِ آدم[2] (١٦٩/أ) وحَوّاء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ إذ كانا السبب في وَضْعهما غير الموضع الذي أُنْزِلا فيه؛ وإخْرَاجهما من الجنّةِ، وإنزالهما إلى الأرض.

١٦٣٥ ـ وأما قصةُ داود ـ عليه السلام ـ فلا يجبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إلى ما سَطَّرَهُ فيها الإخباريون عن أهل الكتاب الذينَ بَدَّلُوا وغَيَّروا؛ ونقلهُ بَعْضُ المفسرين. ولم ينصَّ اللهُ على شيء من ذلك، ولا وردَ في حديث صحيح. والذي نصَّ [اللهُ] عليه قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [صٓ: ٢٤، ٢٥].

وقولُه [فيه]: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ١٧].

---

(١) في المطبوع: «يقدم»، وهو تصحيف.

(٢) في المطبوع: «واستحقاقاً. ومثل هذا قول آدم...».

فمعنى ﴿فَتَنَّاهُ﴾ أي: اختبرناه. و﴿أَوَّابٌ﴾: قال قتادة: مُطِيع.

وهذا التفسير أَوْلى.

١٦٣٦، ١٦٣٧ ـ وقال ابن عباس، وابن مسعود: ما زاد داودُ على أنْ قال للرجل: انْزِلْ لي عن امرأتك وَأَكْفِلْنِيها؛ فعاتَبَهُ اللهُ على ذلك، ونبَّهه عليه، وأنكر عليه شُغْله بالدنيا، وهذا الذي[1] ينبغي أَنْ يعَوَّل عليه من أمره عليه السلام.

وقد قيل: خطبها على خِطْبته.

وقيل: بل أَحبَّ بقَلبه أَنْ يُسْتَشْهَدَ.

وحكى السمرقندي أَنَّ ذَنْبَه الذي استَغْفَر منه قولُه لأَحَدِ الْخَصْمَين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [صٓ: ٢٤]، فظلَّمَه[2] بقول خَصْمِه.

[وقيل: بل لِمَا خشِيَ عَلَى نَفْسه، وظَنَّ من الفِتْنَةِ بما بُسِطَ له من المُلْك والدُّنيا].

وإلى نَفْيِ ما أُضِيفَ في الأخبارِ إلى دَاود من ذلك، ذَهَبَ أحمدُ بن نصر، وأبو تمَّام[3]، وغيرهما من المحققين.

[و] قال الدَّاوُدِيُّ: ليس في قصةِ داود وأُوْرِيَا خَبَرٌ يَثْبُتُ؛ ولا يظنُّ بنبيِّ محبَّةُ قَتْلِ مُسْلِمٍ.

وقيل: إنَّ الخَصْمين اللذَيْن اختصما إليه رجلان في نِتَاج[4] غَنَمٍ، على ظَاهر الآية.

وأما قصةُ يوسف وإخوتِه فليس على يوسفَ منها[5] تعقُّب، وأَمَّا إخوتُه فلم

---

(١) في نسخة: «وهذا التفسير الذي».

(٢) فَظَلَّمَهُ: نسبه للظلم.

(٣) أبو تمام: هو محمد الأبهري من علماء المالكية. تقدمت ترجمته.

(٤) في المطبوع: «في نعاج».

(٥) (منها): أي من جهتهم، وفي المطبوع: «فيها».

تَثْبُتْ نبوَّتُهم فَيَلْزَمَ الكلامُ على أفعالهم. وذِكْرُ الأَسباطِ وعَدُّهم في القرآنِ عند ذِكْرِ الأنبياء [ليس صريحاً في كونهم من أهل الأنبياء].

قال المفسرون: يريدُ مَنْ نُبِّيءَ مِنْ أَبْناءِ الأَسباط.

وقد قيل: إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه[1] صِغَارَ الأسنان؛ ولهذا لم يميِّزوا يوسفَ حين اجتمعوا به؛ ولهذا قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ﴾[2] [يوسف: ١٢] وإنْ ثَبَتَتْ لهم نبوَّةٌ فبَعْد هذا، والله أعلم.

وَأما قولُ الله تعالى فيه (١٦٩/ب): ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

١٦٣٨ ـ فعلى مَذهب[3] كثيرٍ من الفقهاء والمُحَدِّثين أَنَّ هَمَّ النَّفْسِ لا يُؤاخَذُ به العبد[4]، وليس سيِّئةً لقوله ـ عليه السلام ـ عن ربّه: «**إذا هَمَّ عبدي بسيِّئة فلم يعمَلْها كُتِبَتْ له حسنة**»[5]، فلا معصيَةَ حينئذٍ ليوسف[6] في هَمّه إذاً.

وأما على مذهب المحقّقين من الفقهاء والمتكلّمين فإنَّ الهَمَّ ـ إذا وُطِّنت عليه النفسُ ـ سيئةٌ. وأما ما لم تُوَطَّن عليه النفسُ من همومها وخَوَاطرها فهو المعفوُّ عنه.

وهذا هو الحقُّ؛ فيكون ـ إنْ شاء الله ـ هَمُّ يوسف من هذا؛ ويكون قوله: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) في الأصل زيادة: «كانوا»، وهي لم ترد في المطبوع.

(٢) هذه قراءة أبي عمرو، وابن عامر (المبسوط في القراءات العشر ص: ٢٤٥). (نرتع): نتَّسع في أكل ما لذَّ وطابَ.

(٣) في المطبوع: «الطريق».

(٤) كلمة «العبد»، لم ترد في المطبوع.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١) من حديث ابن عباس، وأخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة. (همّ) بالأمر: عزم على القيام به ولم يفعله/ المعجم الوسيط.

(٦) قوله: «حينئذ ليوسف»، لم يردْ في المطبوع.

أي(١) ما أبرِّئها من هذا الهَمِّ؛ أو يكون ذلك منه على طريق التواضُعِ والاعتراف بمخالفة النفس لمَا زُكِّيَ قَبْلُ وبُرِّىء ، فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عُبيدة ، أَنَّ يوسف لَمْ يهُمَّ ، وأن الكلامَ فيه تقديمٌ وتأخير؛ أي: ولقد همَّتْ به؛ ولولا أن رأى برهانَ ربّه لهَمَّ بها؛ وقد قال اللهُ تبارك وتعالى ـ عن المرأة ـ: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال [تعالى]: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ . . . ﴾ الآيات [يوسف: ٢٣].

قيل في ﴿ربي﴾: الله [تعالى]، وقيل: المَلِك.

وقيل: ﴿هَمَّ [بها]﴾ أي: بزَجْرها وَوَعْظِها.

وقيل: ﴿هَمَّ بها﴾ أي: غَمَّها امتناعُه عنها.

وقيل: ﴿هَمّ بها﴾: نظر إليها.

وقيل: هَمّ بضَرْبها ودَفْعِها.

وقيل: هذا كلُّه كان قَبْلَ نبوَّته عليه السلام.

وقد ذَكَرَ بعضُهم: ما زال النساءُ يَمِلْن إلى يوسفَ مَيْلَ شَهْوةٍ حتى نبَّأَهُ الله ، فألْقَى عليه هيبَ النبوّةِ؛ فشغَلَتْ هيبتُه كلَّ مَنْ رآه عن(٢) حُسْنِه.

وأَمَّا خَبَرُ موسى ـ عليه السلام ـ مع قتِيلِه الذي وَكزَهُ(٣) فقد نصَّ الله تعالى أنه مِنْ عَدُوِّه ، وقال(٤): كان مِن القِبْطِ الذين على دِين فِرْعَون.

ودليلُ السّورةِ في هذا كلِّه أنه قَبْلَ نُبُوَّةِ موسى عليه السلام.

---

(١) في الأصل: «إني» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في الأصل: «من» ، والمثبت من المطبوع.

(٣) وكزه: ضربه في صدره بِجُمْعِ كفه (كلمات القرآن لمخلوف).

(٤) وقال: أراد، وفي نسخة: «وقيل».

وقال قتادة: وَكزَه بالعصا، ولم يتعمّدْ قَتْلَه، فعلى هذا (١٧٠/أ) لا معصيةَ في ذلك.

وقولُه: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ..﴾ [القصص: ١٥]. وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦] قال ابن جُرَيْجٍ: قال ذلك من أَجْل أنه لا ينبغي لنبيٍّ أَنْ يَقْتُلَ حتى يُؤْمَر.

وقال النقّاش: لم يَقْتُلْه عن عَمْدٍ مُريداً للقَتْل، وإنما وَكَزَهُ وَكْزَةً يريدُ بها دَفْعَ ظُلْمه، قال: و[قد] قيل: إنَّ هذا كان قَبْلَ النبوة، وهو مُقْتَضى التِّلاَوة.

وقولُه تعالى ـ في قصَّته: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، أي ابتليناكَ ابتلاءً بعد ابتلاءٍ. قيل: في هذه القصة وما جَرَى له مع فرعون. وقيل: إلقاؤه في التابوت واليمّ، وغير ذلك.

وقيل: معناهُ أَخْلَصْنَاكَ إخلاصاً؛ قاله ابنُ جبَيْر ومجاهد؛ مِنْ قولهم: فتنْتُ الفِضَّةَ في النار، إذا خَلَّصْتَها. وأَصْلُ الفتنةِ معنًى: الاختبارُ، وإظهارُ ما بَطَن، إلا أنه استُعْمل في عُرْف الشرع في اختبارٍ أدَّى إلى ما يُكْرَه.

١٦٣٩ ـ وكذلك ما رُوي في الخبر الصحيح؛ من أَنَّ ملك الموتِ جاءه فلطم عينَه ففقأها... الحديث[١].

ليس فيه ما يُحْكَمُ [به] على موسى ـ عليه السلام ـ بالتعدِّي وفِعْلِ ما لا يجِبُ له، إذ هو ظاهِرُ الأَمْرِ، بيِّنُ الوَجْهِ، جائز الفِعْل، لأَنَّ موسى دَافَعَ عن نفسه مَنْ آتاهُ لإتْلاَفها، وقد تُصُوِّر له في صورةِ آدَمِيّ، فلا يمكنُ أنه علم حينئذٍ أنه ملك الموت، فدافعه عن نَفْسه مدافعةً أَدَّت إلى ذهاب عَيْنِ تلك الصورة التي تَصَوَّرَ له فيها ملَك الموت امتحاناً[٢] مِنَ اللهِ ـ عز وجل ـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٩)، ومسلم (٢٣٧٢/ ١٥٨) من حديث أبي هريرة. (فلطم): ضرب. (عينه) أي عين ملك الموت. (ففقأها): شقَّها فخرج ما فيها.

(٢) في المطبوع: تصور له فيها الملك امتحاناً.

لموسىٰ [١]، فلما جاءه بَعْدُ ، وأَعلمه اللهُ ـ عزّ وجل ـ أنه رسولُهُ إليه استَسْلَم.

وللمتقدمين والمتأخّرين على هذا الحديثُ أَجوبةٌ هذا أَسَدُّها[٢] عندي ، وهو تأويلُ شيخنا الإمام أبي عبد الله المَازَري[٣].

وقد تأوّله ـ قديماً ـ ابنُ عائشة[٤] ، وغَيْرُه على صَكِّهِ ولَطْمِهِ بالحجَّة ، وفَقْءِ عَيْنِ حجَّته ، وهو كلامٌ مستعملُ في هذا الباب؛ معروف في اللغة.

وأمّا قصةُ سليمانَ وما حكى فيها أَهْلُ التفاسير من ذَنْبِه وقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [صَ : ٣٤]؛ فمعناه ابتَلَيْناه[٥] : أي اختبرناه[٦].

١٦٤٠ ـ وابتلاؤه : ما حُكِي عن النبيِّ ﷺ أنه قال : **«لأَطُوفَنَّ الليلةَ على مئة امرأَةٍ ـ أو تسعٍ وتسعين ـ كلُّهن** (١٧٠/ب) **يأْتين بفارِسٍ ، يجاهِدُ في سبيل الله . فقال له صَاحِبُهُ : قل : إن شاء الله ، فلم يقُلْ . فلم تحمِلْ منهنَّ إلا امرأة واحدة ، جاءت بشِقّ رجل»**.

قال النبي ﷺ : **«والذي نَفْسي بيده! لو قال : إنْ شاء الله ، لجاهَدُوا في سبيل الله»**[٧].

قال أصحابُ المعاني : والشِّقُّ : هوالجسَدُ الذي أُلْقِيَ على كُرْسِيِّه حين عُرِضَ عليه ، وهو[٨] عقوبتُه ومِحْنَتَه.

---

(١) قوله : «عز وجل لموسىٰ» ، لم يرد في المطبوع.

(٢) أسدُّها : أَصْوَبُها.

(٣) هو محمد بن علي المالكي . الإمام العلامة البحر المتفنِّنُ . مصنف كتاب «المُعْلِمْ بفوائد شرح مسلم» وغيره من التواليف النافعة . مولده بمدينة المهديّة من إفريقية ، وبها مات سنة (٥٣٦) هـ وله (٨٣) سنة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤ ـ ١٠٧ .

(٤) هو عبيد الله بن محمد التيمي . ثقة جواد ، قيل له : ابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي ، نسبة إلى عائشة بنت طلحة ، لأنه من ذريتها . مات سنة (٢٢٨)هـ (التقريب).

(٥) في المطبوع : «ابتلينا».

(٦) قوله : «أي اختبرناه»، لم يرد في المطبوع.

(٧) تقدم برقم (١٥٠).

(٨) في المطبوع : «وهي».

وقيل: بل مات فأُلقِيَ على كرسيِّه ميّتاً.

وقيل: ذَنْبُه: حِرْصُه على ذلك وتمنِّيه.

وقيل: لأنه لم يَسْتَثْنِ لِمَا استَغْرَقَهُ من الحِرْصِ، وغلب عليه من التَّمَنِّي.

وقيل: عقوبتُه أَنْ سُلِبَ مُلكُه، وذَنْبُه: أَنْ أَحبَّ بقلبه أَن يكونَ الحقُّ لأَختانِه[1] على خَصمهم.

وقيل: أُوخِذَ[2] بذَنْبٍ قارَفَه[3] بعضُ نسائه. ولا يصحّ ما نقله الإخباريّون من خرافاتهم[4]: مِنْ تَشَبُّهِ الشيطانِ به، وتسلُّطه على مُلكه، وتصرّفِه في أُمته بالجَوْرِ في حُكمه؛ لأنَّ الشياطين لا يُسَلَّطون على مثْلِ هذا؛ وقد عُصِمَ الأنبياءُ مِنْ مِثْله.

وإنْ سُئل: لِمَ لَمْ يَقُلْ سليمانُ في القصةِ المذكورة: إنْ شاءَ اللهُ؟ فعَنْهُ أجوبةٌ:

١٦٤١ ـ **أحدها**: ما رُوِيَ في الحديث الصحيح أَنه نَسِيَ أَن يقولَها[5]، وذلك لِيَنْفُذَ مرادُ اللهِ تعالى.

والثاني: أنه لم يسمَعْ صاحِبَه وشُغِلَ عنه.

وقوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [صَ: ٣٥]. لم يَفْعَلْ هذا

---

(١) الأختانُ: الأقرباء من قِبَلِ المرأة.

(٢) في الأصل: «وُوخِذَ»، والمثبت من المطبوع. (وأُوخِذَ): عُوقب. وفي مختار الصحاح: آخذه بذنبه، مؤاخذة، والعامة تقول: واخذه.

(٣) قارفه: ارتكبه.

(٤) قوله: «من خرافاتهم»: لم يردْ في المطبوع، وأثبته الناسخ على هامش الأصل. قال السيوطي في المناهل (١٢٤٤): «قال المصنف: هو من خرافات الإخباريين. أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفاً، لكنه مما أخذه عن الإسرائيليّات...».

(٥) أخرجه مسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً. وأخرجه البخاري (٥٢٤٢) من قول أبي هريرة.

سليمان ـ عليه السلام ـ غَيْـرَةً على الدنيا ولا نفاسة بها[1]؛ ولكن مَقْصِده في ذلك ـ على ما ذكره المفسرون ـ ألا يسلَّطَ عليه أَحَدٌ كما سُلِّط عليه الشيطان الذي سلبه إِيّاه مُدّةَ امتحانِه على قَوْلِ مَنْ قال ذلك.

وقيل: بل أَراد أن يكونَ له من اللهِ فَضِيلةٌ، وخاصةٌ يختصّ بها كاختصاص غيرِه من أنبياءِ اللهِ ورسله بخواصّ منه.

وقيل: ليكونَ ذلك دليلاً وحجّةً على نبوّته؛ كإِلانَةِ الحديدِ لأَبيه داود عليه السلام[2]، وإحياءِ الموتى لعيسى، واختصاصِ محمد ﷺ بالشفاعة، ونحو هذا.

وأما قصةُ نوحٍ ـ عليه السلام ـ فظاهرةُ العُذْرِ، وأنه أخذ (١٧١/أ) فيها بالتأويلِ وظاهِرِ اللَّفظ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود: ٤٠]؛ فطلب مُقْتضى هذا اللفظ، وأراد عِلْمَ ما طُوِيَ عنه[3] مِنْ ذلك؛ لا أنه شَك في وَعْدِ اللهِ [تعالى] فَبَيَّنَ اللهُ عليه أنه ليس مِن أَهْلِه الذين وَعَدَه بنجاتهم لكُفْرِه، وعَمَلِهِ الذي هو غَيْرُ صالح؛ وقد أعلمه أنه مُغْرِق الذين ظلموا، ونهاهُ عن مخاطبته فيهم؛ فَأُوخِذَ بهذا التأويل، وعُتِبَ عليه، وأَشْفَقَ هو من إقدامِه على ربه لسؤالِه ما لم يؤذَن له في السؤال فيه؛ وكان نوحٌ ـ فيما حكاهُ النقاش[4] ـ لا يَعْلَمُ بكُفْرِ ابْنِه.

وقيل في الآية غَيْرُ هذا؛ وكلُّ هذا لا يَقْضِي على نُوحٍ بمعصيةٍ سِوَى ما ذكرناه من تَأْوِيله وإقدامِه بالسؤال فيما لم يُؤْذَنْ له فيه، ولا نُهِيَ عنه.

١٦٤٢ ـ وما رُوي في الصحيح: مِنْ أَنَّ نَبِيًّا قرصَتْه نَمْلَةٌ فحرَّقَ قَرْيَةَ النملِ،

---

(١) في الأصل: «لها»، والمثبت من المطبوع. (نفاسَةً بها): ضَنًّا بها.

(٢) قوله: «داود عليه السلام»، لم يرد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «عليه».

(٤) في الأصل: «نقاش»، والمثبت من المطبوع.

فأَوحى اللهُ إليه: أَنْ قرصَتْكَ نملةٌ أَحرقْت[1] أُمةً من الأُمَمِ تسبِّح[2]؟!. فليس في هذا الحديث أنَّ هذا الذي أَتَى معصية؛ بل فعل ما رآه مصلحةً وصواباً بقَتْلِ مَنْ يُؤذي جِنْسَهُ، ويمنَعُ المنفعةَ بما[3] أَباحَ الله.

ألاَ تَرَى أَنَّ هذا النبيَّ كان نازِلاً تَحْتَ الشجرةِ، فلما آذتْهُ النملةُ تحوّل بِرَحْلِه[4] عنها مخافةَ تكرار الأذى عليه؟ وليس فيما أَوحَى اللهُ ـ عز وجل ـ إليه ما يوجِبُ عليه[5] معصيةً؛ بل نَدَبَهُ إلى احتمال الصَّبْر وتَرْك التَّشفي؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]؛ إذ ظاهِرُ فِعْلِه إنما كان لأَجْل أنها آذَتْهُ هو في خاصَّته؛ فكان انتقاماً لنفسه، وقَطْعَ مضَرّةٍ يتوقَّعُها مِنْ بقيّةِ النملِ هناكَ؛ ولم يأتِ[6] في كلِّ هذا أمراً نُهيَ عنه، فيُعَصَّى[7] به، ولا نَصَّ فيما أَوْحَى اللهُ إليه بذلك، ولا بالتوبةِ ولا بالاستغفار[8] منه. والله أعلم.

١٦٤٣ ـ فإنْ قيل: فما معنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام: «ما مِنْ أحَدٍ إلاَّ أَلَمَّ بذَنْبٍ أو كاد إلا يحيى بن زكريا»[9] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في الأصل زيادة: «عِوَضها»، وهي ليست في المطبوع، ولا في مصادر التخريج.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٩)، ومسلم (٢٢٤١) من حديث أبي هريرة.

(٣) في المطبوع: «مِمَّا».

(٤) برحله: أي بمتاعه، وفي المطبوع: «برجله» وهو تصحيف.

(٥) كلمة: «عليه»، لم ترد في المطبوع.

(٦) لم يأت: لم يفعل.

(٧) يُعَصَّىٰ: ينسب للمعصية.

(٨) في المطبوع: «ولا بالتوبة والاستغفار».

(٩) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٤، ٢٩٢، والبزار (٢٣٥٩) كشف الأستار، وأبو يعلى (٢٥٤٤) من حديث ابن عباس. وزاد نسبته الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٩ إلى الطبراني، وقال: «وفيه علي بن زيد، وضعفه الجمهور، وقد وثق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح». وأخرجه البزار ـ بمعناه ـ من حديث عبد الله بن عمرو. قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٠٩): «ورجاله ثقات». (أَلَمَّ بذنبٍ): قاربه.

فالجوابُ عنه: كما تقدم من ذنوب الأنبياء التي وقعت عن غير قَصْدٍ وعَنْ سَهْوٍ وغَفْلَةٍ.

فصل

[فِي مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، وَمَا تَكَرَّرَ فِي القُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنِ اعْتِرَافِ الأَنْبِيَاءِ بِذُنُوبِهِمْ][1]

فإنْ قلْتَ: فإذا نفيتَ عنهم ـ صلوات الله عليهم ـ الذنوبَ والمعاصي بما ذكرتَه من اختلافِ المفسرين وَتأويل المحقِّقين، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وما تكرّرَ في القرآنِ والحديث الصحيح (١٧١/ب) من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكُائهم على ما سَلَفَ منهم، وإشْفاقِهم، وهل يُشفقُ[2] ويُتَابُ ويُسْتَغْفَرُ إلاّ من شيء عظيم[3]؟

فاعَلْمَ ـ وفَّقَنا الله وإيَّاكَ ـ أَنَّ دَرجةَ الأَنبياءِ في الرِّفْعَة، والعلوّ، والمعرفة بالله، وسنَّتِهِ في عباده، وعِظَم سلطانِه، وقُوَّةِ بَطْشِه، فيما[4] يحملُهم على الخوف منه جلَّ جَلاَلُه، والإشفاقِ من المؤاخذةِ بما لا يؤاخَذُ به غَيْرُهم، وأنهم ـ في تصرُّفهم بأمورٍ لم يُنْهَوْا عنها، ولا أُمِرُوا بها؛ ثم أُوخِذوا عليها، وعوتِبُوا بسببها، أو حُذِّروا مِنَ المؤاخذةِ بها، وأَتَوْها[5] على وَجْهِ التَّأْويل، أو السَّهْوِ، أو تَزَيُّدٍ مِنْ أُمُورِ الدنيا المباحة ـ خائفون وَجِلُون، وهي ذُنوبٌ بالإضافةِ إلى عَلِيِّ مَنْصبهم، ومَعَاصٍ بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنّها

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.
(٢) يُشفق: يُخافُ.
(٣) في المطبوع: «... ويستغفر من لا شيء؟».
(٤) في المطبوع: «مما».
(٥) في الأصل: «أو أتوها»، والمثبت من المطبوع.

كذنوب غيرهم ومَعَاصِيهم؛ فإن الذنْبَ مأخوذ من الشيء الدَّنيّ الرّذْل(١) ، ومنه ذَنَبُ كل شيء ، [أي]: آخره. وأَذنابُ الناسِ: رُذَالُهم(٢) ، فكأَنَّ هذه أدْنى أفعالِهم ، وأسوأ ما يَجْرِي من أحوالهم لتطهيرهم ، وتنزيههم ، وعمارةِ بواطِنهم وظواهرهم بالعمل الصالح ، والكلِمِ الطيب ، والذِّكْر الظاهر والخفيّ ، والخشية لله تعالى ، وإعظامه في السرِّ والعَلاَنِية ، وغَيْرُهم يتلوّثُ من الكبائر ، والقبائح ، والفواحش ما تكون بالإضافة إليه هذه الهَنَاتُ(٣) في حقّه كالحسنات ، كما قيل: حسناتُ الأَبْرار سيئاتُ المُقَرَّبين ، أي يَرَوْنها بالإضافةِ إلى عليّ أحوالِهم كالسيئات.

وكذلك العِصْيَانُ: التركُ والمخالفة؛ فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت مِنْ سَهْوٍ أو تأويل فهي مخالفةٌ وتَرْك.

وقوله [تعالىٰ]: «غَوَى» أي: جَهِلَ أَنَّ تِلْكَ الشجرةَ هي التي نُهِيَ عنها؛ والغَيُّ: الْجَهْل.

وقيل: أخطأ ما طَلبَ من الخلودِ ، إذ أَكلها ، وخابت أُمْنِيَّتُهُ.

وهذا يوسفُ ـ عليه السلام ـ قد أُوخِذ بقوله لأَحد صاحِبَي السّجْنِ: ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

قيل(٤): أُنْسِيَ يوسفُ ذِكْرَ اللهِ (١٧٢/أ).

وقيل: أُنْسِيَ صاحبُه أَن يذكُرَه لسيِّدِه الملك.

١٦٤٤ ـ قال النبي ﷺ: «لولا كلمةُ يوسف ـ عليه السلام ـ ما لَبِثَ في السِّجْنِ ما لَبِثَ»(٥).

---

(١) الرَّذْلُ: الدونُ الخسيس ، أو الرديء من كل شيء/ المعجم الوسيط.

(٢) رُذَال: جمع رذْلٍ ، وهو الدون الخسيس ، المذموم الرديء.

(٣) الهَنَاتُ: جمع هنة ، وهي خصلة الشَّرِّ.

(٤) في الأصل زيادة: «إنه» ، والمثبت من المطبوع

(٥) أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس. قال الهيثمي في المجمع ٧/ ٤٠: «فيه إبراهيم بن =

قال مالك[1] بن دينار: لمّا قال ذلك يوسفُ قيل له: اتّخذتَ مِنْ دوني وَكِيلاً؟! لأُطِيلَنَّ حَبْسك. فقال: يَا رَبّ! أَنسىٰ قَلْبي كثرةُ البَلْوَى.

وقال بعضُهم: يؤاخَذُ الأنبياء بمَثَاقيل الذَّرِّ، لمكانَتِهم عنده، ويجاوزُ عن سائر الْخَلْقِ لقلة مُبَالاته بهم في أضعافِ ما أَتَوْا به من سُوءِ الأدب.

وقد قال المحتجُ للفرقة الأولى على سِيَاق ما قُلْنَاه: إذا كان الأنبياءُ يؤاخَذُون بهذا مِمَّا لا يُؤَاخَذُ به غيرُهم من السَّهْوِ والنِّسْيَان، وما ذكرتُه، وحالُهم أَرْفَعُ فحالُهم إذاً في هذا أَسوأ حالاً مِنْ غيرهم.

فاعلم ـ أكرمَك اللهُ ـ أَنَّا لا نُثْبتُ لك المؤاخذة في هذا على حَدِّ مُؤَاخذةِ غيرهم؛ بل نقول: إنهم يؤاخَذُون بذلك في الدنيا، ليكون ذلك زيادةً في دَرَجاتِهم؛ ويُبْتلون بذلك، ليكون استشعارهم له سبباً لِمَنْمَاةِ رُتَبِهم، كما قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

وقال لداود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [صٓ: ٢٥].

وقال بعد قولِ موسى: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٤] وقال بعد ذكْرِ فتْنَةِ سليمان وإنابتِه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [صٓ: ٣٦ ـ ٤٠].

[و] قال بعضُ المتكلمين: زَلاّتُ الأنبياء في الظاهر زَلاّتٌ، وفي الحقيقة زُلَفٌ وكراماتٌ، وأشار إلى نحو ما قدَّمناهُ.

وأيضاً فَلِيُنَبَّهَ غَيْرَهُمْ مِنَ البشَر منهم، أو ممَّنْ ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك، فيستَشْعِرُوا الحذَر؛ ويعتقدوا المحاسبةَ لِيَلْتَزِمُوا الشكْرَ على النِّعَمِ،

= يزيد القرشي المكي، وهو متروك». ونسبه السيوطي في المناهل (١٢٤٧) إلى ابن مردويه من حديث أبي هريرة، وأبي الشيخ من مرسل الحسن وعكرمة.

(١) كلمة: «مالك»، لم ترد في المطبوع.

ويُعِدُّوا الصَّبْر على المِحَنِ بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب[1] الرَّفيعِ المعصوم؛ فكيف بمَنْ سِوَاهم؟! ولهذا قال صالحٌ المُرِّي[2]: ذِكْرُ داود بَسْطةٌ للتوّابين[3].

قال ابن عطاء: لم يكن ما نَصَّ اللهُ [تعالى] عليه من قصة صاحبِ الحُوتِ[4] نَقْصاً له، ولكن استزادةً مِنْ نبيّنا عليه السلام.

وأيضاً فيقال لهم: (١٧٢/ب): فإنكم، ومَنْ وافقكم، تقولون بغفْرانِ الصغائر باجْتناب الكبائر.

ولا خِلاَفَ في عِصمةِ الأنبياء من الكبائر، فما جَوّزْتُم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا، فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوفِ الأنبياءِ وتَوْبَتهم منها، وهي مغفورةٌ لهم لو كانت؟!

فما أَجابوا به فهو جوابُنَا عن المؤاخذةِ بأفعال السَّهْوِ والتأويل.

وقد قيل: إنَّ كثرةَ استغفارِ النبيِّ ﷺ وتَوْبَته وغيره من الأنبياء على وَجْه ملازمةِ الخضوعِ وَالعبُودِيّة، والاعتراف بالتقصيرِ، شُكراً لله عَلَى نِعَمه.

١٦٤٥ ـ كما قال ـ عليه السلام ـ وقد أَمِنَ من المُؤَاخذة مما تقدَّم وتأَخَّر: «**أفلاَ أكونُ عبداً شكوراً؟**»[5].

١٦٤٦ ـ وقال: «**إني أخشاكم للهِ، وأَعْلَمُكم بما أَتَّقِي**»[6].

---

(١) النصاب: المقام.

(٢) هو أبو بشر: صالح بن بشير المُرِّي، كان واعظاً زاهداً خاشعاً. توفي سنة (١٧٢)هـ. وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦ ـ ٤٨.

(٣) بسطة للتوابين: أي سَعَةٌ لهم.

(٤) صاحب الحوت: هو يونس عليه السلام. وفي المطبوع: «قضية» بدل «قصة».

(٥) تقدم برقم (٣٣١، ٦٣٨، ١٥٤٠).

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «إني أخشاكم لله، وأتقاكم له».

قال الحارثُ بن أسَد المحاسِبي[1]. خوف الملائكة والأنبياءِ خوفُ إعظام وتعبُّد للهِ؛ لأنهم آمنون.

وقيل: فعلوا ذلك ليُقْتَدَى بهم، وتستَنَّ بهم أُمَمُهم.

١٦٤٧ ـ كما قال عليه السلام: «**لو تعلمون ما أَعْلَمُ لضحكتم قليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كثيراً**»[2].

وأيضاً فإنَّ في التوبة والاستغفار معنًى آخَرَ لطيفاً أَشار إليه بعضُ العلماء، وهو استدعاءُ محبَّةِ اللهِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فإحداثُ الرسل والأنبياء الاستغفارَ والأوبةَ والتوبةَ والإنابةَ في كُلِّ حِين استدعاءٌ لمحبَّةِ اللهِ عز وجل. والاستغفارُ فيه أيضاً[3] معنى التَّوْبة، وقد قال [اللهُ] تعالى لنبِيِّه ـ بعد أَنْ غَفَر له ما تقدّم من ذَنْبِه وما تأخَّر: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧].

وقال [تعالى]: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

فصل

[فِيْ فَوائِدِ القَوْلِ بِعِصْمَةِ الأَنْبِيَاءِ][4]

قد استَبانَ لك أيُّها الناظِرُ! بما قرَّرْنَاه، ما هو الحقُّ مِنْ عِصمته ـ عليه السلام ـ عن الجهل بالله، وصِفَاته، أو كونِه على حالةٍ تُنَافِي العِلْمَ (١٧٣/أ)

---

(١) زاهد، عارف، شيخ الصوفية. مات سنة (٢٤٣)هـ. من كتبه «رسالة المسترشدين» طبعت بتحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠ ـ ١١٢. وكلمة: «المحاسبي»، لم ترد في المطبوع.

(٢) تقدم برقم (٣٢٨، ٣٢٩).

(٣) كلمة: «أيضاً»، لم ترد في المطبوع.

(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

بِشَيءٍ من ذلك كلّه جملة ، بعد النبوّة عَقْلاً وإجماعاً ، وقَبْلها سَمْعاً ونَقْلاً ، ولا بشيءٍ ممَّا قَرَّرَهُ مِنْ أُمور الشَّرْع ، وأدَّاه عَنْ ربِّه من الوحْي قطعاً عَقْلاً وشَرْعاً ، وعِصْمَتِهِ عن الكذب وخُلْفِ القَوْل ـ منْذُ نبَّأهُ اللهُ وأرسله ـ قَصْداً أو غَيْرَ قَصْدٍ ، واستحالةُ ذلك عليه شَرْعاً وإجماعاً ، ونَظراً وبرهاناً ، وتنزيههِ عنه قَبْلَ النبوةِ قَطْعاً؛ وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً ، وعن الصغائر تحقيقاً ، وعن استدامةِ السَّهْوِ والغَفْلةِ ، واستمرارِ الغَلَطِ والنِّسيانِ عليه فيما شرعَهُ للأُمَّةِ ، وعصمتِه في كل حالاته؛ مِنْ رضاً وغَضب ، وجِدٍّ ومَزْح؛ فيجب عليكَ أن تتلقَّاهُ باليمين[(١)] ، وتشدّ عليه يَدَ الضَّنِين[(٢)] ، وتَقْدِر[(٣)] هذه الفصولَ حقَّ قَدْرِها ، وتَعْلَمَ عظيمَ فائدتِها وخَطَرِها. فإنَّ مَنْ يجهل ما يجبُ للنبي ﷺ ، أو يجوز [له] ، أو يستحيل عليه ، ولا يعرفُ صُوَرَ أحكامِه ، لا يأمَنُ أن يعتقِدَ في بعضِها خِلاَفَ ما هي عليه ، ولا يُنزِّهُه عمّا لا يجب أَنْ يُضَافَ إليه ، فيَهْلك مِنْ حيثُ لا يَدْري ، ويسقُطَ في هُوَّةِ[(٤)] الدَّرْكِ الأَسفل من النار؛ إذْ ظَنُّ الباطِل به؛ واعتقادُهُ ما لايجوزُ عليه ـ ﷺ ـ يَحُلُّ بصاحبه دارَ البَوَار.

١٦٤٨ ـ ولهذا ما احْتَاط النبي ـ عليه السلام ـ على الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْن رأيَاهُ ليلاً ، وهو معْتَكِفٌ في المسجد مع صَفِيَّةَ ، فقال لهما: «**إنها صَفِيَّةُ**». ثم قال لهما: «**إنَّ الشيطانَ يَجْري من ابْنِ آدمَ مَجْرى الدم؛ وإني خشيت أَنْ يَقْذِفَ في قلوبِكما شيئاً فتَهْلِكا**»[(٥)].

هذه ـ أكرمكَ اللهُ ـ إحدى فوائدِ ما تكلَّمنَا عليه من[(٦)] هذه الفصول؛ ولعلّ جاهلاً لا يعلمُ بِجَهْلِه إذا سمِعَ شيئاً منها يَرَى أَنَّ الكلامَ فيها جُمْلَةٌ من فضُول

---

(١) أي بالقبول.

(٢) الضنين: البخيل ، وزناً ومعنًى.

(٣) تَقْدِرَ: قَدَرَ فلاناً: عَظَّمه.

(٤) الهُوَّةُ: الحفرة البعيدة القعر.

(٥) أخرجه البخاري (٢٠٣٥) ، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صفية. (صفية): هي أم المؤمنين ، بنت حُيَيِّ بن أخطب.

(٦) في المطبوع: «في».

العلم ، وأنّ السكوت أولى . وقد استبان لكَ أنه متعيِّنٌ للفائدة التي ذكرناها .

وفائدة ثانيةٌ يُضْطرُ إليها (١٧٣/ب) في أصولِ الفِقْه ، ويبنىٰ عليها مسائلُ لا تنعدُّ من الفِقْه ، ويُتخلَّص بها مِنْ تَشْغيب مُخْتلفي الفقهاء في عدّةٍ منها؛ وهي: الحكمُ في أقوالِ النبيّ ﷺ وأفعالِه؛ وهو بابٌ عظيم ، وأصْلٌ كبير من أُصولِ الفِقْه؛ ولا بُدّ من بنائه على صِدْقِ النبي ﷺ في إخباره وبلاغه؛ وأنه لا يجوز عليه السَّهْوُ فيه ، وعِصمتُه من الكبائر[١] والمخالفةِ في أفعالِه عَمْداً؛ [و] بحسبِ اختلافهم في وُقوعِ الصَّغَائر ، وَقَع خلافٌ في امتثال الفِعْلِ ، بَسْطُ بيانِه في كتُب ذلك العلم؛ فلا نطَوِّل به .

وفائدةٌ ثالثة: يحتاجُ إليها الحاكم والمُفْتي فيمن أضاف إلى النبيّ ﷺ شيئاً مِنْ هذه الأمور ، ووصفَه بها؛ فمَنْ لم يَعْرفْ ما يجوزُ عليه وما يمتَنِعُ ، وما وقع الإجماعُ فيه والخلاف ، كيف يصمِّم[٢] في الفُتْيا في ذلك؛ ومِنْ أين يَدْرِي؟ هل ما قاله فيه نَقْصٌ أو مَدْحٌ؟ فإمَّا أَنْ يَجْتَرِىءَ على سَفْكِ دَمِ مُسْلمٍ حَرَامٍ ، أو يُسْقِطَ حقّاً ، أو يُضيِّع حرمةً للنبي عليه السلام .

ولسبيل هذا ما قد اختلف فيه[٣] أَربابُ الأصولِ ، وأئمةُ العلماءِ ، والمحقِّقين في عصمة الملائكة .

فصل

فِيّ القَوْلِ فِيْ عِصْمَةِ المَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ

أجمع المسلمونَ على أَنّ الملائكة مؤمنون فُضَلاء؛ واتّفق أَئمةُ المسلمين أَنَّ حُكْمَ المرسلين منهم حُكْمُ النبيين سواء في العِصْمَةِ كما[٤] ذكَرْنا عِصْمَتهم

(١) قوله: «الكبائر و» ، لم يرد في المطبوع .
(٢) يُصَمِّمُ: يعزم ، ويجزم .
(٣) كلمة: «فيه» ، لم ترد في المطبوع .
(٤) في المطبوع: «مِمَّا» .

[منه]، وأنهم في درجات الأنبياء، وحقوقهم، والتبليغُ إليهم للأنبياء كالأنبياء[1] مع الأمم.

واختلفوا في غير المُرْسَلين منهم؛ فذهبَتْ طائفةٌ إلى عِصْمَةِ جميعِهم عن المعاصي؛ واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وبقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦].

وبقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

[وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩]﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وبقوله: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦] و﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] ونحوه من الآيات[2].

وذهبَتْ (١٧٥/أ) طائفةٌ إلى أَنَّ هذا خصوصٌ للمُرْسَلين منهم والمُقَرَّبين. واحتجُّوا بأشياءَ ذكرها أهلُ الأخبارِ والتفاسير، نحنُ نذكرُها ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ بَعْدُ؛ ونُبيِّنُ الوَجْهَ فيها [إن شاء الله] والصوابُ: عِصْمَةُ جميعهم، وتَنْزيهُ جَنَابِهم[3] الرفيع عن جميع ما يحطُّ من رُتْبتهم ومنزلتهم عن جليل مِقْدَارِهم.

ورأيتُ بعضَ شيوخِنا أَشار إلى أنْ لا حاجةَ للفقيه بالكلامِ[4] في عِصْمتهم، وأنا أقول: إنَّ للكلامِ في ذلك ما لِلْكلامِ في عِصْمةِ الأَنبيـاءِ من

---

(١) في المطبوع: «وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء...».
(٢) في المطبوع: «السمعيات».
(٣) في المطبوع: «نصابهم».
(٤) في المطبوع: «... لا حاجة بالفقيه إلى الكلام».

الفوائد التي ذكرناها ، سِوى فائدةِ الكلامِ في الأقوالِ والأفعالِ ، فهي ساقطةٌ ها هنا.

١٦٤٩ ـ فممّا احتجَّ بِهِ مَنْ لم يُوجِبْ عِصْمةَ جميعهم قصةُ هاروتَ ومَارُوت[١] ، وما ذَكَرَ فيها أهلُ الأخبارِ ونَقَلَةُ المفسّرين؛ وما رُوِي عن عليّ وابْنِ عباسٍ في خَبَرِهما وابتلائهما.

فاعْلَمْ ـ وفّقك الله ـ أنَّ هذه الأخبارَ لم يُرْوَ منها شيء لا سقيمٌ ولا صحيحٌ عَن رسولِ الله ﷺ ، وليس هو في شيءٍ[٢] يُؤْخذُ بقياسٍ.

والذي منه في القرآن اختلف المُفَسِّرونَ في معناه؛ وأنكر بعضهم قول بعضٍ[٣]، وأَنكر أيضاً[٤] ما قال بعضُهم فيه كثيرٌ من السلف كما سنذكره. وهذه الأخبارُ من كُتبِ اليهودِ وافترائهم ، كما نصّه اللهُ ـ تعالى ـ أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان ـ عليه السلام ـ وتكفيرِهم إياه.

وقد انطَوت القِصَّةُ على شُنَعٍ[٥] عظيمة. وها نحن نُحَبِّرُ[٦] في ذلك ما يكشِفُ عن غِطاءِ هذه الإشكالاتَ إنْ شاء الله.

فاختُلِف أولاً في هاروت وماروت؛ هل هما مَلَكان أو إنسِيّانِ؟ وهل هما المرادُ بالملكَين أم لا؟ وهل القراءة مَلَكين أو مَلِكَيْنِ بفتح اللام ، أو بكسرها أو

---

(١) هاروت وماروت وقصتهما مع الزُّهرة. قال الشيخ الحوت في أسنى المطالب ص (٢٤٧): «قال الشهاب ابن حجر: إن لها طرقاً تفيد العلم بصحتها ، فرواها الإمام أحمد (٢/ ١٣٤) ، وابن حبان (١٧١٧) موارد ، والبيهقي بأسانيد صحيحة. وقال المفسرون كالفخر الرازي ، والبيضاوي ، وأبي السعود ، والخازن: إنها لم تثبت بنقل معتبر ، فلا تعويل على ما نقل فيها ، لأن مَدَارَهُ رواية اليهود ، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل ، والنقل ، والله أعلم». ا هـ. وانظر المقاصد الحسنة (١٢٧٤) ، وموارد الظمآن (١٧١٧) طبعة دار الثقافة العربية.

(٢) في المطبوع: «هو شيئاً».

(٣) قوله: «وأنكر بعضهم قول بعض» ، لم يرد في المطبوع.

(٤) كلمة: «أيضاً» لم ترد في المطبوع.

(٥) شُنع: قبائح.

(٦) في الأصل: «نخبر» ، والمثبت من المطبوع. ومعنى نحبِّر: نحرِّرُ تحريراً حسناً.

بهما جميعاً[1]؟ وهل ﴿ما﴾ في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] نافية أو موجبةٌ؟!

فأَكثَرُ المُفسِّرين قالوا: إن اللهَ [تعالى] امْتَحن الناسَ بالمَلَكين لتعليم السِّحر وَتَبْيِينِهِ، وأنّ عملَه كُفْر (١٧٥/ب) فمَنْ تعلّمه كفر، ومَنْ تركَهُ آمن؛ قال اللهُ تعالى حكاية عنهما[2]: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وتعْلِيمهُما للناس[3] له تعليمُ إِنْذَارٍ؛ أي يقولان لِمَنْ جاء يطلبُ تَعَلُّمَه: لا تفعلوا كذا، فإنه يُفَرِّقُ بين المرءِ وزوجِه؛ ولا تَتَحَيَّلوا[4] بكذا؛ فإنه سِحْرٌ، فلا تكفروا.

فعَلَى هذا: فِعْلُ الملَكَيْنِ طاعةٌ، وتَصَرُّفُهُمَا فيما أُمِرَا به ليس بمعصيةٍ؛ وهي لغيرهما فِتْنَة.

ورَوَى ابنُ وَهْب، عن خالد بن أَبي عِمْران[5] ـ أنه ذُكِر عنده هارُوت وماروتُ، وأنهما يعلّمان السِّحْرَ، فقال: نحنُ نُنَزِّهُهما عن هذا.

فقرأ[6] بعضُهم: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. فقال خالد: لم يُنَزَّل عليهما.

فهذا خالدٌ ـ على جَلاَلته وعِلْمه ـ نزَّههما عنِ تعليم السِّحرِ الذي قد ذَكَر غيرُهُ أنهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة أن يُبيِّنَا أنه كفر، وأنه امتحانٌ من اللهِ تعالى وابتلاءٌ؛ فكيف لا نُنَزِّههما عن كبائر المعاصي والكُفْر المذكورة في تلك الأخبار[7]؟

---

(١) قوله: «بفتح اللام، أو بكسرها، أو بهما جميعاً»، لم يرد في المطبوع. والقراءة بكسر اللام شاذة.

(٢) قوله: «قالوا»، لم ترد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «الناس».

(٤) لا تتحيّلوا: أي لا تباشروا حِيَلَ السَّحرة من التمويه والنفث في العقد ونحوه.

(٥) هو الإمام القدوة، قاضي إفريقية أبو عمر التُّجيبي، كان ثقة ثبتاً صالحاً ربانياً. توفي سنة (١٢٥)هـ وقيل (١٢٧)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧٨).

(٦) في الأصل: «القراءة»، والمثبت من المطبوع.

(٧) كشرب الخمر والزنا كما في حديث الزُّهرة.

وقولُ خالد: لم يُنـزَل: يريد أنَّ «ما» نافية؛ وهو قولُ ابن عباس؛ قال مكّيٌّ: وتقدير الكلام: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] يريدُ بالسِّحر الَّذي افتعَلَتْه عليه[١] الشياطينُ، واتَّبعَتهم في ذلك اليهودُ.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال مكيٌّ: هما جبريلُ وميكائيل: ادَّعَى اليهودُ عليهما المجيء به، كما ادَّعَوْا على سليمان، فأكذبهم اللهُ تعالى بقوله[٢] في ذلك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢] قيل: هما رجُلانِ تعلّماهُ.

قال الحسن: هاروتُ وماروتُ عِلْجانِ[٣] من أَهلِ بابل؛ وقرأ: ﴿وَمَا أُنزَلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ﴾ ـ بكسر اللام، وتكون «ما» إيجاباً على هذا.

وكذلك قراءة عبد الرحمن بن أَبْزَى: بكسر اللام. ولكنه قال: المَلِكان هنا: داود وسُليمان (١٧٤/أ) وتكون «ما» نَفْياً على ما تقدّم.

وقيل: كانا مَلِكَين من بني إسرائيل، فمسخهما اللهُ، حكاه السمرقندي.

والقراءةُ بكسر اللام شاذّةٌ؛ فَمَحْمِلُ الآية[٤] ـ على تقدير أَبي محمدٍ: مكّيٍّ ـ حسَنٌ، ينَزِّهُ الملائكةَ، ويُذْهِب الرجْسَ عنهم، ويطهرهم تطهيراً.

وقد وصفهم الله بأنهم مُطَهَّرون، وكرَامٌ بَررة، ولا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرهم.

ومما يذكرونه قصةُ إبليس، وأنه كان من الملائكةِ ورئيساً فيهم، ومِنْ خُزّان الجنّةِ... إلى آخر ما حَكَوْهُ، وأنه استَثْناهُ من الملائكة بقوله: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤] وهذا أيضاً لم يُتّفَقْ عليه؛ بل الأكثرُ يَنْفُون ذلك، وأنه أبو الجنّ، كما أنّ آدم أبو الإنْس؛ وهو قولُ الحسنِ، وقَتَادة، وابن زَيْد.

---

(١) افتعلته عليه: أي افترته. وكلمة: «عليه» لم ترد في المطبوع.

(٢) كلمة: «بقوله»: لم ترد في المطبوع.

(٣) عِلْجان: تثنية عِلْج، وهو الغليظ الشديد من كفار العجم.

(٤) فمحمل الآية: أي تفسيرها. وفي المطبوع: «حَمْلُ الآية».

وقال شَهْرُ بن حَوْشَبٍ: كان مِنْ الجِنّ الذين طردَتْهم الملائكةُ في الأرضِ حين أفسدوا؛ والاستثناء من غير الجنْس شائعٌ، في كلام العرب سائغ؛[1] وقد قال الله تعالى: ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ [النساء: ١٥٧].

ومِمَّا رَوَوْهُ في[2] الأخبار أَنّ خَلْقاً من الملائكة عَصَوا اللهَ فحُرِّقوا، وأُمِروا أَنْ يسجدوا لآدمَ فأَبَوْا فحُرِّقوا، ثم آخرون كذلك؛ حتى سجدَ لهُ مَنْ ذكرهُ اللهُ تعالى إلا إبليس، في أخبارٍ، لا أَصْلَ لها، تردُّها صِحَاحُ الأخبارِ، فلا يُشْتَغل بها. [والله أعلم].

* * *

(١) سائغ: جائز.

(٢) في المطبوع: «من».

الباب الثاني من القسم الثالث

فِيمَا يَخُصُّهُمْ فِيْ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ العَوارِضِ البَشَرِيَّةِ

قد قدَّمْنَا أنه ـ عليه السلام ـ وسائر الأنبياءِ والرسُلِ مِنَ البشَر ، وأَنّ جِسْمَه ، وظاهرَهُ خالصٌ للبَشَرِ ، يجوز عليه من الآفات والتغيُّرات ، والآلام والأسقام ، وتجرُّع كَأْسِ الحِمَام[1] ما يجوز على البَشَرِ ؛ وهذا كلُّه ليس بنقيصةٍ فيه ؛ لأَنَّ الشيْءَ إنمَا يسمَّى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتمُّ منه وأكملُ من نوعِه ؛ وقد كتب اللهُ [تعالى] على أَهْلِ هذه الدار[2] : ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ (١٧٤/ب) وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥] ، وخلق جميعَ البشَر بمَدْرجةِ[3] الغِيَرة[4]: فقد مرِضَ عليه السلام ، واشتكى[5]، وأصابه الحرُّ والقرُّ[6] ،

---

(١) الحِمامُ: قضاء الموت وقدره/ المعجم الوسيط.

(٢) في الأصل زيادة: «كما قال عز وجل».

(٣) المدرجة: المذهب والمسلك.

(٤) الغِيَرَةُ: الأمر المتغيِّرُ، وفي المطبوع: «الغِير». وَغِيَرُ الدهر: أحواله وأحداثه المتغيرة. قيل: مفرده: غِيرة ، وقيل: هو مفرد. جمع أغيار/ المعجم الوسيط.

(٥) اشْتكىٰ: مَرِضَ.

(٦) القَرُّ: البرد.

وأدركه الجوعُ والعَطَشُ ، ولحقه الغَضَبُ والضَّجَرُ ، وناله الإعياءُ[١] والتَّعبُ ، ومَسَّه الضَّعْفُ والكِبَر ، وسَقَطَ فجُحِشَ[٢] شِقُّه ، وشَجَّه الكفَّارُ ، وكَسَروا رَبَاعِيَتَه[٣] ، وسُقِي السُّمَّ ، وسُحر ، وتَدَاوىٰ ـ عليه السلام ـ واحتجم ، وتَنَشَّر[٤] ، وتَعَوَّذَ[٥] ، ثم قضى نَحْبَه فتُوفِّي ﷺ ، ولَحِق بالرفيق الأعلى[٦] ، وتخلَّص من دار الامتحان والبَلْوَى ، وهذه كلها[٧] سِمَاتُ البشَرِ التي لا مَحِيصَ لهم[٨] عنها؛ وأصاب غَيْرَه من الأنبياء ما هو أعظم من ذلك؛ فقُتِلوا قَتْلاً .

ورُموا في النار ، وَنُشِرُوا بالمناشير[٩] . ومنهم مَنْ وقاهُ اللهُ ذلك في بعض الأوقات. ومنهم مَنْ عَصَمَهُ الله ـ عز وجل ـ كما عَصَم بَعْدُ نبيَّنا ـ ﷺ ـ من الناس؛ فلئِنْ لم يَكْفِ نبيَّنا ربُّه يَدَ ابْنِ قَمِئَةَ[١٠] يوم أُحُد ، ولا حَجَبه عن عُيُون عِدَاهُ عند دَعْوَتِه أَهْلَ الطائف؛ فلقد أَخذَ على عُيونِ قُريش عند خروجه إلى

---

(١) الإعياء: التعب الشديد.

(٢) جحِش: خُدِشَ ، والجَحْشُ: هو أن يصيبه شيء كالخدش ، فينسلخ منه جلده (جامع الأصول ٥/ ٦٢٢) ، والحديث رواه البخاري (٨٠٥) ، ومسلم (٤١١) عن أنس بن مالك.

(٣) الرَّباعِيَةُ: السِّنُّ بين الثنية والناب ، وهي أربع: رَباعِيَتَانِ في الفك الأعلى ، ورَبَاعِيَتَانِ في الفكل الأسفل/ المعجم الوسيط.

(٤) قال السيوطي في المناهل (١٢٥٦): «لم أقف عليه ، بل في الصحيح عن عائشة أنها قالت له لما سحر: أفلا تشربُ؟ قال: أما الله قد شفاني. (تَنَشَّر): من النُّشرةِ ، وهي ضربٌ من العلاج ، يعالج به من يظن أنَّ به سحراً أو مسًّا من الجن (الفتح ١٠/ ٢٣٣).

(٥) تعَوَّذَ: من العوذة، وهي الرُّقيةُ.

(٦) الرفيق الأعلى: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عِلِّيِّين (النهاية).

(٧) كلمة: «كلها» ، لم ترد في المطبوع.

(٨) كلمة: «لهم»، لم ترد في المطبوع.

(٩) في المطبوع: «ووشروا بالمياشير»، والمعنىٰ واحد.

(١٠) في المطبوع: «ابن قميئة» علىٰ وزن سفينة ، وهو عبد الله ، الذي جرح وجه النبي ﷺ يوم أحد.

ثور[1] ، وأمسك عنه سيفَ غُورَث[2] ، وحَجَرَ أَبي جَهْل[3] ، وفَرَسَ سُراقة[4]؛ ولئن لم يَقِه مِنَ سِحْرِ ابن الأَعْصَمِ[5] فلقد وقاه ما هو أعظم منه[6]، من سُمِّ اليهودِية.

وهكذا سائرُ أنبيائه ، مُبْتَلَى ، ومُعافَى؛ وذلك مِنْ تَمَامِ حِكْمته ، ليُظْهِر شَرَفَهم في هذه المقامات ، ويبيِّن أمرهم ، ويُتِمّ كَلمته فيهم ، وليحقِّق بامتحانهم بَشَرِيَّتهم ، ويرتفعَ الالتباسُ عن أهلِ الضَّعْف فيهم ، لِئَلاً يضلُّوا بما يظهَر من العجائب على أيديهم ، ضَلاَلَ النصارى بعيسى [ابْنِ مريم] عليه السلام ، وليكونَ في مِحَنِهم تسليةٌ لأُمَمِهِمْ ، ووفور لأُجورهم عند ربهم ، تماماً على الّذي أَحْسَنَ إليهم.

قال بعضُ المحققين: وهذه الطوارىءُ والتغيُّرات المذكورةُ إنما تختصُّ بأجسامهم البشرية[7] المقصود بها مقاومةُ البشَرِ ، ومعاناة بَني آدم لِمُشَاكَلَةِ الجِنْسِ.

وأما بَوَاطِنُهم: فمنزَّهةٌ غالباً عن ذلكَ ، معصومةٌ منه ، متعلقةٌ بالملأ الأعلى والملائكةِ لأَخْذِها عنهم ، وتَلَقِّيها الوَحْيَ (١٧٦/أ) منهم.

١٦٥٠ ـ [قال]: وقد قال عليه السلام: «إنَّ عينيّ تنامانِ ولا ينَامُ قَلبي»[8].

---

(١) ثور: غار يقع في جبل ثور جنوب مكة. طول الغار (١٨) شبراً ، وهو عبارة عن صخرة مجوفة في قمة الجبل ، شبه بسفينة صغيرة ، ظهرها إلى أعلى ولها فتحتان: في مقدمتها واحدة ، وفي مؤخرتها واحدة. انظر في رحاب البيت ص (٣٧٨) ، والمعالم الأثيرة ص: (٨٤).

(٢) تقدمت قصته مع النبي ﷺ برقم (١٧٤).

(٣) تقدم برقم (١٠٦٣).

(٤) قصة سراقة تقدمت برقم (١٠٦٢).

(٥) هو لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

(٦) كلمة: «منه»، لم ترد في المطبوع.

(٧) في الأصل زيادة: «الذي».

(٨) تقدم برقم (١٣٩ ، ١٥٢٠ ، ١٦١٤).

١٦٥١ ـ وقال: «إنّي لَسْتُ كهَيْئتكم؛ إني أَبيتُ يُطعمني رَبِّي ويَسْقِيني»[١].

١٦٥٢ ـ وقال: «لستُ أَنْسَى، ولكن أُنسَّىٰ، ليُسْتَنَّ بي»[٢].

فأخبر ـ عليه السلام ـ أنَّ سِرَّه وباطنَه ورُوحَه بخلاف جسمه وظاهره، وأَنَّ الآفاتِ التي تحلُّ ظاهِرَه من ضَعْفٍ وجوع، وسَهَرٍ ونَوْمٍ، لا يَحُلُّ منها شيء[٣] باطنَه، بخلاف غيره من البَشَر في حُكْم الباطن؛ لأَنَّ غيره إذا نام استغرق النومُ جِسْمَه وقَلْبه.

١٦٥٣ ـ وهو ـ عليه السلام ـ في نومِه حاضِرُ القَلْبِ كما هو في يَقَظَتِه، حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروساً من الحَدَثِ في نومه لِكَوْنِ قلبه يَقْظَان كما ذكرناه[٤].

١٦٥٤ ـ وكذلك غيره إذا جاع ضَعُفَ لذلك جِسْمه، وخارت قُوَّتُه، فبطلت بالكليّة جملتُه، وهو ـ عليه السلام ـ قد أخبر أنه لا يَعْتَريه ذلك، وأنه بخلافهم؛ لقوله: «لستُ كهَيْئتكم: إني أَبيتُ يُطعمني رَبي ويَسْقِيني»[٥].

وكذلك أقولُ: إنه في هذا الأحوالِ كلِّها؛ من وَصَبٍ[٦] ومَرَضٍ، وسِحْرٍ وعَرَضٍ[٧]، وغَضَبٍ، لم يَجْرِ على باطِنه ما يُخِلُّ به، ولا فاض منه على لسانه وجَوَارِحه ما لا يليقُ به، كما يَعْتَرِي غَيْرَهُ من البَشَرِ مِمّا نأخذُ بَعْدُ في بيانه.

---

(١) تقدم برقم (١٥٢١)، وسيأتي برقم (١٦٥٤).
(٢) تقدم برقم (١٥٨٣، ١٦٠٠).
(٣) في الأصل: «في»، والمثبت من المطبوع.
(٤) حراسته ﷺ في نومه، تقدم تخريجه (١٦١٨).
(٥) تقدم برقم (١٥٢١، ١٦٥١). (لست كهيئتكم): أي ليس حالي كحالكم.
(٦) وَصَب: الوصب: التعب والفتور في البدن/ المعجم الوسيط.
(٧) ليست في المطبوع. والعَرَضُ: ما يطرأ ويزول من مرضٍ ونحوه.

فصـل

[في الرَّدِّ عَلى مَنْ طَعَنَ في حَدِيْثِ السِّحْرِ][1]

١٦٥٥ ـ فإن قلْتَ: فقد جاءت الأَخبارُ الصحيحةُ أنه ـ عليه السلام ـ سُحِرَ كما حدثنا الشيخُ أبو محمدٍ العَتَّابي بقراءتي عليه؛ [قال]: حدثنا حاتم بن محمد، حدثنا أبو الحسَن: عليّ بن خلف، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا البخاري، حدثنا عبيد بن إسماعيل، [قال]: حدثنا أبو أُسامةَ، عن هشام بن عُرْوَةَ، عن أبيه، عنِ عائِشَةَ [رضِيَ اللهُ عنها]، قالت: سُحِرَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيءَ وما فعله[2].

١٦٥٦ ـ وفي رواية أخرى: حتى كان يخيَّل إليه أنه [كان] يأتي النساءَ ولا يأتيهن. . . الحديث[3].

وإذا كان هذا من التباسِ الأَمْرِ على المسحور فكيف حالُ النبي ﷺ في ذلك وكيف جاز عليه، وهو معصوم؟!

فاعْلَمْ ـ وفَّقنا اللهُ وإياكَ ـ أَنّ هذا الحديث (١٧٦/ب) صحيحٌ متّفَقٌ عليه؛ وقد طعنَتْ فيه المُلْحِدَةُ، وتذرّعَتْ[4] به ـ لسُخْفِ عقولِها وتَلْبِيسها على أمثالها ـ إلى التشكيك في الشّرْعِ؛ وقد نزّه اللهُ الشّرْعَ والنبيَّ عما يُدْخِلُ في أَمْرِه لَبْساً، وإنما السّحْرُ مَرَضٌ منَ الأَمراض، وعارِضٌ من العِلَل، تجوزُ عليه كأَنواعِ الأَمراضِ مما لا يُنْكَرُ ولا يَقْدَحُ في نُبوّته عليه السلام.

وأمّا ما وَردَ أنه كان يخيَّل إليه أنه فعل الشيءَ ولا يَفْعَلُه، فليس في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخلةً[5] في شيءٍ مِنْ تَبْلِيغه أو شريعته، أو يَقْدَحُ في صِدْقِه؛

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) أسنده المصنف من طريق البخاري (٥٧٦٦)، وأخرجه أيضاً مسلم (٢١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).

(٤) تذرَّعت: توسَّلَتْ. وفي المطبوع: «تَدَرَّعَتْ»، ومعناه: تَقَوَّتْ.

(٥) (داخلةً): نقيصةً، وعيباً، وفساداً.

لقيامِ الدَّليل والإجماع على عِصْمته مِنْ هذا ، وإنما هذا فيما يجوزُ طُرُوْؤُهُ عليه في أَمْرِ دُنَياه التي لم يُبْعَثْ بسببها ، ولا فُضِّل من أَجْلها؛ وهو فيها عُرْضَةٌ للآفات كسائر البَشَر؛ فغَيْرُ بَعيدٍ أَنْ يُخَيَّل إليه من أمورِها مالا حقيقةَ له ، ثم يَنْجلي عنه ، كما كان.

١٦٥٧ ـ وأَيضاً فقد فَسَّرَ هذا الفَصْلَ الحديثُ الآخَرُ من قوله: «حتى يُخَيَّل إليه أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهنّ». وقد قال سفيان: وهذا أَشدُّ ما يكونُ مِنَ السِّحْر[١].

ولم يَأْتِ في خَبَر منها أَنه نُقِلَ عنه في ذلك ، قولٌ بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يَفْعَله؛ وإنما كانت خواطِر وتخيلات.

وقد قيل: إنَّ المراد بالحديث أنه كان يتخيَّلُ الشيءَ أنه فعله ، وما فعله ، لكنه تخْييل لا يَعْتَقِدُ صِحتَه ، لتكون[٢] ـ بحمد الله ـ اعتقاداته كلها على السَّدَاد[٣]، وأقوالُه على الصحة.

١٦٥٨ ـ هذا ما وَقَعْتُ[٤] عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أَوْضَحْنَاه من معنى كلامهم ، وزِدْنَاهُ بياناً من تلويحاتهم. وكُلُّ وَجْهٍ منها مُقْنِعٌ؛ لكنه قد ظهر لي في الحديث تَأْوِيلٌ أَجْلَى وأَبْعَدُ من مَطَاعن[٥] ذَوِي الأَضَالِيلِ ، يستفادُ من نَفْسِ الحديث؛ وهو أَنّ عبد الرزّاق قد رَوَى هذا الحديثَ ، عن ابن المسيَّب ، وعُروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما: سَحَرَ يَهُودُ بني زُرَيق رسولَ الله ﷺ ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله ﷺ أَنْ يُنْكِرَ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٥).

(٢) في المطبوع: «فتكون».

(٣) (السَّداد): الصواب.

(٤) في المطبوع: «وقفتُ».

(٥) في الأصل: «مطاعين» ، والمثبت من المطبوع.

بَصَره؛ ثمَّ دَلَّه اللهُ على ما صنعوا[1] فاستخرجه من البئر[2]. (١٧٧/أ).

ورُوي نحوه، عن الواقدي، وعن عبد الرحمن بن كعب، وعُمر بن الحَكَم.

١٦٥٩ - وذَكَرَ[3] عن عطاء الخُراساني، عن يحيى بن يَعْمَر: حُبِس رسولُ الله ﷺ عن عائشة سنَةً، فَبيْنَا هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدُهما عند رأسه والآخَرُ عند رِجْليه... الحديث.

١٦٦٠ - قال عبد الرزّاق[4]: حُبِس رسولُ الله ﷺ عن عائشة خاصةً سنةً حتى أنكر بَصَره.

١٦٦١ - وروى محمد بن سَعْد، عن ابن عباس: مَرِض رسُولُ الله ﷺ، فحُبِس عن النساء والطعام والشراب، فهبَط عليه مَلكان... وذكر القصة[5].

فقد استبان لكَ مِنْ مضمون هذه الرواياتِ أنّ السِّحْرَ إنما تسلَّط على ظاهره وَجَوارِحه، لا على قلبه واعتقادِه وعَقْلِه، وأنه إنما أثَّرَ في بَصَرِه، وحبَسَه عن وَطْء نسائه، وطعامه، وأضْعَف جِسْمَه وأمرضه؛ ويكون معنى قوله: «يخيَّلُ إليه أنه يأتي أَهْلَه ولا يأتيهن» أي: يَظْهَرُ له من نشاطه ومتقدِّم عادته القدرَة على النساء؛ فإذا دَنَا مِنهنَّ أصابَتْه أُخْذَةُ السِّحْرِ[6]

---

(١) في الأصل: «ثم دله الله عليه وعلى ما صنعوا»، والمثبت من المطبوع. وهو موافق لرواية عبد الرزاق (١٩٧٦٤).

(٢) حديث مرسل. وهو في مصنف عبد الرزاق ١١/ ١٤ برقم (١٩٧٦٤).

(٣) (وذكر): أي عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٤ برقم (١٩٧٦٥). وهو حديث مرسل، تمامه: «فقال أحدهما لصاحبه: سحر محمد؟ فقال الآخر: أجل، وسحره في بئر أبي فلان، فلما أصبح النبي ﷺ أمر بذلك السحر فأخرج من تلك البئر». (حُبس رسول الله ﷺ عن عائشة): مُنِعَ من إتيانها.

(٤) في المصنَّف (١١/ ١٣).

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل بسند ضعيف (المناهل/ ١٢٦١).

(٦) أُخْذَةُ السحر: قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/ ٢٣٣): «الأُخْذَةُ، بضم الهمزة: هي الكلام الذي يقول الساحر، وقيل خرزة يرقي عليها، أو هي الرقية نفسها.

فلم يقدر على إتيانهنّ كما يعتري مَنْ أُخِذَ واعتُرِض[١].

ولعله لمثل[٢] هذا أَشار سُفْيان بقوله: وهذا أَشدُّ ما يكون من السِّحر[٣]. ويكون قولُ عائشة في الرواية الأخرى: «إنه ليُخَيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، أو[٤] ما فعله»[٥] مِنْ بابِ ما اختلّ مِنْ بَصره، كما ذُكِر في الحديث؛ فيظنّ أنه رأى شخصاً مِنْ بعض أزواجه، أو شَاهد فِعْلاً من غيره، ولم يكن على ما يُخَيَّلُ إليه، لِمَا أصابه في بصره وضَعْفِ نَظَرِه، لا لشيءٍ طَرَأَ عليه في مَيْزِه[٦].

وإذا كان كذلك[٧] لم يكُنْ فيما ذُكِر من إصابةِ السِّحرِ له، وتأثيرِه فيه، ما يُدْخِلُ لَبْساً، ولا يَجِدُ به الملحدُ المعترضُ أُنْساً.

فصـل

[في أَحْوالِـهِ ﷺ في أُمُـورِ الـدُّنْـيَـا][٨]

هذه حالُه في جِسْمِه، فأَما أحوالُه في أُمور الدنيا فنحن نَسْبُرها على أُسلوبها[٩] المتقدم ـ إن شاء الله ـ بالعَقْدِ والقولِ والفعل[١٠].

١٦٦٢ ـ أما العَقْد منها[١١] فقد يَعْتَقِدُ في أمور الدنيا الشيء على وَجْهٍ ويظهر خلافُه، أو يكون منه على شكّ أو ظن بخلاف أُمورِ الشرع؛ كما حدثنا

---

(١) واعتُرِض: أي أصيب بعارضٍ من مرضٍ أو غيره منعه عن إتيان أهله.

(٢) في الأصل: «بمثل»، والمثبت من المطبوع.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، وقد تقدم برقم (١٦٥٧).

(٤) قوله: «ولم يفعله، أ»، لم يرد في المطبوع.

(٥) في المطبوع: «أنه فعل الشيء، وما فعله»، وهو موافق لرواية البخاري.

(٦) مَيْزِه: تمييزه. والمراد: قوة عقله المميز.

(٧) في المطبوع: «هذا».

(٨) ما بين حاصرتين من عندي.

(٩) في المطبوع: «أسلوبنا».

(١٠) في الأصل زيادة: «إن شاء الله».

(١١) العقد منها: أي ما يتعلق من أحواله ﷺ في أمور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد.

أبو بَحْر: سُفيان بن العاصي، وغَيْرُ واحدٍ سَمَاعاً وقراءةً؛ قالوا: حدثنا أبو العباس: أحمد بن عُمَر، [قال]: حدثنا أبو العباس الرازي، حدثنا أبو أحمد بن عَمْرويه، حدثنا ابن سفيان، حدثنا مسلم، حدثنا عَبْدُ الله بن الرُّومي، وعباس[1] العَنْبَري (١٧٧/ب) وأحمد المَعْقِرِيُّ؛ قالوا: حدثنا النضر بن محمدٍ؛ قال: حدثنا عِكرمة، حدثنا أبو النجاشيّ؛ [قال] حدثنا رافع بن خَدِيج؛ قال: قدِم[2] رسولُ الله ﷺ المدينةَ وهم يَأْبُرون النَّخْلَ، فقال: «ما تصنعونَ؟» قالوا: كنّا نَصْنَعُهُ. قال: «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً»؛ فتركوه، فنَقَصَتْ؛ فذكروا ذلك له؛ فقال: «إنما أنا بَشَرٌ، إذا أمرتُكم بشيءٍ مِنْ دينكم فخذُوا به، وإذا أمرتكُم بشيءٍ من رَأْيٍ[3] فإنما أنا بَشَرٌ»[4].

١٦٦٣ ـ وفي رواية أنس: «أنتم أعلمُ بأَمْرِ دُنياكم»[5].

١٦٦٤ ـ وفي حديث آخر: «إنما ظَنَنْتُ ظَنّاً، فلاتؤاخذوني بالظَّنِّ»[6].

١٦٦٥ ـ وفي حديث ابنِ عباس في قصة الخَرْص[7]؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما أَنَا بَشَرٌ مثلكم[8]، فما حدثتكُمْ به عَن الله فهو حَقٌّ، وما قلتُ فيه مِن قِبَلِ نَفْسِي فإنما أنا بَشَرٌ أُخطِىءُ وأُصِيب»[9].

وهذا على ما قَرَّرْنَاهُ فيما قاله مِنْ قِبَلِ نَفْسِه في أمور الدنيا وظَنّه من أحْوالها، لا ما قَالَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِه واجتهاده في شَرْع شرعَهُ؛ أو سُنَّةٍ سَنَّها.

---

(١) في الأصل: عياش، وهو تصحيف، والتصويب من المطبوع صحيح مسلم (٢٣٦٢).
(٢) في الأصل: «لما قدم»، والمثبت من المطبوع، وصحيح مسلم (٢٣٦٢) حيث نقل المصنف.
(٣) في الأصل: «رأيِ دنياكم»، والمثبت من المطبوع، وصحيح مسلم (٢٣٦٢).
(٤) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٣٦٢). (يَأْبُرُونَ النخل): يُلَقِّحونَهُ.
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٦٣).
(٦) أخرجه مسلم (٢٣٦١) من حديث طلحة بن عبيد الله.
(٧) الخرص: تقدير ما على الشجر من ثمر.
(٨) قوله: «مثلكم»، لم يرد في المطبوع.
(٩) أخرجه البزار (٢٠١) كشف الأستار. وحسَّن إسناده السيوطي في المناهل (١٢٦٥).

١٦٦٦ ـ وكما حكى ابنُ إسحاق أنه ـ عليه السلام ـ لما نزل بأَدْنى مياهِ بَدْرٍ ، قال له الحُباب بن المنذر: أهذا منزلٌ أنزلكَهُ اللهُ ليس لنا أن نتقدّمَه ، أم هو الرأيُ والحرب والمكيدة؟ قال: «لا ، بل هو الرأي والحربُ والمَكِيدةُ». قال: فإنه ليس بمَنْزِلٍ ، انهَضْ حتى نَأْتِي أدنىٰ ماءٍ من القوم ، فنَنزِلَه ، ثم نُعَوِّرَ ما وَرَاءه من القُلُب؛ فنشرب ولا يشربون.

فقال: «أشَرْتَ بالرأي»[١] ، وفعل ما قاله.

وقد قال له اللهُ عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٦٦٧ ـ وأَرَاد مصالحةَ بَعْضِ عدوِّه على ثلث ثَمَرِ المدينة ، فاستشار الأنصارَ. فلما أخبروه برأيهم رجع عنه.

فمِثْلُ هذا وأشباهُه من أُمور الدنيا التي لا مَدْخَلَ فيها لعِلْمِ دِيانَةٍ ، ولا اعتقادِها ، ولا تعليمها ، يجوزُ عليه فيها[٢] ما ذكرناه؛ إذ ليس في هذا كلِّه نَقِيصةٌ ولا محطَّة[٣]؛ وإنما هي أُمورٌ اعتياديةٌ يعرفُها مَنْ جَرَّبَها ، وجعلها هَمَّهُ ، وشغَل بها نَفْسَه ، والنبيُّ [ﷺ] مشحون القَلْبِ بمعرفة الرّبوبية؛ ملآنُ الجَوَانِح[٤] بالعلوم الشرعية[٥] ، مُقَيَّد البالِ بمصالح الأُمةِ (١٧٨/أ) الدينية والدُّنْيَوية ، ولكنْ هذا إنما يكونُ في بعض الأمور ، ويجوز في النادر وفيما سبيلُه التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها ، لا في الكثير المُؤذِنِ بالبَلَهِ والغَفْلَة.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق ، والبيهقي عن عروة ، والزهري عن جماعة (المناهل/ ١٢٦٦). (بدر): اسم بئر ، وهي ـ الآن ـ بلدة كبيرة عامرة ، على بعد حوالي (١٥٠) كيلاً من المدينة المنورة. انظر المعالم الأثيرة. (نُعَوِّر): أي نَدْفِن ونَطُم. (القُلُب): جمع قليب. وهي البئر لم تطوَ ، وإنما هي حُفَيْـرَةٌ قلِبَ ترابها فسميت قليباً.

(٢) في المطبوع: «فيه».

(٣) محطة: أي نقصان منزلة.

(٤) في نسخة: «الجوراح». والجوانح: جمع جانحة ، وهي الضِّلَعُ القصيرة مما يلي الصدر.

(٥) في المطبوع: «بعلوم الشريعة».

وقد تواتَرَ بالنّقْل[1] عنه ـ عليه السلام ـ من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها ، وسياسة فِرَق أهلها ما هو معجزٌ في البشر ، مما قد نبَّهنا عليه في باب معجزاته ـ عليه السلام ـ من هذا الكتاب .

فصــل

[في ما يُعْـتَـقَـدُ في أُمُورِ أَحْكَامِ البَشَرِ الجَارِيَةِ على يَدَيْهِ ﷺ وَقَضَايَـاهُمْ][2]

١٦٦٨ ـ وأمّا ما يُعْتَقد في أمورِ أَحكام البَشَرِ الجارية على يَدَيْه وقَضَاياهم ، ومعرفة المحقّ من المُبْطل ، وعلِم المُصْلح من المُفْسِد ، فبهذه السَّبِيلِ ؛ لقوله عليه السلام : «إنما أَنَا بَشَرٌ[3] ، وإنكم تختصمونَ إليَّ ، ولعلّ بعضَكم أن يكون أَلْحنَ بحُجّته[4] من بعضٍ ؛ فأقضي له على نَحو ممَّا أَسمَعُ ؛ فمَنْ قَضَيْتُ [له] مِنْ حقّ أَخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئاً ، فإنما أَقْطَعُ له قطعةً من النار»[5] .

١٦٦٩ ـ حدثنا الفقيه أَبو الوَليد رحمه الله ؛ حدثنا الْحُسين بن محمد الحافظ ، حدثنا أَبو عُمَرَ ، حدثنا أبو محمد ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن كَثِير ، حدثنا سُفيان ، عن هشام بن عُرْوَةَ ، عن أَبيهِ ، عن زينب بنت أُمّ سَلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ . . . الحديث[6] .

١٦٧٠ ـ وفي رواية الزُّهري ، عن عُرْوَة ، قال : «فلعلّ بعضَكم أَن يكون أَبلغَ من بعض ؛ فأَحْسِب أنه صادق فأَقْضِي له»[7] .

---

(١) في نسخة : «النقل» .
(٢) ما بين حاصرتين من عندي .
(٣) في الأصل : «بشر مثلكم» ، والمثبت من المطبوع وسنن أبي داود (٣٥٨٣) حيث نقل المصنف .
(٤) ألحَنَ بحجته : أقدر عليها . من اللَّحَنِ : الفطنة .
(٥) متفق عليه وقد تقدم برقم (١٥٧٨ ، ١٥٤٨) ، واللفظ لأبي داود (٣٥٨٣) .
(٦) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٣٥٨٣) . وقوله : «عن أم سلمة رضي الله عنها» ، لم يرد في المطبوع .
(٧) أخرجه البخاري (٢٤٥٨) ، ومسلم (١٧١٣/٥) من حديث ابن شهاب الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، بالإسناد السابق .

وتَجْري أحكامُه ـ عليه السلام ـ على الظاهر ومُوجَب غَلَبات الظنِّ بشهادةِ الشاهد ، ويمينِ الحالف ، ومراعاةِ الأشْبَهِ ، ومعرفةِ العِفَاصِ[1] والوِكَاء[2] ، مع مُقْتَضَى حكمةِ الله في ذلك؛ فإنه تعالى ـ لو شاء ـ لأطْلَعه على سرائرِ عِبَادِه ، ومُخَبَّآتِ ضمائر أمته؛ فتولَّى الْحُكْمَ بينهم[3] بمجرّدِ يَقِينه وعِلْمه دونَ حاجةٍ إلى اعترافٍ ، أو بيِّنَةٍ ، أو يمين (١٧٨/ب) أو شُبْهة؛ ولكنْ لمَّا أمر اللهُ أُمَّتَه باتِّبَاعِه والاقتداءِ به في أحوالِه وأفعاله وأقوالِهِ ، وقضاياه ، وسِيَرِه؛ وكان هذا لو كان مِمَّا يختصُّ بِعِلْمِه ويُؤْثِرُهُ اللهُ به ، لم يكُنْ للأُمَّةِ سبيلٌ إلى الاقتداء به في شيءٍ من ذلك ، ولا قامت حُجَّةٌ بقضيّةٍ من قضاياه لأَحَدٍ في شريعتِه؛ لأنا لا نعلَمُ ما أُطْلِعَ عليه هو في تلك القضيّةِ لِحُكْمِه هو إذاً في ذلك بالمكنون[4] من إعلام اللهِ له بما أَطْلَعَهُ عليه من سرائرهم؛ وهذا مالا تعلمُه الأمة؛ فأَجْرَى اللهُ [تعالى] أحكامَه على ظَوَاهرهم التي[5] يَسْتَوِي فيها[6] هو وغَيْرُه من البَشَر؛ لِيَتِمَّ اقتداءُ أُمتهِ به في تَعْيين قضاياهُ ، وتنزيل أحكامِه ، ويأتون ما أَتَوْا مِنْ ذلك على عِلْمٍ ويقين من سُنَّته ، إذ البيانُ بالفِعْل أَوقَع منه بالقَوْلِ ، وأَرْفَع[7] لاحتمالِ اللّفْظِ ، وتأويل المتأوِّل؛ وكان حكمُه عَلَى الظاهِر أَجْلى في البيان ، وأوضَحَ في وجوهِ الأحكامِ ، وأكْثَرَ فائدةً لموجباتِ التَّشاجُر والْخِصَامِ ، وليَقْتَدِي بذلك كلِّه حُكّامُ أُمَّتِهِ ، ويُسْتَوْثَق بما يُؤْثَر عنه ، ويَنْضَبط قانون شَريعته ، وطَيّ ذلك عنه من عِلْم الغَيْب الذي استأْثَر به ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦ ، ٢٧] فيعلّمه منه بما شاء ، ويستأْثِر بما

---

(١) العِفَاص: الوعاء الذي تكون فيه النفقة من جلد أو خرقة ، أو غير ذلك (النهاية).

(٢) الوِكاء: الخيط الذي تشد به الصُّرَّةُ والكيس ، وغيرهما (النهاية).

(٣) في الأصل: «منهم» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) المكنون: المخفي المستور.

(٥) في الأصل: «الذي» ، والمثبت من المطبوع.

(٦) في المطبوع: «يستوي في ذلك».

(٧) في المطبوع: «وأدفع».

شاءَ ، ولا يَقْدح هذا في نبوّته ، ولا يَفْصِمُ[1] عُرْوَةً من عصمته .

فصل

[في أقوالِهِ ﷺ الدنيويَّةِ مِنْ إخْبَارِهِ عَنْ أَحْوالِهِ ، وَأَحْوالِ غَيْرِهِ ، وَمَا فَعَلَهُ ، أَوْ يَفْعَلُهُ][2]

وأما أَقوالُه الدنيويّة : من إخبارِه عن أحوالِه ، وأحوالِ غيره ، وما يفعلُه أو فَعَله ـ فقد قدَّمْنَا أَنْ الْخُلْفَ فيها مُمْتَنِعٌ عليه في كلِّ حالٍ ، وعلى أيّ وَجْهٍ كان من عَمْد أو سَهْو ، أو صحةٍ ، أو مرض ، أو رَضاً ، أو غَضَب ، وأنه معصومٌ منه ﷺ .

هذا فيما طريقُه الخَبَرالمَحْضُ مِمّا يدخُله الصِّدْقُ والكَذِبُ؛ فأمّا المعاريضُ[3] ، الموهِمُ ظاهرُها خِلاَفَ باطِنِها ، فجائزٌ ورودُها منه في الأمور الدنيويّة (١٧٩/أ) لا سيما لقَصْدِ المصلحةِ .

١٦٧١ ـ كتَوْرِيته عن وَجْه مَغَازيه[4] لئلاَّ يأْخُذَ العدوُّ حِذْرَهُ .

وكما رُوِي مِنْ مُمَازحتِه ودُعَابَتِه لبَسْط أُمَّتِه ، وتَطْييب قلوب المؤمنين من صَحَابَتِهِ ، وتأكيداً في تَحْبيبهم[5] وصحبتهم ، ومسرّةِ نُفوسهم .

١٦٧٢ ـ كقوله عليه السلام : «لأَحْمِلَنَّكَ على ابْن الناقة»[6] .

---

(١) لا يَفْصِمُ : لا يكسر ، وفَصَمَ الشيء : كسره من غير أن يَبِيْنَ .

(٢) ما بين حاصرتين من عندي .

(٣) المعاريض : جمع مِعْراضٍ ، من التعريض ، وهو خلاف التصريح (النهاية) .

(٤) تقدم برقم (١٥٨٨) .

(٥) في المطبوع : «تحببهم» .

(٦) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨) ، والترمذي في السنن (١٩٩١) ، وفي الشمائل (٢٣٨) ، وأحمد (٢٦٧/٣) ، وأبو يعلى (٣٧٧٦) وغيره من حديث أنس بن مالك . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

١٦٧٣ ـ وقوله ـ للمرأة التي سألَتْهُ عن زَوْجِها[١]: «**أهُوَ الذي بِعَيْنِه بيَاضٌ؟**»[٢].

وهذا كلُّه صِدْقٌ؛ لأَنَّ كلَّ جَملٍ ابنُ ناقةٍ، وكُلَّ إنسانٍ بعينهِ بياضٌ.

١٦٧٤ ـ وقد قال عليه السلام: «**إني لأَمْزَحُ، ولا أقولُ إلا حقّاً**»[٣].

هذا كلُّه فيما بابُه الخَبُر؛ فأما ما بابُه غَيْرُ الخبرِ فيما صُورَتُه صورةُ الأَمْرِ والنّهْيِ في الأمورِ الدنيوية فلا يصحّ منه أيضاً، ولا يجوزُ عليه أَن يأمُر أحداً بشيء أو يَنْهى أحداً عن شيء وهو يُبْطن خلافَه.

١٦٧٥ ـ وقد قال عليه السلام: «**ما كان لنبيّ أن تكونَ له خائنةُ الأَعْيُنِ**»[٤]. فكيف أن تكونَ له خيانة قَلْبٍ؟!

فإنْ قلتَ: فما معنى إذاً قوله تعالى في قصة زَيْد[٥]: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

---

(١) في الأصل زيادة: «فقال».

(٢) أورده ابن الأثير في جامع الأصول (١١/ ٥٥) من حديث أنس، دونَ أن ينسبه لأحد. وأورده الغزالي في الإحياء ٣/ ١٢٩ من حديث زيد بن أسلم. قال الحافظ العراقي: «أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح. ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف».

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٤٠)، وابن السني (٤١٨)، والبغوي (٣٦٠٢) وغيره، من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه البغوي. وقال السيوطي في المناهل (١٢٧١): «وأخرجه الطبراني في الثلاثة عن ابن عمر بسند حسن».

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٧/ ١٠٦)، وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص، وصححه الحاكم ٣/ ٤٥ ووافقه الذهبي. وزاد نسبته في المجمع ٦/ ١٦٩ إلى أبي يعلى (٧٥٧)، ، والبزار(١٨٢١) وقال: «ورجالهما ثقات»، وسيعيده المصنف برقم (١٧١٥). (خائنة الأعين): أي يضمر في نفسه غير ما يظهره، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه فقد خان، وإذا كان ظهور تلك الحالة من قبل العين سميت خائنة الأعين (النهاية).

(٥) هو ابن حارثة، صحابي جليل.

فاعلَمْ ـ أكرمكَ اللهُ ـ ولا تَسْتَرِبْ[1] في تَنْزِيهِ النبيّ ـ عليه السلام ـ عن هذا الظاهِرِ وأنْ يأمُرَ زَيْداً بإمساكها وهو يحبُّ تطليقَه إياها ، كما ذُكِر عن جماعةٍ من المفسرين .

١٦٧٦ ـ وأَصَحُّ ما في هذا القول ما حكاه أهل التفسير ، عن عليّ بن الحُسين رضي الله عنهما ، أنّ اللهَ تعالى كان أَعْلَمَ نَبِيَّهُ أَنَّ زَيْنَب ستكون من أزواجه ، فلما شَكَاها إليه زيدٌ قال له : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية [الأحزاب : ٣٧] وأَخْفى في نفسه ما أَعْلَمه اللهُ به من أنه سيتزوَّجُها مما اللهُ مُبْدِيه ومُظْهِره بتمام التَّزْويج وطلاق[2] زَيْدٍ لها[3] .

١٦٧٧ ـ ورَوَى نحوَه عَمْرُو بن فائد ، عن الزّهْري ، قال : نزل جبريلُ على النبيّ ﷺ يُعْلِمه أَنَّ اللهَ يزوّجُهُ زَيْنب بنت جَحْش ؛ فذلك (١٧٩/ب) الذي أَخْفَى في نَفْسه[4] .

ويصحّح هذا قولُ المفسّرين في قوله [تعالى] بعد هذا : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب : ٣٧] أي : لا بُدّ لك أن تتزوَّجَها .

ويوضّحُ هذا أنَّ اللهَ لم يُبْدِ من أمرِهِ معها غَيْرَ زواجِه إياها ، فدلَّ أنه الذي أَخْفَاهُ ـ عليه السلام ـ مِمّا كان أعلمه الله تعالى به .

وقولُه تعالى في آخر هذه القصة في بقية الآيات[5] : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ

---

(١) لا تسترِبْ : لا تشكّ .
(٢) في المطبوع : «وتطليق» .
(٣) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩١) . وصححه القاضي عياض كما ترى . وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وفيه مقال . وقال الحافظ في الفتح ٨/ ٥٢٤ : «وقد أطنب الترمذي الحكيم في تحسين هذه الرواية ، وقال : إنها من جواهر العلم المكنون ، وكأنه لم يقف على تفسير السدي الذي أوردته» .
(٤) أورده السيوطي في المناهل (١٢٧٤) ، ولم يذكر من خرجه .
(٥) في المطبوع : «وقوله تعالى في القصة : ما كان . . . .» .

فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾[1] [الأحزاب: ٣٨].

فدلَّ على أنه لم يكُنْ عليه حَرَجٌ في الأمر.

قال الطَّبَرِيُّ: ما كان اللهُ ليُؤثِمَ نَبِيَّه[2] ـ عليه السلام ـ فيما أَحَلَّ له[3] مِثالَ فِعْلِه لمن قَبْلَه من الرُّسل؛ قال الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [الأحزاب: ٣٨] أي من النبيِّين فيما أُحِلَّ لهم.

١٦٧٨ ـ ولو كان ـ على ما رُوِيَ في حديث قتادة[4] ـ من وقوعِها مِنْ قَلْبِ النبيِّ ﷺ عندما أعجبَتْهُ، ومحبّته طلاقَ زَيْدٍ لها لكان فيه أعظمُ الحَرَجِ، وما لاَ يَليقُ بهِ مِنْ مَدِّه[5] عَيْنَيْه لِمَا نُهِيَ عنه مِنْ زَهْرَةِ الحياةِ الدنيا، ولكان هذا نَفْسَ الحَسَدِ المذمومِ الذي لا يَرْضَاهُ، ولا يتَّسِم[6] به الأتقياءُ، فكيف سيِّدُ المرسلين[7]؟!

قال القُشَيْرِيُّ: وهذا إقدامٌ عظيم مِنْ قائله، وقلّةُ معرفةٍ بحقِّ النبي ﷺ وبفَضْلِه.

وكيف يقال: رآها فأَعجبَتْه؟ وهي: بِنْتُ عمَّته، ولم يَزَلْ يَراها منْذُ وِلدتْ، ولا كان النساءُ يَحْتَجِبْنَ منه ـ عليه السلام ـ قبل النبوة وبعدها، هذا[8] وهو زوَّجها لزَيْد؛ وإنما جعل اللهُ طلاقَ زَيْدٍ لها، وتزويجَ النبيِّ ﷺ إياها؛ لإزالة حُرْمِه التَّبَنّي، وإبطالِ سُنّتِه؛ كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن

---

(١) في المطبوع: «وكان أمر الله مفعولاً»، والتلاوة ما في نسختنا.

(٢) ليؤثم نبيَّهُ: أي يوقعه في إثم وذنب.

(٣) قوله: «له»، لم يرد في المطبوع.

(٤) أخرجه عبد بن حميد في تفسيره (المناهل/ ١٢٧٥). وهي رواية باطلة. انظر تفسير الآية (٣٧) من سورة الأحزاب في صفوة التفاسير للشيخ الصابوني.

(٥) في المطبوع: «مَدّ».

(٦) لا يتّسم: لا يتصف.

(٧) في المطبوع: «الأنبياء».

(٨) قوله: «قبل النبوة وبعدها، هذا»، لم يرد في المطبوع.

رِجَالِكُمْ . . . . ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

ونَحْوُه لابْنِ فُورَك.

وقال أبو الليث السَّمَرْقَنْدِي: فإنْ قيل: فما الفائدة في أَمْرِ النبيِّ ﷺ لزيد بإمساكها؟ فهو: أنّ الله تعالى أعلمَ نبيَّه أنها زَوْجتُه، فنهاهُ النبيُّ [ﷺ] عن طَلاَقِها؛ إذ لم تكُنْ بينهما أُلْفَـةٌ؛ وأخفى في نَفْسه ـ ﷺ ـ ما أعلمهُ اللهُ به، فلما طلَّقها زيـدٌ خَشِيَ النبـي[1] (١٨١/أ) ﷺ[2] قولَ الناسِ: يَـتَـزوّجُ امرأةَ ابْنِه؛ فأمره اللهُ بزَوَاجِها ليُبَاحَ مِثْـلُ ذلك لأُمَّته، كما قال تعالى: ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد قيل: كان أَمْرُهُ لزيدٍ بإمساكها قَمْعاً للشَّهْوَةِ، وردّاً للنفس عن هَوَاها. وهذا القولُ إذا جوّزْنا عليه ـ عليه السلام ـ أنه[3] رآها فجاةً واسْتَحْسنها. فمِثْلُ هذا لا نُكْرَةَ فيه، لما طُبِعَ عليه ابْنُ آدَمَ من استحسانِه الحَسَن، ونَظْرَةُ الفُجَاءة مَعْفوٌّ عنها؛ ثم قمعَ نَفْسَه عنها، وأمر زَيْداً بإمساكها؛ وإنما تُنْكَرُ تلك الزياداتُ التي في القِصَّة. والتعويلُ والأَوْلى ما ذكرناه عن عليّ بن الحُسَين، وحكاهُ السَّمَرْقندي؛ وهو قولُ ابْنِ عطاء، وصحّحه واستحبه[4] القاضي القُشَيْرِي. [وعليه عوَّل أبو بكر بن فُورَك، وقال: إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير؛ قال: والنبيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ عن استعمال النِّفَاق في ذلك، وإظهارِ خلافِ ما في نفسه، وقد نزَّهه اللهُ عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]؛ وقال: ومَنْ ظنَّ ذلك بالنبيّ ﷺ فقد أخطأ.

قال: وليسِ معنى الخَشْيةِ ـ هنا ـ: الخوف؛ وإنما معناه: الاستحياءُ؛ أي: يستحيي منهم أَنْ يقولوا: تزوَّجَ زوجةَ ابنه].

---

(١) كلمة: «النبي»، لم ترد في المطبوع.

(٢) في الأصل زيادة: «بأن يقولوا».

(٣) في الأصل زيادة: «حين».

(٤) في المطبوع: «واستحسنه».

وأن خشيته ـ عليه السلام ـ من الناس كانت من إرجاف[1] المنافقين واليهودِ ، وتشغيبهم[2] على المسلمين بقولهم: تزوّجَ محمد[3] زوجةَ ابْنِه ، بعد نَهْيه عن نِكَاحِ حلائل الأبناء ، كما كان؛ فعتبه الله ـ عز وجل ـ على هذا ، ونزّهَهُ عن الالتفات إليهم فيما أحلَّه له ، كما عتبَه على مُرَاعاة رِضَا أزواجِه في سورة التحريم بقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١] وكذلك قوله له ها هنا: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

١٦٧٩، ١٦٨٠ ـ وقد رُوِيَ عن الحسن البصري[4] وعائشة: لو كتم رسولُ الله ـ ﷺ ـ شيئاً مما نزل عليه[5] كتم هذه الآية[6] لما فيها من عَتْبِه وإبداء ما أخفاه.

فصل

[في شَرْحِ حَدِيْثِ الوَصِيَّةِ في مَرَضِهِ ﷺ][7]

١٦٨١ ـ فإنْ قلت: قد تقررتْ عصمتُه ـ عليه السلام ـ في جميع أقواله وأحواله[8]، وأنه لا يصحُّ منه فيها خُلْفٌ[9] ولا اضطرابٌ ، في عَمْدٍ

---

(١) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(٢) التشغيب: تهييج الشر وإحداث الجلبة والفتن.

(٣) قوله: «محمد»، لم يرد في المطبوع.

(٤) قوله: «البصري»، لم يرد في المطبوع.

(٥) قوله: «مما نزل عليه»، لم يرد في المطبوع.

(٦) حديث عائشة أخرجه مسلم في الإيمان (١٧٧/ ٢٨٨) والترمذي (٣٢٠٨). وأخرجه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس. وقال الحافظ في الفتح ١٣/ ٤١١: «واقتصر عياض في الشفا على نسبتها ـ أي روايتنا هذه ـ إلى عائشة والحسن البصري. وأغفل حديث أنس هذا وهو عند البخاري».

(٧) ما بين حاصرتين من عندي.

(٨) في المطبوع: «في أقواله في جميع أحواله».

(٩) خلف: أي مخالف للواقع.

ولا سَهْـو ، ولا صحـةٍ ولا مَـرَضٍ ، ولا جِـدّ ولا مـزح[1]، ولا رِضـاً ولا غضَب. ولكن ما معنى الحديث في وصيته ـ عليه السلام ـ الذي حدثنا به[2] القاضي الشهيد أبو عليّ رحمَه الله؛ [قال]: حدثنا القاضي أبو الوليد، حدثنا أبو ذرّ، حدثنا أبو محمد، وأبو الهَيْثَم، وأبو إسحاق؛ قالوا: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرزاق (١٨١/ب) [بن هَمَّامٍ]، حدثنا مَعْمَر، عن الزّهري، عن عُبيد الله[3] بن عبد الله، عن ابن عباس؛ قال: لما حُضِر رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجالٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «**هَلُّموا أكتُبْ لكم كِتاباً لن تضِلُّوا بعده**»[4].

فقال بعضُهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد غلَبَهُ الوَجَعُ... الحديث.

١٦٨٢ ـ وفي روايةٍ: «**ائتوني أكتبْ لكم كتاباً لن تَضِلُّوا بعدي أبداً**» فتنازعوا، فقالوا: مالَهُ؟ أهَجَرَ؟! استَفْهِموه؛ فقال: «**دعُوني، فإنَّ الذي أنا فيه خيرٌ**»[5].

١٦٨٣ ـ وفي بعض طُرُقه: إنَّ النبيَّ ﷺ يَهْجُرُ[6]؟

١٦٨٤ ـ وفي رواية: هَجَرَ[7]. ويُرْوى: أَهُجْرٌ؟ ويروى: أَهُجْراً؟[8].

---

(١) في المطبوع: «ولا هزل».

(٢) في الأصل: «بها»، والمثبت من المطبوع.

(٣) في الأصل: «عبد الله»، وهو تحريف.

(٤) أسنده المصنف من طريق محمد بن إسماعيل البخاري (٤٤٣٢)، وأخرجه أيضاً مسلم (١٦٣٧/ ٢٢) من طريق عبد الرزاق، به. (حُضِر): أي حضرهُ الموت.

(٥) أخرجه البخاري (٣١٦٨، ٤٤٣١)، ومسلم (١٦٣٧/ ٢٠). (أهَجَرَ) سيشرحها المصنف بعد قليل.
(استفهموه): أي استفهموا مَنْ توقَّف في امتثال أمره ﷺ بالكتابة، أي: أيصدر عنه هُجْرٌ، وهو الهذيانُ وما يقبح من القول؟ وقيل: استخبروا النبي ﷺ عما أرادَ، افِعْلُهُ أَوْلَىٰ أم تَرْكُهُ؟.
(دعوني): أي اتركوا النزاع عندي.

(٦) أخرجه مسلم (١٦٣٧/ ٢١). قال الخفاجي: «وهو علىٰ تقدير الاستفهام الإنكاري».

(٧) أخرجه البخاري (٣٠٥٣).

(٨) هي رواية أبي إسحاق المستملي كما سيذكر المصنف بعد قليل. وانظر الفتح (٨/ ١٣٣).

١٦٨٥ ـ وفيه: فقال عُمر: إنَّ النبيَّ ﷺ قد اشْتدَّ به الوَجَع، وعندنا كتابُ اللهِ، حَسْبُنا. وكَثُر اللَّغَطُ؛ فقال: «قومُوا عني»[١].

١٦٨٦ ـ وفي روايةٍ: واختلفَ أهلُ البيتِ واختصموا؛ فمنهم مَنْ يقولُ: قَرِّبوا له[٢] يكتبْ لكم رسولُ اللهِ ﷺ كتاباً. ومنهم مَنْ يقول ما قال عُمَر[٣].

قال أئمتُنا في هذا الحديث: النبيُّ ـ ﷺ ـ غَيْرُ معصومٍ من الأمراض، وما يكونُ مِنْ عَوارضها من شدَّةِ وَجَع، وغَشْي، ونحوه مما يطرأ على جِسمه، معصومٌ أَنْ يكونَ منه من القَوْل أثناءَ ذلك ما يَطْعَنُ في مُعْجِزَتِهِ، ويؤدِّي إلى فسادٍ في شريعته من هَذَيان، أو اختلالٍ في كلامٍ[٤].

وعلى هذا لا يَصحُّ ظاهِرُ روايةِ مَنْ رَوَى في الحديث: «هَجَر» إذ معناه: هَذَى. يقال: هَجَر هُجْراً، إذا هَذى. وأهْجَرَ هُجْراً: إذا أفْحش؛ وأهْجَرَ: تَعْدِيَةُ هَجَر؛ وإنما الأَصَحُّ والأَوْلَى: «أَهَجَرَ؟» على طريق الإنكار على مَنْ قال: لا يَكْتبُ[٥]...

١٦٨٧ ـ وهكذا (١٨٠/أ) روايتُنا فيه في «صحيح البخاري» من رواية جميع الرُّوَاة في حديث الزّهري المتقدم[٦].

١٦٨٨ ـ وفي حديث محمد بن سَلاَم، عن ابن عُيَيْنَةَ[٧]، وكذا ضَبَطَهُ الأَصِيْليُّ بخطّه في كتابه، وغَيْرُه مِنْ هذه الطرق.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤). (اللَّغَطُ): صوت وضجة لا يفهم معناها (النهاية).

(٢) كلمة «له» ليست في المطبوع. ولم ترد في رواية البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٦٦)، ومسلم (١٦٣٧/ ٢٢).

(٤) في المطبوع: «واختلال كلام».

(٥) في المطبوع: «لا نكتب».

(٦) يعني برقم (١٦٨١). وليس في حديث الزهري في البخاري ومسلم ذكر لكلمة «أَهَجَرَ» أو غيرها من الروايات.

(٧) حديث محمد بن سلام، عن سفيان بن عيينة، أخرجه البخاري (٣١٦٨) وفيه: «أَهَجَرَ؟». وفي المطبوع: «عن عُيَيْنَةَ»، وهو غلط.

١٦٨٩ ـ وكذا روَيْناه عن مسلم في حديث سُفْيان[١] ، وعن غيره .

وقد تُحْمَلُ عليه روايةُ مَنْ رَوَاهُ «هَجَرَ؟» على حذْفِ أَلِف الاستفهام؛ والتقديرُ : «أهَجَر؟» [أ]و أنْ يُحْمَلَ قولُ القائل : «هَجَر» أو «أَهْجَرَ» دهشةً مِنْ قائل ذلك ، وحيرةً لعظيم ما شاهَدَ مِنْ حالِ الرسولِ ﷺ ، وشِدَّة وَجَعِهِ؛ وهَوْل[٢] المقام الذي اختُلِف فيه عليه ، والأمْرِ الذي هَمَّ بالكتَاب فيه ، حتى لم يَضْبط هذا القائلُ لفظَه ، وأجْرَىٰ الهُجْرَ مُجْرَى شِدَّةِ الوَجع؛ لا أنَّه[٣] اعتقد أنه يجوزُ عليه الهُجْرُ ، كما حملهم الإشفاقُ على حِرَاستِهِ؛ والله [تعالى] يقولُ : ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة : ٦٧] ، ونحو هذا .

١٦٩٠ ـ وأمّا على رواية : «أَهْجْراً» وهي[٤] روايةُ أبي إسحاق المُسْتَمْلي في الصحيح في حديث ابن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، من رواية قُتَيْبَـةَ[٥] ـ فقد يكون هذا رَاجعاً إلى المختلفينَ عنده ﷺ ، ومخاطبةً لهم من بعضهم لبعض؛ أي جئتم باختلافكم على رسولِ الله ﷺ وبين يَدَيْه ـ هُجْراً ومُنْكَراً من القول؟ .

والهُجْرُ : بضم الهاء : الفُحْش في المَنْطق .

وقد اختلف العلماءُ في معنى هذا الحديث اختلافاً كثيراً[٦] ، وكيف اختلف الصحابة بعد أمْرِه[٧] لهم ـ عليه السلام ـ أنْ يَأْتوه بالكتاب ، فقال بعضُهم : أوَامِرُ النبيِّ ﷺ يُـفْهم إِيجابُهـا ، مِنْ نَـدْبِهـا ، مِنْ[٨] إباحتهـا بقـرائن[٩] ،

---

(١) حديث سفيان بن عيينة عند مسلم (١٦٣٧/ ٢٠) وفيه : «أَهَجَرَ؟» . ورجّح هذه الرواية الحافظ في الفتح (٨/ ١٣٣) .
(٢) في المطبوع : «وَهُوَ» .
(٣) في الأصل : «لأنه» ، والمثبت من المطبوع .
(٤) في الأصل : «وهو» ، والمثبت من المطبوع .
(٥) رواية قتيبة ، أخرجها البخاري (٤٤٣١) وفيها : «أَهَجَرَ؟» .
(٦) قوله : «اختلافا كثيرا» ، لم يرد في المطبوع .
(٧) في المطبوع : «وكيف اختلفوا بعد أمره» .
(٨) في الأصل : «ومن» ، والمثبت من المطبوع .
(٩) في الأصل زيادة : «الأفعال» .

فلعله[1] قد ظهر مِنْ قرائن قوله ـ عليه السلام ـ لبعضهم ما فهمُوا أنه لم يكُنْ منه عَزْمةٌ ، بل أمْرٌ ردَّهُ إلى اختبارهم أو اختيارهم عند مَوْتِهِ وبعضُهم[2] لم يَفْهم ذلك ، فقال: استَفْهِمُوهُ ، فلما اختلفوا كفَّ عنه ، إذ لم يكن عَزْمة ، ولِمَا رأوْهُ مِنْ صوابِ رأي عُمَر.

ثم هؤلاء قالوا: ويكون امتناعُ عُمر إمَّا إشفاقاً على النبيّ ﷺ مِنْ تكليفه في تلك الحال إملاءَ الكتاب ، (١٨٠/ب) وأن[3] تدخُلَ عليه مشقّةٌ من ذلك ، كما قال: إن النبيّ ﷺ اشتدَّ به الوَجَعُ.

وقيل: خَشِيَ عُمَرُ أنْ يكتبَ أُموراً يعجزون عنها فيحصلونُ في الْحَرَج بالمخالفةِ ، ورأى أن الأَرْفق بالأمةِ في تلك الأمور سعَةُ الاجتهاد ، وحكْمُ النظر ، وطلبُ الصواب؛ فيكونُ المصيبُ والمخطىء مَأْجوراً.

وقد عَلِمَ عُمَرُ تَقَرُّرَ الشَّرْع ، وتأْسيسَ المِلّةِ ، وأنّ الله [تعالى] قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

١٦٩١ ـ وقوله عليه السلام: «**أُوصِيكم بكتَابِ الله وعِتْرَتي**»[4].

وقولُ عُمر: «حَسبُنا كتاب الله» ردٌّ عَلَى من نازَعه ، لا عَلَى أمْرِ النبيّ ﷺ.

وقد قيل: إنَّ عُمر خشي تطرُّقَ المنافقين ومَنْ في قلوبهم[5] مَرَضٌ لِمَا كُتِبَ في ذلك الكتاب في الخَلْوَةِ ، وأن يتقوّلوا في ذلك الأقاويل ، كادِّعاءِ الرافضة الوصيةَ لعليّ[6] وغير ذلك.

---

(١) في الأصل: «فلعل» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «بل أمر رده إلى اختيارهم ، وبعضهم...».

(٣) في المطبوع: «أوْ أن».

(٤) عزاه السيوطي في المناهل (١٢٧٨) إلى الطبراني وغيره من طرق. قلت: معناه عند مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم. (عترتي): أي أهل بيتي ، والمراد: أقاربُهُ من عشيرته وأهل بيته من أزواجه وذريته/ قاله القاري.

(٥) في المطبوع: «قلبه».

(٦) قوله: «لعلي» ، لم يرد في المطبوع.

وقيل: إنه كان من النبيّ ﷺ [لهم] على طريق المَشُورة والاختبار[1]. هل يتفقون على ذلك أم يختلفون؟ فلما اختلفوا تركه.

وقالت[2] طائفة أُخرى: إنَّ معنى الحديث أَنَّ النبي - ﷺ - كان مُجيباً في هذا الكتاب لِمَا طُلبَ منه؛ لا أَنَّه ابتدأ بالأمر به؛ بل اقتضاهُ منه بَعْضُ أصحابِه؛ فأجاب رَغْبَتَهم، وكره ذلك غيرُهم لِلْعِلَل التي ذكرناها.

١٦٩٢ ـ واستُدِلَّ في مثل هذه القضية[3] بقولِ العباسِ لعليّ بن أبي طالبٍ: انْطَلِقْ بنا إلى رسولِ الله ﷺ؛ فإنْ كان الأمْرُ فينا عَلِمْنَاهُ؛ وكراهةِ عليٍّ هذا، وقولِه: واللهِ! لا أفعل... الحديث[4].

١٦٩٣ ـ واستدلّ بقوله: «دَعُوني؛ فإن الذي أَنا فيه خير»[5] أي: الذي أنا فيه خيرٌ من إِرسالِ الأَمْر، وتَرْكِكم وكتابَ الله، وأنْ تَدَعوني مِمَّا طلبْتُم.

وذُكِر أنّ الذي طُلِبَ كتابـهُ أَمْر الخلافةِ بَعْدَه، وتعيينُ ذلك.

فصل

[فِيْ شَرْحِ حَدِيثِ: أَيُّما مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا كَفَّارةً، وأحاديثَ أُخَرَ][6]

١٦٩٤ ـ فإن قيل: فما وَجْه حديثه أيضاً الذي حدثنا به الفقيه أبو محمد الخُشَني بقراءتي عليه، حدثنا أبو علي الطَّبَري، حدثنا عبد الغافر الفارسي، حدثنا أبو أحمد الجُلُودي؛ [قال]: حدثنا إبراهيم بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا قُتَيبة، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سَعِيد، عن سالم

---

(١) في المطبوع: «والاختيار».
(٢) في الأصل: «وقال»، والمثبت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «القصة».
(٤) أخرجه البخاري (٤٤٤٧) من حديث ابن عباس.
(٥) تقدم برقم (١٦٨٢) من حديث ابن عباس.
(٦) ما بين حاصرتين من عندي.

مَوْلى النَّصْرِيِّين؛ قال: سمعت أبا هُرَيرة يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اللّهُم! إنما مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كما يَغضَبُ البَشَر، وإني قد اتَّخَذْتُ عندكَ عَهْداً لن تُخْلِفَنيه، فأَيُّما مؤمنٍ آذيتهُ، أو سَبَبْتُهُ، أو جَلَدْتُه، فاجعلها له كفّارةً وقُرْبةً، تُقَرِّبُه بها إليكَ يومَ القيامة»[1] (١٨٢/أ).

١٦٩٥ ـ وفي رواية: «فأيُّما أحدٍ دعوتُ عليه دَعوةً»[2].

١٦٩٦ ـ وفي رواية: «ليس لها بأَهْلٍ»[3].

١٦٩٧ ـ وفي رواية: «فأَيُّما رجُلٍ من المسلمين سَبَبْتُه، أو لعَنْتُه، أو جلدْتُه، فاجعلها له زكاةً، وصلاة، ورحمةً»[4].

وكيفَ يصحُّ أنْ يَلْعَنَ النبيُّ ـ ﷺ ـ مَنْ لا يستحقُّ اللَّعْنَ، ويَسبُّ مَنْ لا يستحقُّ السبَّ، ويجلدُ مَنْ لا يستحقُّ الجَلْدَ، أو يفعَلُ مثل ذلك عند الغَضَب، وهو معصومٌ من هذا[5] كلِّه؟.

فاعلَمْ ـ شرح اللهُ صَدْرك ـ أنَّ قوله [ﷺ] أولاً: «ليس لها بأَهْلٍ»؛ أيْ: عندك يا ربّ في باطن أمره؛ فإنَّ حُكْمَهُ ـ عليه السلام ـ على الظاهر، كما قال، ولِلحِكْمَةِ التي ذَكَرْنَاها، فحَكَم ـ عليه السلام ـ بجلْدِه، أو أَدَّبه بسبِّه، أو لَعْنِهِ، بما اقتضاهُ عنده حالُ ظاهِره؛ ثم دعا عليه الصلاة والسلام لشَفَقَتِه ﷺ على أُمّته، ورحمته لهم، ورأفته عليهم التي وصفَهُ اللهُ بها[6]، وحَذَرِه أن يتقبَّلَ [اللهُ] فيمَنْ دَعَا عليه دعْوتَه ـ أَنْ يجعلَ دعاءَه ولَعْنَهُ وسبَّه[7] له رحمة؛ فهو معنى قوله: «ليس لها بأهل»؛ لا أنه ـ عليه السلام ـ يحمله الغضَبُ، ويستفزُّه

---

(١) أسنده المصنف من طريق مسلم (٢٦٠١/ ٩١)، وأخرجه البخاري (٦٣٦١) مختصراً.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٣) من حديث أنس بن مالك.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠٣) من حديث أنس بن مالك.
(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠١/ ٨٩) من حديث أبي هريرة.
(٥) في المطبوع: «عن هذا».
(٦) في المطبوع: «لشفقته على أمته ورأفته، ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها...».
(٧) قوله: «وسَبَّه»، لم يرد في المطبوع.

الضّجر لأَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ هذا بمَنْ لا يستحقُّه مِنْ مُسْلم.

وهذا معنًى صحيح، ولا يُـفْهَم من قوله: «أَغْضَبُ كما يَغْضَبُ البَشَر» أنَّ الغَضبَ حملَه على ما لايجبُ [فعْلُه]؛ بل يجوزُ أَن يكونَ المرادُ بهذا أَنَّ الغَضَبَ لله حمَلَهُ على معاقَبتهِ بلَعْنِه[1] أَو سبِّه؛ وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفْوُه عنه، أو كان مما خُيِّر بين المعاقبةِ فيه أو العَفْوِ عنه.

وقد يَحْتمل أنه خرج منه ذلك، بمخْرَجِ الإشفاق[2] وتعليم أُمتهِ الخوفَ والحذَرَ مِنْ تَعَدِّي[3] حُدُودِ الله [تعالى].

وقد يُحْمَل ما وردَ من دُعائه هذا[4]، ومن دعواته على غير واحدٍ في غير مَوْطن، على غير العَقْدِ[5] والقَصْد؛ بل بما جرت به عادةُ العرب؛ وليس المراد بها الإجابة.

١٦٩٨ ـ كقوله عليه السلام: «تَرِبَتْ يَمِيْنُك»[6].

١٦٩٩ ـ و«لا أَشْبَع الله بَطْنَك»[7].

١٧٠٠ ـ و«عَقْرىٰ حَلْقَىٰ»[8]. وغيرها من دعواته عليه السلام.

---

(١) في الأصل: «بلغته»، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «وقد يحمل على أنه خرج مخرج الإشقاق..».

(٣) في الأصل: «ممن تعرَّىٰ»، والمثبت من المطبوع.

(٤) في المطبوع: «هنا».

(٥) (العقد): أي العزم وتصميم القلب.

(٦) أخرجه أحمد ٣/ ٨١، وأبو يعلىٰ (١٠١٢) مكرر، والبزار (١٤٠٣) كشف الأستار من حديث الخدري. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٤: «ورجاله ثقات». وأخرجه البخاري (١٣٠) من حديث زينب بنت أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال ذلك لأمّ سَلَمَةَ. وأخرجه مسلم (٣١٠) من حديث أنس، وفيه قوله ﷺ لعائشة: «بل أنتِ فتربتْ يمينُكِ...» وانظر جامع الأصول ٧/ ٢٧٦.

(٧) قاله ﷺ لمعاوية، كما أخرجه مسلم (٢٦٠٤) من حديث ابن عباس بلفظ ـ: «لا أشبع الله بطنه».

(٨) قاله ﷺ لصفية أم المؤمنين كما أخرجه البخاري (١٥٦١)، ومسلم (١٢١١/١٢٨) من حديث عائشة. (عَقْرىٰ): أي عقرها الله، وأصابها بعَقْرٍ في جسدها، (حَلقىٰ): يعني =

١٧٠١ ـ وقد وَرَد في صِفتِه ـ في غير حديثٍ ـ أنه عليه السلام لم يَكُنْ فحّاشا[١].

١٧٠٢ ـ وقال أنَس: لم يكن سبّاباً ، ولا فاحشا[٢] ، ولا لعّاناً؛ وكان يقول لأحدنا عند المَعْتَبَةِ: «مالَهُ تَرِبَ جَبِينُه؟»[٣].

فيكون حَمْلُ الحديث على هذا المعنى؛ ثم أَشْفَقَ ـ عليه السلام ـ مِن مُوافَقَةِ أَمثالها إجابةً ، فعاهد ربّه ، كما قال في الحديث ، أَنْ يجعلَ ذَلِكَ للمقُولِ له[٤] زَكاةً ، ورَحْمَةً ، وقُرْبَةً.

وقد يكون ذلك إشفاقاً على المدعُوِّ عليه ، وتأْنيساً له؛ لئلا يَلْحقَه من استشعارِ الخوف والحذَر من لَعْن[٥] النبيِّ ﷺ ، وتقبُّل دعائه ، ما يحمِله[٦] على اليَأْسِ والقُنوط من رحمة الله[٧].

وقد يكون ذلك سُؤَالاً مِنه لربّه ـ عز وجل ـ لمَنْ جلدَه ، أو سبّه على حَقٍّ ، وبوجْهٍ صحيح أَن يجعلَ ذلك لَهُ كفّارةً لِمَا أَصابَه ، وتَمْحِيةً لما اجترم[٨]، وأن يكون ذلك عقوبتُه له في الدنيا سببَ العَفْوِ والغُفْران.

= أصابها وجعٌ في حلقها خاصة ، وظاهره الدعاء عليها ، وليس بدعاء في الحقيقة ، وهو في مذهبهم معروف . . .

(١) تقدم برقم ١/٣٧٤ .

(٢) في الأصل زيادة: «ولا فحاشاً» ، وهي ليست في المطبوع. وقد أخرج البخاري هذا الحديث في موضعين: الأول برقم (٦٠٣١) وفيه: «ولا فحاشاً» ، والثاني برقم (٦٠٤٦) وفيه: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً».

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣١ ، ٦٠٤٦). (المَعْتِبَة): المَوْجدةُ والغضب (جامع الأصول ١٠/ ٧٦٠). (ترب جبينه): خرّ لوجهه فأصاب التراب جبينه ، وهي كلمة تجري على اللسان ولا يُراد حقيقتها. انظر الفتح (٤٥٣/١٠).

(٤) قوله: «له» ، لم يرد في المطبوع.

(٥) في الأصل: «أمْرِ»: والمثبت من المطبوع.

(٦) في الأصل: «وتقبل دعائه بالجملة» ، والمثبت من المطبوع.

(٧) قوله: «من رحمة الله» ، لم يرد في المطبوع.

(٨) اجترم: فعل واكتسب.

١٧٠٣ ـ كما جاء في الحديث الآخر: «ومَنْ أَصاب من ذلك شيئاً فعُوقِبَ به [في الدنيا] فهو كفّارةٌ له»[١].

١٧٠٤ ـ فإنْ قلتَ: فما معنى حديث الزُّبير وقولِ النبيِّ ﷺ ـ حين تَخاصُمِه مع الأَنصاريّ في شِرَاج الحَرَّة ـ: «اسْقِ يا زُبَيْرُ! حتى يبلُغَ الماء[٢] الكعبين». فقال له الأنصاري: أَنْ كان ابْنَ عَمّتك، يا رسول الله! فتلوَّن وَجْهُ النبيِّ ﷺ؛ ثم قال: «اسْقِ يا زُبَيْرُ! ثم احبِسْ حتى يبلُغَ الجَدْرَ...» الحديث[٣].

فالجوابُ أَنَّ النبيَّ ﷺ مُنَزَّهٌ أن يقَعَ بنَفْس مُسلمٍ منه في هذه القصة أَمْرٌ يُريب؛ ولكنه ﷺ ندبَ الزُّبَيْرَ أولاً إلى الاقتصار على بعض حَقِّه على طريق التّوسط، والصُّلْح، فلمَّا لم يَرْضَ بذلك الآخَرُ، ولَجَّ[٤]، وقال ما لا يجبُ، استوفى النبيُّ ﷺ للزُّبَيْر حقّه.

ولهذا ترجَمَ البُخَاري على هذا الحديث (١٨٣/أ): بابٌ: إذا أَشار الإمامُ بالصُّلْح فأَبى حَكَم عليه بالحُكْمِ [البيِّن][٥].

١٧٠٥ ـ وذكر في آخر الحديث: فاستَوْعى رَسُولُ الله ﷺ حينئذٍ للزُّبير حقَّه[٦].

وقد جعل المسلمون هذا الحديثَ أصْلاً في قضيّته.

١٧٠٦ ـ وفيه الاقتداءُ به ﷺ في كلِّ ما فعله في حالِ غَضَبِه ورِضَاه، وأنه

---

(١) أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت. (ومن أصاب من ذلك): أي من الأمور التي أخذ رسول الله ﷺ البيعة بتركها، كالزنىٰ والسرقة وغير ذلك.

(٢) كلمة: «الماء» لم تر د في المطبوع.

(٣) متفق عليه، وقد تقدم برقم (١٥٧٩). (شِراج الحَرَّة): شراج: جمع شَرْجة، وهي سيل الماء من الحَزْنِ إلى السهل. (الحَرَّةُ): الأرض ذات الحجارة السود النخرة. (الجدر): وتروىٰ بالذال المعجمة، تقدم شرحها عند الحديث المتقدم برقم (١٥٧٩).

(٤) لَجَّ: تمادىٰ في الخصومة (المعجم الوسيط).

(٥) زيادة من البخاري (الفتح ٥/٣٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٠٨). (فاستوعىٰ للزبير حقه) أي: استوفاه واستكمله.

ـ وإن نَهَى أن يَقْضِيَ القاضي وهو غَضْبَان[1] ـ فإنه في حكمه في حال الغَضَب والرِّضَا سواء، لكونه فيهما معصوماً. وغضَبُ النبيّ ﷺ في هذا إنما كان لله تعالى لا لِنَفْسِهِ، كما جاء في الحديث الصحيح[2].

١٧٠٧ ـ وكذلك الحديث في إقادته عُكَّاشَةَ[3] من نَفْسه لم يكن لِتَعَدِّ حَمَلَهُ الغضَبُ[4] عليه؛ بل وقع في الحديث نفسه أن عُكَاشَة قال له: وضَرَبْتَنِي بالقَضِيب، فلا أَدْرِي أعمداً، أم أردْتَ ضَرْبَ الناقة؟ فقال النبيُّ ﷺ: **«أُعِيذُكَ بالله، يا عُكَّاشَةُ! أن يتعمَّدكَ رسول الله ﷺ»**[5].

١٧٠٨ ـ وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابيّ حين طلب ـ عليه السلام ـ الاقتصاصَ منه، فقال الأعرابيُّ: قد عَفَوْتُ عنك. وكان النبي ﷺ قد ضربه بالسَّوْطِ لتَعَلُّقِه بزمام ناقته مرةً بعد مرة[6]، والنبي ﷺ يَنْهاهُ ويقول له: **«تُدْرِكُ حاجتَك»** وهو يَأْبىٰ؛ فضربه ـ عليه السلام ـ بعد أَنْ نهاهُ ثلاثَ مرات[7].

وهذا منه ـ عليه السلام ـ لِمَنْ لم يَقِفْ عند نَهْيه صوابٌ، وموضِعُ أَدَبٍ، لكنه ـ عليه السلام ـ أَشفق إذ كان حقَّ نَفْسه من الأَمْرِ حتى عَفَا عنه.

١٧٠٩ ـ وأمّا حديثُ سَوَاد بن عَمْرو: أتيتُ النبيَّ ـ ﷺ ـ وأنا مُتَخَلِّقٌ فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٨)، ومسلم (١٧١٧) من حديث أبي بَكْرَةَ.

(٢) كلمة: «الصحيح»، لم ترد في المطبوع.

(٣) (عُكاشة) يروىٰ بتشديد الكاف المفتوحة وتخفيفها. ابن مِحْصَن ـ بوزن مِنْبَر. صحابي شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وقتل شهيداً في حروب الردة سنة (١٢)هـ. وليس في الصحابة من اسمه «عُكاشة» غيره، لذلك ترجمه الحافظ البرديجي في طبقات الأسماء المفردة، وهو مطبوع في دار المأمون للتراث بتحقيقي.

(٤) في الأصل: لتعمد الغضب، والمثبت من المطبوع.

(٥) فقرة من حديث الوفاة الطويل ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٦ ـ ٣١ من حديث جابر وابن عباس، وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب وضَّاع». وأورده أيضاً ابن الجوزي في الموضوعات.

(٦) في المطبوع: «أخرىٰ».

(٧) «أَنْ نهاهُ»: لم ترد في المطبوع، والحديث أورده السيوطي في المناهل (١٢٨٩)، ولم يذكر من خرَّجه.

[عليه الصلاة والسلام]: «وَرْسٌ! وَرْسٌ! حُطَّ، حُطَّ» وغَشِيني بقَضِيب كان[1] في يَده في بَطْني فأوجعني. قلت: القصاصَ، يا رسولَ الله! فكشف لي عن بَطنِه - ﷺ - فأبيتُ القصاصَ[2].

وإنما كان[3] ضربه - عليه السلام - لمُنْكَرٍ رآهُ به؛ ولعلّه لم يُرِدْ بضَرْبه بالقضيب (١٨٣/ب) إلاّ تَنبِيْهَهُ، فلما كان منه إيجاعٌ لم يقْصِدْهُ طلب التحلّل منه على ما قدمناه[4].

فصل

[فِيْ أَنَّ عَامَّةَ أَفْعَالِهِ ﷺ سَدَادٌ وَصَوَابٌ، والرَّدُّ علىٰ بَعْضِ الشُّبَهِ][5]

وأَمَّا أفعالُه - عليه السلام - الدُّنْيَوِيّة فحُكْمُه فيها مِنْ تَوَقِّي المَعَاصي والمكروهات ما [قد] قدمناه، ومن جوازِ السَّهْوِ والغلطِ في بعضها ما ذكرناه.

وكلُّه غَيْرُ قادحٍ في نبوته عليه السلام. بلى، إن هذا فيها على النُّدور؛ إذ عامّةُ أفعالِه على السَّدَّاد والصواب، بل أكثرُها أو كلُّها جاريةٌ مَجْرَى العباداتِ والقُرَب على ما بيَّنّا؛ إذ كان - عليه السلام - لا يأخُذُ منها لنَفْسِه إلا ضرورَته[6]، وما يُقيم به رَمَقَ[7] جسمِه، وفيه مصلحة ذاتِه التي بها يَعْبُدُ ربَّه، ويُقِيم شريعتَه، ويَسُوسُ أُمّته، وما كان فيها[8] بينه وبين الناس من ذلك فبَيْنَ معروفٍ

---

(١) قوله: «كان»، لم يرد في المطبوع.

(٢) قوله: «فأبيت القصاص»، لم يرد في المطبوع.

(٣) قوله: «كان»، لم يرد في المطبوع.

(٤) أخرجه البغوي في معجم الصحابة، وأخرجه ابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن، قال: كان سواد بن عمرو يتخلَّقُ فذكره (المناهل/ ١٢٩٠). (مُتخلّقٌ) أي: متطيّبٌ بالخَلُوقِ، وهو ضرب من الطيب، وإنما نهي عنه لأنه من طيب النساء. (وَرْس): نَبْتٌ أصفر يصبغ به. (غشيني): ضربني. (حُطَّ حُطَّ): أي ضَعْ عنك هذا.

(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

(٦) في الأصل: «ضرورة»، والمثبت من المطبوع.

(٧) الرَّمَق: بقية الروح وآخِر النَّفَسِ. (النهاية). ومن الأغلاط الشائعة قولهم: ليس عنده ما يسد الرمق، والصواب: ليس عنده ما يمسك الرمق، لأنه يموت إذا سُدَّ رَمَقُهُ.

(٨) في المطبوع: «فيما».

يصْنَعه[1] ، أو بِرٍّ يوسِّعُه ، أو كلامٍ حسَنٍ يقولُه أو يَسْمَعُه ، أو تألُّف شارِدٍ ، أو قَهْرِ مُعَانِدٍ ، أو مُدَاراةِ حاسدٍ؛ وكلُّ هذا لاحِقٌ بصالح أعمالِه عليه السلام ، مُنتظِم في زَاكِي وظائفِ عِبَاداته؛ وقد كان يُخَالِفُ في أفعالِه الدنيوية بحسبِ اختلاف الأحوالِ ، ويُعِدّ للأُمور أشباهها ، فيركَب في تصرُّفه ـ لمَا قرُبَ ـ الحمارَ ، وفي أسفاره البعيدة[2] الراحِلَةَ ، ويركبُ البَغْلَةَ في معارِكِ الحَرْب ، دليلاً على الثبات ، ويركبُ الخَيْلَ ويُعِدُّها ليوم الفَزَعِ وإجابة الصارخ.

وكذلك في لباسِه وسائرِ أحوالِه بحسَبِ اعتبار مصَالحِه ، ومصالح أُمَّتِه.

وكذلك يَفْعَلُ الفِعْلَ من أُمورِ الدنيا ، مساعدةً لأُمَّتِه ، وسياسةً وكراهيةً لخِلاَفِها ، وإن كان قد يرى غَيْرَه خيراً منه ، كما يَتْرُكُ الفِعْلَ أبداً[3] ؛ وقد يرى فِعلَه خيراً منه. وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما لهُ الخِيَرَةُ في أحَدِ وَجْهيه ، كخروجه من المدينة لأُحُدٍ ، وكان مذهبُه التحصُّنَ بها.

١٧١٠ ـ وتَرْكه قَتْلَ المنافقين ، وهو على يقين من أمْرهم مؤالفَةً لغيرهم ، ورعايةً للمؤمنين من قَرَابتهم ، وكراهةً لأَنْ يقول الناس: (١٨٤/أ) إن محمداً يقتلُ أَصحابَه؛ كما جاء في الحديث[4].

١٧١١ ـ وتَرْكه بناءَ الكعبةِ على قواعد إبراهيم ، مراعاةً لقلوب قُرَيش ، وتعظيمهم لتغييرها ، وحذَراً من نِفَارِ قلوبهم لذلك ، وتحريكِ متقدّم عَدَاوتهم للدِّينِ وأهْله؛ فقال لعائشة في الحديث الصحيح: **«لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكُفْر لأتمَمْتُ البيتَ على قواعدِ إبراهيم»**[5].

---

(١) في الأصل: «يضعه» ، والمثبت من المطبوع.
(٢) ليست في المطبوع.
(٣) في المطبوع: «لهذا».
(٤) تقدم برقم (١٧٧) ، وسيأتي برقم (١٧٨١) و(١٧٨٣).
(٥) أخرجه البخاري (١٥٨٥) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة. (حِدْثانُ الشيء): أوله ، والمراد به: قرب عهدهم بالجاهلية ، وأن الإسلام لم يتمكَّن بعْد (جامع الأصول ٩/ ٢٩٩).

١٧١٢ ـ ويفعلُ الفِعْلَ ثم يتركه؛ لكَونِ غيرِه خيراً مِنْهُ؛ كانتقالِه من أَدْنى مِيَاهِ بَدْرٍ إلى أقربها للعدوّ من قريش[١].

١٧١٣ ـ وقوله: «لو استقبلْتُ من أَمري ما استَدْبَرْتُ ما سُقْتُ الهَدْيَ»[٢].

ويبسطُ وَجْهه للعدوّ الكافر[٣] رجاءَ استئلافه[٤].

١٧١٤ ـ ويصبر للجاهل، ويقول: «إنَّ مِنْ شِرَارِ الناسِ مَن اتَّقَاهُ الناس لِشَرِّهِ»[٥]. ويبذلُ له الرغائب[٦] ليحبِّبَ إليه شريعتَه ودِيْنَ ربِّه.

ويتولّى في مَنْزله ما يتولّى الخادِمُ مِنْ مِهْنَتِه، وَيَتَسَمَّتُ[٧] في مَلَئِه[٨]، حتى لا يبدو منه شيءٌ من أطرافه، وحتى كأن على رؤوس جُلسائه الطير؛ ويتحدث مع جلسائه بحديث أَوَّلِهم، ويتعجّبُ مما يتعجبون منه، ويضحكُ مما يضحكون منه؛ قد وَسِعَ الناسَ بِشْرُهُ وعَدْلُه، لا يستفزُّهُ الغَضَبُ، ولا يُقصِّر عن الحقّ، ولا يُبْطِنُ على جلسائه.

١٧١٥ ـ يقول: «ما كانَ لنبيٍّ أن تَكُونَ له خائنةُ الأَعْيُنِ»[٩].

١٧١٦ ـ فإنْ قلْتَ: فما معنى قوله لعائشة [رضِيَ الله عنها] في الدَّاخل عليه: «بئس ابنُ العشيرةِ» فلما دخل عليه[١٠]، أَلاَنَ له القولَ، وضحكَ معه،

---

(١) تقدم برقم (١٦٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١/١٥) من حديث عائشة والبخاري (٧٢٣٠) ومسلم (١٢١٦/ ١٤١) من حديث جابر. (الهَدْيُ): ما يُهْدَىٰ إلى الحرم من النَّعَمِ (المعجم الوسيط).

(٣) في المطبوع: «للكافر والعدو».

(٤) (رجاء استئلافه): طمعاً في أُلفتِه، وحذراً من نفرته.

(٥) أخرجه البخاري (٦١٣١)، ومسلم (٢٥٩١) من حديث عائشة، وسيأتي برقم (١٧١٦).

(٦) الرغائب: العطايا الكثيرة.

(٧) يتسمَّتُ: يتخذ هيئة حسنةً.

(٨) مَلَئِهِ: الملأ: الجماعة من الناس.

(٩) تقدم برقم (١٦٧٥).

(١٠) قوله: «عليه»، لم يرد في المطبوع.

فلما سألتهُ عن ذلك قال: «إنَّ مِنْ شرارِ[1] الناس مَنِ اتّقاهُ الناسُ لشَرِّه»[2].

وكيف جاز أَنْ يُظْهِرَ له خلافَ ما يُبْطِن، ويقول في ظَهْرِه ما قال؟

فالجوابُ عن ذلك: أَنَّ فِعْلَه - عليه السلام - كان استئلافاً لمِثْلِه، وتطييباً لنفسه؛ ليتمكّنَ إيمانُه، ويدخلَ في الإسلام بسببهِ أَتباعُه، ويراه مِثْلُه فينجذب بذلك إلى الإسلام.

ومِثْـلُ هذا على هـذا الوَجْـهِ قد خرج مِنْ حَـدِّ مداراة الدنيـا إلى السياسة [١٨٤/ب] الدِّينية.

وقد كان [النبيّ] يستَأْلِفهم بأموال اللهِ العريضةِ، فكيف بالكلمة اللَّيِّنَة؟.

١٧١٧ - وعنِ صَفْوَانَ[3]: لقد أعطاني وهو أَبْغَضُ الناس[4] إليّ، فما زال يُعطيني حى صار أَحبَّ الخَلْقِ إليّ[5].

١٧١٨ - وقوله فيه[6]: «بئس ابنُ العشيرةِ» هو غَير غِيبةٍ؛ بل هو تعريفُ ما علمه منه لمَنْ لم يَعْلَمْ، لِيُحْذَر حالُه، ويُحْتَرَزَ مِنْهُ، ولا يوثَق بجانبه كلَّ الثِّقَة، ولا سيما وكان مُطاعاً مَتْبُوعاً في قومه[7].

ومِثْلُ هذا إذا كان لضرورة، وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ، لم يكن بِغيبةٍ، بل [كان] جائزاً، بل واجباً في بعض الأحيان كعادة المحدِّثين في تجريح الرواة، والمزكّين في الشُّهود.

---

(١) في المطبوع: «شرّ».
(٢) تقدم برقم (١٧١٤)، وسيأتي رقم (١٧١٨).
(٣) في المطبوع: «قال صفوان». وهو ابن أمية بن خلف، صحابي من المؤلفة قلوبهم. مات في أوائل خلافة معاوية.
(٤) في المطبوع: «الخلق».
(٥) أخرجه مسلم (٢٣١٣)، وقد تقدم برقم (١٩٠، ٢٢٨).
(٦) أي في الحديث المتقدم برقم (١٧١٦).
(٧) قوله: «في قومه»، لم يرد في المطبوع.

١٧١٩ ـ فإن قيل: فما معنى المُعْضِل[١] الوارِد في حديث بَرِيرَةَ[٢] من قَوْله [ﷺ] لعائشة؛ وقد أخبرته أَنَّ مَوَالِيَ بَرِيرةَ أَبَوْا بَيْعها إلا أن يكونَ لهم الوَلاءُ[٣]؛ فقال [لها] عليه السلام: «اشتريها واشْتَرِطي لهم الوَلاَءَ» ففعلت، ثم قام خطيباً، فقال: «ما بالُ أَقوام يشترطونَ شروطاً ليْسَتْ في كتاب الله؟ كلُّ شَرْطٍ ليس في كتاب الله فهو باطل»[٤] والنبيُّ ـ ﷺ ـ قد أمرها بالشَّرْط لهم، وعليه باعُوا[٥]، ولولاه ـ واللهُ أعلم ـ لما باعُوها من عائشة، كما لمْ يَبِيعوها قَبْلُ حتى شرطُوا ذلك عليها؛ ثم أبطله ـعليه السلامـ وهو قد حرَّمَ الغِشَّ والخديعة؟!

فاعلم ـ أكرمكَ اللهُ ـ أَنَّ النبيَّ ﷺ مُنَزَّهٌ عن ذلك مما يَقَعُ[٦] في بال الجاهلِ مِنْ هذا، ولتَنْزيهِ النبيّ ـ عليه السلام ـ عن ذلك ما قد أنكر قومٌ هذه الزيادة في الرواية[٧] قوله: «اشترطي لهم الولاءَ» إذ ليست في أكثر طرقِ الحديث؛ ومع ثَبَاتها فلا اعتراضَ بها؛ إذ يقَعُ «لهم» بمعنى «عليهم»؛ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥]. أي: عليهم[٨].

وقال: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧]. أي: فعليها[٩].

فعلى هذا يكون معناه[١٠]: اشْتَرِطي عليهم الولاءَ لكِ، ويكون قيامُ النبيّ

---

(١) المُعْضِل: المشكل الذي لا يهتدىٰ لوجهه.

(٢) بَرِيْرَة: صحابية مشهورة تقدمت ترجمتها.

(٣) (الولاء): يعني ولاء العِتْقِ، وهو إذا مات العبدُ المُعْتَقُ، ورثه مُعْتِقُهُ، أو وَرَثَةُ مُعْتِقِهِ، كانت العرب تبيعه وتهبه. انظر النهاية.

(٤) أخرجه البخاري (٢١٦٨)، ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة.

(٥) في المطبوع: «باعوها».

(٦) في المطبوع: «منزه عمَّا يقع».

(٧) قوله: «في الرواية»، لم يرد في المطبوع.

(٨) قوله: «أي عليهم»، لم يرد في المطبوع.

(٩) قوله: «أي فعليها»، لم يرد في المطبوع.

(١٠) قوله: «يكون معناه»، لم يرد في المطبوع.

ﷺ ووَعْظُهُ لما سلف لهم من شَرْطِ الولاءِ لأنفُسهم قَبْلَ ذلك.

ووَجْه ثانٍ: أَنَّ قولَه عليه السلام: «**اشترطي (١٨٥/أ) لهم الوَلاَء**»، ليس على معنى الأَمر، لكن على معنى التسوية والإعلام بأَنَّ شَرْطَهُ لهم لا ينفعُهم بعد بيانِ النبيِّ ﷺ لهم قَبْلُ: أنَّ الولاءَ لمَنْ أَعتق؛ فكأنه قال: اشترطي أو لا تَشْتَرطي، فإنه شَرْطٌ غَيْرُ نافعٍ.

وإلى هذا ذهب الدَّاوُدِيّ[١] وغَيْرُهُ؛ وتوبيخ النبيِّ ﷺ لهم؛ وتقريعُهم[٢] على ذلك يَدُلُّ على عِلْمِهم به قَبْلَ هذا.

الوَجْه الثالث: أَنَّ معنى قوله: «**اشترطي لهم الوَلاَءَ**» أي: أَظْهِري لهم[٣] حُكْمَهُ، وبيِّني عندهم[٤] سُنَّتَهُ أَنَّ[٥] الولاءَ إنما هو لمَنْ أَعتق. ثم بعد هذا قام هو ﷺ مبيِّناً ذلك ومُوَبِّخاً على مخالفة ما تقدَّم مِنْهُ فيه.

فإنْ قيل: فما معنى فِعْلِ يوسفَ ـ عليه السلام ـ بأَخيه؛ إذْ جعل السِّقَايةَ في رَحْلِه، وأَخَذَهُ باسم سَرِقتها، وما جَرَى على إخوتِه في ذلك، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]؛ ولم يَسْرِقُوا؟

فاعلم ـ أكرمك الله ـ أَنَّ الآيةَ تدلُّ على أنّ فعْلَ يوسفَ كان عَنْ أَمْرِ الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

فإذا كان كذلكَ فلا اعتراضَ به، كان فيه ما فيه.

وأيضاً فإنَّ يوسفَ كان أَعْلَمَ أَخاهُ بـ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ الآية [يوسف: ٦٩] فكان ما جَرَى عليه بعد هذا من وفْقه وَرغْبَتِه، وعلى يقينٍ من

---

(١) هو الإمام العلامة، الورع، القدوة، جمال الإسلام، عبد الرحمن بن محمد الداودي. ولد سنة (٣٧٤) هـ وتوفي سنة (٤٦٧)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦).

(٢) تقريعهم: توبيخهم.

(٣) في الأصل: «عندهم»، والمثبت من المطبوع.

(٤) قوله: «عندهم»، لم يرد في المطبوع.

(٥) في المطبوع: «بأَنَّ».

عُقْبَى الخَيْرِ له به ، وإزاحةِ السُّوءِ عنه والمضَرّةِ بذلك .

وأما قوله : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [يوسف : ٧٠] فليس من كلام يوسف ولا من قوله ، فيلزمُ عليه جوابٌ لِحَلِّ شُبَهِهِ.

ولعلّ قائلَه إنْ حُسِّنَ له التأويلُ كائناً مَنْ كان ظَنَّ على صورةِ الحالِ [ذلك] .

وقد قيل : [قال] ذلك لِفعْلهم قَبْلُ بيوسفَ وبَيْعهم له . وقيل غير هذا . ولا يلزمُ أنْ يُـقَوّلَ[١] الأنبياءُ ما لم يأتِ أنهم قالوه [٢]، حتى يُطْلَبَ الخلاصُ منه، ولا يلزمُ الاعتذارُ عن زَلَّات[٣] غيرهم .

فصـل

[فِيْ الحِكْمَةِ فِيْ إِجْرَاءِ الأَمْرَاضِ وَشِدَّتِها عَلَيهِ ﷺ ، وَعَلَىٰ جَمِيْعِ الأَنْبِيَاءِ][٤]

فإن قيل : فما الحكمةُ في إجْراء الأمراضِ وشدَّتها عليه ، وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام[٥]؟ وما الوَجْهُ فيما ابتلاهُم اللهُ به من البَلاَء ، وامتحانهم بما امتُحنُوا به (١٨٥/ب) كأيوب ، ويعقوب ، ودانيال[٦] ، ويحيى ، وزكريا ، وعيسى ، وإبراهيم ، ويوسف ، وغيرهم ، صلواتُ الله عليهم ، وهم خيرتُه من خَلْقِه وأحبّاؤه وأصفياؤه؟

فاعلم ـ وفّقك اللهُ[٧] ـ أَنَّ أفعالَ اللهِ تعالى كلَّها عَدْلٌ ، وكلماتِه جميعها صدقٌ لا مُبَدِّل لكلماته ، يَبْتَلي عبادَه ، كما قال [تعالى لهم]: ﴿ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤].

---

(١) في المطبوع : «نُقَوِّلَ».
(٢) في الأصل : «قالوا» ، والمثبت من المطبوع .
(٣) زَلَّات : جمع زَلَّةٍ، وهي السقطة والخطيئة .
(٤) ما بين حاصرتين من عندي .
(٥) في المطبوع : « . . . عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام» .
(٦) دانيال : هو ممن آتاه الله عز وجل الحكمة والنبوة ، وكان في أيام بختنصر (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٩) .
(٧) في المطبوع : «وفقنا الله وإياك» .

و﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

[﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾] [آل عمران: ١٤٠].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ[١] مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

فامتحانُه ـ عز وجل ـ إياهم بضروبِ المِحَن زيادةٌ في مكانتهم، ورفعةٌ في درجاتهم، وأسبابٌ لاستخراج حالات الصبر والرضا، والشكْرِ والتسليم، والتوكُّل، والتفويض، والدعاء، والتضرّع منهم، وتأكيدٌ لبصائرهم في رَحْمَةِ المُمْتَحَنين، والشفقَةِ على المُبْتَلَين، [وتذكرةٌ لغيرهم، وموعظةٌ لسواهم ليتأسَّوْا في البلاءِ بهم]؛ ويتسَلَّوْا[٢] في المِحَن بما جَرَى عليهم، ويقتدوا بهم في الصَّبر، ومَحْوٌ لِهَنَاتٍ فرطَتْ منهم، أو غَفَلاتٍ سلفَتْ لهم، لِيَلْقَوا الله تعالى طيِّبين مُهَذَّبين؛ وليكون أجْرُهم أكملَ، وثوابُهم أوفرَ وأَجْزل.

١٧٢٠ ـ حدثنا القاضي أبو عليّ الحافظ، حدثنا أبو الحسين الصَّيْرفيّ وأبو الفضل بن خَيْرون؛ قالا: حدثنا أبو يَعْلى البَغْداديُّ، حدثنا أبو علي السِّنْجيُّ، حدثنا محمد بن محبوب، حدثنا أبو عيسى التِّرمذي، حدثنا قُتَيبة، حدثنا حمّاد بن زيد، عن عاصم [ابن بَهْدَلَة]، عن مُصْعب بن سَعْد، عن أبيه؛ قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأَمْثَلُ، فالأَمْثَلُ، يُبْتَلى الرَّجُلُ على حسَبِ دِينه، فما يبرحُ البلاءُ بالعبد حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرض وما عليه خَطِيئة**»[٣].

وكما قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ[٤] كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ

---

(١) في الأصل: «آمنوا»، وهو سهو من الناسخ.

(٢) (ويتَسلَّوا): أي يكون لهم سلوة تذهب حزنهم.

(٣) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٢٣٩٨)، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه الحاكم (٣/ ٣٤٣)، وابن حبان (٦٩٨) موارد. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». واستوفينا تخريجه في الموارد فانظره إذا شئت.

(٤) (رِبيُّون): علماء فقهاء، أو جموع كثيرة (كلمات القرآن لمخلوف).

أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ ـ ١٤٨].

١٧٢١ ـ وعن أبي هريرة[١]: «ما يزالُ البلاءُ بالمُؤمن في نفسه، ووَلَده، [وماله] حتى يلْقَى اللهَ، وما عليه خطيئة».

١٧٢٢ ـ وعن أنس، عنه عليه السلام: «إذا أراد اللهُ بعَبْده الخير عجَّل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشرَّ أمسكَ عنه بذَنْبِهِ حتى يُوَافى به يوم القيامة»[٢].

١٧٢٣ ـ وفي حديث (١٨٦/أ) آخر: «إذا أَحَبَّ الله عَبْداً ابْتَلاهَ ليَسْمَعَ تضرُّعَهُ»[٣].

وحكى السَّمَرْقَنْدِيُّ أَنَّ كلَّ مَنْ كان أَكرمَ على الله تعالى كان بلاؤه أشَدَّ كيْ يتبيَّن فَضْلُه، ويستوجبَ الثواب؛ كما رُوي عن لُقمانَ أنه قال: يا بنيّ! الذهبُ والفضةُ يُخْتبَرانِ بالنار، والمؤمنُ يُخْتَبَرُ بالبلاء.

وقد حُكِي: أَنَّ ابتلاءَ يعقوبَ بيوسف كان سبَبه التفاتَه في صَلاَتِه إليه، ويوسفُ نائمٌ محبَّةً له.

---

(١) أي مرفوعاً، كما أخرجه الترمذي (٢٣٩٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الحاكم ٣٤٦/١، ووافقه الذهبي، وصححه أيضاً ابن حبان (٦٩٧) موارد. فانظره لتمام تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، ورمز لصحته السيوطي في الجامع الصغير (٣٨٥)، وأورده النووي في رياض الصالحين، برقم (٤٩) بتحقيقي. وهو لا يذكر فيه إلا حديثاً صحيحاً، كما بين ذلك في المقدمة.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٣٥٣)، ونسبه إلى البيهقي في الشُّعب، والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة، والبيهقي في الشُّعب عن ابن مسعود وكردوس موقوفاً عليهما، ولم يرمز له بشيء. قال العلامة المُناوي في فيض القدير ٢٤٦/١: «ووهم من زعم أنه رمز لضعفه، وأنه كذلك، قال الحافظ العراقي رحمه الله تعالىٰ: إنه يتقوَّىٰ بعدد طرقه».

١٧٢٤ ـ وقيل: بل اجتمع يوماً هو وابنُه يوسف على أَكْلِ حَمَلٍ[1] مَشْوِيّ، وهما يَضْحَكانِ، وكان لهم جارٌ يتيم، فشمّ رِيحَه واشتهاه وبكى، وبكتْ جدّةٌ له عجوز لبكائه، وبينهما جِدَار، ولا عِلْمَ عند يعقوب وابْنِه؛ فعُوقِبَ يعقوبُ بالبكاء أَسَفاً على يوسف إلى أَنْ سالَتْ حَدَقتاهُ، وابيضَّتْ عيناهُ من الحُزْن. فلما علم بذلك كان بقيّةَ حياتِه لا يردُّ سائلاً، و[2] يَأْمُر منادياً ينادي على سَطْحه: أَلاَ مَنْ كان مُفْطِراً فليتغَدَّ عند آل يعقوب[3].

وعُوقِبَ يوسف بالمِحْنَةِ التي نصَّ الله عليها.

١٧٢٥ ـ ورُوِي عن الليث أَنَّ سببَ بلاءِ أيوب أنه دخل مع أهل قريته على مَلِكِهم، فكلّموه في ظُلمه، وأغلظوا له إلاّ أيوب، فإنه رَفق به مخافةَ على زَرْعِه، فعاقَبَهُ اللهُ تعالى ببلائه[4].

ومِحْنةُ سليمانَ لِمَا ذكرناهُ من نيتِه في كوْنِ الحقّ في جِهَة[5] أصهاره؛ أو للعمل بالمعصية في داره[6]، ولا عِلْمَ عنده.

١٧٢٦ ـ وهذه فائدةُ شدّةِ المرضِ والوَجَع بالنبيّ ﷺ؛ قالت عائشة: ما رأيتُ الوجَعَ على أَحدٍ أشدّ منه على رسولِ الله ﷺ[7].

١٧٢٧ ـ وعن عبد الله[8]: رأيتُ النبيَّ ﷺ في مرضه، يُوعَكُ وَعْكاً شديداً، فقلت: إنك لتُوعَك وعْكاً شديداً! قال: «**أَجَلْ، إني أُوْعَكُ كما**

---

(١) الحَمَلُ: الصغير من الضأن.

(٢) قوله: «لا يرد سائلاً، و»، لم يرد في المطبوع.

(٣) ذكره ـ بنحوه ـ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٤٠ من حديث أنس بن مالك، وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري، وهو ضعيف جداً».

(٤) قصة منكرة لا تليق بالأنبياء والصالحين.

(٥) في نسخة: «جنبة».

(٦) في الأصل: «ذكره»، والمثبت من المطبوع.

(٧) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠). (الوجع): المرض المؤلم.

(٨) هو ابن مسعود، الصحابي الجليل.

يوعَكُ رَجُلاَن منكم». قلت: ذلك أَنَّ لك الأَجْرَ مرتين؟ قال: «أَجَلْ، ذلك (١٨٦/ ب) كذلك»[١].

١٧٢٨ ـ وفي حديث أَبي سعيد أن رجُلاً وضَع يدَهُ عَلَى النبيِّ ﷺ فقال: واللهِ! ما أُطِيقُ أَضَعُ يدي عليك من شِدَّةِ حُمّاك. فقال النبيُّ ﷺ: «إنا مَعْشَرَ الأَنبياء يُضَاعفُ لنا البلاءُ، إنْ كان النبيُّ ليُبْتَلَى بالقُمَّلِ حتى يَقْتُلَه، وإن كان النبيُّ ليُبْتَلَى بالفقر، وإنْ كانوا ليَفْرحُون بالبلاءِ كما تفرحون بالرخاء»[٢].

١٧٢٩ ـ وعن أنس، عن النبي ﷺ: «إنَّ عِظَم الجَزَاءِ مع عِظم البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أَحبَّ قوماً ابتلاهم؛ فمن رضِيَ فلَهُ الرِّضا، ومن سخِط فله السَّخَط»[٣].

١٧٣٠، ١٧٣١ ـ وقد قال المفسِّرون في قوله تعالى: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣]: إنّ المُسْلِمَ يجْزَى بمصائب الدنيا، فتكون له كفارة. ورُوِي هذا عن عائشة[٤]، وأَبِي بَكْرٍ[٥]، ومجاهد.

١٧٣٢ ـ وقال أبو هريرة، عنه عليه السلام: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْراً يُصِبْ منه»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١)، وسيأتي طرف منه برقم (١٧٣٥). (الوَعْكُ): الأَلَمُ. وقيل: أَلَمُ الحُمَّى (جامع الأصول ٩/ ٥٨١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وأبو يعلىٰ (١٠٤٥) وغيره. وفي زوائد البوصيري: «إسناده صحيح، رجاله ثقات». وصححه الحاكم (١/ ٤٠) ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وأبو يعلىٰ مختصراً (٤٢٢٢، ٤٢٥٣) وغيره. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه». ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٢٢٩٨)، وأورده النووي في رياض الصالحين برقم (٥٠) بتحقيقي، وهو لا يذكر فيه إلا حديثاً صحيحاً كما صرَّح في مقدمته.

(٤) أخرجه من حديث عائشة مرفوعاً: أحمد ٦/ ٦٥ ـ ٦٦، وأبو يعلىٰ (٤٦٧٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٢: «ورجالهما رجال الصحيح»، وصححه الحاكم ٢/ ٣٠٨ ووافقه الذهبي وصححه أيضاً ابن حبان (١٧٣٦) موارد، فانظره لتمام تخريجه.

(٥) في الأصل والمطبوع: «وَأُبيّ»، والمثبت من مناهل الصفا (١٣٠٣) وهو الصواب. وحديث أبي بكر أخرجه مرفوعاً: الترمذي (٣٠٣٩) وقال: «هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال...» وصححه ابن حبان (١٧٣٤) موارد. فانظره من أجل رواياته وتمام تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٤٥). (يُصِبْ منه): أي يبتليه بالمصائب ويثيبه عليها.

١٧٣٣ ـ وقال في رواية عائشة: «ما مِنْ مُصِيبةٍ تصيبُ المسلمَ إلاّ يُكفِّرُ اللهُ بها عنه حتى الشوكةِ يشاكُها»[١].

١٧٣٤ ـ وقال في رواية أَبي سعيد: «ما يصيبُ المؤمنَ من نَصَب ولا وَصَب، ولا هَمٍّ، ولا حَزَن، ولا أَذىً، ولا غَمّ ـ حتى الشوكةِ يُشَاكُها ـ إلا كفَّر اللهُ بها مِنْ خطاياه»[٢].

١٧٣٥ ـ وفي حديث ابن مسعود: «ما مِنْ مُسلمٍ يُصيبه أَذىً إلا حاتَّ[٣] اللهُ عنه خطاياهُ كما تحاتُّ وَرَقُ الشَّجَر»[٤].

وحكمةٌ أُخرى أودعها اللهُ في الأمراضِ لأَجسامهم، وتعاقب الأوجاع عليها وشدَّتها عند مماتهم، لتضْعُفَ قُوَى نفُوسهم، فيسهلَ خروجُها عند قبْضِهم، وتخفَّ عليهم مُؤْنـةُ النَّـزْعِ[٥]، وشدةُ السكراتِ بتقدُّم المرض، ويضعف الجسم والنّفس كذلك[٦].

١٧٣٦ ـ [وهذا] خلافُ موتِ الفجاءةِ وأَخْذِه، كما يُشَاهَدُ من اختلاف أَحوالِ الموتى في الشدةِ واللِّين، والصعوبة والسهولة. وقد قال عليه السلام: «مَثَلُ المؤمن مَثَلُ خامَةِ الزَّرْعِ تُـفَيِّـئُها الـرِّيحُ هكذا وهكذا»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢/ ٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة. (نصب): تعب، (وَصَب) الوصَبُ: المرضُ والوجع (جامع الأصول ٩/ ٥٨٠).

(٣) في الأصل: «وحاتّ»، والمثبت من المطبوع، وهو موافق لرواية البخاري.

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧١)، وهو طرف من الحديث المتقدم برقم (١٧٢٧). (إلا حاتَّ الله) أصله: حاتَتْ بمثنّاتين فأدغمت إحداهما في الأخرىٰ. والمعنىٰ: فتَّت. وهي كناية عن إذهاب الخطايا (الفتح ١٠/ ١١١). (تَحَاتُّ ورق الشجر): انتثر وتساقط بنفسه (جامع الأصول ١/ ٢٧٣). وفي الأصل: «يَحَاتُّ»، والمثبت من المطبوع.

(٥) في الأصل: «مَوْتَةُ»، والمثبت من المطبوع. (مُؤْنة النزع): مشقَّةُ إخراج الروح من البدن.

(٦) في المطبوع: «وضعف الجسم والنفس لذلك».

(٧) أخرجه البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨٠٩) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٥٦٤٣)، ومسلم (٢٨١٠) من حديث كعب بن مالك. (خامة الزرع) الخامات من النبات: الغضة =

١٧٣٧ - وفي رواية أبي هريرة [عنه]: «من حيثُ (١٨٧/أ) أَتَتْها الريحُ تكفؤُها؛ فإذا سكنت اعتدلَتْ؛ وكذلك المؤمنُ يُكْفَأُ بالبلاء. ومَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ، صمّاءَ معتدلةً حتى يَقْصِمَها[١] الله»[٢].

معناه: أَنَّ المؤمنَ مُرَزّأٌ[٣]، مُصَابٌ بالبلاءِ والأمراضِ، راضٍ بتصريفه من[٤] أقدار الله [تعالى] مُنْطاعٌ[٥] لذلك، ليّن الجانب برضاه وقلّةِ سَخَطه، كطاعة خامةِ الزّرْعِ وانقيادِها للرياح، وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها؛ فإذا أزاحَ اللهُ عن المؤمن رِياحَ البلايَا، واعتدلَ صحيحاً كما اعتدلَتْ خامةُ[٦] الزَّرْعِ عند سكون رياحِ الجوِّ، رجع إلى شُكْر ربّه ومعرفةِ نعمتِه عليه بِرَفْع بلائه، منتظراً رحمته وثوابَه عليه.

فإذا كان بهذه السبيل لم يصعُبْ عليه مَرَضُ الموتِ، ولا نزولُه، ولا اشتدّت عليه سكراتُه ونزْعُه، لعادتِه بما تقدّمَهُ[٧] من الآلام، ومعرفةِ مالَه فيها من الأجْرِ، وتَوْطِينِه نَفْسَه على المصائب ورِقَّتها وضَعْفِها بتَوَالِي المرضِ أو شدّته، والكافِرُ بخلاف هذا: مُعَافًى في غالبِ حالِه، مُمَتَّع بصحة جِسْمه،

= الرطبة اللينة. (تفيئها) أي: تميلها كذا وكذا، حتى ترجع من جانب إلى جانب (جامع الأصول ١/ ٢٧٢).

(١) في المطبوع: «يقصمه».

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٦٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٠٩). (تكفؤها): تميلها، (يُكْفَأُ): يُقْلَبُ ويُغَيِّرُ حالَه/ قاله القاري. (الأَرَزة) بفتح الراء: شجرةُ الأرْزن، وهو خشب معروف. وبسكونها: شجرة الصنوبر، والصنوبر: ثمرها. (صمّاء) الصَّمَّاء: المكتنزةُ، التي لا تخلخل فيها. (يقصمها) القصم: الكسر، يقال: قصمتُ الشيء قصماً: كسرتَه حتى يبين وينفصل (جامع الأصول١/ ٢٧٢).

(٣) مُرَزّأٌ: مصاب بالرَّزايا: جمع رزيّة، وهي المصيبة.

(٤) في المطبوع: بين.

(٥) مُنطاع: مُنقاد.

(٦) في الأصل: «خام»، والمثبت من المطبوع.

(٧) في المطبوع: «تقدم».

كالأَرْزَةِ الصمَّاءِ ، حتى إذا أراد اللهُ هلاكه قَصَمهُ لحينهِ على غِرّةٍ [1]، وأخذه بَغْتةً من غير لُطْفٍ ولا رِفق؛ فكان موتُه أَشدَّ عليه حسرةً ، ومقاساةُ نَزْعِه مع قوةِ نَفْسه وصحةِ جِسْمِه أشدَّ ألماً وعذاباً ، ولَعَذابُ الآخرةِ أشقُّ[2] كانجعافِ الأرْزَةِ[3]. وكما قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥].

وكذلك عادة اللهِ [تَعالى] في أعدائه ، كما قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ففجأ جميعهم بالموت ، على حال عُتُوٍّ وغَفْلةٍ ، وصبّحهم به ، على غير استعدادٍ بَغْتَةً؛ ولهذا ما كره السلفُ موت الفجأة[4].

١٧٣٨ ـ ومنه[5] في حديث إبراهيم: كانوا يكرهونَ أَخْذَةً كأخْذَةِ الأَسَفِ[6].
أي: الغَضَب ، يريدُ: موتَ الفُجاءة.

وحكمةٌ ثالثة: أَنَّ الأمراضَ نَذِير المماتِ ، وبقَدْر شدّتِها شدةُ الخوفِ من نزول الموتِ؛ فيستعدّ مَنْ أصابَتْه ، وعَلِمَ تَعاهُدها له ، لِلقاء ربّه ، ويُعْرِضُ عن دَارِ الدنيا الكثيرة الأنكاد[7] (١٨٧/ب) ويكون قَلْبُهُ معلّقاً بالمعاد ، فيتنصَّل[8] مِنْ كُلّ ما يَخْشى تِبَاعته[9] مِنْ قِبَل الله ، وقِبَلِ العباد ، ويُؤَدّي الحقوقَ إلى أهلها ، وينظر فيما يحتاج إليه من وَصِيّة فيمن يُخلِّفه أو أَمْرٍ يَعْهده.

---

(١) علىٰ غِرّة: علىٰ غفلة.
(٢) في المطبوع: «أشدّ».
(٣) انجعاف الأرزة: انقلاعها.
(٤) في المطبوع: «الفجاءة».
(٥) في الأصل: «ونبه» ، والمثبت من المطبوع.
(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت (المناهل/ ١٣١٠).
(إبراهيم): هو النَّخَعي تقدمت ترجمته.
(٧) الأنكاد: المكدِّرات والمنغِّصات.
(٨) يتنصَّل: يخرج ، ويتبرّأ.
(٩) تباعته: عاقبته.

١٧٣٩ ـ وهذا نبيُّنا ـ عليه السلام ـ المغفورُ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر ، قد طلب التنصُّل في مَرَضِه ممّن كان له عليه مالٌ أو حقّ في بَدَن ، وأقاد من نَفْسه وماله [١] ، وأمكن من القِصاصِ منه ، على ما ورد في حديث الفَضْل [٢] .

١٧٤٠ ـ وحديثِ الوفاةِ [٣] .

١٧٤١ ـ وأوصَى بالثَّقَلين بعده : كتابِ الله ، وعِتْرته [٤] .

١٧٤٢ ـ وبالأنصار عَيْبَتِهِ [٥] .

١٧٤٣ ـ ودعا إلى كَتْبِ كتابٍ لئلا تضلَّ أُمته بعده [٦] ؛ إما في النصّ على الخلافة ، أو الله [٧] أعلم بمراده . ثم رأى الإمساكَ عنه أفضلَ وخيراً .

وهكذا سيرة عبادِ الله المؤمنين وأوليائه المتقين .

وهذا كلُّه يُحْرَمُه غالباً الكفّارُ، لإملاءِ [٨] اللهِ لهم؛ ليزدادوا إثماً،

---

(١) أقاد من نفسه وماله : أي مَكَّنَ مَنْ له حقٌّ في بدن النبي ﷺ أو ماله أن يأخذه .

(٢) حديث الفضل بن العباس حديث طويل ، طلب فيه رسول الله ﷺ التنصل ممن كانَ له عليه ﷺ مالٌ ، أوحقٌّ في بدن . . . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٥ ـ ٢٦ وقال : «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وأبو يعلى بنحوه . . . . وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه جماعة ، وبقية رجال أبي يعلىٰ ثقات . وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم» .

(٣) تقدم طرف منه برقم (١٧٠٧) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم . (بالثَّقَلَيْنِ) : سمَّىٰ النبي ﷺ القرآن العزيز ، وأهل بيته ثقلين ، لأن الأخذ بهما ، والعمل بما يجب لهما ثقيل ، وقيل : العرب تقول لكل خطير نفيس : ثقل ، فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما ، وتفخيماً لشأنهما (قاله ابن الأثير في جامع الأصول ٩/ ١٥٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٩٩) ، ومسلم (٢٥١٠) من حديث أنس بن مالك . (عَيْبته) أي : خاصته وموضع سِرّه وأمانته ، والعيبة في الأصل : ما يجعل فيه المرء نفيس متاعه .

(٦) تقدم برقم (١٦٨١) .

(٧) في الأصل : «أو والله أعلم بمراده» ، والمثبت من المطبوع .

(٨) لإملاءِ : لإمهال .

وليستدرجهم[1] من حيث لا يعلمون؛ كما قال [الله] تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٤٩، ٥٠].

١٧٤٤ ـ ولذلك قال ـ عليه السلام ـ في رجل مات فجأةً: «سبحان الله! كأنه على غَضَبٍ، المحرومُ مَنْ حُرِمَ وصيَّتَه»[2].

١٧٤٥ ـ وقال: «موتُ الفُجاءةِ راحةٌ للمؤمن، وأَخْذَةُ أَسَفٍ للكافر أو[3] الفاجر»[4].

١٧٤٦ ـ وذلك لأن الموتَ يأتي المؤمنَ، وهو غالباً مستعدٌّ له مُنْتَظِرٌ لحلوله؛ فهان أَمْرُهُ عليه كيف ما جاء، وأَفْضَى إلى راحتِه مِنْ نَصَبِ الدنيا وأذَاها؛ كما قال عليه السلام: «مُسْتَرِيْحٌ ومُسْتراحٌ منه»[5].

وتأتي الكافِرَ والفاجرَ منيتُهُ على غير استعدادٍ، ولا أُهْبَة، ولا مقدّمات مُنْذِرة مُزْعجةٍ ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[6] [الأنبياء: ٤٠]؛ فكان الموتُ أشدَّ شيءٍ عليه.

---

(١) ليستدرجهم: ليدنيهم من العذاب درجةً فدرجةً حتى يوقعهم فيه.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٤١٢٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٠٩، «إسناده حسن». وأخرج آخره ابن ماجه (٢٧٠٠). وضعفه المنذري والسيوطي وغيرهما.

(٣) (أو): الشك من أحد الرواة. وفي المطبوع: «و».

(٤) أخرجه أحمد ٦/ ١٣٦، والبيهقي في السنن ٣/ ٣٧٩ من حديث عائشة، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣١٨ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه قصة، وفيه عبيد الله بن الوليد الوصافي، وهو متروك». وقال ابن حجر: «لكن له شواهد» ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير (٩١٢٠)، وصحح إسناده في المناهل (١٣١٢)، وانظر جامع الأصول (١١/ ٨٧). (أَسَفٍ): غضب.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥١٢)، ومسلم (٩٥٠) من حديث أبي قتادة. (مستريح): يعني المؤمن بعد موته. (مستراحٌ منه): يعني الكافر بعد موته.

(٦) (فتبهتهم): تحيِّرهم وتدهشهم (كلمات القرآن لمخلوف).

١٧٤٧ ـ وفراقُ الدُّنيا أفظَعُ أَمرٍ صدمه[١] ، وأَكرهُ شيء له؛ وإلى هذا المعنى أشار ـ عليه السلام ـ بقوله: «مَنْ أَحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه ، ومَنْ كَرِه لقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقاءَهُ»[٢] .

* * *

(١) في الأصل: «أقطع أمر صدفه» ، والمثبت من المطبوع. (أفظع): أعظم وأشد.

(٢) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، وعائشة، وأبي هريرة، وأبي موسى الأشعري. (جامع الأصول ٩/ ٥٩٥ ـ ٥٩٨).

القسم الرابع

في تَصَرُّفِ وُجُوهِ الأَحْكَامِ فِيمَنْ تَنَقَّصَهُ أو سَبَّهُ (١٨٨/أ) عليه [الصلاة و]السلام

قال القاضي أبو الفضل [رضيَ الله عنه]: قد تقدّم من الكتاب والسُّنَّة وإِجماع الأُمّة ما يجبُ من الحقوق للنبي ﷺ، وما يتعيَّنُ له مِنْ بِرٍّ وتَوْقير، وتعظيم وإكرام؛ وبحسَبِ هذا حرَّمَ اللهُ [تعالى] أذاهُ في كتابِه، وأجمعت الأُمَّةُ على قَتْلِ مُنْتَقصِه[1] من المسلمين وسابّه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وقال [تعالى]: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وقال [اللهُ تعالى]: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال [تعالى] في تحريم التعريض له[2]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وذَلكَ أَنَّ اليهودَ ـ لعنهم الله [3]ـ كانوا يقولون: رَاعِنا، يا محمد! أي أَرْعِنا سَمْعَك، واسْمَعْ منا، ويعرِّضُونَ بالكلمة، يريدونَ: الرُّعُونة[4]؛ فنهى الله

---

(١) في المطبوع: «مُتَنَقِّصِهِ».

(٢) التعريض له: أي التلويح بما يسوؤه من غير التصريح.

(٣) قوله: «لعنهم الله» لم يرد في المطبوع.

(٤) الرعونة: الحماقةُ وخفَّةُ العقل.

المؤمنين عن التشبُّه بهم ، وقَطع الذريعة[1] بنَهْيِ المؤمنين عنها ، لئلا يتوصَّلَ بها الكافِرُ والمنافِقُ إلى سَبِّه ، والاستهزاءِ به.

وقيـل: بل لِمَـا فيها من مُـشَارَكَـةِ اللفظ ؛ لأنها عنـد اليهـودِ بمعنى: اسمع لا سمعْتَ.

وقيل: بل لما فيها من قِلَّةِ الأَدبِ ، وعدمِ توقير النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأنها في لغة الأنصار بمعنى: ارْعَنَا نَرْعكَ؛ فنُهوا عن ذَلكَ؛ إذ مضمونه[2] أنهم لا يَرْعَوْنه إلا برعَايته لهم ، وهو ـ عليه السلام ـ واجبُ الرعايةِ بكل حالٍ.

١٧٤٨ ـ وهذا هو ـ عليه السلام ـ قد نَهى عن التَكَنّي بكُنْيَته ، فقال: «**تَسَمَّوا باسْمِي ، ولا تكنَّوا بكُنْيَتي**»[3]؛ صِيَانةً لنفسه ، وحمايةً عن أذاه.

١٧٤٩ ـ إذْ كان ﷺ استجاب لرجُلٍ نادى: يا أبا القاسم! فالتفت إليه[4] ، فقال: لم أَعْنِكَ ، إنما عنيت[5] فلاناً[6]؛ فنهى حينئذٍ عن التكنّي بكُنْيَتِه لئلا يتأذّى بإجابةِ دَعْوَةِ غَيْرِه مِمَّن لم يَدْعُه ، ويَجِدَ بذلك المنافِقُون والمستهزئونَ ذَرِيعة إلى أَذَاهُ والإزراء به (١٨٨/ب) فينادونه ، فإذا التفتَ قالوا: إنما أردنا هذا ـ لِسواهُ ـ تَعْنيتاً له ، واستخفافاً بحقه على عادة المُجَّان[7] والمستهزئين[8] ، فحمَى ـ عليه السلامِ ـ حِمَى أَذَاهُ بكل وَجْهٍ؛ فحمل محقِّقُو العلماءِ نَهْيَهُ عن هذا على مدة حياته ، وأجازُوهُ بعد وفاته لارتفاعِ العِلَّة.

وللناسِ في هذا الحديث مذاهبُ ليس هذا موضعها؛ وما ذكرناه هو مذهبُ

---

(١) الذريعة: الوسيلة الموصلة لأمرٍ غير محمود.

(٢) في المطبوع: «مُضَمَّنُه».

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله (جامع الأصول ١/ ٣٧٨ـ٣٧٩).

(٤) قوله: «فالتفت إليه» ، لم يرد في المطبوع ، وهو في الصحيح.

(٥) في المطبوع: «دعوتُ هذا» بدل: «عنيتُ فلاناً».

(٦) أخرجه البخاري (٣٥٣٧) ، ومسلم (٢١٣١) من حديث أنس بن مالك.

(٧) المُجَّانُ: جمع ماجنٍ ، وهو المستهزىء الذي يخلط الجد بالهزل.

(٨) في الأصل: «المستهزىء» ، والمثبت من المطبوع.

الجمهور ، والصوابُ إن شاء الله. وإنّ ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره ، وعلى سبيل النّدب والاستحباب ، لا على التحريم؛ ولذلك لم يَنْهَ عن اسْمِه؛ لأنه قد كان اللهُ مَنَع مِنْ ندائه به بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ ﴾ [النور: ٦٣]؛ وإنما كان المسلمون يدعونه: يا رسول الله! ويا نبيّ الله![١] ﷺ ، وقد يَدْعُونه[٢] بكُنْيته أبا القاسم! بعضُهم في بعض الأحوال.

١٧٥٠ ـ وقد روَى أنس [رضِيَ الله عنه] عنه عليه السلام ، ما يدلُّ على كراهةِ التسمّي باسْمِه ، وتنزيهه عن ذلك؛ إذا لم يوقَّر ، فقال: «**تُسَمُّونَ أَولادكم محمداً ثم تلعنونهم؟!**»[٣].

١٧٥١ ـ ورُوِيَ أنّ عُمر [رضِيَ الله عنه] كتب إلى أَهل الكوفة: لا يُسمَّى أَحَدٌ منكم[٤] باسم النبيّ ﷺ ، حكاه أبو جعفر الطبري.

١٧٥٢ ـ [وحكى محمد بن سعد أنه[٥] نظر إلى رجل اسمُه محمد ، ورجلٌ يسبُّه ، ويقول له: فعل اللهُ بك ، يا محمد! وصنع. فقال عُمَر لابن أَخيه محمد بن زيد بن الخطاب: لا أرى محمداً ﷺ يُسَبُّ بِكَ؛ واللهِ! لا تُدْعَى محمداً ما دمْتُ حيّاً؛ وسمّاهُ عبدَ الرحمن[٦].

١٧٥٣ ـ وأراد أَنْ يمنَعَ أَنْ يُسمَّى أَحَدٌ بأَسماءِ الأنبياء إِكراماً لهم بذلك ،

---

(١) في المطبوع: «يدعونه برسول الله، وبنبي الله».
(٢) في المطبوع: «يدعوه».
(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٣٣٨٦) ، والبزار (١٩٨٧) كشف الأستار ، والحاكم (٤/ ٢٩٣) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٤٨: «فيه الحكم بن عطية ، وثقه ابن معين ، وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقال الحافظ في الفتح: «سنده ليِّنٌ». وحسنه السيوطي في المناهل (١٣١٦) ، ورمز لصحته في الجامع الصغير (٣٣٠١).
(٤) قوله: «منكم» ، لم يرد في المطبوع.
(٥) أنه: الضمير عائد على عمر بن الخطاب.
(٦) أخرجه ابن سعد وأحمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: «نظر عمر إلى . . .». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٤٩: «ورجال أحمد رجال الصحيح».

وغيّر أَسماءَ جماعةٍ تسمَّوا بأسماءِ الأنبياءِ ، ثم أَمْسَك].

والصوابُ خلافه وجوازه بَعْده[1] عليه السلام ، بدليل إطباقِ الصحابةِ على ذلك.

١٧٥٤ ـ وقد سمَّى جماعةٌ منهم ابنَه محمداً ، وكنَّاه بأبي القاسم[2].

١٧٥٥ ـ ورُوِيَ أَنَّ النبيّ ﷺ أَذِنَ في ذلك لعليّ رضِيَ الله عنه[3].

١٧٥٦ ـ وقد أَخبر عليه السلام أَنَّ ذلكَ اسْمُ المهدي وكُنيته[4].

١٧٥٧ ـ ١٧٥٩ ـ [وقد سَمّى به النبيُّ ﷺ محمد بن طلحة[5] ، ومحمد بن عَمرو بن حَزْم[6] ، ومحمد بن ثابت بن قَيْس[7] ، وَغَيْرَ واحد.

---

(١) في المطبوع: «والصواب جواز هذا كله بعده».

(٢) كما في حديث راشد بن حفص قال: أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ كل منهم يسمى محمداً ويُكنى أبا القاسم: محمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص / تحفة المودود رقم (٢٣٥م) بتحقيقي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٦٧) ، والترمذي (٢٨٤٣) ، والبيهقي (٩/٣٠٩) من حديث علي ، وصححه الحاكم ٤/٢٧٨ ، وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢) ، والترمذي (٢٢٣٠) من حديث ابن مسعود مرفوعاً ، وفيه: «يواطىء اسمه اسمي ، واسمُ أبيه اسم أبي» ، وقال الترمذي: «وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة ، وهذا حديث حسن صحيح». قال السيوطي في المناهل (١٣١٨): «ولم أقف على تعيين الكنية».

(٥) تسميته ﷺ لمحمد بن طلحة ، أخرجه الطبراني من حديث ظئر محمد بن طلحة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٤٩ ، «فيه إبراهيم بن عثمان أبو شيبة ، وهو متروك. قال الطبراني: محمد بن طلحة بن عبيد الله ، ولد في حياة رسول الله ﷺ ، وسماه محمداً ، وكناه أبا القاسم». وانظر الحديث (٢٣٨) في تحفة المودود بتحقيقي.

(٦) ذكره ابن شاهين عن ابن أبي داود كما في الإصابة ٣/ ٤٥٤.

(٧) أخرجه البغوي ، وابن أبي داود ، وابن شاهين من حديث ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وقال ابن مندة: «غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن الحباب». وانظر الإصابة ٣/ ٤٥١.

١٧٦٠ ـ وقال: «ما ضَرَّ أحَدَكم أن يكون في بيته محمدٌ ومحمدان وثلاثة؟!»][1].

وقد فصلتُ الكلامَ في هذا القسم على بابينِ كما قدمناه.

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٣٢)، ونسبه إلى ابن سعد، عن عثمان العمري مرسلاً، ورمز لضعفه.

الباب الأول

في بَيَانِ ما هُوَ في حَقِّهِ ـ عليه السلام ـ سَبٌّ ، أو نَقْصٌ ، مِنْ تَعْرِيْضٍ[1] أَوْ نَصٍّ[2]

اعلَمْ ـ وفقَنَا اللهُ وإياك ـ أَنّ جميعَ مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ ، أو عابَه ، أو أَلْحَقَ به نَقْصاً في نَفْسه ، أو نَسَبِه ، أو دِينِه ، أو خَصْلَةٍ من خِصالِه ، أو عَرّضَ به ، أو شَبَّهَهُ (١٨٩/أ) بشيءٍ على طريق السبِّ له ، أو الإزراءِ عليه[3] ، أو التصغير لشَأنِه ، أو الغَضِّ منه ، والعَيْبِ له؛ فهو سابٌّ له؛ والحكمُ فيهِ حكْمُ السابّ ، يُقْتَلُ كما نُبَيِّنُه ، ولا نَستثني فصْلاً من فُصُول[4] هذا الباب على هذا المَقْصِدِ ، ولا نَمْتَرِي[5] فيه تصريحاً كان أو تلويحاً.

وكذلك مَنْ لعنه أو دَعَا عليه ، أو تمنّى مضَرّةً له ، أو نَسبَ إليه ما لا يليقُ بمنْصِبه على طريق الذَّمِّ أو العيب[6] في جهتِه العزيزةِ بسُخْفٍ من الكلام وهُجْرٍ[7] ، ومُنْكَر من القول وزُور ، أو عَيَّرَهُ بشيءٍ مِمَّا جَرَى من البلاءِ والمِحْنَة

---

(١) التعريض: خلاف التصريح.
(٢) النصُّ: التصريح.
(٣) الإزراء عليه: عيبه.
(٤) فصلا: قسماً وصورة.
(٥) لا نمتري: لا نشك.
(٦) في المطبوع: «أو عَبَث».
(٧) الهُجْرُ: القبيح من القول.

عليه ، أو غَمَصَه[1] ببعضِ العوارضِ البشرية[2] الجائزةِ والمعهودةِ لَدَيْه .

وهذا كلُّه إجماعٌ مِنَ العلماء وأئمةِ الفَتْوى مِنْ لَدُن الصحابة [رضوانُ اللهِ عليهم] إلى هَلُمَّ جرًا[3] .

[و] قال أبو بَكْر بن المنذر: أَجْمَعَ عَوَامُّ أَهْلِ العِلْم على أنّ مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ يُقْتَل ؛ وممّن قال ذلكَ : مالكُ بْنُ أنَس ، واللَّيْثُ بن سعد ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو مذهبُ الشافعيّ .

قال القاضي أبو الفضل: وهو مقْتَضى قولِ أبي بَكْرٍ [الصدّيق] رضِيَ الله عنه ، ولا تُقْبَلُ توبتُه عند هؤلاء [المذكورين] .

وبمثْلِه قال أبو حَنيفة ، وأصحابُه[4] ؛ والثَّوْريُّ ، وأهلُ الكوفة ، والأَوْزَاعي في المسلم ، لكنهم قالوا: هِيَ رِدَّةٌ .

وروى مثْلَه الوليدُ بن مُسْلم عن مالك .

وحكى الطبري مِثْلَه ، عن أبي حَنِيفة ، وأصحابِه ، فيمن تنقَّصَه عليه السلام ، أو برىءَ منه ، أو كذّبَه .

وقال سُحْنُون فيمن سبَّه : ذلك رِدَّةٌ كالزَّنْدَقة[5] .

وعلى هذا وقع الخلافُ في اسْتِتابتِه وتكفيره ؛ وهل قَتْلُه حَدّاً أو كُفْراً[6] ! كما سنُبَيِّنه في الباب الثاني إنْ شاءَ اللهُ [تعالى] ولا نعلمُ خلافاً في استباحةِ دَمِه

---

(١) غمصه : عابه .

(٢) العوارض البشرية : هي الآفات التي تعتري البشر كالأمراض ونحوها .

(٣) هلمَّ جرًا : تعبير يقال لاستدامة الأمر واتصاله (المعجم الوسيط) .

(٤) أي : محمد بن الحسن الحَرَستاني (نسبةً إلىٰ حَرَسْتَا من غوطة دمشق الشرقية) ، وأبو يوسف ، وزُفَر .

(٥) (الزندقة) : القول بأزلية العالم ، وأطلق على الزراد شتية ، والمانوية ، وغيرهم من الثنوية ، وتوسع فيه ، فأطلق على كل شاكٍّ ، أو ضالٍّ ، أو ملحد (المعجم الوسيط) .

(٦) في المطبوع : «حدٌّ أو كفرٌ» ، والوجه ما في الأصل .

بين علماءِ الأمصار وسلَفِ الأئمة[1] وقد ذكَر غَيْرُ واحدٍ الإجماعَ على قَتْلِه وتكفيره ، وأشارَ بعضُ الظاهرية[2] ـ وهو أبو محمد: عليُّ بن أحمد الفارِسي[3] ـ إلى الخلاف في تكفيرِ المستخفّ به والمعروف ما قدّمناه.

قال محمد بن سُحْنُون (١٨٩/ب): أجمع العلماء أنَّ شاتِمَ النبيّ ﷺ المتنَقِّصَ له كافِرٌ. والوعيدُ جارٍ عليه بعذابِ اللهِ له؛ وحُكْمُه عند الأمة القَتْلُ؛ ومَنْ شكَّ في كُفْرِهِ وعذابِه كَفَر.

واحتجَّ إبراهيمُ بن حسين بن خالد الفقيه في مِثْلِ هذا بقَتْلِ خالدِ بن الوليد مالِكَ بْنَ نُوَيْرَة[4] لقوله ـ عن النبيِّ ﷺ ـ: صَاحِبُكُمْ.

وقال أبو سليمان الخطّابي: لا أعلم أَحَداً من المسلمين اختلف في وجوبِ قَتْلِه إذا كان مسلماً.

وقال ابنُ القاسم ، عن مالك ، في «كتاب ابنِ سُحنون» و«المبسوط» و«العُتْبِيَّةِ» ، وحكاهُ مُطَرِّفٌ ، عن مالك ، في «كتاب ابن حبيب»: مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ من المسلمين قُتِلَ ، ولم يُسْتَتَبْ.

قال ابن القاسم في «العُتْبِيَّةِ»: [مَنْ سَبَّه] أو شتَمه أو عابه أو تنقَّصَهُ فإنه

---

(١) في المطبوع: «الأمة».

(٢) (الظاهرية): هم الذين يقلدون الإمام داود بن علي الظاهري في الفقه، ولا وجود لهم اليوم.

(٣) هو الإمام ابن حزم الظاهري ، صاحب كتاب «المُحلّىٰ» الذي حققه العلامة أحمد شاكر ، ولد ابن حزم سنة (٣٨٤)هـ ، وتوفي سنة (٤٥٦)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٤ ـ ٢١٢.

(٤) هو مالك بن نُوَيْرَةَ اليربوعي التميمي ، فارس ، شاعر ، أدرك الإسلام ، وأسلم ، وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه. ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر اضطرب مالك في أموال الصدقات وفرّقها. وقيل: ارتدَّ فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح ، وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فقتله سنة (١٢)هـ/ الأعلام ، وانظر ترجمته في الإصابة وغيرها. وانظر تحقيقاً نفيساً حول قصة خالد مع مالك بن نويرة في كتاب: «أبو عبيدة بن الجراح أمين الأمة وفاتح الديار الشامية» ص: (١٦٩ ـ ١٧٤) لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب. نشر دار القلم.

يُقتَل ، وحُكْمُه عند الأمةِ القَتْل كالزِّندِيق وقد فرضَ اللهُ [تعالى] توقيره وَبِرَّه.

وفي «المبسوط» عن عثمان بن كِنَانة : مَنْ شَتَم النبي ﷺ مِن المسلمين قُتِل ، أو صُلبَ حَيّاً ، ولم يُسْتَتَبْ ، والإمامُ مُخَيَّرٌ في صَلْبِه حيّاً أوْ قَتْله.

ومن رواية أَبي المُصْعَب ، وابن أبي أُوَيس: سمعْنَا مالكاً يقولُ: مَنْ سبَّ رسول الله ﷺ ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقَّصَهُ ، قُتِلَ ـ مُسلماً كان أو كافراً ـ ولا يُسْتتاب.

وفي كتاب محمد: أخبرنا أصحابُ مالك أنه قال: مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ أو غيره من النبيين مِنْ مسلم أو كافر قُتِل ولم يُسْتَتَبْ.

وقال أَصْبَغُ: يُقتَلُ على كل حالٍ أَسرَّ ذلك أَو أَظهر[هُ]؛ ولا يُسْتَتابُ؛ لأَن توبَته لا تعرفُ.

وقال عبدُ الله بنُ عبد [1]الحَكَم[2]: مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ من مسلم أو كافرٍ قُتِل ولم يُسْتَتَبْ.

وحكى الطبريُّ فيه مِثْلَه ، عن أَشهب ، عن مالك.

وروَى [ابْنُ] وَهْب ، عن مالك: مَنْ قال: إنَّ رداء النبي ﷺ ـ ويروى: زِرَّ النبيّ [ﷺ] ـ وسِخٌ؛ أراد به عَيْبَه: قُتِل.

وقال بعضُ علمائِنا: أجمع العلماءُ على أَنَّ من دعا على نبيٍّ من الأنبياء بالويلِ ، أو بشيءٍ من المكروه أنه يقتل بلا استتابةٍ.

وأَفْتَى أبو الحسن القابسيّ (١٩٠/أ) فيمن قال في النبيّ [ﷺ]: الحمَّالُ[3]؛ يتيمُ أَبي طالب ـ بالقَتْل.

وأفتى أبو محمدِ بنُ أَبِي زَيْد بقَتْل رجُلٍ سَمِعَ قوماً يتذَاكرونَ صفةَ النبيّ ﷺ

---

(١) كلمة: «عبد» ، لم ترد في المطبوع.

(٢) هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين، إمام فقيه، صاحب مالك. ولد سنة (١٥٥)هـ. ومات سنة (٢١٤)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣)

(٣) لأنه كان ﷺ إذا اشترى شيئاً من السوق حمله بنفسه ، تواضعاً منه ﷺ.

إذ مَرَّ بهم رجلٌ قَبِيحُ الوَجْه واللِّحْيَة؛ فقال لهم: تريدون تعرفونَ صِفَتَه؟ هي في صِفَةِ هذا المارِّ في خَلْقِه ولحيتِه. قال: ولا تُقْبَلُ توبَته.

وقد كذَبَ ـ لعَنَهُ الله ـ وليس يخرجُ ذلك من قلْبِ سلِيم الإيمان.

وقال أحمد بن أبي سليمان ـ صاحبُ سُحْنون ـ: مَنْ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ كان أسودَ يُقتَل.

وقال في رَجُل قيل له: لا، وحقِّ رسولِ الله! فقال: فعل اللهُ برسولِ الله كذا وكذا، [وذكر] كلاماً قبيحاً؛ فقيل له: ما تقولُ؟ يا عَدُوَّ الله! فقال أشدَّ من كلامِه الأول؛ ثم قال: إنما أردتُ برسولِ الله العَقْرب. فقال ابنُ أبي سليمان للذي سأله: اشْهَدْ عليه وأنا شريكُك يُريدُ: في قَتْله وثوابِ ذلك.

قال حبيبُ بن الربيع: لأنَّ ادِّعاءَه التأويل في لفظٍ صُرَاح لا يُقْبَل؛ لأنه امتهانٌ؛ وهو غَيْرُ مُعَزِّز لرسولِ الله ﷺ، ولا مُوَقِّر له؛ فوجب إباحةُ دَمِه.

وأفتى أبو عَبْد الله بن عتّاب ـ في عَشَّارٍ[1]؛ قال لرجل: أدِّ، واشْكُ إلى النبي ﷺ؛ وقال: إن سَألْتُ أو جَهِلْتُ[2]، فقد جَهِل وسأَل النبيُّ [ﷺ] ـ بالقَتْل.

وأفتى فقهاءُ الأندلس بقَتْل ابن حاتم المُتَفقِّه الطُّلَيْطلي وصَلْبه بما شُهد عليه به من استِخْفَافه بحق النبيّ ﷺ وتسميتِهِ إياه أثناءَ مناظرته باليتيم، وخَتَنِ حَيْدَرَة[3]، وزعْمِه أَنَّ زُهْدَه لم يكن قَصْداً؛ ولو قَدَر على الطيبات أكلها، إلى أَشْباهٍ لهذا.

وأَفْتَى فقهاءُ القَيْرَوانِ[4] وأصحابُ سَحنون بقَتْل إبراهيم الفَزَاري، وكان

---

(١) العَشَّار: من يأخذ الضرائب من الناس ظُلْماً وجوراً.

(٢) في المطبوع: «أو جعلت»، وهو تحريف.

(٣) خَتَن حَيْدرة: هو والد زوج علي بن أبي طالب. يريد به رسول الله ﷺ. (حَيْدَرة): هو سيدنا علي بن أبي طالب.
والختن: القريب من جهة المرأة كأبيها وأخيها.

(٤) القَيْروان: مدينة في الجمهورية التونسية.

شاعراً مُتَفَنِّناً في كثير من العلوم ، وكان مِمَّن يَحْضُر مَجْلسَ القاضي أبي العباس ابن طالب[١] للمناظرة ، فرُفِعَتْ عليه أُمورٌ مُنْكَرَةٌ من هذا الباب في الاستهزاءِ بالله وأنبيائه ونبيِّنا عليه السلام؛ فأحضَرَ له القاضي يحيى بن عُمر[٢] وغيرِهِ من الفقهاء ، وأَمَرَ بقَتْلِه وصَلْبِه؛ فطُعِنَ بالسكين ، وصُلِبَ مُنَكَّساً؛ ثم أُنزل (١٩٠/ب) وأُحرِق بالنار.

وحكى بعضُ المؤرخين أنه لمّا رُفِعَتْ خشَبَتُه ، وزالت عنها الأَيدي استدارت ، وحوَّلَتْهُ عن القِبْلَةِ؛ فكان آيةً[٣] للجميع ، وكبَّر الناسُ ، وجاء كلْبٌ فولَغَ في دَمِهِ[٤]؛ فقال يحيى بن عُمر: صدق رسولُ الله ﷺ.

١٧٦١ ـ وذكر حديثاً عنه عليه السلام أنه قال: «**لاَ يَلَغُ الكلْبُ في دم امرىءٍ[٥] مسلم**»[٦].

وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط[٧]: مَنْ قال: إنَّ النبيّ ﷺ هُزِمَ يُسْتتابُ ، فإنْ تاب وإلا قُتِل؛ لأنه تَـنَـقُّصٌ؛ إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته ، إذ هو على بَصِيرة من أمره ، ويقين من عصمته.

وقال حبيب بن ربيع القَرَوي: مذهبُ مالك وأصحابه أنَّ مَنْ قال فيه ـ عليه السلام ـ: ما فيه نَقْص ، قُتِل دُون استتابة.

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي. قاضٍ ، مالكي من علماء الفقهاء. ولي قضاء القيروان مرتين ومات في السجن سنة (٢٧٦)هـ. من كتبه: الرد على من خالف مالكاً. انظر الأعلام.

(٢) هو يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي ، فقيه مالكي ، عالم بالحديث. نشأ بقرطبة ، وسكن القيروان. توفي سنة (٢٨٩)هـ. من كتبه: «الوسوسة» ، و«النساء» و«الرد على الشافعي». انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ ، والأعلام.

(٣) آية: عبرة وعظةً.

(٤) فولغ في دمه: أي شرب منه بلسانه.

(٥) كلمة: «امرىءٍ» ، لم ترد في المطبوع.

(٦) قال السيوطي في المناهل (١٣١٩) «لم أجده ، وبلغني عن ابن حجر أنه قال: لا أصل له».

(٧) هو محمد بن خلف الأندلسي. من كبار المالكية ، كان مفتي المَرِيَّة وقاضيها ، توفي سنة (٤٨٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦٦ ـ ٦٧.

وقال ابنُ عتّاب : الكتابُ والسنةُ مُوجِبانِ أَنَّ مَنْ قصَد النبيَّ ﷺ بأَذى أو نَقْص ، معرِّضاً أو مصرّحاً ـ وإنْ قلَّ ـ فَقَتْله واجِبٌ. فهذا البابُ كلُّه مما عدَّه العلماءُ سبّاً و نَقْصاً[١] يجِبُ قَتْلُ قائله ، لم يختَلِفْ في ذلك متقدِّمُهم ولا متأخِّرُهم ، وإن اختلفوا في حكم قَتْله على ما أشرنا إليه ونبيِّنُه بعدُ أيضاً. إن شاء الله[٢] .

وكذلك أقولُ: حُكْمُ مَنْ غمصَه[٣] أو عَيَّره برعاية الغَنم ، أو السَّهْوِ ، أو النسيان ، أو السّحْرِ ، أو ما أصابه من جُرُوحٍ أو هزيمة لبعض جيوشه ، أو أَذَى مِنْ عدوِّه ، أو شدةٍ من زَمَنِه ، أو بالمَيْل إلى نسائه ؛ فحُكْمُ هذا كلِّه ـ لمَنْ قصدَ به نَـقْصه ـ القَتْلُ.

فصـل

فِيْ الحُـجَّـةِ فِيْ إِيْجَابِ قَـتْـلِ مَـنْ سَبَّـهُ أَوْ عَابَـهُ عَلَيْـهِ السَّـلَامُ

فمن الكتاب العزيز لَعْنَةُ اللهِ لمُؤْذيْهِ[٤] في الدنيا والآخرة ، وقِرانُه تعالى أَذاهُ بأَذاهُ ، ولا خِلاَفَ في قَتْلِ مَنْ سبَّ الله ، وأَنَّ اللَّعْنَ إنما يستوجِبُه مَنْ هو كافِرٌ ، وحُكْمُ الكافر القَتْلُ ؛ فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

وقال ـ في قاتلِ المُؤْمِنِ مِثْلَ ذلك ؛ فمِنْ لَعْنَتِهِ في الدُّنْيَا الْقَتْلُ ؛ بقوله[٥] تعالى : ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ[٦] فِى ٱلْمَدِينَةِ

---

(١) في المطبوع : «أو تنقصاً» .

(٢) قوله : «أيضاً إن شاء الله» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) غمصه : عابه .

(٤) في المطبوع : «فمن القرآن لَعْنُهُ تعالىٰ لمؤذيه» .

(٥) في المطبوع : «قال الله» .

(٦) (المرجفون) : المشيعون للأخبار الكاذبة .

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ[1] بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا[2] أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

وقال في ـ المُحَارِبِينَ، وذكر عقوبتهم ـ (١٩١): ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ[3] فِي الدُّنْيَا﴾ [المائدة: ٣٣].

وقد يَقَعُ القَتْلُ بمعنى اللَّعْن؛ قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ[4]﴾ [الذاريات: ١٠] أي لعنهم الله[5]. و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] أي: لعنهم الله؛ ولأنه فرَّقَ بين أذاهما وأذى المؤمنين؛ فقال في أذى المؤمنين[6] ما دُونَ القتْلِ؛ مِن الضَّرْب والنَّكالِ بقوله: ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ الآية[7] [الأحزاب: ٥٨]. وكان حُكْمُ من يُؤْذِي الله[8] ونَبِيّه أشدَّ مِنْ ذلك؛ وهو القَتْل. وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فسلبَ اسْمَ الإيمانِ عمَّن وجَد في صَدْرِه حَرَجاً من قضائه، ولم يسلِّمْ له؛ ومَنْ تنقّصَه فقد ناقض هذا.

وقال [الله] تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

---

(١) (لنغرينَّكَ بهم): لَنُسَلِّطَنَّكَ.

(٢) (ثقفوا): وجدوا.

(٣) (خزي): ذُلٌّ وفضيحة وعقوبة (كلمات القرآن لمخلوف).

(٤) (قتل الخرَّاصون): لعن وقُبِّحَ الكذَّابون (كلمات القرآن لمخلوف).

(٥) قوله: «أي لعنهم الله»، لم ترد في المطبوع.

(٦) في المطبوع: «وفي أذىٰ المؤمنين».

(٧) قوله: «بقوله: فقد احتملوا بهتاناً، الآية»، لم يرد في المطبوع.

(٨) في المطبوع: «فكان حكم مؤذي الله».

ولا يُحْبِط الْعَمَلَ إلا الكفرُ ، والكافرُ يُقتَل .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ . . ﴾ [المجادلة : ٨] . ثم قال تعالىٰ : ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة : ٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾(١) [التوبة : ٦١] ثمَّ قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] .

قال أهل التفسير : ﴿كفرتُم﴾ بقَوْلكم في رسول الله ﷺ .

وأمَّا الإجماعُ فقد ذكرناه .

١٧٦٢ ـ وأَمَّا الآثارُ فحدَّثنا الشيخُ أَبو عَبْد اللهِ : أحمدُ بن محمد (٢)بن غَلْبُون ، عن الشيخ أبي ذَرّ الهَرَوي إجازةً ، [قال] : حدثنا أبو الحسن الدارَقُطني ، وأَبو عُمر بن حَيُوَة ، قالا(٣) : حدثنا محمد بن نوح ، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحَسَن بن زَبَالة ، حدثنا عبد الله بن موسىٰ بن جعفر ، عن عليّ بن موسىٰ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن محمد بن علي بن الحُسين ، عن أبيه ، عن الحُسين بن علي ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : «مَنْ سبَّ نَبِيّاً فاقْـتُـلُوهُ ، ومَنْ سبَّ أصحابي فاضربوه»(٤) .

---

(١) هو أُذُنٌ : يسمع كل ما يقال له ويصدقه (كلمات القرآن لمخلوف) .

(٢) قوله : «بن محمد» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) كلمة : «قالا» : لم ترد في المطبوع .

(٤) أسنده المصنف من طريق الدارقطني . وأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه عبيد الله بن محمد العمري . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٦٠ : «رماه النسائي بالكذب» . وعدّ العلماء هذا الخبر من مناكيره (انظر لسان الميزان ٤/ ١١٢) . وضعفه السيوطي في المناهل (١٣٢٠) ، وفي الجامع الصغير (٨٧٣٥) . وسيأتي مختصراً برقم (١٨٢٤) .

١٧٦٣ ـ وفي الحديث الصحيح: أَمر النبيُّ ﷺ بقَتْل كَعْب بن الأَشرف. وقولُه: «مَنْ لكَعْب بن الأَشْرَفِ؟ فإنه يُؤْذِي اللهَ ورسولَه»[١]. ووجَّه إليه مَنْ قتلَه غِيلَةً دونَ دَعوةٍ، بخِلاف غيره من المشركين (١٩١/ب) وعلَّلَ [قَتْلَهَ] بأذاه له، فدلَّ أَنَّ قَتْلَه إياهُ لغير الإشراك، بل للأذى.

١٧٦٤ ـ وكذلك قَتَلَ أبا رافع، قال البراءُ: وكان يُؤْذي رسول الله ﷺ، ويُعِين عليه[٢].

١٧٦٥ ـ وكذلك أَمْرُه يومَ الفَتح[٣] بقَتْل ابْنِ خَطَل[٤]، وجاريَتيْهِ اللَّتَيْن كانتا معه[٥] تُغَنِّيان بسبِّه عليه السلام.

١٧٦٦ ـ وفي حديث آخر أنَّ رجلاً كان يَسُبُّه عليه السلام، فقال: «مَنْ يَكْفِيني عَدُوِّي؟» فقال خالدٌ: أنا، يا رسول الله! فبعثه [ﷺ] فقتله[٦].

وكذلك قتل جماعةً ممَّن كانوا يؤذونه من الكُفَّار وَيَسُبُّونَه[٧] كالنّضر بن الحارث، وعُقْبة بن أبي مُعَيْط.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢١٠)، ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله. (كعب بن الأشرف): شاعر يهودي أكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم. قتل سنة (٣)هـ. انظر الأعلام.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٣٩) من حديث البراء بن عازب. (أبو رافع): هو اليهودي عبد الله بن أبي الحقيق. ويقال: سلاَّم بن أبي الحقيق.

(٣) (يوم الفتح): أي فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

(٤) (ابن خَطَل): مختلف في اسمه قيل: عبد الله، وقيل: عبد العزىٰ، وقيل: غالب. قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: والسبب في قتله أنه كان أسلم، ثم ارتدّ، وكانت له قينتان، تغنيان بهجاء المسلمين.

(٥) كلمة: «معه»، لم ترد في المطبوع.

(٦) قال الدَّلَجيُّ: «لا أدري مَنْ رواه». وانظر الحديث الآتي برقم (١٧٦٩).

(٧) في شرح القاري (٤/٣٥٧): «وكذلك أمر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه». وفي المطبوع ونسيم الرياض: «وكذلك لم يُقِلْ جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه».

وعَهِد بقَتْلِ جَمَاعةٍ منهم قبل الفَتْح وَبَعْدَه ، فقُتِلوا إلا مَنْ بادر بإسلامِه قبل القُدْرَة عليه .

١٧٦٧ ـ وقد رَوَى البزَّارُ ، عن ابن عباس ـ أَنَّ عُقْبة بن أَبي مُعَيط نادىٰ : يا مَعْشَر قريش! مالي أُقْتَل مِنْ بينكم صَبْراً؟! فقال له ﷺ: «**بكُفْرِك وافترائك على رسول الله ﷺ**»[١] .

١٧٦٨ ـ وذكر عبد الرزّاق أنَّ النبي ﷺ سبَّهُ رجلٌ ، فقال: «**مَنْ يَكْفِينِي عَدُوّي؟**»فقال الزبير: أنا ، فبارزه فقتله الزبير[٢] .

١٧٦٩ ـ ورَوَى أيضاً أن امرأَةً كانت تَسُبُّه عليه السلام ، فقال: «**مَنْ يَكْفيني عَدُوّي؟**»[٣] فخرج إليها خالد بن الوليد فقتَلَها.

١٧٧٠ ـ وروَى أن رجلاً كذَب على النبيِّ ﷺ ، فبعث عَلِيّاً والزُّبير إليه ليقتُلاه[٤] .

١٧٧١ ـ ورَوَى ابنُ قانع أَنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله! سمعتُ أَبي يقولُ فيك قولاً قَبِيحاً فقتلْتُه! فلم يَشُقَّ ذلك عَلى النبي ﷺ .

---

(١) أخرجه البزار (١٧٨١) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٩): «وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل ، وهو ضعيف ، وثقه ابن حبان». وضَعَّف إسناده السيوطي في المناهل (١٣٢٥).
(صبراً): صبرتُ القتيل على القتل: إذا حبستَهُ عليه لتقتله بالسيف وغيره (قاله في جامع الأصول ٢/ ٦١٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٩٤٧٧ ، ٩٧٠٤) من حديث عكرمة مرسلاً. وفي إسناده رجل لم يُسَمَّ.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المُصنَّف برقم (٩٧٠٥). بلفظ حديثنا. وفي المطبوع: «عدوَّتي» بدل «عدوي».

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٠٧) عن مَعْمَرٍ ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير مرسلاً. وفي إسناده راوٍ لم يُسَمَّ.
وأخرجه عبد الرزاق ـ مطولاً ـ في الجامع (٢٠٤٩٥) عن معمر بالإسناد السابق. وأخرج الطبراني في الأوسط نحو هذه القصة من حديث عبد الله بن عمرو. وفيه: إن اللَّذين بعثهما رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٥: «وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط».

١٧٧٢ ـ وبَلَغ المهاجِرَ بن أبي أميةَ ـ أميرَ اليمن لأَبي بكر [رضي اللهُ عنه] ـ أن امرأةً هناك في الردّةِ غنّتْ بِسَبِّ النبيّ ﷺ، فقطع يَدَها، ونزع ثَنِيَّتَها[١]، فبلغ أبا بكر رضي الله عنه ذلك، فقال له: لولا ما فعلْتَ لأمرتُك بقَتْلها، لأَنَّ حَدَّ الأَنبياء ليس يشبهُ الحدودَ.

١٧٧٣ ـ وعن ابن عباس: هَجَتْ امرأةٌ من خَطْمَةَ[٢] النبيَّ ﷺ، فقال: «مَنْ لي بها؟» فقال رجلٌ من قَوْمِها: أنا يا رسول الله! فنهض فقتلها، فأخبر النبي ﷺ (١٩٢/أ) فقال: «لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَانِ»[٣].

١٧٧٤ ـ وعن ابن عباس أن أَعمى كانَت له أُمُّ وَلدٍ تَسُبُّ النبيّ ﷺ فيَزْجُرها فلا تَنْزجِرُ، فلما كانت ذات ليلةٍ جعلت تَقَعُ في النبيِّ ﷺ وتَشْتمه، فقتلها، وأَعْلَم النبيَّ ﷺ بذلك، فأهدرَ دَمَها[٤].

١٧٧٥ ـ وفي حديث أَبي بَرْزَةَ الأسلمي: كنتُ يوماً جالساً عند أبي بكر [الصديق]، فغضِب على رجل من المسلمين ـ وحكى القاضي إسماعيلُ، وغَيْرُ واحدٍ من الأئمةَ[٥] في هذا الحديث أنه سبّ أبا بكر ـ ورواه النسائي: أتيتُ أبا بكر ـ وقد أغلظ لِرَجُلٍ فردَّ عليه[٦]، فقلتُ: يا خليفةَ رسول الله! دَعْنِي أَضربْ عُنقَه. فقال: اجْلِسْ، فليس ذلك لأحدٍ إلا لرسول الله ﷺ[٧].

---

(١) (ونَزَعَ ثَنِيَّتَها): أي قلعها. والثَّنِيَّةُ: إحدى الأسنان الأربعة في مقدم الفم: ثنتان من فوق، وثنتان من تحت.

(٢) (خَطْمة): اسم قبيلة.

(٣) أخرجه الواقدي في المغازي ص: (١٧٣). والمرأة: هي عصماء بنت مروان من بني أمية بن يزيد. (لا ينتطح فيها عنزان): أي لا يجري فيها خلف ونزاع (النهاية).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي ٧/١٠٧ ـ ١٠٨ وغيره، وصححه الحاكم (٤/٣٥٤)، ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (١٢٣٢) بتحقيقي: «رواه أبو داود، ورجاله ثقات». (فأهدر دمها): أي أبطله، فلا قصاص ولا دية. (أم ولد) أي: جارية.

(٥) كأبي يعلى في المسند (٨٢).

(٦) في الأصل زيادة: «فأبىٰ»، ولم ترد في المطبوع ومصادر التخريج.

(٧) أخرجه أبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي (٧/١٠٩، ١١١)، وأحمد ١/١٠، والحميدي (٦)، =

قال القاضي أبو محمد بن نَصْر: ولم يخالِفْ عليه[1] أحد، فاستدلَّ الأئمةُ بهذا الحديث على قَتْل مَنْ أَغْضبَ النبيَّ ﷺ بكُلِّ ما أغضبه، أو آذاهُ أو سبّه.

ومِنْ ذلك كتابُ عُمر بن عبد العزيز إلى عامل الكوفة[2]، وقد استشاره في قَتْلِ رجُل سبَّ عُمر [رضي الله عنه] فكتب عُمر إليه: إنه لا يَحِلُّ قَتْلُ امرىء مسلم بسَبِّ أحدٍ من الناس إلا رجلاً سبَّ رسول الله ﷺ، فمَنْ سَبَّهُ فقد حَلَّ دَمُه.

وسأل الرشيدُ مالكاً في رَجُلٍ شتَم النبيَّ ﷺ، وذكر له أَنَّ فقهاءَ العراقِ أَفْتَوْه بجَلْدِه، فغَضِبَ لذلك[3]، وقال: يا أمير المؤمنين! ما بقاء الأُمَّةِ بعد [شتم] نبيِّها؟! مَنْ شَتَمَ الأَنبياء قُتِل، ومَنْ شتمَ أصحابَ النبيِّ ﷺ يُجْلَدُ[4].

قال القاضي أبو الفضل [رحمه الله تعالى]: كذا وقع في هذه الحكاية، رواها غَيْرُ واحدٍ من أصحاب فتاوى[5] مالك، ومؤلِّفي أخباره وغيرهم، ولا أَدري مَنْ هؤلاء الفقهاءِ بالعراق الذين أَفتَوا الرشيد بما ذَكر؟ وقد ذكَرْنا مذهبَ العراقيين بقَتْلِه، ولعَلَّهم مِمَّنْ لم يُشْهَرْ بعِلْمٍ، أو مَنْ لا يُوثَق بفَتْواهُ، أو يميلُ به هَواهُ، أو يكون ما قاله يُحْمَل عَلَى غير السبِّ، فيكون الخلافُ: هل هو سَبٌّ أو غيرُ سَبٍّ؟ أو يكون رجع وتاب عن[6] سَبِّه، فلم يَقُلْه لمالك على أَصْله، [وإلا] فالإجماعُ[7] على قَتْل مَنْ سبَّهُ (١٩٢/ب) كما قَدَّمْناهُ.

ويدلُّ عَلَى قَتْله مِنْ جهة النَّظَر والاعتبار أَنَّ مَنْ تنقَّصه ـ عليه السلام ـ أو سَبَّهُ فقد ظهرت علامةُ مَرضِ قَلْبِه، وبُرهانُ سِرِّ طَوِيَّتِهِ وكفره، ولهذا حكم[8] له

= وأبو يعلى (٧٩)، وصححه الحاكم (٤/ ٣٥٤) ووافقه الذهبي.

(١) في الأصل: «على»، والمثبت من المطبوع.

(٢) في المطبوع: «عامله بالكوفة».

(٣) في المطبوع: «مالك».

(٤) في المطبوع: «جُلد».

(٥) في نسخة: «مناقب».

(٦) في المطبوع: «مِنْ».

(٧) في الأصل: «والإجماع»، والمثبت من المطبوع.

(٨) في المطبوع: «ولهذا ما حكم».

كثيرٌ مِنَ العلماء بالردَّة ، وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي ، وَقَوْلُ الثوري ، وأبي [1]حنيفة ، والكوفيين .

والقولُ الآخَرُ: أنه دَلِيلٌ عَلى الكُفر ، فيُقْتَل حدّاً ، وإنْ لم يحْكَمْ له بالكُفْرِ إلاّ أنَّ يكون متمادياً عَلَى قولِه ، غَيْرَ مُنْكِر له ، ولا مُقْلعٍ عنه ، فهذا كافر ، وقولُه: إمَّا صَرِيحُ كُفْرٍ كالتكذيب ونحوه ، أو من كلماتِ الاستهزاء والذمّ ، فاعترافُه بها وتَـرْكُ تَـوْبَتِه عنها دليلُ اسْتِحْلاَلِه لذلك ، وهو كُفْرٌ أيضاً ، فهذا كافر بلا خلاف ، قال[الله] تعالى في مِثْلِه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

قال أهل التفسير: هي قولُهم: إنْ كان ما يَقُولُ محمد حقّاً لَنَحْنُ شَرٌّ من الحمير .

وقيل: بَـلْ قولُ بعضِهم: ما مَـثَلُنا ومثل محمدٍ إلا كقول القائل: سمِّنْ كَلْبَك يَـأْكُلْكَ وأَجِعْهُ يَـتْـبَعْكَ [2]، ولَئِنْ رجعْنَا إلى المدينة ليُـخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ .

١٧٧٦ ـ وقد قيل: إنَّ قائل مثل هذا ، إنْ كان مُسْتَتِراً به إنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الزِّنْـدِيق يُقْـتَل ، ولأنه قد غَيَّـرَ دِينَه ، و[قد] قال عليه السلام : «مَنْ غَيَّـرَ دِينَه فاضْرِبوا عُنقه»[3]ولأَنَّ لحُكْمِ النبيِّ ﷺ في الْحُرْمةِ مَزِيَّةً على أُمتِه ، وسابُّ الحرِّ مِنْ أُمَّتِه يُحَدُّ ، فكانت العقوبةُ لمَنْ سبَّه ـ عليه السلام ـ القَتْلَ ، لعظيم قَدْرِهِ ، وشفوفِ[4] مَنْزِلته على غَيْره .

---

(١) في المطبوع: «وأبو»، وهو غلط .

(٢) قوله: «وأجعه يتبعك» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) أخرجه ـ بلفظه ـ: مالك في الموطأ ٢/٧٣٦ من حديث زيد بن أسلم مرسلاً . ووصله البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس بلفظ: «من بدل دينه فاقتلوه» .

(٤) شفوف: زيادة .

فصل

[في أَسْبَابِ عَفْوِهِ ﷺ عَنْ بَعْضِ مَنْ آذَاهُ][1]

١٧٧٧ ـ فإنْ قلْتَ: فَلِمَ لَمْ يَقْتُلِ النبيُّ ﷺ اليهوديَّ الذي قال له: السَّامُ عليكم[2]، وهذا دعاءٌ عليه.

١٧٧٨ ـ ولا قَتَلَ الآخَرَ الذي قال له: إنَّ هذهِ لَقِسْمَةٌ ما أُرِيْدَ بها وَجْهُ الله، وقد تَأَذَّى النبيُّ ﷺ مِنْ ذلكَ، وقال: «قد أُوذِيَ موسى بأكثر من هذا[3] فصبر»[4] ولا قتل المنافقين الذين كانوا يُؤْذُونَه في أكثر الأحيان؟

١٧٧٩ ـ فاعلم ـ وَفَّقَنا اللهُ وإياك ـ أنَّ النبيَّ ﷺ كان أولَ الإسلامِ يَسْتَأْلِفُ عليه الناسَ، ويُميلُ قلوبَهم إليه وإلى محبته[5] ويحبّبُ إليهم الإيمانَ (١٩٣/أ) ويزينّه في قلوبهم، ويدارِيهم، ويقول لأصحابه: «إنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين ولم تُبْعَثُوا منفِّرين»[6].

١٧٨٠ ـ ويقول: «يَسِّروا وَلا تُعَسِّرُوا، وسكِّنُوا ولا تنفِّروا»[7].

١٧٨١ ـ ويقول: «لا يتحدّثُ الناسُ أنّ مُحمداً يقتلُ أصحابَه»[8].

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٦) من حديث أنس بن مالك. (السَّامُ): الموت.

(٣) في الأصل: «ذلك»، والمثبت من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث ابن مسعود. وقد تقدم برقم (١٧٣).

(٥) قوله: «إليه، وإلى محبته»، لم يرد في المطبوع.

(٦) أخرجه البخاري (٢٢٠) من حديث أبي هريرة بلفظ: «معسّرين»، بدل «منفّرين». وهو طرف من حديث بول الأعرابي في المسجد النبوي الشريف. (منفّرين) المنفّرون: هم الذين يلقون الناس بالغلظة والشدة، بما يحملهم على النفور. يقال: نفر يَنْفِر نفوراً ونِفاراً، إذ فرَّ وذهب.

(٧) أخرجه البخاري (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس بن مالك. (ولا تنفّروا): انظر التعليق السابق.

(٨) تقدم برقم (١٧٧، ١٧١٠) وسيأتي برقم (١٧٨٣).

وكان ﷺ يُدَارِي الكفّارَ والمنافقين، ويُجْمِلُ صُحْبَتَهم، ويُغْضِي عليهم[1]، ويحتملُ مِنْ أذاهم، وَيصبِرُ عَلى جفائهم ما لا يجوزُ لنا اليوم الصَّبْرُ لهم عليه، وكان يُرْفِقُهم[2] بالعطاءِ والإحسان، وبذلك أمره الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وذلك لحاجةِ النَّاسِ للتّألّف أول الإسلام، وجَمْع الكلمة عليه، فلما استقرَّ وأظهرهُ الله عَلَى الدِّين كلِّه قَتَلَ مَنْ أَقْدَرَهُ الله عليه[3]، واشتهر أمْرُه، كفِعْله بابْنِ خَطَل، ومَنْ عَهد بقَتْلِه يَوْمَ الفَتْح، ومَنْ أَمكنه قَتْلُه غِيْلَةً مِنْ يهود وغيرهم، أو غلبةً مِمَّنْ لم يَنْظِمْه قَبْلُ سِلْكُ صُحْبته، والانخراط في جُمْلَة مُظْهِرِي الإيمان له مِمَّنْ كانَ يُؤذِيه، كابن الأَشرفِ، وأبي رافع، والنّضرِ، وعُقْبة.

وكذلك نَذَر دَمَ جماعةٍ[4] سِوَاهم، كَكَعْب بن زهير، وابن الزِّبَعْرىٰ[5] وغيرهما ممَّنْ آذاه حتى أَلقَوا بأيديهم، ولَقُوهُ مسلمين.

وبَوَاطِنُ المنافقين مُسْتَتِرةٌ، وحُكْمُه ـ عليه السلام ـ على الظاهر، وأكثَرُ

---

(١) (يغضي عليهم): أي يخفي عليهم ذنبهم/ قاله القاري. وفي المطبوع: «يغضي عنهم» أي: يغمض عينه عن عيبهم.
(٢) (يرفقهم): ينفعهم ويصلهم.
(٣) في نسخة: «من قدر عليه».
(٤) نذر دمَ جماعة: أي التزم قتلهم، وأوجبه علىٰ نفسه. وفي نسخة على هامش الأصل: «هدر» بدل «نذر».
(٥) هو عبد الله بن الزِّبَعْرىٰ، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران ثم عاد إلى مكة فأسلم واعتذر. توفي نحو سنة (١٥)هـ. انظر الأعلام.

تلك الكلمات إنما كان يَـقُولُها القائلُ منهم خُـفْـيَـةً ، ومـع أمثالِـه الكفـار[1] ويَحلفونَ عليها إذا نُميت[2] ، وينكرونها ، و﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ الآيات [التوبة : ٧٤] ، وكان ـ عليه السلام ـ مع هذا يَطْمَعُ في فَيْئتهم[3] ، ورجوعهم إلى الإسلام ، وتَوْبَتِهم ، فيَصْبِرُ ـ عليه السلام ـ على هَنَاتهم[4] وجَفْوَتهم ، كما صبر أُولوا العَزْمِ من الرُّسل حتى فاء كثير منهم باطناً ، كما فاءَ ظاهراً ، وأَخلص سِرّاً كما أظهر جَهْراً ، ونفع اللهُ بَعْدُ بكثير منهم ، وقام منهم للدِّين وُزَراءُ وأعوانٌ وحُمَاة وأنصار كما جاءت به الأخبار.

وبهذا أجاب بَعْضُ أئمتنا رَحِمَهم اللهُ عن هذا السؤال وقال : لعله لم يَثْبُتْ عنده ـ عليه السلام ـ من أَقوالهم ما رُفِع ، وإنما (١٩٣/ب) نقله الواحدُ ، ومَنْ لم يَصِلْ رُتْبَةَ الشهادةِ في هذا الباب ، من صَبّي ، أوْ عَبْدٍ ، أو امرأةٍ ، والدماءُ لا تُسْتَبَاحُ إلاَّ بِعَدْلَيْنِ.

١٧٨٢ ـ وعلى هذا يُحْمَلُ أَمْرُ اليَهُود في السلام ، وأنهم لوَوْا به ألسنتهم ، ولم يبيِّنُوه ، أَلا تَرَى كيف نَبَّهَتْ عليه عائشةُ ، ولو كان صَرَّحَ بذلك لم تَنْفَرِدْ بعِلْمِهِ ، ولهذا نَبَّه النبيُّ ﷺ أصحابه على فِعلهم ، وقِلّةِ صِدْقهم في سَلاَمِهم ، وخيانتِهم في ذلك ، لَيّاً بألسنتهم[5] ، وطَعْناً في الدِّين ، فقال : «**إنَّ اليهودَ إذا سلَّمَ أحدُهم فإنما يَقُولُ : السَّامُ عليكم ، فقولوا : عليكم**»[6].

وكذلك قال بعضُ أَصحابنا البَغْدَادِيين : إنَّ النبيَّ ﷺ لم يَقْتُل المنافقين بعلْمِه فيهم ، ولم يَأْتِ أَنه قامت بيِّنَةٌ على نِفَاقِهم ، فلذلكَ تركهم.

---

(١) كلمة : «الكفار»، لم ترد في المطبوع.
(٢) (نُميت) : نُقِلَتْ.
(٣) (فيئتهم) : توبتهم ورجوعهم إلى الحق.
(٤) (هناتهم) : قبائحهم وفسادهم وشرهم.
(٥) (ليّا بألسنتهم) : انحرافاً إلى جانب السوء في القول (كلمات القرآن لمخلوف).
(٦) متفق عليه. انظر جامع الأصول (٦/٦٠٩ ـ ٦١٣).

وأيضاً فإنَّ الأَمْرَ كان سِرّاً وباطناً ، وظاهِرُهم الإسلامُ والإيمانُ ، وإنْ كان مِنْ أهلِ الذمة بالعَهْدِ والجِوار ، والناسُ قريبٌ عَهْدُهم بالإسلامِ ، [و] لم يتميَّزْ بَعْدُ الخبيثُ من الطيب .

وقد شاعَ عن المذكورين في العَرَب كَوْنُ مَنْ يُتَّهَم بالنِّفَاقِ من جملة المؤمنين وصَحَابة سيِّد المُرسلين ، وأنصار الدين بحُكْمِ ظاهِرهم ، فَلوْ قَتَلهم النبيُّ ﷺ لنفَاقهم وما يَبْدُرُ منهم ، وعِلْمِه بما أَسَرُّوا في أَنفسهم لوجَدَ المنَفِّرُ ما يقول ، ولارْتابَ الشاردُ ، وأَرْجَفَ المعانِدُ[1] ، وارتاعَ من صحبة النبيِّ ﷺ ، والدخولِ في الإسلام غَيْرُ واحد ، ولزعَمَ الزاعِمُ وطَعنَ[2] العدوّ الظالِمُ ـ أنَّ القَتْلَ إنما كان للعداوة وطلب أخْذِ التِّرَة[3] .

١٧٨٣ ـ وقد رأيتُ معنى ما حرَّرْتُه منسوباً إلى مالك بنِ أَنَس [رحمه الله] ولهذا قال عليه السلام : «لا يتحدَّثُ الناسُ أَنَّ محمداً يقْتُلُ أَصحابه»[4] .

١٧٨٤ ـ وقال : «أولئك الذين نَهاني اللهُ عن قَتْلهم»[5] .

وهذا بخلافِ إجراءِ الأحكام الظاهرةِ عليهم من حدُودِ الزِّنَا والقَتْلِ وشِبْهِه ، لظهورها واستواءِ الناسِ في علمها .

وقد قال محمد بن المَوَّاز : لو أَظهر المنافقون نِفَاقَهم لقَتلهم النبيُّ ﷺ ، وقاله القاضي أبو الحَسَن بن القَصَّار .

وقال قتادةُ في تفسير قوله تعالى : ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٠ ـ ٦٢].

---

(١) أَرْجَفَ المعاند : خاض في الأخبار السيئة .

(٢) في المطبوع : «وظنَّ» .

(٣) (الترة) : الثأر .

(٤) تقدم برقم (١٧٧ ، ١٧١٠ ، ١٧٨١) .

(٥) قال القاري في شرح الشفا (٤/ ٣٧٨) : «لا يعرف من رواه» .

قال: معناه إذا أَظهروا النِّفَاقَ.

وحكى محمد بن مسلمةَ في «المبسوط» عن زيد بن أَسلم في[1] قوله [تعالى]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. أَنَّها نَسَخَتْ[2] ما [كان][3] قَبْلَها.

وقال بعضُ مشايخنا: لعلَّ القائلَ: هذه قسمةٌ ما أُريدَ بها وَجْهُ اللهِ. وقولُه: اعْدِل ـ لم يَفْهَم النبيُّ ﷺ [منْهُ] الطَّعْنَ عليه، والتهمةَ له، وإنما رآها مِنْ وَجْهِ الغَلَط في الرّأي، وأمور الدنيا، والاجتهادِ في مصالح أَهلها، فلم ير ذلك سبّاً، ورأَى أنه من الأَذى الذي له العَفْو عنه، والصّبْرُ عليه، فلذلك لم يعاقِبْه.

وكذلك يُقَال في اليهود [إذ][4] قالوا: السَّامُ عليكَ[5]. ليس فيه صريحُ سَبٍّ ولا دعاء إلا بما لابُدَّ مِنْهُ من الموتِ الذي لابُدّ من لحاقِه جميعَ البَشَر.

وقيل: بل المرادُ: تَسْأَمون دينكم. والسأم والسآمةُ: المَلاَل.

وهذا دعاءٌ على سآمةِ الدِّين ليس بِصَريح سَبٍّ، ولهذا تَرْجَم البخاري[6] على هذا الحديث: «بابٌ: إذا عَرَّض الذِّمِّيُّ [أ] وغَيْرُه بسبِّ النبيّ ﷺ».

قال [بعضُ] علمائنا: وليس هذا بتعريض[7] بالسبِّ، وإنما هو تعريضٌ بالأَذَى.

---

(١) في المطبوع: «أَنَّ».

(٢) في المطبوع: «نسخها».

(٣) ما بين حاصرتين من شرح علي القاري ٤/ ٣٧٩. (نسخت ما كان قبلها): أي قبل نزولها من العفو والصفح عن أذيتهم له ﷺ الذي كان قبل في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قاله الخفاجي في نسيم الرياض ٤/ ٣٧٩.

(٤) ما بين حاصرتين من شرح الخفاجي وغيره. وفي المطبوع: «إذا».

(٥) في المطبوع: «إذ قالوا: السام عليكم».

(٦) في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين (١٢/ ٢٨٠ ـ فتح).

(٧) في الأصل: «تعريض»، والمثبت من المطبوع.

قال القاضي أبو الفضل: قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ الأَذى والسبَّ في حقه ـ عليه السلام ـ سواءٌ.

وقال القاضي أبو محمد بن نَصْر مُجِيباً عن هذا الحديث ببعضِ ما تقدَّم، ثم قال: ولم يذكُرْ في هذا[1] الحديث: هل كان هذا اليهوديُّ من أهلِ العَهْد والذمّة [أ]و الحرب؟

ولا يُتْرَكُ مُوجَبُ الأدلّة للأمر المُحْتَمل.

والأَوْلىٰ في ذلك كله [و] الأَظهرُ مِنْ هذه الوجوه مَقْصِدُ الاستئلافِ[2] والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون.

ولهذا[3] تَرْجَم البخاري[4] على حديثِ القِسْمَة والخوارج: «باب: مَنْ تركَ قِتالَ[5] الخوارج للتألُّف ولئلا يَنْفِرَ الناسُ عنه»، ولِمَا ذكَرْنا معناهُ عن مالك بن أنس، وقرّرناهُ قَبْلُ.

وقد صبر لهم عليه السلام على سِحْرِه وسَمّه، وهو أعظمُ مِنْ سبِّه إلى أَنْ نَصَرَهُ اللهُ تعالى عليهم، وأَذِنَ له في قَتْلِ مَنْ حَيَّنَهُ منهم[6]، وإنزالهم من صَيَاصِيهم[7]، وقذفَ في قلوبهم الرُّعْبَ، وكتب على مَنْ شاء منهم الجَلاَءَ، وأخرجهم (١٩٤/ب) من ديارِهم، وخرَّب بيوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

١٧٨٥ ـ وكاشفَهم بالسَّبِّ، فقال: «يا إخوةَ القِرَدَةِ والخَنَازير»[8].

وحَكَّم فيهم سيوفَ المسلمين، وأجلاهم مِنْ جِوَارِهم وأورثهم أَرَضَهُم

---

(١) كلمة: «هذا»، لم ترد في المطبوع.
(٢) في الأصل: «الاستئلافية»، والمثبت من المطبوع.
(٣) في المطبوع: «ولذلك».
(٤) في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين (١٢/ ٢٩٠ ـ فتح).
(٥) في الأصل: «قتل»، والمثبت من المطبوع، ومن البخاري.
(٦) (حَيَّنَهُ): أهلَكَهُ، وفي نسخة: «عَيَّنَه».
(٧) (صياصِيهم): جمع صَيَاصٍ، وهو الحِصْنُ.
(٨) انظر سيرة ابن كثير (٣/ ٣٧٨).

ودِيارَهم وأَموالَهم ، لِتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السُّفْلى .

١٧٨٦ ـ فإن قلْتَ : فقد جاء في الحديث الصحيح ، عن عائشة [رضي الله عنها] أنه ـ عليه السلام ـ ما انْتَقَم لنَفْسه في شَيءٍ قط يُؤْتَى إليه ، إلا أَنْ تُنْتَهكَ حُرْمَةُ الله ، فينتقم لها[1] .

فاعلَمْ أَنَّ هذا لا يَقْتَضِي أنه لم يَنْتَقِمْ ممَّنْ سبَّه ، أو آذاه ، أو كَذَّبه ، فإنَّ هذه من حُرماتِ الله التي انتقم لها ، وإنما يكونُ ما لاَ يَنْتَقِمُ له فيما تعلَّق بسوءِ أدبٍ ، أو معاملةٍ ، من القول ، والفعل ، بالنّفس والمال ، مما لم يقْصِدْ فاعِلُه به أذاهُ ، لكن مما جُبِلَتْ عليه الأعرابُ من الجفاء ، والجهل ، أو جُبِل عليه البَشَر من الغفلة .

١٧٨٧ ـ كجَبْذِ الأعرابي بإزاره[2] حتى أَثَّرَ في عُنُقِه .

١٧٨٨ ـ وكرَفْع صَوْتِ الآخر عنده[3] .

١٧٨٩ ـ وكجَحْدِ الأعرابي شراءه منه فَرَسَه التي شَهِد فيها خُزيمة[4] .

١٧٩٠ ـ ولما كان مِنْ تظاهُر زَوْجَيْه عَليه[5] ، وأشباه هذا مما[6] يَحْسُنُ الصَّفْحُ عنه .

وقد قال بعض علمائنا : إن أذى النبي ﷺ حرام ، لا يجوز بفعل مباح ولا غيره . وأما غيره من الناس[7] فيجوز بفعل مباح مِمَّا يجوز[8] للإنسان

---

(١) في المطبوع : «لله» . والحديث تقدم برقم (١٧٠) .

(٢) هكذا في الأصل والمطبوع : «بإزاره» . وقد روىٰ هذا الحديث البخاري (٥٨٠٩) ، ومسلم (١٠٥٧) من حديث أنس ، وفيهما : «بِرِدَائِهِ» بدل : «بإزاره» . (جَبْذ) : جَذْب .

(٣) لعله ثابت بن قيس بن شمَّاسٍ . وقد تقدمت قصته برقم (١٢٥٢) .

(٤) تقدم برقم (٨٩٢) .

(٥) هما حفصة وعائشة . ورد ذلك في حديث البخاري (٤٩١٤) ، ومسلم (١٤٧٩) عن عمر بن الخطاب : (تظاهر زوجيه عليه) : أي تعاونهما على النبي ﷺ بما يسوؤُه .

(٦) في الأصل زيادة : «له» .

(٧) قوله : «من الناس» ، لم يرد في المطبوع .

(٨) في الأصل : «مالا يجوز» . والمثبت من مطبوع دار الوفا .

فعله ، وإن تأذى به غيره . واحتج بعموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

١٧٩١ ـ وبقوله ـ عليه السلام ـ في حديث فاطمة : «**إنها بَضْعة مني ، يؤذيني ما يؤذيها ، ألا وإني لا أُحرم ما أحلَّ الله ، ولكن لا تجتمع ابنةُ رسول الله ﷺ وابنة عدو الله [عند رجل أبداً]**[١]» أو يكون هذا مما آذاه به كافِرٌ وَجَاء بعد ذلك إسْلامُهُ ، كعَفْوِه عن اليهوديِّ الذي سَحَره ، وعن الأعرابي الذي أراد قَتْلَهُ ، وعن اليهودية التي سَمَّتْهُ ، وقد قيل : قتلها .

ومِثْلُ هذا مِمَّا يبلغُه مِنْ أذى أَهْلِ الكتاب والمنافقين ، فصفح عنهم رَجاءَ استئلافهم واستِئْلافِ غيرهم بهم[٢] كما قرَّرْنَاه قبلُ ، وبالله التوفيق .

فصـل

[في حُكمِ مَنْ تَـنَـقَّصَ النَّبِـيَّ ﷺ غَيْـرَ قَاصِدٍ للسَّبِّ والإِزْراءِ ولا مُـعْـتَقِدٍ لَهُ][٣]

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله : تقدّم الكلامُ في قَتْلِ القاصدِ لسبِّه والإزراء به ، وغَمْصِهِ بأَي وَجْهٍ كان من مُمْكِنٍ أو محالٍ ، فهذا وَجْهٌ بَيِّنٌ لا إشكال فيه .

والوجه الثاني : لاحِقٌ به في البَيَان والجَلاء ، وهو أَنْ يكونَ القائلُ لما قال في جِهَته ـ عليه السلام ـ غَيْرَ قاصدٍ للسَّبِّ والإزْراء ، ولا معتقدٍ [له] ولكنه تكلَّم في جهتِه ـ عليه السلام ـ بكلمة الكُفْرِ : مِنْ لَعْنِه ، أو سبِّه ، أو تكذيبه ، أو إضافةِ ما لايجوزُ عليه إليه[٤] ، أو نَفْيِ ما يجبُ له ، مما هو في حقِّه عليه السلام نقيصة ، مِثْلُ أَنْ يَنْسُبَ إليه إتْيَانَ كبيرةٍ ، أو مداهنةً في تبليغ الرسالةِ ، أو في حُكْمِ بين الناسِ ، أو يَغُضَّ من مَرْتَبته ، أو شرفِ نسبِه ، أو وُفور

---

(١) تقدم برقم (١٢٣٤) ، وسيأتي برقم (١٨٢٧) .

(٢) قوله : «بهم» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) ما بين حاصرتين من عندي .

(٤) قوله : «إليه» ، لم يرد في المطبوع .

(١٩٥/أ) عِلْمه أو زُهْده ، أو يكذِّبَ بما اشتهر من أمورٍ أَخبر بها ـ عليه السلام ـ وتواترَ الخَبَرُ بها عنه ، عن قَصْدٍ لردِّ خَبره ، أو يأتي بسفَهٍ من القولِ ، وقبيحٍ من الكلامِ ، ونوعٍ من السبِّ في جهته ، وإنْ ظهر بدليل حالِه أنه لم يعتمدْ ذَمَّهُ ، ولم يَقْصِدْ سبَّه ، إمَّا لجهالةٍ حملَتْهُ على ما قاله ، أو لضَجَر أو سُكْرٍ اضطرّه إليه ، أو قلةِ مُرَاقبة ، وَضَبْطٍ للسانه ، وَعَجْرَفةٍ ، وَتَهوُّر في كلامِه[١] ، فحُكْمُ هذا الوَجْهِ حُكْمُ [الوجه] الأول: القَتْلُ دون تَلَعْثُم[٢] ، إذ لا يُعذَرُ أَحدٌ في الكُفرِ بالجَهالَة[٣] ، ولا بِدَعْوى زَلَلِ اللسان[٤] ، ولا بشيءٍ مما ذكرناه ، إذ كان عقلهُ في فِطْرته سليماً ، إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان.

وبهذا أفتى الأندلسيّون على ابْنِ حاتمٍ في نَفْيه الزُّهْدَ عن رسول الله ﷺ الذي قدمناه.

وقال محمد بن سُحْنون ـ في المَأْسور يَسُبُّ النبيَّ ﷺ في أيدي العدو: يُقْتَل[٥] ، إلاّ أَنْ يُعْلَمَ تنصُّرُه أَو إكراههُ.

وعن أبي محمد بن أبي زيد: لا يُعْذَرُ بدَعْوى زَلَلِ اللسانِ في مِثْلِ هذا.

وأَفْتَى أبو الحَسَن القابِسيّ ـ فيمن شَتَم النبيَّ ﷺ في سُكْره: يُقْتَل ، لأنه يُظَنُّ به أنه يَعْتَقِدُ هذا ويَفْعَله في صَحْوِه.

وأيضاً فإنّه حَدٌّ لا يُسْقِطُهُ السُّكْرُ ، كالقَذْفِ ، والقَتْلِ ، وسائر الحدودِ ، لأنه أدخله على نَفْسِه ، لأنَّ مَنْ شربَ الخَمْر على عِلْمٍ مِنْ زَوالِ عَقْلِه بها ، وإِتْيَان ما يُنْكَر منه ، فهو كالعامِدِ لما يكونُ بِسببه.

وعلى هذا أَلْزَمْناهُ الطَّلاق والعِتَاقَ ، والقِصَاصَ والحدودَ.

---

(١) (وعجرفة وتهور في الكلام): العجرفة: جفوة في الكلام. التهور: الوقوع في الأمر بقلَّة مبالاة.

(٢) دون تلعثم: دون توقف.

(٣) في الأصل: «في الجهالة» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) (زللِ اللسانِ): خَطَئِهِ.

(٥) في الأصل: «ويقتل» ، والمثبت من المطبوع.

١٧٩٢ ـ ولا يُعْترض على هذا بحديث حمزة ، وقوله للنبيِّ ﷺ: وهل أنتم إلا عَبِيدٌ لأبي[١]؟.

قال: فعرف النبيُّ ﷺ أنه ثَمِلٌ[٢] فانصرف وتركه[٣]، لأن الخَمْرَ كانت حينئـذٍ غَيْرَ محرَّمة ، فلم يكُنْ في جناياتها إِثْمٌ ، وكان حُكْمُ ما يحدثُ عنها مَعْـفُوّاً عنه كما يحدثُ من النوم ، وشرب الدواءِ المأمون.

فصـل

[في حُـكْمِ مَنْ تَـنَـقَّصَ النَّبِيَّ ﷺ قَاصِداً لِذٰلِكَ][٤]

الوجه الثالث: أَنْ يَقْصِد إلى تكذيبه فيما قاله وأَتى به ، أَو يَنْفِي نبوَّته ، أو رسالته ، أو وُجوده ، أو يكفُرَ به ، انتقل (١٩٥/ب) بقوله ذلكَ إلى دين آخرَ غَيْر مِلَّتِه أم لا ، فهذا كافرٌ بإجماعٍ ، يجبُ قتْلُه ، ثم يُنْظَرُ ، فإِنَ كان مُصَرِّحاً بذلك كان حكْمُه أَشْبَه بِحُكْم المرتدِّ ، وقويَ الخلاف في استتابتِهِ.

وعلى القولِ الآخر: لا يَسقطُ القتلُ عند توبته[٥] لِحَقِّ النبي ﷺ ، إنْ كان ذكره بنقيصةٍ فيما قاله مِنْ كَذِب أو غيره ، وإن كان مُسْتَتِراً[٦] بذلك فحُكمهُ حكمُ الزنديق لا تُسقِطُ قَتْلَه التوبةُ عندنا كما سنبينُه.

قال أبو حنيفة وأصحابُه: مَنْ بَرِىء من محمد ، أو كذَّبَ به ، فهو مُرْتَدٌّ حلاَلُ الدَّمِ إلاَّ إنْ رَجع[٧].

وقال ابنُ القاسم ـ في المسلم إذا قال: إنَّ محمداً ليس بنبيّ ، أو لم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٧٥) ، ومسلم (١٩٧٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) (ثَمِلٌ): أي نَشْوان ، قد أخذ فيه الشراب.

(٣) قوله: «وتركه» ، لم يرد في المطبوع.

(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

(٥) في المطبوع: «لا يُسقطُ القَتْلَ عنه توبتُه».

(٦) في المطبوع: «مُتَسَتِّراً».

(٧) في المطبوع: «إلا أَنْ يرجع».

يُرسَل ، أو لم يُنْزَلْ عليه قرآن ، وإنما هو شيء تقوَّلَهُ: يُقْتَلُ.

قال: ومَنْ كفَر برسول الله ﷺ وأَنكره من المسلمين ، فهو بمنزلة المرتدّ ، وكذلك مَنْ أَعلن بتكذيبِه ، إنه كَالمرتدّ يُسْتتابُ.

وكذلك [قال] ـ فيمن تنبأ وزعم أنه يُوحى إليه. وقاله[1] سُحنون.

قال ابن القاسم: دعا إلى ذلك سِرّاً كان[2] أو جَهْراً.

قال أَصْبغُ: وهو كالمُرْتَدّ ، لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفِرْية على الله.

وقال أَشْهَبُ ـ في يهوديّ تنبّأَ [أ]و زعم أنه أُرسِلَ إلى الناس ، أو قال: بعد نبيّكم نبيٌّ: إنه يُسْتتَاب إن كان مُعْلِناً بذلك ، فإن تاب وإلاَّ قُتِل.

١٧٩٣ ـ وذلك لأنـه مكـذِّبٌ للنبيّ ﷺ في قوله: «لا نبيّ بعدي»[3] مُفْتَرٍ على اللهِ تعالىٰ في دَعْواهُ عليه للرسالةِ[4] والنبوّة.

وقال محمد بن سُحْنُون: مَنْ شَكَّ في حَرْفٍ مما جاء به محمد ﷺ عن الله فهو كافرٌ جاحدٌ.

وقال: مَنْ كذّبَ النبيَّ ﷺ كان حُكْمُه عند الأَئمةِ[5] القَتْلَ.

وقال أحمد بن أبي سليمان صاحبُ سُحْنُون ، مَنْ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ أَسودُ ـ قُتِل ، فإنه[6] لم يكن ـ عليه السلام ـ بأَسْوَد.

وقـال نحـوه أبو عثمـان الحـدّاد[7] ، قال: لو قـال: إنـه مـات قَبْـلَ أَن

---

(١) في المطبوع: «وقال».
(٢) كلمة: «كان»، لم ترد في المطبوع.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤) واللفظ له ، من حديث سعد بن أبي وقاص.
(٤) في المطبوع: «الرسالة».
(٥) في المطبوع: «الأمة».
(٦) قوله: «فإنه» ، لم يرد في المطبوع.
(٧) هو سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي ، صاحب سُحنون ، وأحد المجتهدين النسَّاك. مات سنة (٣٠٢)هـ وله (٨٣) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/٢٠٥ـ٢١٤.

يَلْتَحِي[(١)] (١٩٦/أ) ، أو إنه كان بِتَاهَرْتَ[(٢)] ولم يكن بتِهَامة[(٣)] قُتِل ، لأَنَّ هذا نَفْيٌ.

قال حبيب بن ربيع : تبديلُ صِفَته ومَوَاضِعه كفر ، والمظهِرُ له كافر ، وفيه الاستتابة ، والمُسِرُّ[(٤)] له زِنْدِيق ، يُقْتلُ دُونَ استِتابته.

فصــل

[فِيْ حُكْمِ مَنْ قَالَ كَلاماً يَحْتَمِلُ السَّبَّ وَغَيْرَهُ][(٥)]

الوَجه الرابع : أَنْ يأتِيَ من الكلام بمُجْمَلٍ ، ويلفِظَ من القولِ بمُشْكلٍ يمكنُ حَمْلُه على النبيّ ﷺ أو غيرِه ، أو يترددُ في المرادِ به مِنْ سلامته من المكروه أو شرِّه ، فهاهنا مُتردَّدُ النظر وحَيْرَةُ العِبَر ، ومَظِنَّة اختلافِ المجتهدين ، ووَقْفَةُ استبْراءِ المقلّدين ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢] فمنهم مَنْ غلَّب حُرْمةَ النبيِّ ﷺ ، و[حَمىٰ] حِمَىٰ[(٦)] عِرْضِه ، فَجَسر على القَتْلِ[(٧)] ، ومنهم مَنْ عظَّمَ حُرْمةَ القتل و[(٨)] الدَّمِ ، ودَرَأَ الحدَّ[(٩)] بالشُّبْهَةِ لاحتمالِ القَوْلِ.

---

(١) (قبل أن يلتحي) : قبل أن تنبت لحيته.

(٢) (تَاهَرْت) : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب (معجم البلدان).

(٣) (تهامة) : تطلق على الأرض المنكفئة إلى البحر من الشرق ، من العقبة في الأردن إلى «المخا» في اليمن. وفي اليمن تسمىٰ تهامة اليمن ، وفي الحجاز تسمى تهامة الحجاز ، ومنها مكة المكرمة ، وجُدَّة ، والعقبة. وقد ينسب رسول الله ﷺ إليها فيقال : التهامي (المعالم الأثيرة ص : ٧٣).

(٤) في الأصل : «المُسْتِرُ» والمثبت من المطبوع.

(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

(٦) حَمىٰ حِمىٰ عرضه : أي صان عِرْضَهُ الشريف ﷺ.

(٧) (فجَسَرَ على القتل) : أقدم عليه.

(٨) قوله : «القتل و» ، لم يرد في المطبوع.

(٩) (درأ الحدَّ) : دفعه.

وقد اختلف أئمتُنا في رجُلٍ أَغضَبهُ غَرِيمُه ، فقال له: صَلِّ على النبي محمد ، فقال له الطالبُ: لا صَلَّى الله على مَنْ صلَّى عليه ، فقيل لسُحْنُون: هل هو كمَنْ شتَم النبيَّ ﷺ أو شتَمَ الملائكةَ الذين يُصلُّون عليه؟ قال: لا ، إذا كانَ علىٰ ما وصَفْتَ من الغَضَبِ ، لأنه لم يكن مُضْمِراً الشَّتْمَ.

وقال أبو إسحاق البَرْقي ، وأَصْبَغُ بن الفَرَجِ: لا يُقْتَلُ ، لأنه إنما شتَم الناس ، وهذا نَحَوُ قولِ سُحْنُون ، لأنه لم يَعْذِرْهُ بالغَضَبِ في شَتْمِ النبيِّ ﷺ ، ولكنه لمّا احتملَ الكلامُ عنده ، ولم تكُنْ معه قرينةٌ تدل[1] على شَتْمِ النبيّ ﷺ ، أو شَتْمِ الملائكةِ صلواتُ الله عليهم ، ولا مُقدِّمةٌ يُحمَلُ عليها كلاَمُه ، بل القرينةُ تدلُّ على أنّ مرادهُ الناسُ غَيْرُ هؤلاء ، لأجْلِ قولِ الآخر له: صَلِّ على النبيِّ محمد[2] ، فحمل قولَه وسبَّه لمن يُصَلِّي عليه الآنَ لأجْل أَمْرِ الآخَرِ له بهذا عند غَضَبه.

هذا معنىٰ قولِ سُحْنُون ، وهو مُطَابِقٌ لعلّةِ صاحبيه[3].

وذهب الحارثُ بن (١٩٦/ب) مِسكين [القاضي][4] وغَيْرُه في مِثْلِ هذا إلى القَتْلِ.

وتوقَّف[5] أبو الحسن القابسيُّ في قَتْلِ رَجُلٍ قال: كلُّ صاحبِ فُنْدُقٍ[6] قَرْنانٌ[7] ، ولو كان نَبِيّاً مُرْسَلاً ، فأمر بشدِّه بالقيودِ[8] والتضييق عليه حتى تُستَفْهم البيّنة عن جملةِ ألفاظه ، وما يدلُّ على مَقْصِده ، هل أراد أصحَابَ

---

(١) كلمة: «تدلُّ»، لم ترد في المطبوع.

(٢) كلمة: «محمد»، لم ترد في المطبوع.

(٣) في الأصل: «وصاحبه» ، والمثبت من المطبوع. وهما البرقي وأصبغ.

(٤) إمام علامة فقيه ، محدث ، ثبت. كان قاضي القضاة بمصر. ولد سنة (١٥٤)هـ ، ومات سنة (٢٥٠)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٤ ـ ٥٨.

(٥) في الأصل: «وأفتىٰ» ، والمثبت من المطبوع.

(٦) (فُنْدُق): نُـزُلٌ يهيَّأُ لإقامة المسافرين بالأجر (المعجم الوسيط). والمراد: كل صاحب مالٍ.

(٧) (قرنانٌ): نَعْتُ سوءٍ للرجل الذي لا غَيْرَةَ له على أهله (المعجم الوسيط).

(٨) في الأصل: «في القيود» ، والمثبت من المطبوع.

الفِنادِق الآن؟ [فـ] معلومٌ أَنه ليس فيهم نبيٌّ مرسَلٌ ، فيكون أَمْرُه أَخفَّ .

قال: ولكِنْ ظاهِرُ لفْظِه[1] العمومُ لكل صاحب فُنْدُقٍ من المتقدمين والمتأَخرين. وقد كان فيمن تقدَّم من الأنبياء والرُّسلِ من اكتسبَ المال.

قال: ودمُ المسلمِ لا يُقْدَمُ عليه إلا بأمر بيِّنٍ. وما تُرَدُّ إليه التأويلاتُ لابُدّ مِنْ إمعان النظر فيه. هذا معنىٰ كلامه.

وحُكي عن أَبي محمد بن أبي زَيْد رحمه الله ـ فيمن قال: لَعَن الله العربَ ، ولعن اللهُ بني إسرائيل ، ولعن الله بني آدمَ ، وذكر أَنَّهُ لم يُرِدِ الأنبياءَ ، وإنما أَردْتُ الظالمين منهم ـ أَنَّ عليه الأَدَب[2] بقَدْرِ اجتهادِ السلطان.

وكذلك أفتى ـ فيمن قال: لعن اللهُ مَنْ حَرَّمَ المُسْكِر ، وقال: لم أَعلَمْ مَنْ حَرَّمَه.

١٧٩٤ ـ وفيمن لَعنَ حديثَ: «**لا يبيعُ حاضِرٌ لبادٍ**»[3] ولعن مَنْ جاء به ـ أنه إن كان يُعذَرُ بالجهل وعَدَمِ معرفةِ السُّنَن فعليه الأَدب الوَجِيع ، وذلك أَنَّ هذا لم يَقْصِدْ بظاهرِ حالِه سبَّ اللهِ ولا سبَّ رَسُولهِ ، وإنما لعن مَنْ حَرَّمَهُ مِنَ الناس على نَحْوِ فَتْوَى سُحْنُون وأصحابه في المسألة المتقدمة.

ومِثْلُ هذا ما يَجْري في كلامِ سُفَهاءِ الناس من قول بعضِهم لبعض: يا بْنَ أَلْفِ خِنْزِير! وابنَ مئة كلب! وشِبْهه من فُحْشِ[4] القول.

ولاشكَّ أَنه يدخلُ في مِثْلِ هذا العدد من آبائه وأَجدادِه جماعةٌ من الأنبياء ،

---

(١) في الأصل: «لفظ» ، والمثبت من المطبوع.

(٢) (الأدب): العقوبة ، والمجازاة على الإساءة.

(٣) متفق عليه من حديث ابن عباس وغيره (جامع الأصول ١/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣). وفي المطبوع: «لا يَبِعْ». (حاضر): المقيم في المدن والقرىٰ. (البادي): المقيم بالبادية. والمنهي عنه: هو أن يأتي البدوي البلدة ، ومعه قوت يبغي التسارع إلى بيعه رخيصاً ، فيقول له الحاضر: اتركه عندي لأغالي في بيعه ، فهذا الصنيع محرم لما فيه من الإضرار بالغير. . . (قاله ابن الأثير في جامع الأصول ١/ ٥٠٤).

(٤) في المطبوع: «هُجْر».

ولعلّ بعض هذا العدد مُنْقطِعٌ إلى آدمَ عليه السلام ، فينبغي الزجْرُ عنه ، وتَبْيِينُ ما جهل[1] قائلُه منه ، وشدّةُ الأدب فيه.

ولو عُلِمَ أنَّـهُ قَصد سَبّ مَنْ في آبائه من الأنبياء على علمٍ لقُتِل.

وقد يضيقُ القولُ في نحو[2] هذا لو قال لرجُل (١٩٧/أ) هاشميٍّ: لعنَ اللهُ بني هاشم وقال: أردتُ الظالمين منهم ، أو قال لرجُلٍ من ذُرِّية النبيِّ عليه السلام قولاً قبيحاً في آبائه ، أو مِنْ نَسْلِهِ ، أو وَلدِه على عِلْم منه أنه مِنْ ذُرِّيَّةِ النبيِّ عليه السلام ، ولم يكن قرينةٌ في المسألتين تَقْتَضِي تخصيصَ بَعْضِ آبائه ، وإخراجَ النبيِّ عليه السلام مِمَّنْ سبَّهُ منهم.

وقد رأيتُ لأبي موسى: [عيسى] بن مَنَاس ـ [فيمن] قال لرجلٍ: لعنكَ اللهُ إلى آدم [عليه السلام]. . . أنه إنْ ثبتَ ذلك عليه قُتِلَ.

وقد كان اختلف شيوخُنا فيمن قال لشاهد شهِدَ عليه بشيءٍ ثم قال [له]: أتَتهِمُنِي؟ فقال له الأخَر: الأنبياءُ يُتَّهَمون ، فكيَف أنْتَ؟! فكان شيخُنَا أبو إسحاق بن جعفر يَرَى قَتْلَه ، لِبَشَاعَةِ ظاهِرِ اللَّفْظِ.

وكان القاضي أبو محمد بن منصور يتوقَّفُ عن القَتْلِ لاِحْتِمَالِ اللفْظ عنده أَنْ يكون خَبراً عمّن اتَّهمهم من الكفّار.

وأَفْتَى فيها قاضي قُرْطُبَة أبو عبد الله بن الحاجّ[3] بنحو هذا.

وشدَّدَ القاضي أبو محمد تَصْفِيْدَهُ ، وأطال سِجْنَه ، ثم استَحْلَفه بَعْدُ على تكذيبِ ما شُهِدَ به عليه ، إذ دخَل في شهادةِ بَعْضِ مَنْ شهد عليه وَهنٌ ، ثم أطلقه.

---

(١) في المطبوع: «ما جهله».

(٢) في نسخة: «مثل».

(٣) هو محمد بن أحمد القرطبي المالكي. شيخ الأندلس ، ومفتيها ، وقاضي الجماعة. قتل ظلماً يوم الجمعة وهو ساجد في صفر سنة (٥٢٩) وله (٧١) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٤ ـ ٦١٥.

وشاهدتُ شيخَنا القاضي أبا عبد الله: [محمد] بن عيسى[1] أيامَ قَضَائه أُتِيَ برجُلٍ هاتَرَ رجلاً[2] اسمه محمد[3] ثم قَصَد إلى كَلْب، فضربهُ برِجْلِه، وقال له: قُمْ يا محمدُ! فأنكر الرجلُ أن يكونَ قال ذلك، وشَهِدَ عليه لفيفٌ من الناس، فأَمر به إلى السِّجْنِ، وتقصَّى عن حالِه، وهل يصحبُ مَنْ يُسْتَرابُ بدينه[4] من الناس، أم لا[5]؟ فلما لم يَجِدْ ما يُقَوِّي الرِّيبَةَ باعتقادِه ضربه بالسَّوْط وأطلقه[6].

فصـل

[في حُكْمِ مَنْ لَمْ يَـقْصِدْ نَـقْصاً، وَلَمْ يَذْكُرْ عَيْبًا وَلاَ سَبًّا. بَلْ قالَ قولاً على مَقْصِدِ التَّرفِيعِ لنفسهِ، أَوْ لغيرِهِ، أو على سبيلِ التَّمْثِيلِ وَعَدَمِ التَّوقِيْرِ لِنَبِيِّهِ، أَوْ على قَصْدِ الهَزْلِ والتَّنْذيْرِ][7]

الوَجه الخامس: أَلاَّ يَقْصدَ نَقْصاً، ولا يَذْكر عَيْباً ولا سبّاً، لكنه يَنْزِعُ[8] بذِكْرِ بعضِ أوصافهِ، أو يَسْتَشْهِدُ ببعضِ أحوالِه [ﷺ] الجائزةِ عليه في الدنيا

---

(١) هو محمد بن عيسىٰ التميمي المغربي السبتي المالكي. كان إمام المغرب في وقته. توفي سنة (٥٠٥)هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦٦.

(٢) (هاتر رجلاً): سابّه بالباطل من القول.

(٣) قوله: «اسمه محمد»، لم يرد في المطبوع.

(٤) يستراب بدينه: يُشَكُّ في إسلامه.

(٥) قوله: «من الناس أم لا»، لم يرد في المطبوع.

(٦) على هامش الأصل ما نصه: «وقد غير عمر بن الخطاب اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل ذلك، وذلك أنه سمع رجلاً يسب رجلاً اسمه محمد، ويقول له: فعل الله بك يا محمد! وصنع، فقال عمر لابن أخيه محمد: لا أرى رسول الله يسب بك، والله! لا تدعىٰ محمداً، ما دمت حياً، وسماه عبد الرحمن، ثم هَمَّ بتغيير أسماء من تسمَّى بأسماء الأنبياء، إكراماً لهم بذلك، وغير أسماء قوم معروفين ثم ترك ذلك. أصل». قلت: تقدم نحو هذا الكلام برقم (١٧٥٢)، و(١٧٥٣).

(٧) ما بين حاصرتين من عندي.

(٨) (ينزِعُ): يميل ويلمح.

على طريق ضَرْب المَثَلِ ، والحُجَّة لنَفسه أو لغيره ، أو على التشبّه به ، أو عند هَضِيمَةٍ[1] نالَتْه ، أو غَضَاضةٍ[2] لحِقَتْهُ ، ليس على طريق التأسّي وطريق التحقيق ، بل على مَقْصِد الترفيع لنفسه أو لغيره ، أو على سبيل التمثيل وعَدَم التَّوْقير [١٩٧/ب] لنبيّه عليه السلام ، أو [على] قَصْد الهَزْل والتَّنذير[3] بقوله ، كقولِ القائل: إنْ قيل فِيَّ السّوءُ فقد قيل في النبي ، وإن كُذِّبْتُ فقد كُذِّب الأنبياءُ ، أو إن أذْنَبْتُ فقد أذْنَبوا ، أو أنا أسْلَمُ من ألسنةِ الناسِ ولم يَسْلَمْ منهم أنبياءُ اللهِ ورُسُله ، أو قد صبرْتُ كما صَبر أُولُو العَزْم ، أوكَصَبْرِ أيوب ، أو قد صبر نَبيُّ اللهِ عن[4] عِدَاهُ ، وحَلُمَ على أكثرَ مما صبرت ، وكقول المتنبي:

أَنَــا فِــيْ أُمَّــةٍ تَــدَارَكهــااللّـ ـــهُ غَـرِيْـبٌ كَصَالِـحٍ فِـيْ ثَمُـود

ونحوه من أشعار المتعجرفين في القولِ ، المتساهلين في الكلام ، كقول المَعَرّي:

كُنْـتَ مـوسـى وافَتْـهُ بنـتُ شُعَيْـبٍ غَيْــرَ أَنْ ليـس فيكمـا مِــنْ فَقِيْـرِ

على أَنَّ آخِرَ البيت شديد عند تدبره[5] ، وداخلٌ في باب الإزراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه .

وكذلك قوله أيضاً:

لـولا انقطـاعُ الـوَحْـيِ بعـد مُحَمَّـدٍ قُلْنــا: محمــدُ مــن أَبيــه بَــدِيْــلُ
هــو مِثْلُــه فــي الفَضْــلِ إلا أَنَّــهُ لَــمْ يَــأْتِــه بِـرِسَــالَــةٍ جِبْـرِيْــلُ

فصَدْرُ البيت الثاني مِنْ هذا الفصل [شديدٌ] لتشبيهه غَيْرَ النبيّ عليه السلام في فَضْله بالنبيّ ، والعَجْزُ محتملٌ لوجهين: أَحدهما أَنَّ هذه الفضيلة نقَّصت

---

(١) (هضيمة): نقيصة عظيمة .
(٢) (الغضاضة): الذل والمنقصة . والعيب .
(٣) (التنذير) قالَ الخفاجي (٤/ ٤٠٤) معناه: «التكلم بما فيه تعيب وتشهير» ، وفي المطبوع: «التندير» ، قال الخفاجي: والظاهر أنه بباء موحدة وذال معجمة ـ أي: التبذير ـ تجوز به عن السفاهة والتلفظ بما لا يليق . .
(٤) في الأصل: «من» ، والمثبت من المطبوع .
(٥) قوله: «عند تدبره» ، لم يرد في المطبوع .

الممدوح ، والآخر: استغناؤُه عنها. وهذا أشدُّ[1].

ونحوٌ منه قولُ الآخر:

وإذا مـــا رُفِعَـــتْ رايـــاتُـــهُ   صَفَّقَتْ بيـن جَنَـاحَـيْ جِبْـرِيـنْ[2]

وقول الآخر من أهل العصر:

فَـرَّ مِـنَ الخُلْـدِ وَاستجـار بِنَـا   فصبَّـر اللهُ قَلْـبَ رِضْـوَانِ[3]

وكقول حسّان المَصِّيصي - من شعراء الأندلس - في محمد بن عبَّاد المعروف بالمُعْتمِد ، وَوَزِيره أبي[4] بكر بن زيدون:

كـأَنَّ أبـا بَكْـرٍ أبـو بَكْـرِ الـرِّضـا   وَحسّـانَ حسّـانُ وَأنـتَ مُحَمَّـدُ

إلى أمثال هذا وإنما كثَّرنا بشاهدها[5] مع اسِتثقَالنا حكايتَها لتعريف أمْثِلتها ، وَلتساهلِ كثيرٍ من الناسِ في وُلوجِ هذا الباب الضَّنْك[6]، واستخفافِهم فادِحَ[7] هذا العِبْء ، وقلةِ عِلْمهِم بعظيم ما فيه من (١٩٨/أ) الوِزْرِ ، وكلامهم منه بما ليس لهم به عِلْمٌ ﴿وَتَحْسَبُونَهُ[8] هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. لاسيما الشعراء. وَأشدُّهم فيه تصريحاً ، وللسانه تسريحاً ابْنُ هانىء الأندلسي ، وَابن سليمان المَعَرِّيُّ ، بل قد خرج كثيرٌ مِنْ كلامِهما إلى حَدِّ الاستخفاف والنَّقْصِ وَصَرِيح الكُفْرِ.

وقد أَجَبْنَا عنه أَوَّلاً[9]، وغَرَضُنَا الآن الكلامُ في هذا الفَصْل الذي سُقْنَا

---

(١) في المطبوع: «وهذه».

(٢) (جبرين): بفتح الجيم وكسرها: هو جبريل عليه السلام (تهذيب الأسماء واللغات) ، وهذان البيتان من قصيدة للمعري في «سقط الزند» مدح بها علوياً اسمه محمد.

(٣) (رِضوان): خازن الجنة.

(٤) في الأصل: «أبو» ، والمثبت من المطبوع.

(٥) في المطبوع: «أكثرنا شاهدها».

(٦) (الضَّنْك): الضيق من كل شيء (المعجم الوسيط).

(٧) (فادِحَ): الفادح: الثقيل الشاقُّ.

(٨) في المطبوع: «ويحسبونه».

(٩) قوله: «أولا»، لم يرد في المطبوع.

أَمثلته ، فإنَّ هذه كلّها وإنْ لم تَتَضَمَّنْ سبّاً ، ولا أضافَتْ إلى الملائكة والأنبياء نَقْصاً ولا عيباً [1] ، ولست أَعني عَجُزَي بَيْتَيْ المَعَرِّيِّ ، ولا قصد قائلُها إزْراءً وغَضّاً ، فما وقّر النبّوة ، ولا عظّم الرسالة ، ولا عَزَّرَ حُرْمة الاصطفاء ، ولا عزَّزَ حُظْوَةَ الكرامةِ ، حتى شبَّه مَنْ شبَّهَ في كرامةٍ نالها ، أو مَعَرَّةٍ [2] قَصَدَ الانتفاءَ منها ، أو ضَرْب مثَل لتطييب مجْلسه ، أو إغلاءٍ في وصفٍ لتحسين كلامهِ بمن عظَّم اللهُ خَطَره [3] ، وشَرَّف قَدْره ، وألزم تَوْقِيرهُ وبِرَّه ، ونَهَى عن جَهْرِ القولِ له ، ورَفْع الصوتِ عنده.

فحقُّ هذا ـ إنْ دُرِىء عنه القَتْلُ ـ الأَدَبُ [والسِّجْنُ] وقوةُ تَعْزيره بحَسَب شُنْعَةِ مَقَاله ، ومقتضى قُبْحِ ما نَطق به ، ومألوف عادَتِه لمِثْلِه ، أو نُدورِه ، وقرينةِ كلامِه ، أو نَدمِه على ما سبق منه ، ولم يَزَل المتقدِّمون يُنْكرون مِثْلَ هذا ممّن جاءَ به ، وقد أنكر الرشيدُ على أَبي نُوَاس قوله:

فإنْ يكُ باقِي سِحْرِ فرعونَ فيكُمُ　　　فإنّ عَصَا مُوسىٰ بِكَفّ خَصِيْبِ [4]

وقال له: يا بْنَ اللَّخْناء [5] ، أنت المستهزىءُ بعصا موسى عليه السلام! وأَمر بإخراجه عن عسكره من ليلته.

وذكر القُتَبِيُّ أَنّ مما أُخِذَ عليه أيضاً ، وكُفِّر فيه ، أو قارب ، قوله في محمد الأَمينِ وتشبيهه إياهُ بالنبي ﷺ [حيث قال]:

تنـازَعَ الأَحْمَـدَانِ الشِّبْـهَ فـاشْتَبَهـا　　　خَلْقاً وخُلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكَانِ [6]

وقد أنكروا عليه أيضاً قولَه:

---

(١) قوله: «ولا عيبا»، لم يرد في المطبوع.
(٢) (المعرّة): الأذىٰ والمساءة والمكروه (المعجم الوسيط).
(٣) (خطره): مقامه ومنزلته.
(٤) خصيب: عبدٌ لهارون الرشيد، ولاّه مصرَ.
(٥) يا بن اللخناء: يا بن المُنْـتِـنَـةِ.
(٦) (قُدّ): قُطع وقُدِّرَ. (الشِّراكان): تثنية شراك ، وهو سير النعل. وأراد المبالغة في استوائهما في الفضل.

كَيْــفَ لا يُــدْنِيــكَ مِــنْ أَمَــلٍ   مَــنْ رَسُــولُ اللهِ مِــنْ نَفَــرِه[1]

لأَنَّ حقَّ الرسول عليه السلام وموجبَ تعظيمه وإنَافة منزِلته[2] أَنْ يُضَاف إليه [3]، ولا يُضاف.

فالحكْمُ في أمثالِ هذا ما بَسطْناه (١٩٨/ب) في طريق الفُتْيَا على هذا المنهج جاءت فُتْيَا إمامِ مذهَبِنا مالكِ بن أَنَس [رحمه الله] وأصحابه.

ففي «النوادرِ»[4] من رِوَاية ابن أبي مريم[5] عنه -في رجُلٍ عَيَّرَ رَجُلاً بالفَقْر، فقال: تُعَيِّرني بالفَقْرِ وقد رَعَى النبيُّ ﷺ [الغَنَم]؟ فقال مالك: قد عَرَّض بذِكْر النبيِّ ﷺ في غير مَوْضِعه، أرى أنْ يؤدّب، قال: ولا ينبغي لأَهْل الذنوبِ إذا عُوتبوا أَنْ يقولوا: قد أخطأتِ الأنبياء قَبْلنا.

وقال عمر بن عبد العزيز لرجُلٍ: انظُرْ لنا كاتباً يكون أَبوهُ عَربيّاً. فقال كاتبٌ له: قد كان أَبو النبيّ كافراً، فقال: جعلْتَ هذا مثلاً! فعزله، وقال: لا يكتُبُ لي أبداً.

وقد كَرِه سُحْنُون أَنْ يصلَّى عَلَى النبيّ ﷺ عند التعَجبِ إلا على طريق الثوابِ والاحتسابِ، توقيراً له وتعظيماً، كما أمرنا اللهُ سبحانه.

وسُئل القابِسيُّ -عن رجلٍ قال لرجل قَبيح: كأنه وَجْهُ نَكِير[6]، ولرجُلٍ[7] عَبُوس: كأنه وَجْهُ مالك[8] الغَضْبان، فقال: أيّ شيء أراد بهذا؟ ونكيرٌ أَحدُ

---

(١) (نفره): عشيرته.

(٢) أي رفعة مرتبته.

(٣) أن يضاف إليه: أي يقال: هو من نفر رسول الله ﷺ.

(٤) كتاب في فقه الإمام مالك. صنفه الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني. منه نسخة خطية في مكتبة القرويين بفاس (٨٤١ـ٩٠١).

(٥) هو سعيد بن الحكم الجمحي مولاهم المصري. إمام حافظ علامة فقيه. ولد سنة (١٤٤)هـ، ومات سنة (٢٢٤)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٧ـ٣٣٠.

(٦) (نكير): أحدُ فتَّانَي القبر.

(٧) في الأصل: «ورجل»، والمثبت من المطبوع.

(٨) (مالك): خازن النار.

فتَّانَيْ القَبْرِ ، وهما مَلَكَانِ ، فما الذي أَرادَ؟ أَرَوْعٌ دخل عليه حين رآه من وَجْهه ، أم عافَ النظَر إليه لدمامةِ خَلْقِه؟ فإنْ كان هذا فهو شَدِيد ، لأنه جرَى مَجْرَى التحقير والتَّهْوِين ، فهو أشدُّ عقوبةً ، وليس فيه تصريحٌ بالسبِّ لِلْمَلَكِ ، وإنما السب وَاقِعٌ على المخاطَب. وفي الأَدبِ بالسَّوْط والسجن نَكَالٌ للسفهاءِ ، قال: وأَمَّا ذاكِرُ مَالكٍ خازِنِ النارِ فقد جَفَا الذي ذكره عندما أنكر [حاله] من عبوس الآخَرِ إلاّ أَن يكونَ المُعَبِّسُ له يَدٌ فيُرْهِبُ بعَبْسَتِهِ ، فيشبّهه القائل بمالك خازن النار[1] على طريقِ الذمِّ لهذا في فِعْله ، ولزومهِ في ظُلْمه صفَةَ مالكٍ ، المَلَكِ المُطِيع لربِّه[2] في فِعْله ، فيقول: كأنه للهِ يَغْضَبُ غَضبَ مالكٍ ، فيكون أَخفَّ ، وما كان يَنْبَغي له التعرُّضُ لمِثْلِ هذا ، ولو كان أَثْنَى على العَبُوسِ بعبستِه ، واحتجّ بصفةِ مالكٍ كان أَشدّ ، فيعاقَبُ المعاقبةَ الشديدةَ ، وليس في هذا ذَمٌّ لِلْمَلَكِ ، ولو قصد ذَمَّه لقُتِل.

وقال أبو الحسن أيضاً ـ في شابٍّ معروفٍ بالخير قال لرجل شيئاً ، فقال له (١٩٩/أ) الرجلُ: اسكُتْ ، فإنك أُمِّيٌّ. فقال الشاب: أَليس قد كان النبيُّ ﷺ أُمِّيًا! فشنّع عليه مَقَالَه ، وكَفَّره الناسُ ، وأَشْفَق الشابُّ ممَّا قال ، وأَظهر الندمَ عليه ، فقال أبو الحسن: أَمّا إِطلاقُ الكُفْر عليه فخطأٌ لكنه مخطىء في استشهادِهِ بصفةِ النبيِّ ﷺ ، وكون النبي أُمياً آيةٌ له ، وكونُ هذا أُمياً نَقِيصةٌ فيه وجَهَالة.

ومن جهالته احتجاجُه بصفةِ النبيِّ ﷺ ، لكنه إذا استغفر وتاب ، واعترف ولجأ إلى الله فيُتْرك ، لأَنَّ قولَه لا ينتهي إلى حدّ القَتْل ، وما طريقهُ الأَدَبُ فَطوْعُ فاعِله بالندمِ عليه يوجِبُ الكفَّ عنه.

ونزلت أيضاً مسألةٌ استفتى فيها بعضُ قضاةِ الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور [رحمه الله] في رجُل تنقَّصَهُ آخرُ بشيء ، فقال له: إنما تُرِيدُ نَقْصِي بقولك ، وأنا بَشَرٌ ، وجميعُ البَشَرِ يَلْحقُهم النَّقْصُ حتى النبي ﷺ ،

---

(١) قوله: «بما لك خازن النار» ، لم يرد في المطبوع.

(٢) في الأصل: «الديه» ، والمثبت من المطبوع.

فأفتَاهُ بإطالةِ سِجْنِه ، وإيجاعِ أدبِه ، إذ لم يقصد السَّبَّ ، وكان بعضُ فقهاءِ الأندلس أَفتى بقَتْله .

فصــل

[في حُكْمِ القَائِلِ والحَاكي لهٰذا الكَلامِ عَنْ غَيْرِهِ][1]

الوَجه السادس: أن يقولَ القائلُ ذلك حاكِياً عن غيره ، وآثِراً[2] له عن سِوَاه ، فهذا يُنْظَر في صورة حكايتهِ وقرينةِ مَقَالتِه ، ويختلفُ الحُكْمُ باختلافِ ذلك على أربعة وجوه: الوجوبِ ، والندبِ ، والكراهةِ ، والتحريمِ ، فإن كان أَخبر به على وَجْه الشهادةِ والتعريف بقائله ، والإنكار[3] والإعلام بقولِه ، والتنفير منه ، والتجريح له ـ فهذا مما يَنْبَغي امتثالُه ، ويُحْمد فاعلُه ، وكذلك إن حكاهُ في كتابٍ أو في مجلسٍ على طريقِ الردّ له والنَّقْض على قائله ، والفُتْيا بما يلزمُه .

وهذا منه ما يجبُ ، ومنه ما يستحبّ بحسب حالاتِ الحاكي لذلك والمحكيِّ عنه ، فإن كان القائلِ لذلك ممّنَ تصدّى لأَنْ يُؤخذَ عنه العِلْمُ ، أو رِوَايةُ الحديثِ ، أو يُقْطَع بحُكْمِه أو بشهادته ، أو فُتْيَاهُ في الحقوق ـ وجب على سامعِه الإشادةُ بما سمع منه[4] والتنْفِيرُ للناس عنه ، والشهادةُ عليه بما قاله ، ووجب (١٩٩/ب) على مَنْ بلَغَهُ ذلك من أئمة المسلمين إنكارُه ، وبيانُ كُفْرِه ، وفسادُ قَوْلِه ، لقَطْعِ ضَرَرِه عن المسلمين ، وقياماً بحقّ سيِّدِ المرسلين ، وكذلك إنْ كان ممَّنْ يَعِظُ العامَّةَ ، أو يؤدبُ الصبيان ، فإنَّ مَنْ هذه سريرتُه لا يُؤْمَنُ على إلقاءِ ذلك في قلوبهم ، فيتأكّد في هؤلاء الإيجابُ لحقّ النبيّ ﷺ ، ولحقّ شريعته .

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي .

(٢) (آثراً): ناقلاً وحاكياً .

(٣) في الأصل: «والتعريف مقابلة الإنكار» ، والمثبت من المطبوع .

(٤) في الأصل: «فيه» ، والمثبت من المطبوع .

وإن لم يكن القائلُ بهذه السبيل فالقيامُ بحقّ النبيِّ ﷺ وَاجبٌ ، وحمايةُ عِرْضِه مُتَعيّن ، ونُصْرَتُه عن الأذَى ، حيّاً وميتاً ، مستحقٌّ على كل مؤمن ، لكنه إذا قام بهذا مَنْ ظهر به الحقُّ ، وفُصلت به القضيةُ ، وبانَ به الأمرُ ، سقط عن الباقي الفَرْضُ ، وبَقِي الاستحبابُ في تكثير الشهادة [عليه] وعَضْدِ التحذير منه.

وقد أجمع السَّلَف على بيان حال المتَّهم في الحديثِ ، فكيف بمثْلِ هذا؟ .

وقد سُئل أبو محمد بن أبي زَيْد عن الشاهدِ يَسْمَعُ مِثْلَ هذا في حقِّ الله [تعالى] يَسَعُه ألاَّ يؤدِّيَ شهادتَه؟ قال: إنْ رَجَا نفاذ الحُكمْ بشهادته فليَشْهَدْ.

وكذلك إنْ عَلِمَ أَنَّ الحاكِمَ لا يَرَى القَتْلَ بما شَهِدَ به ، ويَرَى الاستتابةَ والأدبَ فلْيَشْهَدْ ، ويلزمُه ذلك.

وأمَّا الإباحةُ لحكاية قوله لغير هذَيْنِ المقصدين ، فلا أرى لها مَدْخلاً في [هذا] الباب ، فليس التفكّه بِعِرْض النبيِّ ﷺ ، والتَّمَضْمُضُ بسوءِ ذِكْرِه لأَحَدٍ لا ذاكِراً ولا آثِراً لغير غَرَضٍ شرْعي بِمُبَاحٍ.

وأمَّا للأغراضِ المتقدمة فمتردِّدٌ[1] بين الإيجاب والاستحباب.

وقد حكى اللهُ تعالى مقالاتِ المفْتَرين عليه ، وعلى رُسُلهِ ، في كتابه على وَجْهِ الإنكار لقولهم ، والتحذير من كُفْرهم ، والوعيد عليه ، والردِّ عليهم بما تلاهُ اللهُ علينا في مُحْكَمِ كتابِه.

وكذلك وقَعَ مِنْ أمثالِهِ في أحاديث النبيِّ ﷺ الصحيحةِ على الوجوهِ المتقدّمةِ ، وأجمع السَّلَف والخَلَفُ من أئمّةِ الهُدَى على حكايات مقالات الكَفَرةِ والمُلْحِدين في كتُبهم ومجالسهم ليُبيِّنوها للناس ، وينقُضُوا شُبَهَهَا (٢٠٠/أ) عليهم. وإنْ كان[2] وَرَدَ لأحمد بن حَنبل إنكارٌ لبعض هذا على

(١) فمتردِّد: أي دائر ومنقسم ، وفي الأصل: «متردد» ، والمثبت من المطبوع.
(٢) في الأصل زيادة: «فقد».

الحارث بن أَسَدٍ ، فقد صنع أَحمدُ مِثْلَه في رَدِّهِ على الجَهْمِيَّة[1] والقائلين بالمخلوق[2].

هذه الوجوهُ السائغة الحكايةُ عنها ، فأَما مَنْ[3] ذَكَرَها على غير هذا: من حكاية سبِّه والإزراءِ بمَنْصِبه على وَجْه الحكاياتِ ، والأَسمارِ ، والطُّرَف ، وأحاديث الناس، ومقالاتهم في الغَثِّ والسَّمِين، ومضاحك المُجَّان، ونوادرِ السُّفهاءِ[4] ، والخوض في قيل وقال ، وما لا يَعْني ـ فكل هذا ممنوع ، وبَعْضُه أَشَدُّ في المَنْعِ والعقوبة من بعض ، فما كان مِنْ قائله الحاكي له على غير قَصْدٍ أو معرفةٍ بمقدارِ ما حكاهُ ، أو لم يكن ذلك[5] عادتُه ، أو لم يكنِ الكلامُ من البَشَاعةِ حيثُ هُوَ ، ولم يَظْهرْ على حَاكِيه استحسانُه واستِصْوابهُ ، زُجِرَ عن ذلكَ ، ونُهِيَ عن العودة إليه ، وإن قُوِّمَ[6] ببعضِ الأَدَب[7] فهو مستوجبٌ له ، وإنْ كان لفْظُه من البَشَاعة حيثُ هو كان الأدبُ أَشَدَّ.

وقد حُكي أَنَّ رجلاً سأل مالكاً عمّن يقولُ: القرآنُ مخلوقٌ. فقال مالك: كافر فاقتلوه. فقال: إنما حكيتُه عن غيري. فقال مالك: إنما سمعناهُ مِنْكَ.

وهذا مِنْ مالك على طريقِ الزَّجْرِ والتغليظ ، بدليل أَنه لم ينفِّذْ قَتْلَه.

وإن اتُّهِم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقَهُ ، ونسبَه إلى غيره ، أو كانت

---

(١) (الجَهْمِيَّة): فرقة من المبتدعة ، ينتسبون إلى جَهْمِ بن صفوان. وكان ينكر الصفات ، وينزه الباري عنها بزعمه ، ويقول بخلق القرآن ، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها ، قتله نصر بن سيَّار في سنة (١٢٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/٢٦ ـ ٢٧ ، والأعلام ، والفتح (١٣/ ٣٤٥).

(٢) أي القائلين بخلق القرآن وهم المعتزلة ، أو بالعمل المخلوق للإنسان ، أي هو يخلقه ، وهو قول المعتزلة والقدرية. أو بالمخلوق القديم ، وهو قول الفلاسفة. قال الخفاجي: «والظاهر أن المراد خلق أفعال العباد من غير كسب وهو الجبر».

(٣) كلمة: «من» ، لم ترد في المطبوع.

(٤) في المطبوع: «السخفاء».

(٥) قوله: «ذلك» ، لم يرد في المطبوع.

(٦) قوم: أرشد للاستقامة فيما يحكيه.

(٧) ببعض الأدب: بتعزير خفيف يليق به.

تلك عادة له ، أو ظهر استحسانُه لذلك ، أو كان مُولعاً بمثلهِ ، والاستِخْفَاف له ، أو التحفظ لمثله ، وطلبه ، وروايةِ أشعار هَجْوِه عليه السلام ، وسبِّه ، فحُكْمُ هذا حُكْمُ السابِّ نَفْسِه ، يؤاخذُ بقوله ، ولا ينفعُه نِسْبَتُهُ إلى غيره ، فيُبَادَرُ بقَتْلِهِ ، ويعجَّل إلى الهاوية أُمِّه.

وقد قال أبو عُبيدٍ[1] : القاسمُ بن سَلاَّمٍ ـ فيمن حفِظَ شَطْرَ بَيْتٍ مِمَّا هُجِيَ به النبيُّ ﷺ : فهو كُفْر.

وقد ذكر بعضُ مَنْ أَلَّفَ في الإجماع إجْمَاعَ المسلمين على تحريم رِوَاية ما هُجِيَ به النبيُّ عليه السلام ، وكتابتِه وقراءته ، وتَرْكِهَ متَى وُجِدَ دونَ مَحْوٍ. ورَحِم اللهُ أسلافَنا المتّقين المتحرّزين لِدِينهم ، فقد (٢٠٠/ب) أسقطوا مِنْ أحاديث المَغَازي والسِّيَر ما كان هذا سبيلَه ، وتركوا روايته إلاّ أشياءَ ذكروها يَسيرةً [و] غيرَ مُسْتَبْشَعَةٍ ، على نحو الوجوه الأُوَل ، لِيُرُوْا نقمةَ الله من قائلها ، وأخْذَه المُفْتَرِي عليه بذَنْبِهِ.

وهذا أبو عُبَيدٍ : القاسمَ بن سَلاّم ـ رحمه الله ـ قد تحرَّى مِمَّا اضطُرَّ إلى الاستشهاد به من أَهَاجي أشعار العَرَب في كُتبه ، فكنَّى عن اسْمِ المَهْجُوّ بوَزْن اسْمِه ، اسِتبْرَاءً لدِينه ، وتحفُّظاً من المشاركة في ذَمِّ أَحَدٍ بروايته أو نَشْرِه ، فكيف بمن يتطرَّقُ إلى عِرْضِ سيدِ البَشَر والمرسلين[2] ﷺ؟!.

فصـل

[في حُـكْمِ ذِكْرِ ما يجوزُ على النبيِّ ﷺ ، أو يُـخْتَـلَفُ في جَـوَازِهِ عليه ، على طريـقِ المُـذَاكَرَةِ والتَّـعْلِيْمِ][3]

الوجه السابع : أَنْ يَذْكُرَ ما يجوزُ على النبيِّ ﷺ ، أو يُخْتَلَفُ في جوازِه

(١) في الأصل : «أبو عبد الله» وهو غلط ، والمثبت من المطبوع.
(٢) قوله : «والمرسلين» ، لم يرد في المطبوع.
(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

عليه ، وما يطرأُ من الأمور البشَريّة [به] ويُمكِنُ إضافتُها إليه ، أويَذْكر بعض[1] ما امْتُحِنَ به ، وصبر في ذاتِ[2] اللهِ عليه و[3] على شدّته من مُقَاساةِ أعدائه ، وأذاهم له ، ومعرفة ابتداءِ حالهِ وسيرتِه ، وما لَقِيَهُ من بُؤْسِ زَمَنِه ، ومَرَّ عليه من مُعاناة عيْشَتِه ، كلُّ ذلك على طريق الرواية ، ومُذَاكرةِ العِلْمِ ، ومَعْرِفَة ما صحَّتْ منه العصمةُ للأنبياء ، وما يجوز عليهم ـ فهذا فنٌّ خارجٌ عن هذه الفنون الستّة ، إذ ليس فيه غَمْصٌ ولا نَقْص ، ولا إزراءٌ ولا استخْفَافٌ ، لا في ظاهرِ اللّفظ ، ولا في مَقْصِد اللاَّفِظ ، لكن يجب أن يكونَ الكلام فيه مع أهل العلم وفُهماءِ طلبةِ الدِّين مِمَّنْ يفهم مَقَاصِدَهُ. ويحقّقون فَوائده ، ويجنَّبُ ذلك مَنْ عَسَاهُ لا يَفْقَه ، أو يُخْشَى به فِتْنتُه ، فقد كَرِهَ بعضُ السلَفِ تعليمَ النساءِ سورة يوسف ـ عليه السلام ـ لِمَا انْطَوَتْ[4] عليه من تلك القِصَصِ لضَعْفِ معرفتهنَّ ، ونَقْصِ عقولهنّ وإدراكهن.

١٧٩٥ ـ فقد قال ـ عليه السلام ـ مُخْبراً عن نَفْسه باستئجاره لرعايةِ الغَنَم في ابتداء حالِه ، وقال: «ما مِنْ نَبيّ إلاّ وقد رعَى الغَنَمَ»[5].

وأخبرنا الله تعالى بذلك عَنْ مُوسى عليه السلام ، وهذا لا غَضَاضةَ فيه جملةً واحدةً لِمَنْ ذَكرَهُ على وَجهه ، بخلافِ مَنْ قَصَد به الغَضَاضةَ والتحقير ، بل كانت عادةَ جميع العرب (٢٠١/أ).

نعم ، في ذلك للأنبياء حكمةٌ بالغةٌ ، وتَدْريجٌ لله تعالى لهم إلى كرامتِه ، وتدريبٌ برعايتها لسياسة أُممهم[6] من خَلِيقته بما سبق لهم من الكرامةِ في الأزَلِ ، ومتقدِّم العلم.

---

(١) كلمة: «بعض»، لم ترد في المطبوع.
(٢) في الأصل: «ذكر» ، والمثبت من المطبوع.
(٣) قوله: «عليه و»، لم يرد في المطبوع.
(٤) في الأصل: «انطوى» ، والمثبت من المطبوع.
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٠٦) ، ومسلم (٢٠٥٠) من حديث جابر ، والبخاري (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة.
(٦) في الأصل: «بسياسة أمتهم» ، والمثبت من المطبوع.

وكذلك قَد ذكر اللهُ يُتْمَه ـ عليه السلام ـ وعَيْلتَهُ[١] على طريقِ المِنَّة عليه ، والتعريف بكرامتِه له ، فذِكْرُ الذاكِر [لها] على وَجْهِ تَعْرِيفِ حالِه ، والخبر عن مُبْتَدئه ، والتعجُّب مِنْ مِنَحِ اللهِ قِبَله ، وعظيم مِنَّتِه عنده ليس فيه غَضَاضةٌ ، بل فيه دِلالةٌ على نبوّتِه وصحةِ دعوتِه ، إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديدِ العرب ، ومَنْ نَاوَأَهُ[٢] من أشرافهم ، شيئاً فشيئاً ، وتَمَّمَ[٣] أَمْرَه حتى قهرهم ، وتمكّن من ملْكِ مَقَاليدهم ، واستباحةِ ممالك كثيرٍ من الأُمم غيرِهم ، بإظهار اللهِ تعالى له ، وتأييده بنَصْرِه وبالمؤمنين ، وألَّف بين قلوبهم ، وإمدادِه بالملائكة المسوِّمين[٤] ، ولو كان ـ عليه السلام ـ ابْنَ مَلِكٍ أو ذَا أشياعٍ[٥] متقدّمين لحَسِبَ كثير من الجهّال أنَّ ذلِكَ مُوجِب ظهورِه ، ومُقْتَضى عُلُوّه .

١٧٩٦ ـ ولهذا قال هِرَقْلُ ـ حين سألَ أَبا سُفْيان عنه ـ :

هل في آبائه مِنْ مَلِك؟ [فقالَ: لا] ثم قال: فلو كان في آبائه مَلِك لقُلْنا: رجلٌ يطلبُ مُلْكَ أبيه[٦] ، وإِذِ اليُتْمُ من صِفَتِه وإحدىٰ علاماته في الكُتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفةِ .

وكذا وقع ذِكْره ـ عليه السلام ـ في كتاب أَرْمِيَا[٧] ، وبهذا وصفَه ابنُ ذِي يَزَن لعبد المطلب ، وبَحِيرا لأبي طالب .

وكذلك إذا وُصِفَ بأَنه أُميٌّ كما وصَفَهُ اللهُ تعالىٰ به ـ فهي مِدْحةٌ له وفضيلةٌ ثابتةٌ فيه ، وقاعدةُ مُعْجِزتِه ، إذ مُعْجزتُه العظمى من القرآن العظيم إنما هي

---

(١) (عَيْلَتَهُ): فقره.

(٢) (نـاوَأَهُ): عاداه.

(٣) في المطبوع: «ونمّىٰ».

(٤) (المسوِّمين): المُعلِمينَ أنفسهم أو خيلهم بعلامات (كلمات القرآن لمخلوف).

(٥) (أشياع): أتباع.

(٦) حديث متفق عليه ، وهو قطعة من حديث أبي سفيان مع هرقل المتقدم برقم (٢٨٢ ، ٣٥٨).

(٧) من أنبياء بني إسرائيل. انظر كتاب إفحام اليهود ص (١١٣). للإمام المهتدي السموءل بن يحيى المغربي.

متعلقة بطريق المعارف والعلوم ، مع ما مُنِحَ به ﷺ ، وفُضِّل به من ذلك ، كما قدَّمناهُ في القسم الأول .

ووجودُ مِثْلِ ذلك في رَجُلٍ ، لم يقرَأْ ، ولم يكتُبْ ، ولم يُدَارِسْ ، ولا لُقِّنَ ، مُقْتضى العَجَبِ ، ومُنْتهى العِبَرِ ، ومعجزةُ البَشَرِ .

وليس في ذلك نَقِيصةٌ[١] ، إذ المطلوبُ من الكتابة والقراءة المعرفةُ ، وإنما هي آلةٌ لها ، وواسطةٌ موصِّلةٌ إليها ، غَيْرُ مُرادةٍ في نفسها (٢٠١/ب) فإذا حصلتِ الثمرةُ والمطلوبُ استُغْنِي عن الواسطة والسَّبَب .

والأُمِّيَّة في غيره نَقِيصةٌ ، لأَنها سببُ الجهالة ، وعُنْوَانُ الغَبَاوةِ ، فسبحانَ مَنْ بايَنَ[٢] أَمْرَهُ من أمرِ غيره ، وجعل شرفَه فيما فيه مَحطّة[٣] مَنْ[٤] سِوَاهُ ، و[جَعَلَ] حياته فيما فيه هلاكُ مَنْ عَدَاهُ[٥] ، هذا شَقُّ قَلْبِه ، وإخراجُ حُشْوَتِه ، كان تمامَ حياته ، وغايةَ قوةِ نَفْسِه ، وثباتَ رُوْعِهِ[٦] ، وهو فيمن سِوَاهُ مُنْتَهى هَلاَكِه ، وحَتمُ مَوْتِه وفَنَائه ، وهلُمَّ جرّاً ، إلى سائر ما رُوِيَ له من أخباره وسِيَرِهِ ، وتقلُّلِه من الدنيا ، ومن المَلْبس ، والمَطْعَم ، والمَرْكَب ، وتواضُعه ومَهْنَته نَفْسَه في أمورِه ، وخِدْمة بَيْته زُهْداً ، ورغبةً عن الدنيا ، وتسويةً بين حَقِيرها وخَطِيرِها ، لسرعةِ فناءِ أمورِها ، وتقلُّب أحوالها ، كلُّ هذا من فضائله ومآثِره وشَرفِه كما ذكرنا ، فمن أورد شيئاً منها مَوْرِدَه ، أو قَصَدَ[٧] بها مَقْصدَه كان حسناً ، ومَنْ أورد ذلك على غير وَجْهِه ، وعُلِمَ منه بذلك سوءُ قَصْدِهِ لَحِقَ بالفصولِ التي قدمناها .

---

(١) في الأصل : «وليس فيه إذ ذلك نقيصة» ، والمثبت من المطبوع .

(٢) (باين) : خالف وغاير .

(٣) (محطة) : أي تحط وتنزل قدر غيره .

(٤) قوله : «من» ، لم يرد في المطبوع .

(٥) في الأصل : «مَنْ عاداهُ وَعَداهُ» ، والمثبت من المطبوع .

(٦) (رُوْعِهِ) : قلبه .

(٧) في المطبوع : «وقصد» .

وكذلك ما وردَ من أخبارِهِ وأخبارِ سائر[1] الأنبياء ـ عليهم السلامُ ـ في الأحاديث مما في ظاهِرِه إشكالٌ يقتضي أموراً لا تَلِيقُ بهم بحالٍ ، وتحتاج إلى تأويلٍ ، وتَرَدُّدِ احتمالٍ[2] ، فلا يجبُ أنْ يُتحدَّثَ منها إلا بالصحيح ، ولا يُرْوَى منها إلا المعلومُ الثابت.

فرَحِمَ اللهُ مالكاً ، فلقد كرِهَ التحدُّثَ بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلةِ المعنىٰ ، وقال: ما يَدْعُو الناسَ إلى التحدُّثِ بمِثْلِ هذا؟ فقيل له: إنَّ ابْنَ عَجْلان[3] يحدّثُ بها ، فقال: لم يكن من الفُقَهاءِ ، وليت الناس وافقُوه على تَرْكِ الحديثِ بها ، وساعدوه على طَيِّها ، فإنَّ أكثَرَها[4] ليس تحته عَمَل.

وقد حُكِيَ عن جماعةٍ من السَّلَف ، بل عنهم على الجملة ، أَنهم كانوا يكرهونَ الكلامَ فيما[5] ليس تحته عَمَلٌ ، والنبيُّ ﷺ ـ أوْردها على قوم عَرَب يفهمون كلامَ العَرَب على وَجْهِه ، وتصرُّفاتِهم في حقيقته وَمَجازِه ، واستعارتِه (٢٠٢/أ) وبليغه وإيجازِه ، فلم تكُنْ في حَقِّهم مشكلةً ، ثم جاء مَنْ غلبَتْ عليه العُجْمة ، وداخَلَتْهُ الأُمية ، فلا يكادُ يفهَمُ مِنْ مقاصدِ العرب إلاّ نَصَّها وصَرِيحَها ، ولا يتحقَّق بإشاراتِها إلى غَرَض الإيجازِ ، وَوَحْيِها وتبليغها ، وتلويحها دون تصريحها[6] ، فتفرقوا في تأويلها [أو حَمْلِها على ظاهِرِها] شَذَرَ

---

(١) في الأصل زيادة: «الأمم و»، وهي إقحام من الناسخ.

(٢) في الأصل: «وترددِ واحتمالِ» والمثبت من المطبوع.

(٣) هو محمد بن عجلان ، أبو عبد الله القرشي المدني. قال الذهبي: كان فقيهاً ، مفتياً ، عابداً ، صدوقاً ، كبير الشأن ، له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله ﷺ. كان من شيوخ الإمام مالك. ولد في خلافة عبد الملك بن مروان ، ومات سنة (١٤٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٧ ـ ٣٢٢.

(٤) في المطبوع: «فأكثرها» بدل «فإن أكثرها».

(٥) في الأصل: «مما» ، والمثبت من المطبوع.

(٦) قوله: «دون تصريحها»، لم يرد في المطبوع.

مَذَرَ[١] ، فمنهم مَنْ آمَنَ به ، ومنهم مَنْ كفر .

فأمَّا ما لا يصحُّ[٢] مِنْ هذه الأحاديث ، فواجبٌ ألاَّ يُذْكَر منها شيء في حقّ الله سبحانه ولا [في] حقِّ أنبيائه ، ولا يُتَحَدَّثُ بها ، ولا يُتكلّفُ الكلامُ على معانيها . والصوابُ ـ والله أعلم ـ طرْحُها ، وتَرْكُ الاشتغال بها إلاّ أن تُذْكَرَ على وَجْهِ التعريف بأنها ضعيفةُ المَقَادِ ، واهيةُ الإسنادِ .

وقد أنكر الأشياخ ـ رحمهم الله ـ على أبي بكْر بن فُوْرك تكلُّفَهُ في «مُشْكِله»[٣] الكلامَ على أحاديثَ ضعيفةٍ موضوعةٍ لا أَصْلَ لها ، أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يُلَبِّسونَ[٤] الحقَّ بالباطل كان يَكفيه طَرْحُها ، ويُغْنيه عن الكلام عليها التنبيهُ على ضَعْفِها ، إذ المقصودُ بالكلام على مُشْكِلِ ما فيه[٥] إزالةُ اللَّبْس[٦] بها[٧] .

واجتثَاثُها[٨] من أصلها ، وطَرْحُها ، أكشفُ لِلَّبْسِ وأشْفى لِلنفس .

فصل

[في الأَدَبِ اللَّازِمِ عِنْدَ ذِكْرِ أَخْبَارِهِ ﷺ][٩]

ومما يجبُ على المتكلم فيما يجوزُ على النبي ـ عليه السلام ـ وما لا يجوزُ ، والذَّاكِرُ من حالاته ما قدّمناه في الفصل قَبْلَ هذا على طريق المذاكرة والتعليم

---

(١) (شذر مذر) : أي متفرقين . قال أستاذنا الفاضل محمد شُرَّاب في معجم الشوارد النحوية ص (٣٣٧) : «وهو تركيب مبني على فتح الجزأين ، في محل نصب حال . وقولهم : «مذر» : إتباع لا معنىً له في هذا التركيب ، وإنما هو كقولك : «خُبْزٌ مُبْـزٌ» ، «شَحْمٌ مَحْمٌ» اهـ .

(٢) في الأصل زيادة : «ولا صحَّ» .

(٣) أي كتابه : «مشكل الحديث وغريبه» .

(٤) (يُلبِّسون) : يخلطون .

(٥) في المطبوع : «فيها» .

(٦) (اللَّبْسُ) : الشبهة وعدم الوضوح .

(٧) «بها» ، لم ترد في المطبوع .

(٨) (اجتثاثها) : اقتلاعها .

(٩) ما بين حاصرتين من عندي .

أَنْ يلتزِمَ في كلامِه عند ذِكرِه عليه السلام ، وذِكْرِ تلك الأَحوالِ الواجبَ من تَوْقيره وتعظيمهِ ، ويراقبَ حالَ لسانِهِ ، ولا يُهْمِله ، وتَظْهَر عليه علاماتُ الأدَب عند ذِكْرِه ، فإذا[1] ذَكَر ما قاساهَ من الشدائد ظهر عليه الإشفاقُ والارتماضُ[2] ، والغَيْظُ على عدوِّه ، ومودَّةُ الفِدَاءِ للنبي ﷺ لو قَدَر عليه ، والنُّصْرَةُ له لو أَمكَنَتْه .

وإذا أخذ في أبواب العصمة ، وتكلَّم على مجاري أعماله وأقواله ـ عليه السلام ـ تحرَّى[3] أَحْسَنَ اللَّفْظِ ، وأَدَبَ العبارةِ علىٰ[4] ما أمكنه ، واجْتَنَبَ بَشِيعَ ذلك ، وهَجَرَ من العبارةِ ما يَقْبُح، كلَفْظَةِ الجَهْل والْكَذِب (٢٠٢/ب) والمعصية، فإذا تكلَّم في الأقوال قال: هل يجوزُ عليه الخُلْفُ في القَوْلِ والإخبارِ بخلاف ما وَقَع سَهْواً أو غَلَطاً؟! أو نَحْوَه من العبارة ، ويتجنَّب لَفْظَة الكَذِب جُمْلَةً واحدةً .

وإذا تكلَّم على العلم قال: هل يجوزُ أَلاّ يَعْلَمَ إلا ما عُلِّمَ؟ وهل يمكن ألاَّ يكونَ عنده عِلْمٌ من بعض الأشياءِ حتى يُوحَى إليه؟ ولا يقول: يَجْهَل ، لقُبْحِ اللفظِ وبَشَاعتِه .

وإذا تكلَّم في الأفعال قال: هل تجوزُ منه المخالفةُ في بعض الأَوامرِ والنواهي ومواقعةُ [بعض] الصغائر؟ فهو أَوْلَى وآدبُ من قوله: هل يجوزُ أَنْ يَعْصِيَ ، أو يُذْنِبَ أو يفعلَ كذا وكذا ، من أنواع المعاصي؟ فهذا من[5] حق توقيره عليه السلام ، وما يجبُ له من تَعْزِير[6] وإعظام .

وقد رأيتُ بعضَ العلماءِ لم يتحفَّظْ من هذا ، فَقُبِّح منه ، ولم أَسْتَصْوِبْ عبارته فيه .

---

(١) في الأصل: «فأما» ، والمثبت من المطبوع .
(٢) (الارتماض): القلق والحزن والشدة .
(٣) (تحرَّىٰ): تَوَخَّى وقصد .
(٤) قوله: «علىٰ»، لم يرد في المطبوع .
(٥) في الأصل: «في» ، والمثبت من المطبوع .
(٦) في المطبوع: «تعزيز» ، والتعزير: التوقير والتعظيم .

ووجدتُ بعضَ الحائرين[1] قَوَّلَه[2] لأَجْلِ تَرْكِ تحفُّظِه في العبارة ـ ما لم يَقُلْه ، وشَنَّع[3] عليه بما يَأباهُ ، ويُكفِّرُ قائلَه .

وإذا كان مِثْلُ هذا بين الناسِ مستَعْملاً في آدابِهم ، وحُسْنِ مُعاشرتِهم ، وخِطَابهم ، فاستعمالُه في حقِّه ـ عليهم السلام ـ أَوْجبُ ، والتزامُه آكد .

فجودةُ العبارةِ تُقَبِّحُ الشَّيْءَ أَو تُحَسِّنه ، وتحريرُها وتهذيبُها تُعظِّم الأَمْرَ أَو تهوِّنُه .

١٧٩٧ ـ ولهذا قال عليه السلام : «إنَّ من البيانِ لَسِحْراً»[4] .

فأمّا ما أَوْرده على جهةِ النَّفي عنه والتنزيه له [5]، فلا حَرَجَ في تسريح العبارة [6]، وتصريحها فيه ، كقوله : لا يجوز عليه الكذِبُ جُمْلَةً ، ولا إتيَان الكبائر بوَجْهٍ ، ولا الجَوْر في الحُكْم عل حال ، ولكن مع هذا يجبُ ظهورُ توقيرِه وتعظيمِه وتعزيره[7] عند ذِكره مجرّداً ، فكيف عند ذِكرِ مثْلِ هذا؟! .

وقد كان السلَفُ تظهرُ عليهم حالاتٌ شديدةٌ عند مجرَّدِ ذِكْرِه ، كما قدّمناه في القسم الثاني .

و[قد] كان بعضُهم يلتزمُ مِثْلَ ذلك عند تلاوَةِ آيٍ من القرآن ، حكى اللهُ تعالى فيها مَقَالَ عِدَاهُ ، ومَنْ كفَر بآياته ، وافترى عليه الكذبَ ، فكان يخفِضُ بها صوتَه إعظاماً لربّه ، وإجلالاً له ، وإشفاقاً من التشبُّه بمَنْ كفر به (٢٠٣/أ).

* * *

(١) الحائرين: من الحَيْرة وهي التردد، أي المتحيرين في سبيل الرشاد. وفي المطبوع: «الجائرين»: أي المائلين عن الإنصاف.

(٢) قَوَّله : من التَّقَوُّل، وهو تكلُّفُ القول ، والافتراء عليه/ قاله الخفاجي.

(٣) في الأصل: «ويشرح» ، والمثبت من المطبوع.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) عن ابن عمر ، ومسلم (٨٦٩) عن عمار بن ياسر.

(٥) قوله : «له» ، لم يرد في المطبوع.

(٦) تسريح العبارة: إطلاقها من غير احتراز.

(٧) قوله : «وتعزيره» ، لم يرد في المطبوع.

البـاب الثانـي

فـي حُكْـم سَابِّـهِ وَشَانِئِـهِ(١) وَمُتَنَقِّصِـهِ وَمُؤْذِيْـهِ وعُقُوبَتِـهِ وَذِكْـرِ اسْتِتَابَتِـهِ وَوِرَاثَتِـهِ

قال القاضي ـ رحمه الله ـ: قد قدّمنا ما هُوَ سبٌّ وأذَى في حقّه عليه السلام، وذكَرنا إجماعَ العلماء على قَتْلِ فاعلِ ذلك وقائلِه، [أ] وتخيير الإمام في قَتْلِه أو صَلْبه على ما ذكرناهُ، وقرّرْنا الْحُجَجَ عليه.

وبعد: فاعلم أنَّ مشهورَ مَذْهَبِ مالك وأصحابه، وقولِ السَّلَف وجمهورِ العلماء قَتْلُه حدّاً لا كُفراً إنْ أظهرَ التوبةَ منه، ولهذا لا تُقْبَل عندهم تَوْبَتُه، ولا تَنْفَعُهُ استقالتُه، ولا فَيْئَتُـه(٢) كما قدّمناهُ قَبْلُ، وحُكمهُ حُكْمُ الزِّنْدِيق، ومُسِرِّ الكفرِ في هذا القول، وسواءٌ كانت توبتُه على هذا بعد القُدْرةِ عليه والشهادةِ على قوله، أو جاء تائباً مِنْ قِبَل نَفْسه، لأنه حَدٌّ وجب، لا تُسْقِطهُ التوبةُ كسائر الحدود.

قال الشيخ أبو الحسن القابسيُّ [رحمه الله]: إذا أقَرَّ بالسبِّ، وتاب مِنْهُ، وأظهرَ التوبة قُتِل بالسَّبِّ، لأنه هو حَدُّه.

---

(١) شانئه: مُبْغِضِه.

(٢) (فَيْئَتُهُ): رجوعه عنه.

وقال [أبو] محمدِ بن أبي زَيْدٍ في مِثْله: وأَما ما بَيْنه وبَيْنَ اللهِ فتوبَتُه تَنفَعُهُ.

وقال ابنُ سُحْنُون: مَنْ شتَم النبيَّ ﷺ من الموحِّدين، ثمّ تاب عن ذلك لم تُزِلْ توَبتُهُ عنه القَتْلَ.

وكذلكَ قد اختُلف في الزنديق إذا جاء تائباً، فحكى القاضي أبو الحَسَن بن القصّار في ذلك قولين[1]:

قال: من شيوخنا من قال: أَقْتُلُه بإِقْرَارِه، لأَنَّهُ كان يَقْدِرُ على سَتْرِ نَفْسه، فلما اعترف خِفْنَا أنه خَشِي الظهورَ عليه فبادرَ لذلك.

ومنهم من قال: أَقبَلُ توبتَه، لأني أَسْتَدِلُّ على صِحَّتِها بمجيئه، فكأننا وقَفْنا على باطنه، بخلاف مَنْ أَسرَتْهُ البيِّنَةُ.

قال القاضي أبو الفضل ـ رحمه الله ـ: وهذا قولُ أَصْبَغَ، ومسألةُ سابِّ النبيِّ ﷺ أَقْوى، لأنه[2] لا يُتَصوَّرُ فيها الخلافُ على الأصل المتقدم، لأنه حقٌّ متعلِّقٌ للنبيّ [ﷺ] ولأمتهِ بَسببهِ، لا تسقِطُه التوبةُ كسائر حقوقِ الآدميين.

والزِّنْدِيقُ إذا تاب بعد القُدْرةِ عليه فعند مالك، واللَّيثِ، وإسحاقَ، وأحمدَ، لا تُقْبَل توبتُه.

وعند الشافعي تُقْبَلُ.

واختُلف فيه (٢٠٣/ب) عن أبي حنيفة وأبي يوسُفَ.

وحكى ابنُ المنذر، عن علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنه: يُسْتَتَابُ.

قال محمد بن سُحْنون: ولم يَزُلِ القَتْلُ عن المسلم بالتّوبة مِنْ سبِّه عليه السلام، لأنه لم ينتقِلْ مِنْ دينٍ إلى دينٍ[3] غيره، وإنما فعل شيئاً حَدُّه عندنا القَتْلُ، لا عَفْوَ فيه لأحدٍ، كالزِّنديق، لأنه لم ينتَقِلْ من ظاهرٍ إلى ظاهرٍ.

---

(١) في الأصل زيادة: «أحدهما»، ولم ترد في المطبوع.
(٢) قوله: «لأنه»، لم يرد في المطبوع.
(٣) كلمة: «دين»، لم ترد في المطبوع.

وقال القاضي أبو محمد بن نصر ـ مُحتجّاً لسقوطِ اعتبار تَوْبته: والفَرْقُ بينه وبين مَنْ سبَّ اللهَ تعالى على مشهور القول باستتابته أنَّ النبي ـ عليه السلام ـ بشرٌ، والبَشَر جنْسٌ تلحقُهم المَعَرَّةُ[(١)] إلاَّ مَنْ أكرمَ[(٢)] اللهُ بنبوّته تعالى، والبارِىءُ جل جلال مُنَزَّهٌ عن جميع المعايب قطعاً، وليس من جنْسٍ مَنْ[(٣)] تلحقُ المعرّةُ بجنْسِه[(٤)]، وليس سَبُّهُ ـ عليه السلام ـ كالارتداد المقبولِ فيه التوبة، لأنَّ الارتدادَ معنىً ينفرد به المرتدُّ لا حقَّ فيه لغيره من الآدميين، فقُبلت توبتُه. ومن سبَّ النبيّ ﷺ تعلّق فيه وبه[(٥)] حقٌّ الآدمي[(٦)]، فكان كالمُرْتَدّ يَقْتُل حين ارتداده أو يَقْذِفُ، فإنَّ توبتَه لا تُسْقِطُ عنه حَدَّ القَتْلِ والقَذْف.

وأيضاً فإنَّ تَوْبَةَ المرتدِّ إذا قُبِلَتْ لا تُسْقِطُ ذنوبَه من زِناً، وشربٍ، وسرقةٍ، وغير ذلك[(٧)]، ولم يُقْتَلْ سَابُّ النبي [ﷺ] لكُفْرِه، لكن لمعنىً يرجِعُ إلى تعظيم حُرْمتِه، وزوالِ المَعَرَّةِ [به][(٨)] وذلك لا تُسْقِطه التَوْبَة.

قال القاضي أبو الفضل: يريدُ ـ واللهُ أعلم ـ لأنَّ سبَّهُ لم يكن بكلمةٍ تقتضي الكفر، ولكن بمعنىٰ الإزراء والاستخفاف، أو لأَنَّ بتوبته وإظهار إنابته له[(٩)] ارتفع عنه اسم الكُفْرِ ظاهراً، واللهُ أعلم بسريرته، وبَقِيَ حُكْمُ السبِّ عليه.

---

(١) (المَعَرَّة): النقيصة التي يَلحقُ صاحبَها عارٌ.

(٢) في المطبوع: «أكرمه».

(٣) كلمة: «مَنْ»، لم ترد في المطبوع.

(٤) وليس من جنس من تلحق المعرّةُ بجنسه: قال القاري في شرحه ٤/ ٤٤٤: «في هذه العبارة مَزَلَّةٌ لنزاهة ساحة عزَّتِهِ عن أن يكون من جنس تلحقه معرَّةٌ، أولا تلحقه، فلا يصح إطلاق النوعية والجنسية عليه، كما لا يصح سؤال الماهية والكيفية بالنسبة إليه...».

(٥) قوله: «وبه»، لم يرد في المطبوع.

(٦) في المطبوع: «لآدمي».

(٧) في المطبوع: «من زنا وسرقة وغيرهما».

(٨) وزوال المعرَّة به: أي بقتل سابه ﷺ.

(٩) قوله: «له»، لم يرد في المطبوع.

وقال أبو عِمْران الفاسيّ(١): مَنْ سبَّ النبيَّ ﷺ، ثم ارتدَّ عن الإسلام قُتِل، ولم يُسْتَتَبْ، لأن السبَّ من حُقُوقِ الآدميين التي لا تسقطُ عن المرتدّ.

وكلامُ شيوخنا هؤلاء مبنيٌّ على القول بقَتْلِه، حدّاً لا كُفراً، وهو يحتاج إلى تفصيل.

وأمّا على رواية الوليدِ بن مسلم، عن مالك، ومَنْ وافقه على ذلك ممَّنْ ذكرنا [ه] وقال به [مِن] أَهل العلم، فقد صرَّحُوا أنه رِدَّةٌ، قالوا: ويُسْتَتَابُ منها، فإنْ تاب ترك ونُكِّل(٢)، وإن أَبى قُتِلَ، فحكم له بحكْمِ المرتدّ مطلقاً في هذا الوَجْه.

والوجْهُ الأوّل أَشهر وأَظهر (٢٠٤/أ) لما قدمناهُ، ونحن نَبْسُطُ الكلامَ فيه، فنقول: مَنْ لم يَرَهُ رِدَّةً فهو يُوجِبُ القَتْلَ فيه حدّاً، وإنما نقُولُ ذلك مع فَصْلين: إمَّا مع إنكاره ما شُهِدَ عليه به وإظهارِهِ الإقلاعَ والتوبةَ عنه، فَنَقْتُلُه حدّاً لثبَاتِ كلمةِ الكُفْر عليه في حق النبي[ﷺ]، وتَحْقِيره ما عظَّمَ اللهُ مِنْ حقِّه، وأَجْرَينا حُكْمَه في ميراثِه(٣)، وغَيْرِ ذلك ـ حُكْم الزِّنْديق، إذا ظهرَ عليه وأنكر، أو تاب.

فإن قيل: فكيف تُثْبتونَ عليه الكُفْرَ، ويُشْهَدُ عليه بكلمة الكُفر ولا تحكمُون عليه بحُكْمِه من الاسْتِتابةِ وتوابعها؟!.

قلنا: نحن وإنْ أَثْبَتْنَا لهُ حُكْمَ الكافرِ في القتل(٤)، فلا نَقْطَع عليه بذلك، لإقرارِه بالتوحيد والنبوّة، وإنكارِه ما شُهِد عليه به، أو زَعْمِه أنَّ ذلكَ كان منه وَهَلاً(٥) ومعصيةً، وأنه مُقْلِعٌ عن ذلك، نادِمٌ عليه، ولا يَمْتَنِعُ إثباتُ

---

(١) في المطبوع: «القابسي»، والصواب الفاسي، وقد تقدمت ترجمته.
(٢) في المطبوع: «فإن تابَ نُكِّلَ»، أي عوقب عبرةً لغيره..
(٣) في الأصل: «ميزانه»، والمثبت من المطبوع.
(٤) قوله: «في القتل»، لم يرد في المطبوع.
(٥) (وَهَلاً): غلطاً وسهواً.

بَعْضِ أحكام الكُفرِ على بعض الأشخاصِ وإنْ لم تَثْبُتْ له خصائصه ، كقَتْل تاركِ الصلاة .

وأمّا مَنْ عُلِمَ أنه سَبَّهُ ـ عليه السلام ـ مُعْتَقداً لاسْتِحْلاله ، فلا شَكَّ في كُفْرِه بذلك .

وكذلك إنْ كان سبَّهُ في نفسه كَفَر ، كتكذيبِه أو تكفيره أو نحوه ، فهذا ما لا إشكال فيه ، ويُقْتَلُ ـ وإنْ تاب منه ـ لأنّا لا نقبَلُ توبتَه ، ونقتلُه بعد التوبة حدّاً ، لقولِهِ ، ومتقدّم كُفْره ، وأمْرُه بَعْدُ إلى اللهِ المطَّلع على صحةِ إقلاعِه ، العالمِ بسرِّه .

وكذلك مَنْ لم يُظْهِر التوبةَ ، واعترفَ بما شُهِدَ به عليه ، وصمَّم عليه فهذا كافرٌ بقوله ، واستِحلاَلهِ هَتْكَ حُرْمةِ اللهِ وحُرْمةِ رسوله [ﷺ] يُقْتَل كافراً بلا خلاف .

فعلى هذه[1] التفْصيلات خُذْ كلامَ العلماءِ ، ونزِّلْ[2] مختلفَ عبارتهم[3] في الاحتجاج عليها[4] ، وأَجْرِ اختلافهم في الموارثةِ وغيرها على ترتيبها يتَّضِحُ لكَ مقاصِدُهم إن شاء الله تعالى .

فصل

[في اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّ][5]

إذا قُلْنا بالاستتابةِ حيثُ تَصِحُّ ، فالاختلاف[6] فيها على الاختلاف في تَوْبة المرتدّ ، إذ لا فَرْقَ .

---

(١) في الأصل: «هذا» ، والمثبت من المطبوع .
(٢) وَنَزِّلْ: أي احملْ .
(٣) في المطبوع: «عباراتهم» .
(٤) عليها: أي على التفصيلات .
(٥) ما بين حاصرتين من عندي .
(٦) في الأصل: «والاختلاف» ، والمثبت من المطبوع .

وقد أختلف السَّلف في وجوبها وصورتها ومُدّتها ، فذهب جمهورُ أهلِ العلم إلى أنَّ المرتدّ يُسْتَتَابُ .

وحكى ابن القَصَّار أنه إجماعٌ من الصحابةِ على تصويبِ قولِ عمر (٢٠٤/ب) في الاسْتِتابةِ ، ولم ينكِرْهُ واحدٌ منهم ، وهو قَوْلُ عثمان ، وعليّ ، وابن مسعودٍ ، وبه قال[١] عطاء بن أبي رَبَاح ، والنَّخعِيُّ ، والثّوْري ، والأوزاعي ، ومالك ، وأصحابه ، والشافعيُّ ، وأحمدُ ، وإسحاقُ ، وأصحابُ الرأي .

وذهب طاوُوس [ومحمد بن الحسن] وعُبيد بن عُمير[٢] ، والحَسَن في ـ إحدى الروايتين عنه ـ أنه لا يُسْتَتَابُ ، وقاله عبد العزيز بن أبي سَلمة ، وذكره عن مُعاذ ، وأنكره سُحْنُون عن مُعاذ ، وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف ، وهو قولُ أَهْل الظاهِر ، قالوا : وتَنفعُه توبتُه عند الله .

١٧٩٨ ـ ولكن لا يُدْرَأُ[٣] القَتْلُ عنه ، لقوله [ﷺ] : **«مَنْ بدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلوهُ»**[٤] .

وحكيَ أيْضاً عن عطاء قال[٥] : إنْ كان مِمَّن وُلِدَ في الإسلام لم يُسْتَتَبْ ، ويُستتابُ الإسلاميّ .

وجمهورُ العلماءِ على أَنَّ المرتدَّ والمرتدَّةَ في ذلك سواء .

ورُوِي عن عليّ رضِيَ الله عنه : لا تُقْتَلُ المرتدَّةُ ، وتسترقّ ، وقاله عطاء ، وقَتَادة .

---

(١) في الأصل زيادة : «ابن» ، وهي إقحام من الناسخ .
(٢) من ثقات التابعين وأئمتهم ، ولد في حياة النبي ﷺ . وكان واعظاً مفسراً . قال الذهبي : توفي قبل ابن عمر بأيام بسيرة . وقيل : توفي في سنة (٧٤)هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٣) في المطبوع : «لا ندرأ» ، أي لا ندفع .
(٤) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس .
(٥) كلمة : «قالَ» ، لم ترد في المطبوع .

ورُوِي عن ابن عَبّاس: لا تُقتلُ النساء بالردة [١]، وبه قال أبو حنيفة.

قال مالك: والحرُّ، والعَبْدُ، والذَّكَرُ، والأُنثى في ذلك سواء.

وأما مُدّتُها: فمذهبُ الجمهور، ورُوِيَ عن عُمر، أَنه يُستتابُ ثلاثةَ أيام يُحْبَس فيها[٢]، وقد اختلفَ فيه عن عُمَر، وهو أَحَدُ قَوْلي الشافعيّ، وقولُ أَحمد، وإِسحاق، واستَحْسَنَهُ مالكٌ، وقال: لا يأتي الاستظهارُ[٣] إلاّ بخير، وليس عليه جماعةُ الناس.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي زَيْد: يريد في الاستِئْنَاء[٤] ثلاثاً.

وقال مالك [أيضاً]: الذي آخُذُ به[٥] في المرتدِّ قولُ عُمر: يُحْبَسُ ثلاثةَ أَيام، ويُعْرَضُ عليه كلَّ يومٍ، فإن تاب وإلاّ قُتِل.

وقال أبو الحسن بن القصّار: في تأخيره ثلاثاً رِوايَتان عن مالك: هل ذلك واجب أو مستحبّ؟ واستَحْسنَ الاسْتِتابةَ والاستِئنَاء ثلاثاً أصحابُ الرَّأي.

ورُوِيَ عن أبي بكر [الصدّيق] أنه استتابَ في خلافته[٦] امرأةً فلم تَتُبْ

(١) في المطبوع: «في الردة»، أي بسببها.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٧٣٧ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاريّ، عن أبيه، أنه قال: «قدم على عمر بن الخطاب رجل من قبل أبي موسى الأشعري. فسأله عن الناس، فأخبره. ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُغَرِّبةِ خبرٍ؟ فقال: نعم. رجل كفر بعد إسلامه. قال: فما فعلتم به؟ قال: قربناه، فضربنا عنقه. فقال عمر: أفلا حبستموه ثلاثاً. وأطعمتموه كل يوم رغيفاً. واستتبتموه لعله يتوبُ ويراجع أمر الله؟ ثم قال عمر: اللهم! إني لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض، إذ بلغني». قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول ٣/ ٤٨١: «وهو مرسل». (هل كان فيكم من مُغَرِّبة خبر) يعني: هل من خبر جديد، جاءَ من بلد بعيد؟

(٣) (الاستظهار): الاحتياط بالتثبت والتأخير حتى يظهر الأَوْلى.

(٤) (الاستيناء): الاستمهال.

(٥) في المطبوع: «وقال مالك أيضاً: أُخِذَ به».

(٦) قوله: «في خلافته»، لم يرد في المطبوع.

فقتلها ، وقاله الشافعيّ مرةً ، فقال: إنْ لم يتُبْ قُتِلَ مَكَانَـهُ ، واستحسنه المُزَني .

وقال الزّهري: يُدْعَى إلى الإسلام ثلاث مراتٍ ، فإنْ أَبى قُتِل .

ورُوِي عَنْ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنه : يُستتابُ شَهْرَين .

وقال النَّخَعي: يُستتاب أَبداً ، وبه أَخذ الثوريّ ما رُجِيَتْ تَوْبَتُهُ .

وحكى ابن القصّار عن أَبي حنيفة: أنه يُستتاب ثلاث مراتٍ في ثلاثة أيام ، أو ثلاث جُمَع ، كلَّ يوم أو كل[1] جمعة مرة .

وفي كتاب محمد[2]، عن ابن[3] القاسم: يُدْعَى (٢٠٥/أ) المُرْتَدُّ إلى الإسلام ثلاث مرّاتٍ ، فإنْ أَبَى ضُرِبَتْ عنُقُه .

واختُلِفَ على هذا ، هل يُهدَّدُ ، أو يُشدَّد عليه أيامَ الاستِتابة ليتوبَ أم لا؟ فقال مالك: ما علمْتُ في الاستتابة تجويعاً ولا تَعْطيشاً ، ويُؤتَى من الطعام بما لا يضرّه .

وقال أَصْبَغُ: يخوَّفُ أَيامَ الاستِتَابة بالقَتْل ، ويُعْرَضُ عليه الإسلامُ .

وفي كتاب أَبي الحسن الطابثي: يوعَظُ في تلك الأيام ، ويذكَّرُ بالجنة ، ويخوَّف بالنار .

قال أَصْبَغُ: وأَيُّ المواضِع حُبِس فيها من السجون مع الناس أو وَحْده إذا استوثِق منه سواءٌ ، ويُوقَفُ مالُه إذا خِيفَ أنْ يُتْلِفَه على المسلمين ، ويُطْعَم منه ، ويُسْقَى .

وكذلك يُسْتتابُ أبداً كلما رجع وارتدّ .

---

(١) كلمة: «كلّ»، لم ترد في المطبوع .

(٢) محمد هو ابن المَوّاز ، من كبار فقهاء المالكية توفي سنة (٢٦٩) هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/١٣) . ويحتمل أنه محمد بن مسلمة من كبار فقهاء المالكية .

(٣) كلمة «ابن» لم ترد في المطبوع . ولعلها ساقطة سهواً . وابن القاسم تقدم التعريف به .

١٧٩٩ ـ وقد استتابَ النبيُّ ﷺ نَبْهانَ الذي ارتدَّ أربع مراتٍ أو خمساً[١].

[و] قال ابْنُ وَهْب ، عن مالك: يُسْتَتَابُ أَبداً كلما رَجَع ، وهو قولُ الشافعي ، وأحمد ، و[قاله] ابن القاسم.

وقال إسحاق: يُقتلُ في الرابعة.

وقال أصحابُ الرأي: إنْ لم يَتُبْ في الرابعة قُتِلَ دون استتابته وإنْ تابَ ضُرِبَ ضَرْباً وَجِيعاً ، ولا يخرج من السجن حتى يَظْهَر عليه خشوعُ التوبةِ.

قال ابن المنذر: ولا نَعْلَمُ أحداً أَوْجَب على المرتدّ في المرة الأولى أَدباً إذا رجع. وهو على مذهب مالكٍ والشافعيّ والكوفيّ[٢].

فصـل

[في حُكْمِ المُرْتَدِّ إذا اشْتُبِهَ ارْتِدَادُهُ][٣]

قال القاضي رحمه الله: هذا حُكمُ مَنْ ثبتَ عليه ذلك بما يجبُ ثبوته من إقرار ، أو عُدولٍ لم يُدْفَعْ فيهم ، فأمّا مَنْ لم تَتِمَّ الشهادةُ عليه إنّما[٤] شَهِدَ عليه الواحِدُ ، أو الَّلفيفُ من الناس[٥] ، أو ثبتَ قولُه لكن احتُمِل ولم يكن

---

(١) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (ترجمة نبهان) من حديث إبراهيم النَّخَعِيِّ مُعضلاً. وفي الباب: عن أنس بن مالك عند الطبراني في الأوسط. قال الهيثمي في المجمع ٦/ ٢٦٢: «ورجاله ثقات ، إلا أن محمد بن المرزبان شيخ الطبراني لم أره في الميزان ولا غيره». وقال ابن حجر في الإصابة (ترجمة نبهان) عن هذه الطريق: «سندها ضعيف جداً». وأخرجه أيضاً أبو يعلى (١٧٨٥) من حديث جابر بن عبد الله ، وضعفه الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، والسيوطي في المناهل (١٣٤٦). (نبهان): صحابي غير منسوب. له ترجمة في الإصابة.

(٢) (الكوفي): هو الإمام أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زوطىٰ صاحب المذهب الحنفي المشهور.

(٣) ما بين حاصرتين من عندي.

(٤) في المطبوع: «بما».

(٥) (اللفيف من الناس): ما اجتمع من قبائل شتى ، أو من أخلاط شتى، فيهم الشريف والدنيء،=

صَريحاً ، وكذلكَ إنْ تابَ ـ على القَوْلِ بقَبُولِ توبتِه ـ فهذا يَدْرَأُ عنه القَتْلَ ، ويتسلّط عليه اجتهادُ الإمام بقَدْر شُهْرَةِ حالهِ ، وقوةِ الشهادةِ عليه ، وضَعْفِها ، وكثرةِ السّمَاع عنه ، وصورةِ حاله من التهمة في الدِّين ، والنَّبْزِ بالسَّفَهِ والمجُون ، فمَنْ قَوِي أَمْرهُ أذاقَه من شديد النَّكَال ومن الضيق[1] في السِّجْن ، والشدّ في القيود إلى الغاية التي هي مُنْتَهى طاقتِه بما لا يمنعه القيام لضرورته ، ولا يُقْعِدهُ (٢٠٥/ب) عن صلاته ، وهو حُكْمُ كُلِّ مَنْ وَجب عليه القَتْلُ ، ولكن وُقِفَ عن قَتْلِه لمعنىً أَوْجَبَه ، وتُرُبِّصَ به لإشكالِ وعائقٍ اقتضاهُ أمرُه ، وحالاتُ الشدةِ في نَكالِه تختلف بحسب اختلافِ حاله .

وقد رَوَى[2] الوَليدُ ، عن مالك ، والأوزاعيّ أنها رِدَّةٌ ، فإذا تاب نُكّل[3] .

ولمالكٍ في «العُتْبِيّة» وكتابِ محمدٍ ، من رواية أَشْهب : إذا تاب المرتدُّ فلا عقوبةَ عليه . وقاله سُحْنون .

وأفتى أبو عبد الله بن عتّاب فيمن سبَّ النبي ﷺ ـ فشهِدَ عليه شاهِدَان عُدِّلَ أَحَدُهما ـ بالأَدبِ المُوجِع ، والتَّنْكِيل ، والسِّجْنِ الطويل حتى تظهرَ توبتُه .

وقال القابسيُّ في مثل هذا : ومَنْ كان أَقْصَى أَمْرِه القَتْل فعاقَ عائقٌ عن ذلك[4] أَشْكَلَ في القتل ، لم يَنْبَغِ أَنْ يُطْلَقَ مِنَ السجن ، ولكن يُسْتَطالُ سجْنُه ، ولو كان فيه من المدةِ ما عسى أن يُقيمَ ، ويُحْمَل عليه من القَيْد ما يُطيق .

وقال في مثله مِمَّنْ أَشْكَلَ أمرُه : يُشَدُّ في القيود شدّاً ، ويُضيَّق عليه في السجْنِ حتى يُنْظَر فيما يجب عليه .

وقال في مسألة أُخرى مِثْلِها : ولا تُهْرَاقُ الدماءُ إلا بالأَمْرِ الواضِح ، وفي

= والمطيع والعاصي ، والقوي والضعيف (المعجم الوسيط) .

(١) في المطبوع : «من التضييق» .

(٢) في الأصل زيادة : «ابن» ، وهي إقحام من الناسخ .

(٣) (نُكِّلَ) : عُوْقِبَ عقوبة رادعة .

(٤) قوله : «عن ذلك» ، لم يرد في المطبوع .

الأدب[1] بالسَّوْط والسّجْن نَكَالٌ للسفهاء [2]، ويعاقَبُ عقوبة شديدةً ، فأمّا إن لم يشْهَدْ عليه سِوَى شاهدين ، فَأَثبتَ[3] من عَدَاوَتهما أَوْ جَرْحَتِهما ما أَسْقَطهما عنه ، ولم يُسْمَعْ ذلك من غيرهما[4] فأمْرُه أخف لسقوطِ الحُكْم عنه ، وكأنه لم يُشْهَدْ عليه ، إلاّ أَنْ يكون مِمَّنْ[5] يليقُ به ذلك ، ويكون الشاهدان من أهل التَّبْرِيز[6] ، فأسْقَطهما بعداوة ، فهو- وإن لم يَنْفُذ الحُكْم عليه بشهادتهما - فلا يَدْفَعُ الظنُّ صِدْقَهما ، وللحاكم هنا[7] في تَنْكِيله موضِعُ اجتهادٍ. واللهُ أعلم[8] .

فصـل

[في حُكْم الذِّمِّيِّ إذا صرَّح بِسَبِّه ﷺ ، أَوْ عَرَّضَ ، أو اسْتَخَفَّ بِقَدْرِهِ ، أَوْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ الوَجْهِ الّذي كَفَرَ بِهِ][9]

قال القاضي أبو الفضل : هذا حُكْمُ المُسْلِم ، فأمّا الذِّمِّيُّ إذا صَرّحَ بسبِّه ، أو عَرَّض ، أو اسْتَخَفَّ بقَدْرِه ، أو وصَفَه بغير الوَجْه الذي كفر به فلا خلافَ [عندنا] (٢٠٦/أ) في قَتْلِه إنْ لم يُسْلم ، لأنّا لم نُعْطِه الذمّةَ والعهْد على هذا ، وهو قولُ عَامَّةِ العلماء [10]، إلا أبا حنيفةَ والثوريّ وأتباعَهما من أهل الكوفة ،

---

(١) في الأصل : «الأذى» ، والمثبت من المطبوع.
(٢) (نكال للسفهاء) : رادعٌ لهم.
(٣) في المطبوع : «وأثبت».
(٤) في المطبوع : «غيرها».
(٥) في الأصل : «مَنْ»، والمثبت من شرح الخفاجي والقاري. ومعنىٰ : «ممن يليق به ذلك»، أي الأمر الذي نسبه الشهود إليه ، لأنه معروف بعدم الديانة ، والاستخفاف بالدين ، فيكون مظنة لما شهدوا به . وفي المطبوع : «ممن لا يليق» وهو خطأ.
(٦) أهل التبريز : أصحاب الفضل والصدق والعدالة . .
(٧) في الأصل : «هذا» ، والمثبت من المطبوع.
(٨) في المطبوع : «والله ولي الإرشاد».
(٩) ما بين حاصرتين من عندي.
(١٠) في المطبوع : «الفقهاء».

فإنهم قالوا: لا يُقتَل ، ما هو عليه من الشِّرْكِ أعظمُ ، ولكن يُؤَدَّب ويعزَّرُ[١] .

واستدلّ بعضُ شيوخِنا على قَتْلِه بقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة: ١٢].

ويُستدلُّ أيضاً عليه بقَتْلِ النبيِّ ﷺ لابنِ الأَشرفِ ، وأَشباهِه ، ولأنّا لم نعاهِدْهم ، ولم نُعْطِهم الذِّمَّةَ [على هذا ، ولا يجوز لنا أَنْ نفعلَ ذلك معهم فإذا أَتَوْا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمَّة] ، فقد نقضُوا ذِمَّتَهم ، وصاروا كُفاراً أهلَ حرب[٢] يُقْتَلُون لكُفْرِهم.

وأيضاً فإنَّ ذِمَّتَهُم لا تُسقِطُ حدودَ الإسلام عنهم ، من القَطْعِ في سَرقةِ أَموالهم ، والقَتْلِ لمن قتلوه منهم ، وإنْ كان ذلك حَلاَلاً عندهم فكَذلك سبُّهُمْ للنبيِّ ﷺ يُقْتَلُون به.

وورِدَتْ لأصحابنا ظواهِرُ تَقْتَضِي الخِلاَفَ إذا ذكره الذميّ بالوَجْه الذي كفر به ، ستَقِفُ عليها من كلام ابْنِ القاسِم وابن سُحْنون بعدُ.

وحكى أبو المُصْعَب الخلافَ فيها عن أَصحابه المَدَنيين.

واختلفوا إذا سبَّهُ ثم أَسْلم ، فقيل: يُسْقِطُ إِسلامُه قَتْلَه ، لأن الإِسلامَ يَجُبُّ ما قبله[٣] ، بخلاف المسلم إذا سبَّه ثم تاب ، لأنّا نعلمُ باطِنَةَ الكافِرِ في بُغْضِه له ، وتنقُّصه بقَلْبه ، لكنّا منعناهُ من إظهاره ، فلم يَزِدْنا ما أَظهَرَ[هُ] إلا مخالفةَ للأَمْر ، ونَقْضاً للعهد ، فإذا رجع عن دِينهِ الأول إلى الإسلام سقط ما قبله ، بقوله تعالى[٤]: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ الآيةْ [الأنفال: ٣٨].

---

(١) (ويعزَّر): التعزير: تأديب لا يبلغ الحد الشرعي ، كتأديب من شتم بغير قذف (المعجم الوسيط).

(٢) قوله: «أهل حرب»، لم يرد في المطبوع.

(٣) (يجبُّ ما قبله) أي يَقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر والذنوب (المعجم الوسيط).

(٤) في المطبوع: «قال الله تعالى».

والمسلمُ بخِلافه، إذْ كان ظنُّنَا بباطِنه حكم ظاهره، وخلافَ ما بَدَا منه الآن، فلم نَقْبَل بَعْدُ رُجوعَه، ولا استَنَمْنَا[1] إلى باطِنه، إذ قد بَدَتْ سرائرهُ، وما ثبتَ عليه (٢٠٦/ب) من الأحكامِ باقيةٌ عليه لَمْ يُسْقِطْها شيء.

وقيل: لا يُسقِط إسلامُ الذميِّ السابِّ قَتْلَهُ، لأنه حقٌّ للنبيِّ ﷺ وَجَب عليه القتل لانْتِهاك[2] حُرْمَته، وقَصْدِه إلْحَاقَ النّقيصةِ والمَعَرّةِ[3] به، فلمْ يكُنْ رجوعُه إلى الإسلامِ بالذي يُسْقِطه، كما وَجب عليه من حقوق المسلمين من قَبْل إسلامِه: من قَتْلٍ، أو قَذْفٍ، أو سرقة. وإذا[4] كنّا لا نَقْبل توبةَ المسلم فأَنْ[5] لا نَقْبَلَ توبةَ الكافِر أولى[6].

[و] قال مالك في كتاب ابْن حَبِيب، و«المبسوط»، وابن القاسم، وابن الماجِشُون، وابن عبد الحكم، وأَصْبَغ - فيمَنْ شتَم نبيَّنا عليه السلام - من أهلِ الذِّمَّةِ، أو أحداً من الأنبياء - عليهم السلام -: قُتِل إلاَّ أن يُسلم، وقاله ابنُ القاسم في «العُتْبِيّةِ»، وعند محمد، وابْنِ سُحنون.

وقال سُحْنون وأَصْبَغُ: لا يُقال له: أَسْلِمْ، ولا: لا تُسْلِم، ولكِنْ إنْ أَسلم فذلك له تَوْبَةٌ.

وفي كتاب محمد: أخبرنا أَصحابُ مالكٍ أنه قال: مَنْ سبَّ رسول الله ﷺ أو غَيْرَه من الأَنبياء، مِنْ مسلم أو كافر قُتِل ولم يُستَتَبْ.

ورُوِي لنا عن مالك: إلاّ أَنْ يُسلم الكافِرُ.

وقد رَوَى ابْنُ وَهْب، عن ابن عُمَرَ، أَنَّ راهباً تناوَل النبيَّ ﷺ! فقال ابْنُ عُمر: فهلاَّ قتلتموه!.

---

(١) ولا استَنَمْنَا: ولا اطْمَأْنَنَّا لما يدور في نفسه.

(٢) في المطبوع: «وجب عليه لانتهاكه».

(٣) المَعَرَّة: المذمة والعيب.

(٤) في المطبوع: «من قتل وقذف وإذا...».

(٥) في المطبوع: «فإنا».

(٦) قال الخفاجي ٤/ ٤٥٨: «ما قاله - أي القاضي عياض - غير متجه لأن الإسلام يجب ما قبله».

ورَوى عيسى ، عن ابْن القاسم ـ في ذِمِّيٍّ قال: إنَّ محمداً لم يُرْسَلْ إلينا ، إنما أُرْسِلَ إليكم ، وإنما نبيّنا مُوسى أَو عيسى ، أو نحو هذا: لا شيء عليهم ، لأنَّ الله [تعالى] أَقَرَّهم على مِثْله.

وأَمَّا إِنْ سبَّه ، فقال: ليس بنَبيّ ، أو لم يُرْسَلْ ، أَوْ لم ينزَّل عليه قرآن ، وإنما هو شيءٌ تَقَوَّلَه أو نحوُ هذا فيُقْتَل.

[و] قال ابن القاسم: وإذا قال النصْرانيّ: دِينُنَا خيرٌ مِنْ دِينكم ، إنما دينُكم دينُ الْحَمِير ، ونحو هذا من الكلام[1] القَبيح ، أو سَمِعَ المؤذّنَ يقول: أَشْهَد أَنَّ محمداً رسول الله ، فقال: كذلك يُعْطيكم الله[2] ، ففي هذا الأدبُ المُوجِع ، والسجْن الطَّويل.

قال (٢٠٧/أ): وأمّا إنْ شَتَم النبيَّ [ﷺ] شَتْماً يُعْرَف فإنه يُقْتَلُ إلا أَن يُسْلِم ، قاله مالكٌ غيرَ مَرَّةٍ ، ولم يقُلْ: يُستتاب.

قال ابنُ القاسم: ومَحْمَلُ قولِه عندي إنْ أَسلم طائعاً.

وقال ابن سُحنون في سؤالاتِ سليمان بن سالم[3] ـ في اليهوديّ يقول للمؤذّن ، إذا تشهَّد: كَذبْتَ ـ يُعاقَب أيضاً العقوبةَ الموجعةَ مع السِّجْن الطويل.

وفي «النوادر»[4] من رواية سُحْنون عنه: مَنْ شَتَمَ الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوَجْه الذي به كفروا ضُرِبَتْ عنُقه[5] إلاَّ أَنْ يُسْلِم.

---

(١) قوله: «الكلام» ، لم يرد في المطبوع.

(٢) كذلك يعطيكم الله: قال الخفاجي: يقول ذلك استهزاءً منه بما مَنَّ الله علينا به في أن جعله رسولاً لنا ﷺ ، يعني أنه مناسب لمثلكم.

(٣) هو سليمان بن سالم القطان ، قاضٍ من أهل المغرب ، من أصحاب سُحنون. له تآليف في فقه مالك تعرف بالكتب السليمانية. توفي في صقلية سنة (٢٨١)هـ. انظر ترجمته في الأعلام. وجاء في الأصل: «ابن سليم بن سالم» وهو غلط.

(٤) (النوادر): كتاب في فقه الإمام مالك. صنفه الإمام أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي. ويوجد من كتاب النوادر نسخة خطية في مكتبة القرويين بفاس (٨٤١ ، ٩٠١).

(٥) في الأصل: «ضربت أعناقهم أو عنقه» ، والمثبت من المطبوع.

قال محمد بن سُحْنون: فإنْ قيل: لِمَ قتلْتَه في سبِّ النبيّ -عليه السلام- ومنْ دينِه سبُّه وتكذيبُه؟! قيل: لأنّا لم نُعْطِهم العَهْدَ على ذلك، ولا على قَتْلِنا، وأخْذِ أموالنا، فإذا قَتل واحداً منا قَتَلْنَاه، وإنْ كان من دِينهِ استحلالُه فكذلك إظهارهُ لسبِّ نبيِّنا عليه السلام.

قال سُحْنون: كما لو بذلَ لنا أَهلُ الحَرْبِ الْجِزْيَةَ على إقرارهم على سبِّه لم يَجُزْ لنا ذلك في قول قائل من المسلمين[١].

كذلك ينتقِضُ عَهْدُ مَنْ سبَّ منهم، ويحلّ لنا دمُه، وكما[٢] لم يُحصِّن الإسلامُ مَنْ سبَّه من القَتْل، كذلك لا تُحصِّنه الذمَّةُ.

قال القاضي أبو الفضل: ما ذكره ابن سُحْنون عن نَفْسه، وعن أبيه، مخالفٌ لقول ابْنِ القاسم فيما خفَّفَ عقُوبتَهم فيه بما[٣] به كَفَرُوا، فتأمَّلْه.

ويدلُّ على أنه خِلافُ ما رُوِيَ عن المدنِّيين في ذلك، فحكى أبو المُصْعب الزهري، قال: أُتِيتُ بنصْرَانِيّ قال: والذي اصطفى عيسى على محمّد! فاخْتُلف عليّ فيه، فضربتُه حتى قتلتُه، أو عاش يوماً وليلةً، وأمرتُ من جَرّ بِرِجْلِه، وطُرِحَ على مَزْبلةٍ، فأكلته الكِلابُ.

وسُئل أبو المصعَب عن نصراني قال: عيسى خلَق محمداً؟ فقال: يُقْتَل.

وقال ابنُ القاسم: سَأَلْنَا مالكاً عن نَصْرَانيّ بمصر شُهِد عليه أنه قال: مسكين محمد! يخبركم أنه في الجنة[٤]، ما له لم ينْفَعْ (٢٠٧/ب) نَفْسه إذ كانت الكلابُ تأكل ساقَيْه! لو قتلوه[٥] استراح منه الناس.

قال مالك: أَرَى أَنْ تُضْرَبَ عنقُه.

---

(١) قوله: «من المسلمين» لم يرد في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «فكما».

(٣) في المطبوع: «مما».

(٤) على هامش الأصل: «فهو الآن في الجنة. صح».

(٥) في الأصل: «قتلتوه»، والمثبت من المطبوع.

قال: ولقد كِدْتُ أَلاَّ أتكلَّم فيها بشيء، ثم رأيتُ أنه لا يسعني الصَّمْتُ.

قال ابن كِنانة[1] في «المبسوطة»: مَنْ شتَم النبيّ ﷺ من اليهود والنصارى فأَرى للإمام أنْ يُحَرِّقَه بالنار، وإن شاء قتله ثم حَرّقَ جُثّته، وإنْ شاءَ أَحرقه بالنار حيّاً إذا تهافتُوا[2] في سَبِّه عليه السلام.

وقد كُتِبَ إلى مالكٍ[3] من مِصْرَ ـ وذكر مسألَة ابْنِ القاسم المتقدمة، قال[4]: فأمرنـي مَالِكٌ، فكتَبْتُ بأَن يُقْتَلَ، وَأَنْ تُضْرَب عنُقُه، فكتبتُ، ثـم قلت: يا أبا عَبْد الله! وأَكْتُب: ثـم يُحَـرّق بالنار؟ فقال: إنـه لَحقِيقٌ بذلك[5]، وما أَولاه به![6]

فكتبتُه بيدي بين يَدَيهِ، فما أنكره ولا عابَهُ، ونُفِّذَت الصحيفةُ بذلك فقُتِل وحُرِّق[7].

وأفتى عُبيد الله بن يحيى[8]، وابْنُ لُبَابة[9] في جماعةِ سلَفِ أصحابنا

---

(١) هو أبو عمر، أحمد بن عبد الله القرطبي. كان محدثاً، ثقة، خياراً، ضابطاً. ولد سنة (٢٩٩)هـ. ومات سنة (٣٨٣)هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٢٥.
(٢) (تهافتوا): تتابعوا.
(٣) في المطبوع: «مَلِكٍ».
(٤) قال: أي ابن القاسم.
(٥) (لحقيق بذلك): لخليق بالحرق بالنار.
(٦) (وما أولاه به): وما أَحَقَّهُ به.
(٧) في الأصل: «فقتل وأحرق أو حُرِّق»، والمثبت من المطبوع.
(٨) هو عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي القرطبي فقيه، إمام محدث. روى عن والده الإمام يحيى «الموطّأ»، وتفقّه به. توفي سنة (٢٩٨)هـ وهو في عشر التسعين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣١ ـ ٥٣٣.
(٩) هو شيخ المالكية أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي. كان حافظاً لأخبار الأندلس، له حظ من النحو والشعر. توفي سنة (٣١٤)هـ وله تسعون سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٩٥.

الأَندلسيين بقَتْلِ نصرانيةٍ استهلّت[1] بِنَفْي الربوبية ، وبُنُـوَّة عيسى [لله] وتكذيب محمد في النبوة ، وبقَبُول إسلامِها[2] ودَرْءِ القَتْل عنها به .

و [به] قال غَيْرُ واحدٍ من المتأخرين منهم القابسيّ ، وابن الكاتب[3] ، و[قال] أبو القاسم بن الجلاّب[4] في كتابه : مَنْ سبَّ اللهَ ورسُولَه مِنْ مُسْلِم أو كافر ، قُتِل ولا يُستتاب .

وحكى القاضي أبو محمد ـ في الذميّ يَسُبُّ رِوَايتين في دَرْءِ القَتْلِ عنه بإسلامه .

وقال ابن سُحْنون : وحَدُّ القَذْفِ وشِبْهه من حقوقِ العبادِ لا يُسْقِطُه عن الذمّيّ إسلامُه ، وإنما يسقُط عنه بإسلامه حدودُ الله .

فأمّا حدُّ القَذْفِ فحقٌّ للعبادِ هو سواءٌ[5] كان ذلك لنبيٍّ أو غيره ، فأوجب على الذميّ إذا قذفَ النبيَّ ﷺ ثم أسلم حدَّ القَذْف .

ولكن انظر ماذا يجبُ عليه؟ هل حَدّ القَذْف في حقّ النبيِ ﷺ وهو القَتْلُ لزيادة حُرْمةِ النبي ـ عليه السلام ـ على غيره؟ أم هل يَسقُطُ القَتْلُ (٢٠٨/أ) بإسلامه ، ويُحدّ ثمانين؟ فتأمَّلْهُ .

---

(١) (استهلت بنفي الربوبية ، وبُنُـوَّة عيسى الله) : أي أعلنت وأظهرت نفيها للوحدانية ، وقالت إن عيسىٰ ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .
(٢) أي إذا أسلمت بعد قولها هذا .
(٣) هو أبو القاسم بن الكاتب . فقيه مالكي .
(٤) هو شيخ المالكية ، العلامة أبو القاسم بن الجلاَّب ، صاحب كتاب «التفريع» . قيل : اسمه عبيد الله بن الحسين . وسماه القاضي عياض : محمد بن الحسين ، ثم قال : ويقال : اسمه : الحسين بن الحسن . وسماه الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء : عبد الرحمن بن عبيد الله . كان أفقه المالكية في زمانه بعد الأبهري . وله مصنف كبير في مسائل الخلاف . مات كهلاً في سنة (٣٧٨) . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .
(٥) قوله : «هو سواء» ، لم يرد في المطبوع .

فصل

فِي مِيرَاثِ مَنْ قُتِلَ بِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وغَسْلِهِ وَالصَّلاةِ عَلَيْهِ

اختلف العلماءُ في ميراثِ مَنْ قُتِلَ بسَبِّ النبيِّ ﷺ ، فذهب سُحْنون إلى أنه لجماعةِ المسلمين من قبلُ: أَنَّ شَتْمَ النبي ـ عليه السلام ـ كُفْرٌ شِبه[1] كُفر الزَّنْدَقة.

وقال أَصْبَغُ: ميراثُه لورثتِه من المسلمين إنْ كان مُسْتَسِرّاً بذلك ، وإن كان مُظْهِراً له ، مُسْتَهِلاً[2] به ، فميراثُه لِلْمُسلمين ، ويُقْتَل على كل حالٍ ولا يُسْتَتَابُ.

وقال أبو الحسنِ القابسيّ: إنْ قُتِل وهو مُنكِرٌ للشهادةِ [عليه] فالحُكْم في ميراثِه على ما أَظْهر من إقراره ـ يعني لورثته ، والقَتْلُ حَدٌّ ثبت عليه ليس من الميراث في شيء.

وكذلك لو أقرَّ بالسبِّ وأظهر التوبةَ لَقُتِلَ ، إذ هو حَدُّه. وحكمُه في ميراثه ، وسائر أحكامه ، حُكْمُ الإسلام.

ولو أَقرّ بالسبِّ ، وتمادَى عليه ، وأَبى التوبةَ منه ، فقُتِلَ على ذلك كان كافراً ، وميراثُه للمسلمين ، ولا يغسّلُ ولا يكفن ولا يصلَّى [عليه] وتُستَرُ عَوْرَتُه ، ويُوارَىٰ كما يُفعَلُ بالكفّار.

وقولُ [الشيخ] أبي الحَسن في المُجَاهر المتمادِي[3] علىٰ ذلك[4] ، بيِّنٌ لا يمكنُ الخلافُ فيه ، لأنه كافرٌ مرتدٌّ غَيْرُ تائبٍ ولا مُقْلِع.

---

(١) في المطبوع: «يشبه».

(٢) مستهلاً: معلناً مُجاهراً.

(٣) المتمادي: المستمرُّ المُصِرُّ.

(٤) قوله: «علىٰ ذلك» ، لم يرد في المطبوع.

وهو [مِثْلُ] قولِ أَصْبَغَ ، وكذلك قال: ابن سُحنون[1] في الزِّنْديق يتمادَى على قَوْله.

ومثْلُه لابن القاسم في «العُتْبِيَّة».

ولجماعةٍ من أصحاب مالكٍ في كتاب ابن حبيبٍ فيمن أعلن كُفْرَه مثلُه.

قال ابنُ القاسم: وحكْمه حُكْمُ المرتدّ لا يرثهُ وَرثَتُه من المسلمين ، ولا من أهل الدين الذي ارتدَّ إليه ، ولا تجوزُ وَصَاياهُ ولا عِتْقُه ، وقال ذلك أيضاً أَصْبَغُ[2]: قُتِل على ذلك ، أو مات عليه.

وقال أبو محمد بن أبي زيد: وإنما يُخْتَلف في ميراث الزِّنْدِيق الذي يستهلُّ بالتوبة [3]، فلا تُقْبَل منه ، فأمّا المُتمادِي[4] على الكفر والارتداد[5] فلا خِلاف أنه لا يورث.

وقال أبو محمد ـ فيمن سبَّ اللهَ تعالى ثم مات ولم تُعَدَّل[6] عليه بيّنـةٌ ، أو لم تُقْبَل: إنه يصلّى عليه.

وروَى أَصْبَغُ ، عن ابن القاسم ، في كتاب ابن حبيب فيمن كذَّبَ برسول الله ﷺ (٢٠٨/ب) أو أعلنَ ديناً مما يُفارقُ به الإسلام، أَنَّ ميراثَه للمسلمين.

وقال ـ بقول مالك: إنَّ ميراثَ المرتدّ لِلْمُسلمين ، ولا تَرِثهُ وَرَثَـتُـه[7]:

---

(١) في المطبوع: «وكذلك في كتاب ابن سَحنون».
(٢) في المطبوع: «وقاله أصبغ».
(٣) يستهل بالتوبة: يعلنها ويظهرها.
(٤) في الأصل: «فأما المتمادين» ، والمثبت من المطبوع.
(٥) قوله: «علىٰ الكفر والارتداد» ، لم يرد في المطبوع.
(٦) لم تعَدَّل: لم تقم.
(٧) في الأصل زيادة: «قال».

رَبيعةُ[1] ، والشافعيُّ ، وأبو ثوْرٍ[2] ، وابنُ أبي ليلى[3] ، واختُلِفَ فيه عن أحمدَ.

وقال عليّ [بن أبي طالب رضي اللهُ عنه] ، وابنُ مسعود ، وابن المسيَّب ، والحَسَنُ ، والشعبيّ ، وعُمر بن عبد العزيز ، والحكَم[4] ، والأوزاعيّ ، والليثُ ، وإسحاق ، وأبو حَنيفة : يَرِثُه ورثَتُه من المسلمين.

وقيل : ذلك فيما كسبه قبل ارْتِدادِه ، وما يكسبُه في الارتدادِ فلِلْمُسلمين.

قال القاضي [أبو الفضل] رحمه الله : وتفصِيلُ أبي الحَسن في باقي جَوَابه حسَنٌ بيِّن ، وهو على رَأْيِ أَصْبَغَ ، وخلافِ قول سُحْنون ، واختلافُهما على قولَيْ مالك في ميراثِ الزِّنديق ، فمرّةً ورَّثَهُ ورثَتَهُ من المسلمين ، سواء[5] قامت عليه بذلك بينةٌ فأنكرها ، أو اعترف بذلك وأظهر التوبة.

وقاله أَصْبَغُ ، ومحمد بن مَسْلَمة ، وغَيْرُ واحدٍ من أصحابه ، لأنه أَظْهَرَ الإسلام[6] بإنكارِه أو توبتِه ، وحكمُه حكمُ المنافقين الذين كانوا على عَهْدِ رسول الله ﷺ.

---

(١) هو ربيعة بن فروخ ، المشهور بربيعة الرأي ، روىٰ عنه مالكٌ ، وعليه تفقَّهَ. وكان مفتي المدينة ومن أئمة الاجتهاد. قال ابن حجر : مات سنة (١٣٦)هـ على الصحيح. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٨٩ ـ ٩٦.

(٢) هو إبراهيم بن خالد ، إمام ، حافظ ، حجة ، مجتهد. ولد في حدود سنة (١٧٠)هـ ، ومات سنة (٢٤٠)هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٢ ـ ٧٦.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الكوفي القاضي ، إمام ، علامة. كان نظيراً للإمام أبي حنيفة في الفقه. ولد سنة نيِّفٍ وسبعين. ومات في شهر رمضان سنة (١٤٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٠ ، ٣١٦.

(٤) هو الحكم بن عُتَيْبَةَ ، ثقة ثبت فقيه. عالم أهل الكوفة. ولد نحو سنة (٤٦)هـ. ومات سنة (١١٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨ ـ ٢١٣.

(٥) كلمة «سواء» ، لم ترد في المطبوع.

(٦) في المطبوع : «لأنه مظهر للإسلام».

ورَوَى ابْنُ نافع عنه في «العُتْبِيّة» وكتابِ محمدٍ ـ أن ميراثَه لجماعةِ المسلمين، لأنَّ مالَه تَبَعٌ لدمه.

وقال به أيضاً جماعةٌ من أصحابه، وقاله أَشْهب، والمغيرةُ[1]، وعبد الملك[2]، ومحمد[3]، وسَحْنون.

وذهب ابنُ القاسم في «العُتْبِيّةِ» إلى أنه إن اعترفَ بما شُهِد عليه به وتاب فقُتِل فلا يُورَث. وإنْ لم يُقرّ حتى قُتِلَ أو مات وُرِّث.

قال: وكذلك كُلُّ مَنْ أَسَرَّ كُفْراً فإنهم يتوارثُونَ بوراثة الإسلام.

وسئل أبو القاسم بنُ الكاتب عن النَّصْرانيّ يَسُبُّ النبيَّ ﷺ فيقتل، هَلْ يرثُه أهلُ دِينه أم المسلمون؟

فأجاب: إنه[4] للمسلمين ليس على جِهَةِ الميراثِ، لأنه لا توارثَ بين أهل مِلّتَيْن، ولكن لأنه مِنْ فَيْئِهم، لنَقْضه العَهْد، وهذا معنى قولِه واختصارُه.

* * *

(١) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومي. فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. مات سنة (١٨٦) أو (١٨٨)هـ/ التقريب، الأعلام.

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون. كان علامة، مفتياً للمدينة، فصيحاً، تلميذاً للإمام مالك، ورفيقاً للشافعي. مات سنة (٢١٣)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٣) هو محمد بن مسلمة، فقيه مالكي. تقدم التعريف به.

(٤) في المطبوع: «بأنه»، أي ميراثه.

الباب الثالث

فـي حُكْـمِ مَـنْ سَـبَّ اللهَ تعالـىٰ وملائِكَتَـهُ وَأَنْبِيـاءَهُ وَكُتُبَـهُ وآلَ النَّبـيِّ [ﷺ] وَأَزْوَاجَـهُ وَصَحْبَـهُ

قال القاضي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

لا خلافَ أنَّ سابَّ اللهِ تعالى من المسلمين كافرٌ حلالُ الدم. واختُلِفَ في استتابته، فقال ابن القاسم في «المبسوط» وفي كتاب (٢٠٩/أ) ابنِ سُحْنون، ومحمد، ورواهُ ابنُ القاسِمِ عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى[١]: مَنْ سبَّ اللهَ تعالى من المسلمين قُتِلَ ولم يُسْتَتَبْ، إلاّ أَنْ يكونَ افتراءً على اللهِ بارتدادِهِ إلى دينٍ دانَ به، وأظهرهُ، فيستتابُ، وإنْ لم يُظْهِرْهُ لم يُسْتَتَبْ.

وقال ـ في «المبسوطة» ـ مُطَرِّفٌ، وعبد الملك مثلَه.

وقال المخزومي[٢]، ومحمد بن مَسْلَمَةَ، وابنُ أبي حازم[٣]: لا يُقْتَلُ المسلمُ بالسبِّ حتى يُستتاب.

---

(١) في الأصل زيادة: «أنه»، ولم ترد في المطبوع.

(٢) هو المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي. تقدم التعريف به.

(٣) هو عبد العزيز بن أبي حازم: سلمة بن دينار. إمام، فقيه. كان من أئمة العلم بالمدينة. قال أحمد بن حنبل: لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من عبد العزيز بن أبي حازم. ولد سنة (١٠٧)هـ وتوفي وهو ساجد سنة (١٨٤)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

وكذلك اليهوديُّ والنَّصْرانيّ ، فإنْ تابوا قُبِلَ منهم توبتهم [١] ، وإنْ لم يتوبوا قُتِلوا ، ولا بُدّ من الاسْتِتَابة ، وذلك كلُّه كالردّةِ ، وهو الذي حكاه [القاضي] ابن نصر عن المذهب .

وأَفْتَى أبو محمد بن أبي زَيْد ـ فيما حُكِي عنه ـ في رجل لعن رجُلاً ولَعَنَ اللهَ ، فقال : إنما أَرَدْتُ أن أَلْعن الشيطانَ فزلَّ لساني ، فقال : يُقْتَلُ بظاهرِ كُفْرِه ، ولا يُقبلُ عُذْره .

وأمّا فيما بيْنَه وبين اللهِ [تعالى] فمعذور .

واختلف فقهاءُ قُرطبة في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه[٢] ، وكان ضيِّقَ الصَّدْر ، كثيرَ التبرُّم[٣] ، وكان قد شُهِد عليه بشهاداتٍ ، منها أنه قال عند استقلاله مِنْ مَرَضٍ[٤] : لقيتُ في مَرَضي هذا ما لو قتلتُ أبا بكر وعُمر لم أستَوْجِبْ هذا كلّه .

فَأَفْتَى إبراهيمُ بنُ حُسين بن خالد بقَتله ، وأَنَّ مُضَمَّنَ قولِه[٥] تجويرٌ لله[٦] تعالى وتظلُّم منه ، والتعريض فيه كالتصريح .

وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب ، وإبراهيم بن حسين بن عاصم ، وسَعيد بن سليمان القاضي بطَرْحِ القَتْلِ عنه ، إلاَّ أنَّ القاضي رأى عليه التثقيل في الحَبْس[٧] ، والشدّةَ في الأدب ، لاحتمال كلامِهِ ، وصَرْفِه إلى التشكي .

فَوَجْهُ مَنْ قال في سابِّ اللهِ تعالىٰ بالاستتابةِ : إنه كفْرٌ وردَّةٌ مَحْضَةٌ لم يتعلّق

---

(١) قوله : «توبتهم» ، لم يرد في المطبوع .

(٢) في الأصل : «بن الفقيه» ، والمثبت من المطبوع . وعبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي . تقدمت ترجمته .

(٣) (كثير التبرم) : كثير السآمة والضجر .

(٤) (استقلاله من مرضٍ) . ارتفاعه عنه .

(٥) (مُضَمَّن قوله) : أي ما تضمَّنَهُ .

(٦) (تجويرٌ لله) : أي نسبته إلى الجَوْر ، وهو الظلم . وهو محال في حقه سبحانه وتعالىٰ .

(٧) (التثقيل في الحبس) : أي بوضع القيود والأغلال .

بها حقٌّ لغير اللهِ ، فأَشْبَه قَصْدَ الكُفرِ بغير سبِّ الله ، وإظهارَ الانتقال من دين[1] إلى دينٍ آخر من الأديان المخالفة للإسلام .

وَوَجْهُ تَرْكِ ٱسْتِتَابتِه : أَنه لمَّا ظهر مِنْهُ ذلك بعد إظهارِ الإسلام قبْلُ اتّهَمْناهُ وظنَنَّا أنَّ لسانَه لم يَنْطِق به إلاَّ وهو مُعْتَقِدٌ له ، إذ لا يتساهَلُ في هذا أَحَدٌ ، فحُكِمَ له (٢١٦/ب) بحُكْمِ الزِّنديق ، ولم تُقْبَلْ توبتُه ، وإذا انتقل من دينٍ إلى آخرَ ، وأَظهر السبَّ بمعنى الارتدادِ فهذا قد أَعْلَم أنه خَلَعَ رِبقَةَ الإسلام[2] من عُنقه ، بخلاف الأوّل المتمسّك به ، وحُكْمُ هذا حُكْمُ المرتدّ: يُسْتَتَابُ على مشهورِ مذاهب أكثرِ العلماء[3] وهو مذهبُ مالك ، وأصحابه ، على ما بَيّنَاهُ قبلُ ، وذكَرْنَا الخلافَ في فُصُوله .

فصل

[فِيْ حُكْم مَنْ أَضَافَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مَا لاَ يَلِيْقُ بِهِ عَنْ طَرِيْقِ التَّأْوِيْلِ وَالاجْتِهَادِ وَالْخَطأ الْمُفْضِي إِلَىٰ الْهَوَىٰ وَالْبِدْعَةِ][4]

وأمّا مَنْ أضاف إلى اللهِ تعالى ما لاَ يَلِيقُ به ليس على طَرِيقِ السبِّ ولا الرِّدَّةِ وقَصْدِ الكُفْر ، ولكن على طريق التَّأويل ، والاجتهادِ ، والخَطأ المُفْضِي إلى الهَوَى والبِدْعة ، من تشبيهٍ ، أو نَعْتٍ بجارحةٍ ، أو نَفْيِ صِفَةِ كمالٍ ، فهذا مما اختلفَ السّلَفُ والخَلَفُ في تكفير قائله ومعتقِده .

واختلف قولُ مالك وأصحابه في ذلك ، ولم يختلفوا في قِتَالهم إذا تحيّزوا فئة[5] ، وأنهم يُسْتتابون ، فإنْ تابُوا وإلاّ قُتِلوا ، وإنما اختلفوا في المنفردِ

---

(١) قوله : «من دين» ، لم يرد في المطبوع .

(٢) (ربقة الإسلام) : أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه (النهاية) .

(٣) في المطبوع : «مذاهب أكثر أهل العلم» .

(٤) ما بين حاصرتين من عندي .

(٥) (تحيَّزوا فئة) : أي انضم بعضهم إلى بعض ، وانفردوا بمكانٍ مختص بهم إظهاراً للمخالفة والبدعة والهوى .

منهم ، فأكثرُ قولِ مالك وأصْحابه تـرْكُ القولِ بتكفيرهم ، وتـرْكُ قَتْلهم ، والمبالغةُ في عقوبتهم ، وإطالة سِجنِهم ، حتى يَظْهَر إقلاعُهم[١] ، وتَسْتَبِينَ توبتُهم ، كما فعل عُمر [رضي الله عنه] بِصَبِيغٍ[٢] .

وهذا قولُ محمد بن المَوّاز في الخَوَارج ، وعبد الملك بن الماجشون ، وقولُ سُحْنون في جميع أهل الأهواء ، وبه فُسِّر قول مالك في الموطّأ[٣] ، وما رَوَاه عن عُمر بن عبد العزيز ، وجَدِّه[٤] ، وعَمِّه[٥] ، من قولهم في القَدَرِيّة : يُسْتَتَابون ، فإن تابُوا وإلاَّ قُتِلوا .

وقال عيسى ، عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإبَاضيّة[٦] ، والقَدَرية ، وشِبْهِهِمْ ممّن خالف الجماعةَ من أهل البِدَعِ والتحريف ، لتَأْوِيلِ كتابِ الله عز وجل : يُستتابون أظهروا ذلك أو أسَرُّوه . فإنْ تابوا وإلاَّ قُتِلوا ، وميراثهم لورثتهم .

---

(١) (إقلاعهم) : تَـرْكُـهُمْ ما هم عليه .

(٢) هو صَبِيغ ـ بوزن عظيم ـ بن عِسْلٍ ، ويقال : عُسَيْل . ويقال : ابن سهل الحنظلي . قال ابن حجر في الإصابة : «له إدراك وقصته مع عمر مشهورة» . كان يتتبع مشكل القرآن ومتشابهه . وذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق أنه كان يحمق . وقال أبو أحمد العسكري : واتهمه عمر برأي الخوارج» . وهو داعية فتنة وسوء . لذلك ضربه سيدنا عمر ونفاه إلى البصرة تأديباً . وأمر الناس ألا يجالسوه . واتخذ بعض المغرضيْن ـ من هذه القصة ـ ذريعةً للتهجم والحطِّ من قدر الخليفة العادل عمر بن الخطاب . وما فعله عمر هو الصواب عينه ، حيث وأد الفتنة في مهدها ، واجتثها من أصولها ، وعاقب داعيتها .

(٣) ٢/ ٧٣٦ وفيه : «ومعنى قول النبي ﷺ ، فما نُرىٰ والله أعلم ، من غيَّر دينه فاضربوا عنقه . أنه من خرج من الإسلام إلى غيره ، مثلُ الزنادقة وأشباههم . فإن أولئك إذا ظُهر عليهم ، قتلوا ولم يستتابوا لأنه لا تعرف توبتهم . وأنهم كانوا يسرون الكفر ، ويعلنون الإسلام . فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ، ولا يقبل منهم قولهم . . . » .

(٤) (جَـدُّ عمر بن عبد العزيز) : هو مروان بن الحكم .

(٥) (عمه) : عمُّ عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

(٦) (الإباضية) : فرقة من فرق الخوارج . ينسبون إلى عبد الله بن إباض المقاعسي التميمي . قال الزركلي في الأعلام ٤/ ٦٢ : «وهم في المشرق اليوم ، أكثر أهل المملكة العُمانية ، ولهم فيها الإمامة والسيادة . أما في الجزائر فبلاد «وادي ميزاب» معظم سكانها إباضية» .

وقال مِثْلَـه أيضاً ابْـنُ القاسم في «كتاب محمد» في أهل القَـدَر وغيرهم ، قال: واسْتِتَابتُهم أن يُقال لهم: اتركوا (٢١٧/أ) ما أنتم عليه.

ومِثْلُه له في «المبسوط» في الإباضيّة والقَدَرية وسائرِ أهل البدع ، قال: وهم مسلمون ، وإنما قُتِلوا لرأيهم السَّوْء[١] ، وبهذا عمِلَ عُمر بن عبد العزيز.

قال ابن القاسم: مَنْ قال: إنَّ اللهَ لم يكلِّمْ موسىٰ تكليماً استُتِيب ، فإنْ تاب وإلاّ قُتل.

وابنُ حبيب وغَيْـرُهُ من أصحابنا يرى تكفيرَهم وتكفيرَ أمثالِهم من الخوارج والقدَريّة والمرجئة[٢].

وقد رُوِي أيضاً عن سُحْنون مثلُه فيمن قال: ليس للهِ كَلاَمٌ ، إنه كافرٌ.

واختلفت الرِّوَاياتُ عن مالك ، فأطلق في رواية الشاميين: أبي مُسْهِرٍ[٣] ، ومروانَ بن محمد الطَّاطَري[٤] الكُفْرَ عليهم ، وقد شُووِرَ في زَوَاج القَدَريّ ، فقال: لا تزوِّجْهُ ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وروي عنه أيضاً أنه قال[٥]: أهل الأهواء كلهم كفار.

---

(١) (السَّوْء): السَّيِّيء الفاسد المخالف لجماعة السنة وأهل الحق.

(٢) (المرجئة): فرقة إسلامية ، لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء ، بل يُـرْجئون الحكم إلىٰ يوم القيامة. ومن أقوالهم: «إنه لا يضر مع الإيمان معصية ، ولا ينفع مع الكفر طاعة» (المعجم الوسيط).

(٣) هو عبد الأعلى بن مُسْهِرٍ الغساني الدمشقي. ثقة ، فقيه ، إمام ، كان من أوعية العلم وشيخ الشام. ولد سنة (١٤٠)هـ ، وتوفي سنة (٢١٨)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١٠ ـ ٢٣٨.

(٤) هو مروان بن محمد الأسدي الدمشقي الطاطري. قال الطبراني: كل من باع الثياب الكرابيس بدمشق ، يقال له: الطاطري. كان إماماً ، قدوة ، حافظاً. قال أبو سليمان الداراني ـ نسبة إلى بلدنا داريّا ـ ما رأيت شامياً خيراً من مروان بن محمد». قال البخاري: مات سنة (٢١٠). وقال الذهبي: عاش (٦٣) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٥١٠ ـ ٥١٢.

(٥) قوله: «أنه قال» ، لم يرد في المطبوع.

وقال: مَنْ وصفَ شيئاً مِنْ ذاتِ اللهِ [تعالى] ، وأشار إلى شيءٍ من جَسَدِه: يَدٍ ، أو سَمْعٍ ، أو بَصَرٍ ، قُطِع ذلِكَ مِنْهُ ، لأنه شبَّه اللهَ بنفسه.

وقال ـ فيمن قال: القرآن مخلوق ـ: كافرٌ فاقْتُلوه.

وقال أيضاً ـ في رواية ابن نافع ـ: يُجْلَد ، ويُوجَع ضَرْباً ، ويُحْبَس حتى يَتُوبَ.

وفي رواية بِشْر بن بكر التِّنِّيسي[1] عنه: يُقْتَل ولا تُقْبَل توبتُه.

قال القاضي أبو عبد الله البَرْنكَاني ، والقاضي أبو عبد الله التُّسْتَري من أئمة العراقيين من أصحابنا[2]: جوابه مُخْتَلف ، يُقْتَل المستَبْصِرُ[3] الداعية.

وعلى هذا الخلاف اختلف قولهُ في إعادة الصَّلاةِ خَلْفهم.

وحكى ابنُ المُنْذِر ، عن الشافعي: لا يستتابُ القَدَرِيُّ.

وأكثَرُ أقوالِ السَّلَفِ تكفيرُهم ، وممن قال به: الليثُ بن سعد ، وابن عُيَيْنَةَ ، وابن لَهِيْعَةَ[4] ، ورُوي عنهم ذلك فيمن قال بخَلْقِ القُرآنِ ، وقاله أيضاً ابنُ المبارَك ، والأَوْدِي[5] ، ووَكيع[6] ،

---

(١) ثقة يُغْرِبُ ، مات سنة (٢٠٥) هـ. وقيل: سنة (٢٠٠) روى له البخاري وغيره. والتِّنِّيسي: نسبة إلىٰ تِنِّيس ، بلد بديار مصر. (التهذيب وفروعه).

(٢) قوله: «من أصحابنا» ، لم يرد في المطبوع.

(٣) أي الذي له خبرة بأمور شريعته وهو معجب بضلالته وجهالته.

(٤) هو عبد الله بن لَهِيْعَةَ. القاضي ، الإمام ، العلامة ، محدث ديار مصر مع الليث بن سعد. ولد سنة (٩٥) أو (٩٦) هـ وتوفي سنة (١٧٤) هـ. له ترجمة مطولة في السير ٨/ ١١ ـ ٣١.

(٥) في شرح الخفاجي والقاري: «وهو عثمان بن حكيم» ، قال ابن حجر في التقريب: «مقبول من كبار العاشرة ، مات سنة (٢١٩) هـ قلت: ولعل الأودي المقصود هنا عبد الله بن إدريس الأَوْدي. الإمام الحافظ المقرىء القدوة ، الفقيهُ العابد ولد سنة (١٢٠) هـ ومات سنة (١٩٢) هـ. انظر ترجمته في السير ٩/ ٤٢ ـ ٤٨.

(٦) هو وكيع بن الجرَّاح الرُّؤاسي. ثقة حافظ ، عابد. قال ابن حجر: «مات في آخر سنة (١٩٦) أو أول سنة (١٩٧) هـ. وله سبعون سنة. له ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠ ـ ١٦٨. =

وحفص بن غِيَاث[1] ، وأبو إسحاق الفزاري[2] ، وهُشَيْم[3] ، وعليّ بن عاصم[4] في آخرين، وهو من قول (٢٠٩/ب) أكثر المُحدِّثين ، والفُقَهاء ، والمتكلمين فيهم ، وفي الخوارج ، والقَدَرِيّة ، وأهل الأهواء المضلّة ، وأصحاب البِدَع المتأوّلين ، وهو قولُ أحمد بن حنبل ، وكذلك قالوا في الواقفة[5] والشاكّة[6] في هذه الأصول.

ومِمَّنْ رُوِي عنه معنى القَوْلِ الآخرِ بتَرْكِ تكفيرهم: عليُّ بن أبي طالب ، وابن عُمر ، والحسن البصري ، وهو رأيُ جماعةٍ من الفقهاء ، والنُّظار[7] ، والمتكلمين ، واحتجُّوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثةَ أهلِ حَرُوراء[8] ، ومن عُرف بالقَدَرِ مِمَّن مات منهم ، ودفْنِهم في مقابِر المسلمين ، وجَرْي أحكام الإسلام عليهم.

---

(١) هو الإمام الحافظ العلامة القاضي أبو عمر النَّخَعيُّ. قاضي الكوفة ومحدثها. ولد سنة (١١٧)هـ ومات سنة (١٩٤) أو (١٩٥)هـ. انظر ترجمته في السير ٩/ ٢٢ ـ ٣٤.

(٢) هو الإمام الكبير الحافظ المجاهد ، إبراهيم بن محمد الفزاري الشامي. مات سنة (١٨٥) أو (١٨٦)هـ قال الذهبي: قلت: من أبناء الثمانين ، أو جاوزها بقليل. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٩ ـ ٥٤٣.

(٣) هو الإمام ، شيخ الإسلام ، محدث بغداد ، وحافظها هُشَيمُ بن بشير ـ بوزن عظيم ـ السلمي الواسطي. ولد سنة (١٠٤)هـ قال ابن حجر: «مات سنة (١٨٣)هـ ، وقد قارب الثمانين». ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٨٧ ـ ٢٩٤.

(٤) هو الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق أبو الحسن القرشي التيمي الواسطي. ولد سنة (١٠٧)هـ قال ابن حجر: «مات سنة (٢٠١)هـ وقد جاوز التسعين». انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٩ ـ ٢٦٢. وفي الأصل زيادة: «وعدي بن علقمة».

(٥) (الواقفة): قوم توقفوا في اتباع البدعة أو السنة لجهلهم أو لتعارض الأدلة عليهم ، فلم يقولوا: القرآن مخلوق ، أو غير مخلوق.

(٦) (الشَّاكَّةُ): أي المترددة. قال التلمساني: هم قوم وقع لهم الشك في القرآن ، هل هو مخلوق أم لا.

(٧) (النُّظَّار): جمع ناظرٍ. أي: أصحاب النظر والمعرفة بالأدلة ، والقادرين على المناظرة.

(٨) (أهل حَروراء): هم طائفة من الخوارج يقال لهم الحَرورية ـ نسبة إلى حَروراء ، بقرب الكوفة ـ وكان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا سيدنا علياً رضي الله عنه.

قال إسماعيل القاضي: وإنما قال مالكٌ في القَدَرية وسائر أهل البِدَع: «يُسْتَتَابون، فإِنْ تابُوا وإلاَّ قُتلوا» لأنه من الفساد في الأرض، كما قال في المُحَارِبِ: إنْ رأَى الإمامُ قَتْلَه، وإنْ لم يَقْتُل، قَتَله، وفسادُ المُحارِب إنما هو في الأموال ومصالحِ الدنيا، وإنْ كان قد يدخلُ أيضاً في أَمْرِ الدِّين مِنْ سبيل الحجِّ والجهادِ. وفسادُ أهلِ البِدَع مُعْظَمُه على الدين، وقد يدخلُ في أَمْرِ الدنيا بما يُلْقُون بين المسلمين من العَدَاوَةِ، والله الموفق للصواب.

فصل
في تَحْقِيقِ القَوْلِ في إِكْفَارِ المُتَأَوِّلِينَ[1]

قد ذكَرْنا مذاهبَ السَّلَف في إكْفار أصحاب البِدَع والأهواءِ المُتأَوِّلين، ممن قال قولاً، يُؤَدِّيه مَسَاقُهُ إلى كفرٍ، وهو إذا وُقِفَ عليه لاَ يقول بما يُؤَدِّيه قولُه إليه.

وعلى اختلافهم، اختلف الفقهاءُ والمتكلِّمُونَ في ذلك، فمنهم مَنْ صَوَّب التكفيرَ الذي قال به الجمهورُ من السَّلَف، ومنهم مَنْ أَبَاهُ ولم يَرَ إخراجَهم من سَوَاد المؤمنين، وهو قولُ أكثر الفقهاء والمتكلمين، وقالوا: هم فُسَّاقٌ عُصاةٌ ضُلاّلٌ، ونُوارِثُهم من المسلمين، ونحكم لهم بأحكامهم، ولهذا قال سُحنون: لا إعادة (٢١٠/أ) على مَنْ صَلّى خَلْفهم في وقت، ولا غيره[2] قال: وهو قولُ جميع أصحابِ مالك مثل[3]: المغيرة، وابن كنانة، وأشهب، قال: لأنه مُسْلم، وذَنْبُه لم يخرجْه من الإسلام.

واضطرب آخرون في ذلك، ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضِدِّه واختلاف قَوْلَيْ مالك في ذلك، وتوقّفه عن إعادة الصلاة خَلْفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق، وقال: إنها من

---

(١) (المتأوِّلين): هم أصحاب البدع الذين أَوَّلوا عقائدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة، وأولوا بعض النصوص المشكل ظاهرُها.

(٢) قوله: «في وقت ولا غيره». لم يرد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «كلهم».

المُعْوِصاتِ[1] ، إذ القومُ لم يُصَرِّحُوا باسم الكفر [2]، وإنما قالوا قولاً يُؤَدِّي إليه.

واضطرب قولُه في المسألة على نحوِ اضطرابِ قولِ إمامه مالك بن أَنَس حتى قال في بعض كلامِه: إنهم على رَأْيِ مَنْ كفّرهم بالتأويل لا تَحِلُّ مُنَاكَحَتُهُمْ ، ولا أَكْلُ ذَبَائحهم ، ولا الصلاةُ على مَيِّتِهم.

ويُخْتَلَفُ في مواريثهم[3] على الخِلاف في ميراث المُرْتَدِّ.

وقال أيضاً: نورِّثُ مَيِّتَهم وَرَثَتَهم من المسلمين ، ولا نورِّثهم هم من المسلمين ، وأكثَرُ مَيْلِه إلى تَرْك التكفير بالمآل ، وكذلكَ اضطرب فيه قولُ شَيْخه أبي الحسن الأشعري ، وأكثَرُ قولِه تَرْكُ التكفير ، وأَنَّ الكُفْرَ خَصلةٌ وَاحِدةٌ ، وهو الجهل بوجودِ الباري عزَّ وجلَّ.

وقال مرةً: مَن اعتقد أَنَّ الله جِسْمٌ ، أو المسيحُ ، أو بعضُ مَنْ يلقاهُ في الطّرقِ ، فليس بعارفٍ به ، وهو كافِرٌ.

ولمثْلِ هذا ذهب أبو المعالي[4] [رحمه الله] في أجوبته لأبي محمدٍ: عبدِ الحقِّ[5] ، وكان سأله عن المسألة ، فاعتذر له بأَنَّ الغلطَ فيها يَصْعُب ، لأنَّ إدخالَ كافرٍ في المِلَّةِ ، أو إخراجَ مسلمٍ منها [6]، عظيمٌ في الدين.

وقال غيرهما من المحقّقين: الذي يجبُ الاحترازُ من التكفير[7] في أهل

---

(١) (المُعْوِصات): المشكلات الصعبة.

(٢) في المطبوع: «لم يصرحوا بالكفر».

(٣) في المطبوع: «موارثتهم».

(٤) هو الجويني ، تقدمت ترجمته.

(٥) هو عبد الحق بن محمد بن هارون ، الإمام ، شيخ المالكية ، أبو محمد السهمي الصِّقلّي. حجّ مرات ، وناظر بمكة أبا المعالي إمامَ الحرمين وباحثه. من كتبه: النكت والفروق لمسائل المُدَوَّنة» وغيره. مات بالإسكندرية سنة (٤٦٦)هـ. وهو غير عبد الحق الإشبيلي صاحب كتاب «الأحكام». انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠١ـ ٣٠٢.

(٦) في المطبوع: «عنها».

(٧) في الأصل: «الكفر» ، والمثبت من المطبوع.

التَّأويل ، فإن استباحة دماء المصلين[1] الموحِّدين خطر [2] ، والخطأ في تَرْكِ ألفِ كافرٍ أهونُ من الخَطَأ في سَفْك مِحْجَمَـةٍ [3] ، من دم مسلم واحد .

١٨٠٠ ـ وقد قال عليه السلام : «**فإذا قالوها** ـ يعني الشهادة ـ **فقد عصَمُوا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها ، وحسابُهم على الله**»[4] .

فالعصمةُ مقطوعٌ بها مع[5] الشهادة ، ولا ترْتَـفِعُ (٢١٠/ب) ويُسْتَبَاحُ خِلافُها إلا بقاطع ، ولا قاطِعَ من شَرْعٍ ، ولا قياسٍ عليه .

١٨٠١ ـ وألفاظُ الأحاديث الواردةِ في الباب مُعرَّضةٌ للتأويل ، فما جاء منها في التصريح بكُفْرِ القَدَرِيَّة ، وقولُه : «**لا سَهْمَ لهم في الإسلام**»[6] .

١٨٠٢ ـ وتسميته الرافضةَ بالشِّرْك[7] ، وإطلاقُ اللَّعْنةِ عليهم ، وكذلكَ في الخوارجِ وغيرهم من أهل الأهواءِ والبدع ، فقد يَحْتَجُّ بها مَنْ يَقول بالتكفير ، وقد يجيبُ الآخرُ عنها بأنه قد وردَ مِثْلُ هذه الألفاظِ في الحديث في غير الكَفَرةِ على طريقِ التغليظ[8] ، وكفْرٌ دون كُفْرٍ ، وإشراكٌ دون إشراكٍ .

وقد ورد مِثْلُه : في الرِّيَاء ، وعقوقِ الوالدين ، والزَّوج ، [والـزُّورِ] ، وغَيْرِ معصيةٍ .

---

(١) قوله : «دماء المصلين» ، لم يرد في المطبوع .

(٢) خطر : أي : أمر عظيم يخشىٰ منه غضب الله ، وتحرف في المطبوع «خطر» إلىٰ «خطأ» .

(٣) مِحْجَمة : آلة يؤخذ فيها دمُ الحجامة .

(٤) تقدم برقم (١١٣٩) . وقوله : «فقد» ، لم يرد في المطبوع .

(٥) في المطبوع : «من» ، وهو تحريف .

(٦) أخرجه الترمذي (٢١٤٩) ، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٩٥١) وغيره ، من حديث ابن عباس . قال الترمذي : وفي الباب عن عمر ، وابن عمر ، ورافع بن خديج ، وهذا حديث غريب حسن صحيح» . وحسَّنه السيوطي في الجامع الصغير (٥٠٤٤)، وضعفه العلائي وغيره .

(٧) أخرجه أبو يعلى (٢٥٨٦) وغيره من حديث ابن عباس . وإسناده ضعيف . وأخرجه أبو يعلى (٦٧٤٩) من حديث فاطمة بنت محمد ﷺ. قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢: «رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن زينب بنت علي لم تسمع من فاطمة فيما أعلم» . (الرافضة): تقدم التعريف بها .

(٨) أي المبالغة في الزجر والتخويف .

وإذا كان محتَملاً للأَمْرَيْن[1] فلا يُقْطَعُ على أحدهما إلا بدليلٍ قاطِعٍ. ولا دليلَ[2].

١٨٠٣ ـ وقولُه في الخوارج: «هم من شَرِّ البريّة»[3] وهذهِ صِفَةُ الكُفَّار.

١٨٠٤ ـ وقال: «شَرُّ قَبيل تَحتَ أَدِيم السماء، طُوبَى لِمَنْ قتلهم، أو قتلوه»[4].

١٨٠٥ ـ وقال: «فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قَتْلَ عادٍ»[5].

وظاهِرُ هذا الكُفْر، لا سيّما مع تشبيههمْ بعادٍ، فيَحْتَجُّ به مَنْ يَرَى تكفيرهم، فيقول له الآخرُ: إنما ذلك مِنْ قَتْلِهم لخروجهم على المسلمين وبَغيهم عليهم.

١٨٠٦ ـ بدليله من الحديثِ نَفْسِه: «يقـتُـلونَ أَهلَ الإسلامِ»[6] فقَتْلُهم هاهنا حَدٌّ لا كُفر.

وذِكْرُ عادٍ تشبيهٌ للقَتْلِ وحِلِّه، لا للمقتول، وليس كلُّ مَنْ حُكِمَ بقَتْلِه يُحْكَمُ بكُفْرِه.

---

(١) في الأصل: «للآخرين»، والمثبت من المطبوع.
(٢) قوله: «ولا دليل»، لم يرد في المطبوع.
(٣) أخرجه مسلم (١٨٠٣) من حديث أبي ذر بلفظ: «هم شرُّ الخلق والخليقة».
(٤) أخرجه البيهقي عن أنس (المناهل/١٣٤٩). وأخرجه أبو يعلى (٣٩٠٨) من حديث أنس أيضاً بلفظ: «هم شر قتلىٰ تحت ظل السماء، طوبىٰ لمن قتلهم، طوبىٰ لمن قتلوه». قال أستاذنا الفاضل حسين أسد: «إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحيح...» (قبيل): جماعة.
(٥) أخرجه مسلم (١٠٦٤) من حديث الخدري بلفظ: «لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عادٍ». وأخرج البخاري (٥٠٥٧)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي مرفوعاً: «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».
(٦) أخرجه مسلم (١٠٦٤) من حديث الخدري.

١٨٠٧ ـ ويعارضه بقول خالدٍ في الحديث: دَعْني أَضْرِبْ عُنقَه يا رسول الله! قال: «لعلّه يُصلّي»[١].

١٨٠٨ ـ فإن احتجُّوا بقوله عليه السلام: «يَقْرؤُونَ القرآن لا يجاوزُ حناجِرَهم»[٢]، فأَخبر أَنَّ الإيمانَ لم يَدخُلْ قلوبهم.

١٨٠٩ ـ وكذلك قولُه: «يَمْرقُون من الدِّين مُرُوقَ السَّهْم من الرَّمِيَّة، ثم لا يَعُودون إليه حتى[٣] يعودَ السَّهْمُ على فُوقِه»[٤].

١٨١٠ ـ وبقوله: «سبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ»[٥] يدلُّ على أنه لم يتعَلَّقْ من الإسلام بشيء.

أجابه الآخرون: إنَّ معنى «لا يجاوزُ حَنَاجِرَهم» أي[٦] لا يفهمون مَعَانيه بقلوبهم، ولا تَنْشَرِحُ له صدورُهم، ولا تعملُ به (٢١١/أ) جَوَارِحُهم.

١٨١١ ـ وعارَضوهم بقوله: «ويتمَارَى في الفُوق»[٧].

وهذا يقتضي التشكّك في حَالِه.

١٨١٢ ـ وإنْ[٨] احتجُّوا بِقَوْل أَبي سعيد الخُدْريّ في هذا الحديث: سمعتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٤) من حديث الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٣) من حديث الخدري. (حناجرهم): جمع حنجرة، وهي الحلقوم.

(٣) في المطبوع: «حق»، وهو تحريف.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٦٢) من حديث الخدري. انظر صحيح مسلم (١٠٦٤/١٤٨). (يمرقون من الدين مُرُوقَ السهم من الرميّة): أي يجوزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يخرق السهم الشيءَ المرميَّ به ويخرج منه (النهاية). (فُوقه): الفُوق من السهم: حيث يُثْبَتُ الوترُ منه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٨) من حديث الخدري. (سبق الفرثَ والدمَ): أي أن السهم قد جاوزهما، ولم يعلق فيه منهما شيء. والفرث: اسم ما في الكرش.

(٦) كلمة: «أي»، لم ترد في المطبوع.

(٧) أخرجه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٧) من حديث الخدري. (يتمارىٰ): أي يتشكَّك هل بقي فيها شيء من الدم؟ و(الفُوقُ): موضع الوتر من السهم (الفتح ١٢/ ٢٩٠).

(٨) كلمة: «إنْ»، لم ترد في المطبوع.

رسول الله ﷺ يقول: «يخرجُ في هذه الأُمَّةِ[1]»[2] ولم يقل: منِ هذه الأمة، وتحْرِيزُ أبي سَعِيد الروايةَ، وإتقانُه اللفظَ.

١٨١٣ ـ أَجابهم الآخرون: بأنَّ العبارة: بـ«في» لا تَقْتَضِي تَصْرِيحاً بكونهم من غير الأُمَّة، بخلاف لَفْظَة «مِنْ» التي هي للتّبعيض وكونهم من الأُمّة مع أنه قد رُويَ عن عليّ، وأبي ذرّ، وأبي أُمامةَ وغيرهم في هذا الحديث: «يَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي»[3].

١٨١٤ ـ و«سيكونُ مِنْ أُمَّتِي»[4]، وحروفُ المعاني مُشْتركةٌ، فلا تعويل على إخراجِهم من الأمة بـ «في»، ولا على إدخالهم فيها بـ «مِنْ»، لكنَّ أَبا سَعِيد ـ رضي اللهُ عنه ـ أَجادَ ما شاء في التنبيه الذي نبَّه عليه. وهذا مما يدلُّ على سعَةِ فِقْهِ الصحابةِ، وتحقيقهم للمعاني، واستنباطِها من الألفاظ، وتحريرهم لها، وتوقّيهم في الرواية.

هذه المذاهبُ المعروفة لأهل السنّةِ. ولغيرهم منَ الفِرَق فيها مقالاتٌ كثيرةٌ مُضْطَرِبَةٌ سَخِيفةٌ، أَقربُها قولُ جَهْمٍ[5] ومحمد بن شَبيب[6]: إن الكُفْرَ بالله الجهلُ به، لا يكفرُ أَحدٌ بغير ذلك.

وقال أبو الهُذَيْلِ[7]: إنَّ كلَّ متأوِّلٍ كان تأويلُه تَشْبيهاً لله بخَلْقِه، وتجويراً له

---

(١) كلمة «الأمة»، لم ترد في المطبوع.
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣١)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٦/١٥٦) من حديث علي.
(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر الغفاري. وانظر مجمع الزوائد ٦/ ٢٢٥ ـ ٢٤٣.
(٥) هو جهم بن صفوان السمرقندي. تقدم التعريف به.
(٦) من المعتزلة، من تلاميذ إبراهيم بن سيّار النظّام. انظرمقالات الإسلاميين ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩.
(٧) هو رأس المعتزلة، محمد بن الهُذَيْل البصري العلاّف. صاحب التصانيف، الذي أنكر الصفات المقدسة، حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله، وَأَنَّ لِما يقدر الله عليه نهاية وآخراً، وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل، فإن خرجت لم تقدر على خلق ذرة أصلاً. قال الذهبي: «وهذا كفر وإلحاد». ثم قال: وطال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين، وانقلع في سنة (٢٢٧)هـ. ويقال: بقي إلى سنة (٢٣٥)هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣.

فـي فِعْلـه ، وتكـذيبـاً لخَبَـرِه فهـو كافـرٌ ، وكـلُّ مَنْ أَثـبتَ شيئـاً قديماً لا يُـقَالُ له : الله ، فهو كافر.

وقال بعضُ المتكلمين: إن كان ممَّنْ عرف الأَصْلَ ، وبنى عليه ، وكان فيما هو من أَوصافِ الله فهو كافر ، وإن لم يكُنْ من هذا الباب ففاسِقٌ ، إلا أنْ يَـكُوْنَ ممَّنْ لم يَعْرِفْ الأَصْلَ فهو مخطىءٌ غَيْرُ كافر.

وذهب عُبيد الله بن الْحَسَن العَنْبَري[١] إلى تصويب أَقوال المجتهدين في أُصولِ الدِّين فيما كان عُرْضَةً للتَّأويل ، وفارقَ في ذلك فِرَقَ الأُمة ، إذ أجمعوا سِوَاهُ على أنَّ الحقَّ في أصولِ الدين في وَاحِدٍ ، والمخطىءُ فيهِ آثِمٌ عاصٍ فاسقٌ. وإنما الخلاف في تكفيره.

وقـد حكـى القـاضـي أبـو بكـر البـاقِـلانـي مِثْـلَ قـول عُبيـد الله عـن دَاود الأصبهاني[٢] ، قال: وحَكى قومٌ عنهما أنهما قالا ذلك في كلِّ مَنْ عَلِمَ اللهُ [سبحانه] من حاله استفراغَ الوُسْعِ في طلب الحقِّ من أَهل (٢١١/ب) مِلَّتِنا أو من غيرهم.

وقال نَحْوَ هذا القول: الجاحظُ[٣] ، وثُمَامَةُ[٤] ، في أنَّ كثيراً من العامّة

---

(١) محدث ، ثقة ، فقيه ، قاضٍ. لكن عابوا عليه قوله: «كل مجتهد مصيب». قال ابن حجر في التهذيب: «ونقل محمد بن إسماعيل الأزدي في «ثقاته» أنه رجع عن المسألة التي ذكرت عنه لما تبين له الصواب والله أعلم». توفي بالبصرة سنة (١٦٨)هـ. (التهذيب ، الأعلام).

(٢) في الأصل: «الأصفهاني» ، والمثبت من المطبوع. وداود الأصبهاني هو ابن علي بن خلف صاحب المذهب الظاهري. الذي اندثر ولم يبق له أتباع اليوم. ولد داود سنة (٢٠٠)هـ ومات سنة (٢٧٠)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٧ ـ ١٠٨).

(٣) هو أبو عثمان ، عمرو بن بحر البصري المعتزلي. قال الذهبي: «كان ماجناً قليل الدين ، له نوادر» من تصانيفه: «الحيوان» و«البخلاء» و«البيان والتبيين». مات سنة (٢٥٠) أو (٢٥٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٦ ـ ٥٣٠.

(٤) هو ثمامة بن أشرس. من رؤوس المعتزلة القائلين بخلق القرآن. توفي سنة (٢١٣)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٠٣ ـ ٢٠٦.

والنساء والبُلْهِ[1] ومقلّدة النَّصارىٰ واليهود وغيرهم لا حُجَّة للهِ عليهم ، إذ لم تكُنْ لهم طِبَاعٌ يمكنُ معها الاستدلالُ.

وقد نحا الغَزَاليُّ[2] قريباً من هذا المَنْحَى في كتاب «التفرقة»[3].

وقائلُ هذا كلّه كافرٌ بالإجماع على كُفْرِ مَنْ لَمْ يكفِّر أَحداً من النصارى واليهودِ ، وكُلَّ مَنْ فارقَ دينَ المسلمين ، أو وقف في تكفيرهم ، أو شكَّ.

قال القاضي أبو بكر: لأنَّ التوقيف والإجماع على كُفْرهم ، فمَنْ وقف في ذلك فقد كذَّب النصّ ، والتوقيفَ ، أو شكّ فيه. والتكذيب [أ]و الشكُّ فيه لا يقَعُ إلاّ من كافر.

فصل

في بيَانِ ما هُوَ مِنَ المَقَالاتِ كُفْرٌ ، وما يُتَوَقَّفُ أَوْ يُخْتَلَفُ فيه ، وَمَا لَيْسَ بِكُفْرِ

اعلَمْ أَنَّ تحقيق هذا الفَصْل، وكَشْفَ اللَّبْس فيه ، مَوْرِدُهُ الشَّرْعُ ، ولا مجالَ للعَقْل فيه، والفَصْلُ البيِّنُ في هذا أنَّ كلَّ مقالةٍ صَرَّحَتْ بنَفْي الرُّبوبيّة ، أو الوَحْدَانية ، أو عبادةِ أَحَدٍ غير الله ، أو مع اللهِ ـ فهي[4] كُفْرٌ ، كمقالةِ الدَّهْرِيةِ[5] ، وسائرِ فرقِ أصحاب الاثْنَيْنِ[6] من الدِّيصانيةِ[7] ،

---

(١) (البُلْه): جمع أَبْلَه ، وهو من ضعف عقله ، وغلبت عليه الغفلة.

(٢) هو أبو حامد ، محمد بن محمد الغزالي الشافعي. صاحب كتاب إحيام علوم الدين. ولد سنة (٤٥٠)هـ وتوفي سنة (٥٠٥)هـ. له ترجمة مطولة في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ـ٣٤٦.

(٣) (التفرقة): كتاب في الأصول. قال ابن حجر: «وما نسبه المصنف رحمه الله تعالىٰ للغزالي ، صرح الغزالي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» بما يرده.

(٤) في المطبوع: «فهو».

(٥) (الدهرية): هم الملاحدة ، لا يؤمنون بالآخرة ، يقولون ببقاء الدهر.

(٦) (أصحاب الاثنين) : هم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان. انظر المِلَل والنحل ١/ ٢٢٤.

(٧) (الديصانيّة): نسبة إلى رجل من المجوس اسمه ديصان ، يقول بِخَالِقَيْنِ هما: النور والظلمة. انظر الفهرست لابن النديم ص (٤٧٤).

وَالمَانَوِيَّة[1] ، وأشباهِهم من الصابئين[2] ، والنصارى ، والمجوس[3] ، والذين أشركوا بعبادة الأوثان ، أو الملائكة ، [أ]و الشياطين ، أو الشمسِ أو القمر[4] ، أوِ النجوم ، أو النار ، أو أحدٍ غَيْرِ اللهِ ، مِنْ مُشْرِكي العرب ، وأهلِ الهِنْد ، والصِّين ، والسُّودان[5] ، وغَيْرِهم مِمَّنْ لا يَرْجعُ إلى كتابٍ.

وكذلك القرامِطَةُ[6] ، وأصحابُ الحلُول[7]، والتناسُخ[8] من الباطنيّة[9]، والطيّارة[10] من الروافض ، [والجناحية[11] والبيانية[12] والغُرابية[13]].

---

(١) (المانوية): نسبة إلى ماني القائل: إن مبدأ العالم اثنان: أحدهما نور والآخر ظلمة. كل واحد منهما منفصل عن الآخر. انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٥٦ ـ ٤٧٢.

(٢) (الصابئين): قوم يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنهم على ملة نوح ، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار (المعجم الوسيط).

(٣) (المجوس): عبدة النار.

(٤) قوله: «أو القمر» ، لم يرد في المطبوع.

(٥) (السودان): جيل من الناس ، سودُ البشرة. (المعجم الوسيط).

(٦) (القرامطة): تقدم التعريف بها.

(٧) (أصحاب الحلول): القائلون أن الله حالٌّ في كل شيء (المعجم الوسيط).

(٨) (التناسخ): تناسخ الروح: عقيدة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى حيوان أعلى أو أقل منزلة لتنعم أو تعذب ، جزاءً على سلوك صاحبها الذي مات ، وأصحاب هذه العقيدة لا يقولون بالبعث (المعجم الوسيط باختصار).

(٩) (الباطنية): فرقة من الشيعة تعتقد أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وتمعن في التأويل (المعجم الوسيط).

(١٠) (الطيارة): فرقة من غلاة الشيعة. نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار.

(١١) (الجَناحيّةُ): طائفة من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين (المعجم الوسيط). وانظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٧ ـ ٦٨.

(١٢) (البيانية): طائفة من غلاة الشيعة ، أتباع بيان بن سِمْعان التميمي ، ظهر في أواخر الدولة الأموية ، وكان يدَّعي أن روح الله حلَّت في عليٍّ ، ثم في محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه أبي هاشم : عبد الله بن محمد ، ثم انتقلت إليه (المعجم الوسيط). وانظر الملل والنحل ١/ ١٣٦ ، ومقالات الإسلاميين ١/ ٦٦ ـ ٦٧.

(١٣) (الغرابية) فرقة من غلاة الشيعة. يزعمون أن جبريلَ أرسل لعليٍّ وليس لمحمد ﷺ. سموا بذلك لأنهم قالوا: كان النبي ﷺ أشبه بعلي من الغُراب بالغراب.

وكذلك من اعترفَ بإلهيّة الله ووحدانيتِه ، ولكنه اعتقد أنه غير حَيٍّ ، أو غَيْرُ قديمٍ ، وأنه مُحْدَثٌ أو مصوَّر ، أو ادَّعىٰ له وَلداً ، أو صاحبةً ، أو والداً ، أوْ أنه متولِّدٌ مِنْ شيءٍ ، أو كائنٌ عنه ، أو أَنَّ معه في الأَزَل شيئاً قديماً غَيْرَهُ ، أو أَنَّ ثَمَّ صانِعاً للعالَم سِوَاه ، أو مُدَبِّراً غيره ، فذلك كلُّه كُفْرٌ بإجماع المسلمين ، كقول الإلهيِّين من الفلاسفة[1] ، والمنجّمين[2] ، والطبائعيِّين[3] ، (٢١٢/أ) وكذلك من ادَّعَى مجالسةَ اللهِ ، والعُروجَ إليه ، ومكالمتَه ، أو حلُولَه في أحدِ الأشخاص ، كقول بَعْضِ المتصوِّفةِ ، والباطنيةِ ، والنصارى ، والقرامطة.

وكذلك يُقطَعُ[4] على كُفْرِ مَنْ قال بِقدَم العالم ، أو بَقَائه ، أو شَكَّ في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة ، والدَّهرية ، أو قال بتَنَاسخ الأرْوَاح ، وانتقالها أَبَدَ الآبادِ في الأشخاص ، وتعذيبها أو تنعيمها فيها بِحَسَب زكائها[5] وخُبْثِها. وكذلك من اعترف بالإلهيَّة والوَحْدَانية ، ولكنه جَحدَ النبوّة من أصلها عموماً ، أو نبوّة نبيّنا ـ عليه السلام ـ خصوصاً ، أو أحداً من الأنبياء الذين نصَّ اللهُ عليهم بعد عِلْمِه بذلك ، فهو كافر بلا رَيْبٍ : كالبراهمةِ[6] ، ومُعْظَم اليهودِ ، والأَرُوسيّة[7] من النصارى ، والغُرَابية من الرَّوَافض الزّاعمين أنّ علياً رضي الله

---

(١) (الإلهيُّون من الفلاسفة): هم الذين تكلموا في ذات الله وصفاته بعقولهم. فتاهوا وضلوا. لأن صفاته سبحانه توقيفية. لا تعلم إلا بالوحي.

(٢) (المنجمين): هم القائلون بتأثير الكواكب في حوادث الحياة.

(٣) (الطبائعيين): هم القائلون بتأثير الطبيعة في حوادث الحياة.

(٤) في المطبوع: «نقطع».

(٥) (زكائِها): طهارتها وصلاحها.

(٦) (البراهمة): من يؤمنون بالديانة البرهمانية: وهي ديانة هندية تنكر النبوات والبعث ، وتحرم لحوم الحيوان (المعجم الوسيط باختصار).

(٧) المعروف أنَّ الأروسيّة فرقة مسيحية توحد الله ، وتعترف بعبودية المسيح له عز وجل ، ولا تقول شيئاً مما يقول النصارىٰ في ربوبيته ، وتؤمن بنبوته. وانظر بحث: «من هم الأريسيون؟» في كتاب السيرة النبوية ص (٢٥٣) للعلامة الداعية أبي الحسن الندْوي حفظه الله.

عنه كان المبعوث إليه جبريلُ ، وكالمعطِّلة[1] ، والقرامطةِ ، والإسماعيلية[2] والعَنْبَرِيّةِ من الرافضةِ ، وإن كان بعضُ هؤلاء قد أشركوا في كُفرٍ آخر مع مَنْ قبْلَهم.

وكذلك مَنْ دَانَ بالوَحْدَانيّة ، وصِحّةِ النبوّة ، ونُبوّةِ نبيِّنا عليه السلام ، ولكن جوّز على الأنبياء الكذِبَ فيما أَتَوْا به ، ادَّعى في ذلك المصلحةَ بِزَعْمِه أو لم يَدَّعها فهو كافِرٌ بإجماع ، كالمتفلسفين ، وبعض الباطنية [والرَّوَافض] وغُلاةِ المُتَصَوِّفةِ ، وأصحاب الإباحةِ[3] فإنَّ هؤلاء زَعَمُوا أنَّ ظواهرَ الشَّرْع ، وأكْثَرَ ما جاءت به الرسُلُ من الأخبار عما كان ، ويكون ، مِنْ أُمورِ الآخرةِ ، والحَشْرِ ، والقيامة والبعث والنشور[4] والجَنَّةِ والنار ، ليس منها شيء على مُقْتَضى لَفْظِها ، ومفهوم خطابها ، وإنما خاطبُوا بها الخَلْقَ على جِهَةِ المصلحة لهم ، إذ لم يمكنهم التصريحُ لقُصُور أفهامِهم ، فَمَضْمُونُ[5] مَقَالاتهم إبطالُ الشرائع ، وتعطيل الأوَامر والنواهي ، وتكذيبُ الرُّسُلِ ، والارتيابُ فيما أَتَوْا به.

وكذلك مَنْ أَضَافَ إلى نَبيّنَا [ﷺ] تَعَمُّدَ الكذِب فيما بلّغَه أو أَخبر به ، أو شكَّ في صِدْقه ، أو سبَّه ، أو قال: إنَّـهُ لم يبلِّغْ ، أو اسْتَخَفَّ به ، أو بأحدٍ من الأنبياء ، أو أَزْرى (٢١٢/ب) عليهم[6] ، أو آذاهُمْ ، أو قتَل نبيّاً ، أو حاربه ، فهو كافِرٌ بإجماعٍ.

---

(١) (المعطِّلةُ): هم الذين جحدوا الألوهية والرسالة والأحكام.

(٢) (الإسماعيلية) فرقة من الباطنية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. قال الزركلي في الأعلام ١/ ٣١١: «وهي من فرق الشيعة في الأصل ، وتميزت عن الاثني عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه ، والاثنا عشرية تقول بإمامة أخيه موسىٰ الكاظم». ثم قال: وكان من الإسماعيلية القرامطة ودولتهم بالبحرين. وانظر الفهرست ص (٢٦٤).

(٣) (أصحاب الإباحة) هم الذين استباحوا المحرمات.

(٤) قوله: «والبعث والنشور» ، لم يرد في المطبوع.

(٥) في المطبوع: «فمضمَّن».

(٦) (أزرىٰ عليهم): عابهم ، وانتقص قدرهم.

وكذلك نُكفِّر مَنْ ذهب مَذْهَبَ بعض القُدَماءِ في أَنَّ في كلِّ جِنْس من الحيوانِ نذيراً ، [أ] ونبيّاً من القِرَدة والخنازير والشياطين[1] والدواب والدّود ويحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. إذ ذلك يُؤدِّي إلى أن يوصفَ أنبياءُ هذه الأجناسِ بصفاتهم المذمومة. وفيه من الإزْرَاءِ على هذا المَنْصِب المُنيف ما فيه ، مع إجماع المسلمين على خلافهِ وتكذيب قائله.

وكذلك نُكفِّرُ من اعترف من الأُصول الصحيحة بِمَا تقدم ، وبنبوَّةِ نبينا عليه السلام ، ولكن قال: كان أَسودَ ، أَو مات قبل أن يَلْتحي[2] ، أو ليس الذي كان بمكة والحجازِ ، أو ليس بقُرشيّ ، لأنَّ وَصْفَهُ بغير صفاته المعلومة ﷺ نَفْيٌ له ، وتكذيبٌ به.

وكذلكَ مَنْ ادَّعَى نُبوّة أَحدٍ مع نبيّنا ـ عليه السلام ـ أو بعده ، كالعِيسَويّة[3] من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العَرَب ، وكالخُرَّمِيّة[4] القائلين بتواتُر الرُّسُل ، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليٍّ للنبي ﷺ في الرسالة وبَعْدَه ، وكذلك كلُّ إمامٍ عند هؤلاء يقوم مقامَه في النبوّة والحجّة ، وكالبَزِيغِيّة[5] والبَيَانيّة منهم القائلين بنبوّة بَزِيغٍ وبَيَانَ وأشباه هؤلاء[6]. أو من ادَّعَى النبوةَ

---

(١) قوله: «والشياطين». ليس في المطبوع.

(٢) (قبل أن يلتحي): قبل أن تنبت لحيته.

(٣) (العِيسوية) نسبة إلى أبي عيسىٰ: إسحاق بن يعقوب الأصبهاني اليهودي. كان في زمن المنصور ، وزعم أنه نبي (انظر الملل والنحل ١/ ١٩٦ ـ ١٩٧)

(٤) (الخُرَّمية) هم أتباع بابَك الخُرَّمي الذي ظهر أيام العباسيين يريد أن يقيم الملة المجوسية ، وصلب زمن المعتصم. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩٦: «وكان هذا الشقي ثنوياً على دين ماني ومَزْدَك ، يقول بتناسخ الأرواح ، ويستحل البنت وأمها». وانظر الفهرست لابن النديم ص: (٤٨٠ ـ ٤٨٣).

(٥) (البَـزِيـغِـيَّـة) بِالْـغَيْـن المعجمة ، ويقال بالعين المهملة، طائفة من غلاة الشيعة ، وهم أصحاب بزيغ بن موسىٰ. يزعمون أن جعفر بن محمد هو الله. انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٧٨ ـ ٧٩ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٦٠. وفي المطبوع: «البزيعيّة»: بالعين المهملة.

(٦) كالقاديانية ، أتباع مِرزا غلام أحمد الهندي القادياني المتوفى في بيت الخلاء سنة (١٩٠٨)م ،=

لنفسه ، أو جوّزَ اكتسابَها والبلوغَ بصَفَاءِ القَلْب إلى مَرْتَبَتِها ، كالفلاسفة وغُلاة المتصوّفة .

وكذلك من ادَّعَى منهم أنه يُوحَى إليه وإنْ لم يدَّع النبوّة ، أو أنه يَصْعَدُ إلى السماء ويدخل الجنة ، ويأكلُ من ثمارها ، ويعانِقُ الحورَ العين ، فهؤلاء كلُّهم كفّارٌ مكذِّبون للنبي ﷺ ، لأنه أخبر ـ عليه السلام ـ أنه خاتَمُ النبيين ، لا نبيَّ بعده ، وأخبر أيضاً عن الله [تعالى] أنه خاتمُ النبيين ، وأنه أُرسل إلى كافَّةِ النَّاسِ(١) .

وأجمعت (٢١٣/أ) الأمةُ على حَمْل هذا الكلام على ظاهِره ، وأنَّ مفهومَه المراد منه دونَ تأْويل ولا تخصيص ، فلا شكّ في كُفْرِ هؤلاء الطوائف كلِّها قَطْعاً ، إجماعاً وسَمْعاً.

وكذلك وقع الإجماعُ على تكفير كلِّ مَنْ دافَعَ نَصَّ الكتاب(٢)، أَو خصَّ حديثاً مُجْمعاً على نَقْله ، مقطوعاً به ، مُجْمَعاً على حَمْله على ظاهرةِ ، كتكْفِير الخوارج بإبطال الرّجْم(٣) ، ولهذا نكفِّر مَنْ دانَ بغيرْ ملَّةِ المسلمين من المِلَل ، أو وقف فيهم ، أو شكَّ ، أو صَحّح مَذْهبَهم ، وإنْ أَظْهَرَ مع ذلك الإسلامَ ، واعتقده ، واعتقد إبطالَ كلِّ مذهبٍ سِوَاه ، فهو كافرٌ بإظهارِ ما أَظْهره من خلاف ذلك .

وكذلك نَقْطَعُ بتكفير كلِّ قائل قال قولاً يُتَوَصَّلُ به إلى تَضْليل الأمة ، وتكفير جميع الصحابةِ ، كقول الكُمَيْلِيَّةِ(٤) من الرافضة بتكفير جميع الأُمة بعد

= وهذه الطائفة ـ كالبابيّة والبهائية ـ خارجة عن الملّة. انظر كتاب العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر للدكتور البوطي ص (٨٧ ـ ٨٩) ، وكتاب الثقافة الإسلامية في الهند ص (٢٣٠).

(١) في المطبوع: «وأنه أرسل كافة للناس» ، وهو الأفصح. انظر معجم الأغلاط الشائعة ص (٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) دافع نصَّ الكتاب: أي منع ونازع فيما جاء صريحاً في القرآن ، كبعض جهلة المتصوفة .

(٣) للزاني المحصن.

(٤) (الكُميلية): فرقة من غلاة الشيعة. تقول: بتناسخ الأرواح ، والحلول. وهم أصحاب أبي كامل. أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي رضي الله عنه ، وطعن في علي أيضاً بتركه طلب=

النبيِّ ﷺ ، إذ لم تُقَدِّمْ علياً ، وكَفَّرتْ علياً ، إذ لم يتقدَّمْ ويطلب حقَّه في التقديم ، فهؤلاء قد كفروا من وجوهٍ ، لأنهم أبطلوا الشريعةَ بأَسرها ، إذ قد انقطع نَقْلُها ونَقْلُ القرآن ، إذ نَاقِلُوه كفَرَةٌ على زَعْمِهم ، وإلى هذا ـ والله أعلم ـ أشار مالكٌ في أَحَدِ قَوْلَيْه بقَتْلِ مَنْ كفَّر الصحابةَ .

ثم كفروا مِنْ وَجْهٍ آخر بِسَبِّهم النبيَّ ﷺ على مُقْتضى قولهم وَزَعْمِهم أنه عَهِدَ إلى عليّ رضِيَ اللهُ عنه وهو يَعْلَمُ أنه يكفُر بعده ـ على قولهم ـ لَعْنَةُ اللهِ عليهم ، وصلى اللهُ على رسولِهِ محمدٍ وآله .

وكذلك نُكَفِّر بكل فِعْلٍ أَجْمَعَ المسلمون أنه لا يَصْدُرُ إلا مِنْ كافرٍ ، وإنْ كان صاحبُهُ مُصَرِّحاً بالإسلامِ مع فِعْله ذلك الفِعْل ، كالسجودِ للصَّنَم ، أوللشَّمْس ، والقمر ، والصليب ، والنارِ ، والسَّعْي إلى الكنائس(1) والبِيَع(2) مع أَهلِها [والتَّزَيِّيْ](3) بزيِّهم : من شَدِّ الزَّنانير(4) ، وفَحْص الرؤوس(5) ، فقد أجمع المسلمون أنّ هذا [الفعل] لا يوجدُ إلاّ من كافر ، وأنَّ هذه الأفعالَ علامةٌ على الكُفْر ، وإنْ صَرَّحَ فاعِلُها بالإسلام .

وكذلك أجمع المسلمون على تكفير (٢١٣/ب) كلِّ من استحلَّ القَتْلَ ، أو شُرْبَ الخمر [أ]و الزّنا مما حرّم الله تعالى بعد عِلْمِه بتحريمه ، كأصحاب الإباحةِ من القرامطةِ ، وبعض غُلاَةِ المتصوِّفة .

وكذلك نَقْطَعُ بتكفير كلِّ مَنْ كذّب وأَنكر قاعدةً مِنْ قواعدِ الشَّرْعِ ، وما عُرِفَ يقيناً بالنّقْل المُتَواتِرِ من فِعْل الرَّسُول [ﷺ] ، وَوَقَع الإجماعُ المتَّصِل عليه ، كمن أَنكر وجوبَ الْخَمْس الصلوات ، أو عدَدَ رَكعاتِها وسجداتها ،

= حقه . انظر الملل والنحل ١/ ١٥٦ .

(١) الكنائس : معابد اليهود .

(٢) (البِيَع) : جمع بِيْعَةٍ ، وهي معبد النصارى (المعجم الوسيط) .

(٣) ما بين حاصرتين زيادة من شرح الخفاجي والقاري .

(٤) (الزَّنانير) : جمع زُنَّارٍ ، وهو حزام يشده النصراني على وسطه (المعجم الوسيط) .

(٥) (فحص الرؤوس) : حَلْقُ أوساطها ، وتفعله شَمَامِسَةُ النصارىٰ .

ويقول: إنما أَوجب اللهُ علينا في كتابه الصلاةَ على الجملة ، وكونها خمساً ، وعلى هذه الصفاتِ والشروطِ لا أَعْلَمُه ، إذْ لم يَرِدْ فيه في القرآن نَصٌ جَليٌّ ، والْخَبَرُ به عن الرسولِ ﷺ خَبَرٌ وَاحِدٌ.

وكذلك أجمعَ المسلمون على تكفير مَنْ قال من الخوارج: إن الصلاةَ طَرَفي النهار ، وعلى تكفير الباطنية في قولهم: إن الفرائضَ أسماءُ رجالٍ أُمِرُوا بِوِلايتهم ، والخبائثُ والمحارِمُ أسماء رجالٍ أُمروا بالبراءة منهم.

وقولُ بعضِ المتصوّفة: إنّ العبادةَ وطولَ المُجَاهدةِ إذا صفَّتْ نُفُوسَهم أَفضَتْ بهم إلى إسقاطِها ، وإباحة كل شيء لهم ، ورَفْعِ عُهَدِ الشرائعِ عنهم.

وكذلك إنْ أَنكر مُنْكِرٌ مكةَ ، أو البيتَ [1] ، أو المسجد الحرام ، أو صفة الحج ، [أ]و قال: الحجُّ وَاجبٌ في القُرآن ، واستقبال القِبْلةِ كذلك ، ولكن كونُه على هذه الهيئة المتعارَفَة ، وأنَّ تلكَ البُقْعة هي مكةُ ، والبيتُ ، والمسجدُ الحرام ، لا أدري هل[2] هي تِلْكَ أو غيرها؟ ولعل الناقلين عن النبي ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ فسّرها بهذه التفاسير غَلطوا أوْ وهِمُوا ، فهذا وَمِثْلُه لا مِرْيَةَ في تكفيره إنْ كان ممّنْ يُظَنُّ به عِلْمُ ذلك ، ومِمَّن خالط[3] المسلمين ، وامتدّت صحبتُه لهم ، إلاّ أَن يكونَ حَدِيثَ عَهْدٍ بالإسلام ، فيُقالُ له: سَبِيلُك أَنْ تسألَ عن هذا الذي لم تَعْلَمْه بَعْدُ كافّةَ المسلمين ، فلا تجد بينهم خلافاً ، كافّةً عَنْ كافّةٍ ، إلى معاصري الرَّسُولِ ﷺ ـ أنَّ هذه الأمورَ كما قيل لَكَ ، وأنَّ تلكَ البقعةَ هي مكةُ ، وَالبيتُ الذي فيها هو الكعبةُ ، والقِبلةُ التي صلَّى لها الرسول ﷺ والمسلمون ، وَحَجُّوا إليها ، وَطافُوا بها ، وأَن تلكَ الأَفعالَ هي صفات عبادة الحجّ ، والمرادُ به ، وهي التي فعلها النبيّ ﷺ وَالمسلمون ، وأنّ صفاتِ الصلوات (٢١٤/أ) المذكورة هي التي فعل النبيُّ ﷺ ، وشرحَ مُرَادَ اللهِ بذلك ، وأبانَ حدودَها ، فيقَع لكَ العِلْمُ كما وَقع لهم ، ولا ترتابُ بذلك

---

(١) (البيت): الكعبة المشرفة.

(٢) كلمة: «هل» ، لم ترد في المطبوع.

(٣) في المطبوع: «يخالط».

بعدُ ، والمُرْتابُ في ذلك ، أو المُنْكِرُ ـ بعد البحثِ وصُحْبةِ المسلمين ـ كافِرٌ باتّفَاقٍ ، لا يُعْذَر بقوله: لا أدْري ، ولا يُصَدّق فيه ، بل ظاهِرهُ التستُّر عن التكذيب ، إذ لا يمكِنُ أنه لا يَدْري.

وأيضاً فإنه إذا جَوّزَ على جميع الأُمةِ الوَهْمَ والْغَلَط فيما نقلوه من ذلك ، وَأجْمعوا أنه قولُ الرسول ـ عليه السلام ـ وفِعْلُه وتَفْسيرُ مُرادِ اللهِ به ـ أدخل الاستِرابة[1] في جميع الشريعة ، إذ هم الناقلونَ لها وَللقُرْآن ، وانحلَّتْ عُرىٰ الإسلام كرّةً ، ومن قال هذا فهو كافر.

وكذلك مَنْ أنكر القرآنَ ، أو حَرْفاً منه ، أو غيَّر شيئاً منه ، أو زاد فيه ، كفِعْل الباطنيّة والإسماعيلية ، أو مَنْ زعم أنه ليس بحجّة للنبيِّ ﷺ ، أو ليس فيه حجةٌ ولا مُعْجزةٌ ، كقول هِشام الفُوَطيِّ[2] ، ومُعَمَّر البصري[3]: إنه لا يدلُّ على اللهِ ، ولا حجةَ فيه لرَسُوله ، ولا يَدُلّ على ثوَابٍ ولا عِقَاب ، ولا حُكم ، ولا محالةَ في كفرهما بهذا[4] القول ، أو من قال بقولهما[5].

وكذلك تكفيرهما بإنكارهما أَنْ يكونَ في سائر معجزاتِ النبيّ ﷺ حُجَّةٌ له ، أَو في خَلْقِ السمواتِ والأرضِ دَلِيلٌ على اللهِ ، لمخالفتهم الإجماعَ والنَّقْلَ المتواتر عن النبيّ ﷺ باحتجاجِه بهذا كلِّه ، وتصريح القرآن به.

وكذلك مَنْ أنكر شيئاً ممَّا نصَّ فيه القرآنُ ـ بعد عِلْمِه ـ أَنه من القرآنِ الذي

---

(١) (الاسترابة): الشكّ والشبهة.

(٢) هو هشام بن عمرو الفُوَطي ، المعتزلي ، قال الذهبي: «صاحب ذكاء وجدالٍ ، وبدعة ووبال. نهى عن قول: «حسبنا الله ونعم الوكيل» ، وقال: لا يعذب الله كافراً بالنار...» انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٧.

(٣) في الأصل والمطبوع: «الضمري» ، والمثبت من سير أعلام النبلاء وغيره. وهو مُعَمَّر بن عبّاد البصري السلمي. معتزلي من الغلاة. انفرد بمسائل: منها أن الإنسان يدبر الجسد وليس بحالٍّ فيه. والإنسان عنده ليس بطويل ولا عريض ، وإنما هو شيء غير هذا الجسد ، وهو حي عالم قادر مختار ، فوصف الإنسان بوصف الإلهية. هلك سنة (٢١٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٦ ، والأعلام ، والملل والنحل ١/ ٦٥ ـ ٦٧ وغيره.

(٤) في المطبوع: «بذلك».

(٥) قوله: «أو من قال بقولهما» ، لم يرد في المطبوع.

في أَيدي الناس ، ومصاحفِ المسلمين ، ولم يكن جاهلاً به ، ولا قريبَ عَهْدٍ بالإسلام ، واحتجّ لإنكاره إمّا بأَنه لم يصحّ النقْلُ عنده ، ولا بلغه العلمُ به ، أو لتجويز الوَهْم على ناقِليه ، فنكفّره بالطريقين المتقدمين ، لأنه مكذِّبٌ للقرآن ، مُكذِّبٌ للنبيِّ ﷺ ، لكنه تَستَّر بدَعْوَاه.

وكذلك مَنْ أَنْكر الجنَّـةَ ، أو النارَ ، أو البَعْثَ [أ]و الحساب [أ]و القيامة فهو كافر بإجماع ، للنصِّ عليه ، وإجماعِ الأمة على صحةِ نَـقْـلِه (٢١٤/ب) متواتراً ، وكذلك من اعترف بذلك ، ولكنه قال: إنّ المرادَ بالجنّة والنار ، والحَشْـر والنَّشْـر ، والثـواب والعقـاب ـ معنـى غَيْـر ظـاهـرِهِ ، وإنهـا لـذَّاتٌ رُوحانية ، ومَعَانٍ باطنةٌ ، كقول النصارى ، والفلاسفة ، والباطنيةِ ، وبعض المتصوفة ، وزعْمِهم أنَّ معنى القيَامةِ الموتُ أو فناءٌ مَحْضٌ ، وانتقاضُ هيئة الأفلاك ، وتحليلُ العالم ، كقول بعض الفلاسفة.

وكذلك نقطَعُ بتكفيرِ غُلاَةِ الرافضة في قولهم: إنّ الأئمة أفضلُ من الأنبياء عليهم السلام. فأمّا مَنْ أنكر ما عُرِف بالتواتُر من الأَخبار ، والسِّيَر ، والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ، ولا تُفْضِي إلى إِنكارِ قاعدةٍ من الدِّين ، كإِنكار غَزْوَة تَبوك ، أو مُؤْتة ، أَو وجود أَبي بكر ، وعُمر ، أو قَتْلِ عثمان [أ]و خِلاَفة عليٍّ ، مِمّا عُلِمَ بالنّقْل ضرورةً[١] ، وليس في إنكاره جَحْدُ شريعةٍ ، فلا سبيل إلى تكفيره بجَحْدِ ذلك ، وإنكارِ[ه] وقوع العلم له ، إذ ليس في ذلك أكثَرُ من المباهتة[٢] ، كإنكارِ هشامٍ[٣] وعَبّاد[٤] وَقْعَة الْجَمَلِ[٥] ، ومحارَبةَ عليٍّ مَنْ خالَفَه.

---

(١) في المطبوع: «ضرررة» ، وهو خطأ طباعي.

(٢) (المباهتة): الكذب والافتراء والمعاندة.

(٣) هو ابن عمرو الفُـوَطي تقدمت ترجمته.

(٤) هو عبّاد بن سلمان البصري المعتزلي ، من أصحاب هشام الفوَطي ، يخالف المعتزلة في أشياء اخترعها لنفسه. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥١ ـ ٥٥٢.

(٥) (وقعة الجمل): كانت بالبصرة سنة (٣٦)هـ بين علي ومن معه من جهة ، وبين طلحةَ والزبير وعائشة ومن معهم من جهة أخرىٰ.

فأمَّا إنْ ضَعَّف ذلِكَ من أَجْلِ تهمَةِ الناقلينِ ، وَوَهَّمَ المسلمين[1] أجمع ، فنُكفِّره بذلك لِسَرَيانِهِ إلى إبطال الشريعة .

فأَما مَنْ أَنكر الإجماعَ المجرَّد ، الذي ليس طريقه النَّقْل المتواتر عن الشارع ، فأَكثَرُ المتكلّمين من الفقهاء والنُّظّار في هذا الباب قالوا بتكفير كلِّ مَنْ خالفَ الإجماعَ، أعني: الإجماعَ[2] الصحيحَ الجامعَ لشروط الإجماع المتَّفَق عليه عموماً .

وحُجَّتُهم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] .

١٨١٥ ـ وقوله عليه السلام: «مَنْ خالف الجماعةَ قِيْدَ شِبْرٍ فقد خَلَعَ رِبقَةَ الإسلامِ مِنْ عُنُقِه»[3] .

وحكَوْا الإجماعَ على تكفير مَنْ خالف الإجماع .

وذهب آخرون إلى الوقوف عن القَطْع بتكفير مَنْ خالفَ الإجماعَ الذي يختصُّ بنقلِهِ العلماءُ ، وذهبَ آخرون إلىٰ التَّوَقُّفِ في تكفيرِ مَنْ خالفَ الإجماعَ الكَائنَ عن نَظرٍ ، كتكفِير النظَّام[4] بإنكاره الإجماع ، لأنه بقَوْله هذا مخالفٌ إجماعَ السلفِ على احتجاجِهم به ، خارقٌ (٢١٥/أ) للإجماع .

قال القاضي أبو بكر: القولُ عندي أَن الكُفْرَ باللهِ هو الْجَهْلُ بوجُوده ، والإيمان بالله هو العلمُ بوجودِه ، وأنه لا يكفَّرُ أحَدٌ بقولٍ ولا رَأْيٍ إلا أَنْ يكون

---

(١) (وَوهّم المسلمين): نسبهم إلىٰ الوهم ، وهو الخطأ .

(٢) قوله: «أعني الإجماع» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) أورده الذهبي في الكبائر (٢٥٧) بتحقيقي ، بلفظ : «من خرج من الجماعة . . .» وقال : وهذا صحيح من وجوهٍ عدة صحاحٍ . (قِيْد) : قَدْر . (ربقة الإسلام) : أحكامه وتكاليفه .

(٤) هو شيخ المعتزلة ، أبو إسحاق: إبراهيم بن سيَّار البصري ، شيخ الجاحظ . انفرد بمسائل وصرّح بأن الله لا يقدر على إخراج أحدٍ من جهنم . قال الذهبي : «ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهمُ ، وقد كفَّره جماعة» . ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران ، فمات سنة بضع وعشرين ومئتين في خلافة المعتصم . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤١ ـ ٥٤٢ .

هو الجَهْلُ بالله ، فإن عصى بقَوْلٍ أَو فِعْلٍ نصّ الله ورَسُولُه عليه[1] أو أجمع المسلمون ، أنه لا يُوجَد إلا مِنْ كافر ، أويقوم دَليلٌ على ذلك ، فقد كفر ، ليس لأَجْلِ قَوْله أَو فِعْله ، لكن لما يُقارِنُه من الكُفْر ، فالكُفْرُ باللهِ لا يكونُ إلاّ بأَحدِ ثلاثة أمور: أَحدُها: الجَهْلُ بالله تعالى. والثاني: أَنْ يأتِيَ فِعلاً أو يقولَ قولاً يُخْبِرُ اللهُ ورَسُولُه ، أو يُجْمِعُ المسلمون ، أَنَّ ذلكَ لا يكون إلا مِنْ كافر ، كالسجودِ للصَّنمِ ، والمشْي إلى الكنائس بالتزام الزُّنّار[2] مع أصحابها في أعيادهم ، أو [أَن] يكون ذلك القول أو الفِعْلُ لا يمكنُ معه العِلْمُ بالله [تعالى].

قال: فهذانِ الضّرْبان ، وإن لم يكونا جَهْلاً بالله ، فهُمَا عَلَمٌ[3] أَنّ فاعلَهما كافرٌ مُنسلخٌ من الإيمان ، فأما مَنْ نَفى صفَةً من صِفَاتِ اللهِ تعالى الذاتِيّة ، أو جَحَدها مُسْتَبْصراً في ذلك ، كقوله: ليس بعالمٍ ، ولا قادرٍ ، ولا مريدٍ ، ولا مُتكلِّم ، وشِبْه ذلك مِنْ صفاتِ الكمال الواجبة له تعالى ، فقد نصّ أئمتُنا على الإجماعِ على كُفْر مَنْ نَفَى عنه تعالى الوصْفَ بها ، وأعراه عنها.

وعلى هذا حُمِلَ قَوْلُ سُحْنُون: مَنْ قال: «ليس للهِ كلامٌ ، فهو كافرٌ» وهو لا يُكفِّر المتأَوّلين كما قدمناه.

فأمّا مَنْ جَهِلَ صِفَةً من هذه الصفات فاختلف العلماءُ هاهنا ، فكفّرهُ بعضُهم ، وحُكِيَ ذلك عن أبي جعفر الطبري - رحمه الله - وغيرِه ، وقال به أبو الحسن الأَشْعَري مرةً ، وتوقف فيه مرة[4].

وذهبت طائفةٌ إلى أَنَّ هذا لا يخرجُه عن حَدِّ الإيمانِ ، ولا عن اسمه ، وإليه[5] رَجَع الأشعريّ ، قال: لأنه[6] لم يَعْتَقد ذلك اعتقاداً يقطعُ بصوابِه ،

---

(١) كلمة: «عليه» ، لم ترد في المطبوع.
(٢) (الزُّنّار): حزام يشده النصراني على وسطه (المعجم الوسيط).
(٣) (عَلَمٌ): أَمارة ودلالة.
(٤) قوله: «وتوقف فيه مرةً» ، لم يرد في المطبوع.
(٥) في المطبوع: «لا يخرجه عن اسم الإيمان وإليه...».
(٦) في الأصل: «إنه» ، والمثبت من المطبوع.

ويراه ديناً وشَرْعاً ، وإنما نكفِّرُ مَنِ اعتقد أَنَّ مَقَالَه حقٌّ .

١٨١٦ ـ واحتجّ هؤلاء بحديث السَّوْدَاءِ[١] ، وأَنَّ النبيّ ﷺ إنما طلب منها التوحيدَ لا غَيْر .

١٨١٧ ـ وبحديث القائل : «لَئِـنْ قَـدَرَ اللهُ عليَّ»[٢] .

١٨١٨ ـ وفي رواية فيه : «لَعَلِّي أَضِلُّ اللهَ»[٣] ثم قال : «فَـغَـفَـرَ اللهُ لَـهُ» (٢١٥/ب) .

قالوا : ولو بُوحثَ أكثَرُ الناس عن الصفاتِ ، وكوشِفُوا عنها ، لمَا وُجِدَ مَنْ يَعْلَمُها إلا الأقلّ .

وقد أَجابَ الآخَرُ عن هذا الحديث بوجوه ، منها : أَنَّ «قَدَرَ» بمعنى قَدَّرَ ، ولا يكونُ شَكُّهُ في القُدْرَةِ على إحيائه ، بل في نَفْس البَعْثِ الذي لا يُعْلَمُ إلا بشَرْعٍ ، ولعلّه لم يكن ورد عندهم به شَرْعٌ يَقْطَعُ عليه ، فيكون الشكُّ فيه[٤] حينئذٍ كفراً .

فأَمَّا ما لم يَرِدْ [به] شَرْعٌ فهو مِنْ مُجَوِّزاتِ العقولِ ، أويكونُ «قَدَرَ» بمعنى

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي . (السوداء) : هي جارية معاوية بن الحكم السلمي ، وهي التي قال لها رسول الله ﷺ : «أين الله؟» قالت : في السماء . قال : «من أنا؟» قالت : أنت رسول الله . فقال رسول الله ﷺ لسيدها : «أعتقها . فإنها مؤمنة» .

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٦) ، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة . ورواه أيضاً الشيخان من حديث الخدري وحذيفة . وله طرق أخرى انظرها في المجمع ١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٦ . وهو فقرة من حديث الرجل الذي أمر أولاده إذا مات أن يحرقوه ويَذْروا نصفه في البر ونصفه في البحر . فقال الله عز وجل : كُنْ ، فإذا هو رجل قائم . فقال له : لم فعَلتْ؟ قال : من خشْيتك . .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥) من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٥ وقال : «رواه أحمد والطبراني بنحوه في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد ثقات» . (لَعَلِّي أَضِلُّ اللهَ) : أي أَفُوته ويخفىٰ عليه مكاني . وقيل : لَعَلِّي أغيب عن عذاب الله تعالى (النهاية) .

(٤) في المطبوع : «به» .

ضَيِّق ، ويكون ما فعله بنفسه إزراءً عليها (١)، وغَضباً لعِصْيانها.

وقيلَ: إنَّما قالَه(٢) وهو غيْرُ عاقلٍ لكلامِه ، ولا ضابطٍ لِلَفْظِه مما استولى عليه من الجزَع ، والخَشْيَةِ التي أذهبَتْ لُبّه ، فلم يؤاخَذْ به.

وقيل: كان هذا في زَمَنِ الفَتْرةِ ، وحيث ينفَعُ مُجرَّد التوحيد.

وقيل: بل هذا من مَجَازِ كلامِ الْعَرَبِ الذي صورتُه الشكُّ ، ومعناه التحقيق ، وهو يسمَّى تجاهُلَ العارفِ ، وله أمثلةٌ في كلامهم ، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

فأمّا مَنْ أَثبتَ الوَصْفَ ، ونَفَى الصِّفَة ، فقال: أَقولُ: عالمٌ ، ولكِنْ لا عِلْمَ له ، ومتكلِّمٌ ولكن لا كلامَ له. وهكذا في سائر الصفاتِ على مَذْهب المعتزلة. فمَنْ قال بالمآل لِمَا يؤدِّيه إليه قَوْلُه ، ويسوقُه إليه مَذْهَبُه ـ كفَّره ، لأنه إذا نَفَى العِلْم انتفي وَصْفُ عالمٍ ، إذ لا يوصَفُ بعالمٍ إلا مَنْ له عِلْمٌ ، فكأنهم صَرَّحُوا عنده بما أدّى إليه قولُهم.

وهكذا عند [هذا] سائِر فِرَقِ أَهْلِ التأويل من المُشَبِّهة(٣) والقَدَريّة وغيرهم.

ومَنْ لم يرَ أَخْذَهم(٤) بمآلِ قَوْلهم (٥)، ولا ألزمهم مُوجِبَ مذهبهم ، لم يرَ إكْفَارَهُمْ ، قال: لأنهم إذا وُقِفُوا(٦) على هذا قالوا: لا نقولُ ليس بعالمٍ ،

---

(١) إزراءً عليها : إهانةً لها.

(٢) في المطبوع: «وقيل: قال ما قاله».

(٣) (المشبّهة): هم الذين يشبهون الله تعالى بأحد من خلقه. ومذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم: أن يوصف الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ في الأحاديث التي صحّت عنه ، من غير تمثيل ، ولا تشبيه ، ولا تأويل ولا تعطيل ، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

(٤) (أخذهم): مؤاخذتهم.

(٥) (مآل قولهم) : لازم مذهبهم وقولهم الذي قالوه.

(٦) (وُقِفُوا): أُطلِعُوا.

ونحن نَنْتَفِي من القَوْلِ بالمآل الذي أَلْزمتموه لنا ، ونعتَقِدُ نحن وأنتم أنه كفرٌ ، بل نقول: إنَّ قولَنَا لا يَؤُول إليه على ما أَصَّلْنَاهُ.

فعلى هذين المَأْخَذيْن اختلف الناسُ في إكفار أهلِ التأويل ، وإذا فهِمْتَه اتّضَح لكَ الموجبُ لاختلافِ الناس في ذلك.

والصوابُ تَرْكُ إكفَارِهم ، والإعراضُ عن الحَتْم عليهم بالخُسْران ، وإجراءُ حُكْمِ الإسلام عليهم في قِصَاصِهم ووراثاتِهم، ومُنَاكحاتهم، ودِيَاتهم ، (٢١٦/أ) والصلاةِ عليهم ، ودَفْنِهم في مقابر المسلمين ، وسائر مُعَاملاتهم ، لكنهم يُغَلَّظُ عليهم بوَجِيع الأدَبِ[١]، وشدِيدِ الزّجْرِ والهَجْر، حتى يَرْجِعُوا عن بِدْعتهم.

وهذه كانت سيرةُ الصَّدْرِ من السلف[٢] الأوّل فيهم ، فقد كان نشأ على زمن الصحابةِ وبَعْدَهم في التابعين مَنْ قال بهذه الأقْوَال مِنَ القَدَر ، ورأي الخوارج ، والاعتزال ، فما أزاحوا لهم قَبْراً ، ولا قطعوا لأحدٍ منهم ميراثاً ، لكنهم هجروهم وأَدّبُوهم بالضَّرْب ، والنّفْي ، والقَتْل على قَدْر أحوالهم ، لأنهم فُسّاقٌ ، ضُلاّل ، عُصاةٌ ، أصحابُ كبائر عند المحققين وأهل السنّة ممَّنْ لم يقُلْ بكُفْرِهم منهم ، خلافاً لِمَنْ رأى غَيْرَ ذلك ، واللهُ الموفّقُ للصواب.

قال القاضي أبو بكرٍ: وأما مسائلُ الوَعْد والوَعِيد[٣] ، والرُّؤْيةِ[٤] ،

---

(١) أي بالعقوبة الموجعة من القيد والضرب والحبس.

(٢) قوله: «من السلف» ، لم يرد في المطبوع.

(٣) (الوعد والوعيد): هذا القول أصل من أصول المعتزلة الخمسة ، ويعني أنَّ كلاً من وعد الله ووعيده نازل لا محالة. فقد قالوا: إذا أوعد عبيده وعيداً فلا يجوز أن لا يعذبهم ، ويخلف وعيده ، لأنه لا يخلف الميعاد ، فلا يعفو عمن يشاء ، ولا يغفر لمن يريد بزعمهم!! وقال جمهور أهل السنة: إن وعد الله تعالى بإثابة الطائعين لا يلحقه خلف ، وهو فضل منه سبحانه وتعالى ، أما وعيده بمعاقبة العصاة فعائد إلى مشيئته ، وعفو الله عن العصاة مأمول وغير بعيد. وللمزيد: انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر للدكتور سعيد رمضان البوطي ص(٥٥) ، وشرح العقيدة الطحاوية ص (٥٢٦) ، والملل والنحل ص (٤٩ ـ ٥٠) ، والإنصاف للباقلاني ص (٤٨ ـ ٥٠).

(٤) المعتزلة ، والنجارية ، والجهمية ، والروافض ، والخوارج ، ينكرون رؤية الله تعالى في الآخرة ، ولا يجوزونها بوجه. أما أهل السنة والجماعة فقد جوزوا رؤية الله سبحانه تعالى =

والمخلوقِ(١) ، وخَلْق الأفعال(٢) ، وبَقَاءِ الأَعراضِ(٣) ، والتولُّد(٤) ، وشِبْهِها من الدقائق ، فالمَنْعُ في إكْفَارِ المتأوّلين فيها أَوْضحُ ، إذ ليس في الجهل بشيء منها جَهْلٌ باللهِ سبحانه ، ولا أجمع المسلمون على إكْفار مَنْ جَهل شيئاً منها.

وقد قدَّمْنَا في الفَصْل قبله من الكلام وصورةِ الخلافِ في هذا ما أَغْنى عن إعادته ـ هاهنا ـ بَحَول الله تعالى ، والله أعلم بالصواب.

فصل

[فِيْ حُكْمِ الذِّمِّيِّ السَّابِّ للهِ تَعَالَى](٥)

هذا حُكْمُ المسلمِ السابِّ للهِ [تعالى] وأما الذميُّ فَرُوِيَ عن عبد الله بن عُمر

= شرعاً وعقلاً بلا خلاف بينهم على الجملة. وإنما وقع الخلاف بينهم ، هل يكون ذلك ويجوز في الدنيا ، أم ذلك في الآخرة خاصة. انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص (٤٧ ، ١٧٦ ، ١٩٣) للإمام الباقلاني رحمه الله ، وشرح العقيدة الطحاوية ص (١٤١).

(١) أهل السنة والجماعة يقولون: القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق ، ولا مجعول ، ولا مُحْدَث. أما المعتزلة فيقولون: إنه مخلوق محدث موصوف بصفات المخلوقين. انظر هذا البحث في كتاب الإنصاف للإمام الباقلاني ص (٧٠ ـ ٨٠). وفي شرح العقيدة الطحاوية ص (١١٧).

(٢) يقول المعتزلة: إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية. أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن أفعال العبد هي لله خلقاً وإيجاداً ، وللعبد مباشرة واكتساباً. انظر هذه المسألة في شرح العقيدة الطحاوية ص (٤٣١ ـ ٤٤٠) ، وشرح جوهرة التوحيد ص (١٩٧ ـ ٢١٤).

(٣) (الأعراض): جمع عَرَضٍ ، وهو ـ في علم المنطق ـ: ما قام بغيره ، كالبياض والطول والقصر. وانظر مسألة بقاء الأعراض والاختلاف فيها. في مقالات الإسلاميين ٢/ ٤٦ ـ ٤٩.

(٤) (التولد): الذي قالته المعتزلة ، وهو أن حركة النظر مثلاً في الدليل تُوَلِّدُ العلمَ بالنتيجة عقبها كحركة اليدِ تولِّدُ حركة المفتاح للفتح. وقيل: إن الآثار التي توجد عقيب أفعال العباد بمجرىٰ العادة: كالألمِ عقيب الضربِ ، والانكسار عقيب الكسر ، تسميها المعتزلةُ المُتَوَلِّدَة ، ويزعمون أنها حاصلة بإيجادِ العبدِ ، لا صُنْعَ لله تعالىٰ فيها. وقال أهل الحق: إنها حاصلة بإيجاد الله تعالىٰ ، وإحداثِه ، لا بفعلِ العبدِ واكتسابه/ قاله القاري ٤/ ٥٣٢.

(٥) ما بين حاصرتين من عندي.

فِي ذِمّيٍّ تناول مِنْ حُرْمةِ اللهِ تعالى علىٰ[1] غَيْرِ ما هو عليه مِنْ دِينه ، وحاجَّ فيه ، فخرج ابْنُ عُمر عليه بالسيف فطلبه فهرَب .

وقال مالك ـ في كتاب ابْن حبيب و«المبسوطة» وابن القاسم في «المبسوط» وكتاب محمد ، وابن سُحْنون : مَنْ شَتَم اللهَ مِنَ اليهودِ والنَّصارى بغير الوَجْه الذي به كفروا قُتِلَ ولم يُسْتَتَبْ .

قال ابن القاسم : إلا أَنْ يُسْلِم . قال في «المبسوطة» : طَوْعاً .

قال أَصْبَغُ : لأنَّ الوَجْهَ الذي به كفَرُوا هو دينُهم ، وعليه عُوهِدُوا مِنْ دَعْوَى الصاحبةِ والشَّريك والولدِ .

وأمَّا غَيْرُ هذا من الفِرْيةِ والشَّتْم فلم يُعاهَدوا عليه ، فهو نَقْضٌ للعهد .

قال ابن القاسم في كتاب محمد : ومَنْ شتم الله تعالىٰ من غير أَهْلِ الأديانِ بغير الوَجْه الذي ذُكِر في كتابه قُتِل ، إلاّ أنْ يُسْلِم .

وقال المخزومي في «المبسوطة» ومحمد بن مسلمة ، وابنُ أبي حازمٍ : لا يُقْتلُ ، حتى يُسْتَتَابَ ، مسلماً كانَ (٢١٧/ب) أو كافراً ، فإنْ تاب وإلاّ قُتِلَ .

وقال مُطَرِّفٌ وعبدُ الملك مِثْلَ قَوْلِ مالكٍ .

وقال أبو محمد بن أبي زَيْدٍ : مَنْ سبَّ اللهَ تعالى ـ بغَيْرِ الوَجْهِ الذي به كفر ـ قُتِل إلا أَنْ يُسْلم .

وقد ذكرنا قَوْلَ ابن الجلاَّب قَبْلُ ، وذكَرْنَا قَوْلَ عُبيد الله ، وابن لُبَابة ، وشيوخ الأندلسيين في النَّصْرانية ، وفُتْيَاهم بقَتْلِها لسبِّها ـ بالوَجْهِ[2] الذي كَفَرتَ به ـ لله تعالى ، وللنبيّ ﷺ.

---

(١) قوله : «علىٰ» ، لم يرد في المطبوع .
(٢) في الأصل : «بغير الوجه» ، والمثبت من المطبوع .

وإجماعهم على ذلك ، وهو نَحْو القولِ الآخر فيمن سبَّ النبيّ ﷺ منهم بالوَجْه الذي كفر به ، ولا فَرْقَ في ذلك بين سَبِّ اللهِ وسبِّ نَبِيّه - عليه السلام - لأنّا عاهدناهم على ألاّ يُظْهِروا لنا شيئاً مِنْ كُفْرهم ، وألاّ يسمعونا شيئاً من ذلك ، فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نَقْضٌ لعَهْدِهم.

واختلف العلماءُ في الذِّمِّيِّ إذا تَزَنْدَق ، فقال مالك ، ومُطَرِّف ، وابن عبد الحكم ، وأصبغُ : لا يُقْتل ، لأنه خرج من كفرٍ إلى كفر.

وقال عبدُ الملك بن الماجِشون : يُقتل لأنه دِينٌ لا يُقَرُّ عليه أَحدٌ ، ولا تؤخذ عليه جزْيةٌ. قال ابن حبيب : ولا أعلم مَنْ قاله من العلماء غيره(١).

فصل

[فِيْ حُكْمِ المُفْتَرِي الكَذِبَ علىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِادِّعَاءِ الإِلٰهِيَّةِ أو الرِّسالةِ ، أو النَّافِي أَنْ يَكونَ اللهُ رَبَّهُ أو خَالِقَهُ](٢)

هذا حكمُ مَنْ صَرّحَ بسبِّه(٣) وإضافةِ له مالا يليق بجلالهِ وإِلٰهيَّتِهِ ، فأما مُفْتري الكذب عليه - تبارَك وتعالى - بادِّعاءِ الإلهية ، أو الرسالة ، أو النافي أَنْ يكون اللهُ - عز وجل - خالقَه ، أو رَبَّه ، أو قال : ليس لي رَبٌّ ، أو المتكلِّم بما لا يُعْقَل من ذلك في سُكْرِه ، أو غَمْرَةِ(٤) جنُونه ، فلا خلاف في كُفْرِ قائلِ ذلك ومُدّعِيه مع سلامةِ عَقْله كما قدمنا ، لكنه تُقْبَل توبتُه على المشهور ، وتنفعه إنابتُه ، وتُنَجّيه من القَتْل فَيْئَتُه(٥) ، لكنه لا يَسْلَم من عَظِيم النَّكال(٦) ،

---

(١) في المطبوع : «وما أعلم من قاله غيره».
(٢) ما بين حاصرتين من عندي.
(٣) (بسبه) : أي بسبِّ الله تعالىٰ.
(٤) (غمرة) : شِدَّة.
(٥) (فَيْئَتُهُ) توبته ورجوعه إلى الحق.
(٦) (عظيم النكال) : العقوبة الرادعة.

ولا يُـرَفَّـه(1) عن شَدِيدِ العِقَاب ، ليكون ذلك زجْراً لمثله عن قَوْلِه ، وله عن العودةِ لكُفْره أو جَهْله ، إلاّ مَنْ تكرَّرَ منه ذلك ، وعُرِف استهانتُه بما أتى به ، فهو دليلٌ على سُوءِ طَوِيتهِ(2) ، وكَذِب تَوْبَتِه ، وصار كالزِّنْدِيق الذي لا نأْمَنُ باطنَه ، ولا نَقْبَلُ رُجوعَه ، وحُكْمُ السّكْرانِ في ذلك حكمُ الصَّاحِي.

وأمّا المجنونُ والمَعْتُوه(3) فما عُلِمَ أنه قاله مِنْ ذلك في حالِ غَمْرته(4) ، وذَهاب مَـيْـزه(5) بالكلية فلا نَظَر فيه ، وما فعله من ذلك في حال مَيْزِهِ وإنْ لم يكُنْ معه عَقْلُه وسقط تكليفه (98/أ) أُدِّبَ على ذلك لينْزَجِرَ عنه ، كما يؤدّبُ على قبائح الأفعال ، ويُوَالَي أَدَبُه على ذلك حتى يَنْكَفَّ عنه ، كما تؤدّبُ البهيمة على سوءِ الخُلق حتى تُراضَ(6).

وقدْ حَرَّق عليّ بن أَبي طالب [رضيَ الله عنه] من ادَّعَى له الإلهية ، وقد قَتَل عَبْدُ الملك بنُ مَرْوانَ الحارثَ المُـتَـنَبِّيءَ(7) وصلبه ، وفعل ذلك غَيْرُ واحدٍ من الخلفاء والملوك بأَشباههم.

وأجمعَ علماءُ وقتِهم على صَوَاب فِعْلهم ، والمخالفُ في ذلك مِنْ كُفرهم كافِرٌ.

وأجمع فقهاءُ بَغْداد ـ أيام المقتدر(8) ـ من المالكية ، وقَاضي قُضَاتها

---

(1) (يُـرَفَّـهُ): رَفَّهَ عنه: نَفَّسَ ، ووسَّع ، وخَفف. أو أزال عنه التعب والضيق (المعجم الوسيط).

(2) (سوء طويته): فساد نيته.

(3) (المعتوه): عَتِهِ الرجل: نقص عقله من غير مَسٍّ جنونٍ (المعجم الوسيط).

(4) (غمرته): ذهاب عقله.

(5) (ميزه): تمييزه وإدراكه.

(6) (تُراض): تُذَلَّلَ ، وتنقاد ويستقيم طبعها.

(7) هو الحارث بن سعيد ، أو ابن عبد الرحمن ، ابن سعد: متنبىء كذاب ، من أهل دمشق ، يعرف أتباعه بالحارثية ، صلبه وقتله عبد الملك بن مروان سنة (69)هـ. انظر الأعلام ، ولسان الميزان.

(8) هو الخليفة العباسي جعفر بن أحمد. ولد في بغداد سنة (282)هـ. وقتل بها سنة (320)هـ انظر ترجمته في الأعلام.

أبو عُمَرَ المالكي[1] على قَتْلِ الحَـلاَّجِ[2] وصَلْبِهِ ، لِدَعْواهُ الإلهية ، والقولِ بالحُلولِ[3] ، وقولِه: أنا الحقُّ ، مع تمسُّكِه في الظاهر بالشريعة ، ولم يقبلوا توبتَه.

وكذلك حكموا في ابنِ أبي العَزَاقِرِ[4] ـ وكان على نحو من مذهب الحلاّج ـ بعد هذا أيام الراضي بالله[5] ، وقاضي قُضَاة بغداد يومئذٍ أبو الحُسين بن أبي عمر المالكي[6].

---

(١) هو الإمام الكبير ، قاضي القضاة ، محمد بن يوسف البغدادي المالكي: قال الذهبي: كان عديم النظير عقلاً وحلماً وذكاءً». ولد بالبصرة سنة (٢٤٣)هـ. ومات سنة (٣٢٠)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧.

(٢) هو الحسين بن منصور الفارسي الصوفي. كان كثير الترحال والأسفار والمجاهدة. قال الذهبي: «كان يصحح حاله أبو العباس بن عطاء ، ومحمد بن خفيف ، وإبراهيم أبو القاسم النصر آباذي. وتبرَّأ منه سائر الصوفية ، والمشايخ والعلماء ، لما سترى من سوء سيرته ومروقِهِ ، ومنهم من نسبه إلى الحلول ، ومنهم من نسبة إلى الزندقة وإلى الشعبذة. . .» قتله المقتدر العباسي سنة (٣٠٩) هـ. قال ابن خلكان: قطعت أطرافه الأربعة ، ثم هز رأسه ، وأحرقت جثته ، ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة ، ونصب الرأس على جسر بغداد. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥٤ ، والأعلام.

(٣) (الحلول): القول بأن الله سبحانه وتعالى حالٌّ في كل شيء.

(٤) في الأصل والمطبوع: «ابن أبي الغراقيد». والمثبت من سير أعلام النبلاء وغيره. وابن أبي العَزَاقِر: هو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ـ نسبةٌ إلى شَلمغان: قرية من قرى واسط ـ زنديق ، مُـتَـأَلِّـهٌ مبتدع. قال بالتناسخ ، وبحلول الإِلٰهيّةِ فيه. ومن رأيه ترك الصلاة والصوم وإباحة كل فرج. وسمى موسىٰ ومحمداً الخائنين. أفتىٰ علماء بغداد بإباحة دمه. قتله وأحرق جثته الراضي بالله العباسي سنة (٣٢٢)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٦٦ ـ ٥٦٨ ، والأعلام.

(٥) هو الخليفة العباسي محمد بن جعفر. ولد سنة (٢٩٧)هـ. ومات سنة (٣٢٩)هـ. انظر ترجمته في الأعلام.

(٦) هو عمر بن محمد بن يوسف الأزدي المالكي. كانت له حظوة عند المقتدر العباسي. ولي القضاء ، ثم جعل قاضي القضاة إلى آخر عمره. وكان عالماً بالحديث والفرائض والحساب والأدب. له غريب الحديث. والفرج بعد الشدة وغيره. ولد سنة (٢٩١)هـ. ومات ببغداد شاباً سنة (٣٢٨)هـ. انظر الأعلام.

وقال ابنُ عبد الحكم في «المبسوط»: مَنْ تنبَّأَ قُتِل.

وقال أبو حنيفة وأصحابُه: مَنْ جَحَد أَنَّ الله [تعالى] خالقُه أَو رَبُّه، أوقال: ليس لي رَبٌّ، فهو مُرْتَدٌّ.

وقال ابنُ القاسمِ في كتاب محمد، وابْن حَبيب في «العُتْبِيّةِ»[1] ـ فيمن تَنَبَّأَ ـ: يُسْتَتَابُ، أَسَرَّ ذلكَ، أو أَعلنه، وهو كالمُرْتَدّ.

وبه قال سُحْنون[2] وَغَيْرُه، وقاله أَشْهب في يَهُودِيّ تنبَّأ، وادَّعَى أنه رسولٌ إلينا: إنْ كان مُعْلِناً بذلك اسْتُتِيب، فإنْ تابَ، وإلاَّ قُتِل.

وقال أبو محمد بن أبي زَيْد ـ فيمن لعن بارئَه، وادَّعَى أَنَّ لسانَه زلَّ، وإنما أَرَادَ لَعْنَ الشيطانِ ـ: يُقْتَل بكُفْرِه، ولا يُقْبَل عُذْرُه.

وهذا على القولِ الآخر من أنه لا تُقْبَل توبتُه.

وقال أبو الحسن القَابِسيّ ـ في سَكْران، قال: أنا الله، أنا الله ـ: إنْ تاب أُدِّبَ[3]، فإن عادَ إلى مِثْلِ قولِه طُولِبَ مطالبةَ الزِّنْدِيق، لأنّ هذا كُفْرُ المُتلاعبين.

فصل

[فِيْ حُكْمِ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ سَقَطِ القَوْلِ، وَسُخْفِ اللَّفْظِ، مِمَّنْ لَمْ يَضْبِطْ كَلامَهُ، وَأَهْمَلَ لِسَانَهُ، بِما يَقْتَضِي الاسْتِخْفَافَ بِعَظَمَةِ رَبِّهِ، وَجَلالَةِ مَوْلاهُ][4]

وأمّا مَنْ تكلّم مِنْ سَقَطِ القَوْل (٢١٨/ب) وسُخْفِ اللفظِ ممَّنْ لم يَضْبِط كلامَه وأَهمل لسانه بما يقتضي الاستخفافَ بعظمةِ رَبّه، وجلالةِ مَوْلاَهُ، أو تمثَّل في

(١) في المطبوع: «وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب، ومحمد في العتبية».
(٢) في المطبوع: «وقاله سحنون».
(٣) (أُدِّبَ): أي عوقب عقاباً دون القتل.
(٤) ما بين حاصرتين من عندي.

بعض الأشياء ببعض ما عظّم اللهُ من مَلَكُوته ، أو نزَع من الكلام لمخلوق بما لا يَليقُ إلا في حق خالقه غَيْرَ قاصدٍ للكفرِ والاستخفاف ، ولا عامدٍ للإلحاد به ، فإنْ تكرَّر هذا منه ، وَعُرف به ، دَلّ على تَلاعُبِه بدِينه ، وَاستِخْفَافِه بحُرْمةِ رَبِّه ، وجَهْله بعظيم عِزَّته وكِبْريائه ، وهذا كفرٌ لا مِرْيَةَ فيه.

وكذلك إنْ كان ما أَوردَه يوجبُ الاستخفافَ والتنقُّصَ لربِّه.

وَقد أَفتى ابنُ حبيب ، وأصبغُ بن خليل[1] من فُقَهاء قُرْطُبَة بقَتْلِ المعروفِ: بابْنِ أخي عَجَبَ[2] ، وكان خرج يوماً ، فأخذَهُ المَطَر ، فقال بدأ الخرّازُ[3] يرش جلودَه.

وكان بعضُ الفقهاء بها: أبو زَيد صاحبُ «الـثَّمانِيَـةِ»[4]، وعبْدُ الأَعْلَى بن وَهْب ، وأبَان بن عيسى ، قد توقَّفُوا عن سَفْكِ دَمِه ، وأشاروا إلى أنه عَبَثٌ من القولِ يكفي فيه الأَدبُ[5].

وأفتي بمثله القاضي حينئذٍ موسى بن زِياد ، فقال ابنُ حبيب: دَمُه في عُنقي ، أيُشْتَمُ رَبٌّ عَبَدْناه ، ثم لا نَنْتَصِر له؟! إنَّا إذاً لَعبِيدُ سَوْءٍ ، وما نحن له بعابدين ، وبكى ، ورفع المجلس إلى الأمير بها: عَبْدِ الرحمن بن الحَكَمَ الأُمَوِي.

---

(١) هو فقيه قرطبة ومفتيها ، أبو القاسم الأندلسي المالكي. وهو تلميذ أَصْبَغَ بن الفرج الذي يكثر المصنف النقل عنه. مات سنة (٢٧٣)هـ وعاش نحو (٩٠)سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) (المعروف بابن أخي عَجَب): اسمه يحيى بن زكريا. قال القاري ٤/ ٥٤١: «وقد تجبَّر وعتا». و«عَجَبُ»: اسم زوجة عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، رابع ملوك بني أمية في الأندلس. توفي بقرطبة سنة (٢٣٨)هـ.

(٣) (الخرّازُ): الذي يخيط الجلود.

(٤) أبو زيد صاحب الثَّمانِيَـةِ: هو مفتي الأندلس ، أبو زيد: عبد الرحمن بن إبراهيم القرطبي المالكي ، كان عالماً محدثاً ، برع في الفقه ودقائق المسائل. مات بقرطبة سنة (٢٥٩) هـ. من تصانيفه: «كتاب ثَـمَانية أبي زيد» وهي ثمانية كتب من سؤال المدنيِّين. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٦ ، وهدية العارفين (١/ ٥١٢).

(٥) الأدب: العقوبة دون القتل.

وكانت عجَبُ ـ عمّةُ هذا المطلوب ـ مِنْ حظاياه[1] ، وأُعْلِم باختلاف الفقهاءِ ، فخرج الإذْنُ من عنده بالأَخْذِ بقَوْل ابن حبيب وصاحبِه ، وأمر بقَتْل المذكور فقُتِل ، وصُلب بحضرة الـفَقِيهَيْنِ ، وعُزِلَ القاضي لتُهْمتِه بالمداهنةِ[2] في هذه القصة ، ووبَّخ بقيةَ الفقهاءِ وسَبّهم.

وأما مَنْ صدرَتْ عنه مِنْ ذلك الهَنَةُ[3] الواحدةُ والفَلْتَةُ الشارِدَةُ[4] ـ ما لم يكُنْ تنقُّصاً وإزراءً ـ فيُعاقَبُ عليها ويُؤدَّب بِقَدْرِ مقتضاها ، وشُنْعَةِ معناها ، وصورةِ حال قائلها ، وشَرْحِ سببِها ومُقارِنها.

وقد سُئل ابنُ القاسم [رحِمَه الله] عن (٢١٩/أ) رَجُل نادى رجلاً باسْمِه ، فأَجابه: لبَّيْك ، اللهمَّ! لَبَيْك.

فقال: إنْ كان جاهلاً ، أو قاله على وَجْهِ سَفَهٍ[5] فلا شَيء عليه.

قال القاضي أبو الفضل: وشَرْحُ قَوْله أنه لا قَتْلَ عليه ، والجاهلُ يُزْجَر ويُعَلَّم ، والسفيهُ يؤدَّبُ ، ولو قالها على اعتقادِ إنزالهِ مَنْزِلةَ رَبِّه لكفر. هذا مُقْتَضَى قَوْله.

وقد أسرفَ كثيرٌ من سُخفاءِ[6] الشُعراء ومُتَّهميهم في هذا الباب ، واستخفُّوا عظيمَ هذه الحرمة ، فأتَوْا من ذلك بما نُـنَـزِّهُ كِتابَنا ولسانَنا[7] وأقلامنا عن ذِكْرِه ، ولولا أنَّا قصَدْنا نصَّ مسائل حكيناها لَما[8] ذكرنا شيئاً مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول.

---

(١) (من حَظَاياهُ): أي من حلائل الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، اللاتي يحبهن.

(٢) (المداهنة): المصانعةُ والملاينة.

(٣) (الهنة): الخصلة من الشر. والمراد بها: مقالته القبيحة.

(٤) (الفلتة الشاردة): الهفوة غير المقصودة.

(٥) (السَّفَهُ): الجهل والطيش.

(٦) (سُخفاء): جمع سخيف ، والسُّخفُ: رقة العقل.

(٧) في الأصل زيادة: «منها» ، لم ترد في المطبوع.

(٨) في المطبوع: «ما».

وأمّا ما ورد في هذا من أَهلِ الجهالة وأَغاليطِ اللسان، كقول بعض الأعراب:

رَبَّ العِبَادِ مَا لَنَا وَمَالَكَا قَدْ كُنْتَ تَسْقِيْنَا فَمَا بَدَا لَكَا
أَنْزِلْ علينا الغيثَ لا أبَا لكا

في أَشباهٍ لهذا مِنْ كلامِ الجُهّال.

ومَنْ لم يقوِّمْه ثِقَافُ[1] تأديب الشريعةِ والعِلْمِ في هذا الباب، فقلّما يصدُرُ إلاَّ مِنْ جاهلٍ، يجبُ تعليمُه، وزَجْرُه، والإغلاظُ له عن العودةِ إلى مثلِه.

قال أبو سليمانَ الخَطَّابي: وهذا تهوُّر[2] من القول، واللهُ ـ عز وجل ـ مُنَزَّهٌ عن هذه الأمور كلها.

وقد رَوَينا عن عَوْنِ بن عَبْدِ الله أنَّـهُ قال: لِيُعَظِّمْ أَحدُكم رَبَّه أَنْ يذكرَ اسْمَه في كلِّ شيءٍ، حتى يقول: أَخزَى اللهُ الكَلْبَ، وفَعل به كذا وكذا.

[قال]: وكان بَعْضُ مَنْ أَدْرَكْنَا من مشايخنا قَلَّما يَذْكُرُ اسْمَ اللهِ تعالى إلاّ فيما يتّصل بطاعته. وكان يقول للإنسان: جُزيتَ خيراً. وقلما يقول: جزاكَ اللهُ خيراً[3]، إعظاماً لاِسْمِه تعالى أَنْ يُمتَهنَ في غَيْرِ قُرْبَةٍ.

وحدثنا الثِّقَةُ أَنَّ الإمامَ أبا بكر الشاشي[4] كان يَعِيبُ على أَهل الكلامِ كثرةَ (٢١٩/ب) خوضِهم فيه تعالى، وفي ذِكْرِ صِفَاته، إجلالاً لاسمِه تعالى،

---

(١) (ثِقاف): الثقافُ في الأصل: أداة من خشب أو حديد تثقِّفُ بها الرماح لتستوي وتعتدل. فاستعير ـ هنا ـ لما يقوِّم الإنسانَ.

(٢) (التهوُّر): الوقوع في الشيء بقلّـة مبالاة.

(٣) من الثابت في السنة أن تقول لمن صنع إليك معروفاً: جزاك الله خيراً. فقد روىٰ الترمذي (٢٠٣٥) وغيره من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً: «مَنْ صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء». وصححه ابن حبان (٣٤١٣) الإحسان، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن جيد غريب».

(٤) هو الإمام العلامة، الفقيه، الأصولي، اللغوي، عالم خراسان، محمد بن علي الشاشي الشافعي القفَّال الكبير. ولد سنة (٢٩١)هـ. ومات سنة (٣٦٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥.

ويقول: هؤلاء يَتَمَنْدَلون(١) بالله عز وجلّ.

ويـنـزَّلُ الكلامُ في هذا الباب تنزيله في باب سَابِّ النبيّ ﷺ على الوجوه التي فَصّلْناها. والله الموفقُ.

فصل

[فِي حُكْمِ مَنْ سَبَّ سَائِرَ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعالَىٰ وملائكتَهُ وَاسْتَخَفَّ بِهِمْ](٢)

وحُكْمُ مَنْ سبَّ سائِرَ أنبياءِ اللهِ تعالى وملائكته ـ عليهم السلام ـ واستخفَّ بهم، أو كذّبهم فيما أتَوْا به، أو أنكرهم أو جَحَدهم، حُكْمُ نَبِيِّنا ـ عليه السلام ـ على مَسَاقِ ما قدمناه، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ الآيات [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال(٣): ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) (يتمندلون): تَنَدَّل بالمنديل، تَمسَّح به، وكذلك تمندل. وأنكر الكسائي: تمندل. والمِنديلُ: نسيج من قطن أو حرير أو نحوهما، مربع الشكل، يمسح به العرق أو الماء. يريد: الابتذالَ والامتهان.

(٢) ما بين حاصرتين من عندي.

(٣) في الأصل: «وقوله»، والمثبت من المطبوع.

قال مالك في كتاب ابْن حبيب ، ومحمد ، وقاله[1] ابن القاسم ، وابن الماجِشُونَ ، وابن عبد الحكم ، وأَصْبَغُ ، وسُحْنون ـ فيمنِ شَتَم الأَنبياءَ أو أَحداً منهم أو تنقَّصَه ـ: قُتِلَ ولم يُستَتَبْ. ومَنْ سبَّهم من أهلِ الذمَّةِ قُتِل إلا أَنْ يُسْلم.

وروَى سُحْنُون ، عن ابن القاسم: مَنْ سبَّ الأنبياءَ من اليهود والنّصَارى بغير الوَجْهِ الذي به كَفَر ضُرب عُنُقُه إلا أَنْ يُسْلِمَ.

وقد تقدَّم الخلافُ في هذا الأصل.

وقال القاضي بقُرْطُبَةَ سَعِيد بن سُليمان في بعض أجوبته: مَنْ سَبَّ الله تعالىٰ ، وملائكته قُتِل.

وقال سُحنُون: مَنْ شتم مَلَكاً من الملائكة فعليه القَتْل.

وفي «النَّوادر» عن مالك فيمن قال: إنَّ جبريلَ أَخطأَ بالوَحْي ، وإنما كان النبيُّ عليَّ بن أبي طالب: اسْتُتِيبَ ، فإنْ تابَ وإلاَّ قُتل.

ونحوه عن سُحْنون وهذا قولُ الغُرابيَّةِ من الروافض ، سُمُّوا بذلك لقولهم: كان النبيُّ ﷺ أَشْبَه[2] بعليّ ـ رضي الله عنه ـ من الغُرابِ بالغُرابِ.

وقال أبو حنيفة وأصحابُه على أَصْلِهم: مَنْ كذَّبَ بأَحدٍ من الأنبياء ، أو تنقَّص أحداً منهم ، أو برىءَ منه فهو مُرْتَدٌّ.

وقال أبو الحسن الْقَابِسيُّ ـ في الذي قال لآخَر ـ: (٢٢٠/أ) كأنه وَجْهُ مالكٍ الغَضْبَان: لو عُرِفَ أنه قصد ذَمَّ الملَكِ قُتِل.

قال القاضي أبو الفَضْل رحمه الله: وهذا كلُّه فيمن تكلَّم فيهم بما قُلْناه على

---

(١) في المطبوع: «وقال».

(٢) في الأصل زيادة: «الناس» ، ولم ترد في المطبوع.

جُمْلة الملائكة والنبيين ، أو على مُعَيَّنٍ مِمَّنْ حققْنا كونَه من الملائكة والنبيّين مِمَّنْ نَصَّ اللهُ تعالىٰ عليه في كتابه ، أو حقّقْنَا عِلْمَه بالخبر المُتَواتر ، والمشتهرِ المتَّفقِ عليه بالإجماع القاطِع ، كجبريل ، وميكائيل ، ومالك ، وخَزنة الجنة ، وجهنّم ، والزَّبَانية ، وحملةِ العَرْشِ المذكورين في القرآن من الملائكة ، ومَنْ سُمِّيَ فيه من الأنبياء ، وكعزرائيل[١] ، وإسرافيل والحَفَظَةِ ، ورضوانَ ، ومُنْكرٍ ، وَنَكير من الملائكة المتّفَقِ على قَبُولِ الخبرِ بهما ، فأمّا مَنْ لم تَثْبُت الأخبارُ بِتعْيينه ولا وقع الإجماعُ على كونِه من الملائكة أو الأنبياء ، كهَارُوتَ ومَارُوتَ في الملائكة ، والخَضِر ، ولُقمان ، وذي القَرْنَين ، ومريم ، وآسية ، وخالد بن سنان المذكور أنه نبيُّ أَهْلِ الرَّسِّ[٢] ، وزرَادَشْت الذي تَدَّعي المجوسُ والمُؤَرخون نبوّتَهُ ، فليس الحُكْمُ في سابِّهم ، والكافر بهم ، كالحُكْم فيمن قَدَّمْنا ، إذ لم تَثْبُتْ لهم تلك الحُرْمة ، ولكنْ يُزْجَرُ مَنْ تنقّصَهم وآذاهم ، ويؤدَّبُ[٣] بقَدْر حال المَقُول فيه[٤]، لا سِيَّما مَنْ عُرِفَتْ صِدِّيقِيَّتُه ، وفَضْلُه منهم ، وإنْ لم تثبت نُبُوَّتُـهُ.

وأمَّا إنكار نبوتهم ، أو كون الآخَر من الملائكة ، فإن كان المتكلمُ في ذلك مِنْ أهلِ العِلْمِ فلا حَرَج عليه لاختلاف العلماء في ذلك ، وإنْ كان مِنْ عَوَامِّ الناسِ زُجِرَ عن الخَوْضِ في مِثْلِ هذا ، فإن عاد أُدِّبَ ، إذ ليس لهم الكلامُ في مِثْلِ هذا.

وقد كَرِهَ السلَفُ الكلامَ في مِثْل هذا مما ليس تَحْتَه عَمَلٌ لأهْلِ العِلْمِ ، فكيف للعامة!؟

---

(١) (عزرائيل): هو الملك الموكل بقبض الأرواح ، وسماه الله تعالى: «ملك الموت». قال ابن كثير: «وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور».

(٢) (أهل الرَّسِّ): البئر ، قتلوا نبيَّهم ودَسُّوه فيها (كلمات القرآن). وانظر ترجمة خالد بن سنان في الأعلام للزركلي.

(٣) (يُـؤَدَّبُ): يُعاقَبُ.

(٤) في المطبوع: «فيهم».

فصـل

[فِيْ حُكْمِ مَنِ اسْتَخَفَّ بالقُرْآنِ ، أَو المُصْحَفِ ، او بشيء مِنْهُ ، أو سَبَّهُمَا][1]

واعلَمْ أَن مَنْ استَخَفّ بالقرآن ، أو المُصحَف ، أو بشيء [منه] ، أو سبَّهُما ، أو جَحَدهُ ، أو حرفاً منه ، أو آيةً ، أو كذّب به ، أو بشيءٍ منه ، [أو كذّب بشيء] مِمَّا صُرِّحَ به فيه مِنْ حُكْمٍ ، أو خَبَر ، أو أثبتَ ما نَفَاهُ ، أو نَفَى ما أَثْبَتَه ، على عِلْم منه بذلك (٢٢٠/ب) أو شكَّ في شَيْءٍ من ذلك فهو كافرٌ عند أهل العِلم بإجماع ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤١ ـ ٤٢].

١٨١٩ ـ حدثنا الفَقِيهُ أَبو الوليد : هشام بن أحمد رحمه الله قال: حدثنا أبو علي ، حدثنا ابْنُ عبد البَرِّ ، حدثنا ابنُ عبد المؤمن ، حدثنا ابنُ دَاسَةَ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عَمْرو ، عن أَبي سَلَمَةَ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيّ ﷺ ، قال: «**المِرَاءُ في القرآنِ كُفْرٌ**»[2] ، تُؤُوِّلَ بمعنى الشكّ ، وبمعنى الجدال.

١٨٢٠ ـ وعن ابن عباس ، عن النبي ﷺ: «**مَنْ جَحَدَ آيةً من كتاب الله ، من المسلمينَ ، فقد حلَّ ضَرْبُ عُنُقِه**»[3] ، وكذلك إنْ جَحَد التَّوْرَاةَ ، والإنجيلَ ، وكتُبَ اللهِ المنزّلَة ، أو كفر بها ، أو لعنها ، أو سبَّها ، أو استخفّ بها فهو كافِرٌ.

وقد أَجمع المسلمون أَنَّ القرآنَ المَتْلُوَّ في جميع أقطار الأرض ، المكتوبَ

---

(١) ما بين حاصرتين من عندي.

(٢) أسنده المصنف من طريق أبي داود (٤٦٠٣). وأخرجه أيضاً أحمد ٢/ ٤٢٤ ، وأبو يعلى (٥٨٩٧) ، وصححه ابن حبان (٥٩) موارد ، والحاكم (٢/ ٢٢٣) ، ووافقه الذهبي. وصححه أيضاً النووي في «التبيان» ، والسيوطي في الجامع الصغير (٩١٨٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٣٩) ، وضعف إسنادَهُ البوصيري في مصباح الزجاجة.

في المصحف الذي[1] بأيدي المسلمين، مما جمعه الدَّفَّتَانِ[2] من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الفلق: ١]. أنه كلام الله، وَوَحْيُه المنزَّلُ على نبيّه محمدٍ ﷺ، وأن جميعَ ما فيه حقٌّ، وأَنَّ مَنْ نَقَص منه حرفاً قاصِداً لذلك، أو بدَّله بحرفٍ آخر مكانَه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المُصْحَفُ الذي وقع الإجماعُ عليه، وَأُجْمِعُ على أنه ليس من القرآن، عامداً لكل هذا، أنه كافر.

ولهذا رأى مالك قَتْلَ مَنْ سَبَّ عائشةَ رضي الله عنها بالفِرْيَةِ، لأنه خالف القرآنَ، ومَنْ خالفَ القرآنَ قُتِل، أي[3] لأنه كذَّب بما فيه.

وقال ابنُ القاسم: مَنْ قال إنَّ الله تعالى لم يكلِّمْ مُوسى تكليماً يُقْتل، وقاله عبد الرحمن بن مَهْدِيّ.

وقال محمد بن سُحْنُون ـ فيمن قال: المعوِّذَتان ليستا من كتاب الله عز وجل ـ: يُضْرَبُ عُنقه إلا أن يتوبَ.

وكذلك كلُّ مَنْ كذَّبَ بحرف منه. قال: وكذلك إنْ شَهِد شاهدٌ على مَنْ قال: إنَّ اللهَ لم يُكلِّمْ مُوسى تكليماً، وشهد آخرُ عليه أنه قال: إنّ اللهَ ما اتّخذَ إبراهيمَ خليلاً، لأنهما اجتمعا (٢٢١/أ) علىٰ أنهُ كذّبَ النبيّ ﷺ.

وقال أبو عثمان بن الحدّاد: جميعُ مَنْ يَنْتَحِلُ التَّوْحيدَ متَّفِقُون أَنَّ الجَحْدَ لحرفٍ من التنزيل كُفْرٌ.

وكان أبو العالية[4] إذا قرأ عنده رجلٌ لم يَقُلْ له: ليس كما قرأْتَ، ويقول: أَمَّا أنا فأقرأ كذا، فبلغ ذلك إبراهيم[5]، فقال: أراه سَمِعَ أنه مَنْ كفر بِحَرْفٍ منه فقد كفَر به كلّه.

---

(١) كلمة: «الذي»، لم ترد في المطبوع.
(٢) (الدَّفتان): تثنية دَفَّةٍ، وهي الجنب من كل شيء أو صفحته.
(٣) قوله: «أي»، لم يرد في المطبوع.
(٤) هو رُفَيْع بن مِهران الرياحي. تقدمت ترجمته.
(٥) هو إبراهيم بن يزيد النَّخَعي. تقدمت ترجمته.

١٨٢٠ م ـ وقال عبد الله بن مسعود: من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كُلِّه[١].

وقال أَصْبَغُ بن الفَرَج: مَنْ كذّب ببَعْض القرآنِ فقد كذّبَ به كلّه. ومن كذّب به فقد كفر به، ومَنْ كفَر به فقد كفر بالله.

وقد سئل القابسيُّ ـ عمَّن خاصم يَهُوديّاً، فحلف له بالتَّوْرَاة، فقال له الآخرُ: لَعَنَ اللهُ التوراة، فشَهد عليه بذلك شَاهدٌ، ثمّ شهدَ آخرُ أنه سأله عن القضيّة فقال: إنما لعنْتُ تَوْرَاةَ اليَهُودِ، فقال أبو الحسن: الشاهدُ الواحِدُ لا يُوجبُ القَتْل، والثاني علّقَ الأمْرَ بصفةٍ تحتمِلُ التأويل، إذ لعله لا يَرَى اليهودَ متمسِّكين بشيءٍ من عند الله لتبديلهم وتَحْرِيفهم.

ولو اتفق الشَّاهِدَانِ عَلى لَعْنِ التَّوْرَاةِ مجرَّداً لضاقَ التأويل.

وقد اتَّفَقَ فقهاءُ بغداد على استتابة ابن شَنْبُوذ[٢] المُقْرِىء ـ أَحَدِ أئمةِ المقرئين المتصدِّرين بها مع ابن مجاهد[٣] رضي الله عنهما ـ لقراءته وإقرائه بِشَواذّ من الحروف مما ليس في المُصحف، وعقدوا عليه بالرجوع عنه، والتوبة منه سِجلاً، أَشْهَد فيه بذلك على نَفْسه في مجلس الوزير أبي عليٍّ بن مُقْلَةَ[٤] سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة وكان فيمن أفْتَى عليه

---

(١) على هامش الأصل زيادة: «ومن كفر قتل. أصل». وهذا الأثر أخرجه بنحوه عبد الرزاق في المصنف (المناهل/ ١٣٥٤). وهو لم يرد في المطبوع.

(٢) هو أبو الحسن، محمد بن أحمد. شيخ المقرئين في زمانه، كان إماماً صدوقاً أميناً، كبير القدر مات سنة (٣٢٨)هـ. وهو في عشر الثمانين أو جاوزه. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦.

(٣) هو أبو بكر: أحمد بن موسىٰ البغدادي. إمام، مقرىء، محدث، نحوي، ولد سنة (٢٤٥)هـ. وتوفي سنة (٣٢٤)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤.

(٤) هو أبو علي: محمد بن علي. وزير من الشعراء الأدباء: تقلّد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء: للمقتدر العباسي سنة (٣١٦)هـ، وللقاهر بالله سنة (٣٢٠)هـ. وللراضي بالله سنة (٣٢٢)هـ. ولد أبو علي سنة (٢٧٢)هـ. ومات مسجوناً سنة (٣٢٨)هـ. انظر الأعلام، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٩.

بذلك أبو بكر الأبْهَريّ[1] وغَيْـرُه .

وأفتى أبو محمد بن أبي زَيْد بالأَدَبِ ـ فيمن قال لصبيّ : لعن اللهُ مُعَلِّمَك وما علّمك . وقال : أردتُ سوءَ الأدب ، ولم أُرِدِ القرآن .

قال أبو محمد : وأمّا مَنْ لعن المصحفَ فإنّه يُقْتَلُ .

فصل

وَسَبُّ آلِ بَيْتِه وأزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ وتنقُّصُهُمْ حَرَامٌ مَلْعُونٌ فَاعِلُهُ

١٨٢١ ـ حدثنا القاضي الشهيدُ أبو عليّ رحمه الله ، حدثنا أبو الْحُسَيْن الصَّيْرفيّ ، وأبو الفَضْل (٢٢١/ب) العدل قالا[2] : حدثنا أبو يَعْلَى ، حدثنا أبو عليّ السِّنْجِيُّ ، حدثنا ابنُ مَحبوبٍ ، حدثنا الترمذي ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا عَبِيْدَةُ بن أبي رايطة[3] ، عن عبد الرحمن بن زياد[4] ، عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «اللهَ اللهَ في أصحابي ، اللهَ اللهَ في أصحابي[5] ، لا تتخِذُوهم غرَضاً بعدي ، فمَنْ أحبَّهم فبِحُبِّي أحبَّهم ، ومَنْ أبغضَهم فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذَى اللهَ ، ومَنْ آذى اللهَ يوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»[6] .

---

(١) هو محمد بن عبد الله الأبهري المالكي. نزيل بغداد وعالمها. كان إماماً ، علامة ، قاضياً ، محدثاً. ولد في حدود (٢٩٠)هـ. ومات سنة (٣٧٥)هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤.

(٢) قوله : «قالا» ، لم يرد في المطبوع .

(٣) في المطبوع : «عبيدة بن أبي رابطة» ، وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : «عبد الرحمن بن أبي زياد» ، والمثبت من المطبوع والترمذي وكتب الرجال .

(٥) قوله : «الله ، الله في أصحابي» ، لم ترد في المطبوع إلا مرة واحدة ، وفي سنن الترمذي كما في نسختنا . ومعناه : اتقوا الله في أصحابي واعرفوا حقهم .

(٦) أسنده المصنف من طريق الترمذي (٣٨٦٢) . وقد تقدم برقم (١٢٣٣ ، ١٣٠٤) . (الغرض) :

١٨٢٢ ـ وقال عليه السلام: «لا تسبُّوا أصحابي ، فمَنْ سبَّهم فعليه لعنةُ اللهِ ، والملائكة ، والناسِ أجمعين ، لا يقبلُ الله منه صَرْفاً ، ولا عَدْلاً»(١) .

١٨٢٣ ـ وقال عليه السلام: «لا تسبُّوا أصحابي ، فإنه يجيء قَوْمٌ في آخرِ الزمان يسبُّونَ أصحابي فلا تُصَلُّوا عليهم ، ولا تُصَلُّوا معهم ، ولا تناكحوهم ، ولا تجالسوهم ، وإنْ مَرِضوا فلا تَعُودُوهم»(٢) .

١٨٢٤ ـ وعنه عليه السلام: «مَنْ سبَّ أصحابي فاضْرِبوه»(٣) .

١٨٢٥ ـ وقد أَعْلَمَ النبيُّ ـ عليه السلام ـ أنَّ سبَّهم وأذاهم يُؤْذِيه ، وأذى النبيِّ ﷺ حَرامٌ ، فقال: «لا تُؤْذوني في أصحابي ، ومن آذاهم فقد آذاني»(٤) .

١٨٢٦ ـ وقال لبعض نسائه: «لا تُؤْذِيني(٥) في عائشة»(٦) .

١٨٢٧ ـ وقال في فاطمة: «بِضْعَةٌ مني ، يُؤْذِيني ما آذاها ، ومن أغضبها فقد أغضبني»(٧) .

وقد اختلف العلماءُ في هذا ، فمشهورُ مَذْهب مالك في ذلك: الاجتهادُ

= الهدف أي: لا تجعلوهم هدفاً ترمونهم بأقوالكم. (أوشك) يوشك: إذا أسرع وقارب (قاله ابن الأثير في جامع الأصول ٨/ ٥٥٤).

(١) النهي عن سب الصحابة الكرام ، متفق عليه من حديث الخدري وأبي هريرة. وقد تقدم برقم (١٣٠٥) ، وباقي الحديث تقدم برقم (١٣٠٦). (صرفاً): الصَّرف: التوبة. وقيل: النافلة. (عدلاً): العَدْل: الفدية. وقيل: الفريضة (النهاية).

(٢) رواه الخطيب وابن عساكر عن أنس. قال الذهبي: وهو منكر جداً. (كنز العمال رقم/ ٣٢٥٤٢).

(٣) تقدم برقم (١٧٦٢).

(٤) انظر الحديث المتقدم برقم (١٨٢١).

(٥) في المطبوع: «لا تؤذوني» .

(٦) تقدم برقم (١٢٨٦). وقوله: «لبعض نسائه» ، لم يرد في المطبوع. (بعض نسائه): المراد: أم سلمة رضي الله عنها ، كما في البخاري (٢٥٨١).

(٧) تقدم برقم (١٢٣٤ ، ١٧٩١). وقوله: «ومن أغضبها فقد أغضبني» ، لم يرد في المطبوع.

والأدبُ الموْجِع: قال مالك [رحمهُ الله]: مَنْ شَتَم النبيَّ قُتِل، ومَنْ شتَم أصحابَه أُدِّب.

وقال أيضاً: مَنْ شَتَم أَحَداً من أصحاب النبيّ ﷺ: أبا بكر، أو عُمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عَمْرو بن العاص[1]، فإنْ قالَ: كانوا على ضَلاَلٍ وكُفْرٍ قُتِل، وإن شتَمهم بغير هذا من مُشاتَمِة الناس نُكّل نكالاً شَدِيداً[2].

وقال ابنُ حبيب: من غَلاَ من الشيعة إلى بُغْضِ عثمان والبراءة منه أُدِّبَ أدباً شديداً، ومَنْ زاد إلى بُغْض أبي بكر وعُمر فالعقوبةُ عليه أشدُّ، ويكرَّر ضَرْبُه، ويُطَالُ سِجْنُه حتى يموت (٢٢٢/أ) ولا يُبْلَغُ به القَتْلُ إلا في سَبِّ النبيِّ ﷺ.

وقال سُحْنون: مَنْ كَفَّر أحداً من أصحاب النبيِّ ﷺ: عليّاً، أو عثمان، أو غَيْرَهما، يُوجَعُ ضَرْباً.

وحكى أبو محمد بن أبي زَيْد، عن سُحْنون: مَنْ قال في أبي بكر وعُمر وعُثمان وعليّ رضي الله عنهم: إنهم كانوا على ضَلاَلةٍ وكُفْر قُتِل. ومَنْ شَتَم غَيْرَهم من الصحابة بمثْل هذا نُكِّلَ النَّكَالَ الشديد.

ورُوِيَ عن مالك: مَنْ سبَّ أبا بكر جُلِدَ، ومَنْ سبَّ عائشةَ قُتِل، قيل له: لِمَ؟ قال: مَنْ رَمَاها فقد خالف القرآنَ.

وقال ابنُ شعبان عنه: لأنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]، فمن عاد لمِثْلِه فقد كفر.

وحكى أبو الحَسَن الصَّقَلِّي: أَنّ القاضي أبا بكر بن الطيّب قال: إنَّ اللهَ تعالىٰ إذا ذكَر في القرآنِ ما نسبه إليه المشركون سبّح نَفْسَه لنَفْسه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ...﴾ [الأنبياء: ٢٦] في آيٍ كثيرة.

وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا

---

(١) في الأصل زيادة: «أو من هو مثلهم».
(٢) نُكِّلَ نكالاً شديداً: عوقب عقاباً موجعاً.

﴿يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] سبَّح نَفْسَه في تنزيهها[١] من السّوء، كما سبَّحَ نَفْسَه في تَبْرئته ـ عز وجل ـ من السّوءِ.

وهذا يشهَدُ لقولِ مالكٍ في قَتْلِ مَنْ سبَّ عائشةَ.

ومعنى هذا ـ والله أعلم ـ أنَّ الله تعالىٰ لَمَّا عظَّمَ سبَّها كما عظَّم سبَّه، وكان سَبُّها سَبَّاً لِنَبيِّه عليه السلام وقَرَن سبَّ نبيِّه عليه السلام وأذاهُ بأذاهُ تعالى، وكان حُكْمُ مُؤْذِيه تَعالى ـ القَتْلَ، كان مُؤْذِي نَبِيِّه كذلك، كما قدمناه.

وشَتَمَ رجلٌ عائشةَ بالكوفةُ، فقُدِّم إلى موسى بن عيسى العباسيِّ الهاشمي[٢] فقال: من حضَر هذا؟ فقال ابنُ أبي ليلى: أنا، فَجَلَدهُ ثمانين، وحلقَ رَأسه، وأَسْلمه للحجَّامين[٣].

١٨٢٨ ـ وَرُوِيَ عن عمر بن الخطّاب أنه نَذَرَ قَطْعَ لسانِ عُبَيد الله بن عُمر، إذْ شتَم المِقْدَادَ بن الأسود الكندي[٤] فكُلِّم في ذلك، فقال: دَعُوني أقطع لسانَه حتى لا يَشْتُمَ أَحَدٌ بَعْدُ أصحابَ محمد ﷺ.

١٨٢٩ ـ ورَوَى أبو ذَرٍّ الهرَوي[٥] أنَّ عُمَر بن الخطاب أُتِي بأعرابيّ يَهْجُو

---

(١) في المطبوع: «تبرئتها».

(٢) هو موسى بن عيسى بن موسىٰ بن محمد العباسي الهاشمي: أمير، من آل عباس. كان جواداً عاقلاً، ولي الحرمين للمنصور والمهدي، مدة طويلة، ثم ولي اليمن للمهدي، وولي مصر للرشيد سنة (١٧١)هـ ثم صرف عنها سنة (١٧٢)هـ فعاد إلى العراق، فولاه الرشيد الكوفة، فدمشق، ثم أعيد ثانية إلى إمرة مصر سنة (١٧٥)هـ، وصرف سنة (١٧٦)، وأعيد ثالثة سنة (١٧٩)هـ وصرف سنة (١٨٠)هـ فأقام ببغداد إلى أن توفي سنة (١٨٣)هـ (الأعلام باختصار).

(٣) قال الخفاجي: «تسليمه لهم إما ليحبس عندهم، أو ليخرجوا منه دماً يضعفه، أو ليكون معهم في خطتهم، فهو نفيٌ له، أو إهَانـةٌ له، يسقط قبول شهادته برذالة صنعته، وهذا أَظْـهَـرُ».

(٤) هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي. صحابي من الأبطال. شهد بدراً وغيرها. توفي سنة (٣٣)هـ. وليس في الصحابة من اسمه المقداد غيره، لذلك أورده الحافظ البَـرديجي في «طبقات الأسماء المفردة» برقم (١) وهو مطبوع بتحقيقي. وانظر الأعلام ٧/ ٢٨٢.

(٥) هو عَبْدُ بن أحمد الهروي المالكي. إمام، حافظ، مجوِّدٌ، علامة. وهو راوي صحيح =

الأنصار ، فقال: لولا أنَّ له صحبةً لَـكَفَيْـتُكُمُوْهُ[1] .

قال مالك: مَن انتقص أحداً من أصحاب النبيِّ ﷺ فليس له في هذا الفَيْء[2] حقٌّ ، قد قسم اللهُ الفَيْءَ في ثلاثة أصناف (٢٢٢/ب) فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وهؤلاء هم الأنصارُ.

ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

فمن تَـنَـقَّصَهُمْ فلا حقَّ لَهُ في فَيْءِ المسلمين.

وفي كتاب ابن شَعْبان: مَنْ قال في واحدٍ منهم: إنه ابْنُ زَانيةٍ ، وأُمُّه مُسلمةٌ ، حُدَّ عند بعض أصحابنا حَـدَّين: حداً له ، وحَدّاً لأُمِّه ، ولا أجعلُه كقاذِفِ الجماعةِ في كلمةٍ لفَضْل هذا على غيره[3] .

١٨٣٠ ـ ولقوله عليه السلام: «مَنْ سبَّ أصحابي فاجلدوه»[4] .

قال: وَمَن قذفَ أُمَّ أَحدِهم ، وهي كافرةٌ ، حُدَّ حَدَّ الفِرْيةِ ، لأنه سبٌّ له ،

= البخاري عن الثلاثة: المُسْتَمْلِي ، والحمُّوِيِّ ، والكُشْمِيْهَنِي. ولد سنة (٣٥٥) أو (٣٥٦)هـ ، ومات سنة (٤٣٤)هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤ ـ ٥٦٢ .

(١) أخرجه محمد بن قدامة المروزي في كتاب الخوارج عن أبي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات (المناهل/ ١٣٦٢). (لكَفيتكموه): أي لقتلته وكفيتكم شره . وفي المطبوع: «الكفيتموه» .

(٢) (الفيء): الغنيمة تنال بلا قتال .

(٣) (لفضل هذا على غيره): لزيادةِ جُـرْمِـهِ .

(٤) تقدم برقم (١٧٦٢ ، ١٨٢٤).

فإنْ كان أَحَدٌ من وَلَدِ هذا الصحابي حيّاً قام بما يجبُ له ، وإلاّ فَمنْ قام به من المسلمين كان على الإمام قَبُولُ قيامِه ، قال: وليس هذا كحقوقِ غَيْرِ الصحابةِ لحُرْمةِ هؤلاء بِنَبِيِّهِمْ عليه السلام ، ولو سمِعَه الإمامُ ، وأَشْهَد عليه ، كانَ وَلِيَّ القِيَامِ به ، قال: ومَنْ سبَّ غَيْرَ عائشة من أزواج النبيِّ ﷺ ففيها قولان:

أحدهما: يُقْتَل ، لأنه سبَّ النبيَّ ﷺ بِسَبِّ حَلِيلَته[1].

والآخر: أنها كسائر الصحابة ، يُجْلَد حدَّ المُفْتَري ، قال: وبالأول أقول.

وروى أبو مُصْعَب ، عن مالك[2]: مَنْ[3] انتسب[4] إلى بيتِ النبيِّ ﷺ: يُضْرَبُ ضَرْباً وَجِيعاً ، ويُشْهَرُ[5] ، ويُحْبَسُ طويلاً حتى تظهر توبتُه ، لأنه استخفافٌ بحقّ الرسول عليه السلام.

وأفتى أبو المُطَرِّف الشعبي[6] ـ فقيهُ مالَقَة[7] ـ في رَجُلٍ أنكر تحليفَ امرأةٍ بالليلِ ، وقال: لو كانت بنْتَ أبي بكر الصدّيق ما حُلِّفَتْ إلا بالنّهار ، وصوّب قولَه بعض المتَّسِمين بالفِقْه ، فقال أبو المطرِّف: ذِكْرُ هذا لابْنَةِ أبي بكر في مِثْلِ هذا يُوجِبُ عليه الضَّرْبَ الشديدَ ، والسجنَ الطويل ، والفقيهُ الذي صوّبَ قوله هو[8] أَحقُّ باسم الفِسْقِ من اسم الفِقْه ، فيُتَقَدَّم له في ذلك ، ويُزْجَر[9] ، ولا تُقْبَل فَتْواهُ ، ولا شهادتُه ، وهي جُرْحةٌ[10] ثابتةٌ فيه ، ويُبْغَضُ في الله.

---

(١) (حليلته): زوجه ﷺ.

(٢) في شرح القاري (٤/ ٥٧١) زيادة: «فيمن سَبَّ».

(٣) في المطبوع: «فيمن».

(٤) (انتسب): أي ادعىٰ أنه من أهل البيت ، وهو ليس منهم.

(٥) (يُشْهَرُ): يذاع عنه هذا الأمر.

(٦) هو عبد الرحيم بن قاسم الشعبي ، شيخ المالكية ومفتي مالقة. توفي سنة (٤٩٧)هـ ، وله (٩٥) سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٧.

(٧) مدينة في بلاد الأندلس المفقود (اسبانيا اليوم). وقد فتحها المسلمون أَعِزَّةً على أصوات التهليل والتكبير ، وخرجوا منها أذلة عندما ركنوا إلى الطبل والمزامير.

(٨) قوله: «هو» ، لم يرد في المطبوع.

(٩) في الأصل: «ويؤخر» ، والمثبت من المطبوع.

(١٠) (جُرحة ثابتة فيه): طعنة مسقطة لعدالته.

[وقال أبو عِمْران ـ في رجل قال: لو شَهِد عليَّ أَبو بَكْرِ الصِّدِّيق ـ: إنه إنْ كان أراد أن شهادته[1] في مِثْلِ هذا، لا يَجُوزُ فيه الشاهد الواحِد، فلا شيءَ عليه، وإنْ كان أرادَ غَيْرَ هذا، فيُضْرَبُ ضَرْباً يُبْلَغُ به حدُّ الموت. وذكروها رواية].

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: هنا انتهى القولُ بنا فيما حرَّرْناهُ، وانتجز الغرضُ الذي انتحيناه[2] (٢٢٣/أ) واستُوفِي الشَّرْطُ الذي شَرَطْنَاهُ، مما أَرجو أَنْ [يكون] في كل قسمٍ منه لِلمُريد مَقْنَع[3]، وفي كلّ بابٍ مَنْهَجٌ[4] إلى بُـغْيته ومَنْزَعٌ[5].

وقد سفَرْتُ[6] فيه عن نُكَتٍ تُسْتَـغْربُ[7] وتُسْتَـبْـدع[8]، وكَرَعْتُ في مَشَارِبَ من التحقيق لم يورَدْ لها قَبْلُ في أكثر التصانيف مَشْرَع[9]، وأودعْتُه غَيْرَ ما فَصْل، ودِدْتُ لو وَجدتُ مَنْ بَسَط قَبْلي الكلامَ فيه، أومُقْتَدىً يفِيدُنيه عن كتابه أو فيه[10]، لأكتفِي بما أَرْويه عمّا أُرَوِّيه.

وإلى الله تعالى جزيلُ الضَّراعة في المِنّة بقَبولِ ما مِنْه لوجْهه، والعَفْوِ عما تَخلَّله مِنْ تزيُّن وتَصَنّع لغيره، وأَنْ يهبَ لنا ذلك بجميل كرمِه وعَفْوه، لما

---

(١) قوله: «أراد أن شهادته»، لم يرد في المطبوع.

(٢) (انتجز الغرض الذي انتحيناه): أي تم وتحقّق الهدف الذي قصدناه.

(٣) (المقنع): ما يرضي من الآراء، أو ما فيه كفاية (المعجم الوسيط).

(٤) (المنهج): الطريق الواضح (المعجم الوسيط).

(٥) (مَـنْـزَعٌ): أي حجة لمن يحتج به في قضيته / قاله القاري.

(٦) (سَفَـرْتُ): كشفتُ وأوضحتُ.

(٧) (تستغرب): تعد غريبة نادرة.

(٨) (تستبدع): تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل في جنسها.

(٩) (المشرع): مورد الماء الذي يستقىٰ منه. والمراد: محلٌ يستفاد منه مثلها.

(١٠) (فيه): فمه. أي سماعاً منه.

أودعناه من شَرَفِ مُصْطَفاه ، وأمين وَحْيه ، وأَسْهَرْنا به جفونَنا لتَتَبُّع فضائله ، وأَعْمَلْنا فيه خواطِرَنا من إبرازِ خصائصه ووسائله ، ويحْمِي أعراضَنا عن نارِه المُوقَدةِ لحمايتنا كريمَ عِرْضه ، ويجعلَنا مِمَّنْ لا يُـذَادُ[1] إذا ذيدَ المُبَدِّلُ عن حَوْضِه ، ويجعله لنا ولِمَنْ تَهَمَّمَ باكْتِـتـابـه[2] ، واكتسابه سبباً يَصِلُنا بأسبابه ، وذَخيرةً نجدُها﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] نَحُوزُ بها رِضاهُ ، وجزيلَ ثَوابه ، ويخصّنا بِخِصِّيصَى[3] زُمْرَةِ نبيّنا عليه السلام وجماعته ، ويحشرنا في الرَّعيل الأول[4] ، وأهلِ البابِ الأيمن ، من أهل شفاعته ، ونحمده تعالى على ما هَدَى إليه من جَمْعِه وأَلْهَم ، وفتح البصيرة لِدَرْك حقائقِ ما أودعناهُ وفَهَّمَ ، ونستعيذه ـ جلَّ اسمُه ـ مِنْ دعاءٍ لا يُسْمَعُ ، وَعِلْمٍ لا ينْفَعُ ، وعملٍ لا يُرْفَعُ ، فهو الجَوَادُ الذي لا يَخيبُ مَنْ أَمَّلَه . ، ولا يَنْتَصر مَنْ خَذَلَهُ ، ولا يَرُدُّ دعوةَ القاصدين ، ولا يُصْلِحُ عَمَلَ المفسدين ، وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل ، وصلىٰ الله على سيدنا محمدٍ ، وآله وصَحْبه ، وسلَّم تسليماً كثيراً[5] .

ووقع الفراغ منه آخر النهار ، يوم الاثنين ، الثاني عشر من رجب الفرد سنة (٧٤٤) في المدرسة القَيْمازيَّة[6] رحم الله واقفها ، علىٰ يدي أضعف خلق الله

---

(١) (يُـذادُ): يُـدْفَـعُ وَيُـطْـرَدُ.

(٢) (تَـهَمَّمَ باكتتابه): اهتم واعتنى بكتابته .

(٣) (خِصِّيصىٰ): قال الخفاجي في نسيم الرياض (٤/٥٧٦): «مصدر بمعنىٰ الاختصاص ، وهو الذي جزم به السيوطي ، وقيل: إنه مثنىٰ خصيص بوزن صديق ، وإليه ذهب السخاوي وغيره ، وفسره بأبي بكر وعمر» .

(٤) ويحشرنا في الرعيل الأول: أي مع السابقين. والرعيل: الجماعة القليلة من الرجال ، أو الخيل ، أو التي تتقدم غيرها.

(٥) على هامش الأصل: «نسخة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسلم كثيراً».

(٦) هي مدرسة للأحناف ، بناها الأمير صارم الدين: قَايْماز النجمي المتوفىٰ سنة (٥٩٦)هـ. وتقع هذه المدرسة ـ على ما حققه العلاّمة بدران ـ بالقرب من دار الحديث الأشرفية. ودار

جِرماً[1] ، وأكثرهم جُرماً[2] ، محمد بن أحمد بن عبد الملك بن رمضان بن محمود الحاج الحنفي الرومي المليفدوني ، عفا الله عنهم ، وجعل الجنة مثواهم ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، برحمتك يا أرحم الراحمين!

* * *

= الحديث الأشرفية لا زالت معروفة إلى الآن ، في أول سوق العصرونية في دمشق. انظر منادمة الأطلال ص (١٩٨ ـ ١٩٩).

(١) الجِرْم: الجسد.

(٢) (الجُرم): الذنب.

محتوى الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيبها في المصحف الشريف

الأنفال (٨)

التوبة (٩)

فهرست الأحاديث والآثار[1]

حرف الألف

---

(١) رمزت للأثر بالحرف (ث).

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حـرف الـذال

حـرف الـراء

حـرف الـزاي

حـرف الـسـين

حـرف الـشـين

حـرف الـصـاد

حـرف الـضـاد

حـرف الـطـاء

حـرف الـظـاء

حـرف الـعيـن

حـرف الـغيـن

حـرف الـفـاء

حـرف الـقـاف

حرف الكاف

حرف اللام

حـرف الـميـم

حـرف الـنـون

حـرف الـهـاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرست الأشعار

الـــراء

لــو لــم تكــن فيــه آيــات مبينــة	لكــان منظــره يُنْبِيْــكَ بــالخبــر	٣٠٩
علــىٰ محمــــد صــلاة الأبــرارْ	صلــى عليــه الطيبــون الأخيــارْ	٤٩٧
قــد كنــتَ قــوَّامـاً بُكـاً بـالأسحـار	يـا ليـت شعـري والمنـايـا أطـوارْ	٤٩٧

هل تجمعَنِّي وحبيبي الدارْ

• • •

كنتَ مـوسـىٰ وافَتْـهُ بنت شعيـبٍ	غيـرَ أَنْ ليـس فيكمـا مـن فقيـرِ	٧٩٥
كيــف لا يــدنيــك مـــن أمــلٍ	مـــنْ رســولُ الله مـــن نفــره	٧٩٨

الـعيـن

تعصــي الإلــه وأنــت تظهــر حبــه	هــذا لعمــري فــي القيــاس بــديــعُ	٤٨٠
لــو كــان حبـك صــادقــاً لأطعتــه	إن المحــب لمــن يحــب مطيــع	٤٨٠

الـقـاف

مــن قبلهــا طبــت فــي الظِّـلالِ وفــي	مستــودع حيــث يخصــفُ الــورقُ	٢١٦
ثــم هبطــت البــلاد لا بشــر أنــ	ــت ولا مضغـــة ولا علـــقُ	٢١٦
بـل نطفـة تـركـب السفيـن وقـد ألـ	ـجـمَ نســراً وأهلَــهُ الغــرقُ	٢١٦
تنقــل مـــن صـــالــبٍ إلــى رحــمٍ	إذا مضــىٰ عــالَــمٌ بـدا طبــقُ	٢١٦
حتــى احتــوى بيتُــكَ المهيمــنُ مِــنْ	خِنْــدِفَ عليــاءَ تحتهــا النُّطُــقُ	٢١٦، ٣٠٢
وأنــت لمــا ولــدت أشــرقــت الــ	أرضُ وضــاءت بنــورك الأفــقُ	٢١٦
فنحــن فــي ذلــك الضيــاء وفــي الــنُّــور وسُبــل الــرشــاد نــختــرقُ		٢١٦

الـكـاف

ربَّ العبــاد مــا لنــا ومــالكــا	قــد كنــت تسقينــا فمــا بــدا لكــا	٨٦٩

أنزل علينا الغيث لا أبالكا

الـلام

قــد تخلَّلْــتَ مسلــك الــروح منــي	وبـــذا سُمِّـــيَ الخليـــل خليـــلا	٢٦٧
فــإذا مــا نطقــتُ كنــتَ حــديثــي	وإذا مــا سكــتُّ كنــت الغليـــلا	٢٦٧

• • •

تلــك المكــارم لا قعبــان مــن لبــن	شيبــا بمــاء فعــادا بعــدُ أبــوالا	٦٢٦

• • •

لــولا انقطــاع الــوحـي بعـد محمـد	قلنــا محمــد مِــن أبيــه بــديــلُ	٧٩٥

فهرست الأماكن والمعالم والأيام المعرّف بها في الحاشية(1)

(١) يدلُّ الرقم على مكان الترجمة.

فهرست الفرق والأقوام والجماعات
المعرّف بها في الحاشية[1]

(١) يدلُّ الرقم على مكان الترجمة.

فهرست الأعلام المترجمين في الحاشية[1]

(١) يدل الرقم على مكان الترجمة.

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرست أسماء الكتب المذكورة في المتن(١)

---

(١) يدل الرقم على مكان ورود الكتاب أول مرة.

فهرست المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق

١ - القرآن الكريم.

٢ - **الإحاطة في أخبار غرناطة**. لسان الدين بن الخطيب. تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي.

٣ - **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. نشر مؤسسة الرسالة.

٤ - **إحياء علوم الدين**. للغزالي. دار المعرفة.

٥ - **أخبار مكة** للأزرقي. دار الثقافة. مكة المكرمة.

٦ - **أخبار الوادي المبارك «العقيق»**. لأستاذنا محمد شراب. مكتبة دار التراث في المدينة المنورة.

٧ - **أخلاق النبي ﷺ وآدابه**. لأبي الشيخ. تحقيق أحمد محمد مرسي. مكتبة النهضة المصرية.

٨ - **الأدب المفرد**. للبخاري. تقديم كمال الحوت. عالم الكتب.

٩ - **الأذكار**. للنووي. تحقيق عبده كوشك

١٠ - **أسباب النزول**. للواحدي. عالم الكتب. بيروت.

١١ - **الإستعياب**. لابن عبد البر. مطبوع على هامش الإصابة. دار الكتاب العربي.

١٢ - **أُسْدُ الغابة**. لابن الأثير الجزري. دار الفكر.

١٣ - **الأسماء والصفات**. للبيهقي. صححه العلامة زاهد الكوثري.

١٤ - **أسنئ المطالب**. للشيخ الحوت البيروتي. المكتبة الأدبية. حلب.

١٥ - **الإصابة**. لابن حجر العسقلاني. دار الكتاب العربي.

١٦ - **الأعلام**. لخير الدين الزركلي. دارالعلم للملايين.

١٧ - **أعلام النساء**. لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة.

١٨ - **إفحام اليهود**. للإمام المهتدي السموأل بن يحيى المغربي (الحبر شموائيل قبل إسلامه) تحقيق الدكتور الشرقاوي، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. السعودية.

١٩ - **الإمام الزهري**. لأستاذنا محمد شراب. دار القلم. دمشق.

٢٠ ـ الأنساب . للسمعاني . تحقيق العلامة عبد الرحمن اليماني . نشر أمين دمج . بيروت
٢١ ـ الإنصاف للإمام الباقلاني . تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري . دار الهجرة .
٢٢ ـ إيضاح المكنون للبغدادي . مكتبة المثنى .
٢٣ ـ البداية والنهاية . للحافظ ابن كثير . دار الرشيد . حلب
٢٤ ـ بلوغ المرام . للحافظ ابن حجر . تحقيق عبده كوشك . دار المنار .
٢٥ ـ بيت المقدس . لأستاذنا محمد شُرَّاب . دار القلم . دمشق .
٢٦ ـ تاريخ الأدب العربي . كارل بروكلمان . دار المعارف .
٢٧ ـ تاريخ يهود الخزر . ترجمة الدكتور سهيل زكار . دار حسان . دمشق
٢٨ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف . للحافظ المِزّي . تحقيق عبد الصمد شرف الدين . المكتب الإسلامي .
٢٩ ـ تحفة الذاكرين . للشوكاني . دار القلم بيروت .
٣٠ ـ تحفة المودود . لابن قيم الجوزية . تحقيق عبده علي كوشك . دار المنار بدمشق ، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت .
٣١ ـ ترتيب مسند الشافعي . رتبه محمد عارف السندي . عرف بالكتاب العلامة الكوثري . دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٢ ـ الترغيب والترهيب . للحافظ المنذري . دار إحياء التراث العربي . بيروت .
٣٣ ـ تفسير الخازن ، دار المعرفة . بيروت .
٣٤ ـ تفسير الطبري . طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .
٣٥ ـ تفسير ابن كثير . دار المعرفة . بيروت .
٣٦ ـ تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
٣٧ ـ تلخيص الحبير . للحافظ ابن حجر . علق عليه عبد الله هاشم اليماني المدني .
٣٨ ـ تهذيب الأسماء واللغات . للإمام النووي . دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٩ ـ تهذيب تاريخ الخلفاء . هذبه الشيخ نايف العباس . دار الألباب . دمشق .
٤٠ ـ تهذيب التهذيب . للحافظ ابن حجر . دائرة المعارف بالهند . الطبعة الأولى .
٤١ ـ تهذيب الكمال . للحافظ المزي . مصورة دار المأمون للتراث . تقديم الأستاذ عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق .
٤٢ ـ التوحيد . لابن خزيمة . راجعه محمد خليل هراس . دار الفكر .
٤٣ ـ الجامع . لمعمر بن راشد . ملحق بالمصنف لعبد الرزاق . تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي . المكتب الإسلامي .
٤٤ ـ جامع الأصول . لابن الأثير . تحقيق الداعية الشيخ عبد القادر الأرنؤوط . مكتبة الحلبوني ودار البيان . دمشق

٤٥ ـ الجامع الصغير للسيوطي ومعه فيض القدير للمُناوي . دار المعرفة .
٤٦ ـ جامع العلوم والحكم . للحافظ ابن رجب الحنبلي . دار الكتب العلمية .
٤٧ ـ جلاء الأفهام . للحافظ ابن قيم الجوزية . تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط والشيخ شعيب الأرناؤوط .
٤٨ ـ الدرر المنتثرة . للحافظ السيوطي . تحقيق الأستاذين محمود الأرناؤوط ومحمد بدر الدين قهوجي . دار العروبة . الكويت .
٤٩ ـ دلائل النبوة . للحافظ البيهقي . خرج أحاديثه الدكتور عبد المعطي قلعجي . دار الكتب العلمية .
٥٠ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . لابن فرحون المالكي . تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور . دار التراث .
٥١ ـ ديوان الشافعي . جمع وإعداد محمود بيجو . الطبعة الأولى ١٩٨٩ .
٥٢ ـ الرسالة المستطرفة . للكتاني . مكتبة الكليات الأزهرية .
٥٣ ـ رياض الصالحين . للإمام النووي . تحقيق عبده كوشك .
٥٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد . لابن قيم الجوزية . مؤسسة الرسالة . تحقيق الأستاذين عبد القادر وشعيب الأرناؤوط .
٥٥ ـ الزهد . للإمام عبد الله بن المبارك .
٥٦ ـ السنة . للحافظ ابن أبي عاصم . تحقيق الشيخ الألباني . المكتب الإسلامي .
٥٧ ـ سنن أبي داود . إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد . دار الحديث . بيروت .
٥٨ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) : بتحقيق وشرح العلامة أحمد شاكر رحمه الله . دار إحياء التراث العربي .
٥٩ ـ سنن الدارقطني وبهامشه التعليق المغني للعلامة شمس الحق آبادي . عالم الكتب .
٦٠ ـ سنن الدارمي . تحقيق أستاذنا الفاضل حسين أسد . دار المأمون للتراث .
٦١ ـ السنن الكبرى . للحافظ البيهقي . دار المعرفة . بيروت .
٦٢ ـ سنن ابن ماجه . تحقيق فؤاد عبد الباقي .
٦٣ ـ سنن النسائي (المجتبىٰ) . دار القلم . بيروت
٦٤ ـ سير أعلام النبلاء . للحافظ الذهبي . مؤسسة الرسالة .
٦٥ ـ سيرة ابن إسحاق . تحقيق الدكتور سهيل زكار . دار الفكر .
٦٦ ـ السيرة النبوية . للحافظ ابن كثير . تحقيق مصطفى عبد الواحد . دار المعرفة . بيروت .
٦٧ ـ السيرة النبوية . للعلامة أبي الحسن النَّدْوي . دار الشروق . جُدَّة .
٦٨ ـ السيرة النبوية . لابن هشام . تحقيق الأساتذة : السقا والأبياري والشلبي . دار المعرفة . بيروت .

٦٩ ـ شأن الدعاء . للإمام الخطابي . تحقيق أحمد يوسف الدقاق . دار المأمون للتراث . دمشق
٧٠ ـ شرح جوهرة التوحيد . للباجوري . خرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان . راجعه وقدم له الشيخ عبد الكريم الرفاعي . طيب الله ثراه . مكتبة الغزالي . حماة .
٧١ ـ شرح السنة . للإمام البغوي . المكتب الإسلام . تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير شاويش .
٧٢ - شرح الشفا لملاً علي القاري . مطبوع سنة (١٣٢٦ هـ) بالمطبعة الأزهرية المصرية . على هامش نسيم الرياض .
٧٣ ـ شرح صحيح مسلم . للإمام النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها . مصر
٧٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية . لابن أبي العز . منشورات المكتب الإسلامي . دمشق .
٧٥ ـ شرح مشكل الآثار للطحاوي . تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة .
٧٦ ـ شمائل الرسول . للحافظ ابن كثير . تحقيق مصطفى عبد الواحد . دار المعرفة . بيروت .
٧٧ ـ الشمائل المحمدية للحافظ الترمذي . خرج أحاديثه عزت عبيد الدعاس .
٧٨ ـ الصحاح في اللغة والعلوم (معجم وسيط) . إعداد : نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي . دار الحضارة العربية . بيروت .
٧٩ ـ صحيح البخاري ومعه فتح الباري . رقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي . دار المعرفة .
٨٠ ـ صحيح ابن خزيمة . تحقيق الدكتور مصطفى الأعظمي . المكتب الإسلامي
٨١ ـ صحيح مسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .
٨٢ ـ صفوة التفاسير . للدكتور الصابوني .
٨٣ ـ طبقات الأسماء المفردة . للحافظ البَرْديجي . تحقيق عبده كوشك . دار المأمون للتراث . دمشق .
٨٤ ـ العجالة في الأحاديث المسلسلة . لأبي الفيض الفاداني المكي . دار البصائر . دمشق .
٨٥ ـ عمل اليوم والليلة . للحافظ ابن السُّنِّي . تحقيق عبد الرحمن البرني . دار القبلة للثقافة الإسلامية . جدة .
٨٦ ـ عمل اليوم والليلة . للحافظ النسائي . تحقيق الدكتور فاروق حمادة . طبع على نفقة الرئاسة العامة للإفتاء . السعودية .
٨٧ ـ فتاوىٰ ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي .
٨٨ ـ فتح الباري . للحافظ ابن حجر العسقلاني . رقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي . دار المعرفة .
٨٩ ـ الفقه الإسلامي وأدِلته . للدكتور وهبه الزحيلي . دار الفكر .
٩٠ ـ الفهرست . لابن النديم . دار المعرفة . بيروت .
٩١ ـ فهرس الفهارس للكتاني . دار الغرب الإسلامي .

٩٢ ـ **في أصول تاريخ العرب الإسلامي** . لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب . دار القلم . دمشق .
٩٣ ـ **في رحاب البيت الحرام** . لمحمد بن علوي المالكي . مطابع سحر . جُدَّة .
٩٤ ـ **فيض القدير** . للحافظ المُنَاوي . دار المعرفة
٩٥ ـ **القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع** . للسخاوي . دار البيان .
٩٦ ـ **الكامل لابن عدي** . دار الفكر .
٩٧ ـ **الكبائر** . للذهبي . تحقيق عبده علي كوشك . دار المنار بدمشق ، ومؤسسة علوم القرآن . بيروت .
٩٨ ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار** . للحافظ الهيثمي . تحقيق العلامة الأعظمي
٩٩ ـ **كشف الظنون** . حاجي خليفة . مكتبة المثنىٰ .
١٠٠ ـ **كلمات القرآن** . للشيخ حسنين محمد مخلوف . دار الإرشاد بحمص .
١٠١ ـ **الكنىٰ والأسماء** . للدولابي . دار الكتب العلمية . بيروت .
١٠٢ ـ **كنز العمال للهندي** . مكتبة التراث . حلب .
١٠٣ ـ **اللآلىء المصنوعة** . للحافظ السيوطي . دار المعرفة . بيروت .
١٠٤ ـ **لسان الميزان** . للحافظ ابن حجر . دار الفكر .
١٠٥ ـ **المبسوط في القراءات العشر** . لابن مهران . تحقيق الأستاذ سبيع الحاكمي . مجمع اللغة العربية . دمشق .
١٠٦ ـ **مجالس في سيرة النبي ﷺ** . لابن رجب الحنبلي . حققه ياسين السواس ومحمود الأرنؤوط . راجعه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط . دار ابن كثير . دمشق .
١٠٧ ـ **المجروحين** . للحافظ ابن حِبَّان البستي . تحقيق محمود إبراهيم زايد . دار الوعي . حلب .
١٠٨ ـ **مجمع الزوائد** . للحافظ الهيثمي . تحقيق أستاذنا الفاضل حسين أسد . دار المأمون للتراث . دمشق .
١٠٩ ـ **مجمع الزوائد** . للحافظ الهيثمي . بدون تحقيق . دار الكتاب العربي .
١١٠ ـ **مختار الصحاح** . للرازي . مؤسسة علوم القرآن .
١١١ ـ **مختصر الشمائل المحمدية** . اختصره وحققه الشيخ الألباني . مكتبة المعارف بالرياض .
١١٢ ـ **المدينة النبوية** ، فجر الإسلام والعصر الراشدي . لأستاذنا البحاثة محمد شراب . دار القلم . دمشق .
١١٣ ـ **المراسيل** . لأبي داود . تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة .
١١٤ ـ **المستدرك** . للحاكم ، وبهامشه التلخيص للحافظ الذهبي . دار المعرفة . بيروت .
١١٥ ـ **المستدرك على معجم المؤلفين لكحالة** . مؤسسة الرسالة .
١١٦ ـ **مسند أحمد** . دار الفكر .
١١٧ ـ **مسند الحميدي** . تحقيق أستاذنا الفاضل حسين أسد الداراني . دار السقا . دمشق ـ داريا .

١١٨ ـ مسند الشهاب القضاعي. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مؤسسة الرسالة.
١١٩ ـ مسند الطيالسي (منحة المعبود). المكتبة الإسلامية. بيروت.
١٢٠ ـ مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق أستاذنا الفاضل حسين سليم أسد الداراني. دار المأمون للتراث. دمشق.
١٢١ ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجهْ. للبوصيري. تحقيق محمد المنتقىٰ الكشناوي. دار العربية. بيروت.
١٢٢ ـ المُصَنَّف. للحافظ عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني. تحقيق العلامة الأعظمي رحمه الله. المكتب الإسلامي.
١٢٣ ـ المطالب العالية. للحافظ ابن حجر. تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله. وزراة الأوقاف الكويتية.
١٢٤ ـ المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب. دار القلم. دمشق.
١٢٥ ـ معجم الأغلاط الشائعة. للعدناني. مكتبة لبنان.
١٢٦ ـ المعجم الاقتصادي الإسلامي. للدكتور الشرباصي. دار الجيل. بيروت.
١٢٧ ـ معجم البلدان. لياقوت الحموي. دار صادر. بيروت.
١٢٨ ـ معجم بلدان فلسطين ، لأستاذنا البحاثة محمد شُرَّاب. دار المأمون للتراث. دمشق.
١٢٩ ـ معجم الشوارد النحوية. لأستاذنا البحاثة محمد شراب. دار المأمون للتراث. دمشق.
١٣٠ ـ معجم شيوخ أبي يعلى الموصلي. تحقيق الأستاذ المحدث حسين أسد. شاركه في التحقيق عبده كوشك. دار المأمون للتراث. دمشق.
١٣١ ـ المعجم الصغير. للطبراني. دار الكتب العلمية.
١٣٢ ـ المعجم الكبير. للطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية.
١٣٣ ـ معجم المؤلفين. لعمر رضا كحالة. مكتبة المثنىٰ ودار إحياء التراث العربي بيروت.
١٣٤ ـ المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
١٣٥ ـ معرفة علوم الحديث. للحاكم. صححه الدكتور معظم حسين. دار الآفاق الجديدة. بيروت.
١٣٦ ـ المغازي. للواقدي. تحقيق مارسدن جونس. عالم الكتب. بيروت.
١٣٧ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (تخريج أحاديث الإحياء). للحافظ العراقي. مطبوع بهامش الإحياء. دار المعرفة. بيروت.
١٣٨ ـ المقاصد الحسنة. للحافظ السخاوي. دار الهجرة. بيروت.
١٣٩ ـ مقالات الإسلاميين. للإمام أبي الحسن الأشعري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة.

١٤٠ ـ الملل والنحل. للشهرستاني. تخريج محمد بن فتح الله بدران. منشورات الشريف الرضي.
١٤١ ـ منادمة الأطلال ومسامرة الخيال. للشيخ عبد القادر بدران. قدم للطبعة الثانية عبد الكريم بن عمر بدران.
١٤٢ ـ مناهل الصفا. للحافظ السيوطي. تحقيق سمير القاضي. مؤسسة الكتب الثقافية.
١٤٣ ـ مناهل العرفان. للزرقاني. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٤٤ ـ المنتقىٰ من مكارم الأخلاق. انتقاء أبي طاهر السلفي. تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير. دار الفكر. دمشق.
١٤٥ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان. للحافظ الهيثمي. تحقيق الأستاذ المحدث حسين أسد وعبده كوشك. دار الثقافة العربية بدمشق.
١٤٦ ـ الموطأ. للإمام مالك. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي.
١٤٧ ـ نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض. لأحمد شهاب الدين الخفاجي. المطبعة الأزهرية المصرية سنة (١٣٢٦)هـ.
١٤٨ ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. للشيخ الخضري. تحقيق عبده كوشك. دار السقا. دمشق ـ داريا.
١٤٩ ـ النهاية في غريب الحديث. لابن الأثير. تحقيق الأستاذين الزاوي والطناحي. المكتبة العلمية.
١٥٠ ـ هدية العارفين. للبغدادي. مكتبة المثنى.

فهرست الموضوعات